

# دِيَانَةُ مِصْرَ الْقَدِيمَةِ

نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة

أولف إيرمان تأليف

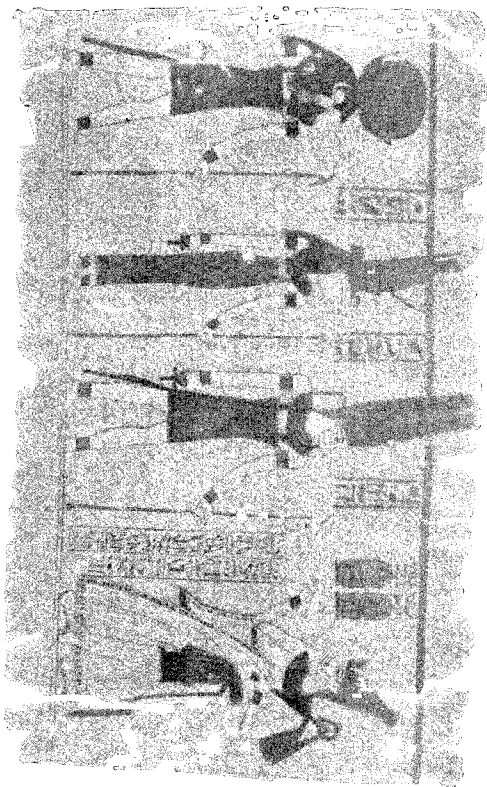
ترجمت وراجعت

الدكتور محمد أنور شكري  
الأستاذ بمعهد الآثار المصرية  
بجامعة القاهرة

الدكتور عبد المنعم أبو بكر  
الأستاذ بكلية الآداب  
بجامعة الإسكندرية



ملتزم الطبع والنشر  
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر



أمون وموت وحتيسو ، آلهة طيبة ، ومن أمامهم الملك يعقيم القرابين . من بريدية طارس التي يكثر ذكرها ، والتي تتميز بما قبله .

## تصدير

أريد بهذا الكتاب أن أعرض فيه الديانة المصرية في أخصّ صفاتها ، وأن أقصّ حياتها الطويلة مستعينا في ذلك بما يبدو لي مفيدا مما بين يديّ من مادةٍ لاحصر لها ، إذ من حقّ المؤرّخ ، بل من واجبه ، أن يطرح جانبا ما ليست له أهمية وما من شأنه أن يثير الارتباك . وليس من قصدي أن يكون كتابي شاملا ، لا يفتقد فيه العالم المختصّ شيئا ، ولكن القارئ إذا ألقى فيه ما يزيد كثيرا على القسط المقدسه والميواوات ، وإذا وجد في بعض الأحيان أن في العقيدة المصرية من الأفكار والمشاعر ما لا تنجّل منه الديانات السامية ، فقد أدّى كتابي الغاية منه . ولقد سبق أن عالجت عام ١٩٠٤ مادة هذا الموضوع ، وظهر الكتاب إذ ذاك تحت عنوان « الديانة المصرية »<sup>١</sup> ضمن مجموعة « كتيبات المتاحف الملكية »<sup>٢</sup> ، التي أنشأها ريشارد شني ، الذي كانت لديه فكرة جليّة عن وظيفته ، إذ كان يعتقد أن المتاحف إنما هي قبل كل شيء أماكن تثقيف ، وأن هذه الكتب ينبغي أن ترشد في غير عناء إلى الحضارات القديمة الأجنبية كل زائر للمتاحف يحاول فهم ما يراه . وكان كتابي الصغير يتفق حقا وهذا الغرض ، حتى لقد أصبح من الضروري طبعه مرّة ثانية عام ١٩٠٩ . وهو يظهر الآن للمرة الثالثة ، ولكن في شكل جديد خارج تلك المجموعة ، إذ غدا أضخم من أن يتناسب معها . وقد وجد ذلك الكتاب في الخارج كذلك استحسانا ، فأكاد يظهر حتى نقله جرفث إلى الإنجليزية ، وفيدال إلى الفرنسية ، وبلجريني إلى الإيطالية .

وإذ لم يغب عن ناظري هذا العمل مذ ذاك ، فقد جمعت فيما انصرم من ربع قرن حتى الآن أثناء اشتغالي بأعمال القاموس وقواعد اللغة المصرية كثيرا مما يبني بالكشف

Die aegyptische Religion (١)  
Handbuecher der Koehiglichen Museen (٢)

عن الديانة . ولهذا لا يجمع هذا الكتاب بسلفيه في عامي ١٩٠٤ ، ١٩٠٩ شيئاً كثير -  
فيا عدا فقرات معينة ، على أنى أرجو أن يكون قد ظلّ بذلك واضحاً سهل المعنى .  
وعلى أن أذكر قبل كل شيء أن من الكتب التي أفدت منها والتي أثارَت  
تفكيرى ، الطبعة الثانية من « تاريخ العصور القديمة » للإدوارد ماير ، فقد عالج  
فيه بما جبل عليه من صفاء النظر وصحة الحكم ، مسائل الديانة المصرية أيضاً . وأذكر  
بعد ذلك كتاب برستد القيم « تطوّر الديانة والفكر في مصر القديمة » ٢ ، ثم ما كتبه  
في هذا الموضوع كيس ورش . أما كتاب برستد « فجر الضمير » ٣ فيسوعى أنه  
لم يتيسر لى أن أفيد منه . هذا ويعتمد كثير مما يرد في كتابى على أبحاث زيتا الدقيقة  
ومؤلفات يونكر الهامة . أما ما أدين به لأبحاث ليفر وأتو وشويرت بصفة خاصة  
فيا يتصل بالكهنة فهو في غير حاجة إلى تنويه .

وقد أقيمت أسماء الآلهة والملوك على صيغها المعروفة بها ، وذلك لأنه ليس من  
الميسور ردّها أغلبها إلى صيغته الصحيحة ؛ كما أنه لا يزال من المستحسن الاحتفاظ  
بالصيغ الخاطئة المعروفة مثل سكر ونوت ، أو شو وإسى أو ببي ، من أن نستبدل  
بها صيغاً جديدة غير صحيحة ، فيما يظنّ ، على نحو الصيغ القديمة سواء بسواء .  
وفى أسماء المدن تعرض صعوبة أكبر ، فإلى جانب صيغها الإغريقية ، التي يشيع  
استخدامها الآن ، أوردنا الأسماء المصرية التي لانكاد نعرف نطقها الصحيح ، ثم  
الصيغ القبطية ، وذلك فضلاً عن الأسماء التي يستخدمها السكان العرب في الوقت  
الحاضر - وقد أوردنا الأسماء الأخيرة في رسم تعسفى حقاً ٤ . ولذلك لا يدهش  
القارئ إذا تكلمت مرّة عن هرمبوليس وأخرى عن شمون ، أو مرّة عن ددو  
وأخرى عن بوزيريس ، أو إذا اختلطت الأسماء الجديدة كأهناسيا والأقصر بالأسماء  
القديمة . وكل هذا يبدو قليل الجمال ، على أن اتباع طريقة موحدة إنما يؤدى إلى  
تصوّرات خاطئة .

(١) Ed. Meyer, Geschichte des Altertums.

(٢) H. Breasted, Development of Religion and Thought in Ancient Egypt.

(٣) H. Breasted, Dawn of Conscience.

(٤) رأينا كتابة الأسماء العربية المدن حسب رسمها في الوقت الحاضر ، المربان .

وإني لأرجو ألا ينظر إلى ما يرد في كتابي من تواريخ بأكثر مما يمكن أن تكون عليه . حقا لقد أمكن تحديد أزمته بعض أحداث التاريخ المصرى ، على أنه تتخللها أحداث أخرى كثيرة لا يزال توقيتها غير محقق حتى الآن . ولحسن الحظّ ليس تقديم أو تأخير حدث بضعة عشرات من السنين بأمر ذى بال في أغلب الأحيان بالنسبة لموضوعنا . — وقد عرضنا في صفحة م . ما جرت به العادة من تقسيم تاريخ مصر القديم إلى دول وأسرات . — وإني لأحيل القراء ، الذين يرغبون في معلومات أدقّ عن التاريخ المصرى إلى كتاب برستد ، « تاريخ مصر »<sup>١</sup> ، الذى ترجمه هرمان رانكه عام ١٩١٠ . وما سقته من ترجمة حرفية من النصوص المصرية قد ميزته بنحط مقوّر<sup>٢</sup> . وكثير مما اقتطفته من نصوص يرد في صيغته الكاملة في كتابي « أدب المصريين »<sup>٣</sup> . ولمن شاء أن يعرف كذلك شيئا عن الكتابة المصرية — وهى التى تعتمد عليها حياة مصر العقلية جميعا — أن يرجع إلى كتابي الصغير « الهيروغليفية »<sup>٤</sup> ، الذى ظهر في طبعة جشن في ١٩١٢ و ١٩١٧ .

ولقد كانت زوجتى سندا لى فى طبع هذا الكتاب ، وقام السيدان جرابو وإركسن بالعمل المضى فى مراجعة جميع الاستشهادات ، كما ساعدانى كذلك دون كئال فى تصحيح تجارب المطبعة ، وإني لأشكر لهما من كل قلبى هذه الخدمات التى تتمّ عن حبّ وإخلاص .

أدولف إرمانه

برلين — دالم

عيد العنصرة

Breasted, History of Egypt. (١)

أوردناه فى الترجمة العربية من داخل شولات فى أغلب الأحيان . (٢)

A. Erman. Literatur der Aegypter, Leipzig, Hinrichs 1923. (٣)

A. Erman, Die Hieroglyphen, Goeschen. (٤)

## فهرس الموضوعات

صفحة

١	مقدمة
٤	الفصل الأول : كلمة عامة . . . . .
	منبت الديانة وتطورها ٤ . - أثر البيئة ٥ . - القوى
	العظيمة للسماء ٥ . - الآلهة الصغرى القريبة من الإنسان ٦ . -
	انتشار التصورات واختلاطها ٧ . - المقاطعات وآهتها ٨ . -
	ملكنا الشمال والجنوب ٨ . - الحيوانات المقدسة ٩ . - بيت
	الإله ، وتمثاله ٩ . - تمثيل الآلهة على أشكال نصف آدمية ٩ . -
	أعمال خاصة لبعض الآلهة ١٠ . - طبيعة السكان المسالمة ١١ . -
	طابع العبادة ١١ . - الأوهام وقلها أوضاع العبادة ١١ . -
	التسك بالعقائد الموروثة ١٢ . - خطر الكتابة ١٢ . - عدم
	وجود « كتاب مقدس » ١٣ . - منهج البحث ١٣ .
١٥	الفصل الثاني : العالم وآلهته . . . . .
	تصور الكون والسماء في صورة شعرية ١٥ . - الأرض والهواء
	١٦ . - تصور السماء مجرى مائيا وغير ذلك ١٧ . - المحيط والنيل
	١٧ . - العالم السفلى ١٨ . - الشمس وأشكالها ١٩ . - رحلة
	الشمس ٢٠ . - مقرّ الشمس ٢٤ . - عين الشمس ، الصلّ وغيره
	٢٤ . - القمر ، عين حورس ٢٥ . - النجوم ، الشعرى اليمانية ،
	الجبار ٢٦ .
٢٩	الفصل الثالث : الآلهة العظمى لمصر . . . . .
	آلهة منف ٢٩ . - آلهة هليوبوليس ٣١ . - الآلهة الحورية ،
	الشمس المحنجة ٣٤ . - إلهات السماء ٣٦ . - إلهات على هيئة لبوة

صفحة

أو برأس أسد ٤٠ . - آلهة أخرى عظيمة ( مين ، أمون ، ست ) ٤٢  
تحوت ٤٧ . - أوزيريس ٤٨ . - آلهة الموتى ( أنوبيس ، أوب  
وات ) ٥١ . - الكباش والتبوس ؛ خنوم ٥٣ . - الإله على شكل  
التمساح : سبك ٥٤ . - الثعابين وغيرها ٥٥ . - مساعنو الآلهة  
العظيمة ٥٦ .

٥٨ . . . . . الفصل الرابع : تطوّر الديانة القديمة . . . . .

الأسر الإلهية واندماج بعض الآلهة في غيرها ٥٨ . - الاندماج  
في رع ٦٠ . - مملكتنا الشمال والجنوب ٦٠ . - خدم حورس ٦١ .  
حورس المثل الأعلى للملوك ٦١ . - الملك إله وابن إله ٦١ . -  
انجذاب الملك ٦١ . - موته واتحاده بالإله من جديد ٦٦ . - علاقة  
الملك بالآلهة ٦٦ . - تحوت وطائفة الكتبة ، ماعت ٦٧ . - رعاة  
الأطباء والفنانين ٦٩ . - الإله كتعبير عام ٧٠ .

٧١ . . . . . الفصل الخامس : أساطير الآلهة . . . . .

خصائص الأساطير ٧٢ . - نشأة العالم : أسطورة الأشمونين ٧٢ .  
أساطير أخرى ٧٣ . - انفتاق السماء عن الأرض ٧٣ . - جب ،  
أمير الآلهة ٧٤ . - انتصار إله الشمس على الثور والتأثرين من البشر ٧٥ .  
نشأة القمر ٧٦ . - أسطورة عين الشمس ٧٧ . - أسطورة تفنوت  
حانحور ٧٨ .

أسطورة أوزيريس ، مغزاها وأصلها ٨٠ . - الروايات  
القديمة ٨٢ . - الروايات الحديثة ٨٥ . - قصة حورس وست ٨٨ .  
أحدث روايات أسطورة أوزيريس ٩٧ .

١٠٢ . . . . . الفصل السادس : اللاهوت . . . . .

خصائص اللاهوت المصرى ١٠٢ . - تعاليم المدن المختلفة ١٠٣ .

صفحة

- تعاليم هليوبوليس؛ التاسوع ١٠٣. - « لاهوت منف » وما يشبهه  
من تعاليم ١٠٥. - موقفه من أوزيريس ١٠٧. - تعاليم الأشمونين  
وطيبة ١٠٨. - نشأة المخلوقات من الآلهة ١١٠. - أرواح الآلهة  
وحيواناتها المقدسة ١١١. - أرواح الملك ١١٣. - بيانات بأسماء  
الآلهة وصفاتها ١١٣. - صوغ أساطير الآلهة من جديد ١١٤. -  
التعليق على الكتب المقدسة ١١٦.
- الفصل السابع : الحوادث التاريخية وأثرها . . . . . ١١٨
- اتحاد المملكتين ١١٨. - عبادة الأسرة الخامسة للشمس ونتائجها  
١١٨. - اعتبار الملك ابنا للشمس ١١٩. - أمون رع إله طيبة ١١٩. -  
المكسوس ١٢٠. - أمون رع في ذروة سلطانه ١٢٠. - تغير  
طبيعته ١٢١. - أمون رع إله للشمس وتمجيده كذلك كأنه  
أتون ١٢٣.
- الفصل الثامن : عصر الهرطقة . . . . . ١٢٥
- عهد امنحوتب الثالث ١٢٥. - بدايات العقيدة الحديدية ١٢٥.  
أناشيد الشمس ١٢٧. - المرحلة الأولى للتعالم الحديدية ١٣٠. -  
معادة أمون والآلهة الأخرى ١٣٢. - بناء تلّ العمارنة ١٣٤. -  
تغير الفن واللغة ١٣٥. - تغييرات لاحقة في العقيدة الحديدية ١٤١.  
التصورات المتعلقة بالموتى ١٤٢. - عالم تلّ العمارنة الجميل وانهاره  
١٤٤.
- توت عنخ أتون واستئناف إقامة العقيدة القديمة ١٤٥. - آتى  
وحرر محب ١٤٦. - تدمير منشآت عهد الهرطقة ١٤٧. - نظرة  
إلى الوراء ١٤٨.
- الفصل التاسع : انتصار الديانة القديمة (نهاية الدولة الحديدية) . . . . . ١٤٩
- سلطان أمون على جميع الآلهة ١٤٩. - الخصائص الحديدية لأمون



صفحة

وفق أنشودة أمون في ليدن ١٥٠ . اتحاد أمون ورع وبتاح وتكوين  
إله أعلى ١٥٣ . - تفوق أمون وتمجيده ١٥٣ . - ظهور الآلهة  
القديمة من جديد ١٥٥ . - أوزيريس ١٥٦ . - طيبة تظل مدينة  
مقدسة فحسب ١٥٦ .

١٥٨ . . . . . الفصل العاشر : التقوى والآلهة الشعبية والوحي . . . . .

الصلة الشخصية بالآلهة ، الدعوات ١٥٨ . - دعوات للإله نخوت ١٥٩ .  
شواهد من مدينة الأموات في طيبة ١٦٠ . - تقديس الآثار القديمة :  
أبي الهول العظيم ، نضمت ساحورع ١٦٣ . - رعاة الجبانات ١٦٤ .  
الآلهة الشعبية ، تويرس ، بس ، باتيكا وغيرها ١٦٥ . - الآلهة  
الأجنبية ١٦٨ . - الحيوانات والأشجار المقدسة ١٧٢ . - العرافة  
( للملك ) ١٧٤ .

١٧٧ . . . . . الفصل الحادى عشر : الأخلاق . . . . .

الحقيقة والعدالة كمثل أعلى للشعب ١٧٧ . - توقف مصير الميت  
على مسلكه في الحياة ١٧٨ . - محكمة الموتى والذنوب ١٧٨ . -  
فضائل الطبقات العليا من نصوص مقابرهم ١٧٨ . - نصائح بتاح حوتب  
١٧٩ . - التعاليم الموجهة إلى مري كارع ١٨٠ . - نصائح آنى ١٨٠ .  
نصائح أمن أم أبى وما إليها ١٨٢ .

١٨٦ . . . . . الفصل الثانى عشر : العبادة في العصور القديمة . . . . .

بدايات بدائية ١٨٦ . - الطراز الأصلي للمعبد ١٨٦ . - زخرفة  
المعبد ١٩٠ . - المسلات ، التماثيل ، المذبح ١٩١ . - معبد الشمس  
١٩١ . - تماثيل الإله والناووس ١٩٢ . - العبادة اليومية وطقوسها  
١٩٤ . - تأثير الطقوس الجنزية على العبادة ١٩٦ . - القرابين  
ونعوتها ١٩٧ . - حرق البخور ١٩٩ . - أناشيد تمجيد الإله ،  
أنشودة الصباح ، الموسيقى والرقص ١٩٩ .

صفحة

- الأعياد ٢٠١ . - المواعيد ٢٠٣ . - عيد بسيط في طيبة ٢٠٣ .  
عيد أوزيريس في أيلدوس ٢٠٤ . - الطابع الدراي للأعياد وتقديم  
القربان ٢٠٦ . - اليوبيل الملكي ٢٠٧ . - الملك والعبادة ٢٠٨ .  
طوائف الكهنة ونظامهم ٢٠٩ . - تكريس الكهنة والكاهنات  
وكبار الكهنة ٢١١ . - الطهارة في العبادة والأطعمة المحرمة ٢١٣ .  
الانتفاع بالقرابين ٢١٤ .
- الفصل الثالث عشر : العبادة في الدولة الحديثة . . . . . ٢١٧ .  
مباني المعابد في طيبة ٢١٧ . - فخامة المعابد من الداخل ٢١٩ .  
تماثيل الآلهة ٢٢١ . - الحدائق ٢٢٢ . - فخامة الأعياد ٢٢٣ .  
عيد أوبت ٢٢٣ .  
الكهنة كطبقة خاصة ٢٢٥ . - الكاهنات ، زوجات الإله ٢٢٦ .  
تاريخ حياة أحد كبار الكهنة ٢٢٧ . - ثروة أمون وتصريف شئونها  
٢٢٨ . - سلطة كبير كهنة أمون ٢٢٩ .
- الفصل الرابع عشر : العقائد الجهنزية . . . . . ٢٣٢ .  
الأدب الجهنزي القديم ، متون الأهرام وما فيها من تصورات ٢٣٣ .  
القرينة ( الكا ) عند الإنسان ٢٣٥ . - الروح ( البا ) ٢٣٧ . - عالم  
الموتى في الغرب ٢٣٧ . - عالم الموتى في السماء ٢٣٨ . - عقيدة  
أوزيريس ، إله الموتى ٢٤٦ .  
ما في النصوص الحديثة من تصورات ٢٥١ . - الخروج بالنهار  
٢٥٤ . - تبرير الميت ٢٥٤ . - محكمة الموتى ٢٥٦ . - عقاب  
المتدينين ٢٥٩ . - مصير المبرور ٢٥٩ . - رغبات الموتى في الدولة  
الحديثة ٢٦٠ . - كتابا الرحلة في العالم السفلي ( امدوات ) ٢٦٣ .  
أفكار صحيحة عن الموت ٢٦٩ . - رسائل للموتى ٢٧١ .
- الفصل الخامس عشر : العناية بالموتى . . . . . ٢٧٤ .  
أقدم المقابر ٢٧٤ . - أديم مقابر الملوك ٢٧٧ . - الأهرامات

صفحة

- ٢٧٨ . - المصطبة ٢٨١ . - الأطلحة من القرابين ٢٨٥ . - كهنة  
الموتى ٢٨٥ . - هدايا الملك لمقابر الأفراد ٢٨٧ . - مناقشة زوآر  
المقبرة ٢٨٨ . - انقطاع الأوقاف وتدهور المقابر ٢٨٩ . - نهب المقابر  
٢٩١ .
- المومياة والتابوت ٢٩٢ . - قدور الأحشاء ٢٩٤ . - تماثيل الخدم  
وغيرها ٢٩٤ . - السفن ٢٩٥ . - تجنب بعض علامات الكتابة  
٢٩٦ . - المتاع الجنزى ٢٩٦ . - تماثيل الميت ٢٩٧ . - المقابر  
الصخرية ٢٩٧ . - الهرم من اللبن ٢٩٨ . - العادات المرعية عند  
الدفن ٣٠٠ . - فتح الضم ٣٠١ . - طقس تقديم القربان ٣٠١ . -  
التقدمات للميت في المعبد ٣٠١ . - أبيدوس والموتى ٣٠٢ .
- العادات الجنزوية في الدولة الحديثة ٣٠٣ . - مقابر ملوك الدولة  
الحديثة ٣٠٣ . - المقابر التذكارية في أبيدوس ٣٠٥ . - الحدائق  
في مدينة الموتى ٣٠٥ . - مقابر الأفراد في الدولة الحديثة واختلاف  
طابعها ٣٠٦ . - الوضيمة الفاخرة ٣٠٧ . - المقابر العامة ٣٠٨ .  
التوابيت المخلقة على شكل المومياة ٣١٠ . - إنتاج أثاث المقابر لإنتاج  
تجاريا ٣١٠ . - الأوشنيتات ٣١١ . - جعلان القلب وغيرها ٣١٣ .  
قدور الأحشاء ٣١٧ . - البرديات الجنزوية ٣١٨ .
- الفصل السادس عشر : الموتى في العصر المتأخر . . . . . ٣١٩
- ازدهار الأدب الجنزى ٣١٩ . - مقابر الأشراف الضخمة ٣٢٠ .  
التعلق بكل قديم في هذا العصر ٣٢٠ . - فخامة التوابيت ٣٢١ . -  
التأمم وغيرها ٣٢٢ . - مقابر الفقراء ٣٢٥ . - اصطباغ أعمال الكهنة  
الجنزيين بصبغة تجارية ٣٢٦ . - الندب على الميت والحزن عليه ٣٢٦ .  
تنقل الروح ٣٢٧ .
- الفصل السابع عشر : السحر . . . . . ٣٢٩
- كلمة عامة ٣٢٩ . - تعاويذ السحر وصيغها ٣٣٠ . - التعاويذ

صفحة

- المستوحاة من أساطير الآلهة ٣٣١ . - تهديد الآلهة ٣٣٤ . - الاسم  
المكون للإله ٣٣٥ . - كلمات سحرية ٣٣٨ . - تلاوة الرقى  
في صوت مهيب وترتيبها إنشادا ٣٣٩ . - السحر ضد الأمراض  
وأطيايف الموتى الهائمين ٣٤٠ . - رقى سحرية للملك ٣٤١ . - وللآلهة  
٣٤٣ . - اتخاذ السحر صفة العلم ٣٤٣ . - أشكال سحرية وغيرها  
في البيوت ٣٤٦ . - النظرة الشريرة ٣٤٨ . - كتاب الأحلام ٣٤٨ .  
أيام السعود وأيام النحوس ٣٤٩ .
- الفصل الثامن عشر : عهد الاضمحلال والعصر الصاوى . . . . . ٣٥١
- الملك الكاهن حريشور ٣٥١ . - بناء معبد خنسو؛ رحلة أونامون  
٣٥٢ . - العرافة كنظام ثابت ٣٥٣ . - نبذت وازدياد كراهيته  
٣٥٥ . - نهب مقابر الملوك ٣٥٥ .  
ملوك بوباسطة وصلتهم بطيبة ٣٥٦ . - زوجات الإله ٣١٩ . -  
الملوك الأثيوبيون ٣٥٨ . - ملوك سايس ٣٢١ .  
تقليد الماضى السحيق وما كان له من آثار على الديانة ٣٥٨ . -  
اللاهوت في العصر المتأخر ٣٦٢ . - عبادة الحكماء الأوائل ٣٦٤ . -  
تزوير النقوش لفائدة أحد المعابد ٣٦٦ .
- الفصل التاسع عشر : العهد الفارسى . . . . . ٣٦٩
- قميز وداريوس في علاقتهما بالديانة المصرية ٣٦٩ . - مازواه  
هيرودوت عن الديانة والعبادة ، الحيوانات المقدسة ٣٧١ . - الأعياد  
والأضاحى ٣٧٣ . - العرافة وغيرها ٣٧٦ . - قواعد النظافة وعادات  
الكهنة ٣٧٦ . - الملوك أضداد الفرس ٣٧٨ .  
مقبرة بتوزيرس وتمثيلها لعهدين مختلفين ٣٧٩ . - فكرته عن  
الحياة وتصوره لها ٣٨٣ . - بردية أنسنجر ٣٨٤ .
- الفصل العشرون : الديانة المصرية في البلاد المجاورة . . . . . ٣٨٦
- كريت ٣٨٦ . - عادات الدفن في أوروبا ٣٨٧ . - فلسطين

صفحة

- وفينيقية ٣٨٨ . - جبيل ( ببلوس ) ٣٨٨ . - الواحات ٣٩٠ . -  
جوبيتر أمون ٣٩٠ . - النوبة ٣٩١ . - أمون ، الإله الأعلى ٣٩٢ .  
الملوك صنوان الآلهة ٣٩٢ - ٣٩٣ . - المعابد الصخرية ٣٩٣ . -  
الحكومة الدينية في النوبة في العصر المتأخر ٣٩٣ . - مملكة مروى ٣٩٤ .  
فيلة آخر ملجأ للديانة المصرية ٣٩٧ .
- ٣٩٩ . . . . . الفصل الحادى والعشرون : في العصر اليونانى الرومانى . . . . .  
دخول الإغريق مصر ٣٩٩ . - صلة الحكومة الإغريقية بالكهنة  
٤٠٠ . - حق حماية اللاجئين ٤٠٠ . - تصديق موارد المعابد ٤٠١ .  
ارتقاء الملوك والأباطرة إلى مرتبة الآلهة ٤٠١ . - إعادة بناء المعابد  
٤٠٢ . - نصب مندسيس ٤٠٣ . - مرسوم كانوب ٤٠٥ . -  
المعابد ومناظرها ونقوشها ٤٠٧ . - معبد دندرة ، تخطيطه ٤١٠ . -  
الأعياد ، شعائرها وأناشيدها ٤١٢ . - عيد إدفو ٤١٦ . - أعياد  
أوزيريس ٤١٩ . - أبأتون ٤٢٠ . - خفايا أوزيريس ٤٢٤ .  
إدخال عبادة سيرابيس ٤٢٥ . - سيرابيوم الإسكندرية ٤٢٧ .  
قبر أبيس ودفنه ٤٢٧ . - سيرابيوم منف ونزلاؤه ٤٣٠ . - امتزاج  
الديانتين ٤٣٢ . - إيزيس في مركز الصدارة ٤٣٢ . - حورس  
الطفل وغيره ٤٣٥ . - مارواه استرابو ٤٤٠ . - ثروة المعابد  
٤٤٣ . - أحوال الكهنة ٤٤٣ . - العرافة ٤٤٧ . - أماكن  
الحج ٤٤٨ . - السحرة ٤٤٩ . - التمام ٤٥٠ .  
تصورات جديدة عن الحياة بعد الموت ٤٥٢ . - الدفن وفخامة  
المومياءات ٤٥٥ . - الدفن في مسقط الرأس ٤٥٨ .  
مومياءات المسيحيين ٤٥٩ . - تدهور الوثنية تدريجاً ٤٦١ . -  
بقاء بعض التصورات الوثنية ٤٦٣ .
- ٤٦٥ . . . . . الفصل الثانى والعشرون : الديانة المصرية في أوروبا . . . . .  
تطرقها إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط ٤٦٥ . - اختلاطها

- بالآلهة اليونانية ٤٦٦ . - دخولها روما ٤٦٦ . - الاعتراف بإيزيس  
وسيرايبس كإلهين ٤٦٩ . - بهادريان وأنطينوس ٤٦٩ . - تهكم  
لوسيان ٤٧٠ - ٤٧١ . - التفسير الفلسفي لبلوتارك ٤٧١ - ٤٧٣ .  
تقوى المؤمنين بإيزيس ٤٧٢ . - بناء المعابد لإيزيس ٤٧٦ . -  
معبد إيزيس في بومبي ٤٧٧ . - استيراد المنحوتات المصرية القديمة  
٤٧٨ . - صيغة العبادة المصرية في أوروبا وأعيادها ٤٧٩ . -  
المكركسون ٤٨١ . - إيزيس، الإلهة الوحيدة للكون ٤٨٣ . - انتشار  
عقيدة إيزيس في كافة أنحاء أوروبا ٤٨٧ . - الفلاسفة الصوفيون آخر  
المؤمنون بالعقيدة المصرية ٤٨٨ .
-

## أقسام التاريخ المصرى

اعتدنا تقسيم التاريخ المصرى إلى عهود ، نسبها دولا أو أسرات ، وذلك لنقص معرفتنا للتواريخ الدقيقة . وهاك أهمها :

١ - ما قبل التاريخ ( وكان ذا حضارة راقية ) .

٢ - الدولة القديمة - ٣٢٠٠ - ٢٢٥٠ ق . م تقريبا .

( أ ) الأسرات الثلاثة الأولى . ( وعلى رأسها الملك مينا ، مؤسس منف ؛

حوالى ٣٢٠٠ ق . م . - وفى نهايتها الملك زوسر « باني الهرم المدرج » ) .

( ب ) الأسرة الرابعة : ٢٧٢٠ - ٢٥٦٠ ق . م . ( ومن ملوكها خوفو وخفرع

ومنقرع ، بناء الأهرام العظيمة ) .

( ج ) الأسرة الخامسة : ٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق . م . ( وملوكها ساحورع

ونبوسرع وغيرهما ، وعهدها عهد ازدهار ) .

( د ) الأسرة السادسة : وملوكها تتي وببى وغيرهما . - وقد أعقبها انهيار

حكومى تام حوالى ٢٢٥٠ ق . م .

٣ - الدولة الوسطى .

( أ ) بعد فترة اضطرابات قامت حكومات ملكية جديدة فى هرقلوبوليس

( ومن ملوكها مريكارع ) وفى طيبة ( الأسرة الحادية عشرة ) .

( ب ) الأسرة الثانية عشرة : ٢٠٠٠ - ١٧٩٠ . وملوكها يحملون اسم امنمحات

وسيزوستريس ؛ وهذا العهد هو العهد الكلاسيكى للبلاد .

( ج ) الأسرة الثالثة عشرة : حتى ١٧٠٠ ق . م . تقريبا ، وذلك عندما

استولى على مصر الهكسوس ، ذلك الشعب المتبربر .

٤ - الدولة الحديثة .

( أ ) تحرير أمراء طيبة للبلاد ( الأسرة السابعة عشرة والملك أحسن ) .

(ب) الأسرة الثامنة عشرة : ١٥٥٥ - ١٣٥٠ ق . م . وفيها كانت مصر دولة عظمى . الملوك يحملون اسم أمنوفيس ( امنحوتب ) وتحوتمس ؛ وأهمهم الملكة حاتشبسوت والملك تحوتمس الثالث .  
وفي نهاية هذه الأسرة عهد الفرطقة .

(ج) الأسرة التاسعة عشرة : ١٣٥٠ - ١٢٠٠ ق . م . وملوكها سيتي ورسيس وغيرهما ، ومنهم رسيس الثاني ١٢٩٢ - ١٢٢٥ ق . م .

(د) الأسرة العشرون : ١٢٠٠ - ١٠٩٠ ق . م ، ومن ملوكها رسيس الثالث ( ١١٩٨ - ١١٦٧ ق . م ) ثم خلفاؤه وكانوا يحملون اسمه .

٥ - عصر الاخطاط .

(١) الأسرة الحادية والعشرون : ( الملك الكاهن حريحور في طيبة وملوك آخرون في تانيس ) .

(ب) الأسرة الثانية والعشرون : ٩٥٠ - ٧٤٠ ق . م . وملوكها لبيثون ( شيشق وغيره ) .

(ج) سيطرة الأثيوبيين ( شاباكو ) والأشوريين على مصر .

(د) الأسرة السادسة والعشرون : ٦٦٣ - ٥٢٥ ق . م . وقد قام ملوكها في سايس وعلى رأسهم أوساتيك ثم خلفاؤه .

(هـ) سيطرة الفرس على مصر : ٥٢٥ - ٣٣٢ ق . م ، ويتخللها الملوك المصريون المضادون .

٦ - العهد اليوناني ، ٣٣٢ - ٣٠ ق . م .

الإسكندر والملوك البطالمة .

٧ - العهد الروماني ، منذ ٣٠ ق . م .



## مفكرة

لا يثير اهتمامنا بالديانة المصرية قدم عهدنا فحسب ، إذ لا يعنيننا كثيرا أن نضيف إلى تاريخ الديانات الطويل ألف عام أو أكثر من ذلك أو أقل — بل إن أقوى مادفنا إلى ذلك أن دراستها تتيح لنا تتبع حلقات التطور الديني المتصلة ، الأمر الذي يعسر علينا الاهتداء إليه إذا حاولناه مع غيرها من الديانات القديمة الأخرى . فنحن نعرف ديانة المصري القديم منذ نشأتها البدائية في العصور السحيقة ، حين تخيل الإنسان الإله مارداً أو كائناً رهيباً حتى ذلك الوقت الذى بدأ الإنسان إدراك الصلات الروحية بينه وبين الإله ، فاعتمد عليه وجعله محط آماله ، بل أحبه وخشى بطشه ووعيده .

نعم نحن نعرف هذه الديانة حين بلغت أوج المجد والقداسة ، وتغلغلت في نفوس المصريين القدماء . كما نعرفها أيضاً عندما حاول الكهنة إدخال بعض الإصلاحات عليها ، وكيف أخفقت هذه المحاولة إخفاقاً ذريعاً ، أعقبتها فترة اضمحلال طويلة المدى ، تخللتها بعض المحاولات للتهوض ولكنها انتهت جميعها إلى الزوال . تلك النهاية التي كان من أكبر عواملها التعصب الشديد والإيغال في التقوى والورع . وعندما حلت الديانة المسيحية بأرض مصر كانت نذيراً بزوال الديانة المصرية القديمة .

وإن مما يجعلنا لانظر بعين التقدير العظيم إلى الديانة المصرية أنها في مظهرها الرسمي على الأقل قد حوت كل الأغلاط التي ترجع إلى عصورها الأولى . وليس في استطاعة أحد أن يدفع الناس إلى التحمس لمثل هذه الأفكار البدائية التي — وإن كانت تسترعى نظرنا نحن — فإنها في حقيقتها لم تكن بالنسبة إلى مصري العصور المزدهرة إلا بعض التقاليد المتوارثة التي لم تلعب دوراً مهماً في حياته الدينية الحقيقية ، ومثلها في ذلك مثل بعض الطقوس المتوارثة للديانات الأخرى .

وما من شك في أنه توجد طرق مختلفة لإعطاء صورة للديانة المصرية ، فمن أراد التسلك بقواعد البحث العلمى الدقيق فعليه أن يدرس كل العناصر الدينية المختلفة

التي ورد ذكرها في طقوس المصريين القدماء وما حوت من آلهة غامضة ، وكائنات غريبة ، وعادات وحفلات مختلفة ، مما يستلزم ملء مجلدات لاحصر لها .

أما من لا يرى اتباع هذه الطريقة العلمية فعليه أن يدقق في بعض المظاهر التي وردت في تاريخ هذه الديانة الطويل ، أى عليه أن يبدأ بدراسة : — كيف تصوّر الشعب آلهته البدائية وجعل منها كائنات حية قدسها بطرق ساذجة ، ثم كيف أنه بعد ذلك بنى المعابد الضخمة لآلهته التي أصبحت بعيدة غريبة عنه ، فاستبدلها بأشياء أخرى قريبة منه تسرع إلى نجاته . — ويدرس أيضا كيف أراد أحد ملوك مصر أن يقوم بمحاولة جريئة ليحرّر شعبه من تلك المعتقدات القديمة ، وكيف تبرز وسط من ذلك الخضمّ العظيم من التصوّرات المختلفة للحياة بعد الموت فكرة تظهر لنا أن ما يصيب الإنسان من عدالة هو أهمّ وأعظم قدرا عند المصري من تلك التعاويذ والطقوس الدينية . ولا نشك مطلقا في أن الوصول إلى مثل هذه النتيجة لأهم وأجدى لنا من التعرف على أسماء ورموز وأيام احتفالات الآلهة والآلهات .

وإنى لأرجو القارئ أن يعذرني إذا اضطررت من حين لآخر أن أذكر ذلك التضارب والخلط الغريب في المعتقدات المصرية ، فإنها وإن كانت في ذاتها غريبة ثقيلة ، إلا أنها بالنسبة إلينا نحن الذين نعيش في القرن العشرين مثيرة لدهشتنا أكثر مما ينبغي . ولكن أليس الغموض والتناقض هما الظاهرة الرئيسية لكل ديانة ؟ إن كل من يحاول أن ينشر ديانة واضحة المبني إنما ينزع منها سرّ الحياة ، ويجنبها ناحيتها الروحية وراء الطبيعية ؛ وهي تلك الظاهرة التي تجعلها محبة إلى الإنسان . وذلك لأنها ليست وليدة تفكير ، بل هي وليدة شعور .

إذن فكل المحاولات التي بذلت للدراسة أو وصف ديانة أى شعب من الشعوب لم تعتمد على وسائل أساسية ؛ فهي ليست إلا وصفا لجميع الآلهة واستعراضا لنواحي طقوسه الدينية بدقة ، وليست إلا متابعة لما حيك حول هذا الدين من القصص والأساطير والحرفات . ولكننا في هذا البحث لم نتعرض إلا للمظهر الخارجي للدين .

(١) إن من يشرح الديانة بطريقة منهجية على نحو ما يحدث في كثير من الحالات فإنه ينتهي إلى نتائج عقيمة تليق بصحيفة : « إن الحياة والروح لتفر من المبيض الحشن » .

فإذا سرفنا الأشكال التي تحيط بالديانة فإن المعنى الحقيقي الذي كان يقصده مبدع الديانة لم نعر عليه بعد . وإن ما يعنينا هي المؤثرات والشعور الذي يربطنا بتلك الأشياء المقدسة . وهذه المؤثرات هي التي ترتفع بالإنسان عن سفساف الأمور وهموم العيش على الأرض ، وتجعل الديانة أكبر عامل في الحياة الإنسانية ولهذا السبب نرى أن تكون الآلهة بهذا المظهر أو ذلك ، ولا يكون هذا إلا حسب اختلاف المستوى الثقافي لكل عابد .

فإذا عرفنا بطريق الصدفة ما يشعر به المؤمن نحو معبوده أمكننا أن نصل إلى لبّ الديانة ، ولكن ذلك لم يحدث إلا نادرا .

لهذا نرجو القارئ أن يضع نصب عينيه هذا النقص في معلوماتنا ، وأن يتلمس فهم ما تعرضه له من معنى عميق للديانة . وليس من شكّ في أن أغرب تماثيل الآلهة وأبعد الطقوس الدينية عن فهمنا تبدو واضحة مفهومة لا تمكنا من معرفة تلك الأحاسيس التي تجيش في صدر المتعبد نحو هذه التماثيل ، أو ما يفهمه هو عن هذه الطقوس .

## الفصل الأول

### كلمة عامة

لقد استطاع الإنسان أن يميز نفسه عن الحيوان بصفات عدّة استمدّها في أول الأمر مما يحيط بالحيوان من انفعالات : فصراخ الحيوان ومناداة الذكر للأُنثى . تطوّرتا عند الإنسان وجعل منها لغة التخاطب ، كما أن غريزة التجمع عند الحيوان في قطيع هي التي دفعت الإنسان إلى إنشاء الأسرة ، ومنها تكوّنت الدولة . أما ذلك الدافع المبهم عند الحيوان للإبقاء على النسل فهو الذي أُنمى العاطفة ودفع الإنسان إلى الزواج ، وكذلك كان الشعور الغريزي بالخوف والفرح عند الحيوان من كل ما هو مجهول سببا دفع الإنسان إلى احترام كل القوى التي تؤثر في حياته دون أن يتعرّف كنهها . ومن هذا الشعور بعينه نشأت الديانة التي لم تكن إلا الاعتقاد المسيطر على ذهن الإنسان من أن هناك قوى تحيط بالإنسان وتؤثر فيه .

ومع أن الإنسان لم ير هذه القوى إلا أنه كان يعتقد في وجودها ، وكون مخيلته صورها لها ، وأخذ يعطى كلا منها شكلا معينا واسما خاصا ، بل أخذ يتمثلها على طريقته الخاصة ؛ فجعل من بعضها أصدقاء أوفياء ، ومن البعض الآخر أعداء ألداء . فهو لا يعرف أشكالها وأما كنهها ، وأخذ يتصوّر الأشياء التي تدخل السرور إلى نفسها كما عرف ما يثيرها ، وبالفعل بذل جهودا لكي يرتب أعماله على هذه النتائج . وليس من شك في أن ما اعتبرناه هنا أساسا لنشأة الديانة لم يتكوّن إلا بين البشر الذين عاشوا في مستوى وضع جدا . وعندما وصل بنو الإنسان إلى حضارة أكثر تقدما أخذت أهدافهم الدينية تسمو شيئا فشيئا وتركزت حول التعرّف عما يحويه ذلك العالم البعيد عن حياتهم اليومية . فالإنسان لم يرد فقط أن يلجأ إلى سند يحميه ، بل أراد أن يوجد لنفسه معبودا إذا ما فكر فيه سما بنفسه فوق كل ما ينتاب الإنسان من اضطرابات مختلفة في حياته اليومية . ولقد دفعت الطبيعة البشرية الإنسان دائما أن

يخلق لنفسه معبودات أعطى لها أشكالا مختلفة ، وقد اندفع في هذا المضمار اندفاعا لا إراديا .

ولقد كانت الصدفه وحدها هي التي شكلت هذه الآلهة ؛ فنرى الإنسان يتمثل معبودا معيناً على أنه إله واحد ، وأحيانا يتمثل معبوداً آخر على أنه عدة آلهة ، كما أعطى البعض من معبوداته شكلا مجسما ، ورأى في البعض الآخر أنها أشياء روحانية غير مجسدة . وفي غالب الأمر يمت الشكل المعين لمعبود ما إلى عُصور سابقة وألا يتفق هذا الشكل مع المستوى العالى الذى وصلت إليه عقائد الشعب في عصر متأخر ولكن هناك من الأمثلة في دياناتنا الحالية ما لا يختلف عما ذكرت ، فنحن الآن نبجل بعض الأشياء التي في واقع الأمر تملأ صدورنا بالخوف والرعب ولكن نشأتها الأولى أكسبتها قدسية وأصبحت تعتبر من بين الرموز المقدسة في عقيدتنا . وفي الواقع لقد حوت كل الديانات أشكالا مختلفة نمت عن رموز تركز حولها عقائد المؤمنين بها . وهذه ملاحظة كان من الواجب أن نبرزها لسبب واحد ، هو أن بعض الناس يلومون المصريين لتقديسهم بعض الآلهة التي رزموها بأشكال غريبة توارثوها منذ القدم وحافظوا عليها بأمانة كبيرة ، ليس لأنهم رأوا فيها جمالا ، بل لأنها الأشكال التي قدسها أجدادهم .

وديانة أى شعب تتأثر بطبيعة البلاد التي يسكنها والحياة التي يجيهاها . فبيئة الإنسان الذى يسكن شواطئ البحار تختلف كل الاختلاف عن بيئة ذلك الذى يسكن الغابة أو السهل ، وليس من شك في أن الشعب الذى يعيش مستقرا في حقوله الخصبة يفكر في آلهة تختلف في كمها عن تلك التي يتخيلها شعب فقير ينتقل بين مكان وآخر لا يعرف الاستقرار ولا يستسيغ إلا الكفاح . ومن هنا اتخذت الديانة المصرية لنفسها طابعا خاصا يتفق مع الحياة الهادئة والعمل المستمر الذى تحتّمه البيئة التي يعيش فيها المصرى الذى تعود أن يزرع حبوبه ويربى قطعان ماشيته ، ويرى نيله يفيض كل عام على حقوله فيترك غربيته الذى يكسب الأرض خصوبة وحياة . وبجانب ذلك حوت مصر ظاهرة أخرى استرعت انتباه سكانها ، وهذه الظاهرة هي الشمس التي تشرق فجأة من وراء جبال الصحراء والتي كانت تعتبر بمثابة الصديق لشعب مصر

فتغمره في أيام الشتاء القارصة ، ولو أنها كانت تأتيه بجملة الحرارة الصيف المحرقة . كذلك لاحظ المصري النجوم التي تملأ ذلك الفضاء اللانهائي أثناء الليل ومن بينها القمر الذي يتضاءل يوما بعد يوم ثم لا يلبث أن يختفي ثم يعود إلى الظهور فيزداد حجما حتى يكتمل . وكانت تنتاب مصر من حين لآخر بعض العواصف الشديدة مصحوبة بالصواعق كما هو الملاحظ الآن ، فترعد السماء وتبرق ، وتنساب السحب في سرعة فائقة ، وتبدو الشمس من بينها كما لو كانت هناك معارك عنيفة تحدث بين مخلوقات غريبة في السماء . ولم يكن من السهل ألا تثير كل هذه الأشياء اهتمام المصري في ذلك الوقت ؛ فاعتقد أن كل هذه الكائنات ليست إلا آلهة كبرى ، بل هي أكبر الآلهة التي تهيمن على العالم ، وهنا تساءل المصري : أيمكن لهذه الآلهة الكبرى التي تحيا في السماء والتي تهيمن على العالم أن تعني بأمر حياة البشر كل فرد على حدة ؟ ويجب ألا نعجب لهذا التساؤل ، فكثيرا ما يساورنا مثله فيما يتعلق بالديانات الأخرى . وتساءل المصري أيضا : هل في استطاعته أن يلبأ إلى إله الشمس أو إلى إله السماء إذا ما دهمه الخطر أو إذا مرضت إحدى بقراته ؟ ورأى أن هذه الآلهة بعيدة عنه كل البعد وأن من الأفضل لديه أن يلبأ إلى آلهة أخرى أقل من تلك شأنًا لتساعده ، ولقد وجد ضالته بسهولة . فخيال المصري أوجد كثيرا من الأشياء في كل مكان وتحيط به في كل ساعة ، من خصائصها إما أن تدخل الرعب في قلبه ، أو تأخذ به بماها . فكانت هناك الحيوانات التي تسكن نيله الفيض أو أرضه أو الصحراء التي تحيط بمصر ؛ فثلا هناك التماسح والثعبان والأسد ؛ كما كانت تثبت على حدود الصحراء أشجار ترجع إلى العصور الأولى التي لا يتذكرها ولا يعرف عنها أي إنسان متى زرعت أو من أين جاءت ؛ ثم رأى أنواعا كثيرة من الأحجار لها أشكال متباينة غريبة لا يمكن أن تتم إلا على أنها تحوى قوى سحرية تدعو إلى القلق . هذه الكائنات التي كانت تعيش بجانب مساكن الإنسان كانت هي التي تسارع إلى نجاته إذا ما التجأ إليها عند الحاجة ، كما كانت تنتقم لنفسها إذا ما أسيت معاملتها . وهكذا تكونت من هذه الكائنات عدة آلهة أحاطت الإنسان ولعبت دورا هاما في حياته اليومية ، ولو أنها لم تسم في مكانها عنده إلى مكانة تلك الآلهة العظمى التي

تسكن السماء . وتعلق الإنسان بهذه الآلهة الصغرى وتأثرت بها حياة الأسرة سواء في القرية أو في الإقليم . ولكن المعتقدات الدينية يمكن أن تشبهها بالأمراض المعدية ؛ إذ أن تقديس بعض هذه الآلهة المحلية انتشر بين الناس في أماكن بعيدة عن مواطنها الأصلية ، ولا غرابة في ذلك فصر لانتشبه في طبيعتها أى بلد آخر ، إذ أن في الاستطاعة اجتياز هذا البلد من أقصاها إلى أقصاها بسفينة تعبر مياه النيل دون أى عائق . وإذا لم تساعد الظروف هذا أو ذلك المعبود من أن ينتقل من موطنه فقد كانت هناك بعض العادات والأفكار الدينية تنتقل من موطنها وتنتشر في المواطن الأخرى ، وهكذا تكون في مصر كنز لا يفتنى من معتقدات دينية تنوعت أفكارها وتعددت مذاهبها ؛ فهناك من الآلهة ما عبد في موطن واحد ، وأخرى عبدت في مواطن مختلفة . كما كانت هناك آلهة اختلفت أوصافها واتحدت في شكلها ، وكذلك آلهة اتحدت في اسمها واتحدت أشكالها مختلفة . وليس في استطاعتنا أن نتعرف الأسباب التي دفعت المصري إلى هذا الاختلاف المتشابك في شتى عقائده . ومن الغريب أن الآلهة العظمى لم تنتج من هذا الخلط . حقا إن كل مصري رأى في الشمس والقمر والسماء ما يرمز إلى آلهة عظمى ، ولكن في بلد مثل مصر لها امتدادها الطويل لم يستطع إنسانها في كل مكان أن يتخيل نفس الصفات لكل من هذه الآلهة كما تخيلها زميله الذي يسكن منطقة من مصر تبعد عن منطقته . وسوف نتحدث فيما بعد عن هذه الظاهرة ، ونذكر هنا على سبيل المثال كيف أن هناك عقيدة صوّرت لها على هيئة الصقر يسكن السماء عيناه هما الشمس والقمر ؛ بينما هناك عقيدة أخرى صوّرت الشمس والقمر كنجمين يتجولان في السماء داخل قارب كبير . وهكذا انتشرت مثل هذه العقائد المختلفة في طول البلاد وعرضها ؛ ولقد ساعد على انتشارها ما وضع عنها من أناشيد وأشعار . ولقد توطنت بعض هذه العقائد في أماكن ليس بينها وبين موطنها الأصلي أية صلة ، ومن الغريب أنها — أى هذه المعتقدات — عاشت واستقرت بجانب العقائد المحلية المتوارثة دون أن يشعر أهل هذا المكان بأى تناقض بينهما . وفي آخر الأمر تكوّنت في البلاد عقيدة واحدة يمكن أن نسميها العقيدة المصرية ، وقد

حوت خليطاً غير متناسق بين كل ما أنتجه العقل المصرى من صور مختلفة لمجموعة معبوداته ، ولو أن من المناطق ما احتفظ أهله بعقيدة معينة وتمسكوا بها لسبب أنها هى العقيدة التى توارثوها عن أجدادهم القدماء .

ولعل الأحداث التاريخية هى التى جمعت هذا الخضم المتناقض من المعتقدات وأضفت عليه الشكل النهائى . وليس من شك فى أن الديانة المصرية قد تأثرت كثيراً بظهور بعض الدويلات الصغيرة فى جزء من أجزاء مصر ، وأغنى بالدويلة تلك المقاطعة التى تتكوّن فى العادة من مدينة كبيرة مضافاً إليها ما يحيط بها من أراض واسعة ، فيصبح إله هذه المدينة هو الإله الأول للمقاطعة ، كما يرى فيه عباده ما يجعله فى مستوى يعاود كثيراً عن معبودات المقاطعات الأخرى . وهكذا يكون فى مصر نوع من الآلهة الكبرى يمكن أن نسميها آلهة المقاطعات. تختلف عن غيرها من المعبودات بتسميتها منسوبة إلى المدن التى نشأت فيها . ونضرب لذلك مثلاً الإله « ست » الذى سُمى « رب أمبوس » أو « ذلك الذى من أمبوس » ، ومعنى ذلك أنه قد تكوّنت بين الآلهة ما يشبه طبقة الأرسقراطية .

ومرت السنون وتقدمت مصر نحو الاتحاد ، وتكوّنت من مقاطعاتها المختلفة دولتان كبيرتان : إحداهما فى الدلتا والأخرى فى صعيدها . وحدث ذلك حوالى القرن الأربعين قبل الميلاد ، بيد أن المصرى نفسه لم يستطع تخيل ذلك العصر ( عصر الدولتين ) إلا بصورة مضطربة غير ثابتة ، ولو أنه فى الوقت نفسه احتفظ بالشكل الخارجى لهذا التقسيم ولم ينس مطلقاً أن يسمى مصر « الأرضين » وأن ملك مصر يجمع فى شخصه بين سلطتين مزدوجتين . ومن المرجح أن هذين البلدين تقانلا . وهناك نصّ قديم يذكر ما كان من حروب بينهما ، ولدنيا فيما احتفظت به الديانة عن هذه العصور السحيقة الموحلة فى القدم ما يثبت ما قام من نزاع بين المملكتين . وكان لكل من المملكتين آلهته التى تحميه ، وقامت بينهما الحروب ثم تهادنتا ، ولو أنه فى واقع الأمر لم تختلف الفرقة بينهما ، ولا بد أن تكون تلك الحروب بين المملكتين هى التى دفعت الإله « حورس » حامي مصر السفلى أن يمثل فى جميع البلاد



كرمز الملكية . ويجدر بنا ألا نعرّض لهذه المعتقدات لالشيء سوى جهلنا بها ؛ لأننا إذا ما حاولنا أن نفهمها فسوف نركب الشطط ؛ وسنحاول على كل حال في الفصول الآتية شرح ما تثبتنا من معرفته .

وقبل أن نبدأ بالحديث المفصل عن هذه المعتقدات ينبغي لنا أن نعرض لبعض النقاط التي تعتبر من أهم الأسس لتفهم الديانة المصرية القديمة . لقد سلفت الإشارة إلى نوع الحيوان الذي حرص المصري في كثير من الأحوال أن يرمز به لبعض آلهته وكثيرا ما اختار بعض الحيوانات المفزعة مثل التمساح والثعبان ، كما اختار أحيانا بعض الحيوانات النافعة مثل التيس والثور والبقر من قطعانه . وكثيرا ما اختار أنواعا أخزى من الحيوانات شغلت تفكير الرجل الساذج بحركاتها وأعمالها كابن آوى الذي يتسلل ليلا من الصحراء متجها نحو الأماكن التي اختارها المصري لدفن موته . واعتقد عباد هذه الحيوانات أنها تحوى شيئا إلهيا في نفسها ، بمعنى أنه إذا أراد أحد الآلهة أن يجسد نفسه للبشر فإنه يختار حيوانا ترمز بعض صفاته إلى ما لهذا الإله من صفات . ولكن من المعروف أن الإله لا يكون مجسدا في كل بقرة أو في كل تمساح . وبزغم كل الاحترام الذي يحيط به المتعبد تلك الحيوانات فإنه يمكن أن يأتي يوم يذبح فيه البقرة ويقتل التمساح ولا يرى في هذا عملا إجراميا . وفي بعض الأحيان تحتفظ مدينة ما بنموذج واحد من هذه الحيوانات كمثل للإله ، معتقدة أن جزءا من الشخصية الإلهية تسكن فيه بصفة مستمرة . كما أن الإله يختار عادة مسكنا آخر له . فهو يسكن بيته في معبده حيث يحفظ تمثاله المقدس الذي تنزل عليه روح الإله ، والذي يمثل في شكل حيوان أو آدمي . ويحدث أيضا أن التقديس لا يوجه نحو تمثال للإله ، بل نحو أى شيء آخر من الجماد تكون قدسيته قد اكتسبها لسبب من الأسباب .

وحافظ الناس على تماثيل الآلهة في محاريبها كما وصلت إليهم في أشكالها الخشنة لانسبب سوى قدسيته ولأنه محرم عليهم أن يتناولوها بأي تغيير . ولكن حدث بالنسبة إلى بعض الآلهة أن اضطروا إلى مراعاة طريقة جديدة في تمثيلها ؛ فبدلا

من الصور الحيوانية البحتة ظهرت الصور النصف آدمية . وكان ذلك متوقع الحدوث فعلا . ألم يقولوا عن الإله إنه يجب ويكره ويحى ويعاقب ويعطى ويأخذ ؟ فمن الواجب أن يظهر الإله لهؤلاء على هيئة آدمي ، لأن هذه الأوصاف لا يمكن أن تنطبق على تمساح أو كبش أو صقر . ولكن في الوقت نفسه كانت هناك آلاف الروابط التي تلتزمهم بالإبقاء على التقليد القديم ذى المظهر الحيوانى . فاختاروا الوسط بين الحالتين ، فأعطوا الإله جسما آدميا حتى يستطيع التقبيل والإعطاء والحماية واحتفظوا له برأس الحيوان . حقيقة بقى حورس وخنوم على هيئة الصقر والكبش ولكنهما على ذلك استطاعا أن يقوموا بكل الأعمال الآدمية إشباعا لرغبة المؤمنين بهما . إنه من العجيب حقا بأية مهارة استطاع المصريون أن يوجدوا هذا المزج بين الإنسان والحيوان إلى حد لا نرى نحن فيه أى تناقض ! ! .

وهناك تغيير أكثر أهمية مما يتصل بمظهر الآلهة الخارجى ، هو ما خلطوه على هذه الآلهة من أوصاف ؛ وسبب ذلك أن بعض الآلهة ملأوا سلطانهم خارج حدودهم الأصلية ، ومن ثم أصبح لزاما ألا يكتفى المتعبدون بما كان لهم من أوصاف كآلهة محلية فى المقاطعات ، فاتجهوا إلى أن يكسبوا معبوداتهم أو صافا على نطاق أوسع بأن جعلوهم متصلين بالزراعة والحرف والحرب والتناسل ودفن الموتى . بل أكثر من هذا طمع كل إله فى أن تصبح له صلة فعالة فى حكم الطبيعة فيما يتصل بالسماء والأرض والماء والشمس والقمر . وتغالوا فى ذلك إلى درجة أنه لم يصبح هناك إله ليست له صلة بالنسبة إلى عباده على الأقل يمثل هذه القوى الطبيعية . وفضل المصرى أن يجعل إلهه أنثى هى رمز السماء ، ولها ذكرا كرمز للشمس أو للقمر دون أن يلاحظ أن هناك آلهة أخرى اعتبرت كآلهة لهذه القوى الطبيعية ، كما لم يقلقه أن يسند لأحد هذه الآلهة التى سبق ذكرها مهام أخرى ؛ فمثلا لم يكن المعبود « خنوم » هو صانع وخالق البشر فقط ، بل كان أيضا إله « الماء البارد » بمعنى منابع النيل ، وكان لزاما على المصرى أن يوجد تناسقا بين هذه المهام المختلفة .

وقد مكّن موقع البلاد الجغرافي المحصن أهل مصر أن يعيشوا حياة هادئة .  
ومن البديهي أنه قد حدثت بعض الحروب والمعارك اعتبرها المصري إحدى المصائب  
التي حلت بالشعب ولم يهتمّ بها كثيرا <sup>١</sup> . ولم يتعطش المصريون نحو الأخذ بالثأر  
كما كانت الحال في الشعوب الأخرى ، ولذلك بقيت هذه العادة غريبة عنهم <sup>٢</sup> .  
ومن أجل هذا بقيت ديانتهم خلوا من الطقوس الخفيفة التي تحيد بالديانات الأخرى  
عن الطريق المعتدل . ولم يكن فيها مكان لآلهة ظمأى نحو الدماء ، ولا طقوس  
تسرف في السرور أو الشراهة <sup>٣</sup> . وكانت الطقوس الدينية تؤدي بشكل هادئ رزين .  
وعومل الإله معاملة الرجل القويّ الذي يسعى الكل إلى تأكيد مظاهر احترامه ،  
فيقدمون له المآكل والمشرب والزهور والملابس والحلي ، ويشيّدون له مسكنا  
يحرصون على نظافته يشيع فيه عبق البخور . وكان الإله يسرّ لكل هذا فيعوض  
الناس ببركاته عن كل هذه الأعمال .

وساد هذه الطقوس البساطة والكمال ، ولكنها تضاعفت بمرور الزمن حتى  
وصلت في آخر الأمر إلى أبعد الحدود . ونتج عن ذلك أن أضيفت إلى طقوس الديانة  
المصرية وما يحيط بها من حفلات وعادات مختلفة الكثير من المستحدثات التي انتهت  
بأن قلبت الديانة المصرية رأسا على عقب .

ولقد لعبت « البدع » الدينية دورها المهم في صيغ ديانة المصريين بصيغة أخرى ،  
ولو أننا لاندرى مدى تأثير الديانة بهذه البدع إلا أننا نعرف تماما أنها أضافت أنواعا  
جديدة من الآلهة ، فمثلا اختاروا الطائر إيبس ( أبي منجل ) ليرمز إلى إله القمر ،  
كما جعلوا إله القمر هو الإله العالم كاتب الآلهة .

(١) ومن الغريب أن لفظة « جنودنا » لم ترد إلا مرة واحدة في النصوص المصرية القديمة التي  
لاتخصي ، وذلك في مقبرة أحد الفيصاط .

(٢) لم يكن لديهم كلمة صريحة يعبرون بها في لغتهم عن هذا الشعور .

(٣) ربما كانت هناك شواذ ، على أية حال فإنها لم تلعب أي دور في العبادات المصرية قارن :



إن الصورة التي حاولنا رسمها لتطور الديانة المصرية هي بعينها الصورة التي يمكن رسمها لتطور أى دين من أديان الشعوب . فالخلطوط الرئيسية لديانة ما ، تتحوّل وتشكل ما دام هناك عرق ينبض في قلوب الشعب . وتشارك الديانات كلها في عدم استطاعتها التخلّي عما وصل إليها من تقاليد قديمة ، بل أكثر هذه الديانات تقدما وتطورا لم تستطع التحرّر من معتقدات وتصوّرات قديمة ، إذ أن الزمن وحده هو الذى الصغر المقدس أكسب هذه المعتقدات قدسيّتها ، وأصبح المؤمنون بها لا يجدون غضاضة في التعلّق بأهدافها . وليس من شك في أن الديانة المصرية امتازت بين الديانات القديمة في الجمع بين الحديث والقديم .

ونحن نلاحظ بإعجاب كيف استطاع هذا الشعب أن يجمع بمهارة فائقة ووفق بين الحديث والقديم والغارق في القدم ، واستطاع أيضا أن يصل إلى هدفه هذا بأن أكسب هذه العقائد القديمة قدسيّتها دون أن يستعمل المنطق في مناقشتها . ويجدر بنا هنا أن نذكر أن أولئك الذين أقدموا على هذا التوفيق كانوا علماء الكهنة المتفهمين الذين عرفوا كل شيء وفهموا كل شيء . واستطاعوا أن يحافظوا على معتقدات شعبهم طوال آلاف السنين كما حرصوا على الإبقاء على ما وصل إليهم من أجدادهم ، وكان من الطبعي على شعب زراعى مثل الشعب المصرى أن يتمسك بكل هذه العقائد . ولكن الإبقاء عليها بكل ما تحويها من دقائق بسيطة مختلفة لم يكن إلا كنتيجة لتفقه أولئك الكهنة في علوم الكهنوت . ولعل من الأسباب الأولى التي دفعت الكهنة إلى هذه السياسة أنهم لمسوا طبيعة المصرى التي تدفعه باستمرار ألا ينسى شيئا مطلقا . هذا الشعب قد وافته الفرصة بأن يخترع الكتابة في أول عصوره ، وبذلك اكتسب مركزا ميزه على الشعوب الأخرى ، ولكنه دفع لذلك ثمنا غالبا . إن كل مرحلة من مراحل تاريخه الطويل قد أنتجت له معتقدات دينية جديدة عاشت بجانب القديمة دون أن تؤثر عليها . ولا غرابة في ذلك فالقديم محفوظ في مدوّناته وكتبه كتراث مقدس إذا سببت بعض الظروف أن يتوارى في الظلام . فإن ذلك لم يكن إلا فترة قصيرة لا يلبث بعدها أن يظهر ويأخذ مكانه اللاتق بين المعتقدات الجديدة . وحتى

بعض المعتقدات القديمة التي لم يبق منها سوى ما دون على بعض الأوراق البردية المنسية في مكتبات بعض المعابد كانت تدبّ فيها الحياة مرة أخرى فظهر متقدمة الصنفوف . وهكذا كانت كل فترة من فترات التاريخ المصرى تضم إلى ذلك الخليط الكبير من المعتقدات الدينية أجزاء أخرى ، كان كهنة هذه الفترة يتلقفونها بسرور وإن كنا نجزع لها لأنها تزيد من غموض الديانة المصرية في نظرنا . ويفخر الشعب المصرى جميع الشعوب الأخرى بتلك المجموعة الهائلة من المخطوطات الدينية التي ترجع في كثير من الأحوال إلى أقدم العصور ، ثم زادت وتكاثرت بمرور الزمن حتى العصر الرومانى ، وامتازت بعض هذه المخطوطات بقدسية خاصة على أساس أنها « كلمات الإله » ألقها « تحوت » نفسه رب الحكمة . ومن الغريب أن المصريين لم يستطيعوا أن يجمعوا كتابا مقدسا يشبه إلى حد ما واحدا من كتبنا المقدسة التي تعتبرها نزاسا لنا يحدد الكلمات الخلقية للبشر ، ومن أجل ذلك لم يكن الدين المصرى في يوم من الأيام ذا صبغة موحدة ولم يتصف هذا الدين بصفة العقيدة ذات الأصول الثابتة ؛ كما أنه لم يحاول في يوم من الأيام أحد الحكماء أو الرسل أن يرجع إلى هذه الديانة أو أن يتفهم أصولها .

لقد تحدثنا في أول هذا الفصل عن المعتقدات التي سادت الطبقة الوسطى عند المصريين ، وأنها تكونت من عناصر مختلفة كل منها يمت إلى منطقة خاصة تجمعت وتكتلت نتيجة لسهولة الانتقال بين ربوع مصر ، وساعد على اندماج هذه العناصر الدينية المختلفة توثق عرى المناطق المصرية بعضها مع البعض وتثبيت أقدام الملكية فيها . ونتج عن ذلك ما يمكن أن نسميه دين المصريين العام . حقيقة لم تحدّد عناصره كما لم تنسجم أجزاءه ، ولكن أصبح في الاستطاعة لمصرى الدلتا إذا زار مصر العليا أن يجد هناك آلهة سمع باسمها وأحيانا كثيرة تشبه في صفاتها آلهته .

وإذا أردنا أن نتبع تطور الديانة المصرية فيجب علينا أن نبدأ بأصولها الأولى ، وهذا ما سنحاول الوصول إليه على صفحات الفصول الآتية .

وأيح الحق إن مهمتنا هذه لانتعبر سهلة ؛ إذ أن ما خلفه لنا المصريون من مندونات هائلة العدد ، سواء على جدران معابدهم أو مقابرهم أو على صفحات أوراق

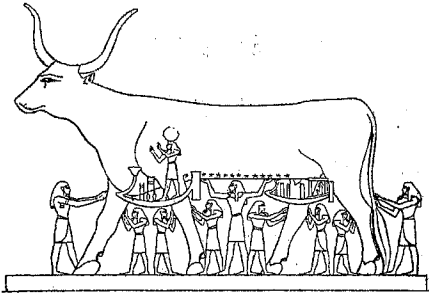
البردى والتي ترجع إلى جميع عصورهم المختلفة قد اختلطت وأصبح من الصعب علينا أن نعرف القديم منها ، بل مما حفظ من وثائق كتبت في العصر الروماني ، ما حفظ لنا معتقدات ترجع إلى العصور الأولى مما لم تتح لنا الفرصة أن نعرها عليها مكتوبة على وثائق أخرى . ومن أجل ذلك سوف تصبح الصورة مشوهة للديانة المصرية إذا تخرجنا ونظرنا بعين الحذر إلى كل وثيقة وصلت إلينا من عصر من العصور المتأخرة . لهذا فلا مناص لنا من أن نستعمل هذه الوثائق ولكن بحذر . على أننا في الوقت نفسه لن نستطيع أن نستخلص منها الصورة الواضحة للمعتقدات المصرية في عصور التاريخ الأولى وإنما سوف نصل إلى العقائد المهمة التي كانت تسود مصر في عصر الدولة الوسطى ، أي حوالي عام ٢٠٠٠ ق . م . أجل إذا أتيح لنا أن نستجوب مصريا من مصري عصر الدولة الوسطى فيما وصلنا إلى معرفته من دياناته لتعرف على القليل منها ، ورأى في البعض الآخر بعض ما كان أجداده يقدسونه ، ومن المؤكد أنه سوف يفتقد الكثير مما كان يقدسه أو يهز رأسه عجباً لما قد وصلنا إلى معرفته مخطئين ، ولكنه في آخر الأمر سوف يرى فيما نقوله بعض ما كان يقدسه أو يمتقد فيه .

## الفصل الثاني

### العالم وآلهته

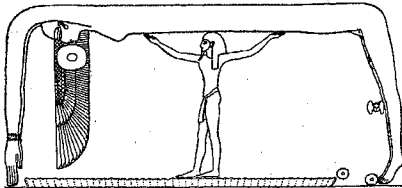
إذا أراد رجل من عامة الشعب أن يفكر في شيء لا يدركه ولا يستطيع فهم عناصره فهو لا يستعين في تفكيره بالمنطق بل يعتمد على الخيال . فمثلا نراه لا يحاول أن يبحث مدققا في ماهية السماء وما هو كنه الأرض ، بل يعتمد بماله من شاعرية متوثبة أن يقارن السماء بشيء مما تعوده في بيئته دون أن يتساءل عما إذا كان هناك أي تقارب بينهما . فهو يسمي السماء بالبقرة ، وفي ذلك لم يفكر مطلقا أن يحقق هذه المقارنة تحقيقا دقيقا ، بمعنى أنه لا يتساءل إذا كانت السماء تشبه بطن البقرة ، فأين الشعر الذي يكسوها ، وأين الثدي ، وأين مكان أرجلها الأربع . بل أكثر من ذلك نجد أن هذا التشبيه قد ثبتت أقدامه في اللغة وتعوده الشعب ، ومن ثم تلقاه الفن وأصبح الفنان لا يحاول رسم السماء إلا على أنها بقرة جميلة دون أن يفكر في حقيقة هذا الفضاء اللانهائي الذي يبدو للرأي كقبة عظيمة ؛ وبهذا أصبح من المعتاد التحدث عن السماء على أنها بقرة ، بل ورسمت باستمرار على هذا الشكل . وتعودت عقول البسطاء السذج على هذا التمثيل سواء في اللغة أو في الفن ، واعتقدوا بالفعل أن السماء هي البقرة دون أن يحاولوا السؤال عن الشعر الذي يغطي بطن البقرة ، وعن مكان الثدي . ولما هذا التساؤل ؟ ما دامت المقارنة قد أعجبتهم ، وما دامت البقرة تعتبر من أجمل الحيوانات التي يحبها المصري .

وهكذا أثرت شاعرية المصري وغريزته الفنية على تصوراته الأخرى التي تخيلها عن العالم وعن الآلهة التي تسكنه ، ويرينا المثل الذي أوردناه فيما سبق إلى أي حد تشبث الشعب المصري بهذه التصورات . وإذا حدث أن تخيل أهل عصر صورة أخرى للسماء فقلوها على هيئة امرأة قد انحنى فوق الأرض فلاهم يعطونها رأس بقرة ، أو على الأقل يزينةون رأسها الآدمي بقرون بقرة . هذه هي ربة السماء « حانخور » .



٢ - السماء على هيئة بقرة يمسكها إله الهواء « شو » وآلهة أخرى . وعلى بطنها النجوم  
وسفينة الشمس ( مقبرة سيقى الأول )

وإذا كانت صورتان اللتان تخيلهما المصري للسماء لهما صفة الأنوثة فقد تخيل الأرض على أنها ذكر ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن كلمة السماء في اللغة مؤنثة وكلمة الأرض مذكرة . وصور إله الأرض « جيب » مستلقيا على بطنه وقد نبئت المزروعات فوق ظهره . أما المرأة التي تنحني فوق إلهة السماء « نوت » فقد اعتبرها زوجته<sup>١</sup> . وأما الفضاء الذي يفصل بين الإلهين فهو الإله « شو » وتعني الكلمة في اللغة « الفضاء » وقد صورتها اللغة والفن على أنه رجل يقف فوق الأرض ويسند يديه إلهة أو بقرة السماء<sup>٢</sup> .



٣ - السماء على هيئة امرأة يحملها « شر » وعليها الشمس على هيئة جبل  
أو قرص . ( مقبرة رمسيس الرابع )



ولما كانت تنقلات المصرى كلها بوساطة السفن فوق سطح نيله الفياض ، نراه وقد تخيل أيضا أن الشمس والقمر والنجوم تتحرك في السماء فوق سفن ، وفي هذه الحالة لا بد وأن تكون السماء بحرا خضما « هي الماء البارد » أو « البحر الذى يجرى تحت بطن الإلهة « نوت » <sup>١</sup> . وهكذا نرى كيف انسجمت هذه التصورات بعضها مع البعض الآخر ، وإذا كانت السماء عبارة عن بحر كبير فقد بقيت في الوقت نفسه في خيال المصرى هي بطن البقرة أو بطن الإلهة . أما المطر فكان يأتي بطبيعة الحال من تلك « المياه الحية الموجودة في السماء » <sup>٢</sup> .

وهناك تصور آخر للسماء يمتد إلى العصور الحديثة ويتخيل المصرى فيه السماء قائمة فوق أربعة جبال كل جبل منها يقع في ركن من أركان العالم الأربعة ، وأحيانا يتصورونها محمولة على أربعة أعمدة <sup>٣</sup> أو على أربع قوائم ، بينما توجد الأرض مستلقية على ظهرها <sup>٤</sup> .

أما الأرض فقد صورها وقد أحاط بها محيط كبير « الدائرة الكبرى » <sup>٥</sup> وقد انقسمت الأرض إلى قسمين : أحدهما جذب « الأرض الحمراء » حيث يسكن البرابرة المتوحشون الذين يعيشون على الأمطار ؛ أما القسم الثانى فهى « الأرض السوداء » ، وفي الواقع لم يتخيل المصرى أن هناك أرضا سوداء غير أرضه حيث تسكن الآلهة ، والتي وهبها الإلهة نيلها الفياض « الذى يجلب الخير للناس » واعتقد أن فيضانه يأتي إليه من الدنيا السفلى فصدره « من الماء الحى الموجود في الأرض » <sup>٦</sup> وينبع من فتحتين موقعهما بين صخور الشلال الأول .

ونحن نعذر المصرى إذا كان قد أفسح لخياله المجال نحو تقديس النيل ؛ تلك القوة التي تأتيه بالأعجوبة السنوية والتي تهيم على حياته فلا غرابة إذا كان قد ألهمه وجعله واحدا من بين آلهته العظمى ، ومع ذلك عوامل النيل معاملة أخرى .

(١) Pyr. 802

(٢) Pyr. 2063, 1146 وهناك تفسير آخر للمطر في Pyr. 2065 على أنه البول الذى تتبوله

كل من الإلهة « نف نوت » والإله « شو » . (٣) Pyr. 1143

(٤) Papy. Leiden 347 5,9 ووردت أيضا في قصة الفلاح .

(٥) راجع مدينة هايبو ( W. B. 423, 487 ) . (٦) Pyr. 2063

فلو أنهم اعتادوا تقديم القرابين له وتأليف الأناشيد لتمجيده لإلا أنهم لم يضعوه في ذلك المستوى الذى وضعوا فيه آلهتهم الأخرى ، وإذا كانوا قد لقبوه في بعض أناشيدهم « بأبى الآلهة » فإن هذا اللقب قد استعاره من الإله « نون » ربّ الماء الأزلى . والسبب في ذلك أنه ذكر في نصّ من النصوص الدينية على أنه ينبع من هذه المياه . ومن بين الأناشيد التى ديجها المصرى في وصف النيل<sup>١</sup> : « هو الذى يذهب في وقته ويأتى في وقته ، الذى يحضر الماء كل والمون ، هو الذى يأتى بين الأفراح ، المحبوب جدا ، ربّ الماء الذى يجلب الخضره . يتفانى الناس في خدمته ويحترمه الآلهة . هو إله صغير خلقه « رع » من أحسن عناصره » .

وفي مكان آخر قالوا عن النيل وقد أعطوه بعض صفات أوزيريس ما يأتى :<sup>٢</sup> « كل من يرى النيل في فيضانه تدبّ الرعشة في أوصاله ، أما الحقل فبهى تصحك ، وأما الشواطئ فتكسوها الخضره ، وتتساقط هدايا هذا الإله وتعلو الفرحة وجوه البشر ، أما قلوب الآلهة فتحفق من السعادة » .

ومن الغريب أن النيل قد تبوأ بين الآلهة منصب الخادم لهم ، فصوروه على جدران المعابد بزى البحار أو صياد السمك على هيئة بشر نصفه أنثى والنصف الآخر ذكر يقدم منتجاته إلى الآلهة الكبرى<sup>٣</sup> .

وهناك قسم ثالث للعالم غير السماء والأرض وهو الدنيا السفلى حيث يخيم الظلام وحيث يعيش الموتى ، وسوف تصور في الفصل الرابع عشر انخيلات المختلفة التى ديجتها عقول المصريين عن هذا العالم . ونكتفى هنا بأن نذكر كيف



٤ - النيل

أن المصرى لم ير في الدنيا السفلى العالم الذى يسكنه الموتى فقط ، بل رأى فيه المكان

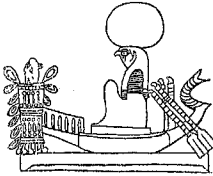
(١) Lacau, Textes religieux XIX ( p. 44,45 )

(٢) Pyr. 1553

(٣) لقد صوروه وله ذنق وثديان كبيران ولست أدرى السبب في تصويره على هذا الشكل .

الذى تغيب فيه الشمس في المساء وتعبه طوال الليل لتشرق من الشرق في الصباح التالى ، ومعنى ذلك أن هذا العالم السفلى لا بد له من نهر عظيم يجتازه سفينة الشمس كما تجتاز السماء ، وفي آخر الأمر رأى المصرى في الدنيا السفلى سماء أخرى تعادل سماء الأرض ولو أنها تمتاز بالظلام « تصعد إلى السماء وتنزل إلى السماء السفلى » قالوا ذلك بالنسبة إلى تحركات الشمس<sup>١</sup> .

وبطبيعة الحال كانت الشمس هي أهم ما استرعى نظر المصرى في السماء ، فعرف الإله « رع » أهل مصر في الشمال والجنوب ، فتحيلوها ذلك القرص الأخر المتوهج الذى يعبر السماء في قاربه ، ومن ثم لعب الفن<sup>٢</sup> وما امتاز به عقل المصرى من خيال خصب دوره المهم في تصوير هذا الإله على أشكال مختلفة ، فرقة صوروه على شكل جعل عظيم « خير رع » وهو يدفع قرص الشمس أمامه فوق صفحة السماء تماما كما يفعل زميله الذى يجيا فوق الأرض عندما يدفع كرة الروث أمامه . ومرة



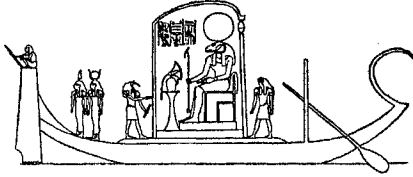
٥ - سفينة الشمس وقد علق على مقدمها بساط

أخرى تحيل الشمس على هيئة عجل ذهبي تلده أمه بقرة السماء في الصباح<sup>٢</sup> ، وينمو أثناء النهار حتى يصبح ثورا سموه « كاميفيس ثور أمه » لأنه يلحق أمه البقرة حتى تلد في اليوم التالى شمسا جديدة . أما في الأحوال التى تحيل فيها السماء كامرأة فهنا نجد يتحدث عن طفلها الشمس الذى ينمو أثناء النهار

و يصير رجلا كهلا في المساء ويختفي في الدنيا السفلى . وتصور الشمس في شكلها الهرم كإله له جسم الإنسان ، وسموه « آتوم » الذى يعبد في هليوبوليس « بينا رأوا في الجبل « خير » رمز الصباح ، ومعنى ذلك أن المصرى ميز بين شمس الصباح « خير » وشمس الظهر « رع » وشمس الغروب « آتوم »<sup>٣</sup> .

Pyr. 1029 (٢) Pyr. 149 (١)

(٣) ويمكننا أن نقول أن كلمة « رع » في الأصل أطلقت على النجم نفسه ، بينا « آتوم » ، و« خير » وحوادثه هي أسماء إله الشمس الذى عرف أيضا باسم « رع » ( Pyr, 348, 1694 ) أما التفرقة بين خير



٦ - سفينة الشمس ، وهي المكان الذي يحكم منه العالم ، حيث يجلس الإله على عرشه في مقصورة  
ويقف أمامه وزيره « تجوت » مخاطبه . ويتخذ الإله رأس كبش على نحو ما يتخذ  
في رحلته بالليل في العالم المغفل ( من معبد وادى السبوعه L. D. III, 181 )

وزاد المصري على ما تقدم صوراً أخرى للشمس ، فتخيلها على هيئة الصقر ،  
أو كإله له رأس الصقر هو « حوريس » الذي يعنى اسمه « البعيد » لأن إله الشمس  
« بعيد عن الآلهة »<sup>١</sup> فهو يطل على الآلهة وليس هناك إله يطل عليه<sup>٢</sup> . واعتقد  
المصريون في أول الأمر أن الإله حوريس هو حاكم السماء ، له عينان متوجهتان  
إحدهما الشمس والأخرى القمر .

وما دام المصري قد تخيل الجعل وهو يدب فوق سطح السماء ، ويرفرف فوقه  
الصقر بجناحيه ، فانه من الواجب أن يكون لإله الشمس الذي على شكل آدمى  
قارب يسبح فيه فوق سطح محيط السماء<sup>٣</sup> ، وبالفعل كان له قارب جميل صنع  
من الذهب<sup>٤</sup> طوله ٧٧٠ ذراعاً ، وقام ببنائه الآلهة أنفسهم<sup>٥</sup> ، تشرف على تسييره

في الصباح ورج في الزوال وآتوم في المساء ( Paps. Turin 133.10 ) فنجدها مذكورة أيضاً  
في Pyr. 1695 ومن الغريب أن نجد في Pyr. 888 أن رج يشرق في الصباح وخير يغرب في المساء .  
قارن أيضاً Urk. IV 19,3 أما في Urk. IV,19 فنجد أن آتوم قد ذكر كشمس الصباح .

Pyr. 1693 (١)

Pyr. 1479 (٢)

(٣) وهنا نجد أيضاً تضاربا عجيبا ، فثلا هناك نص يتحدث عن الجعل وهو يركب القارب  
( Totb 134,3 )

Pyr. 602 (٤)

Pyr. 1209 (٥)

النجوم<sup>١</sup> وتصاحب الآلة العظمى الشمس فيه<sup>٢</sup> « إنه الإله العظيم رب السماء » الذى يحكم العالم من قاربه هذا ، ولا غرابة فى ذلك فإن إله الشمس هو سيد الآلهة أجمعين<sup>٣</sup> .

واعتقد المصرى أن هناك ثعبانا يلتف حول قرص الشمس الذى يحمله الإله على رأسه . هذا الثعبان هو الخادم الخطر الذى يحرق أعداءه بأنفاسه النارية ، وهو بعينه الثعبان الذى يزين جبين الملك الأرضى والذى يعرف باسم الصل ، والذى اعتبر كرمز لأسمى ما وصلت إليه القوة .

أما الأعداء الذين يقابلهم الإله أثناء رحلته فهم بطبيعة الحال السحب ، ولكن « رع يمزق الصواعق ويبعد الأمطار ويفتت البرد »<sup>٤</sup> . وامتاز الثعبان « أبو فيس »



٧ - إله الشمس

بأنه أشد أعداء الشمس قوة وخطرا ، ومن أجل ذلك اعتبر رمزا لكل مكروه ذىء<sup>٥</sup> ، وبطبيعة الحال لن تستطيع هذه الأعداء أن تمس الإله بمكروه ، فالآلهة الأخرى تدافع عنه كما تصاحب القارب تلك السمكة التى تتنبا بما سيحدث والمسماة « ابلو » ، فتسارع بتبليغ أصحاب القارب يدنو أحد الأعداء منه<sup>٦</sup> ، وتصل الشمس فى المساء آمنة مطمئنة إلى الغرب فترحب بها إلهة الغرب التى تقف لاستقبالها عند سلسلة الجبال التى اعتقد المصرى أنها بمثابة الحدود التى تفصل عالمه عن العالم السفلى<sup>٧</sup> . وعندئذ تترك

(١) نثلا راجع كتاب Lacau, Textes religieux p. 13, 65 ; Pyr. 1209 ;

(٢) Pyr. 906

(٣) ولقد ذكر هذا الوصف فى نصوص الأهرامات نفسها كما ذكره « باعنى » على لوحته سطر ٧٥ على أنه سيد النجوم .

(٤) Pyr. 500

(٥) لم نمر على ذلك فى نصوص الأهرامات .

(٦) قارن Totb. 15, A (Pap. Berlin, 3006, 5) , Meternichstele 78

(٧) وتصور المصرى فى أقدم عصوره الشمس وقد خرجت فى الصباح من فرج أمها إلهة السماء ، بينما تبطلها فى المساء . ( راجع هذا المنظر - فى الصورة التى نشر عليها حديثا ممثلة إلهة السماء - فى كتاب

Frankfort - De Buck, The cynotaph of Séteï' 1st. at Abydos, vol II, pl. 81 ( London 1933 )

الشمس قارب النهار وتستقل قارب الليل وقد خيم عليها الظلام ، وذلك لتبدأ رحلة الليل محترقة العالم السفلى . وهناك « يضىء زرع للإله الكبير الذى يحكم هذا العالم المظلم كما يضىء للموتى المساكين الذين يعيشون فى كهوفهم والذين يحيونه بقلوب تملؤها السعادة رافعين أذرعهم مبتهلين باسمه شاكرين له كل أحوالهم . . . فتفتح عيونهم عند رؤيتهم له كما تدق قلوبهم فرحا عند أول نظرة يلقونها عليه . أما هو فيستمع إلى جميع طلباتهم أولئك الذين يضطجعون فى توابعهم فيخفف من آلامهم ويقلل من عذابهم . ويملاً أنوفهم بنسيم الحياة » .

ولما كان نسيم الشمال الذى ينتشر فى دنيا الأرض لا يصل إلى دنيا الموتى « هادس » لذلك تصور المصري الموتى وقد تجمعوا حول الجبل المربوط فى مقدمة القارب يتعاونون على سحبه تماما كما يحدث على الأرض عند ما تقف الرياح ويسحب المصريون سفنهم على سطح النيل<sup>١</sup>

وعندما يترك الإله فى الصباح العالم السفلى فهو يغتسل أولا فى بحيرة « إيارو »<sup>٢</sup> حتى يزيل عن نفسه ذلك اللون القاتم المدهم الذى اكتسبه أثناء الليل<sup>٣</sup> ، ويتقدم متحميا « بملابسه الحمراء »<sup>٤</sup> إلى باب السماء<sup>٥</sup> ثم يظهر فى ذلك الجبل الخرافى المدعو « بش » ويهب كل الكائنات الحياة والسرور ، وإذا كنا نلاحظ كيف تقفز الأسماك فى الصباح وكيف تضرب الطيور أجسامها بأجنحتها عند استيقاظها فقد أرجع المصري ذلك إلى أن هذه المخلوقات تحبى إله الشمس وهذا هو السبب الذى يدعو القرودة إلى الصباح عند شروق الشمس ، فهم يرتلون أنا شيد تمجد هذا الإله<sup>٦</sup> . وكذلك البشر

(١) وفى كتاب « فى العالم السفلى » ذكرت تفصيلات كثيرة عن هذا سوف نشرها فى الفصل الرابع عشر ، ويكفي هنا أن نذكر نهاية هذه الجولة التى تنتهى بدخول الشمس فى ذيل ثعبان كبير ثم تخرج من فمه فى الصباح على شكل الجمل .

Pyr. 1421 (٢)

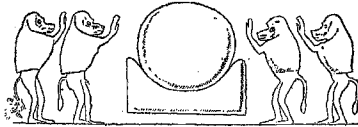
(٣) وقد لونت شمس الليل باللون الأخضر الذى يميل إلى الاصفرار على التوايت التى ترجع إلى عصر الأسرة ٢٢ والمحافظة فى متحف برلين .

Pyr. 285 (٤)

Pyr. 526 (٥)

(٦) إن علامات الفرح التى ذكرت عن السمك والطيور فى الصباح الباكر وصلت إلينا مذكورة

فهم يردعون أيديهم إلى أعلى ويبتهلون إلى الشمس قائلين <sup>١</sup> : « الحمد لك أنت عندما تشرقين من اليمّ الذي يحيط بالسماء لتنشرى الضوء على مصر بشروقك . الشكر لك تلهج به ألسنة الآلهة أجمعين . . . . . أيها الطفل الجميل المحبوب الذي إذا ما أشرق دبت الحياة في البشر وتعاون آلهة العاصمتين على رفعه . أما القرودة فتلهج بشكره أيضا كما تتفق جميع الحيوانات على تقديسه . ويفتك ثعبانك بأعدائك ، وتغمرك السعادة في قاربك ، ويملأ الفرح قلوب رجالك . أما أنت يا سيد الآلهة فقد ظهرت مباشرة الفرح عليك . أما الآلهة فتشيد بذكرك ، وربة السماء تزيد زرقتها وهي بجانبك » <sup>٢</sup>



٨ - القرودة تعبد الشمس ( برلين ٧٣١٥ )

على هذا النحو تمثل المصريون عادة ما يحدث للشمس في كل يوم ، ولكن هناك صمور أخرى غيرها ترجع في نشأتها إلى أقدم العصور . ومن الغريب أنها لا تتفق عن بعد أو قرب مع تلك التي شرحناها فيما سبق . فهناك الصورة التي تخيلها المصري عن ولادة الشمس . ففي المساء تدخل فم إلهة السماء ، ثم تعبر أثناء الليل جسمها ، وتولد في الصباح <sup>٣</sup> ، كما أن هناك فكرة أخرى تقول بأن الشمس إذا ما اختفت في الغرب تظهر من جديد في الشرق ، ولكن لكي تصل إلى هذا الشرق يجب عليها - حالها في ذلك حال كل مصري - أن تعبر النهر ، ومن أجل ذلك كان يلزمها حزمتان

في وثيقة ترجع إلى العصر المتأخر ؛ أما ما تقوم به القرودة من إبتهالات للشمس فقد نص عليها ، في وثيقة قديمة ، والدليل على ذلك أن القرودة لم تعرف في البيئة المصرية إلا في العصور التي سبقت العصر التاريخي ، واختفت بعد ذلك .

(١) كلمة « دوا » بمعنى يمجد ولا بد أنها كانت في الأصل تعني « التعبد في الصباح » هذا مع العلم أن الصباح عند المصريين كان بمثابة الفترة المقدسة للعالم .

Totb. XV A, 11 (٢)

(٣) قارن كتاب "Rusch, Himmels - Göttin Nut, 44"

موكلتك مقبرة « زانوفر » في جبانة طيبة .

من البوص لمساعدتها على السباحة<sup>١</sup>. ومن الغريب أن المصري ولو أنه تخيل الشمس في حركة مستمرة بين الشرق والغرب، وبالعكس طوال النهار والليل، فانه رأى أيضا أن يجعل لها مسكنا في جزء من اجزاء السماء وسماه «آخت» وتصوره أول الامر كجزيرة وسط ماء السماء وفيما بعد، فسره بالمكانين حيث تغرب وتشرق الشمس، ومن أجل ذلك اعتدنا نحن إما عن خطأ أو صواب، أن نترجم هذه الكلمة بالأفق، وكنتيجة لذلك سميت الشمس باسم «حورآختي» (حوريس الأفق) ومن ثم اعتبر هذا الإله واحدا من بين الآلهة الرئيسية وصور على شكل إله ذى رأس الصقر وعبد في هليوبوليس.

ويتحدثون في بعض الأحيان عن قصر خاص للشمس في السماء مكانه في حقول «يارو»<sup>٢</sup> أو في المنطقة الباردة<sup>٣</sup>، ويطلقون على هذا القصر اسم «قاعة آتوم»<sup>٤</sup> أو «دار حوريس»<sup>٥</sup> ويعتبرونه بمثابة قصر حاكم العالم تتردد عليه الآلهة ليتلقوا الأوامر كما يبقون فيه حيث تقدم لهم الماء كل<sup>٦</sup> - تماما كما يحدث في بلاط ملك الأرض بالنسبة إلى رجالات الدولة. ويبقى علينا الآن أن نذكر صورة أخرى تخيلها المصري عن الشمس، وذلك بالنسبة إلى الاعتقاد القديم الذي يجعل من إله السماء معبودا له عينان متقدتان<sup>٧</sup>. ومن الغريب أن حوريس نفسه لم يذكر إلا نادرا على حين كثير الحديث عن «عينيه اللتين يحملهما ما في جبينه» وهما الشمس، وسميت عين الشمس، والقمر وسمى عين حوريس<sup>٨</sup>، وغالى المصري في نسج الأقاصيص المختلفة عنهما، مع أنها لامت بصلة معقولة بهما، ولكن المصري تعلق بها وردّها باطمئنان. وبطبيعة الحال ربط المصري بين هاتين العينين وبين جبين الإله الذي تصوره ككائن خطر لأنه يحرق أعداءه. ولما كان خيال المصري قد تصوّر فيما سبق أن الثعبان الذي يعلو جبين الإله «رع» يقوم بنفس الوظيفة<sup>٩</sup> لذلك نجد

Pyr. 1103, 1084, 1705 (١)

Pyr. 1180, 2035 (٣)

Pyr. 1984 (٢)

Harris I, 4, 11. وقارن عن قصر آتوم ماورد في بردية (٤) Pyr. 1984

Pyr. 1025, 1027 (٦)

Pyr. 1026, 1027 (٥)

(٧) وفي بعض الأحيان تصورها على أنها إلهة لسانها عينان، فارن Pyr. 823

(٨) ولقد حدث هنا أيضا خلط كبير فذكر عن عين حوريس أشياء لا تتعلق بها، بينما صلها كبيره

Pyr. 1568 (٩)

بعين الشمس.



قد ربط بين العينين وذلك الثعبان . ثم مادام هناك عينان ، إذاً يجب أن يكون هناك ثعبانان ، وقالوا في ذلك : « الإله له عينان على هيئة ثعبانين »<sup>١</sup> . ولكن الثعبان اعتبر عند المصرى بمثابة رمز القوة للملك ، وبما أن الملك يضع على رأسه تاجين : واحدا منهما يمثل الجنوب ، والآخر يمثل الشمال ، لذلك تساءل المصرى لماذا لا تقارن هذين التاجين بما لهما من قوة سحرية بالثعبانين ، بل وأيضاً بالعينين<sup>٢</sup> . ومن الغريب أن المصرى لم يكتف بكل هذه المقارنات بل اعتبر التاجين كإلهتين حاميتين للملك هما العقاب والثعبان اللذان اعتبرهما المصرى في مناسبة أخرى مساويين للثعبانين . وما دام الحال هكذا لماذا يتردد المصرى في مساواة هاتين الإلهتين الحاميتين للملك بعينى الشمس ؟ . وتطور الأمر وأصبحت عين الشمس كقلب يعطى لكثير من الآلهات الكبرى ، فثلا « حاتور » إله السماء منحت هذا القلب مع ملاحظة عدم وجود الصلة بينهما . وكنيجة للجمع بين العين والثعبان والتاج وعدة آلهات حدث اضطراب وخط عجيب في الديانة المصرية ، فثلا يقولون إن « رع » أرسل عينه لتقتل أعداءه<sup>٣</sup> أو أن الثعبان الذى يحمله رع فوق جبينه يغذى الملك الميت من ثديه<sup>٤</sup> . أو أن الإلهة الحامية لمصر العليا هى أيضاً التاج ثم عصابة الرأس للملك التى في واقع الأمر تمثل على هيئة العقاب هى أيضاً بقرة وحشية ، وكذلك يمثلونها على هيئة امرأة بثديين كبيرين بارزين يرضع منهما الملك<sup>٥</sup> . وهناك عدد آخر لا يحصى من هذه الأمثلة التى يجب ألا ننظر إليها بعين الجدل لأنها تمثل الازادات التى لم يعرها معظم المصريون أهمية كبرى ، ولا يجب علينا نحن أن نفكر فيها طويلاً .

ووجه المصرى - وحاله في ذلك حال كل الشعوب البدائية - أهمية كبرى نحو القمر وعين حوريس هذه كانت تصغر رويدا رويدا ثم لاتلبث أن تنمو بشكل عجيب حتى تكتمل ، ولا يمكن للخيال البسيط غير المعقد أن يفهم هذه

(١) Pyr. 1287, & also Totb. XVII, 7 . وفي بعض الأحيان كانت سفيتا الشمس


توصفان بذلك أيضا ، انظر Pyr. 198 A .

(٢) Pyr. 1795, 1832, & also 823, & Edfou, I, 406

(٣) قارن القصة المذكورة في الفصل الخامس من هذا الكتاب .

(٤) Pyr. 1108

(٥) Pyr. 729

الظاهرة إلا بأن هناك كائنا شريرا يعتدى على هذه العين فيجرحها ، ثم يسارع كائن آخر طيب فيعالجها . وكان هذا الإله العلو هو « سيت » ، وعداؤه لحوريس استمر مع مرور الزمن ، أما الإله الطيب فكان « تحوت » على شكل الطائر « إيبس » الذى أصبح فيما بعد هو نفسه إله القمر ، بل « الممثل الليلي لرع » الثور بين النجوم <sup>١</sup> ، وعين حوريس هذه أو كما سموها « الصحيحة » سوف يأتي ذكرها أكثر من مرة فوق صفحات هذا الكتاب ، وذلك لأنها لعبت دورا مهما في معتقدات المصريين دون أن نفهم السبب الذى أعطاهما كل هذه الأهمية ، بل تطرت وأصبحت تمثل رمزا مقدسا استعمله المصرى كتميمة  ملأت نماذجها متاحف العالم ، وهى فى هذه الحالة تسمى عين « أودجات » ، بل أكثر من هذا استعملت على نحو غريب لانستطيع أن نهمله فى هذه المناسبة : مادامت العين الصحيحة تمثل القمر الكامل ، رأى الموظفون القائمون على كبل الحبوب أن يقارنوا بين عين « أودجات » <sup>٢</sup> ووحدة الكيل الكاملة ، بل قسموا هذه الوحدة إلى أقسام مختلفة مثل النصف والرابع والثلث وغير ذلك ورمزوا لها بالأجزاء المختلفة لهذه العين فى كتاباتهم ، وهكذا نرى ظاهرة جديدة وهى استعمال العناصر الدينية البحتة فى أغراض يومية جافة .

وعرف المصرى عن النجوم أنها أيضا « تسبح فوق البهيم الموجود فى بطن نوت » <sup>٣</sup> وكانت إلهة السماء هذه تلدها من جديد فى كل ليل ، وفى الصباح تدخل هذه النجوم فى فم هذه الإلهة <sup>٤</sup> . وتنوعت النجوم ، فأحسنها كانت تلك التى سموها « التى لاتنعدم » أى النجوم التى تبقى دائما مرئية . وهناك نوع ثان سموه « التى لاتستريح » واعتبرت من النجوم الراقية نظرا لأنها مع التى سبقتها لها الحق فى أن تصاحب إله الشمس فى قاربه <sup>٥</sup> كما اعتبر نجم الصباح من النجوم المقربة لى إله الشمس « فهو الذى يحيى الإله فى الصباح » وهو أيضا « الذى يشرق بعد رع » <sup>٦</sup> ، وجعلوا من

Berl. Ægypt. Inschr. II, 40. (١)

Möller, A. Z. 48, 99 (٢)

Piohl, Inscr. III, 60 (٤) Pyr. 802 (٣)

Pyr. 2005 (٦) Pyr. 1171 (٥)

وظائف هذا النجم أن يغسل الشمس في الصباح<sup>١</sup> ، كما أنه كان النجم الوحيد الذي يقدم الطعام إلى الشمس<sup>٢</sup> . ولقبوه بهذه المناسبة « صاحب الخطوات الواسعة الذي يحضر كل يوم طعام الطريق إلى رع »<sup>٣</sup> . ولم يكن نصيب كل النجوم من الاحترام كنصيب تلك التي ذكرناها ، إذ كان هناك نجوم حقيرة سموها « المتعفة » أو « تلك التي تسقط على الأرض من السماء »<sup>٤</sup> . ولا غرابة في ذلك إذ لاحظ المصري كيف تسقط بعض النجوم من سمائه الوضاعة أثناء الليل المدهم<sup>٥</sup> . ومن هنا برزت الفكرة عن بعض النجوم أنها تحمل صوبلحانا تركز عليه<sup>٥</sup> .

ومن بين العدد الكبير من النجوم والبروج التي وصل ذكرها إلينا لانستطيع أن نحقق إلا القليل منها ، وإنا لنكتفي هنا بذكر نجمين منها كانت لهما بعض الأهمية عند المصريين ، وتبوّءا مكانا بارزا في ديانتهم . النجم الأول هو « سوتيس » الشعرى الإثمانية ( التي نسميها نحن النجم « Serius » أو نجم الكلب ) وعندما يظهر هذا النجم في آخر شهر يوليو في السماء صباحا يكون ذلك بمثابة البشير لوصول الفيضان . واعتبر هذا رمزا لبداية السنة الجديدة للمزروعات<sup>٦</sup> .

وكذلك لعب دورا كبيرا ذلك النجم المسمى باسم « ساح » ( صاحب الخطوات الواسعة ) الذي يمكن أن يكون هو النجم « Orion » وكان ظهوره بمثابة بشير لحصاد العنب<sup>٧</sup> والذي يوافق في مصر شهرى يونيو ويوليو ، أى بمعنى آخر يوافق أول العام الجديد . واعتبر هذان النجمان من بين الكائنات المقدسة ، وجعل المصريون منهما إلهين عظيمين . حدث هذا في ذلك الوقت كما سيأتى بالتفصيل في الفصل الرابع عشر عندما تحمّل المصري دنيا جديدة للموتى في السماء ، وترتب على ذلك أن أصبح ذلك الجيش العرمرم من النجوم يمثل الموتى الذين حمل كل منهم مصباحه وأخذ يتجول

(١) وذكر هنا على أنه يقوم مقام الشمس في الظهور في السماء كأحد الموتى . Pyr. 2042

(٢) Pyr. 2051

(٣) Pyr. 263

(٤) Pyr 2058

(٥) Pyr. 1456

(٦) Pyr. 965

(٧) Pyr. 1524, Pyr. 820

في السماء . أما نجم الجوزاء « Orion » فاعتبر إله الموتى : أى كأوزيريس <sup>١</sup> .  
وأصبحت الشعرى الإمانية هى زوجة أوريون ؛ أى لإيزيس ، وتم الحلقة بأن  
أفردوا مكانا بين هؤلاء لأحفاد إيزيس وهم « أولاد حوريس » <sup>٢</sup> .  
وليس فى استطاعتنا الآن أن نتحدث عن كل ما كانت تحويه السماء مثل  
« الدقة » <sup>٣</sup> وبقرات السماء <sup>٤</sup> « وثور السماء » وغير ذلك من بحار وجزر . وعلى كل  
فسوف نتحدث عن بعض هذا عند الكلام على رحلة السماء للموتى .

(١) Brugsch, Thesaurus, 85.

(٢) Pyr. 1092, L. D., III, 170, Totb. XVII, 42.

(٣) Totb, 148. وربما تخيل المصري السماء تدور كما تحرك السفينة دفنها .

(٤) Pyr. 550 وربما تفسر على أنها كانت سحب المطر .

## الفصل الثالث

### الآلهة العظمى لمصر

لقد تبين من حديثى السابق عن العالم وعن مظاهر الطبيعة التى ألهمها المصريون أن هذه الآلهة كانت تكون النطاق الخارجى للديانة المصرية التى إذا أردنا تفهمها فلا سبيل إلى ذلك إلا بالتعرف على آلهتها التى كانت تعبد فى المعابد وتقدم لها القرابين ويحتفل الناس بأعيادها . ولقد بلغ عدد هذه الآلهة الفعلية حدا خرافيا ، وامتزج بعضها ببعض ، إلا أنها لم تبلغ فى تنافرها وتعارضها ذلك الحد الذى بلغتته إلهة السماء أو إله الشمس . وكثيرا ما يحدث أن يتعذر على الشخص أن يفهم أى الآلهة يعنونه ، أيقصدون الإله « سوكاريس » أم « أوزوريس » ، هل هى الإلهة « ساخت » أم « باستت » ، أو هل هى الإلهة « حانخور » أم « إزيس » . وعلى ذلك أصبحت هناك أسماء وصور مختلفة تعنى إلهما واحدا<sup>١</sup> .

### آلهة منف وهليوبوليس

وسنبدأ الآن بتلك الآلهة التى عبدت فى ذلك الجزء من مصر الذى كان ولا يزال بمثابة المنطقة التى تتوسط وادى النيل والتي لعبت دورا كبيرا فى تطور الديانة المصرية القديمة . ونعنى بذلك المكان الذى تشغله الآن مدينة القاهرة ، والذى شغلته فيما سبق عاصمة البلاد منف ، ثم انتظم مدينة هليوبوليس القديمة المقدسة أيضا . وأهم آلهة منف الذى حاز شهرة كبيرة وقدسه معظم المصريين هو الإله « بتاح » والذى كان فى أحيان أخرى يسمى أيضا « تانن » ( صفحة ٣٠ ) وكان يمثل على شكل إنسان برأس عارية لا تحمل أية شارة خاصة ، واضعا يديه فوق

(١) تارن Pyr. 556 حيث يبدو أن هناك ثلاثا من الآلهة هن : إزيس ، ونفتيس ، وإلهة ثالثة يطلق عليهن اسم واحد .

صدره وتمسكا بصولحان . و نعتقد أن هذه الصورة ترجع في أصلها إلى عصور غابرة ولو أنها لاترينا مطلقا الأصل الذى يودّ المصرى أن يرجع هذه الصورة إليه . واعتقد المصريون أنه خالق الفنانين وصانع الفخاريين ١ وعلى ذلك فهو المثل الأعلى للفنانين وحامى هامهم ( سيدهم ) وسماه الإغريق باسم « هيفايستوس » . وعلى ذلك فقد كان فى اعتقادهم أنه هو الذى خلق الدنيا . ثم تطوّر هذا الاعتقاد فيما بعد ورأوا فيه ذلك المحيط « نون » الذى منه خرجت جميع المخلوقات ، فهو « أب لجميع الآلهة ، الإله العظيم صاحب البداية الأولى « أول من كان وأول إله فى الخليقة » ٢ . وبذلك كان هذا الإله بمثابة الإله الذى عاش عصورا لاحدا لها ، أو كما يقول المصرى القديم : احتفل بعدد لا يحصى من الأعياد الفضية . ومن أجل ذلك أصبح مثلا يتشبه به كلّ ملوك مصر الذين حكموها مددا طويلة .



٩ - بتاح فى مقصورته

وعبد فى منف إله آخر غير بتاح صوروه على شكل آدمى برأس

صقر وسمى « سوكاريس » واعتبر لها للموتى ، وكانت منطقته المقدسة تسمى « رستاو » أى باب الممرات ، ومن هذه التسمية نبتين بوضوح أنهم يقصدون الدنيا السفلى . إلا أن الظروف لعبت بمصير هذا الإله « سوكاريس » إذ اندمج فى جاره الكبير وأصبح يسمى « بتاح سوكاريس » ٣ . وبعد ذلك عندما أصبح أوزيريس هو إله الموتى الوحيد سمي « سوكاريس » باسم آخر « أوزيريس سوكاريس » وأحيانا أيضا « بتاح سوكاريس أوزيريس » .



١٠ - سوكاريس ( برلين ٧٢٩٩ ) أما الإلهة التى عبدها الناس فى منف فكان اسمها

(١) قارن Edfu II, 37

(٢) قارن L.D. III, 254 C; Harris I, 44,7; 44,4

(٣) كل منهما اعتبر كإله منفرد . قارن Urk. I, 81; Urk. IV, 12 ثم كإلهين متدجين ،

قارن مثلا Urk. I, 124

« بنحمت » وسوف يأتي الحديث عنها . وقبل أن ندع الحديث عن آلهة ممفيس ينبغي لنا أن نتحدث عن إله آخر صغير لا يمت بصلة إلى الآلهة الكبرى ، أي الإله « أبيس » العجل المقدس الذي احتفظ به المصريون في معبد بتاح دون أن يكون هناك علاقة ما ( على الأقل في العصور القديمة ) بين الإلهين <sup>١</sup> . ومن الملاحظ أن الجمع بين إله وبين حيوان مقدس في معبد واحد لم يكن كنتيجة لعقيدة ، بل كثيرا ما كان لمجرد صدفة ، ثم بعد ذلك يجمع بين الاثنين بشكل ديني بعد مرور حقب طويلة من الزمن وبعد أن يتعود الناس على ذلك ، ( أو بحكم العادة ) . ومن أجل ذلك لم يتمتع أبيس



١١ - أبيس

(برلين ٢٥٧٤)

في العصور القديمة بعبادة ذات طقوس معينة <sup>٢</sup> يقوم بها كهنة خصوصيون <sup>٣</sup> . أما في العصور الحديثة فقد تغير الحال وأصبح لهذا الحيوان المقدس عدد لا يحصى من الأتباع .

وفاقت المدينة المقدسة « أون » أهمية مدينة « منف » ، وهي التي تسمى أيضا « هليوبوليس » . وكان يعبد فيها منذ أقدم العصور الإله « رع » الذي كان بمثابة إله عبده كل

المصريين وأقاموا له معبدا ذا طابع خاص ؛ إذ لم يكن في هذا المعبد صورة لهذا الإله بل حوى قطعة من الحجر مقدسة تسمى « بن بن » توضع في فناء مكشوف . واعتقدوا أن الشمس يجب أن ترسل أشعتها الأولى على هذا الحجر . ولم يعثر على معبد واحد من هذه المعابد فقد اختفت كلها ، ولكننا نستطيع أن نتصورها إذا ما قارناها بمعابد الشمس التي شيدها ملوك الأسرة الخامسة على نبطها . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإتنا نعرف أن الناس أحيانا صوروا إله الشمس في هليوبوليس

(١) ولم يعتبر أبيس كروح للإله بتاح إلا في عصر الدولة الحديثة ، قارن Harris I, 44,9

Vatikan 127. ، وقارن كذلك Wilcken, Pholemaer Urkunden I, 18

و هناك اعتقاد آخر يجعل من أبيس ومن عجل هليوبوليس المسمى مئيس زسولين يقومان على تبليغ الرسائل إلى إلهيها وهذا الاعتقاد يرجع إلى عصر الدولة الحديثة أيضا (قارن 1148, 1916, Sitz.Ber.Berl.Ak.)

(٢) إن عادة « إطلاق العجل أبيس للجري » من بين الطقوس القديمة التي وردت على حجر بالرمو من عصر الأسرة الأولى ، ويحدث ذلك في الاحتفال الذي يبدو فيه الملك وبجانبه العجل أبيس ، قارن Sitz Ber. Berl. Ak. 1916, 1150 ، ولعل ما يسمى « احتفال أبيس » (Urk. I, 20) هو بعينه الاحتفال السالف الذكر .

(٣) وكانت مهمة « خدم أبيس والعجل الأبيض » هي القيام على خدمتهما والنهاية هما .





يبدأ من ضمه إلى معبد الشمس الذى أقامه فى تل العمارنة ، مع أنه لم يكن يتلاءم مطلقا مع الديانة الجديدة الناضجة التى نادى بها هذا الملك . وأحب أن أذكر هنا أن ما قلته عن الإله أيبس فى الصفحات السابقة ينطبق تماما على الإله منيفيس فى مصر . واعتبر العلماء الكهنة أن السمندل (Phönix) هو أزوريس<sup>١</sup> أو هو روح الإله « رع »<sup>٢</sup> ، وما نعرفه نحن عن هذا الطائر هو أنه ولد فوق شجرة فى معبد هليوبوليس<sup>٣</sup> ولعل هذه الشجرة المقدسة هى بعينها تلك الشجرة القديمة التى اعتاد آلهة مصر أن يكتبوا أسماء الملوك على أوراقها . وكان السمندل يلقب « سيد الأعياد الفضية »<sup>٤</sup> بمعنى ربّ الحقب الطويلة من الزمن . ولعل ذلك يفسره الاعتقاد عند الإغريق



١٣ - السمندل

القدماء بأن الـ (Phönix) لا يعود إلا بعد مدة طويلة من الزمن يقترونها أحيانا بـ ٥٠٠ عام ، وفى أحيان أخرى بـ ١٤٦١ سنة . وليس من شك فى أن هذا الطائر كان يُؤمن بين الأشياء التى يتعذر على الناس رؤيتها فى المعبد ونودّ أن نعتقد أن كل ما حاكه المصريون من قصص حول هذا الطائر يرجع إلى أصل بسيط ( ساذج ) لا يتعدى أكثر من أن طائرا من هذا النوع حطّ فوق الشجرة المقدسة فى المعبد وبني لنفسه عشا هناك . وربما كان وجود هذا الطائر راقدا فوق عشه لم يثر فضول الزائر الخلقى الذهن فى أول الأمر . ولعل الناس اعتادوا رؤية هذا الطائر سنين طوالا فوق الشجرة ، ثم حدث أن غاب هذا الطائر عن مكانه مدة طويلة أخرى . ولا بد أن المصرى كان قد رأى فى رجوع طائر من هذا النوع بعد مدة طويلة من الزمن إلى الشجرة المقدسة حادثا كبيرا يسترعى الانتباه ويدعو إلى الفرح والابتهاج . وهكذا يمكننا أن نعتبر أن كل الأشياء التى خرجت عن أصل

(١) تارن 14 - 13 Totb. ed. Naville 17,

(٢) تارن 2 Totb. ed. Nav. 29 B.

(٣) تارن 77 Metternich Stele وكذلك 18 - II, 18 Faijum Pap. ed. Pleyte I - II,

وهو كذلك كروح أزوريس يحط على الشجرة النابتة فوق مقبرته ( Wilkenson, III, 349 )

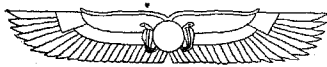
(٤) تارن 18 Faijum Pap. ed. Pleyte I - II,

مماثل ، لم يذكر الناس كيف نشأت ، بل اعتقدوا أن من الواجب نسبتها إلى قوّة كبيرة سماوية .

## آلهة حوريس

لم يكن إله الشمس حوريس الذى مثل برأس الصقر والذى تحدثنا عنه من بين آلهة هليوبوليس وسميناه « حور أختي » مشهورا وقويا في هذه المدينة شهرته وقوته في أماكن أخرى من مصر .

وكان الموطن الأصلي لحوريس هو الدلتا ، ومن هنا يودّ البعض أن يرى فيه الإله القومي للدلتا ، ويقابله في ذلك الدور الإله « ست » الإله القومي لمصر العليا . ويتمثل في هذين الإلهين حاكما مصر ، ولو أن حوريس وحده يعتبر هو الحاكم على مصر مجتمعة ، نظرا لأن البعض يرى أنه في وقت ما حكمت مصر السفلى مصر العليا . وما دام حوريس قد أصبح إلها للقطرين فمن الواجب أن تكون له في مصر العليا مدينة ، وكانت هذه المدينة تقع بالقرب من العاصمة وقتئذ وسميت « نخن » أو كما سماها الإغريق « هيرا كونبوليس » ؛ أى مدينة الصقر .



١٤ - إله الشمس في إدفو

وأقدم معبد لحوريس بنى في مدينة « بهدت » أو « بحدت » وهي دمنهور الحالية . ومن أجل ذلك سمي بهدتي أو بحدتي ؛ أى هو الذى من بحدت . وفي الوقت نفسه كانت هناك مدينة في مصر العليا سميت بالاسم ذاته وهي إدفو الحالية . وكان لها أيضا « حوريس بحدتي » أى هو الذى من بحدت ؛ أى هو الذى من إدفو . وكان هذا الإله يصوّر في إدفو على شكل الشمس المخبئة . وكما يبدو ليس هناك أى شبه بين

(١) ومن الواضح أنه ليس هناك من فرق بين حوريس وحور أختي ، ويؤكد ذلك النص الوارد في Pyr. 348

صورة هذا الإله وصورة حوريس الحقيقية . فكما قلنا صور إله إدفو على شكل قرص الشمس بجناحين كبيرين ذى ألوان مختلفة وصفا بأثهما الجناحان ذوا الريش المختلف الألوان التي تتمكن بهما الشمس أن تطوف السماء . ولا يزال المعبد الخاص بهذا الإله قائما حتى اليوم ومكتملا كما تركه ملوك العصر اليوناني الذين أرجعوا إليه عظمته وأعادوا بناءه . وصورة هذا الإله الخاص بإدفو نعرفها جيدا إذ نراها منقوشة فوق مداخل معابد مصر لأنها تعتبر حارسا يحول دون دخول الأشرار المعبد .

غير هذه الآلهة نجد هناك عددا كبيرا من الآلهة التي سميت بهذا الاسم يخص البعض منها إله الشمس أو نجم في السماء ، ومن هذه الحالة نستطيع أن نفهم هذه التسمية ، ويخص البعض الآخر أشياء أو معبودات لاتمت بعلاقة للإله حوريس ؛ وليس في وسعنا هنا أن نبحث كل اسم على حدة . وهناك حوريس آخر نال شهرة بين المصريين ؛ وهو ذلك الابن الذي فقد أباه أوزريس والمعروف باسم « حور سايزيس » — أى حوريس بن إيزيس الذي ورد اسمه في قصة أوزريس المشهورة والذي يجعل من يقرؤها يرثى له .

ثم هناك حوريس المحارب في مدينة « ليتوبوليس » وفي أماكن أخرى والذي كان يسمى حوريس الكبير<sup>٢</sup> مقابل حوريس الرضيع ( ابن إيزيس ) وليس من شك أنه لاعلاقة بين حوريس المسمى كنتشتاوى معبود أتريبس في الدلتا وبين حوريس سيودو ، وكلا الإلهين عبدا في شرق الدلتا في المنطقة التي كان يحترقها الطريق الموصل إلى فلسطين . وخلاصة القول أنه لم يكن هناك إله كبير لم يزد أن تأتبه الفرصة دون أن يغتنمها للتمثيل بحوريس أو التسمي باسمه .

(١) ويبدو ذلك واضحا من الأسماء المتعددة التي وردت بكثرة في نصوص الأهرامات ، قارت  
Pyr. 981 ff; 1084 ff.; 1132 ff.; 1478 ff.; 1207 ff.  
أربع تخص « حوريس » كإله الشمس ، ولا بد أن ترمز هذه الأوصاف إلى ساعات النهار المختلفة .  
(٢) قارت Kees, A. Z. 64, 106 عن « حوريس العجوز » (سمسو) .

## إلهات السماء

وكما كانت الحال مع الآلهة المسماة بحوريس نجد هنا أيضا الأمر نفسه مع آلهة السماء التي لم تحظ بعبادة منظمة منتشرة عندما كان اسمها « نوت »<sup>١</sup> . وعلى العكس من ذلك قد حظيت بأسمى درجات التقديس عندما سميت « حاتحور » . وهذا الاسم « بيت حوريس »<sup>٢</sup> يرجع في أصله إلى تلك النظرية القديمة الخاصة بالصقور حوريس الذي يخلق في السماء . على حين أن صورتها التي تمثلها بقرنى البقرة وأذنيها<sup>٣</sup> . وأحيانا تمثلها أيضا برأس بقرة كاملة<sup>٤</sup> فهي ترجع إلى العقيدة التي تصور السماء على شكل بقرة ، وفيها بعد أخذت هذه الآلهة تفقد رويدا رويدا مميزاتا الخاصة بإلهة السماء . ومن العسير أن نفهم السبب الذي من أجله مثلت بقرة السماء الشمس . أو كما يقول المصريون عين الشمس<sup>٥</sup> التي تحملها هذه الإلهة بين قرنيها ، وعلى هذا الأساس سميت حاتحور نفسها « بعين الشمس » وأصبحت هذه التسمية من بين ألقابها المشهورة . وبعد ذلك احتفظت حاتحور بالقليل من مميزاتا القديمة . وكان من بين هذا القليل أنها أصبحت سيده الإلهات كما احتفظت أيضا بدورها المهم الذي يجعل منها ذلك المكان الذي تختفي فيه شمس المساء ، وهذا هو السبب في أنها أصبحت إلهة الغرب التي تقف وراء جبل عال وتسمح للشمس وللموتى أن يدخلوا الدنيا السفلى . وكذلك جعل المصري من حاتحور إلهة للحب<sup>٦</sup> . وأصبحت الإلهة الطروب عند النساء وسميها بالذهب . وهذا هو الذي يجعلنا نفهم السبب الذي من أجله سماها الإغريق في العصور المتأخرة

(١) لقتورد من الدولة القديمة ذكر كاهن للإلهة نوت (Berl. Aeg. Inschr. I S. 92, Kairo 1431) ومن الدولة الوسطى (Berl. aeg. Inschr. I, S. 177) ومن العصر المتأخر (Louvre Serapeum 427)

(٢) بيت حوريس الموجود في السماء ، قارن Pyr. 1026

(٣) ونجب أن نلاحظ أن « نوت » ظهرت منذ عصور متقدمة بشكل نصف آدمي .

قارن Pyr. 1344 حيث يتحدث النص عن أن لها يدين وقرنين طويلين .

(٤) قارن Urk IV 235 ومثلت كذلك على شكل بقرة كاملة في المقصورة المحفورة في الصخر

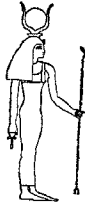
في معبد الدير البحري وهي ترضع الملكة الصغيرة .

(٥) قارن Pyr. 705

(٦) ظهر ذلك في عصر الدولة الحديثة في أغاني الحب .

بالإلهة « أفروديت » ، وقام النساء على خدمتها وأحيوا حفلاتها بالرقص والغناء والموسيقى .

وإذا كانت حاتحور بجانب هذا كله صورت على أنها إلهة حرب فيرجع ذلك إلى تسميتها بعين الشمس التي تحارب وتناضل أعداء الإله « رع » .



١٥ - حاتحور

ونظرا إلى أن حاتحور كانت إلهة مقربة إلى قلوب النساء لذلك كان لزاما عليها أن تصبح أما ذات طفل فأعطوها ولدا إلهيا هو « ايحي » الذي يجلس في حجرها ٢ . ولعل ذلك كان تشبها بحوريس الطفل ابن لميزيس . ومن الملاحظ أن « ايحي » هذا لم يتمتع مطلقا بتلك الشهرة الشعبية التي تمتع بها حوريس الطفل ، ومع ذلك فقد تمكنت حاتحور من أن تعوّض هذا النقص عند الشعب المصري بأن أصبح لها عدة أبناء انتشرت شهرتهم بين طبقات الشعب في العصور

التأخرة ، نقصد بذلك « الحاتحورات السبع » اللاتي كنّ مثل « ايحي » يدخلن السرور على قلب حاتحور الكبيرة بالموسيقى والرقص ٣ ، واللاتي كنّ يحمين الإنسان ويتبنّان بمستقبل كل مولود جديد ٤ .



١٦ - رأس حاتحور ( من أحد

تيجان الأعمدة من بوسطا )

وكانت مصر العليا الموطن الأصلي لحاتحور ، وسميت في أطفح « الأولى بين البقرات » . وهذبه التسمية ترجع بالطبع إلى ذلك الدور القديم الذي كانت تابعه في شكلها الحيواني المعروف . وإلى الجنوب من معبد بتاح في ممفيس عبادت حاتحور أخرى سميت أو لقتبت بسيدة الجميزة ٥ ، وربما كانت هذه الإلهة في أول الأمر ليست إلا شجرة مقدسة حاطها المصري القديم

(١) غالبا في عصر الدولة القديمة كما أن هناك لقب « كاهنة حاتحور في كل أمكنتها » قرآن

Rougé Inscr. Hiér. 64

Lacau, Textes Relig. P. 13, 132 (٢)

Mar. Dend. III 76 a; Chassinat, Mammisi 29, 33 (٣)

Berl. Med. Pap. 21, 8 (٤)

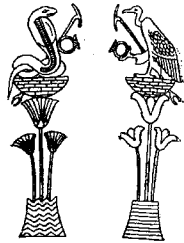
Erman, Aegypt. Litt. S. 210, 204 (٥)

كما هي الحال في مصر الحديثة بالكثير من عنايته واحترامه . وعلى كل حال لم تكن سيدة الجميزة في مركزها أكثر من إلهة شعبية انتشر نفوذها بين السيدات <sup>١</sup> .  
 وإذا تحدثنا اليوم عن « حاتور » فنتجه إلى معبدها الكبير الموجود في دندرة ،  
 الذي يعتبر مكان عبادتها ، ولو أن هذا المعبد يرجع إلى العصر اليوناني مثل معبد  
 إدفو وغيره من المعابد .

ولقد بلغ انتشار عبادة حاتور بين طبقات الشعب حدًا جعل المصريين يطلقون  
 اسم حاتور على كل إلهة أجنبية <sup>٢</sup> . واعتبرت الألهة « موت » كسيدة السماء أيضا ،  
 وقد عبدت هذه الإلهة في طيبة واسمها يعني الأم ، ولقد لقت في النقوش  
 التي ترجع إلى عصور متأخرة بلقب « أم الشمس » التي تشرق منها <sup>٣</sup> . أما الدور  
 العادي الذي تلعبه « موت » فقد كان مماثلا للإلهة « سخمت » إلهة الحرب .

ومن هنا أصبحت « موت » ترسم برأس أسد . وعندما أصبحت طيبة عاصمة

البلاد حظيت هذه الإلهة كزوجة لآمون إله الدولة بأسمى  
 درجات الشهرة والتقدير ، ومثلت على شكل ملكة  
 تزين رأسها بالتاج الذي كان يلبسه حكام هذه المدينة  
 ( قارن اللوحة رقم ١ ) . ومثلت هذه الإلهة كالعقاب .  
 يخلق في السماء <sup>٤</sup> . وليس من شك في أن المصريين  
 قارنوها في تلك الصورة بالإلهة « نخبت » التي تمثل  
 شكل العقاب والتي لم يكن لها اسم معين ، فهي لاتسمى  
 إلا التي تتبع « مدينة نخب » - وهي العاصمة القديمة  
 لمصر العليا . وعند ما أصبحت « موت » إلهة للعاصمة



١٧ - الإلهتان الحارستان  
 « بوتو ونخبت »

(١) قارن Urk. I, 80

(٢) قارن Urk. I, 126

(٣) قارن Aeg. Zeitschrift, 38, 124

(٤) ويكتب المصري كلمة « موت » بمعنى الأم بصورة « العقاب » وهي نفس الصورة التي ترمز

للإلهة « موت » .

اعتبروها حامية حكام هذه المدينة تحلق فوقهم وتدفع عنهم الشر<sup>١</sup> ، وفي الوقت نفسه نجد في مصر السفلى أن الملك في عاصمته كان يحتفى في إلهة أخرى اسمها « أوتو » أو كما سميت خطأ من الإغريق « بوتو » . وقد صورت هذه الإلهة الأخيرة على شكل ثعبان ، ومن هنا أتت العادة التي جعلت المصرى يصور هاتين الإلهتين الحاميتين للملك تارة على شكل ثعبانين ، وتارة أخرى على شكل عقابين . ولقد رأينا فيما سبق كيف أن هاتين الإلهتين اندمجتا أيضا في ذلك الخليط الكبير من الآلهة التي صورت على شكل ثعبانين أو عيون ، كما أنهما اندججتا في التيجان الملكية التي ألهمت عند المصريين وسميت باسم سيدات السحر<sup>٢</sup> .

ولإيزيس هي أشهر الإلهات المصرية نشأت أول الأمر في الدلتا<sup>٣</sup> ، ويبدو أنها ترجع في أصلها إلى إلهة سماوية<sup>٤</sup> ، وورد ذكرها في قصة أوزيريس ، ومنذ ذلك

الوقت فقدت طابعها هذا وبقيت محتفظة بصفتها كزوجة للإله وأوزيريس والأم الرعوم لحوريس . وبما أن ابنها كان يسمى باسم إله الشمس ، فهذا يدل على أن إيزيس في الأصل وفي وقت ما كانت تعتبر إلهة للنساء التي تلد الشمس مرة كل يوم .



١٨ - إيزيس تحمل فوق رأسها العلامة التي يكتب بها اسمها

أما الإلهة « نايث » الكبيرة التي كان موطنها الأصلي مدينة سايس (صالحجر) فقد كانت تلعب أدوارا مختلفة في الديانة المصرية . فمن المعروف أنها كانت تمثل إلهة الحرب ، فرمزها المعروف يتكوّن من قوسين ودرع . وإذا كان من بين ألقابها « التي تمهد

(١) وتقدم هذه الإلهة التي يطلق عليها أيضا اسم « البيضاء » ( أى التاج ) المساعدات لكل أم عند الوضع (فارتن Urk. IV, 225) ولقد سماها الإغريق Eileithya  
(٢) فارتن Erman, Hymnen an das Diadem, p. 11 وكذلك Pyr. 729, 823, 1795, 1832

(٣) من النص الوارد في Pyr. 309 نستدل على أن هذه الإلهة كانت تعتبر مساوية للإلهة « بوتو » .

(٤) ويمكن أن يفسر اسمها « مسكن » الشمس كما اقترح ذلك ماير

الطريق « فعنى ذلك كما يبدو من النصّ المصرى القديم أنها كانت تتقدم الملك فى المعركة الحربية <sup>١</sup> ، وفى الوقت نفسه كانت تزين رأسها بتاج الوجه البحرى ، أى أنها تعتبر ممثلة لهذه البلاد ، ولكنها كانت أيضا إلهة الفيضان التى تسكن شواطئ النيل حين ترقد التماسيح على شواطئه الطمبية ( الغرينية ) <sup>٢</sup> . ولأن المصرى كان يرى أن الكون هو المحيط الذى خرجت منه بقرة السماء لذلك سميت الإلهة نايت « بالبقرة » التى ولدت الشمس <sup>٣</sup> ، أو « الأم التى ولدت الشمس » التى ولدت لأول مرة عندما لم يولد أى شىء آخر <sup>٤</sup> . ومن الغريب أنها فى العصور القديمة عبدت من النساء كمحاجور ، فقمن على خدمتها وسمين بأسمائها <sup>٥</sup> .

### آلهة على شكل أسد

إن الإلهات الكثيرة التى ظهرت لنا برأس أسد أو لبوءة كانت فى الأصل كائنات مخيفة تبيد الأعداء ، ولما كانت مصر بلدا يسود فيها السلام فقدت هذه الكائنات رويدا رويدا صفاتها السالفة ، فثلا الإلهة « باخت » <sup>٦</sup> التى عبدت فى بنى حسن ، أو الإلهة « محيت » ربة تيس لم تكونا سوى إلهتين فى مناطقهن مثل جميع الإلهات الأخرى . فباخت كانت تسكن الصحراء الشرقية وتجول فى ودياتها ، وكانت هى التى تسيّر سيول المطر التى تحدث بعد العاصفة وتدفعها إلى الصحراء .

أما الإلهة « تفتت » فقد احتفظت فى قصتها بخصبها فى حين اتخذت لنفسها صفة أخرى فى علاقتها مع زوجها الإله « شو » الذى اعتبر عند قدماء المصريين — كما أسلفنا — إلهًا للهواء الذى يحمل السماء <sup>٧</sup> ( راجع صفحة ١٦ ) . أما كيف تزوج شو

(١) قارن Ed. Meyer, A.Z. 41, 105

(٢) قارن Lacau Textes Relig. p. 7

(٣) قارن Champ. Not. II, 28

(٤) قارن Brugsch Thes. 637

(٥) ولقد أطلق اسم هذه الإلهة على خمس عشرة زوجة من بين زوجات أحد ملوك الأسرة الأولى ، ولكن قد يلفظ الحسنيين عدا .

(٦) قارن Urk. IV, 386

(٧) ومعنى هذا الاسم هو « الفضاء » .



بتفتت وصور بصورتها فهذا ما لا نستطيع تعليقه . وعلى كل حال عبد الاثنان على شكل الأسد وزوجته في ليونتوبوليس Leontopolis في الدلتا . وشاركت تفتت زوجها في أعباء مهمته السلمية وعاونته في حمل الأثقال . ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الإله « شو » — كما سنرى ذلك فيما بعد — قد احتفظ لنفسه بمهمة أخرى في القصص



١٩ - سخمت

الإلهي وسمى من أجل ذلك باسم « أونوريس Onuris »

وهذه المهمة الجديدة جعلت منه إلها شعبيا حظى باحترام كبير وخاصة في عصر الدولة الحديثة .

أما الإلهة « سخمت » القوية التي عبدت في منف والتي مثلت على شكل لبوة فقد احتفظت بشخصيتها الخفيفة<sup>١</sup> . وكانت تعتبر إلهة المعارك الحربية . ونحن لانفهم تمثيلها بالصل الملكي الذي يبصق النار على الأعداء<sup>٢</sup> ، ولو أن ذلك قد ورد فعلا في النقوش المصرية .

٢٠ - باست  
(برلين ١١٣٥٤)

ومن الغريب أن الإلهة « سخمت » كانت تختلط في بعض الأحيان مع الإلهة « باست »<sup>٣</sup> ، والسبب في ذلك أن الفن المصري لم يكن يميز في وضوح بين رأس القطعة ورأس الأسد ، بينما صفات « باست » تختلف اختلافا تاما عن تلك التي اتصفت بها « سخمت » ، وكذلك شعر المصريون بهذا الاختلاف . وكانوا يتحدثون عن باستت كأنها شخص ودود . وعن سخمت كأنها شخص مخيف وعلى ذلك كانت باستت أقرب الآلهة إلى حانجور إذ اعتبرت إلهة المرح ، تقوم احتفالاتها على الرقص والموسيقى ، ويصوّرونها على شكل آدمي برأس قطة ، تحمل بإحدى يديها سستروم الراقصات

(١) تارن Lacau, Textes Relig. p. 101 واعتبرت كمنلة للملكية مصر العليا .

(٢) تارن Pap. Sallier III, 9,4

(٣) وقليل ما ظهرت باستت كحاربة ، تارن العبارة « مسكا بيده القوس كباستت »

(Karnak Ramses II nach abstrift Sethe)

« وفي اليد الأخرى صورة رأس الأسد الخاص بالإلهة « سخميت » وتبدل من ذراعها سلة صغيرة . ولعل صورة رأس « سخميت » التي تحملها في يدها تدل على أن هذه الرأس المخيفة توافق مزاجها . واسم هذه الإلهة لا يدل على معنى خاص ، بل يدل على أنها إلهة مدينة « باست »<sup>١</sup> .

وهناك إلهة أخرى ذكرت في القصص على أنها أخت إيزيس وهي « نففتيس » التي لانعرف شيئا عن أصلها ، ومعنى اسمها « سيدة المنزل » كما أننا نعرف عنها أنها تسمى أحيانا بإلهة الكتابة . وكذلك كان الحال في الغموض الذي يكتنف إلهة العقرب « سالكت » .



وإذا ما اختتمنا حديثنا بذكر تلك الإلهتين اللتين كانتا تسكنان جزر الشلال الأول وهما « ساتيس » و « أنوكيس » فنكون بذلك قد انتهينا من ذكراهم الإلهات الموثثة ، ولو أننا لم نذكرهن جميعا . وسنبداً الآن بذكر بعض الآلهة التي لعبت دورا كبيرا عند المصريين والتي لم نتعرض لها فيما أسلفنا من حديث .

٢١- نففتيس وهي تحمل فوق رأسها العلامة التي يكتب بها اسمها

## آلهة أخرى عظيمة

سنبداً بالإله « مين » الذي يستحق عناية خاصة . فهذا الإله الكبير الذي عبد في تلك المنطقة التي تقع بين إخم وقنط وبين طيبة وأرمنت ، ويمثل هذا الإله واقفا وقضيبه منتصب ، وعلى رأسه ترتفع ريشتان عاليتان ، رافعا ذراعه الأيمن وقابضا على السوط المثلث الفروع وكان يعتبر إله الإخصاب الذي يسرق النساء وسيد العذارى<sup>٢</sup> . وإذا كان هذا الإله قد أخصب أمه<sup>٣</sup> فإن هذه الصفة كان يتميز بها

(١) « بوباستس » كاسم أطلقه الإغريق على الإلهة والمدينة التي تقع حاليا في جنوب الدلتا بجوار الزقازيق

(٢) قارن 911 Brit. mus.

(٣) قارن L. D. III 162 ولأنه ورد في أناشيد الاحتفال فهذا يدل على قدمه . قارن

أيضا Edfu, ed. Rochem. I, 398



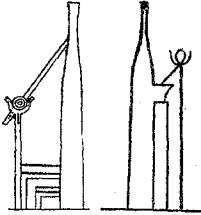
٢٢ - مين  
(برلين ٢٤٣٩)

في الأصل إله الشمس . وهكذا نجد باستمرار كيف أن الآلهة في مصر تتصف بصفات بعضها البعض ، وكيف يؤثر الواحد على مميزات الآخر .

وكان إله الإخصاب هذا أو كما سماه الإغريق « بان » Pan يعتبر أيضا إله الخصبوة الأرضية وتدل طقوس احتفاله الكبير على أنها كانت بمثابة شكر على محصول زراعى طيب . علاوة على هذا لقد اعتبر « مين » أيضا رب البلاد الأجنبية الشرقية ، وعبد في جميع الأماكن التي اقترب فيها النيل من البحر الأحمر في مصر العليا ، وحيث كانت طرق القوافل تخترقها إلى البلاد الشرقية وإلى المناطق الجنوبية . وكان لزاما على كل من يود اختراق هذه الطرق أن يتعبد للإله « مين » قبل أن يترك فقط لكي يحميه من القبائل المتبربرة (Troglodites) التي كانت تجوب هذه المناطق ، وهكذا أصبح هذا الإله ربا لصحراء الشرقية صاحب اللازورد والكحل والخضاب وسيد البلاد الأجنبية

طرا ، تفوح منه رائحة الطيب الزكية عندما يأتي من بلاد المازوى ، وهو صاحب المكان المرموق في بلاد النوبة<sup>١</sup> . ولقد عبده اليونانيون تحت اسم Pan Euhodos أى الإله الذى يساعد على رحلة طيبة . ويبدو أن هذه الصفات تميز بها « مين » منذ أقدم العصور . فتمثاله الذى عثر عليه بترى في أساس معبد فقط ويرجع إلى عصر مبكر جدا رسمت على حزامه أصداف وأفيال وجبال ، أى كل المظاهر التي يتعرف عليها المسافر في طريق فقط - البحر الأحمر . ومن الملاحظ أن لهذا الإله معبد قديم جدا بُنى عند مدخل الطريق الموصل للجبال ، والدليل على ذلك تلك الصورة التي اعتاد الفنان رسمها بجانب صورة التمثال والتي تمثل هيكل منحوتا في حفرة ذات قمة مدببة . ومن الملاحظ كذلك أنه من بين طقوس الاحتفال بالإله « مين » ظهور

أحد المتبريرين في الوقت الذي يتسلق آخرون من  
جنسه قوائم خشبية مرتفعة . ونميل إلى الاعتقاد بأن  
أفرادا من القبائل المجاورة التي كانت تسكن  
الصحراء كانت تشترك بطريقتها الخاصة في هذا  
الاحتفال <sup>١</sup> .



وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الإله « مين »  
كان يعبد في وقت ما بطيبة . والدليل على ذلك  
أن كثيرا ما نجد لها يشبه تمام الشبه ويعتبر لها  
للإخصاب وهو « كامينيس » ويقبب بـ « ثور  
أمه » ويبدو أن اسمه القديم قد هجر ، وذلك

٢٣ - مقصورة مين المنقورة في الصخر  
من أمام مدخلها سارى يعلوه قرنان بينهما  
الشمس . (حسب آثار الدولة الوسطى)

لأننا سوف ندرك مما سيأتى ذكره مستقبلا أنه بعد أن أصبحت  
مدينته عاصمة كبيرة للبلاد ، اضطرت أن يزوى ليحل مكانه  
إله جديد هو « أمون العظيم » الذى احتفظ ببعض صفات هذا  
الإله الذى سبقه ، ولو أنه في مجموعه يمثل لها آخر ذا صفات  
جديدة . وفي الوقت نفسه يسمع بين الحين والآخر لقبها من  
الألقاب التى تعيد ذكرى الإله الأول مثل « ذوالذراع العالية » أو  
الذى تنمو فوقه النباتات عالية مغطية جميع حقوله الجميلة <sup>٢</sup> .  
وسوف يأتى ذكر هذا الإله من حين لآخر على صفحات هذا  
الكتاب . أما الثور الأبيض الذى يمت بصلة إلى الإله مين فقد  
ترك ولم تصبح له علاقة مع الإله آمون في طيبة . ولو أن هذا  
الثور كان في العصور المتأخرة يعبد تحت اسم « بونخيس »  
في المناطق المجاورة مثل مدامود وأرمنت .



٢٤ - أمون ( انظر أيضا  
صورته في أول الكتاب )

(١) ولا يزال غامضا علينا السبب الذى من أجله وصف « مين » أنه ينشر الرعب في السنة التى يحضر  
فيها قارن 18 , Urk. IV,  
(٢) قارن 990 , Urk. IV,

وقد كان في استطاعتنا أن نتحدث طويلا عن إله آخر من آلهة طيبة وهو « مونتو » لولا أن بعض الدخلاء قد هدموا معبده في القرن التاسع عشر ليقيموا على أرضه مصنعا للسكر . وعلى ذلك فكل ما نعرفه عن هذا الإله<sup>١</sup> أنه كان يصور برأس الصقر وأنه كان إله الحرب ، وأن الملوك اتخذوه رمزا للانتصار في الحروب .

لقد سبق أن تحدثنا عن الإله العظم « ست » وقلنا عنه إنه يمثل معبود الوجه القبلي وأنه يمثل كائنا يخافه الناس ولا يحبونه . ولو أن هذا الإله لم يتصف بصفاته الكريهة التي اشتهر بها في العصور الحديثة والتي تميز بها بعد أن اشترك اشتراكا فعليا في قصة أوزيريس<sup>٢</sup> إلا أنه كان أيضا في أول الأمر معبودا يمثل العواصف<sup>٣</sup> . فهو الذي يعلو صريره في السماء<sup>٤</sup> ، وصوته هو الرعد<sup>٥</sup> ، وهو الذي يهز الأرض هزا<sup>٦</sup> . ثم بعد ذلك أصبح ذلك الكائن الذي يسلب القمر أى عين حوريس .



٢٥ - ست  
(برلين ١٣١٨)

وإذا كان ست يعتبر باستمرار العدو الأكبر لحوريس فإن في هذه العداوة مرآة تعكس بعض الذكريات التي ترجع إلى عصر كان فيه ملوك مصر السفلى يتحاربون تحت حماية إلههم حوريس مع ملوك مصر العليا الذين كان يحميهم الإله « ست » . ثم بعد ذلك أجمد القطران : فاعتقد الناس أيضا أن هذا الاتحاد كان معناه انتشار السلام بين الإلهين اللذين أصبحا بمثابة إلهي<sup>٧</sup> ( سيدي ) مصر . ويتبع ست مصر العليا<sup>٨</sup> « مديريات ست »<sup>٩</sup> . ويتبع حوريس مصر السفلى « مديريات حوريس » ،

(١) قارن Pyr. 1081 حيث يقال عنه إنه يصعد ثم يسير .

(٢) قارن Pyr. 832, 865

(٣) ويستعين المصري بصورته للتدليل على كلمة « عاصفة » .

(٤) Pyr. 1150

(٥) Math. Handb No 87b

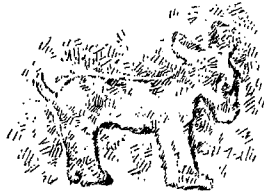
(٦) Pyr. 581, 1855

(٧) Pyr. 204 ff. ; 390,473, 683,850

(٨) Pyr. 204

(٩) Pyr. 487, 948, 2011

ولو أنه في الحقيقة ، كان حظ حوريس أحسن من حظ ست لأنه اعتبر في الواقع لها للدولة المتحدة ، على حين أن أخاه اخنفي قليلا ولم تصبح له أهمية <sup>١</sup> . ونتيجة لذلك مثل الملك الحيّ بحوريس ولم يحدث ذلك إلا في القليل النادر بالنسبة إلى « ست » <sup>٢</sup> ثم هناك لقب اختصت به الملكات اللاتي كنّ يلقبن « بالتى ترى حوريس وست » ولا يمكن أن نفسر هذا اللقب إلا بأن الإلهين قد احتفظا بزوجة ملكية واحدة . وأكثر من هذا فإنه يظهر بوضوح في الألقاب الملكية انتصار حوريس على ست ، واعتاد المصري إذا ما أراد أن يظهر انتصار الملك على أعدائه أن يصوره كصقر يقف فوق العلامة اهير وغليفية الخاصة بالذهب . وهذه العلامة بالذات تعتبر كمدلول للإله الخاص بمدينة « امبوس » : أى الإله ست . ومعنى هذا كله أن



٢٦ - حيوان الإله ست ا - كما ورد على شاهد قبر من الأسرة الأولى  
( برلين ١٥٤٨٤ )

ب - من الدولة القديمة . ج - من الدولة الحديثة .

(١) والمعنى في Ebers I, 13 يدل على أنه زميله فقط .  
(٢) وحدث ذلك فقط بالنسبة إلى الملك القديم « بر - ايب - سن » من الأسرة الثانية ولعل مرجع ذلك إلى أسباب سياسية (Royal Tombs II, XXI) أما خليفته فقد نسب إلى نفسه الإلهين ، كما أطلق على نفسه اخنا يدل على انبثاله للثقتين « حوريس وست » . ولم يحدث أن سمي ملك من بعده نفسه باسم ست .

حوريس يقف مزهواً بنصره على عدوه <sup>١</sup> . وأحياناً نجد أن الإله ست يعتبر رمزاً للقوة كحارب قوى <sup>٢</sup> — يعلم الملك كيف يستعمل القوس والنشاب . ثم كان هذا الإله أيضاً يتمثل بالإله « رع » فيحتفظ شعبان يقف بجانبه أثناء الحرب .

أما الحيوان الذى عبده الناس أول الأمر على أنه الإله ست فهو غريب جداً . فصورته لانعثر على مثيل لها بين الحيوانات التى تسكن أفريقيا . وإذا كان المصريون فى العصور المتأخرة قد اعتبروه حماراً فإن أقدم صورته تشبه فى الواقع هذا الحيوان <sup>٣</sup> . ومن المحتمل أنهم تمثلوا قصداً هذا الحيوان إلهاً للأعداء . واستبدلوا ذنبه فى بعض الأحيان بسهم رشقوه فى مؤخرته . وثمة شئ آخر يجدر ذكره فى شأن هذا الإله الغريب . فلو أنه هو اللون الأحمر ، وهو من الألوان المكروهة لدى المصريين . فقد كان أحمر اللون وعيناه حمراوتان <sup>٤</sup> ، وما كان يصنعه من أعمال شريرة إنما كان « أشياء حراء » <sup>٥</sup> . فإذا كان قد نسبت إليه مرة أعمالاً خضراء ( رمزاً للأعمال الطيبة ) <sup>٦</sup> فقد كان ذلك تلطفاً فى التعبير على نحو ماجرت به العادة فى المقابر القديمة ، إذ كان لا ينبغى لإزعاج الملك المتوفى فى قبره بعلامات أو صور غير سارة .

وإذا كان ست بتقدم الأزمنة يعتبر عدواً للخير ، فهناك إله آخر كان هو الصديق الوفى للآلهة وبنى الإنسان ، وهو الإله « تحوت » الذى عبد فى أول الأمر على شكل الطائر إيبيس ( أبى منجل ) فى الدلتا ، ثم بعد ذلك وجد لنفسه موطناً جديداً فى الأشمونين بمصر الوسطى ، واعتقد الناس فيه أنه إله القمر ، وأنه هو الذى يعيد

(١) وكتابة علامة الذهب تحت اسم الملك تدل أيضاً على نفس المعنى .

(٢) Pyr. 1145 .

(٣) بل فى بردية « إبيرس » نجد أن الكاتب قد استعمل صورة « ست » كخمس للحمار ، ولقد شاع هذا فى العصور المتأخرة ، فنلا نجد فى الكرنك ( باب العيد ) حوريس يطن حماراً أمام أوزيريس ، وكتب الأستاذ رودر مقالا : Roeder : A. Z. 50, 85 ff : يؤكد أن حيوان « ست » يعتبر من الحيوانات الخرافية فهو أقرب إلى الزرافة منه إلى الحمار .

(٤) Edfu, Düm. Geogr. Inschr. If, 87, 88 .

(٥) قارن مثلا Ebers, I, 14 .

(٦) قارن Pyr. 1595 .

هذا النجم إلى اكتماله بعد اختفائه ، أى يعيده ، فيصبح هو العين الكاملة لحوريس . وهو أيضا الذى يدير الوقت ( الزمن ) ويشرف على نظام العالم . ثم هو أيضا المحاسب و كاتب الآلهة . ومن هنا — كما سنرى ذلك فيما بعد — أصبح راعى كل أولئك الكتاب فى مصر وكان الكتاب موضع احترام الجميع . لذلك تجد اسمه مسطورا أيضا فى كل من قصتى « خلق العالم » و « أوزيريس » .



٢٧ - تحوت

ولا ندرى لم صوره الناس على صورة أخرى غير إيبيس هى صورة قرد مفكر ؛ ولعل ذلك يرجع إلى أن القرد كان يمثل إلها آخر اندمج فى الإله « تحوت » فيما بعد . وعلى كل حال لم يكن تحوت هو الوحيد الذى يعتبر إلها للقمر ، إذ أنه فى طيبة عبد الناس القمر تحت اسم الإله « خونسو » ومعناه الذى يجوب السماء <sup>١</sup> . وقد صورّه الناس كطفل آدمى ، ويرجع ذلك إلى أنه أصبح ابنا للآلهة المحلية التى تمثل السماء ، وهى « موت » ولكن « خونسو » لم يكن له ما لتحوت من الشهرة .

وما دمنا قد وصلنا فى كلامنا عن الآلهة العظيمة إلى النهاية ، فن الواجب أخيرا أن نذكر كلمة موجزة عن ذلك الإله أوزيريس الذى يراه بعض المؤرخين محور الديانة المصرية . فهو لم يكن إلها معظما فى أول الأمر ، ولكن قصته وعلاقته بالحياة والموت جعلته يحتل مكان الصدارة بين الآلهة فأصبح من أهم الآلهة المصرية . وسوف نتحدث عنه بإسهاب فى الفصل الخامس . ولو أننا نجد لزاما علينا أن نذكر فى هذه المناسبة بعض الصفات البارزة الخاصة بهذا الإله ذى المزايا العديدة ، وهل كانت تلك المميزات معروفة عنه فى عصوره الأولى ، أم أنها ظهرت وتكوّنت على أثر ظهور قصته المشهورة ؟ فالإله أوزيريس ينسب إليه كل التطورات التى تحدث على سطح الأرض طوال العام <sup>٢</sup> . فاذا ما أتى الفيضان فأوزيريس هو الماء الحديد <sup>٣</sup>

(١) لقد قصد فعلا أن يكون هذا هو المعنى لذلك الاسم ، قارن : Edfou, ed. Rochem. I, 269

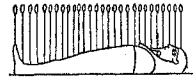
(٢) قارن 1<sup>2</sup> § 178 Ed. meyr, Geschichte وراجع أيضا 41, 109 Schafer, A. Z.

(٣) قارن 25; 589, 767. Pyr.





٢٨ - أوزيريس



٢٩ - من جثة أوزيريس ينزغ النبات

الذى يكسب الحقول خضرة . وإذا ماجفّ النبات وفنى ، فبغنى ذلك أن أوزيريس قد مات . ولكن موته هذا ليس أبدياً ، لأنه إذا ما نبتت البذور فى العام الجدي فإِنما نبتت من جسده الذى لا يزال على قيد الحياة ، فقد اعتقدوا أن الحياة تعود إليه بكل عام ، وبعودتها نبتت المزروعات يعيش بها الإنسان والحيوان <sup>١</sup> . وليس أدلّ على وجود هذه العقيدة عند المصريين من احتفالهم بأحد أعياد أوزيريس وتمثيله

( وقد عادت إليه الحياة ) ببذور نابته . وكانوا

يصوّرونه ميتاً مستلقياً على الأرض وقد ملأت

جسمه حبّوب ترطب بالماء فنبت وتنمو . وهكذا

تعود الحياة إلى الإله . ومن أجل الحياة والموت

اعتبر أوزيريس بعد ذلك إله الموتى وسيدنا لهم .

وهذه الصفة أبرز الصفات التى عرفت عنه ، ومن أجل ذلك أصبح فى العصور

التاريخية عند المصريين إله الموتى .

✓ ويجدر بنا أن نذكر هنا أن أوزيريس اعتبر إله القمر <sup>٢</sup> وذلك لأنه يخفى ثم يعود

مرة ثانية إلى الحياة ، بل أكثر من ذلك ممثّل عندهم الشمس الغاربة والمشرقة .

ولكن من الملاحظ أن كل هذه الصفات التى برزت فى العصور المتأخرة لم تبلغ

ما بلغتة الميزة الأولى التى أسلفناها ، فقد كان باستمرار بمثابة « الحبوب الجديدة » <sup>٣</sup>

طعام الإنسان <sup>٤</sup> ، ثم « المياه الجديدة » التى <sup>٥</sup> تكسب الأرض خصبها ، فهو الذى

يكسب الشباب بياهمه المتجددة . تخرج منه المياه <sup>٦</sup> بل تعتبر البحار والمحيطات

(١) Philae (3252) Eurgetes vor Osiris (١)

Pyr. 732 (٢)

(٣) ويطلق عليه اسم « نفرى » بمعنى « حبوب » وذلك فى مقبرة سبتيّ قارن . Sh: rp u. Bonomi 18, 5.

(٤) قارن 4 . Bibl. Nat. 20. Osiris hymn.

Pyr 589, 767 (٥)

Pyr. 848, 868 (٦)

دولته<sup>١</sup>. وكان يسمى «الكبير، الأخضر» لأن المصريين سموا البحار باسم «الأخضر الكبير» ثم أطلق عليه أيضاً «الأسود الكبير» لأن المصريين كانوا يسمون البحيرات المرة باسم «الأسود الكبير».

وكذلك اعتقد المصري أنه هو الحقول التي تطفو فوق مياه الفيضان إذا ما بدأت المياه تتحسر عن وجه الأرض وتصورها عائمة فوق الماء<sup>٢</sup>. ثم مثلوا أوزيريس بالأرض العائمة فوق صدر عدوة «ست» الذي يحمله، وفي العصور المتأخرة نجد أوزيريس الذي يحكم دنيا الأموات كأنه نائم تحت الأرض، والأرض من فوقه. والماء ينبع من قدميه<sup>٣</sup>.

وما أجل هذه الفقرات هي تلك التي كتبها مصري عاش في عصر الدولة الحديثة متحدثاً فيها عن بعض هذه الصفات فيقول:

«ترقد الأرض قاطبة، على أوزيريس الميت وتزلزل زلزالها إذا تحرك، ويجرى النيل من عرق أصابع يديه، يهب الناس (الحياة) من أنفاسه، وتنمو فوقه الأشجار والنباتات والحبوب وجميع الثمار. ويجثم فوقه كل ما تشيده يد الإنسان من قنوات ومنازل ومعابد وآثار ومقابر وغير ذلك من الأشياء العديدة التي ليس من اليسير تدوينها دون أن يئن أو يتضجر من العبء الذي يحمله»<sup>٤</sup>.

والمعروف حتى الآن أن موطن أوزيريس كان في مدينة «دو» التي سماها اليونان «بوزيريس» أي بيت أوزيريس. ومن هذه المدينة انتشرت عبادة هذا الإله إلى جميع أطراف البلاد، وزيادة على ذلك فإن هذه العبادة طردت معبودات كثيرة من مواطنها؛ ففي ممفيس مثلاً اندمج سوكاريس في أوزيريس، كما تغلب على الإله الأصلي في أبيدوس إله الموتى المسمى «أول أهل الغرب»<sup>٥</sup> والذي كان يرمز

(١) Pyr. 628 ff., 847, 1631

(٢) Pyr. 388

(٣) قارن Mar. Dend. III, 35 أيضاً Edfu I, 567, Dum. Geogr. Inschr. III, 18

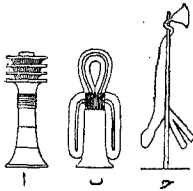
(٤) قارن Erman, Litt. S. 376

(٥) قارن Petrie, Royal Tombs أيضاً Pyr. 745, 1833, 2198

وكتب عن ذلك أيضاً Ed. Meyer, A. Z. 41, 67 ff.

إليه ويعبد على شكل ابن أوى . ويبدو أن هذا حديث إبان عصر الدولة القديمة : (أى حوالى ٣٠٠٠ ق . م ) ومنذ ذلك العصر أصبحت أيبيلوس أهم المدن التى تعتبر المركز الرئيسى لعبادة أوزيريس . ويبدو أن أوزيريس منذ اعتبر مائكا للموتى أصبح يصور على هيئة م ; بمعنى أنه مادام ميتا فيجب أن يكون مومياء فى أربطتها ، ولكنه ربما عاد ودبت فيه الحياة مرة أخرى لذلك صبغوا وجهه باللون الأخضر ، ووضعوا فوق رأسه التاج وفى يديه عصا الحكم والصولجان .

أما فى عاصمته الشمالية « ددو » ( فى الدلتا ) فقد صور على شكل آخر ليس بالآدمى ، وليس فى استطاعتنا أن نفسر هذا الشكل فإنه كان يمثل عامودا ثقيلاً قمته



العليا مقسمة إلى أقسام<sup>١</sup> . وكانوا يحتفلون فى عيد هذا الإله بإقامة ذلك العمود ، وربما كان قصدهم من ذلك أن يثيروا إلى أن الحياة قد دبت فى الإله مرة أخرى . وهذا الرمز يسمى عامود « دد » من أقدس الرموز عند المصريين ، وأصبح يدل فى الكتابة المصرية على معنى الاستمرار ( البقاء ) ولعل ذلك كان لاعتقادهم بأن الإله ولو أنه ميت

٣٠- رموز أوزيريس وإيزيس وأنوبيس  
إلا أنه باق . ومن المعروف أن المصريين قد أضافوا إلى رمز أوزيريس هذا رمزين آخرين : الأول لزوجته إيزيس ، والآخر لصديقه أنوبيس ولقد اشتهر المصريون بحبهم العظيم لمثل هذه الإضافات التى لم يفهم لها من سبب .

### آلهة الموتى .

إذا كان أوزيريس قد ظهر لنا كإله للموتى عند المصريين أجمعين ، فمن الصعب علينا أن نعتقد أن هذه الصفة لازمته منذ أول العصور . لأن موتى كل مدينة يرقدون

(١) شرحها بعض الناس على أنها جزع شجرة ، والبعض الآخر يرى فيها مجموعة من سيقان نباتات ( تارن Schäfer, in der Fest Schriften von Griffith ) وعلى كل حال فن الواضح أنها شيء ثقيل كبير الحجم يحتاج الناس لرفعه فى الهواء إلى جبال سميكة .

مجتمعين في جبانة واحدة تقع بالقرب من هذه المدينة . ولا بد أنهم كانوا تحت رعاية إله محلي خاص بهذه الجبانة<sup>١</sup> . وغالبا ما تأخذ مثل هذه الآلهة المحلية للموتى شكل ابن آوى ، أى الحيوان الذى يجوب المناطق الصحراوية ليلا حيث تقع هذه المقابر باحثا عن فريسة (طعام) . وهذا هو الشكل (الرمز) الذى اتخذهُ سيدُ أهل الغرب<sup>٢</sup> (أى الموتى) ، ولو أن أوزيريس فى أيدوس قد انتزع هذه الصفة لنفسه ، وأنوبيس الذى كان يرمز له بابن آوى والذى كان لها للدفن منذ عصور الدولة القديمة<sup>٣</sup> وصل إلى مكانته هذه لأنه ذكر فى قصة أوزيريس ، ولأن جميع الآلهة الذين ورد ذكرهم فى هذه القصة ظهروا فى الصورة الآدمية ، نجد أنوبيس أيضا قد صورَ بهذا الشكل ، ولكن الرأس فقط هى التى كانت تمثل ابن آوى . وكان موطنه الحقيقى على الأرجح مصر الوسطى .

وظهر فى نفس المنطقة إله آخر على شكل ابن آوى وهو «أوب وات» ، وعلى وجه التحقيق ظهر اثنان من «أوب وات» يشبهان كل الشبه «أنوبيس» ولا يختلفان عنه إلا فى أمر واحد ، وهو أن «أنوبيس» يصور كحيوان قابع (ومن أجل هذا يسمى «الذى يرقد على بطنه» ) . بينما يمثل الـ «أوب وات» وهو يسعى فوق أرجله . وربما كان هناك اختلاف آخر بينهما ، نظرا لأن اليونان الذين عرفوا المصريين فى ذلك الوقت أكثر منا ، يقسمون ما نسميه ابن آوى إلى نوعين : الأول أنوبيس ويعرفونه بأنه كلب ، و «أوب وات» بأنه ذئب ، ولقد لعب الإلهان الـ «أوب وات» دورا فى قصة أوزيريس ، فكانا كما يدل اسمهما «فاتحى الطريق» زميلا أوزيريس



٣١ - أنوبيس

(١) كان وفى أول الأمر هذا هو رأى ماسير .

(٢) فارن 220 ، Pyr. ، وراجع أيضا Ed. Meyer, A. Z. 41, 97 ff.

(٣) Urk. I, 120; 123



٣٢- أوب وات  
( نقش من أبو  
جراب في برلين )

في كفافه ، يتقدمانه في المعركة ، ومن أجل ذلك نجد أحيانا أن هذين الإهين قد صوّرا ومع كل منهما دبوس حربي وقوس . ولقد ورد من بين ألقابهما « المتسلحان بالسهام . . . المنتصران . . . القويان فوق جميع الآلهة » والذنان تغلبا على مصر في موقعة النصر الحاسم . ومن أجل هذا نشأت العادة في العصور المتأخرة أن يتقدم الملك رجل يحمل شارة تمثل الإله « أوب وات » الذي يعبد الطريق له بين الأعداء .

### الكباش والتيوس

إن نفس الالتباس الذي وقع بين الآلهة التي مثلت على شكل ابن آوى وقع أيضا فيما يتعلق بالآلهة التي نعتقد أنها مثلت على شكل الكباش، ونحن لانستطيع أن نفرّق بينها إلا في حالتين : الأولى الخاصة بالحيوانات المقدسة للإله آمون في طيبة التي تتميز بقرون ملتوية إلى أسفل ومستندة إلى الرأس ، والنوع الثاني الذي يتميز بقرون أفقية تمتد في انحناءات متعددة فوق الرأس . وكان اليونان أنفسهم يقسمون هذا النوع الأخير قسمين : أولهما الكباش ، والثاني التيس . ونحسن صنعا لو أننا أخذنا بهذا التقسيم . وأهم الآلهة التي مثلت على شكل الكباش هو الإله « حور سافس » معبود مدينة هرقليوبوليس الواقعة حاليا بالقرب من أهناسيا ، والذي أراد عبّاده أن يجعلوا منه في العصور المتأخرة إلها للعالم ، عيناه الشمس والقمر ويخرج من أنفه الهواء ٢ . وكان اسمه « الكائن فوق البحيرة » . ومن هذه التسمية نستدل على أن معبده كان يقع عند المدخل الموصل إلى أرض بحيرة القيوم . وتتصف الآلهة الأخرى التي لها شكل الكباش والتي تحمل اسم خنوم بصفات مختلفة، فأحيانا يعتقد البعض أن خنوم

(١) تارن 232 - 233 Sicut I, 232 ولا ندرى سببا لماذا أطلق الإغريق على « أوب وات »

اسم Makedon تارن 18 Diodor, I

(٢) تارن 3 Urk. II,

هو الإله الذى يخلق ويكوّن، مثله فى ذلك مثل الإله بتاح إله ممفيس . فخنوم يعمل عمل  
الفخارى فيجلس إلى دولابه<sup>١</sup> يخلق البشر ، وكل طفل يولد  
هو من صنع يديه يتقدّم بالشكر له على خلق أعضائه السليمة<sup>٢</sup>  
ويسكن الإله خنوم ومعه آلهة كثيرة تحمل هذا الاسم جزيرة  
الفتنين<sup>٣</sup> ، واعتبروا هناك بمثابة أسباد (أصحاب) المياه الباردة<sup>٤</sup>  
التي تنبع من هذا المكان ، وهى عقيدة قديمة ترجع إلى أول  
العصور . ويبدو لنا أن أتباع هذا الإله كانوا فى أول الأمر  
مستوطنين للحدود المصرية الجنوبية ، وهم الذين أعطوا هذه  
الصفات لإلههم هذا المحلى .



٣٣ - خنوم

أما التيوس فقد كانت فى شمال مصر ، فنلا التيس الذى عبّيد فى منديس اعتبر  
معبودا امتدّ تقديسه حتى العصر اليونانى . وبما تجدر ملاحظته مع هذا النوع من  
الآلهة أنها لم تكن مثل الحيوانات المقدسة الأخرى التي تسمت بأسماء خاصة ، بل  
اكتفى المصرى بأن أطلق عليها اسم التيس<sup>٥</sup> ولم يحدث أن صورت على شكل آدمى .  
وربما يمكن أن نعلل هذه الظاهرة بأن الشعب بالنسبة إلى هذا النوع من المعبودات  
لم يسمح بتطور أشكالها ، بل أبقاها كما عرفها منذ أقدم العصور . وسوف نتحدث  
عن الأدوار المهمة التي لعبتها هذه الآلهة فى الديانة المصرية .

### الآلهة على شكل التمساح

وهناك إله يجدر بنا أن ننوه عنه بليجاز سمي باسم « سوبك » وهو التمساح الذى  
ظهر كعبود محلى فى مناطق مختلفة حاملا نفس الاسم والشكل . فعبد فى مدينة

L. D. IV, 70 ff. (١)

Pap. westcar 10,2. (٢)

Urk, I, 69 (٣)

Urk. I, 110, 111 (٤)

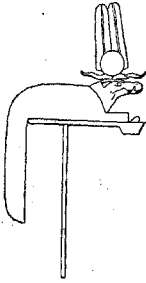
Ed. Meyer, I 2<sup>3</sup>, 178 (٥)



٣٤ - سوبك

سبايس حيث « يعطى الحياة للنباتات فوق الشاطئ »<sup>١</sup> واعتبر هناك ابن إلهة المياه « نابت<sup>٢</sup> العظيمة » يضحك عندما يأتي الفيضان<sup>٣</sup> ، ولم يحجل الفنان من أن يصور هذه الإلهة ترضع تمساحا من كل من الثديها .

وأهم مكان انتشرت فيه عبادة « سوبك » كان أرض البحيرة في الفيوم ، ثم في مدينة أمبوس الجنوبية ، إذ اعتاد الناس الاحتفال هناك بظهور الفيضان كل عام ، ومن هذا نرى أنه كان إله الماء . وقد عثر على صورة له قديمة لا ترتبط بأي مكان في مصر تمثله في محراب صغير<sup>٤</sup> فوق شاطئ رملي كمعبود مقدس في كل مكان من وادي النيل ، وإذا كنا نرى

٣٥ - سوبك من معبده في الفيوم  
- برلين ١٦٩٥٣ .

أن قدسية هذا الحيوان المقترس بلغت حدا جعلت المصري أحيانا يلقبه بصاحب الوجه الجميل<sup>٥</sup> فليس من شك أن السبب الحقيقي لمنهذه العبادة يرجع إلى الخوف منه والرعب الذي يشيعه في نفوس أهل شاطئ النيل .

### الثعابين وآلهة صغرى أخرى

وكان الخوف والرعب أيضا هما العاملان اللذان دفعا المصريين إلى تقديس كائنات مرعبة مؤذية أخرى مثل العقرب والحشرة السامة الكبيرة ذات الألف قدم ، ثم أخطر الثعابين السامة المعروفة باسم « الناشر » .

(١) قارن Pyr. 507, 510 ويجدر بنا أن نلاحظ بأن المصري اعتاد رؤية التماسيح بمتلقاة فوق الشاطئ<sup>٥</sup> فاعتقد أنها تكسبه الحصب .

(٢) Pyr. 510

(٣) قارن Erman, Litt. S. 195 عن أنشودة النيل .

(٤) قارن Relief aus dem Sonnenfempel von Abu Gurab in Berlin

(٥) قارن Morgan, Ombos I, 78, 627 c

فالعقرب هي الإلهة الكبيرة « سلكت » . أما الحشرة ذات الألف قدم فقد عبت في هليوبوليس تحت اسم الإله « سبا » . أما الثعبان السام فقد عبت في شكلين مختلفين كما عرفنا ذلك من قبل : أولهما هي الإلهة « بوتو » حامية ملك مصر ، والثاني هو البصل حامي إله الشمس وزميله . وانتشرت الثعابين المقدسة في مصر إلى درجة أنه في العصور القديمة أصبح اسم كل إله يخصص برسم ثعبان مثل الصقر الذي اعتبر مخصصا لكلمة الإله ( في الكتابة المصرية القديمة ) بل أكثر من ذلك صوّرت الإلهة الصغيرة الطيبة « رنن أوت » إلهة الحصاد على شكل ثعبان<sup>١</sup> . ثم بعد ذلك أصبحت العادة تتحم أن يحوى كل معبد نموذجا حيا من هذه الثعابين . وعلى كل حال فقد كانت كل مديرية تحتفظ بعدد كبير من الحيوانات والأشياء التي لم تعتبر آلهة ، ولكنها كانت ذات صفة إلهية . فمثلا مدينة هليوبوليس قدست غير الآلهة التي سبق أن ذكرناها حيوان النمس الذي تشكل آتوم بشكله عند ما بدأ العراك بينه وبين أبوفيس<sup>٢</sup> . وفي غير ذلك من المدن المصرية قدّس الناس أنواعا مختلفة مثل الأسماك والطيور والفئران والأشجار وغير ذلك ، ولو أن الصور التي تظهر لنا على جدران المعابد ، والتي تمثل الديانة القديمة لم تظهر لنا شيئا من هذا النوع من المعبودات الدنيا إلا أننا لانشك<sup>٣</sup> مطلقا في أن هذه المعبودات كانت منتشرة بين أفراد الشعب .

وسوف نتحدث عن بعض هذه الآلهة الصغيرة مثل « بس » و « تويريس » عند الكلام على الآلهة الشعبية في عصر الدولة الحديثة . وما تجدر ملاحظته أنه كلما طال الزمن على الديانة المصرية وامتدّ بها الدهر كلما سمحت الظروف لهذه المعبودات الدنيا أن تسرّب إلى المعابد وأن تجدها مكانا مزويا بين آلهة الديانة الرسمية .

وكثيرا ما اعتبرت هذه الآلهة الصغرى كساعدين للكبرى ، فمثلا « آيس » و « منيفيس » ( راجع صفحة ٣١ ، ٣٢ ) و « مافيديت »<sup>٣</sup> المرعبة التي ظهرت منذ أقدم العصور ، وكذلك « أوب وات » الذي سبق الحديث عنه ، كلها تعتبر من هذا

(١) وكانت قديما تعتبر أيضا إلهة النسيج ، قارن Pyr. 1755, 1794

(٢) قارن A. Z. 63, 50 وراجع أيضا Daressy, Ann. du Serv. 18, 116

(٣) قارن Griffith in Royal Tombs II, 50



النوع من الآلهة . وكذلك أوزيريس ربّ الموتى كانت له رسل<sup>١</sup> يرسلها من عالمه .  
الثاني إلى الناس لكي يعلنونهم بالموت .

ولا نشكّ مطلقاً في أن هذه القائمة الطويلة من المعبودات المختلفة التي وصلنا هنا إلى آخرها سوف تترك في نفس القارئ فكرة عن ذلك الخلط الذي لاحدّ له . وهذا الالتباس هو في الحقيقة مبالغ فيه ، إذ أننا هنا نحاول أن نشرح دنيا قديمة امتدّ به التطور طوال آلاف السنين ، والصورة التي نحاول أن نعطيها هي لعصور يتميز كل منها بحضارة مختلفة ؛ بل نشأت كل من هذه الحضارات في منطقة مختلفة . ولقد بقيت بعض هذه الحضارات، دون تغيير بينما نحاول البعض أن يغير من هذه الحضارات بضم حضارتى منطقتين بعضهما إلى البعض الآخر ، فكان أن أزداد ذلك في عدم وضوح الحضارتين ، أو قل عدم فهمنا نحن لهما .

وليس من السهل علينا أن نعين في إسهاب متى وكيف حدث هذا التطور ، ولو أننا نعرف العوامل القوية التي أثرت على الدين وغيرت من أصوله ، وما دمننا نتبع بوضوح هذا التطور في العصور التاريخية فليس من شكّ أن هذه العوامل بعينها أحدثت نفس الأثر على الدين إبان عصور فجر التاريخ ، وسوف نتحدث في الفصول القادمة عن هذه العوامل وأثر الأحداث الخارجية على التاريخ والأثر الذي نتج عن المحاولات التي قام بها رجال الكهنوت في نسج القصص الدينية .

(١) ويظهر ذلك جلياً في قصة حوريس وست Horus und Seth, 15,5 ff. Gard. J.E.A.IX, 12 وكذلك Pap. Smith 18, 12 ، وراجع أيضاً Totb. 29, I; Totb. 125, Einleitung 16 وكذلك Bauer; nach Pap. 3023, 119 حيث وصف أنه رسول الإله التمساح .

## الفصل الرابع

### تتبع التطورات التي حدثت للديانة المصرية

إن الأحداث الكثيرة التي استهدف لها الشعب المصرى طوال تاريخه الممتد لا بد وأن أثرت هي الأخرى على ديانته . إن مصر كانت دولة متحدة قوية ، ثم اضمحلت وانقسمت إلى إقطاعات ، وانزوت أسرات ملكية ، وحل محلها بيوتات أخرى اختارت لنفسها عواصم أخرى . وحدثت تلك الثورة الجارحة التي هزّت مصر هذا وقتل الأوصاع فيها قلبا ، فغزتها أمم متبربرة ، ثم ما لبثت مصر أن غزت هي بدورها أما أجنبية . كل هذه الأحداث أثرت على الديانة المصرية ، سواء في مظاهرها الخارجية أو في أحاسيس الأفراد . ومما يؤسف له أننا نتصور كل هذه الأشياء ولا نتلمسها ، ونراها واضحة حية إلا في حالة واحدة ألا وهي الإصلاحات التي قام بها أمونفيس الرابع . وسوف نكتفى بالحديث عن هذه الأحداث التاريخية في حينها ، ولكننا نودّ هنا أن نتعرّض للتغيرات التي أخذت تدخل الديانة المصرية دون تأثيرات خارجية .

وإذا وجد في مدينة واحدة معبودات عديدة تحظى بتقديس الناس فليس من شك أن هؤلاء لابد وأن يتصوروا وجود علاقة ما بين هذه المعبودات . فإذا كانت إلهاتها إلهة كبيرة والآخر معبودا صغيرا فلا مندوحة هناك من أن يعتقد الناس أن الإلهة هي الأم والمعبود هو الابن ، ففي طيبة أصبح خنسو ابنا للإلهة « موت » ، وفي دنندرة أصبح « ابجي » ابنا لخاتحور يجلس على حجرها<sup>1</sup> ، وفي سايس اضطرت « نابت » أن تقبل تمساحا « الإله سوبك » ابنا لها . وإذا حدث أن كان في نفس المدينة إله آخر كبير يحظى بتقديس الناس فليس من بد أن يكون هو الزوج والأب أيضا . وهكذا أصبح آمون زوجا للإلهة « موت » وأبا لخنسو ، واتخذ بتاح معبود

(١) Lacau, Text. Relig. S. 133

مفيس من ساخت « التي كانت رأسها على شكل رأس الأسد » حبيبة له ، وأصبح ابنه ذلك المعبود الصغير « نفر - تم » الذي لم يكن سوى زهرة . ونجد أمثلة كثيرة لهذه الأسرات الإلهية منتشرة في كل مكان ، وأشهرها هي عائلة أوزيريس التي سنتحدث عنها عند الكلام عن قصته .



٣٦ - الإله نفرتم  
(برلين ١١٠١)

وإذا حدث أن اتحدت آلهة بعضها مع بعضها الآخر دون أن يربط بينها أى رابط ، فهناك حالات أخرى يندمج فيها إله في إله آخر مجاور لشهرته ويفقد بذلك كيانه المستقل ، فمثلا « سوكاريس » إله الموتى في مفيس لم يكن إبان عصر الدولة القديمة إلا بمثابة اسم آخر « لبتاح » يدل على صورة معينة من صور « بتاح » فأصبح « بتاح سوكاريس » بل أكثر من ذلك قد أدمجه الناس في إله آخر أجمع المصريون على تقديسه ألا وهو « أوزيريس » ، فكانت النتيجة أن تكون من ذلك إله اسمه « بتاح - سوكاريس - أوزيريس » ونرى بوضوح من هذا المثل أن الاندماج لا يحدث غالبا بأن يسلط إله قوى على جاره الضعيف ، بل يمكن جدا أن

يكون الإله المتغلب من الذين أصبحوا - لأمر ما - محبوبين بين الشعب ، ويكاد يكون هذا هو السبب في معظم الحالات ، وكثيرا ما يحدث أن يفقد الإله القديم اسمه ويبدو ذلك هو السبب في وجود آلهة مختلفة سميت باسم واحد مثل حوريس وحاتور . ولو أننا لانستطيع إثبات ذلك . ومن الأمثلة التي تضرب لهذا النوع من الآلهة اللدخيلة هو الإله « أونوريس » ويعنى اسمه « ذلك الذى يحضر البعيد » . وترجع نشأة هذا الإله إلى قصة « عين الشمس » ثم نجده بعد ذلك قد ثبت أقدامه في كثير من الأماكن . وحل محل إله الهواء « شو » . وهناك مثل آخر لذلك وهي إيزيس زوجة أوزيريس التي أدمج الناس فيها منذ عصور مبكرة إلهات مختلفة . فسميت مثلا « سيدة بوتو »

كما لو كانت هي بمثابة الإلهة الأصلية على شكل الثعبان<sup>١</sup> .  
ومن الحالات التي كان لها نتائج خطيرة اندماج عدد كبير من الآلهة في إله الشمس . وأول إله اندمج فيه هو « آتوم » إله هليوبوليس القديم كما ذكرنا ذلك فيما سبق ، وسوف نعود إلى ذلك في مناسبات عدة على صفحات هذا الكتاب .  
ولقد أخذت عبادة الشمس تنتشر منذ عصر الدولة القديمة ، ولعل السبب في ذلك أن ملوك الأسرة الخامسة الذين حكموا مصر من عام ٢٥٦٠ إلى ٢٤٢٠ ق . م ينتمون إلى كهنة هذا الإله ؛ فأصبح هذا المعبود أكثر المعبودات تقديسا عندهم . وعلى كل حال نلاحظ مدى الألف السنة التالية كيف أن الناس قد أضافوا في كل مكان اسم « رع » ( الشمس ) على أسماء الآلهة القديمة ، وهكذا أرادوا أن يضيفوا على الآلهة « سوبك - رع » و « مونت - رع » و « خنوم - رع » وغير ذلك نصيبا من القوة التي تمتع بها إله الشمس الذي كان يتصرف في مقادير العالم أجمع ، ولو أنها في حقيقتها لم تزد عن تلك المعبودات التي يمثلها التمساح والصقر والكبش . وأصبح أيضا آمون الإله المحلي لطيبة منذ عصر الأسرة الحادية عشر ( حوالي ) ٢١٠٠ ق . م ) « آمون - رع » . وبلغ إله الشمس في شخصيته الجديدة « كملك للآلهة »<sup>٢</sup> أسمی درجات التقدير والشهرة . ولا غرابة في ذلك فقد كان « آمون رع - منذ عصر الأسرة ١٨ ( ١٦٠٠ ق . م ) إله الإمبراطورية المصرية .

وكما سببت الملكية في مصر ذلك الانتشار الواسع لعبادة إله الشمس نراها أثرت أيضا تأثيرا واضحا في صياغة الأسس الدينية . كانت مصر كما أسلفنا منقسمة إلى دولتين : مصر السفلى وعاصمتها « بوتو » ، ومصر العليا وعاصمتها « تحن » ، وهذا التقسيم الذي يرجع إلى عصور فجر التاريخ له مظاهر أخرى ؛ فهناك إلهان رمزيان هما : حوريس وست ، وإلهتان حاميتان للملكي القطرين وهما : الثعبان « بوتو » والعقاب « نختب » ، ثم تاجان : الأحمر لمصر السفلى ، والأبيض لمصر العليا وقد ألهمهما المصريون . ولقد حدث أن تمكن حاكم مصر العليا في الألف الرابعة قبل

(١) قارن Pyr. 309, 313 ، ويشمر القارئ أن في هذا ذكرى لاماكن قديمة لإيزيس .

(٢) ومنذ أقدم العصور اعتقد المصري في « ملك الآلهة » قارن Pyr. 1458

الميلاد من أن يوحد القطرين . ويعتبر هذا الحادث بمثابة بدء عصر جديد للديانة المصرية اختلطت فيه المعتقدات الدينية ، وكلما زاد اختلاطها تقارب بعضها من بعض . ولا نود أن نقول بأن البعض منها قد تلاشى أو هجر ، بل على العكس من ذلك فما كان يمت إلى القديم بقي حيا محترما بجانب ما أدخله العصر الجديد من مبتكرات على هذه المعتقدات . فمثلا أسس الملوك منذ أول عصر الدولة القديمة عواصمهم في المنطقة بين ممفيس وهليوبوليس والقاهرة الحالية ، ولكنهم ما فتئوا يتحدثون في معابدهم عن العاصمتين « بوتو » و « نخن » ، كما أن إلهي هاتين العاصمتين هما اللتان تحميان الملك ، ولو أنهما كانتا قد اندمجت ببعضهما في بعض وأصبحتا تصوران كثعبانين وغير ذلك ، فلا زالت مصر في عرفهم منقسمة إلى قطرين ، والملك هو « سيد القطرين » بل إن ألقابه تظهره كما لو كان صاحب شخصيتين ، فهو ملك مصر السفلى وملك مصر العليا ، يلبس لكل شخصية يمثلها التاج الخاص بها مع العلم أن هذا لم يمنعهم في نفس الوقت من أن يضموا التاجين ويجعلوا منهما تاجا مزدوجا واحدا . ولقد اختلف الحال مع آلهة القطرين ، إذ تضاعف مركز « ست » معبود مصر العليا بالنسبة إلى « حوريس » معبود مصر السفلى واتزوى . ولا يمكن أن نفسر هذا التضاعف إلا أنه تأثر بحدث تاريخي نرجح أن يكون ما ورد في النصوص المصرية خصوصا بظهور دولة غارقة في القدم سمي ملوكها « خدم حوريس » . ويغلب على الظن أن هذه الأسرة الملكية خصت حوريس بتقديس يبرز كل ما عداه من الآلهة . ومن هنا نشأ هذا الامتياز الذي انفرد به حوريس من دون جميع الآلهة في العصور التاريخية ، وأصبحت صورة الصقر في الكتابة المصرية « كخصص للإله » و « للملك » وأصبح حوريس قبل كل شيء المثل الأعلى للملك ، فهو الإله الذي كان أول من حكم الناس ، وبذلك كان كل من أعقبه من الملوك خلفاءه ومثليه . وكان الملك يلقب بحوريس . أما إذا أرادوا أن يفرقوا بينه وبين الإله لقب بحوريس الذي يسكن القصر . وكذلك تراهم يذكرون « الرعب الذي يلقبه حوريس بين سكان البلاد

(١) لقب حورس هو أعظم الألقاب ، أما لقبها ملك مصر العليا وملك مصر السفلى فلم يكونا غير لقبين لوظيفته الدنيوية .

الأجنبية<sup>١</sup> . وفي أنشودة من عهد الدولة الوسطى سُمي الملك « حوريسنا »<sup>٢</sup> .  
ويبغى ألا نعتقد أن الملك كان إلها مثل بقية الآلهة تشيد له المعابد وتقدم له القرابين .  
فلم يبلغ تأليهه هذا الحد . فإذا ما سُمي بحوريس أو الإله الطيب<sup>٣</sup> ، أو إذا ذكر  
أثناء الحديث باسم الإله<sup>٤</sup> فلا يعدو ذلك طريقة مهادبة للتعبير عن خضوعهم التام  
له ، حتى إذا ماشاع هذا الاستعمال اللفظي لم يفكر أحد في معناه الأصلي . وقد بالغ  
المصريون بالذات في استعمالهم لمثل هذه الألقاب مع الملك فقالوا عنه إنه « الشمس  
الحية » الذي إذا تحدث كان « أنوم هو الذي يتحدث من فيه » أو « هو صورة حية  
للإله تعيش فوق الأرض » وهكذا لا يمكن أن نحوى ألقابه « حوريس » و « الإله »  
من معنى حقيقي يختلف عن الأمثلة التي سردناها فيما سبق .

وهناك لقب آخر أضافه ملوك الأسرة الرابعة على ألقابهم ، ومن العجيب  
أنه يرمز أيضا لشخصيتهم المؤهبة ، وهذا اللقب هو « ابن رع » أو « ابن رع من  
جسده » ومن ثم بقي هذا اللقب ثابتا من بين الألقاب الملكية<sup>٥</sup> . ونكاد نعتقد أن  
في استطاعتنا تفسير السبب الذي من أجله نشأ هذا اللقب ونرجعه إلى ذلك الاعتقاد  
الذي يسود بعض الشعوب الأخرى وفي عصور مختلفة ، والذي يقول بأن الملك  
ولو أنه ابن لأبيه من الناحية الفعلية إلا أنه في نفس الوقت هو ابن لأكبر الآلهة  
وأكثرها تقدسا . وليس في استطاعتنا طبعاً أن نفسر مرجع هذا الاعتقاد وكيف  
يكون ذلك ، خصوصا ولأن أسباب فهمنا للعقائد المصرية لازالت قليلة بسيطة .

ويظهر لنا بوضوح كيف استمرّ الشعب متمسكا بفكرته هذه في القصة التي  
كتبت حوالي عام ١٧٠٠ ق . م والتي تتحدث عن ملوك الأسرة الخامسة . وكيف  
أنهم ينتمون إلى محمّد إلهي فتقول إن « رع » كان غير راض عن الملك خوفو الذي

Urk. I, 124 (١)

Kahun Hymnus, Erman Litt. S 179 (٢)

(٣) أطلق عليه في أندم العصور « الإله العظيم » وهو لقب لم يستعمل فيما بعد إلا عند الحديث عن

الآلهة الحقيقيين 8, Urk. I,

(٤) فعلا ورد ذلك في القبط القديم « رئيس غزاة الإله » أو في التسميات التي يطلق على الملك فيها:

Urk. IV, 20 « الإله »

(٥) قارن Ed. Meyer, Geschichte des Altertums II 2, 250

بنى الهرم الأكبر ، وإذا ما تفضل وسمح لابنه وجفيده « صاحبي الهرمين الثاني والثالث » بالحكم فإنه أراد أن يحكم مصر من بعدهم ملوك يفوق تقدسهم للإله تفكيرهم في تشييد مقابرهم الضخمة ، ملوك يشيدون المعابد ويقدمون القرابين على المذابح ويكسونها على الموائد ويجعلونها كثيرة وافية <sup>١</sup> . وهكذا اختار زوجة كاهن من كهنته واسمها « رود - ددت » وجعلها تحمل منه وتلد بمساعدة الآلات ثلاثة أطفال كانوا بمثابة باكورة جيل جديد . فأعطاهم خنوم الذى يصنع الناس أعضاء قوية . وأعطتهم إيزيس أسماءهم ، وتبينت منشئت إلهة الولادة أنهم ملوك حقيقيون « سيتقلدون شتون الملك في هذه البلاد بأجمعها » . وهؤلاء هم الملوك : أوسركاف ، وصحورع ، وكاكاي - أول ثلاثة ملوك من الأسرة الخامسة الذين لم يولدوا كتوائم ، ولكنهم كانوا بالفعل مقرّبين إلى إله الشمس بدليل أن كلا منهم - كما سنحدث عن ذلك في الفصل السابع - قد بنى معبدا خاصا لهذا الإله بالقرب من عاصمته قام فيه هو وعظماء رجالاته بالخدمة .

وهذه القصة الخرافية حبكها وأخذ يسردها رجل من الرجال الموالين لأحد الملوك القدماء ، ويبدو أنها حازت إعجابه وإعجاب رجال بلاطه إلى درجة أنهم نقشوها ورسموا حوادثها فوق جدران المعبد - <sup>٢</sup> . وانتشرت هذه القصة ، إذ نجد مثيلا لها منقوشا فوق جدران معابد طيبة من عهد الدولة الحديثة ، وكان الإله طبعاً هو آمون . ثم نجدها أيضا في معبد من معابد الفيوم وكان الإله هو سبك .

وكما كانت الحال في القصة الخرافية نجد في طيبة أن الإله آمون أراد أن ينعجب ملكا يقوم بتشيد « منازل » للإلهة وتكثر على يديه القرابين التي تقدم لها وهو يعلن

#### Märchen des Westcars, Erman, Litt. S. 73 (١)

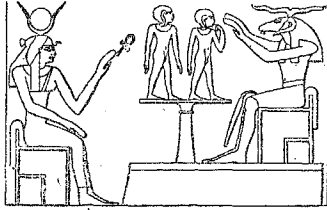
(٢) وأسلوب هذه القصة يدل على أنها دجت وكتبت في عصر الدولة القديمة . Urk. IV 241 ff. وهذه القصة في مجموعها تعتبر نموذجاً جميلاً لأسلوب النثر ، ولكنها اتخذت هذا الشكل المختلف الذى وصلت به إلينا بعد أن أراد الفنانون سردها مصحوبة بصور ورسمون نقشها على جدران المعبد ، ولا ندرى تماماً المعبد الأول الذى زينت جدرانه بهذه القصة ، وأول نموذج وصل إلينا هو ذلك الذى نقش على جدران معبد لا منمحات الثالث (Berlin, Aeg. Insch. I, 268) ومن عصر الدولة الحديثة وصل إلينا نموذجان : الأول الملكة حتشبسوت (Naville, Der el Bahari II, 46 ff, Urk. IV, 216) والثانى الملك امنموتب الثالث (Gayet, Luxor 63 ff)

هذا إلى الآلهة أجمعين الذين يعدونه بحماية الملك المرتقب . ويبدو أن الإله آمون رأى شابة وجد فيها غاية ، فأرسل « تحوت » لكي يستعلم عن أحوالها ، فرجع تحوت وأبلغه ما يأتي : « هذه الشابة التي تحدثت لي عنها اسمها أحمس » وهي أجل من أى امرأة فى هذه البلاد ، وهى زوجة الملك تحوتمس « وعندئذ « تقمص آمون شكل زوجها الملك تحوتمس » وقاده تحوت إلى الملكة التى وجدها مستلقية تستريح فى قصرها الجميل « فاستيقظت الملكة على عبير الإله ، وضحكت لجلالته ، فتوجه إليها الإله وجسده يحترق بنار الحب وأفصح لها عن نيته وأظهر لها جماله الإلهي . . . . . ففرحت عندما رأت جماله هذا ، وامتلاً جسمنها بحبها له ونعم عبير الإله جو القصر وكأن عطره الذكى من بلاد البخور » .

وأتى الإله معها كل ما أراد ، وتركته يسعد بها وقبلته ثم تحدثت الملكة أحمس إلى جلالة هذا الإله آمون قائلة : « يا سيدى ، ما أعظم قوتك ، وما أحلى أن يرى الإنسان جمال طلعتك ، لقد أسبغت على جلالتي من عظمتك فتسرب نذاك فى كل أعضائى » ، وبعد أن أتى جلالة هذا الإله كل ما أرادها معها تحدثت آمون لإيها قائلاً : « خنمت آمون حشيشوت » هو اسم هذه الابنة التى وضعها فى جسدك وذلك تبعاً للكلمات التى نطقت بها الآن . وذلك لأن الملكة عندما كانت تتكلم مع الإله استعملت لفظي « خنم » بمعنى « يزود » و « شيس » بمعنى « عظمة » ، ومن هاتين الكلمتين اشتق الإله اسم الطفل الذى سيولد . ثم أعلن الإله بعد ذلك « أن ابنته ستشغل هذا المنصب العالى فى جميع البلاد ، وستستمد من روحه وقوته وستحمل تيجانه ، وسوف تحكم القطرين وتقود الناس أجمعين » . وما دامت البذرة قد وضعت فيجب أن يخلق الطفل ، ولذلك كلف آمون « الإله خنوم » وهو الفخارى أن يصنع فوق دولا به طفلاً ملكياً من نموذجين : الأول للطفل ، والثانى للكا « روح الطفل » . وهكذا كتب لهذا الطفل أن يكون من أهل الحظ والسعادة والصحة ، تطيعه كل الأمم والشعوب ، ويملك القوت والغناء . وكتب له أن يجلس على « عرش حوريس » يحيط به جلال « رع » كملك ، وكما أمر بذلك أبوه « آمون رع » الذى يحبه . وصاحب « خنوم » الملكة الحبلي ومعها القابلة الإلهية « حقت » إلى مكان الولادة



التي تشرف عليها الإلهة « مسشت » وهكذا رأى الطفل نور الدنيا مزوداً بأحسن ما يمكن لمصرى أن يتمناه للملكة ، وظهر كملك لمصر العليا والسفلى الذى سوف يحتفل بعدة أعياد فضية .



٣٧ - خنوم يشكل على دولاب الفخارى الملك وقرينه وإلى الجانب حاتحور تقدم رمز الحياة  
( Gayet, Luxor pl. 63 )

وكشأن كل إنسان على الأرض يولد له طفل فيسرع لرؤيته نجد في حالتنا هذه أيضاً أن « حاتحور » أعظم الإلهات. شأننا تحضر « آمون » لكى يرى ابنته المحبوبة الملكة « حاتشبسوت » بعد أن ولدت . فانشرح لذلك صدره بمولدها . وأيد أن هذه هى ابنته التى هى من صلبه . « فقبلها وطوقها بذراعيه وأحبها أكثر من كل شىء ورعاها وقال لها : مرحبا ، مرحبا بابنتى حبيبتى من صلبى » . ولا يعنيننا هنا كيف أن آمون طلب إلى آلهات عدة أن يرضعن ابنته ، وكيف أن البقرة السماوية قد أرضعتها ، وكيف ترعرعت ورحب بها من آلهة البلاد ، وكيف أنها فى آخر الأمر قد جلست على عرش البلاد بين تهليل الشعب المصرى . وذلك لأن هذه الفترة من حياتها الأرضية لعب أبوها الأدمى الدور المهم فيها .

وقد نقشت عبارات وصور هذه القصة - كما أسلفنا - كاستند رسمى فوق جدران المعابد . ونكاد نجزم بأن الملكة والأم لم يريا بأساً فى هذا . ولم تكن هذه هى القصة الوحيدة التى دونت ، بل هناك قصص أخرى كتبت بطريقة سافرة . فمثلاً ترى أن « بتاح تاتن » قد أكد لرمسيس الثانى أنه قد تنبأ بالأعمال العظيمة التى  
• - ديانة قدام المصريين



٣٨ - ولادة الإبن الملكي ومن الآلهة الذين يساعدون الملكة خنوم، ورأسه على هيئة رأس كبش وحقت ورأسها على هيئة رأس ضفدعة (صورة في معبد الأقصر) انظر :

Gayet, Luxor, pl. 66

سيصنعها له هذا الملك فقال : تقمصتُ صورة « تيس منديس » واضطجعتُ بجانب أمك الجميلة لكي تلدك وأصبحتُ أعضاؤك كلها إلهية <sup>١</sup> . هذه القصة دوتت فوق جدران معبد أبي سمبل الجميل <sup>٢</sup> الذى بناه رمسيس الثانى من القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وليس من شك فى أن تعبير الإله أنه تقمص صورة التيس قد نبا عن الذوق .

وما دام الملك قد ولد كابن للإله فلا بد أنه لا يموت ميتة الآدمى ، فاذا ما انتهت حياته السعيدة فهو يصعد إلى السماء ويندمج فى كرسى الشمس التى خرج منها <sup>٣</sup> . وهناك أشياء أخرى اكتسبها الملوك من تلك الحقيقة التى اعتبروها من خصائصهم كأولاد للإله وكائنات إلهية ؛ فهو يحمل فوق رأسه الصل مثلته فى ذلك مثل إله الشمس . والصل كما قلنا فيما سبق هو ذلك الثعبان الذى يحرق الأعداء بزفيره النارى ، وأصبح الصل هو الرمز الملكى يضعه الملك فوق جبينه أو فوق تاجه . وأهم من ذلك أيضا أن أصبح الملك كنتيجة لهذه الاعتقادات الرسمية يتصل خاصة بالآلهة ؛ فهو منهم وهم أبائهم وهو ابن لهم . ومن الطبيعى أن علاقة البنوة بينه وبين الآلهة لم تكن

(١) تارن 131, 3 Rougé Inscriptions Hierogl.

(٢) تارن L. D. III, 194 كما قام رمسيس الثالث بنقش هذه القصة فوق جدران معبد

مدينة هابو .

(٣) تارن Urk. IV, 54

تعتبر أمرا جديدا ، وكان كل إله أو إلهة في المعبد يخاطبه على أنه ابنه أو ابنتها كما كان يدعوهما على أنهما أبوه وأمه . وقد جاء حتى في الزمن القديم أن التاسوع بأكملة وهو مؤلف من تسعة أشخاص قد أنجب الملك ؛ حقا إننا هنا في مجال ليست الكلمة فيه للعقل ، وعلى كل حال كان لهذه المعتقدات تأثير قوى على الدين ، ونخص بالذكر الملك كنصف إله ، إذ كان سببا في أن أصبحت الطقوس الدينية التي تتبع في المعبد غير مفهومة لدى الشعب بعيدة عن إدراكه . فالآلهة لم تكن آلهة الشعب بل كانت آلهة الملك ابنتها . فهو الذى يشيد لها المعابد ويحضر لها القرابين ، وهو صاحب الحق في رؤيتها ، وإذا قام الكهنة بهذه الأعمال فلأنما يقومون بها كممثلين له . وإذا ما أسبغت الآلهة على مصر طبيعتها فلا يحدث ذلك من أجل الشعب بل حبا في إبنهم . وسوف نعود إلى هذه النقطة المهمة من الدين المصرى في الفصل الثانى عشر من كتابنا هذا . وإذا كان هذا هو تأثير الملكية القوية على الدين بحيث أصبحت جزءا منه ؛ فهناك أيضا بعض طبقات الشعب التي اتصلت بالدين ولعبت دورها المهم في تطوره . ونخص بالذكر تلك الطبقة التي اعتبرت في مصر القديمة صاحبة النفوذ الأعلى في الدولة طبقة الكتاب أو قل الموظفين وأفرادها هم الذين يكتبون ويحسبون ويقاضون ، ولقد اتخذوا من الإله تحوت إله القمر حاميا لهم . وهذا الإله هو الذى يقسم الزمن إلى شهور وهو الذى ينظمها . أى بمعنى آخر هو الذى ينظم شؤون العالم . وإذا كان إله الشمس هو حاكم العالم فإن « تحوت » هو أعظم الموظفين شأننا هو الوزير الذى يقف بجانبه على سطح سفينته ليتلو عليه شؤون الدولة <sup>١</sup> . هو « القاضى الذى يحكم في السماء <sup>٢</sup> ويقضى في منازعات الآلهة ، ويتنبأ للآلهة والبشر بما سيحدث لهم . هو الذى يشيد المدن ويضع حدودها . ثم هو أيضا العالم « سيد الكتب » <sup>٣</sup> ورب كلمات الآلهة ، أى الكتابة المقدسة . فهو الذى أعطى الناس الكلمات والكتابة .

« وقد حدث في بعض الأحيان أن أحد حكام الأقاليم بن لايمتون للملكية بصلته ادعى بأنه ابن « تحوت » وأن التاسوع أنجبه وأنه من نطقة الإله رع .

(١) قارن الصورة على ص

Berlin. Aeg. Inschr II 41 (٢)

Urk. IV 53 (٣)

ومن أخلص له يجزيه أحسن العطاء بأن يمنحه المعرفة ويعلم الكتاب الحساب<sup>١</sup> الصحيح ، وهكذا كان « تحوت » ممثلاً لأعظم الناس شأنًا في مصر ، ومن أجل ذلك إعتبر ( كما سنتحدث عن هذه النقطة في الفصل الحادى والعشرين ) « هرemis » مثلث العظمة « أعظم آلهة مصر طرًا .

وكان للإله « تحوت » زميلة تقاسمه وظيفته ككاتب

وعالم هي الإلهة « سشات » الكاتبة وسيدة دور الكتب -

أى المكتبات -<sup>٢</sup> وكانت هي الإلهة الأولى التى كتبت<sup>٣</sup> ،

وقد كانت فى الأصل هي الإلهة « نفتيس »<sup>٤</sup> ووظيفتها أن

تسجل أعمال الملوك<sup>٥</sup> وتنقش أسماءهم على شجرة فى معبد

« هليوبوليس »<sup>٦</sup> بينما يقوم « تحوت » بتسجيل سننى كل

ملك على غصن طويل ( راجع لوحة رقم ٢ ) . وهناك

زميلة أخرى تفوق الإلهة « سشات » فى الأهمية هي الإلهة

٣٩ - سشات من معبد سخور « ماعت » ربة الحقيقة التى تعرف أهل الطبقة الممتازة على ( الأسرة الخامسة )

آلهتهم - وهذه الإلهة لا تعتبر كائناً من لحم ودم<sup>٧</sup> ، بل هي

ذلك الشيء المجرد « الحق والحقيقة » ولذلك نعتبرها من مظاهر الديانة المصرية التى

تبعث على الاهتمام - ويصورونها كإلهة<sup>٨</sup> تحمل شارة على شكل ريشة عقاب ، ولا

ندرى السبب الذى جعلهم يختارون هذه الشارة بالذات<sup>٩</sup> . ولم يصل تقديسها

فى العصور القديمة إلى درجة تشييد معبد لها تقام فيه الطقوس وتقدم القرابين ، ولكنها



Urk. IV, 20 (١)

Urk. IV, 252 (٢)

(٣) وكذلك فى معبد دندره Düm. Geogr. Inschr. IV, 134

(٤) Pyr. 616 حيث أطلق عليها لقب « رئيسة البنائين » ولا ندرى سبباً فى هذا الخلط لأن نفتيس

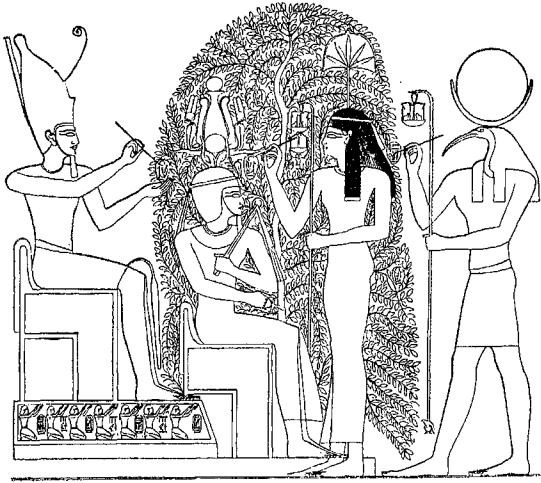
لم نعرفها إلا فى صورتها التى شهزت بها فى قصة أوزيريس ، وعلى كل حال فقد خلط المصريون بين سشات وبين حاتحور وإيزيس .

(٥) قارن Borchardt, Grabmal des Sahure Taf. I

L. D. III, 169 (٦)

(٧) ويرجع عدم تصورها كإله إلى أن الاسم يفتقر مؤنثاً .

(٨) راجع Mariette, Dendara, I, 73 A; II, 26; III, 38



أثوم وسشات وتحوت يكتبون أسماء رمسيس الثاني على الشجرة المقدسة في هليوبوليس  
(من الرسموم L D. III 169).

حظيت بتقدير كبير في أوساط المتعلمين ، ولا غرابة في ذلك « فالحقيقة » هي باستمرار أهمّ دعامة للكمال الخلقى في عالم تسوده الفضيلة . ولقد قال عنها أحد الملوك المصريين : « هي خيزى ، وإني أشرب من نداها »<sup>١</sup> . وكان القاضي الأول والوزير يسمى نفسه كاهنها ، ويحمل صورتها فوق صدره كشارة لوظيفته : ثم في آخر الأمر اندججت في تلك المجموعة التي سميت بجانحور ولقبت « ابنة رع » سيدة السماء ،



٤٠ - سات

حاكمة القطرين ، عين رع التي لا مثيل لها<sup>٢</sup> . ومع هذا يجب أن لا ننسى بأنها كانت في الأصل فكرة اصطنع الناس منها شخصية - حالها في ذلك حال فكتوريا عند الرومان - وهناك طبقة أخرى متعلمة ، غير طبقة الموظفين اتخذت لنفسها من مجموعة الآلهة حاميا خاصا لهم ، تقصد بذلك الأطباء الذين تمتع فبهم بشهرة كبيرة عند المصريين . فلو أنهم اتخذوا من تحوت قائدا لهم « فهو الذى يمنحهم الكلام والكتابة والذى يصنع لهم قوائم الأدوية ( التذاكر الطبية ) ، ويكتب النجاح ( برلين ١٩٦٨ )

لكل من اتبعه من العلماء والأطباء<sup>٣</sup> » إلا أنهم اختاروا راعيا خاصا بهم هي الإلهة « سخميت » إلهة منف على شكل الأسد<sup>٤</sup> . وفي العصور المتأخرة عندما أصبح الوزير القديم « أى أم حتب » إلها للأطباء جعلوا من سخميت أمّا له .

وكذلك اختار الفنيون والصناع الذين لا تزال أعمالهم تفوز بتقديرنا وإعجابنا حتى الآن إلها يحميهم ؛ فقد رعاهم بتاح إله ممفيس الذى كان هو نفسه فنانا بين الآلهة . وكان رئيس كهنته بمثابة القائد الأعظم للفنانين . ولقد وجههم هذا الإله بالفعل وخصوصا إبان عصر الدولة القديمة حينما لعبوا دورهم المهمّ في حياة ملوك هذه الأسرة<sup>٥</sup> .

Urk. IV 385 (١)

Berl. Aeg. Inschriften II, 317 من عصر رمسيس الثانى (٢)

Ebers I, 8 (٣)

Ebers 99, 2 (٤) وهناك طبيب الملك سحورج الذى أطلق على نفسه اسما يحوى اسم سخميت ه

Urk. I, 38 (٥) تارن

وإذا كنا لم نعثر على علاقات مماثلة لتلك التي ذكرناها بين بعض الطبقات الأخرى من الشعب وبين آلهة لهم ، فإن لهذا ما يسوغه ، فثلا الجنود لم يلعبوا دورا هاما في مصر في العصور القديمة ، كما أن الفلاحين وهم السواد الأعظم من أفراد الشعب لا بد أن كانت لهم آلهتهم التي تحميمهم وترعاهم ، ولكنهم لم يتركوا لنا وراءهم عمارات مشيدة أو آثار حجرية . ولكن الحال تغير في الدولة الحديثة وبدأنا نلاحظ تغلغل أفراد هذه الطبقات في الحياة الدينية .

ومما يبعث على الدهشة أن المصريين كثيرا ما تحدثوا — علاوة على آلهتهم المعينة عن « إله عام » ويحدث ذلك عادة في الأدب عندما يفكرون في تلك القوة التي تتحكم في مصائر الناس . فثلا يقولون : « ما يحدث هو أمر الله »<sup>١</sup> ، « صائد الطيور يسعى ويكافح ولكن الله لا يجعل النجاح من نصيبه »<sup>٢</sup> ، « ما تزرعه وما ينبت في الحقل هو عطية من عند الله »<sup>٣</sup> ، « من أحبه الله وجبت عليه الطاعة »<sup>٤</sup> ، « الله يعرف أهل سوء »<sup>٥</sup> ، « إذا جاءكم السعادة ، حقّ عليكم شكر الله »<sup>٦</sup> . وربما كان المقصود بالله في كل حالة من هذه الحالات على حدة هو « إله الشمس »<sup>٧</sup> مثلا أو « الملك »<sup>٨</sup> أو « الكا »<sup>٩</sup> التي سنتحدث عنها في الفصل الرابع عشر . ولكن على العموم لا بد وأن ساورتهم تلك الفكرة الغامضة عن الله وقدرته وجبروته . وهناك فقرة وردت في كتاب قديم من كتب الحكمة<sup>١٠</sup> تقول : « إن الله خفيّ ولذلك وجب على الناس تقديس صورته كبديل له » هذا إذا كان المصريون قد قصدوا ما فهمنا نحن من هذه العبارة .

هؤلاء القوم الذين كان هذا هو شعورهم وحديثهم لم يكونوا بمنأى عن العقيدة الحققة ، ولو أنهم في واقع الأمر تعلقوا أيضا بدينهم الموروث وبقوا عبادا آمناء لآلهتهم .

Erman, Litt. S. 104 (٢)

Erman, Litt. S. 97 (٤)

Erman, Litt. S. 111, Urk. I, 39 (٦)

Erman Litt. S. 9 i (٨)

Op. Cit. S. 118 (١٠)

Erman, Litt. S. 89 (١)

Erman, Litt. S. 9 i (٣)

Erman, Litt. S. 112, 100 (٥)

Erman, Litt. S. 119 (٧)

Op. Cit S. 90 (٩)

## الفصل الخامس

### أساطير الآلهة

تحدثنا فيما سبق عن الأساطير التي حيكت حول تلك المعبودات البسيطة فأبرزتها وغيرت من معالمها . وإن ذلك الفيض الكبير من الإرشادات والتعليقات التي نجدها في كل معبد والتي تفسر أعياده وتقص قصة لكل صورة من صورته لترينا إلى أي حد بلغت تلك الأساطير من ذبوع . ولأن المصريين منذ أقدم العصور يعشقون القصص الخرافية ؛ لذلك نجد أن هذه القصص قد حيكت وتداولها الناس كأساطير محببة إلى نفوسهم قريبة إلى قلوبهم ، لأن الآلهة فيها تشبهوا بنبي الإنسان فهم يتعاملون ويحبون ويكرهون ، ومن ثم فقد خلعوا عنهم في ذلك الرداء الذي يجعلهم بعيدين عن تناول يد الإنسان ، ويبدو أن القصصين قد استجابوا إلى رغبة عامة الشعب وانزلقوا في هذه الاستجابة إلى أنهم ألصقوا بمعبوداتهم صفات لا تتفق مع جلالها وعظمتها . وهذا مما يثير دهشتنا إلى حد بعيد . وإذا حدث أن تحدثت الناس بقصة معينة عن إله في مكان معين فلا تلبث هذه القصة أن تنتشر في البلاد مختلط تارة وتمتزج أخرى بقصص الآلهة الأخرى الخاصة بالأمكن المختلفة التي تنتشر فيها كما يحدث أيضا أن تصبح بعض هذه الأساطير مشاعا بين جميع المصريين .

وفي آخر الأمر لم يستطع الدين الرسمي الذي يعتنقه الكهنة ويمارسونه في المعابد أن يصمد لهذه الأساطير ، فتسربت إليه الواحدة بعد الأخرى ولكن بعد أن نزح عن الكهنة بعض الأوهام التي ألصقوها بالآلهة ، ولو أنهم لم يستطيعوا انتزاع كل الصفات التي حاكتها هذه الأساطير حول الآلهة . فالإله « ست » مثلا بقي معتبرا في المعبد كقاتل أزوريس ، ولكن هذا الأخير لم يستطع أن ينزع من « ست » صفته كإله جبار قوى . وبدأ تسرب هذه الأساطير إلى الدين الرسمي منذ العصور القديمة واستمر بعد ذلك ، وكلما ظهرت أسطورة جديدة بين الشعب وكتب لها



الانتشار والذوبان كلما طالب أهل القوى من الشعب ألا يحرموا منها في المعبد ..  
 ولقد وصلتنا هذه الأساطير بصور مختلفة ؛ فهناك الصورة التي قبلها الدين  
 الرسمي وعلى أساسه تسربت إليه ، وهى صورة بسيطة قصيرة ولهذا لم تكن واضحة .  
 أما الصورة الأخرى فهى التي احتفظت بشعبيتها ولكن للأسف غالبا ترجع هذه  
 إلى العصور المتأخرة ، وأخيرا هناك تلك الأساطير التي أفقدها قصاصوها لونها  
 الدينى ؛ فمن يقرأ قصة الأخوين الممتعة لا يستطيع أن يتصور أن هذين الفلاحين  
 « أنوبيس » و « باتا » هما في الحقيقة ليسا إلا إلهين ، وذلك لأن ما بقى لهما من هذه  
 الصفة لا يتعدى اسميهما .

ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن هذه الأساطير جعلت من الآلهة كائنات حية  
 لكل منها صفاته الخاصة . بل هى التي دفعت الناس إلى الشعور نحو البعض منها  
 بالحبّ ونحو البعض الآخر بالكره والبغضاء ؛ فالأساطير هى التي جعلت من  
 « إيزيس » إلهة طيبة ومن « ست » لها مكروها .

وإذا تساءل الإنسان عن العالم ونشأته فليس من شكّ أنه حاول الإجابة على ذلك  
 متأثرا بما كان يلاحظه من مظاهر الطبيعة التي تتغير وتختلف طوال العام . فتختنى  
 حقول مصر مرة كل عام في لجة من المياه لاتلبث أن تنحمر عنها رويدا رويدا .  
 فاعتقد المصري أن الأرض أيضا قد برزت من الماء ، وتصوّروا أن مكانا عاليا من  
 الأرض كان أوّل ما ظهر على سطح ذلك الخضمّ القديم الذي سمونه « نون » وكان  
 هذا المكان بمثابة بدء العالم ، فهو التلّ الموغلّ في القدم أو كما قالوا : « التلّ المزدهر  
 الذى ظهر في أوّل العصور » وحدّدوا مكانه في مواقع مختلفة من مصر .

وفوق هذا التلّ القديم ظهرت المعالم الأولى للحياة ؛ إذ سكنت فيه الضفادع  
 والبعابين وهى من الكائنات التي تتفق مع ما يغمر هذا المكان من ظلام ورطوبة .  
 وسميت هذه الكائنات بأسماء استمدّت من طبيعة هذا المكان : الليل ، الظلام ،  
 الاختفاء ، الذبذبة وغير ذلك ، وكان عددها ثمانية ، ومدينة شمون تحمل أسماءها  
 فاسمها يعنى « الثمانية » . وكان هناك شيء آخر فوق هذا التلّ الطمخى ، شىء يتناسب

مع طبيعة هذا العالم العطيني الجذب ، هذا الشيء هو بيضة طائر مائي<sup>١</sup> خرجت منها أوزة استحال بجرونها الظلام الدامس إلى نهار واضح فهي الشمس التي طارت صائحة (ومن أجل ذلك سميت : « الصائحة الكبيرة ») فوق سطح الماء . فكان ذلك بمثابة الضوء الأول والصوت الأول الذي أضاء الظلام الدامس ، وانطلق في ذلك الصمت الأزلي الذي نجيم فوق العالم .



٤١ - إله الشمس.  
الشاب في زهرة:  
الوتس

وهناك أسطورة أخرى تقول بأن زهرة لوتس نبتت من الماء الأول<sup>٢</sup> وكان يجلس فيها طفل الشمس ، ثم تضيف أسطورة ثالثة على ذلك فتقول : إن بقرة كانت تسبح في الماء<sup>٣</sup> وجلس فوق ظهرها إله الشمس الطفل . وهذه كلها تخيلات استمدّها المصري من بيئته أثناء الفيضان . وفي هليوبوليس ظهرت تلك الأسطورة التي تقول بأن الشمس ظهرت هناك على الحجر المسمى بالبنين . أما



٤٢ - شو يرفع نوت بينا يرقد جب إلى أسفل  
وعلى نوت سفينة الشمس (برلين ٨)

ماحدث من تطوّر لهذه الأسطورة وكيف أن إله الشمس قد أحصب نفسه فولد الآلهة الأولى ، ثم كيف تزوجت هذه الآلهة فتكاثرت ، وكيف خلق إله الشمس البشر من عينه ، كل هذه سوف نسردها ونبحثها في الفصل المقبل عند حديثنا عن « اللاهوت » فهي كلها أشياء لاتعنى الشعب بمثل ما تعنى طائفة العلماء الكهنة .

ولقد كان العالم الذي برز من الماء الأزلي لايزال مضطربا إذ لم تكن السماء قد انفصلت عن الأرض وكانت إلهة السماء نوت مستلقية فوق زوجها إله الأرض « جب » ولكن

(١) Lacau, Textes Relig. S. 133

(٢) Kees, Ag. Z. 57, 116 ff.

(٣) لهم هنا قصدا بقرة السماء .

أباهما « شو » إله الهواء زج بنفسه بينهما ورفع السماء إلى أعلى ورفع معها كل حي خلق ، أى كل إله « ومعهُ سفينته » فاستحوذت عليها نوت وقامت بتعدادها وجعلت منها نجوم السماء <sup>١</sup> ولم تستثن منها الشمس وأصبحن جميعا يجين بسفنهن جسم « نوت » وهكذا كانت نشأة عالمنا هذا ، إذ أنه منذ انفصال السماء عن الأرض اتخذ الكون وكائنه الشكل الذى نعرفه ، ولم يكن هناك من اتصال بين العالم العاوى والآخر السفلى سوى « عظام شو <sup>٢</sup> الذى تحمل ذراعه الجميلتان نوت <sup>٣</sup> .

وبعد أن انفصل إله السماء عن الأرض عين إله الأرض حاكما عليها « أعطى كب ما ورثه وسلمه للتاسوعة بأكملها » ( أى الآلهة الكبرى ) وهكذا قالت الآلهة عن « كب » أميرنا ، أمير الآلهة . إذا نادانا نهرح إليه ونصبح زملاء له يقضى بين الآلهة ( كزعيم للتاسوعة ) آباءه وأمّهاته ، وهو أقوى من كل إله <sup>٤</sup> . وهكذا حكم « كب » الآلهة فوق الأرض كما استقلت نوت بالسماء « فلدت سلطانها على الآلهة وعلى أرواحها وما ورثوه وعلى أقواتهم وما يملكونه » <sup>٥</sup> .

ومن الغريب حقا أن سيادة إله الشمس ( الذى كان حاكم العالم ) لم تعتبر من القضايا المسلم بها ، فنجد العصور الأولى اعتاد أطفال « الضعفاء » أن يكفروا بسيادته هذه <sup>٦</sup> وكانوا ينتظونه فى الصباح عند الشرق أى عند ما يكون طفلا يمزقوه إربا فنشب قتال عنيف فى كل مكان « فى السماء وفوق الأرض » كان النصر فيه إلى جانب إله الشمس وقدمت له أفواج الأعداء فى جزيرة الذهب فى شمون ، وهنا تستطرد الأسطورة <sup>٧</sup> فتزيد أعجوبة لانفهم مغزاها نحن : بعد أن انتصر رع على أعدائه ووضع الحق مكان الباطل دس بأنفه فى زهرة لوتس ولم تكن هذه الزهرة سوى « نفر - تم » أحد الآلهة الصغرى فى معبد ممفيس .

(١) قارن 785 Pyr.

(٢) 208, 393 Pyr.

(٣) 1471 Pyr.

(٤) 1618, 1619, 1645, 1834, Pyr.

(٥) 824 Pyr.

(٦) Totb. 17. وقارن رسالة جرابو Grapow's Dissertation S. 36

(٧) 265, 266 Pyr.

وفي هليوبوليس عرف الناس أيضا أن رع قد قتل الأعداء هناك ولكنه كان متمصصا صورة قط كبير ، وأن ذلك حدث بالقرب من شجرة لاشك أن الناس قد صوروها في المعبد فيما بعد <sup>١</sup> .  
وهناك ثورة أخرى حدثت أثناء حكم رع تعتبر أسطورتها أكثر حيوية وأكثر قربا لما يحدث بين البشر <sup>٢</sup> .

لقد حدث أن بسط رع سلطانه على الآلهة والبشر . وبعد أن تقدم الزمن برع ودبت فيه الشيخوخة « فأصبحت عظامه من فضة ، وأعضاؤه من ذهب وشعره من اللازورد الحقيقي » لاحظ الناس ذلك ودبروا له سوعا ، ولكن نواياهم هذه لم تخف عن الإله وقال لأحد أتباعه « ناد لي عيني » وكذلك « شو » و « تفنوت » و « كب » و « نوت » وكذلك كل الآباء والأمهات الذين كانوا معي عندما كنت في الماء « نون » وكذلك الإله « نون » . . . . . وعليك أن تعودهم إلى في صمت حتى لا يراهم الناس فتهرب أفئدتهم ، وعليك أن تحضر مع هذه الآلهة إلى القصر . وعندما أحضرت هذه الآلهة إلى هناك ورأته ارتمت على الأرض أمام جلالته قائلة « تحدث إلينا لنسمعك » فقال رع لنون « أنت يا أقدم الآلهة ، الذى منه خلقت ، وأنتم آيتها الآلهة الأجداد . هل رأيتم بنى الإنسان الذين خلقتهم من عيني كيف يأتمرون ضدى ، صدقونى ماذا أنتم صانعون بهم . لم أود قتلهم قبل أن أسمع منكم ماذا ستقولونه أتم . فتحدث جلالة الإله نون فقال : ابنى رع ، الإله الذى هو أعظم من أبيه وخالقه ، ابق أنت جالسا على عرشك فإن الخوف منك لعظيم ، وخصوصا إذا ما صوبت عينك نحو المتأمرين عليك » .

وعندما صوب رع عينه نحوهم هربوا إلى الصحراء وقلوبهم كانت تحشى عاقبة ما يبلر منهم ، ولكن الآلهة نصحوا رع بعد ذلك أن يرسل إلى المتأمرين عينه لتبتش بهم ، فأرسل عينه التى نزلت إلى الأرض على هيئة الآلهة حائخور ، ثم

(١) Totb. 17, 54

(٢) هذه القصة وردت في كتاب « هلاك البشر » وهو كتاب يتعلق بأبور سحرية ورد مكتوبا على كثير من مقابر الملوك من عصر الدولة الحديثة كما ذكرت هذه القصة في حكم مري كارع قارن

رجعت هذه الإلهة بعد أن قتلت البشر في الصحراء ، فحيا جلالة هذا الإله قائلا :  
 « أهلا بحاتحور . . . فأجابته هذه الإلهة : وحياتك لقد كنت جبارة مع الناس  
 وهذا يسعد قلبي » .

ولكن رع خشى أن تبديد حاتحور في اليوم التالي البشر ولذلك قال : « نادوا لى  
 على التو رسلا مسرعين يجررون مثل الظل » ، وفي الحال أحضروا له رسلا من هذا  
 النوع ، وقال لهم جلالة هذا الإله : « أسرعوا إلى اليفتتين وأحضروا لى كثيرا جدا  
 من « الديدى » ، ( ويبدو أنها مادة تصبغ لى اللون الأحمر ) وأعطوا هذا الديدى لى  
 الإله « ذى الضفيرة فى هليوبراميس » . قام هذا الإله بطحنها على حين قامت خادماته  
 بتحضير الجعة « البيرة » من الشعير ، وخالطوا بعد ذلك الديدى مع الجعة فأصبح  
 سائلا يشبه « دم البشر » فملئوا ٧٠٠٠ إبريق من هذا الجعة ، وحضر جلالة الملك رع  
 مع الآلهة ليرؤوا هذه الجعة ، وعندما أصبح الصباح الذى ستقتل فيه هذه الآلهة  
 الناس قال : « سأحمى الناس منها . . . فاحملوا هذا لى المكان الذى تنوى قتل الناس  
 فيه » فنفذوا هذا الأمر وصبوا الجعة هناك حتى نحمرت الحقول وارتفعت عنها  
 بمقدار أربعة أمتار . وفى الصباح خرجت الآلهة ووجدت المكان مغمورا ورأت  
 وجهها معكوسا على السائل بشكل جميل فشربت منه واستطابت طعمه وقفلت راجعة  
 وهى ثملة فلم تتعرف الناس » .

وإذا كان الإله العجوز قد حفظ بنى الإنسان من الهلاك إلا أنه لم يرغب فى البقاء  
 سيدا على هذه المخلوقات الناكرة للمعروف ولقد قال متمللا « وبجياى لقد تعب  
 قلبي من وجودى معهم » وهنا تدخل نون العجوز فى الأمر ونادى على ابنته « نوت »  
 التى على شكل بقرة وجلس رع على ظهرها فرفعته لى السماكين وتكونت بذلك  
 السماء ، ولكن عندما ألفت نوت بنظرها لى أسفل « ارتعشت من شاهق الارتفاع »  
 فنادى رع الإله « شو » وقال له : « ابنى « شو » ضع نفسك تحت ابنتى « نوت »  
 وخذها فوق رأسك » فنفذ « شو » ما أمر به وسند منذ ذلك الحين بقرة السماء التى  
 تلمع النجوم على بطنها وتتحرك الشمس فوقها فى قاربها هنا وهناك .  
 ويحدثنا كتاب التعاويذ نفسه ( الذى نقلنا عنه هذه الأسطورة ) عن القمر ونشأته .

فيقول بطريقته التي عرفناها فيما سبق : « عندما كان رع يسكن السماء قال مرة :  
 تامدوا لي نحووت ، فأحضره إليه في الحال ، فتحدث جلالة هذا الإله إلى نحووت  
 قائلا : « فلنكن أنت في السماء في مكاني إبان تلك الفترة التي أُضحى فيها الدنيا  
 السفلى . . . فأنت في مكاني هذا ككاتب عني ، وسوف يدعوك الناس بنائب رع »  
 ويصاغ حديث رع هذا في أسلوب يعتمد على اللعب بالألفاظ فينشأ عن ذلك  
 أشياء مختلفة فهو يقول « وسوف أجعلك تحتضن (ionh) السماء بجمالك وبأشعنتك  
 فينشأ عن ذلك القمر (ioh) » ، ثم في مناسبة أخرى خاصة بنحووت ككاتب  
 لرع ، يقول « سأرسل (hob) إليك من يفوقك عظمة ، فنشأ « ايبس » (hib)  
 طائر نحووت » .

وانشرت في كثير من الأساطير المصرية القديمة طريقة اللعب بالألفاظ وهي  
 التي أدت إلى نشأة أشياء كثيرة ، ويمكن لنا أن ننسب هذه الظاهرة إلى اهتمام  
 المصريين وتعلقهم بتحميل اللفظ الواحد معاني كثيرة يحوى كل معنى شيئا من كنه  
 هذا الاسم ، فمثلا « إله الشمس » كاسم أعطى صاحبه صفتين « الذي خلق نفسه »  
 و « الذي أنشأ اسمه » ١ .

والتاريخ الذي نسرده هنا يتعلق بأسطورة « عين الشمس » ، وعين الشمس هذه  
 كما شرحنا ذلك فيما سبق كانت هي النجم نفسه ، ورأى فيها الناس أيضا ذلك الكائن  
 الخفيف الذي أوقف نفسه على خدمة رع ، وأحيانا كانت عندهم كواحدة من  
 الآلهات العظمى .

ولقد لاحظنا وسوف نلاحظ ذلك أيضا على الصفحات التالية أن هذه العين كانت  
 تعتبر مستبدة ، وهناك قصة وصلت إلينا ولكن للأسف لم نعلم منها إلا نصفها ٢  
 نتحدث عن هذه الصفة : وحدث ذات يوم أن أرسل رع عينه في مهمة ( لا بد  
 وأن كانت مكافحة بعض أعدائه ) ولكنها لم ترجع فأرسل « رع » لإحضارها

(١) Totb. ed. Naville 17,6

(٢) تارن Budge, Nesiamsu S. 168 ff هذا الكتاب وضعه بعض رجال السحر  
 في العصور المتأخرة، وكانوا أنفسهم لا يفهمون المصادر التي نقلوا عنها فيما تاما، ومن أجل ذلك راجع  
 النص القديم في Totb. 17 وكذلك Grapow's Dissertation S. 30 ff

كلا من « شو » و « تفتت » فأغضبها ذلك كل الغضب ، فبكى « رع » ومن دموعه كانت البشرية - وهنا نجد لعبا بالألفاظ بين « رميت » بمعنى دموع و « رميت » بمعنى البشر ، ثم « زاد حق العين » عندما رجعت ووجدت عينا أخرى قد تمت في مكانها » وعندئذ ( كما أحاول أن أفهم ذلك من النص ) وضعها الإله على جبينه كتعبان - ومنذ ذلك الوقت حكمت عين الشمس العالم بأجمعه ، ولا غرابة في ذلك فإن هذا التعبان الذي حمله « رع » فوق جبينه هو رمز قوته . أما « شو » فأصبح هو الآخر منذ ذلك الحادث يسمى « أونوريس » أي الذي أحضر البعيدة <sup>١</sup> .

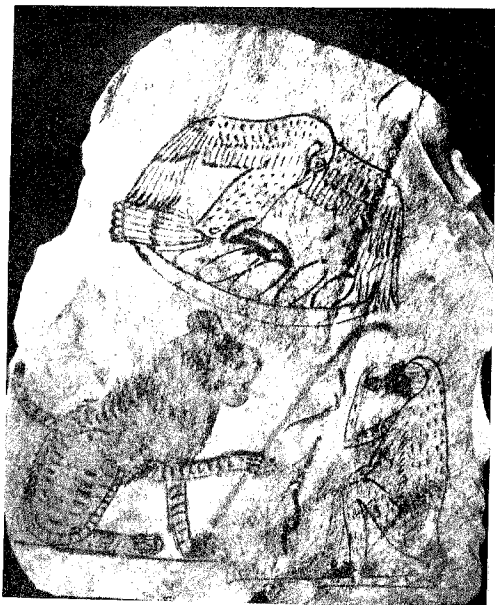
وهناك نص<sup>٢</sup> جميل يتحدث عن أسطورة اعتبرت فيها عين الشمس بمثابة بنت للإله ؛ فأحيانا يسميها مدفوعا بحبه العظيم لها « درقي » وأحيانا أخرى « عيني » ولما ماتت<sup>٣</sup> طلبت إلى أبيها في موتها أن يسمح على الأقل<sup>٤</sup> لصورتها أن ترى الشمس مرة في كل عام . هذه الأبنة كانت هي « حانخور » - أي عين الشمس - واعتاد الناس حل صورتها في معبدها بदनرة والصعود بها إلى سطح المعبد لكي ترى إله الشمس . ومن الأسطورة التي ذكرناها ، والخاصة بعين الشمس التي أرسلت في مهمة ثم أعيدت مرة أخرى ، اشتقت قصة وصلت إلينا من المعابد التي ترجع إلى العصر اليوناني<sup>٥</sup> في مصر ، ويبدو أنها كانت قد انتشرت بين الناس انتشارا كبيرا : سكنت الآلهة « تفتت » في صورتها كلبوة متوحشة الصحراء النوبية وكانت تمزق أعداءها إربا والنار تشع من عينيها وتخرج من فمها ، ثم أراد « رع » أن تكون بالقرب منه ، فأرسل إلهين في طلبها هما أخوها « شو » الذي كان أيضا على شكل أسد جبار و « تحوت » إله الحكمة والطلاسم - وتقمص هذان الإلهان صورة قردين ورحلا إلى بلاد النوبة حيث تقابلا مع اللبوة في الصحراء ، وتقدم « تحوت » في صورة قرد صغير أمام ذلك الحيوان الجبار ( كما يظهر ذلك في منظر على جدران « معبد « دكه » ) وبدأها بمجديث ودى عن الحياة وجمالها في مصر وعن استعداد المصريين

(١) راجع Sethe, Sonnenaug S. 26, Junker Onurislegende S. 5

(٢) Dekret Von Kanopus Z. 28, 55, Herodot II, 129-132

(٣) اكتشفها يونكر وطبعها في Abh. Berl. AK. 1911 وراجع أيضا Sethe,

von Sonnenaug وكذلك Junker Onurislegende



تحت في هيئة تردد ، يغرى تفتوت بالعودة إلى مصر  
( تلاف من عهد الدولة الحديثة . برلين ٢١٤٤٣ ) .



تقديم أنواع صيد البرِّ والنبيذ إليها ؛ فرقت الآلهة لحديثه ورافقتها إلى مصر .  
 وفي « قبله » أقصى الحدود الجنوبية لمصر أطفأت نارها<sup>١</sup> في مياه المكان المقدس فتحولت  
 من لبوة إلى إلهة جميلة - وهلل الجميع لها واستقبلوها وأقاموا لها الحفلات ثم رحلت  
 شمالا على ظهر سفينة وتوقفت في أماكن عديدة وفي كل مكان استقبلت بالتهليل  
 والفرح ، فزلت في « أومبوس » وفي « ادفو » وفي « الكاب » و « إسنا »  
 وخصوصا في « دنكرة » التي أصبحت منذ ذلك الوقت مكانها المختار . ولا غرابة  
 في ذلك فهي ليست إلا الإلهة « حاتور » أى الإلهة التي احتفل بها الناس تارة  
 كـ « سخمت » الشريرة ، وتارة أخرى كـ « باست » الطيبة .

ومما يدل على اعتزاز المصريين بهذه القصة في العصور المتأخرة أنهم جعلوها إطارا  
 لمجموعة شعبية من قصص الحيوان ، حفظت لنا على بردية من العصر الروماني أو في هذه  
 القصص تقطن أيضا الإلهة « ابنة رع » وتعتبر أيضا « قرص الشمس الكبير » بلاد  
 الثوبه ، وكانت تظهر على شكل الأسد في حالة غضبها ، وإلا فإنها تتخذ شكل  
 القطه « باست » . أما « تحوت » وهو يظهر على شكل القرد ( وهو الحيوان الذى  
 يهتق معه راجع ص ٤٨ ) . وتسبب مهمته له حرجا كبيرا ؛ إذ أن الآلهة  
 تهدد هذا الرسول المسكين بالموت وذلك لغضبها الشديد على أبيها الذى من أجله  
 اضطرت إلى ترك مصر ، ومن الغريب أنها احتفظت بصورتها على شكل القطه مع  
 أنها كانت غاضبة ، فأخذ « تحوت » يكرّر لها خطأها أن تقتل كائنا ضعيفا لأن  
 الإنسان لا يعرف ما يجنيه به القدر . وربما تحتاج إلى معونته . وضرب لها الأمثال .  
 ومنها قصة الأسد والفأر ، وحدثها بأن لكل سيئة عقابها ، ثم نوه أيضا بمصر وطنها  
 حيث عاشت مرّة عيشة طيبة كالإلهة عبدها الناس أجمعين وحيث يسود الناس الآن  
 الحزن والقلق ، وأقلع الجميع عن الفرح والموسيقى ، وعندئذ بدأت القطه في البكاء  
 وانهمرت دموعها غزيرة كالطر - ولكن ما فتئت أن انتابها ثورة غضب مرّة  
 أخرى وتحولت إلى لبوة « يتصاعد من حرارة معرفتها الدخان وأصبح ظهرها بلون  
 الدم ، وكان وجهها ييرق كالشمس وعيونها تنقد من النار . . . وعمرت الصحراء

(١) قارن Jurken, Abaton S. 78

(٢) راجع Spiegelberg Mythos vom Sonnenauge

بأثرية تصاعدت من ضرب ذيلها إياها ، ولكن القرد عرف كيف يزيل هذه الثورة بتملقه ، فتحولت مرة ثانية إلى قطة أخذ يقصّ عليها أساطير أخرى هدأت من نفسها وطببت مزاجها ، وانتهى الأمر بها أن رضيت مزافقته إلى مصر ، وما وصلت إلى هناك حتى اتخذت الإلهة في كل موطن من مواطنها الصورة القديمة لها .  
 فنحوّلت في مدينة الكاب إلى العقاب « نخبث » ( ص ٦٠ ) وفي طيبة إلى الإلهة « موت » ( ص ٣٨ ) وفي آخر الأمر تحوّلت إلى « تفنوت » وتصلحت مع أبيها رع . ولقد حدث أن تهددها خطر كبير في مصر ؛ ففي أثناء نومها دنا منها الثعبان الضخم « أبو قيس » فخلصها منه القرد الذي كان يجلس عند رأسها قائما على حراستها وهكذا كان في ذلك تحقيق للعبارة التي قصها عليها في أسطورة الأسد والفأر .

ووصلتنا هذه الأسطورة — كما أسلفنا — عن طريق نصوص ترجع إلى العصر المتأخر ، ولكن لا بد وأن تكون هذه الأسطورة منتشرة على الأقل في عصر الدولة الحديثة ؛ إذ أن هناك رسما على قطعة خزفية يرجع إلى عهد هذه الدولة وحاول الفنان أن يصوّر عليها القطة وقد جلس أمامها القرد يغيرها على العودة إلى مصر .

وأسطورة الإله أوزيريس تفوق كل الأساطير التي تحدثنا عنها فيما سبق ، إذ تغلغت في الدين منذ العصور الأولى<sup>١</sup> ، بل وأثرت على بعض نواحيه ، ولو أن هذه الأسطورة في أصلها بسيطة لاتعدّى قصة ملك طيب قتله أخوه الشرير ، فأحضرت زوجته جثته ونجحت في أن تردّ إليه الحياة ولكن ليست كاملة ، ثم عكفت على تربية ابنه في كهان مطلق ، حتى إذا ما ترعرع وصلب عوده انتصر على قاتل أبيه وجلس على عرشه . وهي كما نرى قصة جميلة فهم الشعب مغزاهم الطيب . ويبدو أن هذه القصة انتشرت من موطنها الأصلي وهو شمال الدلتا<sup>٢</sup> على أفواه

(١) وهناك دليل غريب يثبت لنا إلى أي عصر مبكر ترجع هذه الأسطورة . فنلما بدأ المصريون ينظفون « تقويمهم » حوالي عام ٤٢٤١ ق . م سمو أيام التسمية الخمسة بأسماء الآلهة الخمسة الواردة في قصة أوزيريس . ولقد حدث ذلك في مدينة هليوبوليس . وفي الواقع لقد استقر هؤلاء الآلهة الخمسة في مدينة هليوبوليس في عصر مبكر جدا ، وذلك لأن تاسوع هليوبوليس لم يتكون إلا من إضافة آلهة أسطورة يريز إلى الآلهة المحلية ( راجع كتاب أدوارد ماير Chronologie ص ٩٠ ) .

(٢) وما يرجح نشأتها في الدلتا أسماء الأماكن الواردة فيها ، كما أن إزيس كانت قد أخذت رضيعها في مستنقعات الدلتا ، وكذلك مدينة « ددو » سقط رأس عبادة أوزيريس هي إحدى مدن الدلتا ، يلي مقاطعة سنديق هي إحدى مقاطعاتها .

القصاصين إلى جميع الأرجاء المصرية وأصبحت من بين التراث القومى للشعب المصرى مثلها فى ذلك مثل أساطير حرب طرواده عند الإغريق ، وكذلك أثرت أسطورة أوزوريس على الديانة المصرية تأثيرا كبيرا ، بحيث أصبحنا لانتصوّر هذه الديانة بدون قصة أوزوريس .

والآن ما هى العوامل التى أكسبت أسطورة أوزوريس كل هذه القوة ؟ العامل الأول كان بلا شك هو الاعتقاد بأن الاستبداد والتعسف ليسا هما القوتان اللتان تسودان العالم ، بل الحق والإخلاص . ثم العامل الثانى كان الاعتقاد بانصهار الإله المقتول على الموت . فلو أنه قد مات حقا إلا أنه قد استرجع الحياة ، ولو أنه تنازل عن حقّ السيادة على الأحياء إلى ابنه حوريس إلا أنه أصبح سيّدا على الموتى ، أولئك الذين كانوا مثله يستحقون التمتع بحياة ثانية . ومن الواضح أن هذه كلها كانت أفكارا يتمسك بها الشعب المصرى منذ أول عصوره ، ولكن هذه القصة كانت بمثابة المثل الواضح الذى تبلورت فيه هذه الأفكار وأصبحت لهم بمثابة الحقيقة الواقعة وأخذ كل مصرى ينسج لنفسه حياة على منوال أوزوريس وإيزيس . ولقد حدث أن اختلطت بعض الأشياء بقصة أوزوريس فى عصور مبكرة لامتّ بصلة ما لها . فن البلديسى مثلا أنه إذا كان الاسم الذى أطلقته القصة على الأخ الشرير لأوزوريس هو « ست » وعلى الابن المظفر له هو حوريس ، فذلك يرجع إلى الإلهين القديمين « ست » سيد أومبوس و « حوريس » سيد مجيدت ، وخاصة لأن كليهما كانا من بين الآلهة المحبة للقتال . وما دام الأمر كذلك فيجب أن يدججا فى القصة . وكذلك كان الحال مع « العين » التى قدمها حوريس إلى أبيه فهى ✓ فى الأصل « عين حوريس » أى القمر الذى اعتقد الناس يوما ما أنه عين إله السماء حوريس . وهكذا لقد حدث لقصة أوزوريس ما يحدث عادة لكل أسطورة شعبية كلما انتشرت بين الناس واستتب بها الأمر كما استوعبت فيها الكثير من المعتقدات التى تفيض بها قلوب الشعب ، ولو أنها لامتّ بصلة لقصتنا هذه .

ولو قدرّ لقصة أوزوريس أن تحيا بين الشعب مدة طويلة دون مؤثرات لاتخذت شكلا مغايرا لما عرفناه عنها ، ولكن هذه القصة اعتبرت من صلب الديانة الرسمية

للبلاد في عصر مبكر ، وهكذا وقف تطورها وأصبحت منذ ذلك الوقت ثابتة. الأصول ولو أن بعض تفصيلاتها تغيرت على ممر آلاف السنين ، وعلى المرء ألا يسأل عن القواعد التي بنيت عليها هذه القصة كأسطورة ؛ كما أننا سوف لا نتساءل نحن هل كان هناك حقيقة ملك بشرى يحمل هذا الاسم ، أو إلى أي حد تتعلق هذه الأسطورة بمظاهر الطبيعة : أي بجفاف الحقول ثم بدبيب الحياة فيها بعد الفيضان مرة كل عام .

ولقد تحدثنا في ص ٤٩ عن الصور المختلفة الخاصة بأوزوريس بعد أن أصبح لها ؛ فتارة صوروه كماء الفيضان ، وتارة اعتبروه هو الأرض ثم عبده كإله للموتى . ولا نود هنا أن نتحدث عن هذه الصور ، بل سنقتصر الحديث على قصته كما وصلت إلينا من عصور مختلفة .

ولقد وردت في أقدم المتون الدينية بعض التلميحات لهذه القصة لا تتفق مع ما عرفناه عنها ؛ فمثلاً نجد أوزوريس ابناً للإله « كب » والإلهة « نوت » ، وأن أخوه « ست » الشرير كان يتعقبه ، وشاركه في هذه المؤامرة ١ أخ آخر هو « نحوت » وتمكن « ست » من أن يهزم ٢ أخيه وقتله ٣ ثم رمى به في النيل فسبحت جثته في الماء وكان لونها أخضر وأسود ، ومن هنا أتت تسمية البحار تارة « بالأخضر الكبير » وتارة أخرى « بالأسود الكبير » ٤ وعندما اختفى أوزوريس حزنت الآلهة بأجمعها وبكت إيزيس وصرخت نفتيس . أما إلهة مدينة بوتو — وهي موطن أوزوريس الأصلية « فقد أخذت تضرب لحومها وأذرعها وتفتت شعورها » ، والإلهان الوحيدان اللذان لم يبكيها هما « ست » و « نحوت » ٥ . أما الجنة فقد بليت ، ولكن « نوت » أم أوزوريس اختب عليها « فضمت عظامها بعضها إلى بعض وأعدت

٥ عن تفاصيل هذه الأسطورة في سينها التي سادت في منف ، انظر الفصل السادس (صفحة ١٠٧) .

(١) راجع 163, 173, 175 Pyr.

(٢) 1007 Pyr.

(٣) 1477 Pyr.

(٤) 628 ff., 1630 Pyr.

(٥) 163 Pyr.

القلب إلى الجسم ثم وضعت الرأس في مكانه <sup>١</sup> . أما لإيزيس ونفتيس فقد بحثا في كل مكان حتى عثرا على الخنثى الملقاة في الماء ، فأمسكت إيزيس بها وأخرجتها <sup>٢</sup> وأسرعت الآلهة لمساعدتها ، فرفع رع رأسه <sup>٣</sup> وأمره بأن يستيقظ فاستيقظ أوزوريس واستقبل حياة جديدة ، فهو « الذى هجر النوم وكره التعب » <sup>٤</sup> وهكذا لم يتعفن جسد أوزوريس ولم يتبلبل <sup>٥</sup> .

أما عن حوريس وكيف وضعت بذريته ، فقد تصورها الناس كما يأتي . تحولت لإيزيس إلى طائر حطّاء فوق جثة زوجها وحملت منه <sup>٦</sup> ، ثم وضعت حوريس وتعاونت مع نفتيس على تربيته ، وترعرع حوريس الطفل « الذى يضع إصبعه في فمه » <sup>٧</sup> وتقاتل مع قاتل أبيه الذى انتزع منه عينه - وهنا تلميح إلى القمر كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق - كما انتزع حوريس منه خصيته <sup>٨</sup> . ولكن بعد أن انتصر حوريس فإنه استرجع عينه من سبت <sup>٩</sup> « وألصقها بأبيه أوزوريس وفتحها له لكي يرى بها <sup>١٠</sup> » ، وهذه التضحية كنتيجة للحبّ البهوى جعلت أوزوريس يحبى ويقوى <sup>١١</sup> حتى أوقع الرعب في قلوب أعدائه <sup>١٢</sup> . وهناك رأى آخر يقول بأن الابن أعطى الأب لياكل أيضا <sup>١٣</sup> . وعندما دعى كب الآلهة للاجتماع في قصر

(١) Byr. 318, 825, 828 . وفي الواقع أن ضم أجزاء الجسم بعضها إلى بعض ، وكذلك « إزالة التراب » عن الفم بواسطة الإله جب ، إنما ينتمى إلى صيغة أخرى ورد فيها أن الخنثى تلبى في الأرض .

(٢) Pyr. 1630, 584

(٣) Pyr 1500, 72 i

(٤) Pyr. 72i, 260

(٥) Pyr. 1500

(٦) Pyr. 632. 1636 وقارن الرسوم المنقوشة فوق جذران مبدى أيلبوس ودندره

Mar. Dend. IV 88.9

(٧) Pyr. 663

(٨) Pyr. 1463

(٩) Pyr. 1242

(١٠) Pyr. 609/643

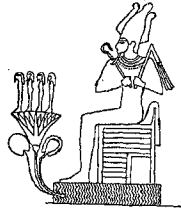
(١١) Pyr. 578

(١٢) Pyr. 614

(١٣) Pyr. 192

الأمراء بهليوبوليس للمحاكمة لم يقرّ ست بالحقيقة<sup>١</sup> . ولقد شهدت إلهنا الحقّ المحاكمة كما دعى شو كشاها . « وقرّرت إلهنا الحقّ أن عرش كب هو له<sup>٢</sup> » . أما حوريس فقد جعل ست ينحني تحت أوزوريس<sup>٣</sup> فيحمله بذلك إلى الأبد<sup>٤</sup> ، واستولى أوزوريس على كل تيجانه وأجلسه كب على عرشه<sup>٥</sup> ، وهكذا حكم كإله ليس له أعداء<sup>٦</sup> « وانتهى الحزن وعاد الضحك »<sup>٧</sup> .

بقي علينا أن نتعرض لقصتين فقط من تلك المجموعة الهائلة من القصص التي حيكت حول أسطورة أوزيريس . وتحدث إحدى هذه القصص عن أن إيزيس قطعت أيدي حوريس وقذفت بها في الماء<sup>٨</sup> ، وعندما أرادوا استعادة هذه الأيدي دعوا سوبك وهو الإله على شكل التمساح ولكنه لم يتمكن في بادئ الأمر العثور عليها واضطرّ أخيراً أن يستعين بشبكة الصيد ليلتقطها . وكانت هذه الشبكة تعتبر كنز سرّي محفوظ في معبد هيراكونبوليس .



وأهمّ من هذه قصة أولاد حوريس الأربعة وهم :  
٤٣ - أبناء حورس على زهرة في بحيرة، يجلس على حاجتها أوزيريس (Toten. ed.Nav. I, 136)

وأمستى وحاني ودواموت . اف وكيج سنو . اف . ويقولون إن حوريس قد أنجبهم من أمه نفسها<sup>٩</sup> ، ولقد عهد إليهم أنوييس بالقيام بدفن أوزوريس « فغسلوا

Pyr. 957,958 (١)

P9r. 317 (٢)

Pyr. 650 (٣)

Pyr. 1,99 (٤)

Pyr. 845,649 (٥)

Pyr. 25,765,1607 (٦)

Pyr. 1989,1009 (٧)

(٨) Totb. 113 nach Sethe A. Z. 58, 57 folg. وهذه هي نفس القصة التي يرجع

إليها بلوتارك (Plutarch, de Is. cap.20)

(٩) Totb. ed. Nav. 112 nach Tb. (A. Z. 58,4)

أوزوريس ثم يكوه وفتحوا فبه بأصابعهم النحاسية ليتمكن من أن يأكل ويتحدث ثانية<sup>١</sup> ، ولقد كان أولاد حوريس هؤلاء حقلًا واسعًا ترتع فيه تحييلات الشعب المصرى فاعتقدوا أنهم كنجوم يمكن العثور عليهم في السماء<sup>٢</sup> ، وكما سترى فيما بعد في الفصل الخامس عشر اعتبرت الأحشاء في رعايتهم . ويبدو واضحًا من بعض الرسوم التي تصورهم أنهم اعتبروا في أساطير أخرى قد نشأوا في زهرة لوتس ثم تفتحت عنهم .

وتعتبر النماذج التي وصلتنا من العصر المتأخر عن حياة أوزوريس ونصيبه منها أقوى وأمتع مما نحلثنا عنه من أساطير مقتضبة من العصور القديمة . لقد أنجب إله الأرض « كب » وإلهة السماء نوب أربعة أطفال : ولدين هما أوزوريس وست ، وابنتين هما إيزيس ونفتيس ، تزوجت الأولى من أوزوريس ، والثانية من ست . وحكم أوزوريس العالم كذلك وعلم الناس كل طيب مفيد « وورثه كب فأعطاه ملك القطرين<sup>٣</sup> . . . . وأسند إليه قيادة البلاد لسعادتها وسلمه هذه الأرض في يده : ماءها وهوائها ونباتها وقطعانها وكل ما يطير وكل ما يسبح في الفضاء وديانها ووحوشها ، كل ذلك أعطى لابن نوت وسعدت مصر بذلك . وكان أوزوريس ملكًا عظيمًا ، وسطع على عرش أبيه . كالشمس عندما تشرق في السماء فترسل بأشعتها لكل من يعيش في الظلام « وكان عادلا » ثبت من أقدم الحقيقة في مصر « وحينما تكون الحرب يظفر بإنهائها لأنه كملك يلقب بـ « الذى يسوى المعارك الدامية »<sup>٤</sup> ثم يجانب ذلك كان بطلا من أبطال الحروب « واسع الشهرة إذا ما أوقع بأعدائه ، قوى الشكيمة إذا ما أردى عدوه قتيلا . وكان أعداؤه يرتجفون أمامه ، وعمل على توسيع رقعة بلاده » وكذلك كان مبرزا في سيادته على الآلهة « كمرشد لكل إله بأوامر صائبة مدحته التاسوعة الكبرى ( من الآلهة ) وأحبته التاسوعة الصغرى

Pyr. 1983, Totb. 17,37 (1)

L. D. III 170-171, Totb. 17, 42 (2)

(3) ولقد اعتمد في كل ما نقوله في هذا الموضوع على أنشودة أوزوريس المنشورة على لوحة رقم ٢٠

المحفوطة في المكتبة الوطنية ، راجع 21-28 Legrain

(4) راجع Louvre C 2 (m. R.)

ولم يتحدث هذا النص عن السبب الذي أوغر صدر «ست» منه. وربما اعتبر السبب منطقياً لاحتياج إلى تنويه، فما دام هناك في أسرة ملكية أخوان أحدهما يملك فليس من شك في أن يصبح الثاني عدوا له. وكل ما نعرفه أن «أوزوريس» حجب «ست» ويبدو أن ست لم يستطع أن ينال أخاه بسوء لفترة طويلة، ولا غرابة في ذلك فإيزيس كانت تحميه «فهي حاميته التي تدفع أعداءه عنه وكانت ذكية؛ لسانها سليط وبديتها حاضرة، وكانت أوامرها محكمة» ولذلك تحايل ست على قتل أخيه ونجح في ذلك. وإذا صدقنا ما قاله «بلو تارك» فقد استلج أخاه ودعا ليضطجع في صنلوق على سبيل المزاح ثم يقفل الصنلوق ويقذفه في البحر.

وهكذا بقيت إيزيس وحيدة مسكينة لم تعرف حتى أين المكان الذي استقرت فيه جثة زوجها «وبحث عنه دون ملل، وجابت الأرض كلها والهموم تملأ صدرها ولم تدع للقنوط سبيلا إلى قلبها إلى أن عثرت عليه. ثم جلست مع أختها نفتيس بجانب الحنطة وأخذتا تولولان بالنشيد الآتي الذي أصبح فيما بعد أنموذجا لكل الأناشيد الجنائزية، وهو: «ارجع إلى منزلك! ارجع إلى منزلك! أيها الإله «أون» عدو الجنائزية، أنت الذي لأعداءك. أيها الشاب الجميل. ارجع إلى منزلك، لتراني، فاني أختك التي تحبها. ويجب ألا أفقدك. أيها الطفل الجميل عدو إلى منزلك... إني لأأراك الآن ومع ذلك فقلبي يفيض حبا لك، وعيناي تتلهفان عليك.. . . عدو إلى تلك التي تحبك. التي تحبك يا «أون نفر» المبرور أو المنعم. عد إلى إلى أختك، عد إلى زوجتك. إلى زوجتك أنت الذي حمد (وقف) قلبك. عدو إلى زوجتك فإني أختك من أم واحدة فيجب ألا تبعد عني فالآلهة وبنو البشر يتوجهون إليك باكين لرباك.



٤٤ - إيزيس تحمي أوزوريس بجانبها  
(برلين ١٣٧٧٨)



« أناديك وأبكيك حتى يسمع صوتي في السماء ولكنك أنت لاتسمع صوتي . وبينما أنا  
أختك التي أحبتها على الأرض ولم تحب غيرها يا أنخي ، يا أنخي ، » .

« وهكذا نديته وعطف عليها اسمي الآلهة مكانا ؛ إذ أرسل إليها رع ابنه الرابع  
أنوبيس فنزل إليها من السماء لكي يدفن أوزوريس ، فجمع أشلاء الإله التي لم يبق  
منها غير العظام ( كما ورد في بعض النصوص المتأخرة ) أو التي مزقتها « ست » ثم  
طواها في لفائف وأتم كل المراسم التي أصبحت فيما بعد نموذجاً يحتذى به المصريون .  
أما إيزيس فروحت بأجنحتها فهبّ الهواء ودبت الحياة في جسم الإله الميت <sup>٢</sup> وحرك  
ذراعه ثم انقلب على جانبه ورفع رأسه ، ولما كان من الصعب عليه أن يجيء فوق  
الأرض حياته الأولى ، لذلك أصبح لزاما عليه أن يجيء حياة ثانية . وبذلك صار  
مسيكا للموتى بعد أن كان ملكا للأحياء . ولكن النصر كان حليفه أيضا فوق الأرض ؛  
إذ ترك لها وريته الذي أنجبه من إيزيس .

فعندما حملت إيزيس هربت من مطاردة « ست » لها إلى أحرّاش الدلتا ، وهناك  
وفي هذا المكان الموحش حيث ظهرت فيما بعد مدينة Chemmis وضعت ولدا هو

حوريس الذي « رضع في هذه الوحدة ولا يدري إنسان

أين مكانه » ولقد عطف عليها الإلهة « بوطو » حامية الدلتا

وكم هددت الأخطار هذا الصبي حوريس ولكن كان

باستمرار ينجو منها بيقظة وعناية أمه « إيزيس » ولم يكن

أحبّ إلى المصري من تلك الصورة التي تمثل الإلهة الأم وعلى

حجرها رضيعها . وهكذا ترعرع حوريس في الخفاء حتى

« إذا ما اشتدّ ساعده قام يقاتل ست » ولقد كان قتالا رهيبا

فقد فيه حوريس عينه وتشوه فيه « ست » ، ولكن « نحوت » خلصهما من بعضهما



٤٥ - إيزيس مع حوريس

يختفيان في أحد الأحرّاش

البعض وظبيهما .

(١) راجع Mitt. aus den Oriental. Samml. IX, II, 17 ويعبر أيضا أنوبيس

ابن أوزوريس من زوجته نفتيس .

(٢) Mar. Dend- IV 63 ff., 88 ff.

وعند ما انتصر حوريس قاده أمه « إيزيس إلى قاعة كب » فحياه الآلهة المجتمعون هناك فرحين قائلين: « أهلا بك حوريس يا ابن أوزوريس . أيها الشجاع . مخلص حق أمه ابن إيزيس وورث أوزوريس » ولكن ست رفع أمره إلى المحكمة طاعنا بشدة ( كما ورد ذلك في الوثيقة اليونانية ) في صحة ميلاده ، وأبضا في أحقيته في الوراثة . فعقد الآلهة الكبار جلسة « في قاعة كب » وفحصوا الشكوى ، إلا أنهم أداروا ظهورهم للباطل . إذ أنهم وجدوا أن الحق بجانب حوريس فأعطوه ما كان لأبيه فخرج متوجها تبعا لأمر كيب وأصبح حاكما للقطرين وبقى التاج فوق جبينه « ولقد كانت هذه القضايا تنظر باستمرار في « القاعة الكبرى بيهلوبوليس » ؛ فثلا تؤكد المصادر المصرية أن أوزوريس قد تقدم أمام هذه المحكمة للدفاع عن تهم وجهها إليه « ست » وأعداؤه الآخرون ، إلا أن تحوت دافع عنه وأظهر براءته ، فحكمت الآلهة على ست وأعلنت نصر أوزوريس الذي وضع قدمه فوقه ثم ارتفع أوزوريس إلى السماء حيث حكم هناك - وإذا اعتقد الإنسان أن العالم الثاني كان تحت الأرض فيكون مكانه في الأعماق حيث حكمت الموتى « كذلك الذي يأتي إليه الجميع من كانت تدب فيهم الحياة فهو الوريث المحبوب للإله كيب . ملك مصر العليا والسفلى « أون نفر » . « المرحوم » فهو أول أولئك الذين سكنوا الغرب أي « الموتى » بينا كان ابنه حوريس أول الأحياء الذين حكموا الأرض . وبه يبدأ عصر الدنيا الحالية . ولا غرابة فكل ملوك مصر ليسوا سوى خلفائه الذين جلسوا على عرشه .

وليس من شك في أن القارئ سوف يلاحظ من هذه الكلمة القصيرة إلى أي حد اختلفت قصة أوزيريس عن القصص الأخرى ولماذا كانت أحبها إلى قلوب المصريين الذين ارتاحوا إلى ما فيها من مشاعر بشرية وإلى نزوع أوزيريس إلى الحق وإلى ولاء إيزيس لزوجها وحبها لأنها ثم إلى تقوى حوريس الطفل .

والفصل الأخير من هذه الأسطورة والذي يتعلق بالكفاح بين حوريس وست

(١) هذا الاسم هو اسم أوزيريس كلك لعالم الموت ، ثم بعد ذلك أصبح يطلق على الأفراد ، ولقد شامت الصدفة أن يبقى هذا الاسم لأحد القديسين (سان أنوفريو) .

قد وصفتها لنا قصة كتبت في العهد المتأخر من عصر الدولة الحديثة<sup>١</sup> غير أن هذه القصة لاتحدث عن الكفاح الأصلي الذى أصيب فيه كل منهما بجروح ، وإنما تعرض الأمر — على نحو ما ورد في الرواية القديمة — كأنه نزاع قانونى ، أو قل إنه قضية أقامها أحدهما ضد الآخر بكل ما يتبع ذلك من إجراءات قانونية ، وبمعنى آخر قد كان هذا إجراء بعيد عن القوة والخشونة يفهمه المصرى الذى قطع شوطا بعيدا فى التحضر والتقدم . وفى الحق يبدو كل شئ فى هذه القضية وقد طبع بطابع الإنسانية المتحضرة ، كما تبدو الآلهة كأنها بشر<sup>٢</sup> — وفيها صور لنا حوريس كإبن فقد



٦٤ - حوريس على هيئة ملك أبيه ، ولولا ما اتصفت به أمه من مكر ودهاء لتعقدت الأمور أمامه وأصابه مكروه . أما « ست » فصور كرجل حقير متعسف يخافه ويخشاه كل الآلهة إلا « رع حوراختى » « سيد الجميع » الذى رأس جلسات المحكمة ، فقد كان يميل إلى انتصار « ست » واعتبر كساعده الأيمن فى سفينة الشمس يقتل الأعداء أثناء رحلتها .

وتكونت المحكمة من كلا التاسوعين ، أى من أكثر الآلهة جلالا واحتراما ( انظر ص ١٠٤ ) وكان يقود مناقشتها « شو أونوريس » ودون محاضرها « تمحوت » أما « اتوم » إله هليوبوليس — وهو الذى يأتى ذكره أحيانا بجانب « رع . حور آختى » — فنعتبره كدرجة عليا تقف على الحياد أثناء نظر القضية ، ومثله فى ذلك مثل الملك بالنسبة إلى الوزير .

ولقد استمر انعقاد المحكمة ثمانين عاما دون أن تستطيع إصدار الحكم ، والواقع

(١) حفظها بردية بينى ( قصة حوريس وست ) وقد علق عليها ونشرها جاردنر . وسرى فيما بعد ( صفحة ٩٨ ) أن هذه القصة لم تنشأ فى وقت متأخر وهو ما يمكن أن تدل عليه نغمتها .  
(٢) فلا يملك « ست » حديقة يقوم على خيلتها بستانى ويزورها « ست » كل يوم وذلك علامة على بيت .

أن المسألة كانت دقيقة ، فهي تتعلق بمعرفة ما إذا كان حوريس الذى ولد بعد وفاة أبيه هو حقيقة ابن له ١ .

ع وعندما اقتنع شو أنوريس ، ابن رع ، بأحقية حوريس نادى أمرا بأن يُعطى له منصب أبيه ، وعندئذ أعلن تحوت أن ذلك « صحيح مليون مرة » ، ثم صاحت ليزيس عاليا من الفرح ونادت الريح الشمالى قائلة : « اذهب إلى الغرب ، وابهج نفس « أون - نفر » ( أى أوزوريس ) بهذا الخير » ، ولكن رع كرئيس كان له رأى آخر ، فلاذ بالصمت وكان الغضب يملكه من التاسوع ، بيد أن ست صاح طالبا أن يطرد خارجا مع حوريس وسيريه حينئذ ماذا يستطيع أن يفعله ، وفى الحق فإنه قد أطبق عليه بيده ، ولكن تحوت قال : إنه ليس فى الإمكان إعطاء منصب أوزوريس لأخيه ما دام يوجد ابن له من صلبه ، فغضب « رع . حور . آختى » غضبا شديدا لأنه كان يرغب فى إعطاء المنصب لست .

ولقد صاح أنوريس : ما ذا نحن فاعلون ؟ وعندئذ اقترح أتوم إحضار كبش مندیس لكن يكون حكما ، ولا شك أن سبب ذلك يرجع إلى أن هذا الإله الخاص بالنسل هو خير من يستطيع أن يعرف ما إذا كانت صحة نسب حوريس تستند إلى أساس صحيح ، ولكن كبش ( تيس ) مندیس لم يرد أن يتدخل فى هذا الأمر ، واقترح إخراج الطرفين وطردهما وكتابة خطاب إلى نيت العظيمة ، أم الإله ، على أن ينفذ بعد ذلك ما تشير به ، فوافق الآلهة على ذلك وعهد إلى تحوت بالكتابة إلى نيت باسم أتوم .

وجلس تحوت وكتب خطابا بأسلوب القصر ختمه بهذا السؤال : « ماذا سنفعل بهذين الرجلين اللذين ظلوا واقفين طوال ثمانين عاما أمام هذه المحكمة ؟ » فكان الجواب الذى وجهته نيت للآلهة واضحا غاية الوضوح : « اعهدوا بمنصب أوزوريس لابنه حوريس ولا تركبوا ظلما كبيرا ، وإلا فاني سأغضب وستسقط السماء على الأرض » ، واقترحت فوق ذلك أن يأخذ سيت بصفة تجويض عنت وعشرت ، الابنتان الأجنيتان لرع .

وعندما وصل خطاب نيت قرأه تحوت أمام الآلهة فأعلن الجميع في صوت واحد : « أن هذه الآلهة على حق » . بيد أن سيد العالم غضب على حوريس وقال له : « إن جسمك ضعيف جدا ، وإن هذا المنصب لتقيل جدا عليك أيها الغلام السيء » .

وعندئذ استاء أونوريس جدا وكذلك التاسوع كله في طبقتيه ، وبقى رع حور أختي وحيدا ، واجترأ « بابا » ، وهو إله ضئيل الشأن ، على السخرية منه بأن قال له : « إن محرابك فارغ » فأثارت هذه الدعابة غضب الآلهة الأخرى فصاحت : « اذهب » ، ثم تركوا المحكمة وذهبوا إلى منجياتهم .

ولكن نفس رع كانت مليئة بالحزن ، فألقى رع بنفسه على الأرض من فرط استيائه ، وأمضى الإله العظيم يوما بأكمله مستلقيا على ظهره في قاعته والحزن بملأ قلبه ، والوحدة تحيط به . على أن حتحور ، سيدة شجرة الحمير الجنوبية حضرت إلى والدها سيد الجميع ومكثت عنده وكشفت عن عورتها ، فانفجر الإله ضاحكا وقام واتخذ مكانه في وسط التاسوع العظيم .

وقال لحوريس ولست : « تكلما » ، وعندئذ قال ست ، عظيم القوة ، ابن نوت : « أأنت أنا أقوى من في التاسوع ؟ إني أقتل كل يوم عدوا لرع حور أختي ، واقف في مقدمة سفينة الملايين ، وهذا ما لا يستطيع إله آخر أن يفعله ، وإني لحرى إذن أن آخذ منصب أوزوريس » . وعندئذ قالت الآلهة : « إن ست لعلى حق » ولكن أوزوريس ا تحوت صاحبا صياحا عاليا وهما يقولان : « أيعطى المنصب لأخ الأم ، على حين يوجد ابن من صلبه على قيد الحياة ؟ » . فأجاب كبش ( تيس ) مندس ، الإله العظيم الحى : « أيعطى هذا المنصب لهذا الشاب ، على حين أن ست أخاه الأكبر لا يزال موجودا ؟ » فصاح التاسوع في مواجهة سيد العالم : « ما هذا الكلام الذى تقوله ، إنه جدير بالأسمع » . وقال حوريس : « إنه ليس عملا طيبا أن تهون من شأنى هكذا أمام التاسوع وأن أجرد من منصب أبى » وعندئذ غضبت إيزيس من التاسوع وأقسمت « بحق حياة أبى نيت ، وبحق حياة بتاح تاتن ، صاحب

(١) هكذا في الأصل الألماني ، وربما كان المقصود هو أونوريس - المغرب .

الريش المرتفع ، سوف توضع هذه الأقوال أمام أتوم ، ذلك العظيم المقيم في هليوبوليس ، وكذلك أمام خبرى الذى يقيم في سفينته « وعندئذ قال التاسوع لها : لا تغضبى فان الحقوق ستعطى لمن يستحقها ، وسيعمل بكل ما تقولين » وعندئذ غضب ست من التاسوع لأنه قال هذه الكلمات لإيزيس ، وقال له : « سأخذ صولحاني الذى يبلغ طوله ٤٥٠٠ ذراع ، وسأقتل كل يوم واحدا منكم » وأقسم ست لسيد الجميع بأنه لن يبق في المحكمة مادامت إيزيس باقية فيها .

وبعد هذا القسم قرّر رع حور آختى أن ينقل المحكمة إلى « الجزيرة الداخلية » وأمر ملاح الجزيرة بالألا يسمح بعبور أية امرأة يمكن أن تشبه إيزيس ، وبعدئذ انتقل التاسوع إلى الجزيرة وجلست الآلهة تتناول طعامها .

ولكن إيزيس اختفت في شكل امرأة عجوز تسير وقد انحى ظهرها وتحمل في أصبعها خاتما من الذهب واقتربت من الملاح وقالت له : « إني أحضر إليك ومعى إناء من الدقيق لصغير يعرى الماشية في الجزيرة منذ خمسة أيام وقد اعتراه الجوع » . لم يرغب الملاح أن يعمل شيئا لأنه تلقى أمرا بالألا يسمح بعبور أية امرأة ، ولكن إيزيس قالت له : « أهذا بسبب إيزيس ؟ سأعطيك هذا الخبز » . ولما استمرّ الملاح في إصراره على الرفض أعطته خاتمها الذهبى ، فنقلها بالرغم من قرار الحظر .

وعند ما مرّت إيزيس تحت أشجار الجزيرة لحت التاسوع يتناول طعامه مع سيد الجميع في قاعته ، وعندئذ لحتها ست من بعيد ، فثلت صيغتها السحرية وتحوّلت إلى شابة جميلة ذات قسّات ومعاسن رائعة جميلة لا يوجد مثل لها في جميع أنحاء البلاد ، وعندئذ وقع الإله في حبها وترك الأكل واتجه نحوها ، لأن أحدا لم يرها سواه ، ثم أخفى نفسه وراء شجرة ونادى : « إني هنا أيتها الفتاة الجميلة » فأجابت : « ياسيدى العظيم ، لقد كنت زوجة راعى قطع وأنجبت له ولدا ، غير أن زوجى توفى وتولى ابنى رعى ماشية أبيه ، ولكن أجنبيا حضر وجلس في حظيرتى وقال لابنى : « سأضربك وسأخذ ماشية أهلك وأطردك » ، هكذا قال ، ولكنى أودّ أن تكون له حاميا ومعينا » . فقال لها ست : « أتُعطى الماشية لرجل أجنبى ، على حين يوجد ابن الرجل على قيد الحياة ؟ » وعندئذ تحوّلت إيزيس إلى طائر وطارت .

واستقرت في أعلا قمة شجرة سنط وصاحت به : « انخزي لك ، إن فلك نفسه قد قالها ، وإن مهارتك نفسها قد حكمت عليك ، فإذا تريد بعد ذلك ؟ » عندئذ ارتبك ست وذهب والعار وانخزي يجالانه إلى رع حور آختي ، فقال له الأخير : « هل لديك من جديد ؟ » فأجابه ست : « إنها هذه المرأة الشريرة التي عادت من جديد لتسئء إلى » وقص عليه قصته واعترف له أيضا بأنه قال : « لانعط المشاية » لرجل أجنبي ما دام الابن لا يزال موجودا ، ويجب أن يضرب الأجنبي على وجهه بالعصا ويطرد خارجا » وعندئذ قال رع حور آختي : « أجل إنك أنت الذي حكمت على نفسك بنفسك ، فإذا تريد بعد ذلك ؟ » .

وبناء على تعليقات ست أحضر أيضا الملاح ، وكان لها صغيرا ، أمام التاسوع وعقب وأصبح الذهب إلى هذا اليوم ملعونا مكروها في مدينة هذا الإله بسبب خاتم الذهب .

وبعد ذلك غادر الآلهة الجزيرة واستقروا فوق جبل الشاطئ الغربي ، بيد أن رع حور آختي وأتوم ( وقد أشير إليهما هنا بوضوح على أنهما شخصان ) كتبا معا كتابا إلى التاسوع قالا فيه : « لماذا تجاسون هنا ؟ وماذا تعملون هنا ؟ إنكم تتركون الشايين يقضيان حياتهما في المحكمة ، عندما يصلكم كتابي عليكم أن تعطوا حوريس التاج الأبيض وأن تنصبوه في مكان والده » . فاغتاز ست ، ولكن التاسوع قال له : « لماذا تغضب ألا يجب أن نفعّل ما يشير به أتوم ورع حور آختي ؟ » وعندئذ وضع التاج الأبيض على رأس حوريس ، ابن ليزيس . فأخذ ست يصرخ وقال غاضبا : « أتعطون المنصب لأخي الأصغر على حين أني أنا أخوه الأكبر ما زلت موجودا ؟ » . وأقسم قائلا : « إنه سينزع التاج الأبيض من على رأسه ويلقي به في الماء حتى يمكنني أن أقاتله بشأن السلطة » . ولقد وافق رع حور آختي من جديد على الاقتراح ، وعندئذ تحول الاثنان إلى فرسي بحر وكان عليهما أن يقفرا ويغوصا في عرض البحر ، والذي لا يستطيع منهما أن يبقى تحت الماء أكثر

« الكلمة التي استخدمت هنا للماشية لها معنى مزدوجا ، فهي تعني أيضا « وظيفه » ، وقد قصدت ليزيس هذا المعنى .

من ثلاثة شهور يخسر الرهان . ولكن إيزيس بكت وقالت : « إن ست يقتل ابني » وعملت بنفسها سنارة ورمتها في الماء ، ولكن السنارة أمسكت بخناق حوريس ، فصرخ ورجا إيزيس أن تأمر سنارتها بتركه ، فاستجابت إلى طلبه وعملت ما أراده ، ثم ألقت بالسنارة من جديد في الماء . ولكنها في هذه المرة أمسكت بست ، فصاح : « ماذا فعلت لك يا أختي إيزيس ؟ » ورجاها أن تخلصه من السنارة أيضا فهو أخوها بحق ، من نفس أمها ، وأن إيزيس لا يمكن أن تفضل عليه الأجنبي ( ويشير هنا ست بلا شك إلى الابن غير الشرعي المزعوم ) فأشفقت عليه إيزيس وأمرت السنارة بأن تتركه أيضا .

ولكن حوريس غضب من أمه وخرج من الماء وهو ينظر بشراسة كالفهد وقطع بسلاحه رأس إيزيس وأخذه تحت ذراعه وصعد إلى الجبل ، وعندئذ اتخذت إيزيس شكل ملكة من الصوان من غير رأس . ورأى ذلك رع حور أختي فسأل تحوت : « ما هذا الذي يأتي إلى هنا من غير رأس ؟ » فأجاب تحوت : « إنها إيزيس العظيمة ، أم الإله ، لقد فصل ابنها رأسها عن جسدها ، وعندئذ صاح رع حور أختي بالتاسوع : « دعنا نذهب ونعاقبه بكل قسوة » ، ثم صعدوا إلى الجبل ويحتموا عن حوريس وكان قد استلقى مستخفيا تحت شجرة في بلد الواحة ونام ، ولكن ست وجده وضربه وانزع عينيه ودفنهما في الجبل فنبتتا في شكل زهرتين . وأعلن ست لرع حور أختي أنه لم يجد حوريس ، على حين أنه قد وجده . فذهبت حاتحور ووجدت حوريس نائما في الصحراء يبكي . فاصطادت غزالة وحلبت منها لبنا وضعته في العين اليمنى وفي العين اليسرى فشفي . وعندما أبلغت حاتحور الخبر لرع حور أختي استدعى التاسوع حوريس وست أمام المحكمة ووجه رع حور أختي الكلام إليهما معا قائلا : « اذهبا ، فقد سمعنا ما كان عليكما أن تقولاه . كلا واشربا فإننا فرحون فانهون وضعا حدا لهذه المعركة التي ما فتئتم تبدأونها

• يتفق هذا مع أية صغيرة كانت تبدو كأنها « إيزيس بنير رأس » . فضلا عن هذا ينقص هذه القصة جزء هام تعرفه من بردية 6, 3, 6 - 2, 6 - 3, 6 SalI. IV ومن بلوتارك ، فقد منح تحوت إيزيس رأسا جديدة ، وهي رأس بقرة ، وقد تعودت حملها بصفحتها إيزيس - حاتحور .



كل يوم» : وعندئذ دعا ست حوريس إلى منزله ، وعندما أقبل الليل أُعدّ لهما فراش ، ولكنّ ست اعتدى على الشاب اعتداء منكرا .

وهذا الفعل المنكر الذى اقترفه ست ، والحيلة التى أفلحت بها ليزيس فى إنقاذ ابنها من هذه الفضيحة والخزى ، كلّ هذا مشروح بدقة وتفصيل لا يمكن سرده هنا .

وعندئذ اقترح ست اقتراحا جديدا لتسوية النزاع وإنهاء المعركة ، بأن يبني قاربان من الحجر يبحران بهما ، فمن يبلغ منهما نهاية الرحلة بسلام يحصل على منصب أوزوريس . أما حوريس فقد صنع لنفسه قاربا من خشب الأرز وطلاه بالجير وألقى به مساء فى الماء دون أن يلاحظ ذلك أحد ، ولكن ست كان يعتقد أنه من الحجر ، فذهب إلى الجبل واقتطع قمته ونحت منها قاربا طوله ١٣٠ ذراعا ، وعندما صعدا على ظهر سفينتيهما أمام التاسوع فان سفينة ست غاصت فى الماء وتحولت هو إلى فرس بحر دمر سفينة حوريس ، غير أن حوريس تمكن من أن يظعن خصمه بواسطة مزارق بطريقة بلغ من عنفها أن تدخل التاسوع طالبا الرحمة والعفو عنه .

وعندئذ أبحر حوريس على سفينته حتى بلغ سايس وذهب لزيارة نبت العظيمة ، أم الإله ، والتمس منها المعونة . لأن قضيته قد استغرقت ثمانين عاما واعرّف بصحة دعواه ألف مرة ، ولكن ست لم يهتم بحكم التاسوع . ولا نعلم بماذا أجابت نبت على هذه الشكوى ، وأخيرا اقترح تحوت كتابة خطاب إلى أوزوريس وذلك لكى يحكم بينهما ، ووافق الجميع على ذلك ، وعندئذ كتب تحوت خطابا لأوزوريس زينه بكل عبارات البلاغة والبيان الخليقة برسالة ملكية سائلا الإله عما ينبغى اتخاذ بشأن حوريس وست ، وعندما وصل الخطاب إلى أوزوريس صرخ غاليا وكتب الرد الآتى فى الحال إلى الآلهة : « لماذا تخطون فى حقّ ابني حوريس ؟ ألسنت أنا الذى أقويكم وأخلق القمح والشعير لكى يكون غذاء للآلهة ، والمماشية بعد الآلهة ؟ ولم يستطع أى إله آخر أو آلهة أخرى أن يفعل ذلك » .

(١) إذا استثنينا هذه القصة ، فان الروايات يكاد لا يظهر فى مصر القديمة ، فهذا يبدو أن الغرض هو تصوير « ست » تصويرا سيئا . للغاية .

وعندما وصل جواب أوزوريس هذا إلى رع والتاسوع كتب رع لأوزوريس على جناح السرعة : « آه ! إذا كنت لم توجد وإذا كنت لم تولد فإن القمح والشعير كانا يوجدان وينموان مع ذلك » وقد أجاب أوزوريس على خشونة رع حور آختي بنفس السخرية معلنا أن كل ما يفعله رع وكل ما يبدعه التاسوع حسن جدا وجميل ، ولكنه ( مشيرا بذلك إلى حظه ونصيبه هو ) يضيف إلى ذلك أنه إذا اختفت الحقيقة وغرقت في العالم السفلي ، فإن رع يجب عليه مع ذلك أن يفكر فيما يتعلق به على وجه خاص . ألا يوجد في البلد الذي يقيم فيه أوزوريس رسل لها نظرات مرعبة لانتخاف أى إله أو آلهة . وقال : « إني سأجعلهم يخرجون ليرهبوا قلوب أولئك الذين يقتربون الشر ، وعندئذ سيكون عليهم أن يكونوا هنا معي ، وفي الحق ما فائدة وجودى هنا وبقائى في الغرب ، على حين تظنون جميعكم في الخارج ، من منكم أقوى منى ؟ ، ولكهتهم يخطئون ويكذبون ، فعندما خلق بتاح السماء ألم يقل لنجوم السماء : « سوف تستريحون في كل ليلة في الغرب حيث يحكم أوزوريس كملك » وفضلا عن الآلهة فإن الناس والشعب يجب عليهم أن يستريحوا حيث تكون أنت ، هذا ما قاله لى . وعندما وصل خطاب أوزوريس لسيد الجميع وللتاسوع قرأه عليهم تحوت فقالوا : « إن كل ما قاله صحيح جدا ، فهو سيد الطعام » .

وأخيرا أعلنت المحكمة أحقية حوريس ، وعندئذ كلف أتوم ليزيس أن تحضر مست مقيدا بالأغلال ولامه على عدم إذعانه لقرارات المحكمة ، فأذعن ست وترك لحوريس منصب أبيه ، فاعتلى حوريس عرش أوزوريس وتوجه بالتاج الأبيض وحيث ليزيس ابنا كملك طيب على البلاد .

وأخيرا تساءل بتاح فيما عسى أن يكون من أمر ست ، وقد ظفر حوريس بالعرش ، فأعلن رع حور آختي بأن عليهم أن يعهدوا إليه بست لكى يضعه في منزلة الابن وأن يسمع صوته في السماء وأن يحشاه الجميع <sup>١</sup> . وهكذا انتظم كل شيء وابتهجت السماء والأرض بأكلها .

(١) وفي رواية أخرى (Sall. IV, 9,4-6) يناك ست الأرض الحمراء ، أى بلاد

الصحراء ، نصيبا له .

وكل من يقرأ هذه القصة الطويلة بكل ما فيها من دعابات وفحش ، من حقه أن يسأل عما إذا كان يحق لنا أن نقر بها حقاً من أسطورة أوزوريس التي كانت تستمتع بأهمية عظيمة في نظر الشعب المصرى . بيد أننا لانعرف هذه القصة إلا من مخطوط من القرن الثانى عشر ، ولذلك فقد يداخلنا الشك فى أنها لم تكن إلا مجموعة من قصص ساخرة لمؤلف واحد ، استخدم فيها أشخاص آخته .

على أن هذا الشك لا يكاد يستند إلى أساس صحيح ، إذ أن بعض أجزاء من هذه القصة وصلت إلينا عن طريق مصادر أخرى فى صورة مماثلة تماماً ، فمثلاً الجزء الخاص بأفراس البحر وقطع رأس إيزيس<sup>١</sup> ، وكذلك قطعة أخرى من القصة أطول حفظت لنا فى بردية ترجع إلى عهد أقدم بستة قرون<sup>٢</sup> ، وهذه القطعة تتضمن بالضبط ذلك الجزء من القصة الذى اخترنا أن نغفل ذكره بسبب ما فيه من فحش فى القول ، ولهذا فاننا نجد أنفسنا مضطرين إلى الاعتقاد بأن هذه القصص كانت تتعلق بالأساس وتتناقها الأفواه لنا عن فم ، إنما تناسب وتتفق مع حاجات المستمعين ، فالطبقات الدنيا من الشعب تجد لذتها فى غير ما تجد فيه الطبقات الراقية . وهكذا تشمل الأسطورة الجحد والسخف والطيب والحديث ، وتلك صفات ينتمى كل منها إلى الأسطورة سواء بسواء ، وترينا أسطورة أوزوريس بنوع خاص فى أحدث صيغة لها وهى ترجع إلى العصر اليونانى كيف تقبلت الطبقات المختلفة من الشعب فصولها المختلفة . وفى الكتاب الذى خصصه لها بلوتارك<sup>٣</sup> حذف كثيراً من التفصيلات التى رأها غير لائقة بل نائية ، ومع ذلك فقد كان أحد كبار المخلصين لعبادة إيزيس ، وإنه إذا كان كل شىء قد حدث حقاً كما هو مكتوب ، فانه لا يتبقى لنا - إذا اتبعنا أسلوب آشيل فى الكلام إلا أن نبصق ثم نطهر فمنا . والشىء الذى أعجب بلوتارك وأستأثر شوقه على وجه أخص فى هذه الأسطورة هى الحوادث والمظاهر التى يمكن تفسيرها بأسلوب وطريقة فلسفية .

(١) Sallier , IV, 26 ff. وكذلك راجع Plutarch de Iside Kap. 20

(٢) Pap. Kahun, Taf. 3

(٣) Plutarch. de Iside Kap. 20

وسرى في الفصل الثاني والعشرين مظهر أسطورة أوزوريس في ثوبها الأكثر رقا وتهديبا عندما نتكلم عن انتشارها في أوروبا .

ولنستعرض في إيجاز في خاتمة هذا الفصل الطويل قصة أوزوريس كما قرأها بلوتارك في الكتاب الذي زوده بالأساس الذي اعتمد عليه في تصويره لعقيدة إيزيس .

لقد لعن رع نوت حتى لا يستطيع أن تلد في أى شهر من شهور السنة ، ولكن هرمس ترفق بها فخلق أيام النسيء الخمسة<sup>٢</sup> التي لا تدخل ضمن أى شهر من الشهور ، وبهذا تمكنت من أن تلد في هذه الأيام أبناءها الخمسة : أوزوريس و حوريس و ست و إيزيس و نفتيس .

وعند ولادة أوزوريس ارتفع صوت من معبد طيبة معلنا أن الملك العظيم الخير قد ولد . وعندما استولى على السلطة عنى بالناس وغير الطريقة البدائية في الحياة التي كان الناس قد ألفوها من قبل حتى ذلك الوقت ، وأدخل زراعة الفواكه وأعطى الناس القوانين وعلمهم كيف يعبدون الآلهة ويقدمونها ، وأخذ يجوب البلاد جميعها دون حاجة إلى حرب ، وكان لا يجتذب الناس إلا باللطيف والإغراء والموسيقى<sup>٣</sup> .

ولم يحدث في غيبته أى شر ، لأن إيزيس زوجته كانت يقظة ساهرة ، بيد أن تيفون الذي كان يتقدم صدره بالغيرة ، دبر مؤامرة ضد أوزوريس اشترك فيها اثنان وسبعون رجلا وأخذوا في تنفيذها عقب عودة أوزوريس ، فقد صنع صندوقا رائعا بنحجم أوزوريس تماما وعرضه في خلال مأدبة ووعده منداعبا بإهدائه لمن يستطيع أن يملأه تماما ، فلم يوافق الصندوق أحدا إلى أن جاء الدور على أوزوريس فنام فيه ، وعندئذ أسمع في الحال أتباع « ست » المتآمرون ووضعوا الغطاء وأغلقوه بالمسامير وألقوا بالصندوق في النيل ، وظل عائما حتى بلغ البحر . وعندما اختفى أوزوريس

(١) سنحفظ هنا لكل من ست وتحت بالاسمين اللذين استخدمتهما بلوتارك وهما تيقون وهرمس .

(٢) من العنائد القديمة أن الآلهة الإوزيزية الخمسة ولدت في أيام النسيء الخمسة ، انظر مثلا

Gr. 1٠91 وفي هذا دليل ملحوظ على قدم أسطورة أوزوريس . وعندما ابتدع التقويم عام ٤٢٤١

ق . م كانت هذه الآلهة معروفة في هليوبوليس . راجع 197 Ed. Meyer I<sup>2</sup> .

(٣) راجع Plutarçh, de IS. الفصل ١٣ . وهناك مصدر آخر يوناني يتحدث عن غزوات

هكذا حزن عليه إيزيس حزنا عظيما وأخذت تجوب البلاد بحثا عنه. ودلها بعض الأطفال على الجهة التي انساب إليها التابوت لأنهم كانوا قد رأوا بطريق الصدفة كيف ألقى أتباع تيفون بالصندوق في البحر . ولقد علمت إيزيس فوق ذلك بأن الصندوق قد جنح إلى شاطئ فيديقية عند مدينة جبيل ( بيلوس ) ونبتت شجرة نمت بسرعة واحتوته في داخلها ، بيد أن ملك جبيل أعجب بضخامة هذه الشجرة واتخذ من جذعها الذي يضم الصندوق عمودا يدعم سقف قصره . وعندما بلغت الإشاعة إيزيس سافرت إلى جبيل وجلست باكية في حالة شديدة من اللدغ والمسكنة بجوار نبع . وكانت لا تكلم أحدا ولا تلاطف إلا خادمت الملكة . فكانت تصنف شعورها وتعطرها بالطيب الجميل الساطع الخاص بها . فعندما لاحظت الملكة الطيب الذي يفوح من خادمتها أمرت بإحضار المذابة الأجنبية واتخذتها نديمة لها ومرصعة لطفلها . بيد أن إيزيس كانت تعطي الطفل إصبعها لآثديها ، وعندما جن الليل حرقت الأجزاء الغائبة من جسمه ونحوكت هي نفسها إلى عصفورة أخذت تحلق نائحة حول العمود الذي يخفي جثة أزورويس . وحدث أن الملكة اكتشفت أن طفلها يرقد في النار أثناء الليل ، فصرخت وبذلك فقد الطفل خلوده . وعندئذ كشفت الإلهة عن نفسها ونزعت العمود من تحت السقف وأخرجت الصندوق من باطن الشجرة ، ولقت الشجرة في الكنان وغطتها بالدهون ، ولا تزال تعرض حتى اليوم في معبد جبيل على أنها « خشب إيزيس » .

وانطرحت إيزيس على التابوت وأخذت تبكي وتندب بحسرة على أن الابن الأصغر للملك قد مات وأخذت الابن الأكبر والتابوت وعادت بهما إلى مصر . وهناك في عزلة ، فتحت الصندوق ووضعت وجهها على وجه الميت وقبلته وهي تبكي وتنتحب ، وعندئذ فاجأها الصبي فوجهت إليه إيزيس ، ونفسها تفيض بالغضب ، نظرة يبلغ من رهبتها أن مات من الخوف .

وعندما ذهب إيزيس إلى ولدها حوريس الذي كان يربى في بوتو ، خبأت

(١) وكانت تسمى عشتار ، على اسم الإلهة الفينيقية التي وجدت سبيلها كذلك إلى مصر .

الصندوق الذى فيه جثة أوزوريس ، ولكن تيفون الذى كان يصطاد ليلا كشف عن مكانه فقطع جسم أوزوريس إلى أربعة عشر قطعة وبعثها . وعندئذ أخذت إيزيس تجوب المناقع بقارب من سيقان البردى باحثة عن أشلاء الجثة ، فعثرت عليها جميعا ما عدا عضو التناسل ، لم تعثر عليه لأن نوعا خاصا من السمك كان قد التهمه ، ومن ثم فقد أصبح هذا النوع من السمك مكروها ومحرم عند المصريين . ثم دفنت جميع أجزاء الجسم الأخرى على انفراد ، كل جزء حيث وجدته ، وهذا هو السبب فى تعدد مقابر أوزوريس فى مصر .

وبعدئذ خرج أوزوريس من العالم السفلى ليعد حوريس للقتال . وقد سأله عن أجل شيء فى الوجود فأجابته الصبي : لأنه هو علاج الظلم الذى حاق بالوالد . وعندما اتخذ حوريس أهنته للقتال كان تيفون قد هجره عدد ليس بالقليل من رفاقه ومن بينهم نويس خليلته ، وهى فرسة البحر التى ستعرض لذكراها فى الفصل العاشر . وبعد قتال استمر عدة أيام انتصر حوريس على تيفون ، بيد أن إيزيس التى كانت قد تسلمت تيفون من ابنا حوريس مقيدا بالأغلال عفت عنه وفكت قيوده وأغلاله . فلم يمتثل حوريس ذلك وأطاح بالنجاح من على رأسها . ولكن هرمس استبدله بقناع على شكل رأس البقرة .

وعندئذ اتهم تيفون حوريس بأنه ابن غير شرعى ، ولكن هرمس ناصر حوريس فاعترفت به الآلهة ابنا شرعيا لأوزوريس ، وفى خلال معركتين تاليتين غلبت على أمره تماما .

وهكذا تنتهى رواية بلو تارك ، ونحن إذا قارناها بالروايات الأقدم عهدا التى أوردناها فيما سبق ، فاننا سنلاحظ أن هذه الرواية الأحدث من الأسطورة البدائية تلامم من حيث الشكل ذوق القارئ اليونانى . وفوق ذلك فان من بين المظاهر المهمة التى توحى بها طبيعة أوزوريس . هو ذلك المظهر الذى يجعل من أوزوريس الشكل المثالى الأول للميت الذى تتخذ له طقوس جنازية لدفنه . فالصندوق الذى كان ينام فيه يذكر بالتأبوت . وجميع حوادث جبيل

(١) علامة على هذا امتدح حوريس الجراد ، أكثر من الأسد ، لأنه يمكن به مطاردة الحارثين .

( بيلوس ) تشير أيضا إلى الدفن وإعداد الجثة ، لأن كل ما يستخدم في هذه الظروف من خشب وزيت أرز يستورد من هذه الميناء . وهناك كتاب قديم للحكمة يؤكد أيضا هذا الأمر . « فاذا لم تعمل الرحلة إلى جيبيل ( بيلوس ) فان خشب الأرز ينقص للموميات وزيت الأرز لا يوجد لتحنيطها » .

ومع ذلك فانه مما يستلفت النظر أنه لم يرد ذكر الإله الذى دفن أوزوريس إلا عرضا ، فقد ظهر مرة واحدة اسم أنوبيس وهو طفل وُلد من علاقة غير شريفة بين أوزوريس ونفتيس . وخوفا من تيفون أُلقت به نفتيس في جهة ما ، ولكن إيزيس وجدته بعد أن أرشدتها عن مكانه طائفة من الكلاب ، فربته إيزيس وصار هذا الطفل حارسها وتابعها . وكان أنوبيس هو الذى يتولى حراسة الآلهة كما تتولى الكلاب حراسة الإنسان . وشخصية أحدى أكبر خطورا أيضا ، وهى حوريس الطفل التى لم تذكر إلا عرضا ولم تكن تمثل إلا إلهة صغيرة معينة ، وهو حربوقراط - كما يسميه الإغريق - أى « حر . يا . خرد » . وحوريس الطفل . وكان ينظر إليه على أن إيزيس قد ولدته بعد موت أوزوريس ، وأنه لهذا السبب قد ظل هزيبلا .

وإنه ليمكن ذكر أحداث صيغة لأسطورة أوزوريس ، فقد عادت هذه الأسطورة من جديد في القرن الثانى عشر الميلادى ، وذلك في أوروبا على الأقل . وقد أزدادت مقطوعة « الناي المسحور » في نشرها وذبوعها بين الناس حتى لقد صرخ جوته في حقن وغيظ قائلا : « أى إيزيس وأوزوريس لو أنى أستطيع التخلص منكما ؟ » ولكننا نحن الذين نعرف هذه الأسطورة من مصادرها القديمة الخالصة وهى أقدم ما في العالم من أساطير ، فاننا ننظر إليها نظرة مختلفة كما نستطيع أن نبهج بها في غير تحزب .

## الفصل السادس

### اللاهوت

إذا كنا قد عالجنا في الفصل السابق التطورات ، والأساطير التي تعتبر في مجموعها ذات طابع إنساني قريبة إلى الفهم فاننا في هذا الفصل سنعالج أكبر نواحي الديانة المصرية نموضا مما يتعلق بالتأويلات والتخييلات التي أخضع الكهنة لها عقائدهم . وقد آثر الكهنة اتخاذ هذه الطريقة منذ أقدم عصور التاريخ ، وإن اشتهار المصريين القدماء بالحكمة العميقة حتى يومنا هذا ليعتمد - قبل كل شيء - على هذا النوع من المعرفة .

وكما هي الحال في كل مكان فاننا نرى الناس يفكرون في أغلب الأحيان فيما لا يفيد كثيرا جوهر الدين ، ولكني نعطي مثلا يقرب إلى الأذهان ما أعنيه فانه لا يؤثر على العقيدة المسيحية موقف كل شخص من الأقاليم الثلاثة ، ولو أنه قد يحدث أحيانا كنتيجة للتعمق في هذه النقطة أن يعتق الكافة هذه النظرية .

وقياسا على ذلك فان بعض ما حاكه الكهنة حول آلهتهم ، من أقاصيص قد بلغ الشعب وذاع في طبقاته . ولقد بقيت هذه القصص مجهولة حتى كشفت في عصرنا منقوشة فوق جدران المعابد ومدونة في النصوص كجزء من المقدسات المحاطة بالأسرار وإن لم تلعب دورا مهما في حياة أفراد الشعب . وإذا كان هؤلاء يسمون أولادهم باسم الإله « بتاح » العظيم مثلا وإن كانوا يفرعون إلى هذا الإله في ساعات حرجهم فانهم أهملوا شأن الإله « تاتن » الذي اخترعه الكهنة وجعلوه صورة من صور الإله « بتاح » ، ولو أنهم كثيرا ما ذكروه في أحاديثهم واعتبروه إلهأ أبديا خالدا .

ولقد احتفظ الكهنة بسرّ تعاليمهم الدينية إلى درجة جعلتنا نعجب مما ورد في بعض النصوص المنقوشة فوق المعابد الدينية ولم ندرك لها معنى إلا بعد أن قرأنا ما يقصد بها .



منقوشاً على معابد العصور المتأخرة ؛ فمثلاً كل من يزور المعبد الصغير في مدينة هابو لا يستطيع أن يفسر لماذا سمي منذ أول العصور باسم « المكان المقدس لآلهة الأبدية »<sup>١</sup> ولم ندرك فحوى هذه العبارة إلا من نص يرجع إلى العصر اليوناني ظهر منه أن الكهنة كانوا قد اعتبروا هذا المكان بمثابة الجبانة التي يرقد فيها أولى الآلهة المصريين . وكان لكل معبد بطبيعة الحال تعاليمه . ولو أنه قد حُفِظت لنا جميع معابد مصر لتيسر لنا ترسم العقائد المصرية حسب مدارسها المختلفة ؛ ولكن ضاعت جميع معابد الوجه البحرى تقريباً وكثير من معابد الوجه القبلى . ويجدر بنا هنا أن نذكر بأنه مع وجود هذا التقص الكبير فقد تمكن علماء الآثار المصرية بدأبهم واجتهادهم أن يصلوا إلى نتائج فتحت أمامهم الطريق إلى الكثير مما نمض من تعاليم الكهنة المصريين . وسوف نتحدث هنا عن التعاليم الخاصة ببعض المعابد الكبرى التي كانت ذات أثر في الديانة المصرية لسبب واحد هو أنها كانت المعابد المشيدة في المدن التي كانت عواصم للحكم في بعض العهود وتنتهى كل هذه التعاليم غالباً عند نقطة واحدة لأن هدف هؤلاء الكهنة أن يصلوا إلى نتائج دينية يكون مسلماً بها عند الجميع ، ولقد حاولوا أن يعرفوا كيف تكوّن العالم غير قانعين بما اعتقده البسطاء من أن الأرض حطفت يوماً من الأيام فوق سطح الماء . . . فالكهنة في منف - مثلاً يقولون بأن الأرض الطافية ( تا - تنن ) هي بعينها الإله « بتاح » نفسه . ومن أجل ذلك سمي هذا الإله باسم « تا . تنن » . ثم أراد الكهنة بعدئذ أن يدفعوا بإله مدينتهم إلى الصدارة فلما لم تسعفهم الفرصة - إذ كان هناك إله آخر انتشرت تعاليمه وتغلغلت في نفوس عدد أكبر من أنصار إلههم أضيفوا على ذلك الإله ذى العباد الكثيرين من صفات ومناقب إلههم المحلي<sup>٢</sup> .

وكذلك الحال في تعاليم المدينة المقدسة « هليوبوليس » وأول ما عنيت به هذه التعاليم هو تاريخ بدء الخليقة ، فقالوا : « عندما تكوّن إله الشمس ( أو كما سموه في هليوبوليس الإله أتوم ) في المياه الأبدية « نون » قبل أن تتكون السماء والأرض

(١) Sethe, Amoun, 103

(٢) ومن الأثلة الواضحة عن ذلك أن الكفاح بين حوريس وست قد أصبح في اليوم كفاحاً بين الإلهين سيك وتحوت . Fayoum Papyrus II, 38.

وقبل أن تخلق الدودة أو العلقة . لم يجد مكانا ما يقف فيه <sup>١</sup> . فوقف فوق تل ، ثم صعد فوق حجر الـ « بن بن » في هليوبوليس <sup>٢</sup> . وبعده وجد نفسه وحيدا وفكر في أن يخلق له زملاء ( رفقاء ) فحمل من نفسه <sup>٣</sup> ، وبعد هذا الحمل تفل <sup>٤</sup> فكان الإله شو والآلهة تمنوت . ويبدو واضحاً من اسمي هذين المعبودين أنهما خلقا بالطريقة التي ذكرناها فيما سلف ؛ فالاسمان اشتقا من كلمتين قديمتين بمعنى ( البضق ) الكلمة الأولى : إشش ، والثانية : تف .

وأجيب شو وتمنوت الإلهين كيب إله الأرض ونوت إلهة السماء . كما أنجب هذان الأخيران أوزوريس وست وإيزيس ونفتيس . ثم تكاثر أبناء الزوجين الأخيرين .

ولقد حكم هؤلاء العالم في أول الأمر قبل أن تتجمع السلطة في يد حوريس فكانوا الآلهة العظام ولأن عددهم كان قد بلغ التسعة فقد سماهم المصريون التاسوع ، أو التاسوع العظيم لهليوبوليس . ولكن هذه التسمية قد سببت بعض الاضطراب لأنه بجانب هؤلاء الأبناء كان هناك أحفاد وأحفاد إلهة أنوم الذين امتازوا بتقديس الناس إياهم واعتبروا آلهة ، فاضطر الكهنة أن يؤلفوا من بينهم مجموعات منها التاسوع الصغير الذى يتكوّن من حوريس بن إيزيس وتمنوت ومعات وأنوبيس ولكي يكملوا العدد أضافوا إليهم بعض الأسماء لآلهة غير مشهورين . ولقد حظيت فكرة كهنة هليوبوليس بتقدير كهنة بعض المدن الكبرى الأخرى ، وأرادوا أن يكونوا من آلهتهم المحلية تاسوعاً فوضعوا معبودهم الأكبر في مقدمة هذا التاسوع ثم أضافوا إليه عدداً من الآلهة كان أحياناً يزيد عن التسعة ، ومثل ذلك تاسوع طيبة ° الذى جمع ما لا يقل عن خمسة عشر معبوداً ، وأحياناً نجد عدداً من الآلهة يكون تاسوعاً ليس من بينهم معبود ممن قدس في هليوبوليس . ومثل ذلك في مدينة

Budge, Nesi Amsu, p. 147, 156. (١)

Pyr. 1652. (٢)

Pyr. 1248, 1652. (٣)

Pyr. 1652, A.Z. 67, 34 (٤)

Sethe, Amoun, 41 (٥)

أبيدوس التي تألفت تاسوعها من إلهين باسم نخنوم ثم نخوت ، ثم إلهين باسم حوريس وإلهين باسم أوب أوات <sup>١</sup> . ومما يثير العجب أن المصريين منذ العصور الأولى أخذوا يتحدثون عن هذه المجموعة من الآلهة الذين اخترعوهم ليكونوا تاسوعا كما لو كانوا يمثلون إلهما واحدا . فقالوا مثلا : إن التاسوع قد ولد إلهما <sup>٢</sup> ، أو أنه قد خرج من بين فخذي التاسوع <sup>٣</sup> . وواضح أنهم قد رأوا في هذه المجموعة من الآلهة معبودا واحدا ، ولو أننا نميل إلى الاعتقاد بأن هذا لم يكن إلا نوعا من أنواع الجناس كما هو واضح في كثير من النصوص المصرية .

ويجدر بنا هنا أن نؤكد أن تعاليم هليوبوليس هذه رغم أنها تبدو عريقة القدم قد ظهرت في عهد كانت عقيدة أوزيريس فيه قد دخلت وامتزجت بمعتقدات هذه المدينة .

وعندما جعلت تعاليم هليوبوليس الإله « أتوم » على رأس جميع الآلهة لم تستطع جارتها مدينة منف الأخذ بهذه الحقيقة ، وبخاصة لما لإلهها « بتاح » من شهرة وتقديس بين أهلها ، ولأنها كانت في الوقت نفسه مقرّ الملوك . وفي ذلك الوقت - أى في أول عصور الدولة القديمة - وضع كهنة منف وثيقة أكدوا فيها أن « بتاح » ومنفيس تفوق منزلتهما ما لأتوم وهليوبوليس من منزلة ولكن القدر تحكّم في مصير هذه الوثيقة التي تسميها ( تعاليم منف الكهنوتية ) والتي اعتبرت من أهم الوثائق التي حفظت بين كنوز معبد منف آلافا من السنين ، ثم أتت الأرضية ( ديدان ) عليها فاختمت منها معظم القطع المكوّنة لبدايتها ونهايتها ، وعندما حكم الملك النوبي « شباكا » مصر حوالي عام ٧١٠ ق . م تقدم إليه كهنة منف وطلبوا منه أن يتخذ من الفناء ما بقي من كتاب الأجداد هذا ؛ إذ كان يعتبر دليل الشرف لعبيدهم . فأمر « شباكا » أن يحفر ما بقي من هذا الكتاب على لوح من الحجر الجرانيت الأسود ، وقد دفع الورع بكتابة « شباكا » أن يخلدوا كذلك على هذا

Urk. IV, 99 (١)

Pyr. 258 (٢)

Pyr. 1087, 262 (٣)

الحجر بقية من كتاب آخر ، وعلى هذا الشكل الغريب وصل لنا هذا الكتاب <sup>١</sup> .  
والحكمة التي يحويها هذا النص هي أن « بتاح » خلق من نفسه ثمانية آلهة أخرى  
سميت باسم بتاح ، ولقد أطلق عليها البشر غالبا أسماء أخرى ، ولا غرابة فهذه هي  
آلهة مصر الكبرى أو قل إنها خالقة مصر . ومن أجل ذلك أرجعوا كل آلهة مصر  
إلى « بتاح » حتى إنهم قالوا بأن المعبود الصغير « نفر تم » - وهو تلك الزهرة التي  
تُدخل السعادة على قلب إله الشمس كل يوم ليس إلا « بتاح » . وإذا كانوا قد  
نادوا بوجود ثمانية أشكال مختلفة لبتاح فلم يكن ذلك إلا ليُكَوَّنوا مع بتاح الأصلي  
تاسوع يعادل هليوبوليس .

وأطلقوا على الإلهين الثاني والثالث من هذا التاسوع « بتاح - نون » المياه  
الأزلية وزوجته « بتاح - ناونت » وقد أنجبا الإله أتوم . ومعنى ذلك أن أصبح  
هذا الأخير وهو أعظم آلهة هليوبوليس أقل شأنًا من الإله بتاح المنفي . فكل  
ما اتصف به أتوم من خصال استمدتها من « بتاح » بل إن شفتيه وأسنانه التي تفل  
بها شو وتفتوت قد استعارها من بتاح ؛ بل سلبوا أتوم من قدرته على أن يخلق  
ويبدع ، إذ أن قلبه ولسانه ليسا إلا من بتاح . ومن هذا نرى بوضوح كيف أن  
القلب واللسان هما اللذان كانا يخرجان كل شيء إلى الوجود : « إذا ما رأيت العين  
وسمعت الأذن ونشقت الأنف الهواء بعثت هذه » ما رأيت وسمعت ونشقت إلى القلب  
الذي يبدأ في اتخاذ قراراته ، أما الإنسان فينطق بها . واعتُبر القلب واللسان للإله  
أتوم كطيفين من أطيايف بتاح عرف الأول باسم تحوت والثاني باسم حوريس .  
ولقد خلق اللسان كل شيء حتى بوساطة « الكلمة »<sup>٢</sup> التي خلقت كل قوى الحياة  
وكل ما يؤكل وكل ما يجه أو يكرهه الإنسان « كما أخرجت القوانين ، فهي » التي  
أعطت الحياة لمن يحب السلام والموت للأشقياء كما سببت نشأة الفنون « أي كل عمل

(١) ومن الغريب أن هذا الحجر تعرض للتلط مرة أخرى ، فقد وجد بعض أهالي منف أنه يصلح  
معاملة لرحى ، فاستعملوه في هذا الغرض فامحى جزء كبير من النقوش ، ومنذ عام ١٨٠٥ توجد هذه  
الروثيقة الغريبة في المتحف البريطاني .

(٢) واعتبر فيما بعد أن كلمة المعبود هي التي تخلق الأشياء . Pyr. 1146, Berlin Papyrus 3055,6,9

وكل فن تصنعه الأيدي ، فإذا ما أمرت الكلمة سعت الأقدام وتحكرت الأعضاء .  
 وخلاصة القول ، هو أن بتاح خالق أتوم بل خالق كل الآلهة « وسعد قلب  
 بتاح بعد أن خلق الأشياء كلها وخلق كلمة الإله » .

وهيمن بتاح أيضا على الأرض « فقد كون الآلهة وشيد المدن وأنشأ المديرات  
 ووضع الآلهة في معابدها وسمح للقبائل التي تقدم لهم أن تتكاثر وتزايد كما زود  
 مقاصيرها المقدسة بمحتوياتها ، ثم صنع لها أجسادها ليسعد أفلتها ، ثم دخلت الآلهة  
 إلى أجسادها التي صنعها من مختلف الأخشاب والأحجار والمعادن وازدهرت  
 المحصولات المختلفة وجمعت في صوامع الإله بتاح - تا - تن ، وهي تلك الأماكن  
 الكبيرة التي أسعدت آلهة معبد بتاح . »

وهكذا كشف كهنة بتاح عن حكمتهم العميقة في كلمات رنانة ، إذ من الواضح  
 أن ما أتى في آخر النص يدل على أن ما يضيئهم من نفع مادي في هذه الدنيا التي خلقها  
 بتاح قد ادخروه في أمكنة آمنة .

ولقد تأثرت المعابد الأخرى بتعاليم منف ، فسارع الكهنة في كل مكان وقالوا  
 إن الآلهة التي تعبد في المعبد هي أعضاء للإله الأول فيه وسواء كان ذلك الإله  
 بتاح أو أمون أو رع كما جعلوا من « تحوت » القلب الذي يفكر في كل شيء ، ثم  
 جعلوا « اللسان » بمثابة الناطق بما يجب أن يكون . ولقد ورد في نص حديث يرجع  
 إلى العصر اليوناني أن هذه من بين التعاليم التي تنادى بها حكماء المصريين : « القلب  
 هو الذي يقود الجسد أما اللسان فيسومونه مبدع الكائنات »<sup>٢</sup> . وينبغي لنا ألا نغفل هنا  
 كيف أن تعاليم منفيس قد انتظمت أصولا دينية غريبة ، وهي أن هناك إلها واحدا  
 خرجت منه الآلهة الأخرى ، وأن القلب هو الذي يقود هذا الإله الواحد .

وفي الوثيقة نفسها التي هوّن فيها كهنة منف من الإله أتوم على النحو الذي شرحناه  
 نجدهم قد شرحوا موقفهم من إله آخر هو أوزوريس ولو أنهم لم يجسروا أن يجعلوا منه  
 طيفا من أطراف بتاح ، إلا أنهم جعلوا منه واحدا من يتكوّن منهم بلاط بتاح وأنه

(١) قارن ما ورد في أنشودة أمون المحفوظة بمض « ليدن » : « إن التسوع قد تجمع في جسدك »

وقارن كذلك A. Erman, Literatur P: 369

Horapollo I, 2i (٢)

أخى الآلهة التابعة له<sup>١</sup> ثم جعلوا من منف الميدان الذى جرت فيه أهم الأحداث لهذا الإله .

ففى منف توجهَ أوزوريس إلى الدنيا السفلى ، وكان ذلك بعد أن انتقلت أيدى إيزيس ونفتيس . وفى هذه المدينة أيضا حاول كب أبو أوزوريس أن يصلح بين حوريس وست المتعادين ، فأعطى للأول مصر السفلى وللثانى مصر العليا . وفى منفيس أعطى حوريس حفيده من ابنه الأول حكم البلاد بأجمعها .

وهناك بعض التعاليم الخاصة بمدينة الأشمونين ومدرستها الدينية تعتبر أيضا من تخريج منف ، ولو أنها لم ترد فى الوثيقة التى كثر الحديث عنها فيما سلف . فلقد اعتبر تان - تن هو خالق الآلهة الثمانية الأولى فيها<sup>٢</sup> كما أنه اعتبر خالق البيضة التى انبثق منها إله الشمس ، وبذلك أصبح « والد آباء (جد) كل الآلهة ، وبدء كل ما كان فى البداية » فهو صانع كل ما فى الكون .

لقد بحثنا فى الفصل السابق تلك القصة التى تحدد بدء الخليقة فى مدينة الأشمونين على هيئة الضفادع والثعابين وكان عددها ثمانية ، وعلى هذا سميت المدينة « مدينة الثمانية » أى « شمون » وإذا تعدد علينا معرفة دقائق هذه التعاليم وكيف تصوورها كهنة مدينة شمون وذلك لقلّة ما تخلف من معابدها ، فإننا فى الوقت نفسه نعرف الكثير عما تركته هذه التعاليم من تأثير فى مدينة أخرى أخذت عنها فى عصور تالية ، ألا وهى طيبة . إذ حدث فى أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد أن تسربت بعض معبودات شمون إلى طيبة واستقرت فيها ، ونخص بالذكر واحدا من الآلهة الثمانية الأولى أى أمون الذى تلالأ وعلا شأنه فى طيبة كما استقر أيضا فيها الكثير من تعاليم ديانة « شمون » وحكمة كهنتها ، وهكذا وصلتنا هذه الحكمة وعرفنا الكثير من تعاليم هذه الديانة عن طريق معابد طيبة فى العصور التالية . وأهم ما سعت هذه المحاولات إلى إبرازه هو عدم الاكتفاء بالآلهة الثمانية ، بل يجب محاكاة لمنفيس أن يوضع إله قبلهم يكون هو الذى خلقهم ، وبالفعل جعلوا أمون الذى كان واحدا

(١) ولو أنه ورد فى نص أنه قد خلق من بتاح Berliner Inschriften II, 149

(٢) Sethe Amun, 200, Anm. 2, Taf. II

منهم هو خالقهم ويدل اسمه على أنه « الكائن الخلقى » . وعلى هذا النحو لم يكن  
لأمون هنا أى أهمية لأنه صوّر على هيئة ثعبان اسمه « كم - اتف » ويعنى هذا الاسم  
« ذلك الذى أكمل زمانه » .

وهكذا كان هذا الإله غير ذى موضوع لهذه الدنيا فانتهى أمره وأنجب  
« كم - اتف » ولدا على هيئة الثعبان اسمه « إير - تا » خالق الأرض الذى خلق  
بدوره الآلهة الثمانية الأولى ، ومنها نشأت الخليقة . ولأولئك البسطاء الذين لم يتعرفوا  
على هذه الحكمة ذات المعانى العميقة كان « كم - اتف » عندهم هو « أمون العظيم »  
معبود الكرنك ، وهو أيضا أمون إله التناسل وخالق الأرض ومعبود الأقصر .

وعندما خلقت الآلهة الثمانية كانت الدنيا لاتزال فى ظلام دامس ، ولكن  
الآلهة الثمانية اندفعوا مع تيار المياه الأولى ووصلت إلى شمون - وهناك من يقول  
لإنها وصلت إلى منف أو إلى هليوبوليس - وهناك خلقت الشمس ، ومن ثم رجعت  
إلى طيبة . ولما كانت قد أتمت صنعها بخلق العالم انتهى أمرها ولحقت بالثعبان  
« كم - اتف » فى عالم الموتى بطيبة واستراحوا جميعا فى ذلك المكان حيث بنى المعبد  
الصغير بمدينة هابو ، يتردد عليهم أمون الأقصر مرة كل عشرة أيام ليقدم لهم  
القربان واعتبروا بالنسبة لعالمنا هذا كالموتى يهرع إليهم الناس بما يقدمون إليهم ،  
على حين كانوا قوّة لا يستهان بها فى العالم السفلى ، فهم الذين يدفعون الشمس إلى  
الشروق والتيل إلى الأرض . وإذا كانت فكرة موت الإله تبدو لنا غريبة فإنها لم تكن  
كذلك لدى المصرى<sup>١</sup> ، ولا غرابة فى ذلك فقد اعتقد أن إلهه الكبير أوزوريس  
كان يحيا حياة بشرية ثم مات .

ولقد تهادى أهل المعرفة من رجال طيبة فى تنفيذ فكرتهم هذه حتى أنهم جعلوا  
من أوزوريس إله هو « كم - اتف » الذى يتفق فى معنى اسمه « الذى قد أكمل وقته »  
مع أوزوريس ، ثم ليزيدوا فى إحكام الحلقة جعلوا من أمون « الروح » لأوزوريس  
وقالوا إن جسد أمون يوجد فى الدنيا السفلى ، وإنه أى أمون كإله للشمس يزور  
جسده هذا عندما يتجوّل فى الدنيا السفلى أثناء الليل .

(١) وهكذا ورد أيضا أن « تسعة أبناء لرع » قد دفنوا فى إدفو وكان لهم عيد خاص وكان يقدم لهم

وليس من شك أننا في عصرنا هذا لانستطيع مطلقا تفهم دقائق هذه التعاليم ،  
ولكننا نكاد نعتقد أيضا أن أكثر الكهنة تعمقا في هذه التعاليم لم يكن يعيها أهمية ما  
أثناء حياته الكهنوتية العادية ، فانهم لم يروا في أمون الكرنك إلها ميتا منتبيا ، بل  
كان هو أكبر آلهتهم وأقواهم ، هو ملك الآلهة الذى يسوس العالم ويتحكم في مقاديره .  
كما أنهم في واقع الأمر لم يروا في أوزوريس ذلك الإله الذى تظهر روحه باسم  
أمون بل كان إله الموتى فقط .

ومن تلك التعاليم التى تقول بأن الآلهة قد خلقوا من إله أول واحد نتجت  
فكرة أخرى وهى أن كل ماتخلقه الآلهة من أشياء ، فإن هذه الأشياء تحوى بعض صفات  
تلك الآلهة . وقد قالوا في ذلك « إنها خرجت من أعضائها » وليس من شك في أن  
هناك علاقة ما تربط بين هذه الآلهة وبين تلك الأشياء التى تخرج منها ، وكثيرا  
ما سما الماء « أعضاء أوزوريس » ولعل هذه التسمية يفسرها ذلك الاعتقاد القديم  
الذى يجعل من أوزوريس إله الفيضان الحديد ، ولكننا لانكاد نفهم السبب الذى  
جعل المصرى يقول بأن الماء هو ذلك السائل الذى يجرى من جثة أوزوريس . ولعل  
السبب الذى جعلهم يسمون « الهواء » « أعضاء أمون »<sup>١</sup> هو أن هذا الإله العظيم كان  
يعتبر — وهو في حالته الأولى كأحد الآلهة الثمانية — إله للهواء والرياح<sup>٢</sup> كما اعتبرت  
زوجته « أمونت » إلهة الرياح الشمالية<sup>٣</sup> ، وكذلك نفهم أن اللبن يخرج من حانحور<sup>٤</sup>  
لأنها كانت تعتبر في وقت ما « بقرة السماء » ولكن لاندرى سببا للعلاقة بين الجعنة  
التي جعلوها تخرج من حانحور<sup>٥</sup> والزهور من أوزوريس<sup>٦</sup> والظران من ست<sup>٧</sup> .  
ومن المعروف أن المصريين على وجه عام أحبوا أن يرجعوا كل الأدوات التى

(١) هكنا ذكر في معبد رمسيس الثالث بالكرنك ، وقارن Brugsch, Grosse Oase 25,3

(٢) راجع Spiegelberg, A. Z. 49, 127

(٣) راجع في كل ذلك Sethe, Amun

(٤) Mariette, Dendera II, 37 a

(٥) راجع Philae, 1545

(٦) Philae, 967, 898

(٧) راجع Pyr. 1999 و ذكر في Plut. de Iside. 62 أن الحديد هو بمثابة عظام ست .



استعملوها في طقوسهم إلى أصل إلهي حتى يكسبها نوعا من التدشين فيرجعوا المرء والبخور إلى أصلها كأعضاء الآلهة حائجور أو حوريس عندما يحرقونها كقادمة لهذين الإلهين<sup>١</sup> كما أحبوا تسمية البخور « عرق الإله »<sup>٢</sup>.

ولقد وهب هذا العرق<sup>٣</sup> العالم عند تدفقه إلى الأرض شيئا آخر : إذ منه نشأ الكتان الذي استحق أن يكون من أصل إلهي - إذ استعمل المصريون الكتان في صناعة أقمشة غطوا بها تماثيل الآلهة واحتاجوا إليها في لف موميائهم<sup>٤</sup> ، ولقد اعتقدوا أيضا بأن كل المواد التي تستعمل في التحنيط ترجع إلى أصل إلهي مثل الزيوت والعمل والقار<sup>٥</sup>.

وإذا كنا فيما سبق قد ذكرنا أن روح أوزوريس قد بقيت على قيد الحياة كأمون فأننا بذلك قد تعرضنا لموضوع آخر تعلق به المصريون واعتبروه من أهم معتقداتهم . ولذلك تشعبت نظرياتهم عنها تشعبا فيها يتعلق ببدء الخليقة . وسوف نتحدث في الفصل الرابع عشر عن اعتقاد المصري بأن لكل إنسان روحا سموها « با » تسكن الجسد مادام حيا وتصوروها على هيئة طائر بعد الموت ، وعن أنه هناك غير « البأ » ما أسمود « القرين » أى كا . ولقد طبقوا على الآلهة ما اعتقدوه عن البشر : فكان لكل إله « با » و « كا » ، ولكن لم يجر المسائل مع الآلهة بمثل السهولة التي جرت عليها مع البشر .

فأولا كان لكل إله « با » تسكن كما تصوروا ذلك تمثاله الموجود بالمعبد ؛ ولكن لم تسكن فقط المعبد بل كانت تتجول في أمكنة أخرى وبخاصة في السماء . وهكذا تصور لنا نقوش معبد دنذرة التي ترجع إلى عهد متأخر كيف كانت

(١) راجع مثلا Philae, 1096 وكذلك Edfu II, 42

(٢) راجع مثلا الطقوس التي تقام لأمون حيث يقال عن البخور هو رائحة عرق جسم الإله .

(٣) عدا هذا لم يكن هذا الأصل الإلهي يبدو دائما في شكل ظريف ، فقد جاء أن أنف جيب أدوف

في الأزور وتمشأ راع فنشأ البردى (Pap. Salt. 825, II, 7)

(٤) Salt, 825 II, 7

(٥) Fiénel de L'embaumement, Maspero, Pap. du Louvre N 3 PL. 7, 10

تهبط روح حاتمور من السماء إلى معبدها الجميل لتسعد نفسها .  
كما اعتقد المصري أن روح الإله تسكن الحيوان المقدس في معبده ، وقد أعطى هذا الاعتقاد رجال الدين المتفهمين فيه فرصة طيبة لكي يضموا في تعاليمهم هذه الحيوانات المقدسة ، فتمتعت العجول والطيوس والبقر والصفور والتماسيح والثعابين بقداسة لا شريك فيها ، ولقد اختلف الأمر عندما بدأ المصري يعتقد بأن هذه الحيوانات كانت تدبّ فيها الروح بوساطة الإله ، أو ما سموها « أرواح إلهية » ولنضرب لذلك مثلاً أنهم اعتقلوا أن عجل أيبس هو روح الإله بتاح<sup>١</sup> - أو كما ورد في نصّ متأخّر هو أيضاً روح أوزوريس<sup>٢</sup> - وأن الطائر الخرافي « فنيكس » هو روح رع<sup>٣</sup> والتماسيح كانت أرواح الإله « سوبك »<sup>٤</sup> ، وأن تيس مدينة منديس يمثل أربعة أرواح لأربعة آلهة مختلفة هي رع وأوزوريس وكب وشو . وانتهى الأمر بهم أنهم لم يكتفوا بجعل روح واحدة لكل إله ، بل زادوا العدد<sup>٥</sup> ؛ فثلاث رع كانت له سبع أرواح وأربعة عشرة « كا »<sup>٦</sup> ولو أننا لانعرف شيئاً عن هذه الأرواح السبعة إلا أننا استطعنا أن نتفهم شيئاً عن هذه الأربعة عشرة « كا » التي كانت ذكورا لها نفس العدد من الإناث والتي تتمثل في : قوّة السحر - البهاء - النصر - القوّة - القوّة - الطعام - الاستمرار - النظر - السمع - الشيع وغير ذلك كثير<sup>٧</sup> ثم في الوقت نفسه اُعتبرت الكا في تعددها وكذلك مع إناثها ككائنات تنشر الخير مثلها في ذلك مثل النيل والحقل<sup>٨</sup>

(١) Sitz. Ber. Berl. AK. 1916, 1148 راجع

(٢) Plutarch de Is. 20 راجع

(٣) Totb. 17, vgl. Grapw Dissertation 45 راجع

(٤) Destruction, I, 86

(٥) ومن الأمثلة التي تبين سخف هذا التفكير أنه حسب أنشودة تاسوع الحبية ، فإن إله الشمس أربعة رموس كل منها على هيئة رأس الكباش تقوم جميعاً على عنق واحد ، وله عدا ذلك ٧٧٧ أذنا ومئات الألوف من القرون ، وتمثل رموس الكباش الأربعة آلهة الرياح الأربعة ( عن مقالة لم تنشر بعد :

(Roeder, Urgötterlied aus Hibis

(٦) Edfu. ed. Rochem. I, 441 راجع

(٧) Pichl, Edfu, Inscript. 128, 130 راجع

(٨) Brugsch, W. B. Suppl. P 997 and Pyr. 396 راجع

ولما كان الملك في اعتقادهم ذاصفات إلهية ، لذلك وجب أن يكون له أرواح كثيرة وأكثر من «كا» واحدة<sup>١</sup> ، ولكن هذه فسرت بالنسبة إليه على وجه آخر ؛ فإذا ما تحدّث المصري عن «أرواح الملك» فإنه كان لا يقصد إلا التعبير عن سلطته القوية .

وإذا تحدّث المصري عن «أرواح» إحدى المدن أو الأماكن المقدسة وكثيرا ما يحدث ذلك فإنه يعنى شيئا آخرًا مختلفًا، فأرواح مدينة «بوتو» أو مدينة هايوبوليس هي آلهتها<sup>٢</sup>

وليس في استطاعتنا هنا أن نتحدّث عن كل ما نسجه المصري القديم من تخيلات غريبة عن أرواح الآلهة ، وبكفيينا أن نختتم هذه الكلمة بحقيقة أخرى وهي أن الإله يمكن أن يكون بمثابة روح لإله آخر ، فمثلا «أمون» كان روح «شو»<sup>٣</sup> أو روح أوزوريس ، وعندما عانى أوزوريس إله منديس الممثل على شكل التيس تكوّن من هذا العناق روحا مزدوجة<sup>٤</sup> .

وليس من شك في أن الصورة التي أعطيناها هنا عن معتقدات المصريين وتعاليمهم الدينية هي صورة مخزنة ، كما أن مانعرفه غير ذلك عنها لا يدفعنا إلى تحسين هذه الصورة على أيّ شكل من الأشكال . فمثلا الفكرة البسيطة التي بدأت باعتقادهم أن الشمس تسير في قاربها أثناء الليل في الدنيا السفلى وفي عالم الموتى ، هذه الفكرة جعلوها نواة لما ملأوا به صفحات كتب متعددة تحدّثوا فيها بتوسع كبير عن إله الشمس وما يلقاه أثناء تجوّله الليلي (قارن الفصل الرابع عشر) كما أنهم حاولوا تنظيم ذلك الخليط العجيب من التعاليم الدينية ، ويبدو ذلك واضحا من تلك الصفات

(١) وفي حالات استثنائية كان للفرد العادي كذلك أكثر من «كا» واحدة ، انظر :

Mar. Mast. F 2 ; Rougé J H 38

(٢) راجع Pyr. Text. Spruch 474, 575, 580, Sêthe A. Zeit. 57.

(٣) راجع Brugsch, Grasse Oase, 16,40.

(٤) راجع Grapow, Dissertation S. 39, Mammisi d' Edfou, ed. Chassinat 96

وفي إدفو كان يعتقد أن روح أوزيريس تتألف من أربع أرواح هي روح\*«رع» في إدفو وروح «شو» وروح «كب» وروحه هو نفسه .

المختلفة التي تعطى لعدد من الآلهة سميت باسم واحد . ومثل ذلك هو معبد الكرتك فقد أقيم فيه معبد صغير للإلهة « موت » كان من بين معبوداته عدد كبير سمي باسم « سخمت » إلهة الحرب ففرت صفات كل منها الواحدة عن الأخرى : « سخمت » محبوبة « بتاح » ، سخمت سيدة الصحراء الغربية ، سخمت في بيت « باستت » ، سخمت الكبرى ، سخمت المحبوبة من « سوبك » وغير ذلك <sup>١</sup> ، ونحن نعرف أيضا من نصوص معبد دنندرة أن هناك مئات من الإلهات « هاتحور » عبدت في مناطق متفرقة من مصر .

ووجه علماء الكهنة المتفقهين في الدين نفس العناية إلى قصص الآلهة فنظموه ولكن ليس بالطريقة التي تقرّبه إلى الأذهان ، فما ارتبط منه بحياة الشعب أهملوه وجعلوا منه مرجزا مشوها ، ثم سعوا إلى تحقيق ما بدا لهم مهما محاولين تفسير ما أطلق عليه من أسماء ، ووجدوا ضالتهم دائما فيما تسبوه إلى الإله من أقوال وأعمال . فاذا وجدوا مثلا أنه قد قيل في نصوصهم إن الإله رع قد تنازل لأوزوريس عن ملكه فنجدهم قد أضافوا إلى ذلك قصتين تعتورهما الحماقة والسخف <sup>٢</sup> : لقد فرع ست أمام عظمة غريمه إلى درجة أن نرف الدم من أنفه ، فأسرع ودفن هذا الدم في الأرض فنشأ عن ذلك ما أطلقوا عليه حرث الأرض وهو عيد احتفل به في مدينة إهناسيا ( هيراكليو بوليس ) وفي بعض المناطق الأخرى . ثم عندما ثبت رع تاجه على رأس أوزوريس ، مرضت هذه متأثرة من حرارتها المتهبة ، ولكن رع أخرج الدم والقيح من الرأس وسقى أوزوريس وتكوّن من هذا الدم والقيح تلك البركة بجوار معبد هيراكليو بوليس .

ونذكر هنا مثلا آخر يدل بوضوح إلى أي درجة مسخ هؤلاء المتفقهون القصص القديم . كان أهل لإدفو يقصون أن إلههم وهو قرص الشمس الخنجح الذي أطلقوا عليه اسم حوريس قد حارب أعداء رع . ولما كانت العادة عند الحديت عن حوريس أن يذهب الذهن إلى حوريس ابن إيزيس لذلك أدمج الناس قصة الكفاح

(١) راجع : A. Zeit. 58, 44

(٢) راجع A. Z. 65 ff nach Totenbuch. 175

المرير الذى حدث بين حوريس هذا وبين ست فى قصة قرص الشمس المنجح وأصبح يظن أن الأعداء هم ست وجماعته الذين تشكلوا على هيئة التماسيح وأفراس البحر ، على حين ضم حوريس إليه علاوة على المعبودة الأجنبية عشثروت مجموعة من الآلهة حاملة الخطاطيف . واعتمادا على هذه القصة ألف أحد كهنة إدفو من عاشوا فى عهد الدولة الحديثة<sup>١</sup> حكاية مطوّلة عن الكفاح وما وقع إبانه من أحداث كما يلي :

سافر رع وحوريس لإدفو ونحوت فى سفينة وجابوا مصر من حدودها النوبية إلى البحر ، وبكل مكان عثروا فيه على أعداء شريرين تقدم حوريس وانتصر عليهم وقتلهم ، واعتاد نحوت أن يبدي ملاحظة إلى رع بعد كل انتصار وفى كل مكان ، وكانت هذه الملاحظة هى الأصل الذى ترجع إليه تسمية هذا وذاك من مدن وقنوات ومعابد وأعياد وأشجار وسفن وكهنة ومغنيات أطلق على كل منها اسمه بعد كل معركة ونتج عن ذلك من ٦٠ إلى ٧٠ اسما عرفها ذلك الكاهن المجد . وإذا ابدى لنا هذا المتفقه فى العلم سخيفا فانه قد أثر على الكثيرين ووجد بينهم عشاقا معجبين إلى درجة أن أحدهم عاش فى القرن الأول قبل الميلاد قد رأى فى هذه القصة وثيقة ثمينة تشيد بعظمة إله هذا المكان<sup>٢</sup> فنقشها على الجدران الداخلية للسور المحيط بمعبد إدفو .

وفى آخر الأمر ألف هؤلاء العلماء المتفقهون قصة عن التاريخ الأول للعالم حاكوا أطرافها مما تجمع لديهم من قصص وحكايات ، وتقول هذه القصة إن الآلهة فى أول الأمر كانوا ملوكا مصر العليا ومصر السفلى ، وإن الناس عرفوا مدة حكم كل منهم ، ولقد ورد على بردية تورين أسماء هذه الآلهة مبتدئة بالإله كب ، ثم أوزوريس وست وحوريس ثم نحوت ومعات ويتبع ذلك أسماء بعض الآلهة الأقل شأنا ، وتأتى فى آخر القائمة أسماء « خديم حوريس » أى أسماء الملوك العشر الذين حكموا

(١) بما يدل على أن هذه الصيغة فى الأسطورة تنتمى إلى الدولة الحديثة أنه قد ورد فيها ذكر الإلهة الأجنبية عشثروت .

(٢) راجع Brugsch, Sage von der Geflügelten Sonnenscheibe ( Abh. d. Goettinger Gesellschaft der Wissenschaften 1870 ) .

في العصور الأولى . وانتقاد العلماء في هذا الطريق إلى درجة أنهم كانوا لكل إل  
ألقابا تشبه ألقاب الفراعنة ، ولقد عثر على لوح حجري<sup>١</sup> أُقيم في مقبرة بأبيلوس  
ترجع إلى عهد الدولة الوسطى وكتب عليه اسم أوزوريس مصحوبا بلقبين من ألقاب  
ملوك مصر : « حوريس الذي هدأ من المذابح في قطرى مصر - ملك الشمال  
والجنوب - أوزوريس - أون - نفر . » .

وسمى ست في وثيقة ترجع إلى عصر الدولة الحديثة :

« ملك الشمال والجنوب - ست القوى - ابن الإله رع المحبوب منه ، نوبي  
محبوب الإله حور أختي »<sup>٢</sup> .

وكان من واجبات علماء اللاهوت أن يقوموا بتفسير النصوص الدينية القديمة .  
وعثرنا على تفسير لما نسميه الفصل السابع عشر من كتاب الموتى . وفي هذا النص<sup>٣</sup>  
العريق في القدم يعلن الميت أنه ذو كنهه إلهي ويفاخر بأنه أصبح هذا أو ذلك الإله ؛  
فمثلا يقول : أنا « مين » في خروجه وتُبِّتُ الريشتين العاليتين على جبينى « وفي  
هذا القول ما يرجع في الأصل إلى ذلك الاحتفال الذى يظهر فيه تمثال هذا الإله  
وقد تُبِّتت فوق رأسه الريشتان اللتان تعتبران من العلامات المميزة لهذا الإله . وإذا  
رجعنا إلى التفسير القديم نجد أن « مين » هنا هو الإله حوريس بن أوزوريس ؛  
ولأن تمثال حوريس لا يميزه الريشتان فسرت هذه على أنهما : « الصلآن الكبيران  
الذان يمليان جبين أبيه أتوم » . وفي تفسير آخر يرجع إلى عصر الدولة الحديثة نجد  
أن « مين » قصد به أيضا حوريس ولكن لجأ صاحبه إلى التغلب على صعوبة تفسير  
الريشتين بشكل آخر فقال إن « الخروج » معناه « ولادة » حوريس وذكر القارئ  
بقصة تحدثت عن إيزيس ونفتيس اللتين تُبِّتتا على جبين حوريس كعقبائين وإلهما  
ترجع الريشتان . ويبدو أن هذا التفسير لم يكفه فأورد تفسيراً آخرًا . كما لو كان للقارئ  
أن يختار بينه وبين ماسبقه ، وهو أن هاتين الريشتين هما في الأصل عينا حوريس .

Louvre. C. 2 (١)

A. Z. 65 . 87 (٢)

وفي موضع آخر من هذا الفصل يقول الميت عن نفسه :  
« كنت البارحة وأعرف الغد » ويقصد بذلك أنه كإله لا يعرف الوقت ، ولكن  
أصحاب التفسير يقدمون لنا هنا معنى آخر لقوله هذا . فالبارحة معناها « أوزوريس »  
والغد معناه « رع » في ذلك اليوم الذي أباد فيه أعداء « أوزوريس » وتقلد فيه  
ابنه حوريس مقاليد الحكم .  
ويرى المرء من هذه الأمثلة كيف حوت رعوس هؤلاء العلماء المتفهمين في الدين  
عقول أطفال .

## الفصل السابع

### الحوادث التاريخية وأثرها

حدثنا حتى الآن عن القوى الخفية التي تؤثر باستمرار في الديانة وتشكلها . . . ولكن بعض الحوادث الخارجية قد أثرت فيها أيضا وقطعت سلسلة هدمها . ومع عدم إحاطتنا بالتاريخ المصرى إحاطة تامة فاننا نعتقد أنه يمكننا معرفة هذه الأحداث التي نفرد لها هذا الفصل .

فى طبيعة ما تواتر لنا من روايات نجد حدثا كان له أكبر الأثر على الديانة ، إذ اتخذنا مملكتنا مصر العليا والسفلى لتكوّنا دولة واحدة صار مقرّ حكمها منف . وقد تحدثنا غير مرّة عما كان لهذا من أثر فى الديانة ، فحسبنا عنها حديثا ولقد غدت الديانة بعدئذ شبيهة بالحكومة ، أى أصبحت ذات صبغة موحدة تؤلف عقيدتنا هليوبوليس ومنف نواتها .

وفى نحو عام ٢٥٦٠ ق . م . كانت الأسرة الحاكمة التي ابنت لنفسها الأهرام الكبرى قد انتهت حكمها وخلقتها ما يسمى بالأسرة الخامسة ، وينتمى ملوك هذه الأسرة إلى أحد كهنة إله الشمس ، وكانوا يعبدون هذا الإله بنوع خاص حتى إن كلا منهم ابنتى لنفسه فى مقرّه معبدا للإله رع على نمط معبد هليوبوليس الأكبر .

ومن أكبر علامات الشرف التي تمنح لشخص ما هو السماح له بالقيام بخدمة رع فى ذلك المعبد انحصار بالملك ، وهكذا أصبح رع الإله المفضل لدى الطبقات العليا . وفى المدن الأخرى كذلك حرص الناس على تقديم العبادة إلى هذا الإله النبيل ، فان لم يكن لدى هذه الجهات آلهة للشمس فاننا نجد من غير شك لها آخر عظميا ذا طبيعة كبيرة الشبه بطبيعة الإله رع ، حتى إنه إذا قام أحد الكهنة المتعمقين فى العلم ليحققه بدقة فلن يشك فى أن هذا الإله هو أيضا إله الشمس فى صميمه . وعلى ذلك فانه



حدث على مرّ السنين أن كثيرا من هؤلاء الآلهة - مع استثناء الإله بتاح وحده<sup>١</sup> - تحولوا إلى إله شمس . وإتنا لتدرك المظهر الخارجى لهذا التحول من إضافة اسم رع إلى أسمائها القديمة : منتورع . سوبك رع ، خنوم رع ، أمون رع . وفى هذه المرحلة من تطوّر الديانة المصرية نرى ميلا واضحا إلى الاتحاد في عبادة شمسية كان يتألق فيها إله الشمس خلال صور عديدة قديمة للمعبودات . وقد بلغ الأمر في النهاية إلى حد اندماج أوزوريس - إله الموتى الطيب - في إله الشمس . ولم تكن هذه الفكرة بعيدة كل البعد عن الصواب ، إذ أن الشمس كانت ترتحل كل ليلة في العالم السفلى حيث يكوّن رع وأوزوريس - طبقا لمعتقدات اللاهوتيين - « الروح المتحدة »<sup>٢</sup> وهذا الاتصال بين الإلهين يتمثل فيما بعد في الكتابة حيث يكتب اسم أوزوريس أوزى - رع وليس أوزيرى كأنما يحتوى اسمه اسم إله الشمس .

ولكن هذا الهيام باله الشمس أفاد شخصا آخر هو الملك ، فبذ الأسرة الخامسة - كما رأينا في الفصل الرابع - كان يعد ابنا لإله رع . وكان كل ملك يختار لنفسه عند اعتلائه العرش اسما له صلة برع ليشارك رع في طبيعته ، ثم - حين يموت - يصعد إلى السماء ويتحد مع أبيه وهكذا يعود إلى الكائن الإلهي الذى ينتمى إليه . وعند انهيار الدولة المصرية حوالي عام ٢٢٥٠ ق . م . كان بين اللويالات التى تمكنت من الارتقاء إبان العصور التالية ، دويلة مركزها مصر العليا وعاصمتها طيبة . وقد كان يعبد في هذا الإقليم بصفة خاصة مننو ومين ، ولكن كان إلى جانبهما إله آخر - كما رأينا في صفحة ١٠٩ وهو الإله أمون أحد آلهة شمون الثمانية الأولين ، ويرجح أنه لم يكن لها شعبنا أبدا لأننا لانعرف أى قصص قديم يرتبط به ، وهو لم يكن في طيبة سوى صورة أخرى لـ « مين » وكان - مثله - يصور منتصب القضييب رافعا ذراعه وكان يحمل سوطا ، وعلى رأسه قلنصوة تعلوها ريشتان كبيرتان ، وكان لون جلده أزرق . وما ساعد أمون على الارتقاء إلى مرتبة إله عظيم ، إن أسلاف الأسرة الثانية عشرة قد اختاروه لها عائليا فترى أول ملوك الأسرة وقد حكم مصر

Ed. meyer 1, 2<sup>2</sup>, 272 (١)

Totb. 17 Thèse de Grapow, P. 39 (٢)

حوالى ٢٠٠٠ ق . م . يتخذ الاسم المميز أمون — أم — مات ، أى « أمون فى المقدمة ١ » . ونظرا إلى الدور الذى كان على أمون أن يؤديه كإله للآلهة صار لزما عليه أن يتحول إلى إله شمس تحت اسم أمون رع ، وهكذا اتخذ مركزا ممتازا بالنسبة إلى جبهة آلهة المقاطعات الصغيرة ، وقد اتخذ لهذه المناسبة مظهرا آخر أكثر احتشاما ، فمن ذلك الحين صار يمثل جالسا على عرشه كملك ولم يحتفظ من مظهره الأول بغير القلنسوة ذات الريش ولون الجلد الأزرق . ولكن ارتفاع شأن أمون رع الذى كان يجب أن يضعه فى نهاية الأمر على رأس الآلهة جميعا توفقت فجأة .

وحوالى عام ١٧٠٠ ق . م غزا مصر شعب أجنبي يعرف عادة باسم الهكسوس وللسنا ندرى على وجه التحقيق إلى أى جنس كان ينتمى هؤلاء الغزاة ، كما أننا نجعل أية آلهة كانوا يعبدون ، وإن كنا ندرى تماما أنهم لم يكونوا يعبدون على كل حال



٤٧ — أمون رع يقدم للملك  
السيف وبعض الشعوب الأجنبية  
(من معبد مدينة حاويو)

الآلهة المصرية ، وعند ما قام الملك خيان الهكسوسى بزخرفة معبد بوسطة لم يلقب فيه بلقب المحبوب من آلهة هذا المعبد كما كان معهودا من قبل ، أى باسنت ، بل أطلق عليه لقب « ذلك الذى تحبه » كا ، ولم يفاجأ المصريون بهذه التسمية لأنهم كانوا يدركون أن لكل منهم روحا مماثلة ، وأن الملك الهكسوسى له الحق مثلهم أن يتخذها إلها شخصيا .

ثم عند ما اتخذ الهكسوس عاصمة لملكهم<sup>٢</sup> فى شرق الدلتا عبدوا الإله سوتخ ، وقد تواتر أن الملك أبوفيس « لم يعبد إلها آخر فى كافة البلاد »<sup>٣</sup> .

ولترجع الآن إلى أمون رع . لأنه سيصل إلى قمة مجده بعد طرد الهكسوس ، وقد تمكن أمراء طيبة من

#### Hymne à Amon de Leyde, verset 100 (١)

(٢) ويى أفاريس ، التى أصبحت فيما بعد تايبس . والإله سوتخ هو نفسه الإله ست فى مصر العليا ، على أن اسمه كتب فى شكل همبى .

Sallier I, 1.; cf. Litt. P. 214 (٣)

تحرير مصر من النبر الأجنبي . وعندما امتد حكم الأسرة على مصر كلها دون أن تهجر مقرها طيبة صار من المحتوم أن يصبح أمون رع إلها للمملكة وأكبر إله في البلاد . ومنذ ذلك الوقت اتخذ لقب ملك الآلهة ، بل وأكثر من ذلك — شاء القدر أن يتمتع ملوك الأسرة الثامنة عشرة التحوتمسيون والأمونفسيون — وهم الذين رفعوا إلههم أمون عاليا — بعظمة لم تعرف لها مصر مثيلا من قبل . فن الفرات إلى السودان كانت جميع البلاد تدفع الجزية ، وقد انتشرت عظمة إلههم في كل هذه الأرجاء الشاسعة ، وقد أقام فرعون القرنين السادس عشر والخامس عشر والأسرات اللاحقة معابد طيبة الضخمة للإله أمون رع بوساطة هذه الأموال التي تدفقت على مصر رمزا لتقديرهم وعرفانهم بسبب ذلك النصر الذي قادهم إليه . وقد أقاموا في البلاد الأخرى من امبراطوريتهم هياكل جديدة حتى يستطيع خدمة إله ملكهم في كل مكان . وهكذا أصبح أمون رع حقيقة — ولادة طويلة — أول إله للمصريين . ولكنه لم يكن أحد الآلهة الكبار القدامى ، بل إنه أخذ كل مظاهر طبيعته تقريبا من الآلهة الآخرين . وكل من يقرأ الأنشودة الكبيرة التي يجند فيها هذا الإله صاحب الأسماء المتعددة<sup>١</sup> يلاحظ سريعا أنه إذا استثنى اسمه وذكر الكرنك لا يوجد سوى القليل مما يتصل مباشرة بأمون . والحقيقة أنه ليس هناك غير تلاعب بالألفاظ حول اسمه كرئيس للناس الذي يخفى اسمه ( أمون ) عن أولاده . وكذلك كان في لقب « الذي يوجد في كل شيء » ما يمكن تفسيره بالطبيعة الأصلية للإله القديم الأول أمون الذي رُمز به للهواء<sup>٢</sup> ، وإنما كل ما يقال عنه يرجع إلى إلهين آخرين دون غيرها . واسم هذين الإلهين مضافا إلى اسمه « مين » ، « رع » ، فهو مثل « مين » يحتفل به لأنه يحمل ريشتين عاليتين . وهو مثل « مين » كذلك يحمي طرق الصحراء رغم أن طيبة لم تكن أبدا واقعة على الطريق المؤدية إلى البحر الأحمر . وهكذا يقولون عن أمون إن الآلهة تحب رائحته حينما يأتي من بنت (بلاد البحور) وهو غنى بالعبور حينما ينزل من بلاد المازوي وهو جوريس الشرق الذي تجلب له الصحراء الفضة.

Hymne à Amón du Caire (١)

cf. Sethe, Amon 217 ff. (٢)

والذهب واللازورد حبا فيه . كما تجلب له كل أنواع البخور من بلاد المازرى ومار الطازج لأنفه . وتذكر عادة كل هذه المنتجات تمجيدا لجاره « مين » . أما تقريب شخصيته من « رع » فيذهب إلى أبعد من ذلك ، فان الإله يسمى رع - خبرى أو أتوم ويلقب بـ « نور هليوبوليس » أو الذى يتألق في بيت حجر BenDen وهو يعبر السماء بسلام وهو صاحب سفينة المساء وسفينة الصباح ، وهو كذلك يحارب التنين أبوفيس ، وهو مثل رع فإن عينه هى التى تصرع الأعداء ويفرح قومه حين يرونه يصرع عدوة « أبوفيس » وكيف تقطع أعضاؤه بالسكين وكيف تلتهمه النار وكيف تعاقب نفسه أكثر مما يعاقب جسده . هذا الأفعوان ينعون بجيئه - الآلهة فى نشوة وحاشية رع مسرورون فان أعداء « أتوم » مصر وعين وطيبة راضية وهليوبوليس قريرة .

وقد كان ما يحكى عن إله الشمس من أساطير ينسب كذلك إلى أمون ، فهو قد قام بمحاكمة حوريس وست فى الصالة الكبرى بصفته رئيس التاسوع الأكبر . ويعتبر أمون رع - كإله الشمس - خالق كل شىء هو الذى عمل كل ذلك . هو الوحيد صاحب الأيدي الكثيرة - هو أب الآلهة الذى صنع الناس وخلق الحيوانات وفرق بين الناس حسب أنواعهم . خرج الناس من عينيه والآلهة من فيه . ولكن أمون رع هو أيضا عضد وعائل كل الكائنات الحية - ونمجد الأنشودة خاصة هذه الناحية من طبيعته - هو يسهر فى الليل حين ينام الناس أجمعون . وكالراعى الصالح يبحث عن الأفضل لقطيعه . وهو يُنبت الحشائش لقطعانه وشجر الفاكهة للناس . وهو يخلق ما تعيش منه الأسماك فى النهر والطيور فى السماء . وهو يعطى نسمة الحياة لمن لم يخرج بعد من البيضة ويطعم ابن النودة . وهو يخلق ما يعيش منه البعوض والدود والبراغيث . وهو يضع ما يلزم للجردان فى جحورها ويطعم الطيور على كل الأشجار . النيل الطيب المحبوب يأتي حبا فيه - وحينها يأتي يحيا الناس .

هذا القادر رئيس كل الآلهة ، الذى تقمى الآلهة عند قدميه كالكلاب ، له رغم ذلك قلب مستجيب يحب حينما يدعى . هو منجى الخائف من اعتداءات السفية ويسمع دعاء ذلك الذى فى كرب وضيق . ولهذا فإن كل واحد يحبه ويعظمه مهما

علت السماء وانبسطت الأرض وازداد البحر عمقا . الآلهة تخضع أمام جلالك وتمجد تحالفها . هم في نشوة حين يقترّب خالقهم . « المجد لك » تقولها كل الحيوانات المتوحشة و« التسبيح لك » تقولها كل حجارة . جمالك بأسر القنوب وجبك يشل الأذرع وصورتك الجحيمية تجعل الأبدى لاتقوى على الحركة والقلب ينسى من كثرة التأمل فيك .

وسنرى في الفصل التاسع بالتفصيل إلى أيّ درجة صار أمون شعبيا بوصفه مساعدا وصانع خير للناس . ولكننا ندرك من النظرة الأولى أن هذه الظاهرة من طبيعته أقل أهمية لنا من تلك التي تظهره كإله للشمس ، ذلك لأنه هو في الأصل سبب هذه الثورة الكبرى التي نسميها الآن بعصر الحرطقة .

ويتضح جليا من أسودة من عصر أمونفيس الثالث ( ١٤١١ - ١٣٧٥ ) - أي العصر الذي يسبق مباشرة عصر الثورة الكبرى - كيف تغيرت عبادة أمون رع تدريجيا إلى عقيدة خالصة في إله الشمس . وفي الواقع أن أمون رع لا يحتفل به في هذا الوقت إلا بصفته الشخصية ، وليست هناك إشارة إلى أية صفة أخرى ما ذكر في الأنشودة الكبرى لأمون . ولكن الأخوين التوأمين حور وسوتى اللذين تحمل لوحتهما هذه الأنشودة كانا بلا شك عابدين صادقين لأمون ، لأن الاثنين كانا عجدانه بصفتهما من كبار مهندسيه المعماريين أحدهما على الضفة اليمنى والآخر على الضفة اليسرى للنيل ، وهاك أهم ما تحتوى عليه أنشودة أمون حينما يشرق بصفته حوراختي :

التسبيح لك إنك رع الجميل كل يوم . الذي يطلع في الصباح دون توقف .  
خبري الذي تجهد نفسك ، في العمل .  
الأشعة أمام أعين الناس ولكنهم يتجاهلونها . الذهب لايشبه لمعانك .  
أنت بتاح وقد كوّنت أعضائك . أنت معطي الحياة الذي لم يولد .  
أنت الوحيد من نوعك الذي يعبر الأبدية كلها . لمعانك شبيه بلمعان إلهة السماء .  
ولونك يتألق أكثر مما يتألق جلدها .  
أنت تسبح فوق السماء . والناس جميعا يتأملونك . ولكن مسراك خفي عليهم  
رغم ذلك .

ثم يشار إلى المسرى السريع البعيد الذى تقوم به الشمس كل يوم ، وهو طريق  
مكوّن من ملايين ومئات الآلاف من الأميال فى لحظة واحدة . وحينما يذهب ليستريح  
تنتهى بالمثل كل ساعات الليل ويضبطها دائما دون توقف . ثم يستمر التسليح بهذه  
العبارات . فبفصلك ترى جميع العيون ولا تقوم بأداء شىء بعد أن تنام جلالتك .  
تقوم مبكرا لتظهر فى الفجر . نورك يفتح الأعين ولكنك حينما تغرب فى جبل  
مانون Manoun فانهم ينامون كالأموات .

وإذا كانت الفقرة الأولى موجهة إلى « رع الجميل فى كل يوم » فإن هناك فقرة ثانية  
تمدح الشمس تحت اسم « أنون » وهى ذات الكلمة التى ستصير بعد ذلك بمدّة يسيرة  
علما لعصر الثورة . . . هكذا تعبر الفقرة التالية :

« المجد لك أى شمس النهار التى خلقت كل الكائنات الحية وتكفلت بما يحتاجون  
إليه . أنت أيها الصقر الكبير ذو الريش المختلف الألوان الذى ولدت لتنشئ نفسك  
الذى جئت من نفسك بنفسك دون أن تولد .

أى حوريس المسن فى وسط آلهة السماء . ذلك الذى تصعد نحوه أصوات البهجة  
فى شروقه وغروبه معا .

أى خالق ما تنتجه الأرض . خنوم وأمون الناس . الذى تملك القطرين من أكبر  
الأشياء إلى أصغرها . أنت الأم الرائعة الممتازة للآلهة والناس ، أنت الخالق الطيب  
الذى يتعب نفسه من أجل مخلوقاته العديدة .

أيا الراعى القوى الذى يقود قطعانه . أنت ملجؤهم الذى تحفظ عليهم الحياة .  
إنه ذلك الذى يسرع . ذلك الذى يجرى . هو الذى ينهى دوراته . «خبرى» صاحب  
المولّد الجليل الذى يأخذ من جسم نوت جماله هو الذى ينير القطرين بشمسه . الإله  
الأصيل الذى خلق نفسه .

هو الذى يصل كل يوم إلى حدود البلاد وينظ إلى الذين يتجوّلون فيها . هو  
الذى يشرق فى السماء . هو يقسم الفصول إلى شهور ، وينتج الحرارة حينما يريد  
والبرودة حينما يشاء . هو يطوى الأعضاء ويحتمنها . كل بلد تتوسل إليه عند  
طلوعه يوميا كى تبعده .

هاهى ذى محتويات الأنشودة ولسنا نستطيع أن نقول كيف قامت الثورة  
الكبرى التى يشار إليها منذ الآن ، ولكننا إلى حد ما نلاحظ أن ساعتها قد أذنت .

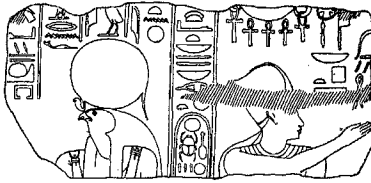
## الفصل الثامن

### عصر الهرطقة

إذا تساءلنا عن الوقت الذى وصلت فيه إمبراطورية مصر الحديثة إلى أوج عظمتها ، فإن علينا أن نذكر عصر أمنوفيس الثالث قبل كل شىء ( ١٤١١ - ١٣٧٥ ) ففي عهده كانت مصر لاتزال تتمتع بخارج حدودها ببسطة نفوذها . وكانت حينئذ أول دولة فى العالم . وأما فى الداخل فقد كانت تتمتع بترائها وتنعم بالحضارة التى يجلبها الثراء . وكان الفن المصرى فى ذلك الوقت فى أوج ازدهاره ، ولم يوجد من قبل ولا من بعد ما يمكن أن يقارن فى بساطة جماله بمعبد الأقصر . ولم يستطع النحات منذ ذلك الوقت بلوغ ما بلغ ذلك الفن من جمال ودقة ومهارة عالية . ولكن عهد ازدهار وفخامة وأبهة كذلك العهد لا يخلو من خطر الانتكاس الذى يكون مصدره البطء ، حين يزهد المرء فيما يملك ويتوق لإشباع نهمه بشىء جديد . ولنا فمحن نستقبل فى عصر أمنوفيس الثالث أشياء معينة ليس لها كبير صلة بما كان خاصا بمصر القديمة . فاذا كان الملك حتى ذلك الوقت يعتبر فى المعابد نصف إله فإن النصف الإنسانى منه كثيراً ما يتغلب على النصف الإلهى . فى تسجيل للحوادث ذات الشأن فى عصره نراه يقصر لنا على جعلان كبيرة أنه قتل عشرة ومائة من الأسود ، وأنه طارد قطيعا من الأبقار الوحشية ، وأنه احتفر بحيرة كبيرة للملكة وافتتحها رسميا ، كما أرسل إليه ملك ميثانى لإحدى بناته ومعها حاشية مكوّنة من ثلاثمائة وسبع عشرة فتاة . ولكنه يهيمه قبل كل شىء أن يذكر الأجيال المقبلة أنه وهو الملك العظيم قد تزوج من قى ابنة يويا وتويا ، أى امرأة ليست من الدم الملكى والقارئ المفكر يقدر كيف لاتتبع مثل هذه الحوادث بالملكية المصرية . وأن الملك الذى كان يجب أن يظهر بهذا المظهر الجديد كان فى طريقه إلى أن يصير حاكما دنوبيا كما كان جيرانه فى بابل وميثانى .

ومن ناحية أخرى كانت كثيرا من الأفكار قد بدأت تتخمر فى عقلية الشعب

المصرى لأن الثورة الكبرى التي اندلعت في عهد خلفه لا يمكن فهمها بخلاف ذلك . . . كان الناس يضيقون بالحياة في ظروف موروثه عن العهود السابقة والتي تظهر كأكاذيب لقوم أحسن استعدادا . لم يعد الناس يريدون الكتابة بلغة شاخت منذ أمد طويل ولم يعودوا يريدون تصوير الناس على هيئة لطيفة بوجوه ذات ابتسامة محبة . . . إنهم صاروا قادرين على تصوير تقاسيم الوجه على حقيقتها — وقبل كل شيء — كانوا قد ماوا خدمة ديانة تجرّ وراءها أشياء لاتعنى شيئا لأناس يعقلون<sup>١</sup> . وكانوا يودون عبادة وحبّ الآلهة التي برونها ويمسحون بأفضالها — أى الشمس — إن هذا الجيل الحديد كان يسير إذن نحو الحقيقة .



٤٨ - - من مبنى لأمنوفيس الثالث في طيبة .

إلى اليمين الملك وهو يتعبد ومن فوقه الشمس ؛ وإلى اليسار إله الشمس في شكله القديم ولكن باسمه الجديد ( برلين ٢٠٧٢ )

وأمر بناء معبد للشمس في الكرنك عند نهاية حكم أمنوفيس الثالث يثبت إلى أى حد يرجع الاتجاه بالحديد إلى هذا العهد<sup>٢</sup> ، ولا شك أن هذه الحركة كانت عامة<sup>٣</sup> ، ولو أن العلماء — كما سنرى فيما بعد — كانوا في طريقهم إلى تنفيذها . وكل

(١) يرى إدوارد ماير في كتابه *Geschichte. des altertums t, II<sup>2</sup> S. 326* أن في هذه الحركة ثورة من الطبقات المثقفة .

(٢) يملك متحف برلين كتلة حجرية من هذا الأثر رقم ٢٠٧٢ - - قارن Schäfer في كتابه *Amarna in Religion und Kunst* وكذا مقاله لبورخاردت

*Mitt. der Deutsch. Or. Gesell. s. في Borchardt n° 57, 18 S.*

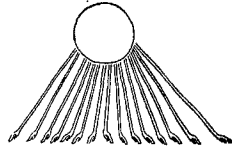
(٣) يذكر إدوارد ماير (*Geschichte I<sup>2</sup>, 80*) بحق أن مثل هذه الحركات العظيمة لم يقم بها

الكهنة أنفسهم .



المفكرين أيدوا من غير شك وريث العرش الجديد حينما جروا عند اعتلائه العرش على بدء العهد الجديد . ولا يمكن تقدير عمق الهوة التي سيحفرها مثل هذا القرار . ما هي المميزات لهذه العقيدة الجديدة ؟ نحن نعرف صيغة عبرت عنها بوضوح ، وهي الاسم الغريب الذي أعطى منذ ذلك الوقت إلى إله الشمس : عيش حوراختي -- الذى يتהלل فى الأفق -- فى اسمه شو الذى هو أتون ( الشمس ) واسمه موضوع على هيئة اعتراف بالمعتقد الذى لم يكن يعنى شيئا فى واقع الأمر بالنسبة للرجل العادى .

كان يجب أن يكون أقرب إلى أذهان الشعب ألا يمثل إله الشمس كسابق العهد على هيئة إنسان ذى رأس صقر ، بل على صورة الكوكب نفسه فحسب . ومن الشمس تخرج أشعة تنتهى بأيدي . وهذه الأيدي معناها أن الشمس تعطى الإنسان الحياة وكل ما هو طيب .



٤٩ - الصورة الجديدة لإله الشمس

وفى بعض الأحيان كان يثبت فى الطرف السفلى للقرص شعاره القديم - الصل - كأثر أخير للتصورات القديمة . وقد وصلت إلينا محتويات هذه العقيدة الجديدة الحقيقية عن طريق تسيبحات وأدعية مختلفة نستطيع قراءتها فى مقابر تل العمارنة . ولا يوجد فيها شيء متصل بالعقائد أو اللاهوت . وليس إله الشمس فيها سوى الخالق المحجب عند كل الأحياء . وأجمل هذه التسيبحات عنز عليها فى قبر الكاهن « آى » وستنكلم عنه كثيرا فيما بعد . وهذا هو نصها :

إن ظهورك جميل فى أفق السماء أيتها الشمس الحية أولى الأحياء  
إنك طلعت فى الأفق الشرقى من السماء وتملأ كل البلاد بجمالك .  
أنت جميل وكبير تتألق وأنت فوق كل البلاد .  
إن أشعتك تحيط البلاد بقدر ما خلقت منها .  
أنت رع وأنت تحترقها حتى نهايتها ١ وتأسرها بحبك من أجل ابنك ( أى الملك ) .

(١) فى هذا مجاز لفظى مع كلمة رع .

أنت بعيدا ولكن شعاعك على الأرض . . . نراك ورغم ذلك لانعرف مسراك .  
 عندما تخفى في الأفق الغربي تصبح الأرض في ظلام كما لو كانت مائتة .  
 ينامون في حجراتهم ملفوفى الرعوس ولا ترى عيننا أخرى .  
 إذا برقت منهم حاجياتهم جميعا من تحت رعوسهم فانهم لاحسون .  
 كل أسد يخرج من وجاره وجميع الزواحف تلدغ .  
 والأرض في سكون لأن من خلقها يستريح في أفقه .

عندما يطلع النهار وتبزغ عند الأفق وتتألق في النهار ككوتك شمسا تطرد الظلام  
 وتهدى شعاعك ، القطران يفرحان . إنهم يستيقظون من النوم ويقفون على أرجلهم  
 عند ما توقظهم ، فيعتسلون ثم يرتدون ملابسهم وترتفع أيديهم علامة على التعب  
 عند ما تظهر ، ثم تهتمك البلاد كلها في أعمالها .

القطعان كلها فرحة بمراعيا . الأشجار والنباتات تخضر .. الطيور تخرج من  
 أعشاشها وتسبحك بأجنحتها . جميع الحيوانات تففز على قوائمها وكل ما يعيش  
 ويرفر فرحيا عند ما تشرق من أجله .

القوارب تهبط وتصعد النهر . كل طريق مفتوحة لأنك طلعت . الأسماك في النهر  
 تففز أمام وجهك وأشعتك في وسط البحر .

أنت الذى تجعل أحشاء المرأة تثمر وتضع النطفة في الرجل . أنت الذى تطعم  
 الابن في بطن أمه وتهديه حتى لا يبكى ، كمرضع في بطن الأم .

أنت الذى تعطى الروح لمن تخلقه حتى تحييه . عند ما يخرج من بطن أمه في يوم  
 ولادته تفتح فيه للكلام وتقوم بما يازمه .

الفرخ يزقزق وهو ما زال في البيضة . فيها تعطيه روحا حتى يبقى على قيد الحياة  
 وعند ما تعطيه القوة ليكسرها يخرج ويندو على رجله بمجرد خروجه .

كم عابدة هي أعمالك أيها الإله المحيد الذى لا يوجد آخر إلى جواره . . .

لقد خلقت الأرض حسب رغبتك أنت فقط برجالها وقطعائها وجميع حيواناتها .  
كل ما على الأرض يمشى على أقدامه ، وجميع ما فى الهواء يطير بأجنحته .  
البلاد الأجنبية . . سوريا والنوبة وبلاد مصر . . أنت تثبت كلاً فى مكانه وتعمل  
مايلزمه .

كل له طعامه وأيامه معدودة وألستهم مختلفة مثل أشكالهم . وجلدهم مختلف  
لأنك ميزت الشعوب .

أنت تخلق النيل فى العالم السفلى وتسيره كما تشاء لإطعام الشعوب .

أنت سيد هم جميعا - تشقى من أجلهم .

أنت سيد البلاد جميعا وتشرق من أجلها . . . كشمس النهار القوية .

أنت تعنى بالبلاد البعيدة جميعا . وضعت نبلا فى السماء حتى ينزل لهم .

أنت تحدث أمواجاً فى الجبال مثل البحر ليروى حقولهم .

كَمْ هى طيبة أفكارك يا سيد الأبدية .

تبل السماء تعطيه للشعوب الأجنبية وللحيوانات فى كل صحراء . . . تلك التى

تمشى على أقدامها ، أما النيل فينبع من العالم السفلى من أجل مصر .

أشعتك تغذى كل الحقول . وعندما تتألق يحمون وينمون من أجلك .

أنت تخلق الفصول فتحفظ كل ما خلقت . الشتاء لترطبها والحرارة ليتأقوك .

أنت صنت السماء البعيدة لترفع إليها وتأمل كل ما خلقت .

أنت وحيد . . . أنت تشرق فى هيئة الشمس الحية : عندما تظهر وتتألق

وتبتعد ثم تعود .

أنت تخلق ملايين الكائنات منك وحدك .

المدن والأماكن والحقول - الطريق والنهر . كل عين تراك أمامها حين تكون

شمس النهار فوق الأرض .

أنت فى قلبى ولا يعرفك أحد إلا ابنك الملك . أنت تفهمه بطبيعتك وقوتك

بوكل ما يحدث للعالم فهو بإرشادك لأنك أنت خالقه .

أنت تشرق فيعيشون وتغرب فيموتون .

أنت نفس دوام الحياة ونحن نعيش بفضلك .

الأعين تتأمل بحالك حتى تغيب فيقطع كل عمله عندما تغرب عن العيون  
وعندما تشرق تنمى . . . من أجل ابنك الذى خرج من أعضائك .  
حينما تقارن هذه الأنشودة الجميلة بأناشيد أخرى لإله الشمس والأنشودة الكبيرة  
لإله أدون ( ص ١٢٢ ) فإن الفروق الأساسية لا يمكن أن تغيب عنا مع ذلك ، فإن  
كلا منهما تعترف بالإله كخالق يعين على الحياة ، ولكن الأنشودة الجديدة تمرّ كلها  
دون ذكر أسماء إله الشمس القديمة وتيجانه وصوالحه ومدنه المقدسة . وهو يفعل  
كل شيء من سفنه وبحارته وعن التنين أبوفيس وعن الرحلة في مملكة الأموات وعن  
سرور ساكنيها . وعلى العموم فلا يبقى إلا القليل من مجموع المعتقدات المصرية  
المتوارثة . . . وهى حقيقة أنشودة يستطيع التغنى بها السورى أو الأثيونى تمجيدها  
للشمس . والواقع أن هذه البلاد وساكنيها مذكورون كما لو أن نظرة الكبرياء التى كان  
ينظر بها المصريون نحو تلك الشعوب التعمسة أصبحت شيئاً قديماً ، فإن الناس كلهم  
أبناء الله أعطاهم ألوانا مختلفة ولغات متباينة ووضعهم في أقاليم متميزة ولكنه يعطى  
كلا بطريقة واحدة ، فهو إذا أعطى لأحد نيله فإنه يعطى الآخر على سبيل  
التعويض مطراً من لده .

ولقد كان في استطاعة هذه العقيدة التى تؤثر كثيراً في نفوسنا اليوم أن تظهر مثل  
هذا إذا أتيت لها الوقت لتنتشر بهدوء بين الشعب . ولكن الأمر لم يكن كذلك . فإن  
الملك الشاب الذى كان معتاداً من الناحية الجسمية كما تظهره لنا صورته ، كان ذا روح  
قلقة ، وقد قام بانقلابه منذ أول الأمر باهتمام بالغ كان لا بد معه من إلحاق الأذى به .  
وفى بدء حكمه تراه يسمى نفسه الكاهن الأكبر لإلهه و « وحيد رع » ٢ . ويتابع  
قبل كل شيء بناء معبد الكرنك الذى كان قد بدئ فيه كما رأينا في عهد والده .  
وتظهر لنا العقيدة الأولى - في مرحلتها الأولى - كتممة للتعليم الهليوبوليتانى

(١) كان المصرى يعتبر الغرب أنه عن يمينه .

(٢) معنى هذا من غير شك « محبوبه » ومثل هذه الألقاب التى تلتصق بالاسم الرابع تقابلها مع الملوك  
الأخريين أحياناً . وأما من ناحية « أسوفيس الرابع » فإن اللقب « وحيد رع » تقابله متصلاً باسمه منذ البداية .

فإن الإله ما زال حوراختى ويستمر تمثيله على هيئة رجل له رأس صقر . وفى المعبد الشمسى الحديد بالكرنك نرى أن أهم شيء فيه هو حجر Benben الذى يمثل الصخرة التى طلعت عليها الشمس قديما . ويحمل الكاهن الأكبر نفس القالب « اور - ماو » الذى يحمله كاهن هليو بوليس : وكذلك لم يكن يجوز أن يخلو المعبد الحديد من العجل المقدس « منيفس » الذى كان من المعتاد وجوده فى هليوبوليس<sup>١</sup> . وحتى القردة - التى تتعبد للشمس عند طلوعها كانت تمثلها فى المعبد الحديد تماثيلها -<sup>٢</sup> . وعلى هذا النحو ظهرت العقيدة الجديدة التى بشر بها الملك فى بدء حكمه بصفته الكاهن الأول لحوراختى الذى يتהלل فى الأفق<sup>٣</sup> . وعلى العموم فإن اسم إلهه يكشف عن شيء غريب يكن تحت هذه الظواهر العادية . فالاسم القديم حوراختى الذى يتהלل فى الأفق<sup>٤</sup> يفسره مايقابله « فى اسمه شو الذى هو أتون » وشو وأتون اسمان من أسماء الشمس . وهذه الأفكار ولا شك عميقة وهى كذلك عسيرة الفهم . وإن مظهرها خارجيا يبين لنا كم كانت صدمة عنيفة صورة الإله ذى رأس الصقر فى هذا الدور الأول من تطوّر الديانة . لقد كان رع يرمز إليه منذ آلاف السنين فى الاسم الملكى بـ رمز الشمس فقط .

أما هنا فقد أدخل استعمال العلامة الميروغليفية<sup>٥</sup> ، وفى كل هذا لم يظهر بعد ما يناهض أمون أو ما يجمع من بناء المعبد الأكبر الذى يزداد على هيكله ، وقد افتتح رسميا محجر لقطع حجر Benben وفى البناء التذكارى لهذا المشروع ظهر بكل وضوح كيف يقدم الملك التساييح لأمون ويسميه هناك بـ « محبوبه »<sup>٦</sup>

(١) وقد كان ذلك بنبر شك فى السنة الرابعة عند تأسيس تل العمارنة .

(٢) Gauthier L. des Rois II, P. 349 n° XIX

(٣) يسمى نفسه ككاهن حوراختى . « ذلك الذى يتהלل فى الأفق » ،

قارن Gauthier, L. des Rois II, P. 346 VIII et 349, XIV كما أننا نجده هذا القالب كذلك فى Totb. 133,5

(٤) مثلا Davies, Amarna XI, 27, 1

(٥) مثلا Gauthier L. des Rois II, P. 349, XVII

(٦) Braested. Ancient Records II, 932, cf. L. D., III, 110, Legrain, Annales III, 263

وفى الواقع إنه ليس هناك فى عبادة إله الشمس الجديدي ما يناهض أمون ، لأنه منذ تحول هذا إلى أمون رع لم يكن فى واقع الأمر سوى صورة جديدة لإله الشمس القديم . وكان كل شىء يعبده الناس تقريبا فيه موروثا عنه . ولذا فإن الملك لم يظن أنه ارتكب إثما نحو إله أجداده حين أرجع من جديد إله الشمس نفسه . ولكن هذا الهدوء لم يدم طويلا وإننا لنجهل السبب الذى دعا إلى الاضطراب ، ولكننا لانخطئ من غير شك إن نحن قررنا أن كهنة أمون كانوا قد كشفوا فى المعتقد الجديدي عن هرطقة لاثتمتل ، وأنهم حاولوا القضاء عليها بشتى الطرق .

وتنفجر فجأة فى ثورة عاصفة ضد أمون حركات نرى آثارها إلى اليوم فى كل أنحاء مصر بعد ثلاثة آلاف وثلاثمائة سنة . فحينما يوجد اسم أمون نراه مشوها ، ولسنا بمستطيعين أن نصدق أن اضطهاد أمون هذا كان من صنع الملك وحده . فقد كانت هناك من غير شك مجموعة متعصبة اقتحمت كل المعابد والمقابر لحو اسم أمون الكريه ، غير ملقين بالا للأضرار التى ألحقوها بأجل المباني . . . وكما هى العادة — فإن الناحية الطريفة تبقى كذلك بعد أن تنقضى فترة الجنون هذه — . أليس من المضحك أن كاتب الملك العالم يراجع فى مكتب سجلاته الخطابات المكتوبة بالكتابة المسماية والمرسلة من الملوك الآسيويين ليرى إذا كان من الواجب محو اسم أمون من مكانه بها ، رغم أنه لم يكن هناك من يستطيع قراءتها غيره ؟ وليس أقل سخرية أن أى كلمة لاخطر لها ولكنها تتصل بسبب ما باسم أمون كان يجب تضحيتها فى سبيل إرضاء نزوة تعصب أصحاب المذهب الجديدي . . . وكان من أكثر الأمور إثارة مطاردة الآلهة « موت » زوجه أمون . فلقد شاء سوء الحظ أن يكتب بنفس الطريقة التى كانت تكتب بها كلمة « أم » وحينئذ فلم يبق شىء أمام من يريد إظهار بغضه لآلهة طيبة سوى أن يكتب كلمة « أم » بطريقة أخرى . . . وكان من أشد آثاره كذلك ما تعرض الملك نفسه له . . . فإن اسمه كان « امن حتب »

(١) على لوحة الحدود للسنة الرابعة إشارة إلى ما حدث من « شر » حدث ما يماثل ذلك فى عهد تحوتس الرابع ، ولكن العبارة مشوهة والمعنى غير واضح بما لايسمح بمعرفته .

أى « أمون مسرور » ولكن اسما كهذا لم يعد مقبولا فلم يبق أمامه إذن إلا أن يتخلى عن اسمه فتسمى باسم « أخن أتون » أى « هذا يرضى الشمس »<sup>١</sup> و يلاحظ إلى أى حد أصبح الملك الشاب متعصبا ، لأنه بتغيير اسمه لا ينكر أمون فقط . بل ينكر أيضا أسلافه الأجداد .

وبعد أن كان التحمس لإله الشمس مقصورا على أقضاء أمون إلا أنه تطور بعد وقت كما يحدث عادة في مثل هذه الحالات . ما دام أتون أصبح يسمى كذلك الآن « خالق كل شيء » فإن من المستحيل بعد ذلك أن تقوم إلى جانبه آلهة أخرى . فهو يجب أن يكون الإله الواحد الحقيقي ، ومن الكفر الاعتقاد بوجود غيره إلى جانبه .

وهكذا نرى أنهم لا يحدفون اسم أمون فقط ولكنهم يحدفون كذلك في حالات كثيرة أسماء آلهة أخرى ، في معبد بتاح في الكرنك شوّهت أسماء بتاح وحانخور<sup>٢</sup> وفي هو أعمدة تحوتمس الثالث في الكرنك لحق بهذا المصير جميع الآلهة أوزوريس ولانيزيس وحوريس وأتوم ومنتو وكب . . . وغيرهم . وحتى العقاب نجّيت المخلوق فوق الملك لحمايته لم يغفل أمره<sup>٣</sup> . ومحى كذلك اسم التيس المقدس<sup>٤</sup> . أما كلمة إله فان جمعها آلهة يعتبر كذلك غير مقبول ولا محتمل<sup>٥</sup> . ولكن اضطهاد الآلهة الأخرى لاتظهر له نتائج قوية كاضطهاد أمون ، ونستطيع أن نجهد الرأى القائل بأنها لم تحدث بناء على أمر الملك المباشر . وعلى العموم فان الأمر لم يأخذ صبغته الرسمية البعيدة بعد . فنحن نرى أنه سلم للملك في العام الخامس من حكمه تقرير إدارى يخبره فيه مرسله أن معبد بتاح في حالة جيدة ، وأن التقدمات لكل الآلهة والآلهات تقدم بانتظام وتقبل بنفس طيبة<sup>٦</sup> . ولهجة التقرير لاتظهر أى تغيير حدث في الديانة .

(١) وقد هجر كذلك اللقب القديم : المتوج بالريشتين العاليتين ، وذلك لأنه مشتق من الإلهين آمون

ومين .

L. D. texte III, 8 (٢)

Idem, III, 31 (٣)

Urk. IV, 224 (٤)

Breasted Æ. Z. 40, 109 (٥) تارن

Griffith, Kahun Pap., pl. 38 (٦)

وإذن فليس هناك بعد أى اضطهاد للآلهة الأخرى ، ولكن الملك قام حينئذ بخطوة حاسمة وقطع صلته بكل ما كان له قيمة فى الماضى . فأعطى لمصر عاصمة جديدة للمملكة إلهية لايسمح فيها بوجود إله سوى إله الشمس . ومع ذلك لم يهدم الملك مدينة آبائه ولكنه لم يطق العيش أكثر من هذا فى مدينة أمون ، فاختار لنفسه وإلهه مكانا جديدا فى المنطقة التى نسميها اليوم تل العمارنة ، وهى تنوسط مصر إذا قيست كل مساحتها . وقد كان يوجد على الضفة الشرقية للنيل سهل واسع صحراوى ، وكان مكانا مثاليا لتشييد العاصمة العظيمة التى كان الملك يريد لها والتى سميت « أخت أتون » أى أفق الشمس .

وانتقل إليها الملك مع كل حاشيته ( فى السنة السادسة على الأغلب ) وقدم التقدّمات ودعا أصحابه وكبار رجال القصر والقوآد . وأعلن أن هذا المكان هو المكان الذى اختير لإقامة العاصمة البلديدة . وهو لم يأخذ الفكرة عن واحد من مستشاريه ولكن الإله نفسه أراد هذا . كما إنه وهو الفرعون قد وجد كذلك أن هذا المكان لم يكن لأى إله أو آلهة أو ملكة . ولم يكن لأحد حق فيه . وقد وافق الكبراء على هذا ورفع الملك يده إلى السماء نحو أبيه وأشهده على قسمه : « سابى أخت أتون لأتون أبى فى هذا المكان ، ولن أبى أخت أتون أقرب إلى الجنوب أو إلى الشمال أو إلى الشرق أو إلى الغرب . ولن أتجاوز علامات الحدود لافى الجنوب ولا فى الشمال . ولن أبى كذلك فى الغرب ، ولكننى سابى فى الشرق حيث تظهر الشمس أى فى المكان الذى أحاط نفسه بالجبال فيه . وإذا قالت لى الملكة إنه يوجد فى مكان آخر موقع أجهل من هذا يليق بأخت أتون فلن أنفتت إلى كلامها ، وإذا قال لى المستشارون أو أى شخص آخر مثل ذلك فلن أستمع إلى كلامهم . . . وإذا كان هناك موقع فى الشمال أو فى الجنوب أو فى الغرب أو فى الشرق فلن أقول أبدا إنى سأترك أخت أتون ، أو سأذهب لأبنى أخت أتون أخرى فى هذا المكان الأفضل . ولكن هذه أخت أتون لأتون ، وهو الذى أرادها لكى يستطيع التمتع بها دائما . ويعدد الملك المباني الكبرى التى يريد لإقامتها فى مدينته للإله ولنفسه وللملكة . ولا يفوته أن يعلن أنه حين يموت هو أو الملكة فإنه يجب أن يدفنا فى أخت أتون .



وفى يوم آخر أقسم الملك قسما ثانيا أصبحت بمقتضاه المساحة الواقعة بين نصب حدود أخت أتون - وهى مساحة عرضها ثلاثة عشر كيلومترا وطولها عشرون كيلومترا - ملكا لأتون جبالا وصحارى وحقول من كل الأنواع . . . مياه وقرى وشواطئ وأناس وقطعان ، أى كل ما خلق أبى أتون ١ .

ثم بدأ فى مكان لم يكن فيه شئ من قبل - بناء مدينة كبيرة ٢ بمعابد وتصوير وشوارع طويلة على جوانبها بيوت وحدائق . وقد اشترك جميع المهندسين والنجارين فى هذا العمل الضخم . وقد وجد الفن أمامه الطريق خاليا لنمو كيفما أراد غير عانى بالتقاليد ومحاولا الوصول إلى الحقيقة . وقد ظهرت هذه الحقيقة بطرق مختلفة حسب طبائع الفنانين . فقد وجدت بجانب التماثيل العجيبة التى عثر عليها بورخارت فى معمل نحاس بعض الرسوم الكاريكاتورية . وتلك نتيجة طبيعية لتحرر الفن . هذا ، وليس هنا المجال لبحث مثل هذه المسائل ٣ ، ولنا نستطيع كذلك أن نصر على أن اللغة العامية حلت محل اللغة الأدبية : وأن هذه بطل استعمالها ، ولكن علينا أن نوضح أن فى تغيرات الفن واللغة هذه تطورت بالمثل موضوعات الصور والنقوش . وقد تم هذا حيث كان الأمر يتعلق بالملك وبالملكية .

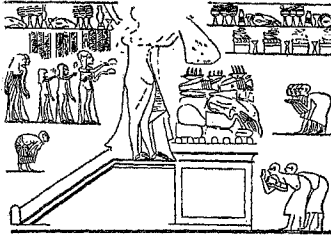
وأما الأسلوب الرسمى الذى فرضته التقاليد من قبل فقد ترك جانبا وكان يؤمل أن يعيش الملك فى تل العمارة « حتى يسود البجع ويبيض الغراب ، وحتى تروح الجبال وتجىء ، وحتى يسرى الماء نحو المنبع » ٤ .

(١) لوحة الحدود ، أنظر : Davies El Amarna V pl. 28

(٢) لم يبق شئ من المعبد الكبير الذى كان يبلغ طوله ٨٠٠ مترا وعرضه ٣٠٠ مترا ، ولنا نستطيع أن نكون فكرة عنه سوى عن طريق صور جدران مقابر تل العمارة . وكان الجزء الرئيسى فيه عبارة عن مذبح ضخم يؤدى إليه درج وكان يوضع عليه وعلى المذابح الصغيرة الأضمة الواقعة . ويظهر أن العبادة بأكملها إنما كانت تؤدى فى أفواء الطلق . انظر : Davies, El Amarna I, II

(٣) انظر كتاب: Schaefer, Die Religion und Kunst von El Amarna, Berlin 1923 . نشأت الفكرة الخاطئة من أنه كان هناك قبل هذا الفن فن آخر أكثر اعتدالا وأقل بعدا عن التقاليد من إجلال اسم الملك الجديد مكان اسم أسونفيس الثالث على صورته . (Borchardt. Mitteil der D. O. G. 57) . ولقد كان يحدث ما يماثل ذلك فى كثير من الأحيان فى مصر ، ولكن إجلال اسم الإبين مكان اسم الأب هو عمل سى لا يتفق ونشيدان الحقيقة .

El Amarna, ed. Davies II, 30. III, 3, III, 29. cf Litt. P. 363, (٤)



٥٠ - أمنوفيس الرابع يقدم القرابين على المذبح لأتون . ( Davies, Amarna II, 18 )

ويجب أن يكون لدى الملك كنوز بقدر حبات الرمال على شاطئ البحر وبقدر الفلوس على السمك وبقدر الشعر على الثيران <sup>١</sup> ، وعليه أن يحتفل بيوبللاته بقدر ما للطيبور من ريش وما للأشجار من ورق . . . <sup>٢</sup> وأن مثل هذه التمنيات لاشك أصرح وألطف بكثير من الاصطلاحات التقليدية القديمة التي تمنى أن يحتفل الملك بأكثر من يوبيل كالإله بتاح . تاتن . ولكن كل من اعتاد طريقة الحياة القديمة كان يرى في أمثال هذه العبارات إخلالا بالاحترام وكان يشعر بهذا خاصة أمام صور الملك . وقد رأينا أنه منذ عصر أمنوفيس الثالث أبي الملك كانت حياة الملك الخاصة واضحة للعيان أكثر مما كانت العادة عند الفراعنة . وفي عهد ابنه يظهر هذا الطابع أكثر وضوحا ، لأن زواج الملك السعيد أصبح موضوعا لدى الفنانين ، فزوجته الشابة الجميلة « نفرتيتي » توجد إلى جانبه في كل مكان بلعبان مع بنتاهما الصغيرتين وتصب بنته له النبيذ ليحتسيه ويجلسها على ركبتيه ويقبلها . وللملك قسم عظيم هو « بقدر ما يسرّ قلبي بالملكة وأولادها » <sup>٣</sup> كل هذا لطيف ، ونحن نسرّ بهذه الإنسانية وبالرزانة التي توحي بها ، ولكن . . . لهذا كان يحمل يملك إمبراطورية عظيمة

El amarna III, 3, III; 29 (١)

Idem VI, 29, 19-20 (٢)

V, لوحة الجنود 27 (٣)



٥١ - أمنوفيس الرابع مع زوجته وأولاده (برلين ١٤١٤٥)

أن يفعله ؟ ماذا كان رأي المستشارين القدامى والقواد والشيوخ حينما كانوا يرون منظر الحياة الالهية التي يحياها فرعون الصغير إلى جانب زوجته وأولاده حيث السعادة والسعة بينما كانت مصر مهتزة بالانقلابات ؟ إن وجودهم بعيدين عن بلاط تل العمارنة يكشف تماما عن آرائهم لأنه في مقابر هذه المدينة لا يرقد الرجال الكبار الذين خدموا على النظام القديم بل يوجد - بقدر ما نستطيع الحكم - أولئك الذين خلقهم الملك الجديد فهو الذى بناهم ( أى خلقهم ) وحوهم . وهم يسمون ملكهم بأنه الإله الذى يخلق الناس . . . الذى يصنع كبارا ويخلق صغارا <sup>١</sup> ، ويمدحونه لأنه أغناهم . وهو - فى رأيهم - النيل لكل الناس الذين يشبعهم بأطعمته <sup>٢</sup> ، وهو الأم التى تصنع كل العيش فى العالم والذى يطعم الملايين بأطعمته ، وليس هناك فقر لمن يحبه الملك . وهو لا يحتاج إلى أن يقول « لو كان عندى <sup>٣</sup> » وكثيرون من هؤلاء الأغنياء

(١). وبالمثل El amarna IV, 28, VI, 15, 6

(٢) Idem II, 7, III, 19

(٣) El amarna IV, 35

الذين يشيرون العجب يتحدثون بصراحة أكثر فيذكر أحدهم أن الملك جعل منه رجلا  
وسمح له بالاختلاط بالممدوحين والنصحاء والمستشارين ، ولم يكن يظن أبدا أنه  
سيأتي يوم يتصل فيه بالمستشارين ولكنه صار الآن كاتم سرّ الملك الذي جعله غنيا  
بعد أن كان فقيرا<sup>١</sup> . ويحكى لنا آخر أسراره في سداجة أكثر . . . كان في حالة  
وضيعة - من ناحية أبيه وأمه - ولم يكن يملك شيئا ، وكان من حثالة الشعب يلتمس  
خبزه . . . وقد جعل الملك من هذا المتسول شيئا ، فهو قد خلقه وأطعمه من طعامه  
وسمح له بالاختلاط بمسشاريه وحاشيته ورجاله ( يعنى بلا شك مواطنيه ) يرمقونه  
بعد أن صار الآن سيد المقاطعة<sup>٢</sup> .

وعند ما يفخر العظماء بأنهم عصاميون فإن ذلك يدل على الأقل أنه كان من  
المستحب في بلاط تل العمارنة أن يكون الشخص من خلق الملك ، وهذا يدلنا  
كذلك عن ماهية حاشية الملك ، فإن نبلاء أبيه قد ابتعدوا عنه ، فاستوجب ذلك  
البحث عن رجال آخرين<sup>٣</sup> ، وكان من البدهي أن يختارهم من بين أعوانه . . . من  
بين من كانوا يحبذون مبادئه . . . لأن الملك كان يقاوم كل من يجهل مذهبه ،  
ولكنه كان يكافئ من يعرفه<sup>٤</sup> ، ولذا كان الجميع يفخرون بالاستماع إلى مذهبه<sup>٥</sup>  
مذهبه الجميل في الحياة<sup>٦</sup> ، مذهب فرعون<sup>٧</sup> ، أو كما يقال بمحاسن « المذهب - نعم  
المذهب »<sup>٨</sup> .

إنهم سمعوا مذهبه وعملوا بمقتضى قوانينه<sup>٩</sup> أو بمعنى آخر تابعوا العقيدة<sup>١٠</sup> .

Idem II, 7, 8 (١)

Idem V, 4 (٢)

(٣) عشر في منحت النحات الذي أشرنا إليه من قبل على كثير من الصور الصادقة التي تمثل بتير  
شك عظماء البلاط . وفي ملاح وجوههم الجافة ما يوحي بضعة أصلهم .

El Amarna V, 21, 27 (٤)

Idem I, 8, V, 2, VI, 25 (٥)

Idem VI, 25, 16 (٦)



Idem I, 30 (٧)

(٨) Idem I, 8, VI, 19, VI, 25, 16 - لا تكن الكلمة البسيطة لشيء رائع كهذا .

Idem VI, 32, cf. VI, 34 (٩)

Idem V, 2, VI, 33, 10 w (١٠)

وأما أحدهم فقد علمه الملك بنفسه فاعتنق مذهبه أما الآخر فيفصّل أن الملك اهتم بتعليمه كل صباح لأنه كان يتصرف طبق ما يوحى له به مذهبه .

ولسنا نريد أن نعتقد أن هذا مجرد كلام إذا كان المذهب من عمل الملك وحده . إن الأسس التي قام عليها هذا المذهب ترجع من غير شك إلى شخص آخر . ولكن كان من فضل الملك أنه عممه ودافع عنه ولذا نراه يسمى نفسه ابتداء من السنة الخامسة من حكمه « ذلك الذي يحيا من الحق »<sup>٢</sup> وبعد ذلك بعام أطلق على نفسه - بطريقة أكثر وضوحاً - « ذلك الذي يعرف اسم أتون » فهو إذن نبي الإله كما نستطيع أن نقول ومن واجبه أن يبصر بحمال أتون ويمجد اسمه وينشر في البلاد المعرفة بخالقه . ويجعل اسمه واضحاً للناس ، لأن أباه الإله تجلى له وأعطاه هو وحده حق فهم أفكاره وقوته<sup>٤</sup> وقد زاد هذا المذهب الذي كان الملك يدعو له . . . زاد انتشاراً منذ الاستقرار في تل العمارنة . ألم يكن في ذلك بقايا أثر للعبادة القديمة التي توبعت فيها عبادة إله الشمس القديم حوراختي في مظهره الإنساني كرجل برأس صقر ؟ ثم كيف أن هذه العلامة الهيروغليفية القديمة  التي كانت ترمز له ظلت في اسم هذا الإله ؟ لقد أصبح من الضروري حذفه كما سبق أن حذف العقاب  من كلمة أم ، وقد كتب بدلاً من الصقر علامتان أبجديتان هما ح : ر ° ، ولم يستطع أشد المتعصبين للمذهب الجديد الاحتجاج على ذلك ، وفي واقع الأمر أن القراءة الجديدة للكلمة لم تعد سهلة<sup>٦</sup> .

(١) Idem VI, 25, 14 وفارن كذلك Idem VI, 15, 10, VI, 21, 23 وذكر المذهب كذلك في VI, 15, VI, 21, 14, II, 8, 35.

Gauthier L. des Rois II, 345. ss. (٢).

(٣) El Amarna VI, 16, II, 34, V, 27 وفي جهات أخرى .

(٤) الأنشودة الكبرى 12, I, ولسنا نعرف على التحقيق إن كانت Sekher تسمى الأتكار - أفكار الإله - أو هي تسمى « كيانه » فقط إذا أخذنا معنى آخر للكلمة .

Schäfer: Relegion Kunst von El Amarna P. 27 (٥)

(٦) تبدو لنا التفسيرات الأخرى في الكتابة تحييفة تماماً ، فعلمة « مرى » بمعنى محبوب كانت تكتب في مجازٍ علة بعلامة « ش » كما كان يضاف إلى الرغيف في علامة « حطب » كذلك كمكنان .

ولكن هذا التغيير لرمز حور في اسم الإله لم يكن إلا اضطرابا . وفي العام الثامن خطا الملك خطوة أخرى إلى الأمام ، فأعطى صورة جديدة لاسم الإله إذ استبدل أولا اسم حوراختى بعبارة أخرى هي « سيد الأفقين » وهكذا يزداد اسمه معنى جديدا متقولا عن أحد ألقاب الملك . ومنذ ذلك الحين يصبح اسم الإله هو « يجيا - رع - سيد الأفقين - الذى يتהלل في الأفق - باسمه كأب لرع - الذى أتى بصفة أتون » ولسنا ندرى إذا كنا نترجم على وجه الصواب هذه الكلمات الغامضة . والمصرى الذى لم يكن قد درس هذا المذهب بتعمق لم يكن فى وسعه الوصول إلى مدى المعنى المقصود ، فان هذه الكلمات كانت تخفى من غير شك إنكارا أكثر عمقا مما صادفناه حتى الآن .

وإننا إذا حاولنا فهم هذا المذهب على وجه الدقة فى تحليله الأخير فاننا نلاحظ أنه يتجه الآن - على عكس ما كان عليه فى البدء - نحو الاعتقاد بالتوحيد . فإنه يوجد إله واحد ليس له شريك . وكل ما كانت تقوم به جمهرة الآلهة الأخرى ينفرد هذا الآن بعمله لأن فيه ملايين المخلوقات . . . لقد خلق نفسه بنفسه ، وهو يعاود فى كل صباح خلق نفسه . وفى خلال النهار يجوب السماء ولكن لاندري كيف يحدث ذلك ، لأنه إذا كان التعبير القديم الذى يذكر أن الشمس « تسبح » مازال مستعملا فانه لم يعد يذكر فى أى مكان شىء عن سفينهته أو عن التمثيلات المتصلة بهذه الرحلة ، ولا يذكر بالضبط كذلك فى أى مكان تستقر الشمس ليلا ، وهى ربما تكون فى العالم السفلى ، ولكن ليست هناك إشارة صريحة إلى العالم الآخر كما ستلاحظ ذلك فيما بعد .

ولم تعد للإله صفات مشتركة مع الصور القديمة لإله الشمس أتوم وخبرى وحوراختى . ولم يحتفظ له سوى باسمى أتون ورع اللذين يمثلان الشمس نفسها . وهو فى الحقيقة الكوكب نفسه وليس لها على الطريقة القديمة واعتقد المصرى قبل كل شىء أن هذا الكوكب هو الموزع الأكبر للنعم على كل من يجيا .

وإلى هنا الحد نرى العقيدة الجديدة مفهومة ومنطقية وهى - بقدر ما نحس - تفوق بكثير تعدد الآلهة الذى كان يدعو قديما إلى الارتباك والحيرة . وهذه العقيدة،

تمنع هذا التعداد. وفي رأينا أن تصرف الملك كان له مايرره حتى إذا فكرنا في أولئك البسطاء الذين حرمتهم الثورة من أقدس شيء كانوا يملكونه . . . ولكن ظهرت بسرعة - مع الأسف - في العقيدة الجديدة التي أرادت أن تكون طاهره ومعقولة علامات الضعف وعدم التبصر ، فأصبح هذا الإله الواحد يتجلى على أشكال ثلاثة<sup>١</sup> . فهذا هو إله الشمس العام المشترك للعالم كله « الإله الطيب الذي يجب الحق سيد السماء والأرض أتون الكبير الحى الذى ينير القطرين » .

ولكن يظهر بجانبه شكل آخر لإله الشمس كما يعبد في تل العمارنة « أتون الحى فى بيت أتون فى تل العمارنة » ولقد فهم على أنه ملك واسمه مكتوب بالأسماء الملكية وهو يحمل كلك لقب « الممنوح الحياة الأبدية » ويظهر أنه كان يجب - طبقا للعادة القديمة - أن يكون هناك إله محلى خاص بالعاصمة ، وأما الشكل الثالث الذى تتجلى فيه الألوهية فهو الملك نفسه . ذلك الذى طرد الآلهة الأخرى واصبح من حقه أن يعبد هو نفسه كإله . ولقد كان العرف شائعا منذ العصور السابقة أن يعترف بالملك كإله ، ولكن هذه العادة لم تخرج أبدا عن مجال الألقاب والعبارات التقليدية . وحيث إن كل تقليد كان بجانب الآن ، فان فى استطاعة الملك دون تردد أن يعبد كإله . وحتى فى صلاة الموتى القديمة كان يعترف به كإله<sup>٢</sup> وهو لا يمدح فقط باعتباره الشمس أو ابنها الطيب ابن الأبدية الذى جاء من الشمس ، ولكنه عرف كذلك كيف يجب أن تُتخيل الصفة الإلهية للملك . فكما أن الشمس تخلق نفسها كل صباح فانها كانت<sup>٣</sup> تلد يوميا ابنا<sup>٤</sup> الملك . « وهى تلد بغير انقطاع ابنا العظيم<sup>٥</sup> والشمس تجدد باستمرار طبيعته الإلهية . ولكي نعرف على المدى الذى وصلت إليه عقيدة الناس فى الوهية الملك - ولو فى الظاهر

(١) لقد لاحظ Davies هذا الأمر : إن الثلاثة مسكون جنبا إلى جنب على أبواب المقابر

El Amarna II, 5, VI 32

وكلها لوحة الحدود El Amarna V pl. 27

Idem III, 19, II, 9 VI 25, 27 (٢)

[Idem VI, 19, 21 (٣)

Idem VI, 33, 8 (٤)

على الأقل كما ذكرنا - تقول بأن الصلاة الجزئية في شكلها القديم ظهرت على جدران المقابر ولكنها لا تخاطب الآن الإله الشمسى وحده، بل تخاطب كذلك الملك والمملكة .  
 ويلاحظ القارئ في كل ما عرضنا له عن العقيدة الجديدة أن شيئا واحداً لم يذكر قط ولو أن المصريين كانوا يعطونه أكبر الأهمية وهو مملكة الموتى . . . وفي الواقع أن هذا الشيء لم يذكر في مجموعة نقوش تل العمارنة ومعظمها مأخوذ من المقابر، لأن هذه العقيدة الصافية لا تتفق بسهولة مع ذكر الموت والدفن، وليس بمستطاع إهمالها، كما أنه لا يستطاع كذلك إظهار الاغتراب بها . فإذا كانت هناك مقابر كبيرة قد حفرت في الصخر، فهذا لأن العادة تقضى بذلك، ولأن الموتى يجب أن يستقروا في المكان اللائق بهم، ولكن العاطفة الدينية القوية التي دفعت قديما إلى بناء الأهرام تنقصنا هنا، وحتى قبر العائلة المالكة لا نراه متسعا اتساعا كبيرا . وفي كل مقبرة تقريبا لا يكاد يوجد كاملا سوى الصالة الكبرى التي تستعمل للاحتفالات أيام الأعياد لأنه - حتى في المقابر - كانوا يفضلون التفكير في الحياة بدلا من الموت . كما ذكروا النهار في أناشيد الشمس وأهملوا الليل .

وجدير بالذكر أن الملك كان يتكلم عن تأنيث مقبرته دون الاستعانة بالاصطلاحات والتورية المعتادة<sup>٢</sup> فهو لا يتحدث عن « الطيران إلى السماء » أو عن « الرسو » ولكن يتكلم بمنتهى البساطة عن الدفن . وهو يذكر مقبرته الخاصة بطريقة مبسطة ليس فيها تعقيد . ولم تندثر العقيدة القديمة التي تقول بأن الأموات يسكنون في العالم السفلى<sup>٣</sup> ولكن يتكلمون عنهم عادة كأنهم يسكنون مقابرهم . « هنا في الجحيل يتحول الميت إلى روح حية »<sup>٤</sup> كانت تمثل حسب الطريقة القديمة على هيئة طائر وهو يجم عادة فوق الجنة التي كان قد خلقها إله الشمس<sup>٥</sup> ولكنها تستطيع الخروج من المقبرة والعودة إليها لأنها تريد التمتع بالشمس والدينا . ويتقبل الميت كذلك المأكولات<sup>٦</sup> ويدعى كذلك

(١) Idem II, 9, III, 16

(٢) لوحة الحفود : Idem V, 30, 17

(٣) Idem I, 34, IV, 39

(٤) Idem VI 33 w

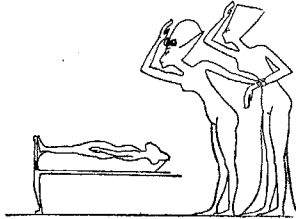
(٥) Idem VI, 33

(٦) Idem III, 2, IV, 3



إلى المأدبة التي يقدمها له الملك أو أفراد أسرته . وينال كذلك نصيبه مما يتبقى في المعبد<sup>١</sup> فإذا كانت هذه بالذات هي المعتقدات القديمة فانهم يتصورون من ناحية أخرى حياة المتوفى التي تشبه الحياة التي كان يحياها أشرف تل العمارنة<sup>٢</sup> .

فحينما تطلع الشمس توقظ الميت  
فيقوم هذا ممتلئا سرورا ثم يغتسل  
ويرتدى ملابسه . وعند باب  
المقبرة يصلى للإله ويدهب إلى  
صالة المعبد الكبرى ليخدم  
الشمس ثم يتنزه في الحديقة التي  
زرعها بنفسه يشرب الماء على  
شاطئ بحيرته .



٥٢ - الملك والملكة إلى جانب جثة أبنتهما الصغرى

وئمة شيء آخر يدهشنا في نقوش تل العمارنة هذه إذا أنها لا تذكر أبدا في أى مكان منها شيئا عما كان يشغل بال المصريين عن اعتقادهم في أوزوريس ومملكته : فنحن لانجد أثرا للمحاكمة التي يتعرض لها الناس بعد موتهم والتي يأملون الخروج منها مبررين .

ولكن كلمة « مبرر » تظهر أحيانا<sup>٣</sup> وهي لاتتضمن بالضرورة المحاكمة . وهي هنا - كما كان الأمر من قبل - عبارة تقليدية لاتعلق عليها أهمية أكثر مما تعلق أهمية على عبارتنا « المرحومون » ومن ناحية أخرى نرى في المقابر ألوانا كثيرة من العادات الموروثة عن العصور القديمة (قارن ماجاء بفصل ١٥) والتي لاتنتفك ونظريات العصر الحديث . ولم يعد يوجد أوزوريس وليست هناك محاكمة أموات ولكنهم لا يزالون يضعون على المومياء الجعل الكبير الذي كان عليه مساعدتهم في هذه المناسبة . كما كان ينقش دعاء لأتون<sup>٤</sup> . وكذلك فان التماثيل الصغيرة التي كان عملها

(١) Idem I, 39, IV, 3, IV, 39, VI, 25

(٢) مايبي مأخوذ من El Amarna IV, 4, VI, 1

(٣) Idem IV, 39, V, 21, VI 116, VI 27

(٤) يرلين ١٥٠٩٩ قارن Schaefer A.E. Z. 38, 45

خدمة الميت في العالم السفلي احتفظوا بها<sup>١</sup> ، وحتى قبر الملك حوى مثل هذه التماثيل . وقد كتب عليها دعاء لأتون . ولم ينس كذلك الهرم الصغير إذ أصبح يحمل الآن صورة ورسم الإله الجديد<sup>٢</sup> وقد أُحتفظ بالتابوت الحجري الكبير في هذا العصر بهيأته العادية: في الزوايا الأربعة إلهات مازالت موجودة مادة أذرعها علامة على الحماية ، ولكنهم تعد تمثيلات لإيزيس ونفتيس ، بل حلت محلها آلهة جديدة هي الملكة<sup>٣</sup> .

وحين نلقى الآن نظرة - بعد آلاف السنين - على مملكة تل العمارنة فنحن مدفوعون نحو رؤية عالم تظلمه السعادة وتباركه أشعة الشمس . زوجان ملكيان مع بنات صغيرات لطيفات . مدينة مليئة بالمعابد التي تسرى بها الأنغام وقصور ومسكن وبجيرات . . . كل هذا محاط بهالة من الإيمان المرح الذي لا يعرف إلا الصلوات لشكر الخالق المملوء طيبة ولا يعرف إلا العدل نحو الغير . . . حتى إذا كان من شعب غريب - وكان هذا شيئاً عجبياً نادراً في العالم - ولكن هذا السناء لم يعهده العالم من قبل ، ولم يكن الفقر والهموم بعيدين عن بلاط تل العارنة . وبالرغم من جهود الملك فان غالبية الشعب قد رفضت العقيدة الجديدة وظلت تعبد آلهتها القديمة سرا<sup>٤</sup> .

ونحن نجد الآن صعوبة في سبب فهم فشل العقيدة الجديدة تماما ، إذ يلوح أنه كان يجب قبولها كوسيلة لتحرير آلاف المواطنين في عصر رائج الازدهار ، ولتنقية الديانة من كل الحشو الذي تراكم فيها منذ آلاف السنين . ولكن بجانب الطبقة المتعلمة قامت طبقة الشعب التي كانت لا يمكن أن تجمع شتاتها عقيدة أساسها المنطق . وكان ينقصها أيضا شيء آخر لا تستطيع خبير ديانة الاستغناء عنه وهو الناحية

(١) Petrie, Amarna, 17-18, Culte d' atounre I, 6 ss.

(٢) برلين ١٤١٢٣

(٣) فارن Schäfer, AE. Z. 55,3 - تابوت الأميرة برلين (١٤٥٢٤)

(٤) وفي تل العمارنة نفسها ، حيث فير أحد الأشخاص اسمه من « بتاح موزى » (بتاح منح الطفل)

إلى « رع موزى » (رع منح الطفل) ، « عثر في أحد المنازل على نصب كرسٍ لآله بتاح .

التصويفية وتاحية ما وراء الطبيعة ، ولذا فقد فضل مجموع الشعب البقاء على عقيدته القديمة<sup>١</sup> حيث توفرت فيها هذه الناحية . تجد هذه العقيدة السليل ميسرا بين أفراد الشعب المصرى . ولم تكن حامية الملك في تل العمارنة مكونة من أسويين ووزنوج<sup>٢</sup> إلا لهذا السبب . وهناك شيء آخر خطير هو أن قوة المملكة الخارجية تضعفت . . . . . حقا إن نقوش تل العمارنة لا تشير إلى ذلك ، « وإن الأمراء الأجانب مازالوا مستقلين عند أقدام الملك »<sup>٣</sup> ، وإن الإله يكل أمر البلاد كلها إلى الملك حتى ينفث بحميته فيهم<sup>٤</sup> وحتى إن هناك واليا أجنبيا يمجدا الملك في رسالة ويصفه بأنه ذلك الذى يعطى الراحة إلى البلاد كلها بقوة يده . وبشبهه يجعل صاحب الصوت الذى يرعب كل البلاد<sup>٥</sup> ، ولكن هذه مصطلحات تقليدية ونحن نعلم الحقيقة نقلا عن مصادر أخرى ، « منها أنه حين أرسل جيش إلى فينيقيا لتوسيع الحدود كان ذلك دون طائل »<sup>٦</sup> . وحتى إذا نحن لم نشأ التسليم بذلك الأمر لأنه جاء من جهة معارضة فإن خطابات أمراء فلسطين المحفوظة في سبيلات تل العمارنة تظهر بجلاء سير الأمور ، هكذا كانت مملكة العقيدة الحديدية تتجه نحو خراب موكد . وقد تتساءل عما إذا كانت ستخفى بسبب ضعفها أو أثر حدوث كارثة . وكما يتضح لنا اليوم لم تسقط هذه المملكة بسبب اضطراب مفاجئ بل تدهورت قليلا قليلا . أصابها الهزّة الأولى عند موت الملك الذى لم يترك ولدا للعهد بعد أن حكم البلاد مدى تسعة عشر عاما . وحينئذ انتقلت مقاليد الحكم إلى زوج ابنته الكبرى الذى خلفه صهر آخر أصغر سنا وهو المعروف . بالملك توت عنخ أتون ، أى صورة أتون الحية . غير أنه كان يجب على أولئك الذين وضعوا الغلام على العرش أن يتبينوا أن المذهب الجديد

(١) يدل على ذلك ما أصاب أعمال الملك من انهيار يوفاته .

(٢) El Amarna I, 15 ومثلا A. Z., 36, 128

Idem I, 41 r (٣)

Idem II, 30 (٤)

Knudzon, El Amarna Tafeln n° 147 (P. 609) (٥)

(٦) لوحة توت عنخ آمون بالمتحف المصرى .

قد خسر المعركة . . . وكان رد الفعل محتموما . وهناك لوحة<sup>١</sup> تدلنا على أنه في عصر توت عنخ أتون كانت عبادة أمون وموت مسموحا بها ، وهكذا أعيد السلام مع أمون . وكعلامة لهذا التوفيق تخلى الملك الشاب وزوجه عن اسميهما المهترطين فنوت عنخ أتون أصبح توت عنخ أمون . ثم يرجع إلى طيبة ويفتتح عهده بمرسوم يلصح فيه إلى البؤس الذى انحطت إليه البلاد : «تهدمت المعابد في البلاد كلها وأما واجهاتها فقد اختفت معالمها . وهذا هو السبب في أن الآلهة استدبرت البلاد (أدارت ظهرها إليها) وصار الجيش عاجزا . وعندما كان المرء يتضرع إلى إله أو آلهة لاستشارتهم كانوا لا يستجيبون له . لكن الآلهة قد أقاموا ملكا جديدا على عرش آبائه — طرد الإثم من البلاد . . . الحق يبيى والباطل يزهدق . . . أصبحت البلاد من جديد كما كانت قديما » .

وإذن فالملك يقيم المعابد ثانية ويحملها ويصنع تماثيل لأمون ويتاح من الذهب الخالص ذات حجم كبير حتى إنه وجب زيادة عدد المحفات حتى يستطيع حملها في الاحتفالات . وقوارب الآلهة أعيد صنعها من خشب الأرز وزخرفت بكمية من الذهب حتى إنها تجعل النهر مضيئا . وجميع العطايا زبدت . وعلاوة على ذلك يكرس الملك للمعابد عبيدا من الرجال والنساء مغنيات وراقصات كانوا جميعا (ملحقين) ببيت الملك . ثم عين كهنة مرءوسين ورؤساء اختارهم من بين أبناء البيوتات العريقة وأولاد المتعلمين أصحاب الأسماء المشهورة . ودفع لهم أجورا مرتفعة . ونرى من ذلك مدى الإصلاح الذى أردف به الملك الشاب اسمه .

ولكن توت عنخ أمون مات هو كذلك شابا . ونحن نملك الآن الرسالة التى بعثت بها أرملة إلى ملك دولة الحيشيين الكبرى تطلب إليه أن يرسل إليها أميرا من أفراد عائلته ليتزوج منها ، ولكنه لم يلب طلبها<sup>٢</sup> فعاد العرش إلى ذلك الملك الذى كان يشغل الوظائف الكبرى منذ أول العهد الهرطقى والذى نشك في أنه هو الذى أقام الملك الشاب على العرش . هذا هو الكاهن « آى » وكانت زوجته « تى » ميصعة الملك

(١) برلين ١٤١٩٧ (السجل المفضل صفحة ١٢٨) .

(٢) يبدو أن الأمير قتل أثناء رحلته .



قناع من الذهب من مومياء الملك توت عنخ آمون.

الهرطقي فصار هو ملكاً واغتصب المباني والآثار التي أقيمت لأمون في عهد الملك الشاب .

وقد ترك لتوت عنخ أمون المسكين كنوزاً لا تحصى ، كان هذا الملك قد أعدها لمقبرته خلال حياته كلها . ولكن لم يعطه المقبرة الكبرى التي كانت قد أعدت من أجله ، بل دفن البخثة في تسرع وبغير نظام في قبر ضيق بعد أن حاول توسيعه بسرعة ، وقد كان لهذه المقبرة الوضيعة أغرب مصير : إذ أنها الوحيدة من بين مقابر الملوك التي لم تستهدف للسلب طوال آلاف السنين . وعند اكتشافها عام ١٩٢٢ انتشر اسم توت عنخ أمون في العالم بأجمعه . وقد احتجز « آي » لنفسه المقبرة الكبرى التي كانت قد أعدت من أجل توت عنخ أمون ، ولكن ذلك لم يجلب له حظاً حسناً ، إذ أن المقبرة خربت وسلبت محتوياتها <sup>١</sup> . على أن حكيم « آي » لم يستمر سوى بضع سنين وخلفه ملك آخر أعظم منه هو « حور محب » القائد العام للجيش في منفيس وكان هو الآخر من المقرَّبين للملك الهرطقي ، وصار على ما يبدو السيد الحقيقي لمصر السفلى . وفي المقبرة التي جهَّزها لنفسه في منفيس <sup>٢</sup> مُثِّل وهو يستقبل سفراء الشعوب الأجنبية . وقد ذهب إلى طيبة حيث توجه أمون ملكاً ، ونحن نجهل ما حدث بعد ذلك ، ولكن يمكن أن نؤكد أنه عند اعتلاء حور محب العرش كانت الهرطقة قد اختفت حتى في أبعد مظانها . وفي نفس هذا الوقت دمرت المباني التي كانت تذكِّرُ بالعهد الهرطقي في طيبة واستعملت أنقاضها كمواد للبناء .

وفي ذلك الحين كذلك خربت تل العمارنة . . . ولم يترك شيء من معبدها الأعظم . أما موضع ذلك المعبد فقد صار جسداً بطريقة مغرضه إذ لم يكن من المرغوب أن تنتشر الحياة في هذه البقعة اللعينة . وقد خُربت مقابر تل العمارنة إذ ذاك ولم تفلت كذلك المقابر الملكية من هذا المصير . ولكن لا بد أن تمكن أحد المخلصين لأخناتون في عهد توت عنخ

(١) توجد بقايا من تابوته في متحف بزلين .

(٢) صورها الجميلة مجرَّة اليوم في متاحف أوروبا .

أمون من إنقاذ بعض محتوياتها وإخفائها في مقبرة قديمة في طيبة . أجل لقد اختفى تابوت الملك نفسه ، ولم يعد الرجل الذى حاول إعطاء شعبه عقيدة جديدة يرقد إلا فى تابوت من الخشب <sup>١</sup> . وهكذا انتهت هذه القورة كما تنتهى كل الثورات - لأنها تترك وراءها من غير شك شيئا محمودا ولو لم يكن سوى جزء بسيط مما كان بوئل فيه وبعد كل الأسى الذى أرهق الشعب تعود هذه الأضرار والمساوىء القديمة فى صور أخرى .

ومن بين مراحل التقدم التى أدخلها عصر تل العمارنة لم يبق سوى مظهر واحد هو استعمال اللغة العامية .

أما من جهة الفن فلم يحدث سوى القليل من التحسينات . والحركة الدينية الكبرى لم تكن لها إلا نتيجة واحدة هى إحداث رد الفعل الذى كان دافعا للانحطاط الروحى فى مصر .

---

(٣) وهو الآن فى المتحف المصرى ، ولا يملك المرء إلا أن يتساءل بطبيعة الحال عما إذا لم تكن البثقة فى خلال « هذا الإنقاذ » قد استبدلت بغيرها . إن علماء التشريح يقولون أن البثقة التى عثر عليها هى لرجل فى الثلاثين من عمره ، ويبدو أن هذا السن قليلا لاختناون الحقيق .

## الفصل التاسع

### نهاية الدولة الحديثة

هكذا انتهت الحركة العظيمة بخاتمة ، لم تكن لتستطيع أن تفرّ منها ، فقد دمر الحقد كل ما كان يذكرُّ بالهرطقة ، وبعد ذلك بعشرات السنين - كما تذكر بنود قضية مدنية - كان يتجنب ذكر اسم أمونوفيس الرابع الذى توارى منذ أمد طويل ولم يعد الحديث يجرى عنه إلا ويذكر لقب مجرم تل العمارنة<sup>١</sup> . وكان أنصار أمون بنشدون فى ابتهاج :

« الويل لمن يمسك ! لقد أسست مدينتك خير تاسيس ، ولكن ذلك الذى حاول المساس بك قضى عليه ! الخزى لمن يسيء إليك فى أى بلد كان ! إن شمس من لا يعرفك قد غربت ، أما من يعرفك فيضئ . . . إن معبد من مسك فى ظلام ، وأما الأرض كلها فى النور<sup>٢</sup> . . . » إنه كان حقا ظلاما ذلك الذى خسي على مجرم تل العمارنة الخفيف . . . وقد اختفت كل المعلومات الخاصة به . ويرجع الفضل إلى لسيوس فى إلقاء بعض الضوء على اسمه وأعماله بعد أن اكتشفهما النسيان لأكثر من ثلاثة آلاف عام<sup>٣</sup> .

ولكن الدين الذى أعيد تدعيمه لم يكن يشبه تماما المعتقدات القديمة . والواقع أن آلهة المدن المختلفة قد استعادت حقوقها . . . وأتون الذى كان طاغيا عليها قد غلب على أمره ، ولكن الواقع كذلك أن طاغية آخر قد حل محله . . . هو أمون رع . . . ومن البديهي أن يحدث ذلك . أليس إليه وإلى مدينته يرجع الفضل فى الانتصار

Inscription des mes. *Æ. Z.*, 39, 24 (١)

Erman, *Æ. Z.*, 42, 106 (٢)

Lepsius: *Reisebriefe P.* 35 et 101 (٣)



في المعركة ضد المرطقة؟ ويفضله أحرق عدو روع حتى استحال إلى رماد<sup>١</sup> . وبفضل انتصاراته استطاعت طيبة أن تقدم للبلاد سيدا واحدا ، وهذا السيد الوحيد لم يكن إلا أمون رع لأنه هو مالك البلاد كلها والحقول جميعها كانت له وكذلك جميع الشواطئ والأراضي . . . له وحده أنشئت سجلات المساحات والمقاييس ، ومن أجله تفد جميع السفن من البلاد الأجنبية محملة بالثروات . . . من أجله ينمو شجر الأرز الذي يستعمل في بناء قاربه الفاخر . . . الجبال تزود بالحجارة لمبانيه الضخمة<sup>٢</sup> . . . الآلهة الأخرى لآتخيا إلا بفضل طيبته . . . إنها تلمس منه التزود بالحياة وهو يعطيها الخبز من ممتلكاته<sup>٣</sup> ، وبفضله كذلك لها نصيبها من المنشآت والتماثيل والمعابد<sup>٤</sup> في مصر . وهو له في كل مكان معابد فيستطيع أن يسكن حيثما يطيب له<sup>٥</sup> . . . له العالم بأسره حتى بلاد الأعداء . . . الفرات والمحيط يعيشان في وجل منه<sup>٦</sup> وهو كملك ملوك عصره يمدح لأنه مبعث رعب للذي خصومه . . . إنه يلقي بهم على وجوههم ولا يستطيع أحد مهاجمته ، هو الأسد الزائر ذو المخالب الفظيعة ، هو الثور ذو الخوافر الثقيلة ، هو الطائر الكاسر الذي يحطم أعضاء وعظام المعتدى . . . الجبال ترتعد من تحته والناس يخافونه<sup>٧</sup> .

ولكن الواقع أن هذه القوة وهذا الطابع الخفيف لم يكونا العنصر الأساسي في طبيعة أمون ، ورغم اضطراب هذا العهد فانه ظل نفس الإله اللطيف الذي عرفه الناس من قبل محسنا خيرا للناس والمخلوقات جميعا .

ومما يقدم لنا فكرة عن طبيعة أمون في العصر التالي للهرطقة نشيد أمون في مجموعة مدينة لايدن الذي استشهدنا بكثير من فقراته . ويظهر الإله أمون في هذا النشيد

(١) أنشودة أمون في « ليد » فقره ٧ ، ٧٠٠ - نفس المرجع لكل ما يلي - قارن Litt. P. 363 ss

(٢) أنشودة أمون في « ليد » فقرة ٦

Idem, verset 60 (٣)

Idem, verset 60 (٤)

Idem, verset 60 (٥)

Idem, verset 6 (٦)

Idem, verset 50 (٧)

مخالفاً لأمون الذي عرفناه في الفصل السابع . فإذا كان هذا خليطاً من الإلهين من وروح فان أمون الآن لم يعد إلا مجرد إله شمسي وقد فقد كل مشاركة مع مين . هو يخبر عباب السماء بصفته لها شمسياً في مركبه كعادته السابقة وهو يتغلب على تنين السحب ويجول في العالم السفلي حيث يلتقي مومياءه<sup>١</sup> . . . هو يصنع السنين ويصل الشهور ببعضها البعض . . . الأيام والليالي والساعات تنتظم طبق مسيره<sup>٢</sup> .

ولكن نشيدنا لا يعبرُض للأطوار المختلفة لرحلة الشمس وهي التي كانت تشغل حيزاً ضخماً من النصوص الأكثر قدماً . والقردة لائحيه في الفجر والآلهة لاتشيعه في مركبه ولا يذكر أوزوريس ولا الموتى المساكين ، بل — وأكثر من ذلك — لانجد أثرًا للتيجان والمعابد التي كان يختص بها أمون رع . ويغلب على الظن أن هذا الصمت لم يكن وليد الصدفة فان مؤلف الأنشودة ربما كان يعتبر هذه الأمور ثانوية ، بل لاتتفق ومستلزمات العصر ، ولو أنه من المحتمل أن تكون قد احتفظت بمكانها في الشعائر الرسمية . ويلاحظ أن الشاعر لا يزال متأثراً بهذه الفترة الهرطقية : وما زالت صفته كإله طيب تشغله أكثر من الشكليات المتعلقة به . فهو يصف هذه الطيبة على طريقة أصحاب النشيد السابق أو نشيد تل العمارنة ، فيقول عن أمون : « حين ينام الناس تكون عيناه متيقظتان<sup>٣</sup> وعند ما يستيقظ النوام يبدو لهم مضيقاً في مظهر جديد<sup>٤</sup> . إنهم يولون وجوههم ناحيته ويقول له الناس والآلهة : نعم انجبىء والطبيعة كلها تبتهج كما تبتهج الآلهة والناس<sup>٥</sup> ، كل الأشجار تهتز أمامه وتستدير نحو عينيه وتفتتح أوراقها . الحيوانات تقفز في المياه وكل الدواب تقفز أمام وجهه . الطيور جميعاً ترقص له بأجنحتها . . . السماء تتألهأ كأنما صيغت من ذهب ومحيطها يشبه الازورد . الحقول تخضر كأنما هي مغطاة بالدهنج . الناس يجيونه وهم يغنون له في كل مكان ،

Idem, verset 30 (١)

Idem, verset 20 (٢)

Idem, verset 20 (٣)

Idem, verset 9 (٤)

Idem, verset 9 et 20 (٥)

(٦) أن سايلي ورد في فقرتي ٩ ، ٦٠ .

وفي يوم عبده تُصنع الجعة من أجله ويتجاوب الغناء من أجله فوق أسطح المنازل . . .  
 ويعتبر آمون المعين<sup>١</sup> للأفراد العاديين . . . لأنه يقشع الشرّ ويطرد الداء<sup>٢</sup> . . . إنه  
 الطبيب الذي يشفي العين دون دواء ، ويفتح الأعين ويشفيها من الحول . إنه  
 يخلص من أراد حتى وإن كان قد ارتحل إلى العالم السفلي . إنه يرفع الشؤم والسحر  
 حين يرتأى ذلك . إنه يطيل الحياة أو يقصرها . . . إنه لأمون ، عينيه وأذنيه في كل مكان  
 وهو يصيخ السمع لدعاء من يدعوه . إن من يتكىّ يظهره عليه يحميه . . . إنه خير  
 من مليون مساعد عند من له ثقة به .

واسم آمون له قوّته على الماء كذلك . . . فهو يطرد التماسيح ويعطي البحارة  
 ريحا رخيّة<sup>٣</sup> ، ومع ذلك فإن التوسل لاسمه لا يجلب البركة دائما لأن له كذلك اسما  
 سريا يجله المرء<sup>٤</sup> وهو فظيع لدرجة أن من يلفظ اسمه هذا يخرّ صريعا . . . وليس  
 يستطيع إله ما أن يناديه بهذا الاسم .

ولم يسمّ آمون « بالخنّي » لغير ما سبب ، فهو كائن مليء بالأسرار . . . تجهل  
 — حتى الآلهة — مظهره الحقيقي . . . وصورته ليست منتشرة في الكتب وهو  
 محجب بالأسرار حتى لا يستطيع الكشف عن بهائه وروعته وهو كبير حتى لا يستطيع  
 تكوين فكرة عن ماهيته ، وهو قوى حتى لا يستطيع معرفته وإدراكه .

وشاعرنا على ما يلوح لنا رجل مثقف مؤمن بأن طبيعة الآلهة تفسرها الكتب  
 والمجادلات ، ولكنه يؤمن كذلك بأن حكمة الإنسان تقصر إزاء سيد الآلهة هذا . . .  
 وكل ما نستطيع فهمه من هذا اللاهوت الشعري قد يلخص فيما يلي :

إن آمون هو أصل كل شيء ° إنه ولد في البدء وليس هناك إله آخر ظهر  
 قبله ، ولم يكن معه إله آخر ليشير إليه بصورته . لم تكن له أم تمنحه اسمه ولا أب

(١) Idem verset 70

(٢) تله الحامل حين تنطق باسمه (Chassinat, Mammisi Edfu 25)

(٣) فقره ٧٠ من نشيد آمون .

(٤) ما يلي موجود بفقره ٢٠٠ .

(٥) إن مايلي مأخوذ عن فقره ١٠٠ من أنشودة آمون في ليد .

ليكون أصلا له وليقول له : « ها أنا ذا » . إن كل شيء آخر صدر عنه ١ :  
التاسوع والآلهة جميعا كانوا متصلين بجسده حين خلق الآلهة الأولين في صورته .  
كبتاح تاتن . . . وعلى ذلك فليس هناك في الواقع سوى كاتن إلهي واحد هو  
أمون ٢ . ولا يجوز لنا أن نعجب إذا ذكر إلى جانب هذه العقيدة الجزلة للإله بعض  
تصورات أقل سموًا ٣ ترجع إلى عهد أكثر قدما .

ويمكننا اعتبار العقيدة — كما يعبر عنها هذا التشيد مثلا — كنوع من ديانة  
أمون رع . وفي الواقع لا يجب أن نتمثل أمون تحت صورة واحدة بل تحت صورة  
ثالوث إلهي . . . لأن رع نفسه متحد بجسده ، كما أن أمون يسمى كذلك بتاح  
تاتن . . . اسمه كأمون مخفي ، رع يخصه كوجهه وبتاح كجسده .

ومن الطبيعي جدا أن يكون رع متصلا اتصالا وثيقا بأمون في مظهره الشمسي  
ولكن من غير شك كان دخول بتاح كعضو في هذه الألوهية العظمى نتيجة تأثير خارجي :  
لأن طيبة كان عليها أن تجامل حار محب ما دام هو الرجل الذي أصلح الأمور  
ولنشأته في منف مدينة بتاح .

ولذا فإن هولاء الآلهة الثلاثة : أمون ورع وبتاح هم الآلهة الذين كانوا  
يعبدون في الفترة اللاحقة مباشرة لفترة الحرطقة وهم الآلهة الرسميون في البلاد جميعا  
ومدنتهم هي الأماكن المقدسة ومعابدهم هي هياكل الدولة . . . ولكن هذا الشرف  
يرجع قبل كل شيء إلى طيبة التي أصبحت الآن المكان الأكثر قداسة وإن لم تعد  
مقر حكم الملك ( انظر آخر هذا الفصل ) .

وأما المعبودات الأخرى في البلاد فتنطس أمام ثالوث أمون ورع وبتاح  
الذي يشغل فيه أمون مكان الصدارة . وسنرى نفس الوضع بعد قرن من الزمان  
في مستند رسمي هو بردية هاريس التي سيرد الكلام عنها في الفصل الثالث عشر ..

(١) عن فقرة ١٠٠ .

Idem verset 200 (٢)

(٣) من ذلك بيضة الإله الأول وخلق نفسه وبصقه شو وتفنوت .

Idem verset 300 (٤)

وكان لكل من هذه الآلهة العظمى الثلاثة جزؤه الخاص به ، بينما خُصص لبقاى الآلهة الأخرى - ومن بينهم بعض ذوى الأهمية مثل حاتحور وتحت وأوزوريس الخ - جزء واحد . ومن الملاحظ كذلك إن إيرادات آمون لا يمكن أن تقارن بها إيرادات زميله إذ أنه كان يمتلك حقولا بقدر خمسة أضعاف حقول رع وبقدر تسعين ضعفا لحقول بتاح ، مع أن هذا الأخير كان فيما سلف من الزمان إله الدولة الكبير ، وزيادة على ذلك فإذا كان آمون قد تغلب من الناحية المادية على بتاح فإن جوهر طبيعته كان يجب أن يتحوّل تدريجيا إلى صورة زميله ، وقد تحوّل إلى إله شمسي تقريبا بدليل تلك التسيبحة التي كانت تتردد صبيحة كل يوم في طيبة تمجيدا له ، والتي كان يعتبر فيها دائما إلهًا أصيلا خلق جميع الكائنات الحية ، ولكن المديح يتناولها أصلا لصلته بالشمس قبل كل شيء ، فهو الذى خلقها ، كما أن رع هو ابنه الذى خلق من أجله السماء ، وأنفاس فهى التى تدفع أمامه بقوارب الشمس ، بل وأكثر من ذلك أن بتاح هو الشمس نفسها . . . الطفل الذى يولد فى العالم كل يوم ويفرب فى الجبل الغربى ليدخل السرور إلى الموتى فى العالم السفلى .

ولقد حاول الملك حورمحب وخلفاؤه - أى الأسرة التاسعة عشرة - أن يعرضوا بطريقتهم مضخة . . . الخسائر التى لحقت بأمون ومدبنته خلال فترة المرطقة ، فهم الذين أقاموا تمجيدا له تلك المباني الضخمة التى لم تستطع أى بلد أو أى عصر آخر أن تشيد ما يمثلها .

وأما الفخامة التى شاعت فى هذه المعابد ، وأما الأعياد الرائعة التى كانت تقام فيها فستتناولها بالتفصيل فى الفصل الثالث العاشر . ولكن علينا أن نتساءل حقيقة عما إذا كانت كل هذه الفخامة والأبهة قد أفادت الدين ، إذ لاشك أن الدين أخذ يفقد رويدأ رويدأ تلك القوة الروحية التى اكتسبته البقاء ، ورغم هذه الروعة - أو على الأرجح بسبب هذا الألتعاع - أصبح الدين غربيا على غالبية الشعب ، بل أصبح دينًا للملك

(١) وكذلك أعيد إذ ذاك نقش أسماء الآلهة التى سبق محوها (فصل ٨) ولم يكن لذلك على وجه التأكيد تأثير حسن على الآثار . وقد حدث ذلك بصفة خاصة فى عهدى سبتي الأول وزميسيس الثانى ، انظر :

— أو كما نسميه — ديننا للدولة ولم يعد ديناً شعبياً . لأن الرجل من العامة لم يعد يستطيع دخول المعابد التي ما زالت تبهرننا حتى اليوم ، بل ولم يكن من العيب أن توضع تماثيل الآلهة التي تستجيب للدعوات على أبواب المعابد<sup>١</sup> . وهناك كان الرجل من العامة يتقدم بسؤاله إلى الإله .

ورغم العظمة المحيطة بأمون فإنه لم يكن إلهاً شعبياً ، بل إن الرجل في الحياة العادية كان يفكر عن طيب خاطر في إله الشمس أكثر من تفكيره في أمون . وإذا كان هناك ما يدعو لذكر اسم إله في قصص ذلك العصر فكان اسم « رع حوراختي » هو المفضل وحين كان المرء يستعطف الآلهة ويلتمس رضاهم في خطاب من الخطابات فإن الحديث كان يوجه إليه . وفي الخصب على التقوى والتعبد كان يذكر فقط « إله هذه البلاد شمس الأفق »<sup>٢</sup> . ومن الطبيعي أن هذه العبادة الشعبية لإله الشمس لم تكن تحمل إساءة نحو الآلهة القدامى الآخرين . فإن أهل بوسطة كانوا يتوجهون بأدعيتهم — كما كان الحال منذ القدم — إلى إلهتهم باستت وأهل الفتين إلى إلههم خنوم — والكتاب والعلماء إلى حامهم تحوت الذي يساعدهم على فهم الكتابة ويسندهم في أعمالهم . وأما في الحرب فإن متو هو الذي قاد الملك إلى النصر . وهكذا عادت الحياة إلى جبهة الآلهة المصريين ، واهتم الملوك بعاطفة الشعب هذه ، فعاودوا بناء معابد الآلهة القديمة أو هم أتموا بناءها . وقام رعسيس الثاني على الخصوص بعمل واسع في هذه الناحية . ويمكن القول إنه قلّ أن يوجد في مصر معبد لا يحمل اسمه . ويلوح أنه أراد أن يعوّض باقي الآلهة لقاء ما فعله من أجل أمون وشريكه . ونجد نفس الرغبة في إرضاء باقي الآلهة من جديد يعبر عنها رعسيس الرابع في معبد قام ببنائه في أبيدوس بعد حوالي قرن من الزمان<sup>٣</sup> ، ولم يكن الأمر من قبيل المصادفة أن أغفل ذكر آلهة طيبة وذكر بتاح منف ، والواقع أن

(١) مثل على نصب في برلين برقم ٢٠٣٧٧ الباب من وراه أمون الذي « يستجيب إلى الدعاء » ،

(٢) Max. D' Anii 6,16 (Litt. P. 299)

(٣) Mar : Abydos II, 54-55

الملك يقصّ علينا أنه قام بأبحاث مفضية في كتب دار الحياة ، وأنه استطاع أن يصل إلى أن أوزوريس هو أكثر الآلهة غموضا وخفاء . . . هو القمر . . . وهو النيل . . . وهو ذلك الذى يحكم في العالم الآخر . وفي كل ليلة ينزل نحوه إله الشمس ويكون معه الروح المتحدة وهذه تحكم العالم . وأما تحوت فيقيد أوامره . ثم يقص الملك بعد ذلك كيف ساهم في أعياد أوزوريس وكيف خسلم بذلك جميع آلهة تاسوع أبيلوس . . . ولكن ابن رمسيس الثالث هذا يمر مر الكرام على أمون رع وبتاح رغم أن أبيه قام بعبادتهما أكثر من كل الآلهة الآخرين . والواقع أنه لم يذكر من بين آلهة الدولة الثلاثة سوى رع حوراخى . ولقد ذكر فقط بمناسبة الدور الذى يلعبه كرفيق يومى لأوزوريس .

ولسبب خاص نرى الإله ست - وهو لم يكن شعبيا حتى الآن - قد أخذ مركزا مهما في الدولة الحديثة . وفي الأسرة التاسعة عشرة على وجه الخصوص .

واحترامه لا يقوم على أساس أنه الإله القديم الذى يحمى مصر العليا ولا على أساس أنه قاتل أوزوريس ، ولكنه هنا الإله الذى قامت بعبادته أسرة المحاربين هذه بغير انقطاع . ولما كان أصل الأسرة الحاكمة يرجع إلى شرق الدلتا ، حيث كانت تستقر عاصمة ملوك الهكسوس من قبل فإن إلهها كثيرا ما اتخذ مظهر سوتخ الذى عبده الهكسوس المتبربرين والذى كان ذى طبيعة غريبة عن مصر . ويلاحظ أن ملوك هذه الأسرة كانوا يقدرون هذا الإله كثيرا للدرجة أن جيوش رمسيس الثانى لم تطلق عليها أسماء أمون ورع وبتاح . منسب بل واسم ست كذلك . وعلى ذلك وضع في مرتبة متساوية لمرتبة هذه الآلهة الوطنية الثلاثة . بل إنه في المدينة الكبيرة التى أقامها رمسيس الثانى في الدلتا خصص أحد الأقسام لأمون كما خصص قسما آخر لسوتخ .

وكانت هذه المدينة الملكية الجديدة ( التى بنى اليهود فى بنائها كما ورد فى القصص ) واقعة فى الدلتا ، لأن دور طيبة كان قد انتهى . ولأنه كان يجب عليها أن تفسح المكان أمام عاصمة أخرى ليست مثلها فى عزلة . وإن جميع المباني التى قام

بتشييدها الملوك لتجميلها لم تعد كافية لتغيير حظها وهي التي لم تزل أقدس المدن — مدينة أمون<sup>١</sup> كما كانت تسمى باختصار — ولكنها لم تستطع أن تعود فتصبح عاصمة من جديد، لقد ظلّ الملوك يقيمون معابدهم وقصورهم على الضفة الغربية — وحين يموتون كان يجب أن يقدوا في هذه المدينة المقدسة في أعماق مقابر احتفروها لأنفسهم . ومنذ ذلك الوقت تصبح طيبة مدينة المعابد والأعياد الرسمية ويصبح صيت هذه الأعياد كبيرا ومنتشرا حتى لتسمى الشهور في البلاد جميعا بأسماء هذه الأعياد<sup>٢</sup> .

(١) وقد عرفها اليهود كذلك بهذا الاسم .

(٢) Erman : *Æ. Z.* 39, 128



## الفصل العاشر

### التقوى والآلهة الشعبية والوحي

كان الدين الذى تحدثنا عنه حتى الآن فى جوهره دين معابد وكهنة ولم يكن ديناً يستطيع أن يستغنى عن القوى التى كانت تدعمه . ولم يخضع الدين للدولة إلا بعد الثورة ، وقد اكتسب من وراء ذلك رونقاً مازلنا نعجب به حتى اليوم . ولكن إذا حاول شخص ما أن يجد فى الديانة شيئاً غير تعاليم الكهنة والعادات الخاصة بالطقوس فإنه سيعتبط كثيراً حين يدرك أن مظاهر الإيمان الشعبي الأكثر حرية أشد ندرة . وذلك يشبه فى أحيان كثيرة النباتات البرية ولكن جذورها تندفع فى الأرض المشتركة بين جميع الديانات المتطورة ، وتكون هذه العبادة بمثابة الرباط الذى يجمع بين الفرد العادى وإلهه . وقد تحولت الهية التى رافقت عبادته إلهاها من قديم الزمان إلى شعور بالثقة وتعلق بهذا الإله الذى يعتبر كأب . وقد التقينا بمثل هذا الشعور فى أنشودة الشمس التى ترجع إلى عصر الهرطقة ، وفى الأنشودة الكبرى لأمون رع ، ولكن نرى التعبير عنها أشد وضوحاً فى أغنيات صغيرة وفى صلوات ترجع إلى القرنين الثالث عشر والثانى عشر حيث يدعى أمون « الراعى » الذى يخرج البقر مبكراً والذى يقود الجائع إلى المرعى . . . هو الشراع الذى يقاوم الريح . . . هو الربان الذى يعرف الشطوط الرملية والذى يشناق إليه المرء وهو على الماء <sup>١</sup> .

وهذا حبّ صينيانى وثقة كاملة يشعر بها المرء نحو الإله : أمون رع . . . إنى أحببك . . . وقد احتبستك فى قلبى — إنى لأطواع القلق فى قلبى . . . إن كل مايقوله أمون يزهر <sup>٢</sup> . . . وعلى ذلك فإن كل ثقة وكل هم كانت يعرض على الإله . . . ستخلصنى من فم الرجل حين يلتقى بالأكاذيب <sup>٣</sup> . . . وهناك رجل قد ظن أن غريمه قد سلبه وظيفته ، فغضّ ع إلى

Inscr. in the Hier. Char pl. 26, cf. Litt. P. 382 (١)

Inscr. in the Hier. Char pl. 26, cf. Litt. P. 383 (٢)

Inscr. in the Hier. Char. pl. 26 (٣)

إله الشمس أو أوزوريس كى يعينه! . وهناك آخر يصلى هكذا: أى أمون اصخ السمع إلى رجلان وحيد فى المحكمة . . . فقير وخصمه قوى . المحكمة تطارده ! بضعة وذهب للكتابة ! . . . ملابس للخدم ! ولكنه يكتشف أن أمون يتحول إلى وزير كى يربح الفقير دعواه ! ٢ . وتظهر أيضا هذه الأنشودة أن الإله يرأف بالفقراء وهو وزيرهم ٣ ويظلّ عوناً لهم وقاضياً لا يقبل الهدايا ولا يتأثر بالشهود حتى يكون الجميع ضدهم ٤ . وللكتابة خصوصا - أى الموظفون والعلماء - علاقات ثقة وطيدة بالمهم تحوت . فإن أحدهم يقدم الدعاء التالى : تعال إلى أى تحوت أيها الأبيس الفاخر - أنت الإله الذى تحبه شمون . . . أنت كاتم سر الآلهة التسعة : تعال إلى لتقودنى وتجعلنى كقوا لحضمتك لأن وظيفتك هى أكثر الوظائف جمالا . . . إن الذى ينبع فيها يجد نفسه أميراً . إن الأعمال التى تقوم بها من أجلهم كثيرة عند ما يكونون فى مدرسة الثلاثين . أنت الذى تقود من لايوجهه أحد . . . السعادة والنعمة بالقرب منك . أقبل إلى وقدى . أنا خادم بيتك دعنى أتحدث عن أعمالك وأقول فى أى بلد أكون حتى يردد الناس حينئذ أن ما يصنعه تحوت رائع ، ثم يحضرون بأولادهم حتى يوسموا بخاتم مهنتك . . . المهنة الجليلة أيها المنقذ العظيم كم هو سعيد من يصل إليها ويحصل عليها ! ٥

وآخر يصلى هكذا : أى تحوت أقمى فى شمون مدينتك حيث يقضى المرء حياة هائلة وأعطى ما أنا فى حاجة إليه . . . خبزاً وجعة وارع فى حين يتحدث ٦ . وكان يوضع فى المكتب شمال لتحوت على هيئة قرد يفكر ٧ ويعلن أحد الكتاب فى فخر وخيلاء أنه أقام هو الآخر لنفسه صورة للإله : جاء السرور إلى بابى منذ أن تجاوزه الإله . افرحوا يا أهل ناحيتى وكونوا مسرورين جميعاً ، يا أقرى باني هاكم

Æ. Z., 38, 19 ss. ef. Litt., 373 ss. (١)

Anast. II, 5 ss. ef. Litt. p. 380 (٢)

أمون لنصرة فقير فيعيد إلى الوطن من كان فى الغربة ويخلص من يظلمه مولا . .

Anas. II, 6,5 ss Litt. p. 380 (٣)

Bull. 1094, 2, 3ss. (٤)

Anast. V, 9,2 ss. Litt. p. 377 (٥)

Sall. I, 8, 2 ss. Litt. p. 377 (٦)

Borchardt : Æ. Z. 44, 59 (٧)

سيدى الذى يصنعنى والذى يريد به قلبى . أى تحوت ! ستكون لى بطلا ولذا لن  
أخشى شيئا<sup>١</sup> .

ويمجد الإله كذلك فى دعاء آخر أكثر تسلية من كل ذلك وفى طلباته شئ من  
المادية : أيتها الدوحة المثمرة ذات الستين ذراعا أنت التى بك ثمار ذوات نواة  
وبالنواة ماء . . . أنت الذى تأتى بالمياه من جهات بعيدة أقبل نحوى وخصى أنا  
الصامت . أى تحوت أيتها النبع الحلو لرجل يكاد يقضى عطشا فى الصحراء . . .  
هو مغلق أمام من يتكلم ومفتوح أمام من يصمت . . . عند ما يحضر الصامت سيجد  
النبع . . . ولكن عند ما يحضر الفائر فانك لاتعاونه<sup>٢</sup> .

ومعنى الفقرة الأخيرة من هذا الدعاء الجميل لا يحتمل الشك ، إذ أن المرء  
يجب أن يتوقع فى صمت عون الإله : فى صمت وثقة . . . فى اعتقاد المفكرين  
يعتبر الصامت خير من الثرائر وهذه المثل العليا ستكون موضع الحديث فى الفصل  
القادم . ونجد نفس هذا النوع من الأغاني والأدعية على اللوحات التى عثر عليها  
فى هيكل صغير على الضفة الغربية لطيبة<sup>٣</sup> . وليس الإله هنا كذلك كائنا لا يمكن  
الاقتراب منه ، وهو إن كان يسبب العمى لمن يخطئ فإنه يغفر له كذلك أو يشفيه  
من دائه . فلقد ارتكب « نفرابو » وهو موظف بالجبانة أمرا ذميا نحو الآلهة المحلية  
« قمة الجبل » . . . كمثل رجل جاهل لا يدرى ما هو خير وما هو شر فعاقبته وكان  
فى قبضة يدها ليل نهار . وكان يصرخ ملتسما الهواء ، ولكن الهواء لم بات إليه ،  
وحين وعد الآلهة رسميا أن يعلن عظيمها أمام الشعب كله . . . عفت عنه ومسته  
برحمته حتى نسي علته .<sup>٤</sup> لأن هذه الآلهة — كما تذكر لوحة أخرى<sup>٥</sup> — تمد يدها  
نحو من يبها وتمنح حمايتها لمن يحنوها فى قلبه .

(١) Anast. III, 4, 12 وفى ختام ذلك على ما يبدو « من العين » ولعل المقصود بذلك النظرة

الشريرة ، انظر : Litt. S. 379, ann. 2

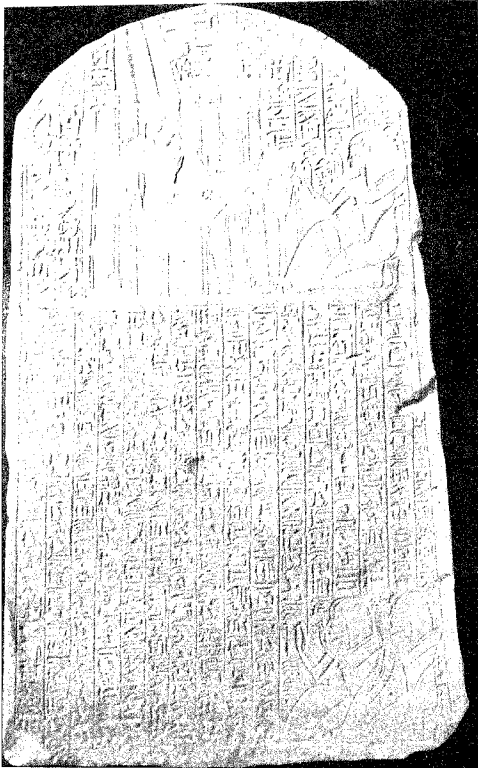
(٢) Sall. I, 8, 2, ss. Litt. p. 377

(٣) Erman : Sitz. Ber. Berl. Akad. (1911) P. 1086 ss. وفى الملاحظات

التالية سترقم الأوصاف تبعا للحرف التى تحملها فى المقال المذكور .

(٤) Erman : Sitz. Ber. Berl. Akad., (1911) P. 1087 ss.

Idem. K. (٥)



نصور نب رع يتعبد للإله آمون ، الذي يظهر أمام بوابة معبده ، وذلك يمنح ابنه المريض الصحة .  
( برلين ٢٠٣٧٧ . من المعبد الشمسي في الجانب الغربي من طيبة ) .

وفي مكان آخر كان شخص حلف زورا باسم بتاح فأراه هذا الإله - سيد الحق -  
الظلام في النهار. وصيره شبيها بالحيوانات التي في الشوارع ، وجعل الآلهة والناس  
ينظرون إليه كشئ غبيض نحو سيده. وكان هذا كلامه عند توبته: بتاح سيد الحق  
عادل نحوى . . . كن راضيا عنى حتى أرى كم أنت عطوف ١ .

والآلهة كذلك تحس السرور ، كما تشير إلى ذلك هذه اللوحات عند ما تعلن  
قوتهم وتحذر من غضبهم. فالمصور « نب رع » الذى كان قلنا من أجل مرض ابنه نذر نذرا  
« سأضع لأمون أغنيات باسمه ، وسأمدحه بقدر ما ترتفع السماء ، بل بأبعد مما تمتد إليه  
الأرض سأقص مدى قوته لمن يصعد (على النهر) أو ينزل. التفتوا جيدا واحذروه . . .  
بلغوه لكل قى وفتاة ، للكبار والصغار . . . اذكروه لكل الأجيال ، بل للأجيال التي  
لم تأت بعد . . . اذكروه لسمك الماء وطيور السماء . . . اذكروه لمن يعرفونه ولمن  
لا يعرفونه . . . التفتوا جيدا واحذروه . . . ثم يعلن « نب رع » أمام إله « أى أمون ،  
أنت سيد من يصمت . . . أنت الذى تستجيب دعاء البائس . إن صرخت لك فى  
شقتى فإنك تأتى لتعيننى » .

والواقع أن ابن « نب رع » كان يستحق ما ناله من مرض ، لأنه أثم فى حق  
بقرة من أبقار أمون . . . ولكن عند ما استرخم الأب هذا الإله . . . « أتى على هيئة  
ريح الشمال ونسيم عليل ومرّ من أمامه وأنقذه من مرضه » وعندئذ قال الأب معترفا  
بالفضل « كما أن العبد مستهدف للإثم كذلك المولى مستعدّ للصفح . إن سيد طبيه  
لا يبرّ على غضبه يوم كامل ، إذا ما غضب فإن غضبه لا يستمر سوى لحظة ثم  
لا يبقى له أثر » ٢ .

وكان الإله الذى يخاطبه ذلك الوالد فى محنته أول الآلهة جميعا ، ولكن ليس تماما  
بالصورة التى يعبد بها فى معبد الكرنك . . . إنه أقرب إلى أن يكون أمون الذى  
يجيب التضرّعات وهو فى صورته على هذه اللوحة ٣ يظهر بطريقة غير طبيعية خارجا

Idem. D. (١)

Idem. A (٢)

cf. pl. IV (٣)

عند باب المعبد . وليس تمثيله على هذه الصورة محض مصادفة لأن عامة الشعب لا يرون الإله الكبير أيام الأعياد وهم يخشون مضايقته بمشاغلهم وهمومهم . ولذا كان من المفضل أن يتخيل أمون في صورة أقرب إلى الناس ، يستمع إلى تضرعات الفقراء عند باب المعبد . وكانت هناك آلهة أخرى يتجه إليها المرء بدعائه ، وكانت توصف بأنها تستجيب إلى الدعاء <sup>١</sup> . ومما يدل كذلك على الثقة بالإله ما كان يدعيه المتضرع من أنه قريب من الإله بصفته « خادما » له <sup>٢</sup> .

ولا تكمل الصورة التي ترودنا بها النصب التي أسلفنا الكلام عنها ، عن عقيدة الشعب ما لم نفكر كذلك في المكان الذي كانت تقام فيه . وهو معبد صغير متواضع بنى قديما في عهد تحوتمس الرابع على الشاطئ الغربي لطيبة ، واستبدل بعد ذلك بعدد من الأبنية الصغيرة <sup>٣</sup> وكان يستعمل كمعبد للعمال وموظفي الجبانة ، وكان مكرّسا من غير شك في الأصل للآلهة الذين يحمون الجبانة ، وهما الزوجان الملكيان اللذان سنجدت عنهما فيما بعد . ولكن هذا البناء كان مفتوحا ، كما تذكر هذه اللوحات لكل من أراد تقديم العبادة للآلهة الخاصة به وكان يعبد فيه أمون رع كما يعبد فيه أمون البواب الصغير وخنسو القمر وبتاح وآلهة الفنتين والإلهين الأجنبيين رشف وكدش والقطة والسوننو . وهنا كان يستطيع كل أن يتعبد على طريقته من ناحية التقديس والصلاة . ولا بد أن المعابد الكبيرة كانت خاصة وكأن التقوى التي لا يربطها رابط تقف عند الباب .

وكان خيال الشعب يضيف إلى الآلهة التقليديين باستمرار آلهة أخرى يأمل عونهم في الحياة . وهو يبدأ باختيار أشياء يتخيلها ذات طابع قدسي خاص . فإذا تصفحنا مثلا الأسماء التي يسمي الناس بها أبناءهم خلال الدولة الوسطى في أبيدوس فإننا نجد من بينها : هبة الماركب نشمت ، أو القارب نشمت منح ابنا وهكذا ، فهم

(١) مثل أمون رع وتحوت وغيرها . وإننا نجد كذلك « بتاح لدى البوابة العظمى » (برلين ١٨٤٤٠) ولا بد إن كان الأمر يتعلق كذلك بمكان مائل لأن كاهنه الأكبر « باك ان خنسو » يذكر أنه أقام للإله هيكل يدعى « رمسيس الذي يستجيب الرجاء » في الباب العلوي لمعبد أمون .

(٢) op. cit. A. E. الكلمة المستعملة هنا « خادما » ليست الكلمة التي أشار بها المصري إلى الكهنة قديما hem ولكن كلمة bak وكانت تستخدم في أسماء كثيرة للأشخاص مثل « خادما خنسو » .

يشكرون مركب معبد أوزوريس إذا كانت سببا في منحهم الأولاد وليس الإله نفسه، ولقد انتشر هذا الاستعمال خلال الدولة الحديثة خاصة. ففي رسالة من طيبة ينصح فيها أحد الأشخاص للميرسل إليه أن يطلب حماية الآلهة ونزاه لا يذكر الآلهة ولغات هذه المدينة المحليين الكبأ أمون وخنسو وموت وخدمهم ، بل يذكر كذلك معبودات من الطبقة الثانية مثل شجرة على طريق الكباش وريـساء أمون في الكرنك وثامون القرده الواقعة في هيكل حاتحور وباب باكمي الأكبر<sup>١</sup> . وفي رسالة أخرى لايوجه الدعاء لرجوع غائب إلى بتاح منف ولكن إلى تمثال تحوتمس الثالث الذى كان موجودا من غير شك في هذه البلدة<sup>٢</sup> .

ولقد كان لهذه المباني أثرها على الشعب بالنسبة لحجومها أو قدمها ، مما يعطيها روعة وبهاء إلهيين . فأبو الهول بالجيزة مثلا أله في نهاية الدولة الحديثة ، وهو لم يكن في الأصل سوى حفرة طبيعية أعطاها الملك خضوع رأسا ملكية . ولكنه أصبح الآن كائنا إلهيا لدى أهل الأقاليم المجاورة يعبد بصفته حرماخيس أى حوريس الأفتى<sup>٣</sup> . وقد زودتنا حفائر بورخاردت في جبانة أبي صير بعبارة أخرى مماثلة في إقليم منف . فأمام هرم الملك ساجورع ( حوالى ٢٥٥٠ ق . م ) يقوم معبد فخم كانت تقدم فيه القرابين إلى هذا الملك ، وكان - كمادة هذا العصر - غنيا بالرسوم والنقوش التى تمجد حياة الملك وأعماله أو تمثله متعبدا أمام مختلف الآلهة . وقد مثل في إحدى اللوحات أمام الآلهة ذات رأس الأسد « سخمت » وقد كان لهذه الصورة - لسبب لانعرفه على وجه التحقيق - حظوة خاصة . لأنه في عصر لم يكن يفكر فيه أحد في الملك الذى ارتحل منذ زمان طويل والذى انهار معبده إلى أنقاض أصبحت صورة سخمت ساجورع صورة تفوز بالتقديس وأصبح هذا المعبد المهدم هيكلا صغيرا لسخمت ، ونحن لانظن أننا نخطئ إذا اعتبرنا أن خلفاء كهنة الملك الجنزيين الذين كانوا لايزالون يعيشون بالقرب من المعبد كانوا هم حماة وسدنة هذا المحجج ، وأن شهرته ترجع على الأقل إلى

Bol. 1094, 10, 11, ss. (١)

Pap. Petersburg, 1019 (XIXe. XXe dyn.) (٢)

(٣) بلوى (36,77) ويسميه كذلك - وله الحق الكامل -

عهد الإمبراطورية الحديثة وأن زيارته لم تكن قاصرة على عامة الشعب ، بل إن نبلاء وأشرافا لم يأتفوا من تقديم قربانهم إلى هذه الـ « سخمت » ، بل إن كاهنا كبيرا لمنف حيث كانت سخمت الحقيقية في مدينتها الأصلية تقدم بالولاء لهذه المعبودة الجديدة .

وكان الحجاج يقدمون علامة على تعبدهم نصباً يشتمونها بطريقة بربرية في نقوش المعابد القديمة . . . وقد مثلت على عدد كبير من هذه النصب آذان تعنى — حسب العادة — أن الإله قد استجاب إلى الدعاء . وهناك نذور أخرى أكثر بساطة مصنوعة من الطين الملون وصلتنا في كميات كبيرة مما يدل على قيام تجارة حقيقية ضخمة لمناسبة موسم الحج . وكانوا يقدمون كذلك تماثيل صغيرة للإلهة أو لبعض الآلهة الشعبية الأخرى . ومن العجيب أن حيوانات مقدسة أخرى تسربت إلى هذا المعبد الجديد مثل السحالي (الورن) والخرفان ، وهذا يتفق مع تعلق الناس في العصور المتأخرة بهذه الحيوانات المقدسة وإن كنا لانستطيع أن نفهم معنى لهذه الصلة بين هذه الإلهة المتوحشة ومخلوقات هادئة كهذه .

وقد دام معبد سخمت هذا أكثر من ألف سنة ونحن مدينون له ببقاء معبد ساحورع وبنقوشه الرائعة في الوقت الذي تهدمت فيه تماما المعابد الأخرى



٥٣ - نصب قدمه إلى آمون رع رجل يدعى نب محبت .. الواقعة حوله .

وقد اختير الملوك القدامى بصفة خاصة كحماة لهذه الحيوانات

وتدل الأذنان على أن الإله قد استجاب الدعاء

(برلين، ١٧٣٥٤)

الشاسعة في منف وطيبة حيث كانت تزخر بالكثيرين من النحاتين والنقاشين



والموظفين النخ الذين يعملون بها . ففي منف كان ملوك الدولة القديمة هم الحماة ١  
وأما في طيبة فقد كانوا ملوك الدولة الحديثة تتقدمهم السيدة التي كانت على رأس  
الأسرة الثامنة عشرة الزوجة الإلهية احموزه نفر تاري وابنها أمنوفيس الأول ٢ . وقد  
اعتبر كلاهما كإلهين ، وكانت تحمل صورهما في المواكب وتقام الطقوس لاسميهما .  
وفي الهيكل الصغير الذى زودنا باللوحات الحجرية المتضمنة الأدعية كان النقاش « باى »  
يقدم القربان لتمثال صغير جذاب لهذه الملكة ٣ ، وهناك في نفس المكان توجد لوحة  
صغيرة تحمل النص الآتى ، وفيه يتقدم أحد الأشخاص الذين يعبدون أمنوفيس  
بالدعاء له على هذه الصورة . « إن من يدخل إليك حزين القلب يخرج فرحاً مستبشراً .  
الكبار والصغار يأتون إليك من أجل اسمك لأنهم يسمعون عن قوة اسمك »  
وأما مايلى فيرينا فيما تتركز قوة هذا الملك القديس « ألت أدخل يدى فى فجوة بها  
ثعبان ضخم ؟ إنك تدرى إذن قوة أمنوفيس ( وترى ) كيف يقوم بالمعجزات  
لبلدته ٤ » .

ولكن أهالى طيبة لم يكونوا يكتفون بهؤلاء الحُساء فهم كانوا يعتقدون أن معبودة  
أخرى كانت تحكم مقاطعتهم وأنها تعيش فوق أحد جبال مدينة الموتى . ولهذا يسمونها  
قمة الجبل . وبما أنها تحكم مملكة إله الموتى الذى يسكت الناس فإنها قد أطلق عليها  
اسم « مريت سجر » أى « محبوبه الذى يسبب السكوت » وكانوا يمثلونها بالضبط  
مثل زوجته إيزيس ٥ ، ولقد رأينا من قبل كيف تعاقب وكيف تصفح .

ولقد عبدت فى البلاد كلها من غير شك آلهة أخرى صغيرة تعين فى الشدة وهى  
من خلق الشعب ، وعلى هذا فانه ليس لما مظهر الآلهة العظام ، بل بالعكس فقد  
صورتها الخفية الشعبية فى صورة كارىكاتورية . ولندكر فى أول الأمر الآلهة

(١) Berlin 1116

(٢) Champ. not. I, 855 يمكن أن يذهب المرء إلى أن هذا الملك كان يعتبر  
بحق ابناً لأمون والزوجة الإلهية . - على أننا لا ندرى لم لون جسده بالون الأسود فى الصورة الكبيرة  
فى برلين رقم ٢٠٦٠ .

Berlin no 6908 (٣)

Sitz. Ber. Berl. Akad., (1911), 1105 (٤)

Idem, 1107 (٥)

تويريس ، ومعنى اسمها - بتمتني البساطة - « العظيمة »<sup>١</sup> وهى وحش يتكون فى نفس الوقت من عجل بحر وتمساح بيدين آدميتين وقدى لبوئة ، وهى تقف على رجلها وتحمل عادة رمز الرعاية والحماية إذ أنها تأتى بهما للناس . وهى تمثل فى صورة « حامل » وتمثيلها الصغيرة التى تقدر فى المعابد تجعلنا نظن أنها كانت تساعد أثناء الوضع والرضاع<sup>٢</sup> . وقد دخلت تويريس بعد ذلك فى محيط الآلهة الكبار وأصبحت الآلهة المحلية أويت طيبة<sup>٣</sup> .



٥٤ - تويريس

(برلين ١٠٧١٠)

وهناك كائن آخر محبوب غير أنه أقل غرابة وهو بس الذى نستطيع أن نستنتج من مظهره حتى اليوم أنه يشيع السرور وهو قزم ملتوى الساقين ، وله رأس كبيرة وذقن منتفشة وذيل كذيل الحيوان ، ونستطيع أن نشبهه بمسوخ الأساطير اليونانية فهو مثلهم يظهر فى أعداد كثيرة تمثل فى خدمة الآلهة الكبار وتدخل السرور إلى نفوسهم عن طريق الرقص والموسيقى وتسهر على أولاد الآلهة ؛ ولكن هذا المركز المتواضع لا يمنع من أن يتحول إلى إله حقيقى حتى لىسمى الطفل أحيانا « ذلك الذى ينتسب إلى بس » مثل « ذلك الذى ينتسب إلى أمون » أو « ذلك الذى ينتسب إلى تويريس » .



٥٥ - بس يضرب على

(الطنبور) برلين ٥٦٦٦)

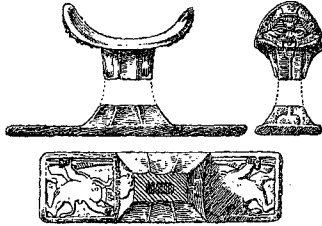
وعلاوة على هذا فهم يستخدمون الصورة الهزلية لـ « بس » كقبض لمرأة أو عليه مساحيق ، كما يمثل على مساند الرأس . وهنا يكون بس مسلحا بقوس وسكاكين حتى يحمى النوم

من كافة أنواع الضرر .

(١) الاسم حديث .

(٢) Möller, A. E. Z., 54, 138 فى معبد نخت لساخورع Borchardt: Sahure I, P. 130

(٣) تمثل صورتها كذلك نجم الدب الكبير .



٥٦ - مسند للراس ، كان يستخدم بدلاً من الوسادة ، ويحمل شكلان كل منهما على هيئة بس ،  
ومن الأسفل شكلان آخران يمثلان بس مسلحاً لحماية التأمم ( برلين ١١٦٢٥ )

وهناك مجموعة أخرى من الآلهة القميئة مصورة على هيئة إنسانية كاملة ولكنها ليست مغرية<sup>١</sup> فظهرها مظهر أطفال ناقصي التكوين ذوى أعضاء مشوّهة<sup>٢</sup> . وعليهم أيضاً مساعدة الناس من غير شك ولكن ما يعيننا بصددهم هو أنهم يعتبرون مثل بتاح أو أولاد بتاح ، وهو ما تشير إليه تسميتهم « باتك » التي نقلها هيرودوت<sup>٣</sup> ، وهم بالمثل يساعدون الناس ويضفون عليهم الحماية ضد الثعابين مثلاً . وهم في ذلك مثل بس تماماً<sup>٤</sup> .



٥٧ - باتك  
( برلين ١١٠٥٥ )

وليس علينا إلا أن نتصور أيضاً سابوع حائخور كمخلوقات منفرة أو مضحكة ؛ وقد عرفنا آلهة الحب السبعة هذه من طريق قصص الدول الحديثة حيث تتنبأ للمولود الجديد بحظه ، ونحن نعرف كذلك أنها تعهدت بإعطاء ذرية لكاهن لتحتو إن هو قدم لها صورة ووجه إليها أدعيته<sup>٤</sup> .

(١) نجدهم كثيراً بعد الدولة الحديثة ولكننا لسنا على ثقة من أنهم ظهوروا خلاله .

(٢) هيرودوت III, 37

(٣) فيما يخص « الباتك » قارن : Cat. dét. du musée de Berlin P. 306 وبالثل

Berlin 1543

Bissing et Blok, AE. Z., 61, 83 (٤)

و لنذكر أخيرا الإله أونوريس الذى نتخيله على هيئة أميز يركب عجلة حربية .  
ويقتل الحيوانات البرية وهو يسمى « بالمنقذ » وهو يحمى  
أولئك الذين يحملون صورته كتميمة تحميهم من الحيوانات  
والأعداء .



٥٨ - تميمة عليها صورة شو  
أنوريس (برلين ٨٩٢٠)

ويضاف إلى كل هذه المعبودات الشعبية الصغيرة  
معبودات استعيرت من البلاد الأجنبية . فنجد زمن طويل  
كان لمصر فى الواقع صلات مستمرة بالبلاد الواقعة إلى  
شمالها وإلى شرقها ، ولم تؤثر هذه الصلات على اللغة الدارجة  
فتزودها بأسماء سامية فحسب ، بل إن الدين كذلك دخلت إليه هذه المعبودات  
الأجنبية ، ذلك لأن التجار والجنود كانوا يعدونهم فى منازلهم عرفانا لفضل حمايتها  
إياهم فى البحر أو فى المعارك ، وحيث إن كل ما يأتى من  
الخارج له جاذبية خاصة فإن أناسا آخرين صاروا بدورهم  
يضعون آمالهم فى هذه الآلهة الجديدة .



٥٩ - سوتخ ويميزه القرنان  
الصغيران وما يتدلى من التاج  
وأربعة النقبة كإله أجنبي  
(برلين ٤٤٨٠)

واندمجت بعض هذه الآلهة فى الآلهة المصرية التى تشبهها  
فى طبيعتها . وهكذا نرى عشتارتى ترتبط بإلهة الحرب  
المصرية سخمت فى منف و قدس بجاثخور والإله السورى  
رشف يختلط بسوتخ فى الدلتا الشرقية<sup>١</sup>  
والإله رشف هذا هو صاحب القوة بين التاسوع ،  
وهو إله محارب مسلح بحربة ودرع ، وهو يلبس تاجا  
لمصر العليا ، ولكن لباسه يكتفى لإثبات أصله الأجنبي ،  
فيه تعلق شرائط على النقبة وشريط آخر طويل يتدلى من  
تاجه الذى يزينه من الأمام قرنان أو رأس غزال ، وعلى كل  
فقد كان يوجد بلا شك أكثر من « رشف » ، لأن إحدى  
القصاصد جاء بها أن ضباط رعسيس الثالث أقوياء كآلهة

رشف . ولم يكن أولئك الذين يعبدون إله الحرب هذا جميعا محاربين بالضرورة ، فإن الرجل الذى قدم لوحة ب لين كان من بلدة طيبة الجبزية . وأما الإله كدش التى تقف أحيانا إلى جانبه فلها طابع سمح مثل حانحور . . . وهى - مثلها - تدعى « عين الشمس » أو « ابنة رع » وحين تقف على الأسود وتمسك فى الوقت نفسه زهورا وأفاعى ، فإن معنى هذا - بمتى البساطة - أن تعمل للحماية من هذه الحيوانات الشريرة <sup>١</sup> . وفى الوقت الذى كان فيه لرشف وكدش دائرة من المؤمنين بهما كان لبعل والإلهتين عنات وعاشرت نفوذ أعم .

وبعل كائن مخيف يقرن - كما تظهره رسومه واسمه - بست . وهو إله العواصف والزوابع ، وهو يقف على الجبال ويزأر فى السماء . أما فى الحروب فإن الملك كان يشبه ببعل حين يكون نائرا <sup>٢</sup> . ولقد شاع بين الشعب حتى لم تعد تحس قيمة اسمه وحتى أصبح يسبق بأداة التعريف : البعل كما لو كان اسما عاما يدل على « الإله » .

وكما كان فى كنعان أكثر من بعل واحد فإنه كان يجب أن يعبد فى مصر أكثر من بعل كذلك . ومن هنا نعرف بعل قادش وبعل زيفون <sup>٣</sup> الذى يظهر أنه كان إله الملاحين . ومن ناحية أخرى كان يوجد كذلك معبد لبعل فى منف ، ونحن نعرف كاهنا لهذا الهيكل كان فى خدمة بعل وعشثارت وهو يحمل اسما أجنبيا وإن كان قد دفن خلال حكم أمنحتب الرابع كعصرى خالص <sup>٤</sup> ، وكانت للإلهتين عنات وعشثرت شهرة عامة فى مصر خلال الدولة الحديثة على نحو ما كان لبعل . وكلتاها إلهتا حرب ، ويمثل أحد المناظر إحداهما وهى تمتطى حصانا وتمسك بيدها بلطة الحرب ودرعا <sup>٥</sup> . وحين أصبحت عنات بعد ذلك إلهة مصرية نحتة اضطرت إلى

(١) Brugsch, Thes., 1434

(٢) بالمثل فى Grapow, Bildliche Ausdrücke P. 186

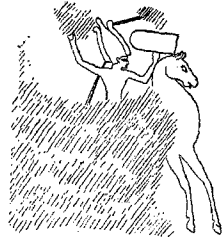
(٣) الاثنان مذكوران فى I, 6, Sallo., IV, Ro., ثم إن موظفا مصرية كرس لبعل زينون حجرا تذكاريا فى رأس شجرة . وهناك مكان على الشواطئ المصرية يحمل اسمه كذلك (قارن Eissfeldt, Baal (Zophon, etc., Halle 1932

(٤) L.D. Texte I, 16 وبعض هذه القطع التينة موجود فى متحف برلين .

(٥) نقش قام به أحد الضباط فى صحراء الرديسية (L. D., III, 138.)

نبت تلك الطبيعة الوحشية وحين نراها بعد قرون في معبد فيلة إذ بها تتحوّل إلى إيزيس ولها ابنتا حوريس<sup>١</sup> ، ونرى أوغسطس يقدم لها مرآتين كهديّة مناسبة لها .

ولكن هذه الطبيعة المسالمة لم يظهر لها أثر في الدولة الحديثة لدى هاتين الإلهتين . فهما درع الملك في حربه<sup>٢</sup> وهما مرتبطتان بعجلته الحربيّه<sup>٣</sup> . وحين يتقضّ تحوّلن الرابع - في عربته - على العدو فإنه يقود حصانه كما تقوده في الوقت نفسه عاشرت<sup>٤</sup> . وفي قصة حوريس وست نراها قد أعطيتا لست إله الحرب كتعويض لما أصابه من ضرر . وفي أسطورة



٦٠. عشتري تمطل حصانا ( من نص لأحد الضباط في صحراء رديسية )

أخرى ترى أنهما زوجتان لست ، لأن غريمهما حوريس يمنهما من الولادة<sup>٥</sup> . وفي قصة أخرى يذكر كيف أن الآلهة التي أزعجها البحر أحضرت عاشرت من سوريا إلى مصر وأن هذه الآلهة قامت باستقبالهما رسميا ، وأنها أعطيت عرشا وجلست عليه ، وأن « الآلهة الكبار وقنوا أمامها ، وأن الآلهة الصغار انبطحوا على بطونهم »<sup>٦</sup> وهي كذلك تعتبر ابنة لبتاح ، وليس من عجب بعد ذلك أن تتوطن بسرعة في منف . وقد كان لها في عهد أمنوفيس الرابع - كما رأينا من قبل - معبدا خاصا بها<sup>٧</sup> . وقد عبد ملوك الأسرة التاسعة عشرة أيضا إلهي الحرب ، فترى الحى الشرقي

(١) Philae «2804»

(٢) Med. Habou (Rougé, Inscr. 117)

(٣) AE. Z. (1880), 94

(٤) Davies, Tomb of Thutmosis IV pl 10

(٥) Pap. mag. Harris: 3,8.

(٦) Litt., P. 218 ويصحح طبقا لباردندر - دراسات لجرينث صفحة ٧٤ .

(٧) وكان هذا L. D. Texte I, 16 et Ranke: Studies for Griffith P. 416

للعبد الواقع في الحى الفيثيق من المدينة قائما في زمن هيروdot.

من العاصمة الجديدة في عهد رمسيس الثاني مكرّسا لعشترت ، بينما كان الحيّ الغربي مكرّسا للآلهة المصرية بوتو . ولم تكن خيل الملك تسمى باسم عنات وحدها . بل إن ابنته كذلك كانت تحمل الاسم السامى « بنت عنات » أى ابنة عنات . وهناك آلهة أجنبية أخرى لبست لها أية صلة بعشترت وقد عبدت كذلك في منف وهى الإلهة السورية عشتار ، وهى ترى مرة مع الإلهة كدش تعطيان الصحة لواحد من خدم الكاهن الأعظم لبتاح . ومرة أخرى تتعرف عليها بطريقة أدق كإحدى الإلهات التى دعيت لتسدى معونة ، فلقد كان بواب معبد بتاح مشوّه الساق كما تبين لنا صورته فى اللوحة وكان يعتمد على معونة هذه الآلهة ، خاصة لأنه هو وزوجه من أصل سورى . وإذنه لمن الغريب كذلك أن تعرف تحت أى ظروف دخلت الإلهة عشتار إلى مصر . . . يلوح أنه حين مرض أمنوفيس الثالث مرضه الأخير ، سأل صهره توشراتا ملك ميتانى أن يعيره تمثال عشتار من نينوى لأنه سبق لها أن مارست قوتها فى مصر من قبل فى مناسبة مماثلة . وقد أجابه توشراتا إلى سؤاله وبعث بالإلهة التى كانت ما تزال تحتفظ بذكرى التقديس الذى حظيت به فى مصر والتى كانت تجبّ البلاد كذلك . وطلب توشراتا إلى أمنوفيس أن يجدّد تمجيد الإلهة حتى تمنحهما معا الحماية والعمر الطويل . كما طلب إليه أن يردها بعد ذلك بقلب سمح ، وأضاف قائلا : « عشتار إلهتى وليست إلهة أئحى » ومن الواضح أن توشراتا كان يخشى أن يحتفظ بمصر بصورتها العجائبية ١ .

وإذا كانت عشتار مستعارة بالتأكيد من إقليم الفرات فإننا نستطيع كذلك أن نقرر أن الإلهة « نكر » أو « نكل » - التى تعتبر فى أحد النصوص السحرية كزوجة لآلهة الأعظم - ليست سوى آلهة بابل المسماة « نتجال زوجة الإله القمري « سن » ٢ . وهكذا نرى الشعب يبحث عن نعيمه تارة عن طريق آلهة الشعوب الأجنبية ، وطورا عن طريق مخلوقات جديدة يلصق هو بها صفات إلهية ، وذلك بعد أن أصبح الآلهة القدامى غير قريبين منه ، وليس بغريب فى هذا البحث أن يعود الشعب إلى

Ranke : Studies for Griffith, P. 412 ss (١)

Gardiner AE. Z. 43, 97 (٢)

ما اعتاد الركون إليه منذ أمد طويل وهو تقديس الحيوان . وفي الواقع : إن مظهر هذه العبادة لم يكن قد اختلف تماما ، بل إن الناس — كما كانت الحال قديما — مازالوا يقومون بتربية الثيران المقدسة أبيض ومينيفيس في ممفيس وهليوبوليس ولم يبرح ذاكرتهم أبدا كبش منديس ولا الصقر حوريس . ورغم هذا فإن هذه الحيوانات لم تكن سوى توابع من مستلزمات الديانة لها قيمتها . وكل من كان يقدم أناسيد الثناء لبتاح وحوراختي لم يكن يفكر البتة في الثيران المقدسة أبيض ومينيفيس أكثر من أنها موجودة — على سبيل العادة المتوارثة — في معابدها ، ولكن مظاهرا اتجاه الشعب ترداد وتميل نحو الرغبة في العودة إلى تقديس الحيوانات ، وهي تلك الكائنات التي تظهر فيها الألوهية حية . . . أليست هذه الحيوانات أقرب إلى الرجل الساذج من الصور الإلهية بالمعبد ، تلك الصور التي لاتسمح له الفرصة ليرأها ؟ ولكننا مازلنا بعيدين عن ذلك العصر الذي يعتبر فيه كل قط وكل أفعى سامة مخلوقا إلهيا وإن كان الطريق معبدا لمثل هذه الحماقة .

وهناك لوحة ترجع إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة كرسها خادم أحد المعابد لتخليد تعبده لمينفس<sup>٢</sup> . وإننا نرى عظم احترام هذا الحيوان المقدس بفضل وشاية ترجع إلى عهد رمسيس الرابع ، فقد كان من بين ذنوب أحد المتهمين بيعه ثور مينيفيس صغيرا عند ما وضعته بقرته<sup>٣</sup> . كما وجدت لوحات كرسن لكل أنواع الحيوانات التي يعبدها الإنسان رغم أنها لاتتصل بالدين الرسمي للمعابد ، ورغم أن علاقتها بالألهة الأصيلة تظل "خافية عنا .

وإننا لنذكر أيضا أن كبشا كان يمكن أن يكرس لأمون ما دامت إحدى أشكال هذا الإله كانت برأس كبش . ولكن ما معنى وجود أوزة خلف أمون ؟ إننا لو وجدنا سببا قويا لمثل هذه الغرابة فقد نستطيع التفكير في المزعوق الأعظم الذي

(١) إذا كان قد بنى في تل الممارنة في الفترة الأولى على الأقل من الثورة بتخطيط قبور الثور مينيفيس فإن في هذا ما يدل فقط على الرغبة في أن تكون مدينة الشمس الجديدة مشابهة في مظاهرها للمدينة القديمة .

Berlin, 14200 (٢)

Spiegelberg ; AE. Z. 29, 82 (٣)





٦١ - أمون رع مع أوزة  
(برلين ٧٢٩٥)



٦٢ آلهة تطعم الموتى من شجرتها  
(عن برلين ٧٢٩١)

كان يرفرف على الهاوية الذكناء عند خلق العالم ،  
ولكن الواقع أن كل تأويل يظلّ عبثاً أمام التصوير  
الممثل على لوحة أخرى للقط الجحيميل أو السنونو  
اللطيف الذي يظل هناك كذلك . . . إلى الأبد . . .  
والذي يتقدمون له بالدعاء ١ .

ثم ما معنى تلك السمكات السبع التي نراها إلى  
جانب إله الشمس والتي ترى في معبد صغير خاص  
بها ؟ ٢ . ولقد كان هذا التيار قويا إلى حد أن الديانة  
الرسومية لم تكن تستطيع هي الأخرى أن تمنع الاهتمام به .  
ولذا فإن الأمير « نبع ام واست » ابن رعسيس الثاني وكاهن منف الأكبر أمر

ببناء مقبرة عامة لهجول أبيس . ولقد أمعنوا كثيرا  
في ذلك الوقت في تكريم الأبقار الميتة حيث كانت  
توضع بجانبها تماثيل جزئية ( فصل ١٥ ) مهمتها  
تخفيف العمل عنها في العالم الآخر ٣ ، وقد قام أمير  
يدعى تحوتمس في الأسرة الثامنة عشرة بدفن قط  
مقدس على طريقة دفن الإنسان ، فصنع له تابوتا  
كبيرا من الحجر وفي أطرافه مثلثا كل من إيزيس  
ونفتيس وهما تنوحان . . . أما هو ( أى القط )  
المبجل إلى جوار أوزوريس فيجلس كما يجلس الرجل  
الميت أمام مائدة طعامه مثلت فوقها أوزة مشوية ٤ .  
وهناك أثر آخر من أقدم العصور استمرّ خلال

عهد الدولة الحديثة وهو عبادة أشجار معينة . وقد رأينا فيها سبق خطايا من طيبة

Turin, 134, Sitz. Ber. Berl. akad. (1911) 1096 (١)

Berlin no 818 (٢)

Berlin Nos 398, 399 برأس أبيس (٣)

Borchardt AE. Z., 44, 97 (٤)

أن أهل ذلك الإقليم كانوا يقدمون لها أدعيتهم ، وعلاوة على ذلك فإن عبادة شجرة الجميز لم تبطل أبداً في منف ، وهى الجميزة الكائنة فى جنوب معبد بتاح . وقد كانت الإلهة حاتحور — طبقاً لعقيدة قديمة — تسكن هذه الشجرة ، وبما أنها كانت إلهة الحب كذلك فقد كان يعطى للنبات أسماء مثل « إنوحى مملوكة الجميزة »<sup>١</sup> . ويطن كذلك أن إلهة أخرى كانت تستقر على بعض الأشجار الأخرى على حدود الصحراء وهى نوت وحاتحور وكانوا يأملون أن تعطى هذه الأشجار للموتى المدفونين . هناك الماء والطعام . وقد عرف الدين الرسمى للإمبراطورية الحديثة كذلك — كما سنرى فيما يلى — طبيعة إلهية فى بعض أشجار معينة فى المعبد .

حين يعتقد المرء أن المعبودات تشارك فى تقرير مصيره وتوجهه فى أعماله . نراه يعقد العزم على كشف ما قرّره بصدده وما تنصحه بعمله . . .

ولقد كان الأمر كذلك فى مصر دائماً ولكننا لانلاق أمثال هذه القرارات الإلهية إلا منذ الإمبراطورية الحديثة . فحين أراد تحوتمس الأول تثبيت ورائته العرش لابنته حتشبسوت رغم كل التقاليد ، نرى أمون ينطق بأمر يتفق ورغبات الملك . وحين أرادت حتشبسوت نفسها إرسال رحلة إلى بلاد البخور توسلت أمام سيد الآلهة وسمع أمر من المعبد الكبير ، بل نصيحة من الإله نفسه هى : ابجئى لأعن الطرق التى تؤدى إلى بونت وافتحى المسالك التى توصل إلى جبال المر<sup>٢</sup> ، وحين يقود تحوتمس الثالث وأخلافه جيوشهم فى آسيا فليس يتم ذلك إلا لأن الإله أمون أبوهم قد أعد لهم هناك انتصارات . وإذا كان أمون كما رأينا قد ساعد الأميرة حتشبسوت على ارتقاء العرش ، فإنه لم يختَر للملك شقيقها الذى كان قد ثبته على العرش من قبل وهو الذى قدر له أن يخلعها بالتالى . . . ولقد نشأ الشاب الصغير فى المعبد — وربما كان ذلك لأن أباه أراد أن يجعل منه يوماً ما كبيراً للكهنة — وقبل أن يصبح كاهناً ساهم فى حفلة قدم الملك خلالها قرباناً ضخماً . . . ولم يستقر الإله فى مكانه أمام المذبح ، بل تقدم — لعجب الجميع — نحو الصلاة الكبرى كأنما لا هو

(١) تدل الطريقة العامة فى كتابة هذه الأسماء على أنها إنما ترجع إلى لغة الشعب .

Urks., IV, 342 (٢)

يبحث عن شخص ما . . . ثم توقف أمام الأمير الصغير الذى كان بين الكهنة من غير شك فارتقى الأمير على الأرض أمامه . وقاده الإله إلى مكان المعبد حيث يقف الملك عادة ، ثم فتح قدس الأقداس ووضع له - كما تذكر بقية القصة - منذ هذه اللحظة التاج على رأسه وأعطاه لقبه الملكى ١ .

وحين اعتلى رعمسيس الثالث العرش فيما بعد أعلن الإله أنه سيحكم مائتى عام ، وقد أخذ هذا الإقرار حرفيا على الإله لابنه ، وعند ما مات الملك تذكروا ذلك ، فالتمسوا من الإله أن ينى بالوعد لخليفته على الأقل ٢ .

وإذا كان الإله يظهر إرادته للملك فى هذه الحالة ، فإن مثل ذلك يمكن أن يحدث لعامة الناس وفى عهد رعمسيس الثانى حدث أن كبيرا للمدجائين ( أى قائدا للبوليس النوبى ) شارك فى موكب لتعجيد إيزيس . وقد أشارت له صورتها المقدسة من أعلى قاربها ، وكان معنى ذلك أنه سيقى ، وقد حدث بالفعل فيما بعد أن أصبح ضابطا كبيرا وسفيرا للملك كما تقص ذلك علينا إحدى اللوحات ٣ . وكان يحدث أيضا أن يستقى الإله حتى لو كانت هناك منازعات خاصة بملكية بعض الأشياء ، فقد حدث مثلا أن سرق من مقبرة فى طيبة ملابس النقاش « كاهن » ولم يعرف السارق . فتوجه المسروق منه إلى الملك المقدس أمينوفيس مولاة: واتمس منه أن يقدم له العون اليوم . وبينما هم يقومون بنقل صورة الإله أمام منزل أمون نحت أشارت الصورة برأسها معلنة أن ابنة ذلك الرجل هى التى لديها الملابس ٤ . وحادث آخر كذلك . . . تشاجر خع ام ماست ، وهو أحد عمال طيبه مع زميل له بخصوص امتلاك بيت أبيه ، فرفع الأمر إلى الملك المقدس وقال : « أقبل إلى معاونتى أنت أيتها الشمس العظيمة » ، وحين سئل الملك إن كان البيت يعطى إلى خع ام ماست ؟ نحنى بشدة أمام العالمين وأمام كل الذين كانوا يحملون التمثال ٥ .

Urk., IV, 156 ss. et texte allemand, P. 75. cf. Breasted, (١)  
 Records, Tome II 138 et Lefebvre, Grands Prêtres, P. 74 ss.  
 Petrie, koptos, pl. 19 (٢) Harris I, 23, 2 (٣)  
 Ostracon, Gardinér No 4 (٤)  
 Ostracon Petrie No 21. cf. aussi Erman : Sitz. Ber Berl. akad (٥)  
 1910, p. 344

وهناك نص يحوى جدالاً حدث بين بعض المثقفين العلماء يثبت لنا أنه لم يكن الشعب فقط الذى يصدق مثل هذه القرارات الإلهية . وفى هذا المكتوب يدافع الكاتب عن نفسه ضد غريمه الذى يشك فى مهارته ككاتب ويقترح أخيراً أن توضع أمام أونوريس خطابات غريمه ليقرر من هو صاحب الحق<sup>١</sup> .  
 وسنرى فى الفصل الثامن عشر كيف أن عادة سؤال الإله قد ازدادت رسوخاً أكثر فأكثر حتى أصبحت من عوامل الحياة الهامة .

## الفصل الحادى عشر

### الأخلاق

حين يعيش الناس فى مجتمع دائم تنشأ فيما بينهم على مرّ العصور أنواع شتى من التقاليد من شأنها أن تحدّ من أفعال الأشخاص إذا كان من أژها إنداء المجتمع . إن الصلات الاجتماعية تفرض على الشخص ألا يقتل أو يسرق أو يقترب أى عمل من هذا القبيل . ولعل ما نفضه هذه الأخلاق على الفرد من واجبات كأثر لازدياد الثقافة قد يتجاوز ما يطلب إلى الإنسان .

وليست للأخلاق صلة بالدين فى أساسها<sup>١</sup> ولكنه من الواضح أنها موضوعة فى صورة من الصور تحت حمايته ، ولقد كان الظلم فى كل العصور فى مصر مردوفاً فى نظر الآلهة . ونحن نقرأ فى متون الأهرام أن الملاح السباوى لا يسمح بالعبور لغير الصالحين العادلين<sup>٢</sup> . ويعتبر إله الشمس بصفة خاصة ممثلاً للعدالة وكان الصديق أو العدالة - كلمة واحدة تعنى أحد المعنيين - تمثل كأنما هى ابنة له . أليس هو القائل بنفسه للإنسان : قل الصديق وافعل ما يقتضيه فهو العظيم القوى<sup>٣</sup> . . . هذه الحقيقة وهذا القانون يتضمنان المثل الأعلى لدى المصريين . وهذا هو ما يكون دولة متحضرة ؛ والواقع مهما أوغلنا فى القدم فإننا ندرک أن المصريين عاشوا كشعب كان النظام يسيطر على علاقاته الاجتماعية .

وحين كان يضطرب هذا النظام كانوا يعتبرون هذا الأمر جرمًا ، وربما كانت الرغبة فى الكفاح أو البطولة تعوزاتهم ، بل قد يندر أن تجد فى مختلف النقوش التى وصلتنا من كل العصور من يفاخر بعمل حربي ، وليس الأمر مصادفة أن تكون

Ed. meyer 1<sup>2</sup>, 71 (١)

Pyr. 383 ss. (٢)

Paysan (litt., P. 173) (٣)

الأسطورة المحببة لدى المصريين ذات طابع سلمى . فلقد كان أوزوريس كما رأينا في الفصل الخامس أميرا للسلام . . . لها لأعداء له ، وضع حدا للتناحر ، وإنه وإن كان يعظم كمحارب وقاتح ، فإنما مرجع ذلك إلى عادة تصور الملك الأرضى على هذه الصورة . كما أنه يجدر بالملاحظة أن أوزوريس - تبعاً لما جاء بالنسخة الأولى من الأسطورة - لم يحارب الشعوب الأجنبية إلا عن طريق الإقناع . وحين يطالب ابنه حوريس قاتله بدمه فإن الأمر لايسير إلا عن طريق العدالة . . . وأما سكان الوادى الوادعين فلم يشعروا بغير الاشتمزاز نحو الحروب والمعارك التى أبدعت في تصويرها خيالات بعض الشعوب الأخرى - ولعلنا لم ننس الإلياذة - هذا . . . رغم أننا نجد الملوك يسرون بأمثال التعبيرات . . . وطفى الشعوب الأجنبية بقدمه . . . وسع الحدود .

والرأى القائل بأن حظّ الميت متوقف على طريقة سلوكه خلال حياته القديمة . . . رأى موغل في القدم ، والآلهة التى في مقدورها أن تمتد يد المساعدة للميت لاتمنح عونها لكل شخص . وحين يتقدم المعتقد الأوزيرى على سائر المعتقدات ، فإنه يطغى عليها في نهاية الأمر . ومملكة هذا الإله المبرأ من كل عيب لايدخلها إلا المطهرون ، وعلى كل واحد أن يثبت أمام الاثنين والأربعين قاضيا للموتى أنه لم يرتكب إثماً قط . وسرى في الفصل الرابع عشر بالتفصيل ما كانوا يقصدونه بالجرائم في هذه الاعترافات . ففي مقدمتها ما هو محرّم في كل مجتمع إنسانى وهو القتل والتحريض عليه والسرقه والغش والتزوير والفسق والزنا ، ثم يضاف إلى ذلك واجبات أسمى ، فعلى الإنسان ألا يكذب ، وألا يغتاب ، وألا يتجسس من وراء الأبواب وألا يأكل قلبه ، أى لا يهلك نفسه فيما لايجدى من أسى . وألا يؤخذ اللبن من فم الرضع حتى لايجوعوا ولا يبكوا ، وهناك أمور أخرى تمسّ الظرف الخاصة بكيان المصريين ، فيجب ألا يعوق الماء الجارى أثناء الفيضان وألا يعتدى على حيوانات أو أسماك أو طيور الآلهة ، وألا يسرق الأطعمة من المعابد أو المقابر .

ويظهر لنا بطريقة أوضح ما كان يعتبر في مصر فضيلة ، وقد سجلته نقوش المقابر

(١) يتجلى في اللغة القبطية أن هذا المعنى هو المعنى الصحيح .

القديمة وآداب الدولة الوسطى . فالمرء يفخر قبل كل شيء بعمل الخير ، يعطى الخبز للجائع والماء للصادى والملبس للعارى <sup>١</sup> ، ومن يعجز عن عبور النهر يساعد على عبوره فى القارب الشخصى <sup>٢</sup> ، ويهدى إلى السبيل السوى من ضل <sup>٣</sup> . الرجل الطيب هو ابن للمسنين <sup>٤</sup> وأخ للمطلق ، وزوج للأرملة ، وأب لليتيم . . . هو كساء لمن يقرصه الصقيع ، وملجأ من الريح <sup>٥</sup> . هو للمريض مريض أو ممرض .

وفيفخر أحد العظماء زيادة على ذلك بأنه لم يغبن الأرملة أبدا ، ولم يستغل ابنة رجل من العوام . لم يسبب الضيق لمزارع أو راع . وفى أيام الفاقة ساعد الشعب ولم يفرق بين كبير وصغير <sup>٦</sup> ، وقد حاول بصفته قاضيا أن يجعل المتخاصمين يخرجان مسرورين من المحكمة <sup>٧</sup> ، وقد عنى أيضا بأن يحفظ للابن مال أبيه وممتلكاته حين يكون فى الأمر خلاف <sup>٨</sup> ، لأن واجب الرجل الشريف أن يحفظ للابن وظيفة أبيه . ويذكر الحكيم بتاح حوتب وزير الملك أسسى ( حوالى ٢٥٠٠ ق م ) كيف يجب على الرجل الشريف والموظف الصالح أن يعيش . من الخير أن يتزوج وأن يكون أسرة . ولكن عليه أن يختار من النساء فى منازل الآخرين . لأن ألف رجل يسعون إلى الخراب بسببهن . يجب أن يكون محبوبا من الناس جميعا ولا سيما الذين يطلبون العون . ويجب أن يشجعهم بإشارة من رأسه وأن يصغى إلى شكواهم . وعليه أن يكون دائما متواضعا وكتوما ، وأن يجتنب ذكر الألفاظ النابية ، وألا يتكبر بسبب علمه ، وألا يحتقر الوضيع إذا مارفعه الملك . . . إن البخل عيب قبيح وشهوة قبيحة تدعو إلى اضطراب العلاقات الإنسانية جميعا .

cf. Urk. I, 122; Caire 20505 (١)

Urk. I, 122; Caire 20505 (٢)

Sinouhé, 96 (٣)

Paysan (litt. p. 126) et Hatnoub (٤)

Hanovre, Kestner-museum, no, II (٥)

Inscr. d'Ameni (Beni. Hassan) (٦)

Hatnoub, p. 29 (٧)

Urk., I, 123, 133 (٨)

(٩) إننا نجمل صفة إسناد هذه النصوص القديمة الأدبية لأشخاص معينين ، على أية حال فإن هذا

الكتاب أقدم من الدولة الوسطى . وكل مايل مأخوذ عن S. 87-90 Literatur,

وتبدو هذه المبادئ على شيء من القناعة ويظهر هذا الطابع أكثر وضوحا حين يؤكد الحكيم كم هي مفيدة تعاليمه للناس . فعلى المرء أن يحبّ زوجته ، ويجب أن يعمل لها كل خير ، وألا يدخر وسعا في ذلك ، فهي حقل طيب يحمل الثمار . . . يجب أن تكون خادما مخلصا لرئيسك حتى يدوم بيتك وكل أموالك وسيكون مرتبك معقولا . كن كريما نحو من يثق فيك فمن يدري ؟ ربما يأتي الوقت الذي يساعدونك فيه .

أما تعاليم أحد الملوك الذين عاشوا قبل الدولة الوسطى والموجه إلى ابنه « مرى كارح »<sup>١</sup> فن طراز مختلف ، ويذكر فيها أيضا أنه يجب مواسة الباكي وعدم اضطهاد الأرملة أو حرمان أحد من ماله . ويجب ألا يباهى الملك بأصله ، وعليه قبل كل شيء أن يجتنب الغضب في الحديث واندفاع العاطفة . وهذه على كل حال فكرة تقابلها كثيرا في الدولة الوسطى ، وهي بكل تأكيد لإحدى الأفكار الأساسية للأخلاق في هذه الفترة . فقد قيل عن أمير ما ، أنه كان يتغلب على هواه ، وكان قلبه هادئا خاليا من كل طيش<sup>٢</sup> .

ويعلم الملك الشيخ ابنه أن يتحدث في لطف لأن الكلام أقوى من العراك . وينبهه فيما يختصّ بالتعبد للآله ، أن الإله يفضل تقوى العبد الصالح عن ثور يقدمه شرير على مذبحه ولكن على الرجل كذلك أن يفعل ما يفيد نفسه ، أن يقوم بعمل الكاهن ويقدم القرابين ، فإن الإله يعرف من يفعل شيئا من أجله .

وقد وصلنا من الدولة الحديثة كتاب يُعتبر من أمتع ما خلفه لنا الأدب المصري ، وقد كتبه رجل يدعى « أتي »<sup>٣</sup> ولنكتف بتقديم بعض مقتطفات منه :

كن كريما ولا تأكل خبزا حين يكون هناك آخر يتصور جوعا<sup>٤</sup> . احترس من المرأة الأجنبية الغير معروفة في بلدنا . لا تبادلها النظرات ولا تظهر أنك تعرفها فإن هذه

(١) إن مايلي مأخوذة عن Litt. p. 109-119

(٢) Hatnoub, p. 61; pareillement p. 25; Caire 20288, moyen Empire

(٣) Ani , Litt. p. 299



خطيئة عظمى حتى إذا لم تتحدث هي بذلك <sup>١</sup> . من الخير أن يبكر في الزواج وأن يكون للشخص أطفال كثيرون <sup>٢</sup> . عامل زوجتك برعاية إن كنت تعرف عنها أنها ممتازة ولا تقل لها « أين هذا ؟ هاته » إن كانت قد وضعت في مكانه الصحيح <sup>٣</sup> . أعد لأملك كل ما فعلته من أجلك . أعطها المزيد من الحبز واحملها كما حملتك . إنها حملتك ثقلا وحين ولدت بعد تمام شهورك حملتك على عنقها وظل ثديها في فمك ثلاث سنوات ولم تكن تشمئز من قاذوراتك . وأرسلتك إلى المدرسة كي تتعلم الكتابة وفي كل يوم كانت تنتظرك بالحبز والجمعة من بيتها <sup>٤</sup> .

كن وقورا حين تناول طعامك . واعتدل في شرب الجمعة وإلا فإنك سوف لا تعرف ما تقول ، وإن سقطت ستظل ملقى على الأرض كطفل صغير . رفاقك يتركونك ملقى ويقولون فليهلك هذا العنق <sup>٥</sup> . تخير جيدا معاشريك ولا تؤاخ خادم رجل آخر <sup>٦</sup> . ولتغض النظر عما يجانب الصواب في بيت أجنبي ، فإذا رأته عينك اسكت ولا تقله لغريب <sup>٧</sup> واحترس من أن تكشف أسرارها وإن قالها رجل في بيتك فتظاهر بالصمم <sup>٨</sup> .

لا تكثر الكلام وكن حذرا حين تتكلم لأن اللسان يسبب للناس النكبات <sup>٩</sup> ، الفضيلة الرئيسية للمرء هي الحشمة والحياء . لا تبق جالسا حين يكون شخص أكبر منك سنا أو مركزا واقفا <sup>١٠</sup> . لا تدخل منزلا أجنبيا ما لم تكن مدعوا <sup>١١</sup> لا تجاوب

Idem. Litt. p. 296 (١)

Idem. Litt. p. 295 (٢)

Idem. Litt. p. 300 (٣)

Idem. Litt. p. 299 (٤)

Idem. Litt. p. 296 (٥)

Ani. Litt. p. 297 (٦)

Idem. Litt. p. 295 (٧)

Idem. Litt. p. 295 (٨)

Idem. Litt. p. 298 (٩)

Idem. Litt. p. 298 (١٠)

Idem. Litt. p. 300 (١١)

رئيسا غاضبا ، بل حاول تهديته <sup>١</sup> - وبالمثل - لاندخل المحكمة أو تخرج منها حتى لا ينتن اسمك <sup>٢</sup> . لاتضع ثقتك في الغنى ولا تعتمد على ميراث ، ولا تقل : إن والد أُمي يملك بيتا . . . لأنه عند ما يأتي وقت القسمة مع إخوتك فقد لاتسلم أكثر من مخزن <sup>٣</sup> ويطلب هذا الحكيم في الحديث عما يجب نحو الإله :

احتفل بعيد لإلهك . . . إن الإله يسخط على من يهمل هذا الواجب <sup>٤</sup> . لاتختر المكان الأوّل في عيده لتحاول أن تحمله ، ولا تتساءل أين تمثاله .

والطريقة التي يندد بها « أنى » التظاهر بالتقوى ترك أثرها فينا بصفة خاصة :

إن مسكن الإله يمقت الصخب . . . صلّ من قلب مبتهل تظلّ فيه كل الكلمات مخفية . . . فهو يصنع ما أنت في حاجة إليه ويستمع إلى كلامك ويتقبل قربانك <sup>٥</sup> .

والدولة الحديثة - من غير شك - عصر أصبحت فيه العاطفة أكثر رقة

وعلينا ألا ندهش حين نصادف في نصوص أخرى <sup>٦</sup> ذكر الإله الذي يسكن

في الإنسان <sup>٧</sup> . إنها سعادة للمرء أن يسرّ منه . هذا الإله في الإنسان هو - كما لوحظ

في موضع آخر <sup>٨</sup> - قلبه . ويكفي أن نرى في ذلك أيضا « كا » ( التي سنتحدث

عنها في الفصل الرابع عشر ) ، وهذه العقيدة تتصل بما نسميه نحن بالضمير .

وبعد ذلك بجوالى ثلاثة أو أربعة قرون أعطى ناظر القمح والأمالك « أمون أم

أوبي » ابنه ثلاثين حكمة للسلوك الطيب في الحياة . وهو كتاب يفيدنا بصفة خاصة

لأن فقرات معينة منه ذكرت في أمثال سليمان ، ومنها إلى الكتاب المقدس <sup>٩</sup> .

Idem. Litt. p. 300 (١)

Idem. Litt. p. 296 (٢)

Idem Litt. p. 298 (٣)

Idem Litt. p. 295 (٤)

Idem, Litt. p. 296 (٥)

Urk., IV, 117, 12 = 149, 4 (٦)

(٧) ورد كذلك في نص قديم أن الإله يقطن في الإنسان . قارن Lacau, T. R. XLIV S. 91

Vienna, Cercueil XX (Ptol.) = Wreczinski P. 160 (٨)

Erman, Sitz. Ber. Berl. akad., (1924), p. 86 ss. (٩)

والفكرة التي نكتسبها من قراءة الكتاب فيما يختصّ بالعلاقة بين الإنسان والإله شديدة الشبه بفكرتنا اليوم. ففيه يقال إن الإنسان من تراب وقش. وإن الإله هو الذي صنعه<sup>١</sup>، وإنه لا يوجد كمال بالنسبة للإله<sup>٢</sup>... لانقل « ليست لي خطيئة » إن الخطيئة من شأن الإله وهو الذي يضع عليها خاتمه<sup>٣</sup>. في كل مشاجرة ومشادة مع أعدائك لاتضع كل فتتك في نفسك، بل اترك نفسك بين ذراعي للإله فصمتك (أى هدوءك) سيسقط أعدائك<sup>٤</sup>. وكذلك نقرأ في مكان آخر: لاتشترك في أية مشادة مع شخص نائر. إن الإله يستطيع أن يبيحه على كلامه<sup>٥</sup>.

علاوة على ذلك، فإن الحكيم يهتم اهتماما بالغا - كما يليق بمهنته - بالأمانة والدةقة فالإيبس والقرد أي تحوت إله الكتاب - يسهران عليهما. وكذلك: لاتغمس قلمك (في الحجر) حتى تؤذى شخصا<sup>٦</sup> آخر. ولا تغش في المقاييس<sup>٧</sup> والأوزان<sup>٨</sup>، ولا ترتش<sup>٩</sup>. اقض بعدل لاتظلم الضعيف لصالح الغني<sup>١٠</sup>، ولا تطرد من كان ملبسه غير مناسب<sup>١١</sup>.

لاتعش في جباية الضرائب. ولاتكن قاسيا كذلك. إذا ما اكتشفت مبلغا كبيرا متأخرا على القائمة عند أحد الفقراء قسمه إلى ثلاثة أجزاء واحذف جزءين منهما ولا تبق إلا جزءا واحدا<sup>١٢</sup>.

إن جميع ما تفعله في غير عدالة لن يجلب لك بركة، إذ أن مكثلا واحدا يعطيه الإله خير من خمسة آلاف تكتسبها بغير حق<sup>١٣</sup>. إذا جاعك أحد بثروة على

Lange, Amenemope p. 121 (١)

Idem. p. 98 (٢) Idem. p. 98 (٢)

Erman. Sitz. Ber. Berl. Akad. (1924) p. 91; Amenemope p. 110 (٤)

Erman : Sitz. Ber. Berl. Akad. (1924) p. 91 (٥)

Lange : Amenemope. p. 85 (٦)

Idem. p. 88 (٨) Idem. p. 48 (٧)

Idem. p. 92 (٩)

Idem. p. 105 (١٠)

Idem. p. 105 (١١)

Idem. p. 80 (١٢)

Idem. p. 52 (١٣)

طريقة اللصوص فإنها لا تبقى معك ليلة واحدة . . . عند طلوع الصباح لن تكون في بيتك . . . ترى فقط المكان الذي كانت فيه وأما هي فليست موجودة . . . لقد فتحت الأرض فاما وابتلعها . . . إن العالم السفلي قد غمرها . . . إنها صنعت لنفسها حفرة ضخمة وانظمرت فيها . . . إنها صنعت لنفسها أجنحة وطارت إلى السماء . . . خير للمرء قلب راض من غنى مقرون بالهموم<sup>٢</sup> .

ولكى يكون المرء كاملا ، عليه أن يظهر دائما باحتشام ورقة وتواضع . فالشخص الثائر كالشجرة التي تنتهي بأن تصير وقودا . . . أما الوديع فهو كالشجرة التي تحمل ثمارا في الحديقة<sup>٣</sup> . لاتسع وراء صحة الثائر ولا تقترب منه لمبادلتة الحديث<sup>٤</sup> . عليك أن تتخى أمام الرئيس السريع الغضب حتى ولو أهانك فإنه سيصلح الأمر في اليوم التالي<sup>٥</sup> .

احذر الهموم لأن الإنسان لا يدري ما سوف يكون في الغد<sup>٦</sup> . لاتبذر الكلام القنيح<sup>٧</sup> . لاتبكن بخيلا لأن المال المغتصب ليس فيه متعة لك<sup>٨</sup> . لاتتخذ سفينة على النهر لتتسكب عن طريقها أجر عبوره ، أو لاتقبل ثمنا لذلك إلا من يمتلك شيئا ، وأما من ليس له فلا تتقاضاه شيئا<sup>٩</sup> ، وانقل في مركبك كل من يطلب العبور طالما كان فيها مكان<sup>١٠</sup> .

كن رحيما في كل شيء . فلا تهزأ بالأعمى ولا تسخر من القمى . لا تسبب ضررا لمقعد ، ولا تزدرد رجلا في يد الإله ، ولا تغضب عليه إن سقط<sup>١١</sup> .

Erman : Sitz Ber. Berl. Akad. (1924), p. 87 (١)

Idem p. 87 (٢)

Lange, Amenemope p. 42,43 (٣)

Erman : Sitz. Ber. Berl. Akad. (1924) p. 90 (٤)

Lange, Amenemope p. 128 (٥)

Idem p. 98 (٦)

Iedm p. 61 (٧)

Idem p. 73 (٨)

Idem p. 132 (٩)

Idem p. 132 (١٠)

Idem p. 121 (١١)

ويرجع كتاب « أمون أم أوبي » إلى حوالي النصف الأول من الألف سنة الأولى<sup>١</sup> ، ونحن نرى في هذا العصر فترة انحطاط . ولكن انحلال الدولة لايشمى دائماً مع انحطاط العقل . ولذا فإنه تصادفنا في نقوش العصر علائم إحساس أكثر رقة وتعقلا وسمواً . ولندكر فقرة واحدة تفوق كل تعليم أفي ، وأمون ام أوبي . يقول أحد المعاصرين : لقد خلقني نخوم ممتازا . إنه يوجه لسانى نحو الخير . إننى لم أدنس فى بياهانة من أهانتى . إننى استجلبت المحبة لنفسى وصار أعدائى أعوانا لى<sup>٢</sup> . وهكذا كان لزاما على كل ششص أن يقابل كل إهانة بالتسامح حتى يكتسب عدوة ويجعل منه صديقا .

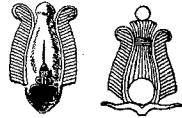
(١) بما يدل على أنه قديم على هذا النحو لوح فى متحف تورين نسخ عليه تلميذ من ذلك العهد بعض الفقرات .

## الفصل الثاني عشر

### العبادة في العصور القديمة

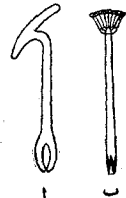
لسنا نستطيع أن نخوض في جميع دقائق العبادة والتعرف إلى نظام المعابد وتحديد الفروق بين أنواع الكهنة المختلفين وذلك بالنسبة إلى عددهم الذي لا يحصى . ولكننا سنلقى نظرة سريعة على ذلك كله حتى نستطيع أن نلقى ضوءا على مميزات هذه المظاهر الخارجية للديانة المصرية . ومن أراد التكلم عن هذه الديانة لا بد أن يفكر في ذلك العصر حين كانت الآلهة ترهب على عرش عظمتها في معابدها الضخمة حيث كانت تقام لها الحفلات الفخمة . ولكن العبادة على هذا الشكل حديثة نسبيا ، وإذا اردنا

أن نفهمها تفهما أقرب إلى الصواب فإنه يجب علينا الرجوع إلى أقدم العهود . . . إلى عهود لانذكراها حين كان المصريون لا يزالون شعبا بدائيا . . . حينذاك كانوا قد استيطعوا نحت التماثيل الخشنة ذات الأشكال الإنسانية أو الحيوانية والتي كانوا يميزونها بتيجان



٦٣ - تاجان

مختلفة . ولكن خيالم اكتفى بتيجان مكوّنة من حزم من القش وقرون الخراف والأبقار وريش النعام . وكانت الآلهة تحمل بمثابة الصولجان عصا كما يفعل البدو حتى يومنا هذا ؛ بل كانت الآلهة تكتفى بعود من الغاب . وكانت المعابد عبارة عن أكواخ ذات حوائط من الأعواد المحبوكة تبرز من سقفها عصي . وكان ينصب في الواجهة حاجز به ساريتان . وكانوا يستعملون حصيرة من القش كمدبح ، وكانوا يقيمون رواقات لمناسبة الأعياد .

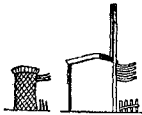


٦٤ - صولجانان للآلهة والآلهان

وإذا كان المصرى قد وصف معبده فيها بعد بأنه « قصر الإله » فإن هذه العبارة كانت تعنى يوماً ما معناها الحرفى . لأن الإله كان يتصور مثل الملك يعيش فى قصر له تيجان ويودى له أتباعه الضرائب - أى القرابين - وله كذلك خدم يعنون به ويطعمونه وهم الكهنة الذين يسمون من أجل ذلك بخدم الإله . ويتفق طقس العبادة اليومية مع هذه العقيدة كما أن ترتيب غرف المعبد يشبه تنظيم منزل أحد الأعيان .

وفى مبدأ الأمر لم يكن المعبد الواحد مكرّساً لغير إله واحد وهو سيده . ولكن - على مرّ الأجيال - ألحقت به آهة أخرى كان لها أتباع فى المدينة . ولهذا السبب اضطروا إلى تخصيص مكان ثانوى لهم فى المعبد . ولقد رأينا فى الفصل الرابع كيف أن بعض هؤلاء الآهة كانوا يعتبرون ضمن عائلة الإله الأكبر . وكان لهم نصيب من العطايا والأعياد ولو بقدر محدود .

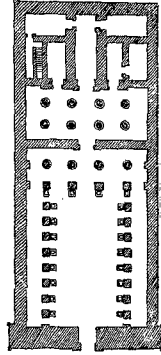
ولم تبق لنا بطبيعة الحال معابد من العهد العتيق ، بل نحن لانعرفها إلا عن طريق رسومات صغيرة وردت فى نقوش قديمة جداً . ولكن لم يبق إلا القليل جداً من الأبنية الكبرى التى ترجع إلى أوائل العصور التاريخية . وقد تناوخوا التعديل والترميم والتوسيع خلال العصور المختلفة حتى إنه لم يصلنا على العموم إلا بعض جدران من المعابد الأصلية . ومع ذلك فإن هذه البقايا النادرة من أكثر المعابد الكبرى قديماً تكفى لتقديم فكرة صحيحة تامة ؛ فلقد كان لها فى مجموعها نفس مظهر المباني الكبرى التى



حلت محلها بعد ذلك . وهذا المظهر الذى أعطته الأجيال القديمة للمعبد اتخذ كنموذج فى جميع العصور . وكانت تعتبر كبريات مقدس خلقته الآهة نفسها . فإن بتاح وسشات بنفسيهما كانا قد غرسا قديماً الأوتاد فى الأرض وشدّوا الحبال ٦٥ - معبد فى العهد العتيق لتحدد تصميم المعبد، وإننا إذا كنا سنحاول فهم بلى تصوير معبد من الدولة الحديثة ؛ فإنا فى نفس الوقت نكون قد أبرزنا معالم معبد يرجع إلى عصر أكثر قدماً .

ومن المعتاد أن نرى اليوم أنقاض المعابد المصرية الجميلة قائمة وسط الحقول والحدائق ، ونحن نتخيل أنها كانت كذلك فى العصور القديمة . والحقيقة أن المعابد

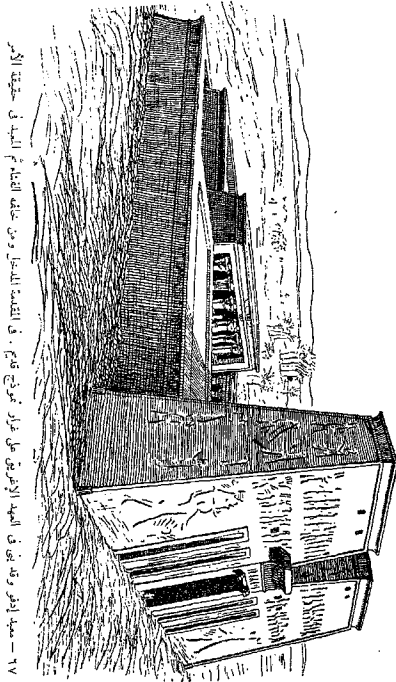
كانت تقوم في داخل المدن بين أكداس المنازل وبين الحارات القلدة الضيقة في مدينة من مدن الجنوب. ولإنفاذاً مما يقلقها من ضجيج صاحب كانت تحاط بسور عال من اللبن حتى تصبح في مكان هادئ نقي يتوسط عالماً صاحباً مليئاً بالقاذورات. وكان الطريق المؤدى إلى المعبد يمرّ في شوارع المدينة الضيقة ولكن شقت - على مرّ الزمن - طرق أوسع ساعدت على القيام بمواكب كبيرة. وقد رسم « طريق الإله » متسقاً ومستقيماً خلال الأحياء، ووضعت على جانبيه تماثيل كباش وأسود وحيوانات أخرى مقدسة كانت تقوم كحراس من الحجر كأنما تشرف على رعاية طريق الإله كله. وفي المكان الذي يلتقي فيه الطريق بسور المعبد يلوح الصرح المهيب وهو عبارة عن بوابة كبيرة بجانبها برجان عالين تمل حوائطهما ميلاً خفيفاً. وينبسط وراء هذه البوابة الضخمة بناء واسع مكشوف تحيطه أروقة ذات أعمدة، وهنا كانت تقام الطقوس التي كان يسمح لعدد كبير من سكان المدينة أن يشاركوا فيها. وخلف هذا الفناء كان هناك قاعة هي الصالة الكبرى سقفها محمول على أعمدة وكانت مكاناً مخصصاً لطقوس مختلفة. ثم يلي ذلك قدس الأقداس حيث يوجد تماثيل الإله. وهناك حجرات أخرى جانبية تحوى صوراً للآلهة الأقارب مثل الزوجة والابن.



٦٦ - تخطيط معبد رمسيس

الثالث في الكرنك

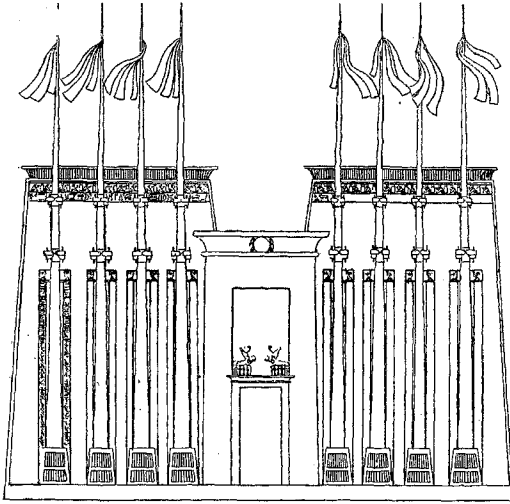




٦٧ - معبد إدفو وقد بنى في العهد الإغريقيين على غرار نموذج قديم . في القنطرة المدخل ومن خلفه الفناء ثم المعبد في حقيقة الأمر

هذه هي الأقسام الرئيسية للمعبد ، ومن الممكن أن يحوى ذلك قاعات أخرى ثانوية تستخدم لإيداع الأدوات المقدسة أو تخصص لبعض طقوس العبادة . ويجب ملاحظة أمر ذى دلالة خاصة ، وهو أن أقسام المعبد المختلفة ينخفض بالتدرج ارتفاعها وقوة الإضاءة فيها كلما توغلنا إلى الداخل . ففي الفناء يتألق ضوء الشمس

في قوة لاحتتمل، وأما القاعة فيدخلها ضوء أقل من طريق الباب وفتحات السقف،  
وأما قدس الأقداس فتعمه ظلمة حالكة .



٦٨ - المدخل بصوراه وأعلامه المتطايرة في الفضاء (من رسم مصرية)

وأما زخرفة المعبد في مجموعها فلا تتغير . وتمثل على الجدران الخارجية - ابتداء  
من الأسرة التاسعة عشرة على الأقل - الأعمال الرائعة للملك الذي يحكم البلاد . وأما  
في الداخل فجميع النقوش تتصل بالعبادة وتمثل ما يحدث يوميا في هذه القاعات . ولا بد  
أن هذه النقوش ترجع إلى عهد قديم جدا ، ودليلنا على ذلك أن العلامات المبروزة  
المختلفة تستخدم بطريقة رمزية . فعند ما يسرع الملك نحو الإله . يمسك بيده بالعلامة  
«هب» أي «يسرع الخطى» في يده . وحين يقدم للإله علامة «ماعت» أي «الحقيقة»  
و «نب» أي «كل» فإن معنى هذا أنه يقدم له «كل ما هو صادق وحقيقي» .

وأما اختيار زينة المعبد فليس بغير هدف كذلك . فأسفل الجدران يشير إلى الأرض والنيل ، بينما نرى السقف يمثل السماء تنتثر عليها النجوم وتخلق فيه عقبان طائرة .



وأمام الصرح تقوم المسلتان وهما عمودان من الحجر كالعمودين اللذين اعتدنا أن نراها أمام باب أبنية أخرى . وربما كانا يحملان في الأصل اسم صاحب الدار . وترتفع ملاصقة لجدران الصرح صواري ترفرف على قممها أعلام مختلفة الألوان . وتقوم تماثيل ضخمة للملك أمام جدارى الصرح أو في داخل الفناء ، الغرض منها حراسة المعبد الذى قام بينائه . وتنتشر في أجزاء المعبد المختلفة تماثيل أخرى للملك أصغر حجما ثمثله يصلى أو يقدم القربان للإله . ويجرى المعبد كذلك تماثيل لآلهة أخرى كما لو كانت هى الأخرى تريد خلعة الإله المحلى العظيم . فترى إلهي النيل يقدمان له محصولات نهريهما ، أو تماثيلين لسخمت ذات رأس الأسد يبعدان الأعداء .

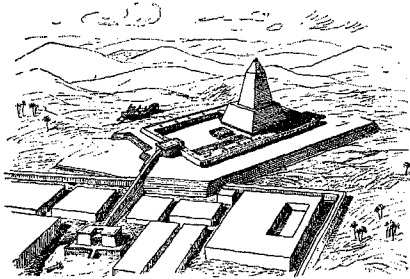
وقد كان المذبح الأكبر - وهو على ارتفاع بسيط تؤدى إليه درجات من الخلف <sup>١</sup> - يقوم عادة في وسط الفناء ذى البوابات . وكانت توجد كذلك في قاعات المعبد الأخرى موائد توضع عليها الأطعمة والأشربة . وأما في قدس الأقداس فقد كان يوضع سراج أمام الإله <sup>٢</sup> . وهذا الذى عرضناه إن هو إلا نمط عادى للمعبد المصرى ، الذى

لا يزال من الممكن في الوقت الحاضر التعرف عليه في كل مكان تقريبا حتى ولو اضطرب تخطيطه في بعض الأحيان بسبب إضافات جديدة أو بسبب خاصية الأرض التى يقوم عليها أو بسبب ظروف أخرى L.D.III, 118 غير عادية . على أن هناك مجموعة صغيرة من المعابد تختلف تماما عن هذا الطراز ، وهى المعابد الشمسية للأسرة الخامسة ، وهى التى كانت - كما نظن بحق - محاكاة

(١) مازال موجودا بالدبر البحرى .

(٢) Urk., IV, 772, Scharff, A.E. Z, 59, 32 يذكر سراجا كتقدمة إلى سوبك في معبد

من معابد الدولة الوسطى .



٧٠ - معبد الشمس في أيوجراب

لمعبد الشمس المشهور بهليوبوليس الذي أنقرض . وهذه المعابد التي تحمل أسماء مثل « مقعد رع المفضل » عبارة عن فناء واسع مكشوف تقوم خلفه مسلة عظيمة ترتفع فوق قاعدة هرمية الشكل . ولقد كان هذا الجانب الرئيسي من المعبد يعتبر من غير شك مركز الإله . وربما كان محاكاة للحجر المشهور Benben في هليوبوليس الذي كان شكله مماثلاً له . وكان يقوم أمام المسلة مذبح كبير للإله ، وفي غير هذه الحالة كانت تشغل الفناء قاعات لأغراض أكثر مادية . ولم تكن زخرفة المعبد تختلف كثيراً عما عهدناه . ولكن هناك منظر غير متوقع في مرّ جانبي يؤدي إلى قاعدة المسلة: يمثل فصول السنة تحضر القرابين للملك من كل ما تنتجه الأرض والماء معا ، نمو النباتات ، وتولّد الحيوانات ، وأعمال الإنسان . . . وربما كان لهذه الصور اللطيفة مكانها في المعبد ، إذ أن إله الشمس هو الذي يحيى كل شيء ويدفع به إلى التقدم .

وإذا كانت معابد الشمس هذه قد استغنت عن تماثيل للإله فرجع ذلك إلى اعتقاد الناس أن المسلة كانت هي مسكن الإله ، فحق عليهم عبادتها ، وعلى كل حال نحن نعتبر هذا أمراً شاذاً ، إذ أن جميع المعابد المصرية حرصت على جعل تماثيل الآلهة هي أهم وأقدس ما فيها ، وكانت روح الإله - كما تبين ذلك نقوش متأخرة - تستقرّ عليه حين تنزل من السماء كما تجثم على جسمه<sup>١</sup> . ومهما تعدّد ذكر

Dümichen : Temp. Insch., 25; Resultate 38-41; cf aussi Mar. (١)

Dend., II. 61 b. حيث يظهر أن نقشا من نقوش الجدران يستطيع استقبال الروح .

هذه الصور الدينية ، ومهما باع عدد ما نقل منها صغيرا أو كبيرا مما وصل إلينا ، فإننا لانملك واحدة أصلية <sup>١</sup> ، فلقد اختفت جميعها عند انحلال الديانة المصرية كأثر لضربات المسيحيين ، ورغم ذلك فإننا نملك على الأقل في المعابد المتأخرة أوصافا وتمثيلات لها نستطيع بواسطتها أن نكون فكرة عنها ، فعبعد حاتحور في دندرة كان من بين ما يحتويه التماثيل الآتية :

حاتحور : من الخشب الملون والنحاس ، بعيون مرصعة ، ارتفاعه ثلاثة أذرع وأربعة قبضات وأصبعان .

إيزيس : من خشب الكابلي المصقول ، بعيون مرصعة ، ارتفاعه ذراع .

حوريس : من الخشب الملون ، بعيون مرصعة ، ارتفاعه ذراع وأصبع .

بوتو : من الخشب الملون ، بعيون من الذهب ، ارتفاعه ذراع <sup>٢</sup> النخ الخ . وهذه الصور القديمة المقدسة كانت ذات أحجام صغيرة ( أغلبها لا يزيد ارتفاعه عن ذراع ، أى حوالى نصف متر ) وكانت عادة من الخشب . أما التماثيل الحجرية الثقيلة ، فكان يصعب حملها في الأعياد رغم ضرورة وجودها . ومن الطبيعي ألا يستبعد أن يقام تماثل حجرى في قدس الأقداس ليستخدم رمزا دينيا <sup>٣</sup> . وعلى كل حال فإن أغلب هذه الصور الدينية — إذا ما استثنينا ما يمثل على هيئة حيوانية — كانت مصنوعة على نفس النمط ولا تتميز عن بعضها البعض — كما يتضح ذلك من صور الآلهة بالفصول الأولى — إلا بالرعوس والتيجان والعلامات المميزة . وكانت الاحية على شكل شعر مضمفوز نهايته معقوفة إلى الأمام ، وتشبه الاحية التى تتخذها بعض قبائل وسط أفريقيا حتى اليوم . وإذا كانت الآلهة ترتدى ثيابا فإن ثوب الإله كأئ عادة عبارة عن قميص قصير مشدود بواسطة حمالات : بينما كانت الإلهات ترتدى زى النساء العادى . وفي الصورة القديمة جدا ( مثل صورة بتاح ص ٣٠ ) لم تكن

(١) يبدو أن الصقر القديم النحاسى برأس ذهبية الذى عثر عليه كيريل فى هيراكونبولس هو أحد تماثيل العبادة .

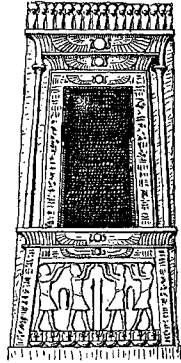
(٢) Dümichen: Resulte, 34 - 36 ef 39 - 40

(٣) بالمثل فى معبد بتاح فى طيبة ، وكذا بقرة حاتحور فى هيكل تحوتس الثالث بالدير البحرى .

السيقان والأذرع والتياب مينة بتاتا . وكان المنظر العام هو الذى اتخذته المومياء فيما بعد . وكانت هناك كذلك صور عتيقة أولية للصقور المقدسة ، سيقانها عبارة عن قطعة واحدة . وبمضى الزمن تطلبت هذه الصور المقدسة بعض الترميمات . وكان يحدث فى غالب الأمر أن ملكا تقيا متدينا كان يجمّلها بمنحها من جديده زينة من الذهب والأحجار الكريمة . وهكذا أعاد نحو خمس الأول صنع التماثيل الإلهية القديمة بأيدوس من الذهب ، وجعلها أجمل مما كانت عليه من قبل . كذلك أيضا الخفيات لنقلها . فأصبحت أعجب ما فى السماء وأشد خفاء وأكثر امتلاء بالأسرار من كل ما يحويه العالم السفلى .<sup>١</sup> وكانت هناك معامل خاصة لهذه الأعمال الدقيقة هي

بيوت الذهب « وإننا لندرك أن الصياغ الذين تشرّفوا بالعمل فيها كانوا يفخرون بأنهم تعرّفوا إلى سرّ بيوت الذهب » « أى إلى « تماثيل الآلهة »<sup>٢</sup> . وكان مقام الصورة الإلهية المعتاد هو الناووس الكائن فى أقدس مكان فى نهاية المعبد . وكان كثيرا ما ينحت من حجر واحد من الجرانيت الصلب محيطا بالصورة المقدسة وكأنه حائط لايسهل اختراقه . وكان يقفل من الأمام بواسطة باب ذى مصراعين مثبتين فى إطار من البرونز . المكان الذى يقوم فيه هذا الخراب أو كما يسمى « المكان العظيم » هو المكان الذى تقام فيه الطقوس اليومية ، وهي فى الحقيقة فى منتهى البساطة .

يتقدم الكاهن المحتفل عند انبثاق الفجر نحو



٧١ - نازوس متأخر من معبد فيل (باريس) .

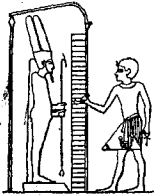
Urk., IV, 99 (١)

(٢) مثلا Mar. Mast., p 450 (Nouvel - Empire) . وفى معبد دنكرة لم يكن يعمل فى المعصر اليونانى أقل من ٤٨ صائغا يباشرون عملهم فى مجموعات كل منها مكونة من اثنى عشر

(Mar. Dend. IV 22a)

قدس الأقداس ويبخره حتى يمتلئ من عطر البخور . ثم يقترّب من الحراب ويفنحه ويحيي الإله بالركوع عدة مرات ، وبترتيل أو تلاوة بعض الأناشيد . ثم يتناول الأدوات الدينية الموجودة في صندوق بالقرب منه ويبدأ في التزيين اليومي للإله . فينضح التمثال بمحتويات أربع جرار من الماء ، ويكسوه بشرائط من الكتان الأبيض والأخضر والأحمر والمائل للحمرة ثم يدهنه بالزيت ويزجج عينيه بمساحيق خضراء وسوداء وغيرها . ثم يطعم الإله بأن يضع أمامه مختلف أنواع الأطعمة والشراب من خبز وأوز وأفخاذ بقر ونيبذ وماء ، وكذلك الزهور التي لا يجب أن تخلو منها مائدة مصرية .

كل هذه الخلطة لا تتطلب سوى نصف ساعة ، ولكنها كان يجب من غير شك أن تطول إلى أكثر من ذلك بكثير ، لأن كل عمل كان ينقسم إلى عدة حركات طبقية ، لكل منها فقرة يتلوها الكاهن . . . وكل هذه الطقوس تنحدر إلى اللاتينية



٧٢ - الملك يقوم بدور الكاهن  
ويفتح باب الناوس  
(من معبد أبيدوس)

بصورة آلية ، لأنه لا يوجد هناك أثر لأية عاطفة مهما تبلغ - تتصل بقداسة المكان أو عظمة الإله ، إذ أن كل ما هو شخصي قد تلاشى في هذا الطقس الذي يرجع إلى عصور حديثة. وأما الإشارات إلى الأساطير فهي كثيرة فيه بطريقة لا تتفق مع الواقع أو العقل ، كما لو أن كل إله كان منحصرا في قصة حوريس وست ، وفي قصة أوزوريس . فإذا كان حوراختي أو بتاح هما من يعبدان ، أو كانا إيزيس أو موت ، فإن كل ما يذكر يقارن بعين حوريس التي أنلفها ست والتي أعطها حوريس لأبيه . . . ودائما .

يعاد حوريس على عرش أبيه ، ودائما يعاد تصحيح جثة أوزوريس . . . وحين يجلس الكاهن - مثلا - الحبل ويفض الختم الذي كان قد أغلق به مسكن الإله خلال الليل فإنه يجب أن يقول : إن الرباط قد حلّ والختم قد فضّ لاجتياز هذا الباب . كل ما كان في من شرّ قد ترك جانبا . أنا آتى وأحضر لك عين حوريس . . . إن عين حوريس

لك . أنا تحوت حين كان يصلح العين . وكان معنى هذا بالضرورة أن الكاهن يقترب وهو مطهر ، ويحضر إلى الإله ما هو في حاجة إليه كما فعل تحوت فيما مضى حين أحضر إلى العين القمرية ما كان ينقصها . وعند ما يفيض ختم الطين من المحراب كان يعلن ما يأتي للإله : أنا لم آت لأطرد الإله عن مقعده ، بل أنا آت لأضعه فوق مقعده . أنا الذى أدخل الآلهة وأنت سديى فوق مقعدك العظيم .

ثم يدخل المفتاح فى القفل ويسحب المتراس ويقول :  
 إن إصبع ست خرج من عين حوريس وكانت هذه سليمة . إن أصبع ست  
 خلص من عين حوريس وصارت هذه سليمة . . . ومن الواضح أن الأصبع هو  
 المفتاح . ثم يؤكد للإله أن من حقه أن يراه : إني كاهن . إنه الملك من يأمرنى أن  
 أتأمل الإله . أنا العتقاء الكبرى الموجودة فى هليوبوليس . لقد هدأت ذلك الذى  
 فى بحيرة العالم السفلى . وحينئذ يفتح مصراعى الباب ويتأمل الإله : أيها الوجه ،  
 احذر الإله ، أيها الإله ، احذر الوجه ، أيها الإله لقد فتحت الباب فدعنى أدخل .  
 ثم يرتقى على الأرض ويقول : أنا أقبّل الأرض ووجهى إلى أسفل ، لقد أتيت  
 بالحق إلى سيده وبالغذاء إلى من صنعه — أى أنه أتى الإله بطعام شهى .

وحين يرفع الكاهن الغبار عن المحراب بواسطة قطعة من القماش يتصور نفسه  
 كحوريس ، ويتصور قطعة القماش كأنما هى عينه : أنا حوريس ، أنا آتى وأبحث  
 عن عينى ، أنا لأسمح لها أن تكون بعيدة عنك ، أنا أمسك بها بينما هى تأتى لحسن  
 الحظ لتبعد عنك كل شر .

وعندما يخلص الكاهن تمثال الإله من الدهان السابق ليستبدله بغيره يقول :  
 إني آتى لأملأك بالدهون التى خرجت من عين حوريس . أنا أملأك بها حتى تربط  
 عظامك وتضم أعضائك وتجمع اللحم إلى بعضه وتطرد كل رطوبة شريرة . خبذها  
 لأنها طيبة الرائحة عليك . إنها تساوى فى طيبتها روع عندما يرتفع من الأفق . وهنا  
 تشبه بطبيعة الحال جنة أوزوريس بتمثال الإله .

وهذه الفقرة الأخيرة المقتطعة من طقوس المعبد معروفة لنا حرفيا من مجموعة  
 آيات أخرى نجدها فى متون الأهرام القديمة ، كأقوال يجب أن تتلى أثناء دهن



الجنحة ١ . وهناك حالات كثيرة ماثلة ، فمثلا عند ما يتلى — حين يغسل التمثال الإلهي — : ردت إليك عينك . رد إليك رأسك . ردت إليك عظامك . أعاد إليك جب رأسك ثابتة في مكانها . ألا فليغسلها تحوت بطريقة تتخصص بها مما فيها ٢ — فإنه من الواضح أن ما غسل ليس سوى جسد أوزوريس وهي جملة تتلى حين يغسل الميت الذى يمثل دائما بأوزوريس نموذجة الإلهي . وذلك يبين لنا من أين حصلت هذه الطقوس على مضمونها العجيب . وكان كل ما يتعلق بالموت وبالقبر يملأ حياة الشعب أكثر فأكثر . وسرى في الفصل الخامس عشر أن هذه الخوارج جذبت وراءها طقوس العبادة الإلهية .

ويظهر هذا الأمر نفسه كذلك في الشعائر . فالصيغة المعهودة : « قربان يقدمه الملك » التي كانت تبدأ بها الصلوات من أجل الموتي كانت تستخدم كذلك في المعابد من أجل الآلهة ٣ ، وعند ما نصادف فيما بعد في معبد دنلدرة تلك العادة التي يجب بمقتضاها أن ترى الصورة الإلهية الشمس من وقت إلى آخر ، فحينئذ يظن أنه من أهم رغبات الميت كذلك أن يرى الشمس .

ولسنا نستطيع أن نعرف على وجه التأكيد إذا كانت هذه التسمية الغريبة للقرايين والأطعمة تصدر عن عبادة أوزوريس أو تكريم الموتي : فأولا كان كل ما يقدم يسمى بعين حوريس ، وكل طعام وكل شراب ، والثياب والأدهان والمساحيق . . . كل ذلك يجب تسميته هكذا حتى يصل الأمر إلى أن يسمى النبيذ عين حوريس الخضراء ، واللبن عين حوريس البيضاء ، والأدهان والخور وكل ماله رائحة طيبة يسمى عرق الآلهة . ويدهن الإله برأئحته . . . العرق الذى نخرج من لحمه ٤ . وأخيرا كانت تعتبر جميع الحيوانات التي تذبح في ساحة خاصة من المعبد كأنما هي

(١) Pyr. 1800

(٢) Berlin. Pap. 3055., 27,2 ss.

(٣) بالمثل كذلك في Urk., IV, 111; 30 وما بعدها ، وكذا في Pyr. 599 يورد الآلهة

بقربان إن هم قاموا بحماية الأهرام .

(٤) Mar. Abydos I, 28 b, 3 وما بعده

أعداء الإله التي تقتل لإرضائه... وحتى الظباء الصغيرة النعسة كانت تذبج كأنما هي وحوش مهيبة ، ومن يقدم لحما للإله يأتي له دائما بأفخاذ أعدائه<sup>١</sup> أو يقول : لقد قتلت من أجلك ذلك الذي ضربك<sup>٢</sup> . وعلى كل حال فقد ذكر في عصور قديمة أن ثورا أمرا قد قدم<sup>٣</sup> كقربان لأوزوريس . وهذا اللون نجد له تفسيراً في عقيدة وصلتنا من العهد اليوناني<sup>٤</sup> كان يجب بمقتضاها تقديم الثيران الأحمر كضحايا ، لأن ست نفسه كان له نفس اللون . وعلى كل حال فإن اللون الأحمر كان المصريون يعتبرونه كلون شوم<sup>٥</sup> . ويقدم اللحم إما نيئاً أو مشويا . وفي الحالة الأخيرة كان يقدم للإله نون مواعد فحم صغيرة<sup>٦</sup> . وهذه المواعد كان الغرض منها شئ اللحم وليس إحراقه ، لأن القربان المحروقة لم يستعملها المصريون في طقوسهم في العصور القديمة . ولا تترك التقدمة تحرق حتى تختفي<sup>٧</sup> في النار إلا عند ما تقدم إلى إله بعيد لا يمكن أن تبسط أمامه الأطعمة . وقد فعل ذلك رجل في الصحراء في ظبي دله على الطريق فقدمه إلى « مين » كقربان للجميل<sup>٨</sup> . وحين قدم الملاح الغريق صاحب القصة المعروفة قربانه إلى الثعبان بعد عودته فإثما قام بحرق هذا القربان لأن الريح فقط هي التي تستطيع أن تحمل التقدمة بعيدا .

وفي الدولة الحديثة ذكر لأول مرة حرق القربان في بعض الحالات<sup>٩</sup> ، وقد أصبح ذلك أمراً عادياً في العهد المتأخر . وقد أضيفت إلى هذه التقدّمات التي كانت تقدم حسب قواعد خاصة كانت تقضى بها نصوص الألفاظ الإلهية<sup>١</sup> أشياء أخرى

(١) وما بعدها 653 Pyr.

(٢) 1544 Pyr.

(٣) 1550 Pyr.

(٤) Plutarque : De Iside, 31

(٥) Ebers I, 14

(٦) Siout, I, 302; Gayet, Louxor, I, 37, et ailleurs وكذلك في المقابر الطبيعية في الدولة الحديثة لخرق البخور .

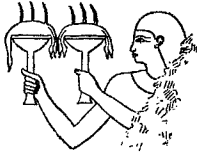
(٧) اصطلاح Sb-n-sdt تسارى مظهراً للعبادة القطبية في صورة Seb - ensète

(٨) L. D., II, 149; cf. Litt. P. 61

(٩) وكذا في طمس موت في برلين 3, 16 يجب أن يحرق غزال فوق الموقد .

Karnak temple de Ramese III «813» déjà avecnom tardif (glil)

أكثر تهديبا ، وفي مقدمتها حرق البخور . الذى لم يكن المصرى ليستطيع أن يفكر فى أن العبادة يمكن أن تقوم بدونها ، لأن رائحة البخور تطهر وتقدس المكان . وكان



٧٤ - رجل يقدم بطا في جمرتين

L. (D. III 9.)



٧٣ - رجل يقدم القربان في جمره فحم .

(Mission V, tombeau d'Apouï pl. 3.)

البخور يسمى بكل بساطة « صانع القداسة » . كذلك يجب أن نتصور كل صالات المعبد الداخلية مليئة بعبطوره . ولقد كان تحضير البخور الأصل التقي علما خصصت من أجله كتب في المكتبات يرجع تأليفها إلى الإله تحوت نفسه <sup>٢</sup> .

ولم يصلنا شيء من هذه الكتب : ولكننا لانعتقد أننا ننحو عن الصواب إن تخيلناها « كحكمة » من معبد من عصر متأخر . وهى تلامم بين تقديم البخور والخمسة عشر يوما لاكتمال القمر . . . حينذاك تتحد عين حوريس - البخور - بعين أوزوريس - القمر - <sup>٣</sup> .

وكان يجب كذلك تمجيد الإله بالأناشيد ونحن نجهل إذا كان الكهنة يغنون حقا هذه الأناشيد أو هم يكتفون بتلاوتها ، ونحن لانعبو جادة الصواب مرة أخرى إذا تخيلنا أن هذه التلاوات كانت تتلى بطريقة آلية بجمته . وفي الواقع أن صميم هذه الأناشيد لا يكشف في صورة عامة سوى عن قليل من الشعر . وهى مؤلفة - فيما عدا بعض الشواذ - على نفس النمط ، وهى تعدد أسماء الإله وتبجانه ومعابده ، وهى تذكر هنا أو هناك بطبيعته أو قصصه بقبضة أيديهم .

Tombeau Thebain «694»; XIX dyn. (١)

Mar. Abydos I, 44, 655 (٢) .

Philae «1657-1658» (٣) .

« لتتمجد أى أوزيريس ابن نوت الذى له قرنان ويتكى على عمود عال . الذى أعطى التاج والسرور أمام التسعة آلهة . والذى خلق منه أتوم القوة فى قلوب الرجال والآلهة والممجدين ، والذى أعطى له السلطان فى هايوبوليس ، ذو المظهر الرائع فى بوزوريس ، المهاب فى المعبدین المقدسين ، ذو القوة العظيمة فى روستاو وسيد البطش فى اهتاس وسيدنى تننت . المحبوب جدا فى الأرض . ذو الذكر الحسن فى قصر الإله ، الذى يلوح عظيمًا فى أيدوسن . الذى منّح الخلاص أمام التسعة آلهة مجتمعين . الذى من أجله أثرت المذابح فى القاعة الكبرى التى فى هرور ، الذى يُشاه عظماء الأقوياء . هو الذى وقف الكبراء أمامه على حصرهم . هو الذى من أجله أثار شو الخوف ، ومن أجله يخلق تننت القوة . هو الذى تتقدم نحوه فى انحناء مصر العليا والسفلى ، لأن مخافته عظيمة وقوته رائعة » . وهذا هو كل ما يستطيع أن يقوله لنا هذا الكاهن الشاعر عن أكثر الآلهة إنسانية .

وعليتنا أن نذكر هنا كذلك بصفة خاصة نشيدا : أغنية الصباح القديمة الذى يوقظ بها الآلهة المصرية كل صباح فى معابدهم طالما كان هناك آلهة ٢ . ويمكن أن نتخيل أن هذا النشيد هو الذى استخدم فى الأصل لإيقاظ الملك . وهاهو ذا مضمونه عند ما يوجه إلى إلهة : استيقظى بسلام أيها الملكة العظيمة . استيقظى بسلام . إن يقظتك هادئة . استيقظى بسلام — « نين — أوتت » فى سلام . إن يقظتك هادئة . . الخ .

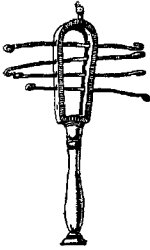
وكانت هناك من غير شك جماعة تسمى « استيقظى بسلام . . » ، « إن يقظتك هادئة » بينما كان يقوم بغناء الأسماء أحد المغنين . وكان هناك مظهر آخر للعبادة هو الـ « هنو » ، ويلوح أنه كان عبارة عن تهليل انجدابى أكثر منه تلاوة نشيد ، وكان القائمون به يركعون ويضربون صدورهم بقبضة أيديهم .

Louvre, C 30 (١)

Eman: Hymnen an das Diader (abh. Berl. akad., 1911) p. 15 (٢)  
cf. litt. p. 35

ولم تلعب الموسيقى سوى دور ثانوي في التعبّد ، هذا ولو أنه كان في معبد أمون ( جنك ) يمجّد عليه « جمال الإله » عند ظهوره ، وهو الذي أهداه الملك أموزيس ، وكان مصنوعا من الأبنوس والذهب والفضة . وآخر أهداه تحوتمس الثالث إلى الإله وكان مزخرفا بالفضة والذهب واللازورد والدهنج ومختلف الأحجار الكريمة الفاخرة<sup>١</sup> .

وكانت الموسيقى بصفة خاصة من اختصاص الكاهنات اللواتي كن يقطعن.



٧٥ - شخيلة من العهد الإغريقي.  
( برلين ٢٧٦٨ )

ويصاملن بشخاليهن وصنوجهن وعقودهن الكبيرة أمام حاتحور أو أي إله آخر كما اعتادت أن تفعل النساء في رقصهن أمام سيدهن . وكذلك كان اللعب بالكرة الذي كان يقام أمام حاتحور لم يكن فيما قبل سوى تسلية مريحة هدفها الترفيه عن الآلهة . وهذه العادة البسيطة لم تنج من تأويل أكثر عمقا ، فالكرة كانت لا بد أن تمثل حدقة أبوفيس أو أي عنق آخر للإله ، والعصى التي كانوا يضربونها بها كانت تعتبر مثل « إشعاع » من عين الشمس<sup>٢</sup> . ولكن عند ما يقوم الرقص أمام حاتحور فإن هذا يعبر قبل كل شيء عن السرور . وكان سير

التعبّد اليومي العادي ينقطع في أيام الأعياد الخاصة بكل معبد . وهذه الأعياد كانت تتضمن كذلك الأحداث الكبرى للمدينة التي كما يقال « كانت لي عيد » . وكان « خدم الإله الذين لا ينسون أعياده » يأتون من الضواحي « نحو أولئك الذين يعبدون الإله »<sup>٣</sup> .

وهذه الأيام هي كذلك أعياد شعبية<sup>٤</sup> ، وكانت الجعة تصنع تكريما للإله ،

Urk., IV, 23; idem 179 (١)

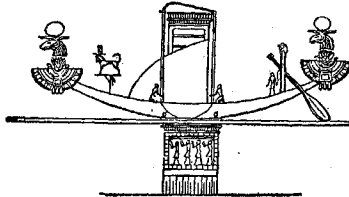
Naville: Deir El Bahari, 100; Misslon XV, pl. 68, 213 (٢)

كذلك في العهد اليوناني « 1143 » Mar: Dend. III, 22c, Philae

Caire, 20281 (moyen Empire) (٣)

Caire 20281 (٤)

وكانوا يجلسون فوق المنازل في نسيم الليل ، ويدور اسم الإله فوق سطوح المنازل <sup>١</sup> . وكان الشعب كله يتدهن ويتناول المشروبات <sup>٢</sup> . ويلاحظ أن هذه الأعياد قديمة جدا أنشأها رع بنفسه منذ الأزل <sup>٣</sup> . وكقاعدة عامة يُوجد في كل مدينة عيد أو أكثر من عيد رئيسي كذكري لأحداث هامة من أساطير الآلهة . فمثلا ذكري عيد ميلاد الإله ؛ أو انتصاره على عدوه . وعلاوة على ذلك كان يحتفل بأوائل تقسيم الزمن كيوم العام الجديد أو أول يوم من الشهر . ويعطى المضرى هذه الأعياد أهمية كبرى ، وتضاف أناشيد خاصة إلى الطقوس ويزخرف المعبد ويضاء - كما هو الحال في المدينة - وتزداد التقدّمات حتى يتسنى لإرضاء جمهرة النزلاء الذين يتدفقون على المعبد للاشتراك في الاحتفال . والمهم في هذه الاحتفالات أن يرى الشعب « جمال سيده » وأن يتطلع إلى صورة الإله التي كانت تخرج من محرابها وتنقل خارج قدس الأقداس فيما يشبه صيوانا خفيفا بعد تزيينها لهذه المناسبة بالتأتم وقلائد الذهب <sup>٤</sup> ، وعلى كل



٧٦ - ناوس وحامل على شكل سفينة ، ومن أسفل قاعدة حجرية ( من معبد أبيدوس )

حال فإن هذا المحراب السهل الحمل كان كثيرا ما يتخذ شكل القارب ، لأن المركب كانت في نظر المصريين الوسيلة الطبيعية للانتقال .

Litt. p. 367 (١)

Urk. ٢٧, 688 (٢)

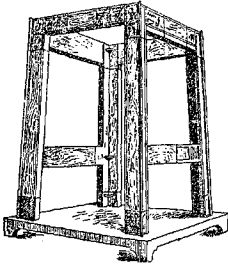
Piankhi, 29 (٣)

(٤) في العصور القديمة لم يكن العيد يقام سنويا 185 , 2<sup>2</sup> , Ed.Meyer I,

Harris I, 6, 3 (٥).

إلى جاتيبي ذلك كان لكل إله عظيم مراكب حقيقية يستعملها في أسفاره على  
النهر . وسنرى فيما بعد مقدار السرف في تزيينها .

وهكذا — عند ما يخرج الإله من معبده كانت تحمل أمامه أعلام مزينة بصور  
إلهية . لاسيما بنات آوى اوب - اوات . المنوطة بفتح الطريق للإله كما يدل عليها  
اسمها « فاتح الطرق »<sup>١</sup> ، وترافق الإله تماثيل للمعبودات المرافقة وللملك<sup>٢</sup> ،



ثم يعرض الإله هنا وهناك في صالات  
الدخول بالمعبد أو في المدينة على قواعد  
حجرية . وتقدم له القرابين والبخور  
والأدعية . ثم تأزف اللحظة الحاسمة  
حينما يزيع الكهنة الأستار التي تحجب  
جوانب الخراب الصغير المحمول ، وهنا  
تصبح الجماهير المتحمسة صيحات الفرح  
للتمثال الصغير الذي يمثل بالنسبة لهم أقدس  
شيء في الوجود .

٧٧ - ناوس من البرونز والخشب سهل الحمل  
أهداه أماسيس لأحد معابد طيبة ، وكانت تنقل على  
الجوانب ستائر تخفى ما وراءها ( برلين ٨٧٠٨ )

من الفخامة كان يحتفل بعيد كبير في الدولة  
الحديثة . ويلوح لنا هذا الاحتفال أكثر بساطة في سجلات حسابات البلاط الملكي  
التي حفظت لنا عرضا . وهي ترجع من غير شك إلى عصر كانت تحتاز فيه طيبة  
مرحلة عصيبة حوالى القرن الثامن عشر قبل الميلاد . وقد ورد فيها أن آلهة المدينة  
المجاورة لميدامود ، أى مونتو وهوريس حامى أبيه ، قدما في وقت ما إلى طيبة حيث  
عرضا في قاعة القصر ذات العمود . وقد بدئ في تزيينهما بالتقدمات بهذه المناسبة ،  
فأحضر الفلاحون أربعة عجول : اثنان لكل إله . وقدم الموظفون وإحدى أخوات

(١) كان هناك طقس كذلك لـ « فتح الطرق » cf. Daessy, Mission VIII, 388, et  
Navelle, Mythe d' Horus, 25

(٢) Urk., IV, 768, 769

الملك مختلف أنواع العطايا ، ومن بينها خمس حمامات وأحد عشر طائرا آخر . وقدم الموظف الأول ، أى الوزير ، البخور . وعلى كل حال كان لمونتو كذلك نساء فى حاشيته وكن له بمثابة الحريم — كما سنرى كذلك أيضا فيما يتعلق بأمون — وكان هناك موظف يقود الموكب عند الذهاب والإياب .

وفى مناسبة عيد آخر له « مونتو » نعرف بعض الشخصيات التى تشرفت بالاشتراك فى المأدبة التى أقيمت فى قاعة القصر ذات العمد . وكان عددهم حوالى السبعين من كبار الموظفين فى الدولة والبلاط ، وإلى جانبهم أناس أدنى مقاما مثل رئيس حرس الكلاب والمرقب المساعد لحظيرة الدجاج والمغنين والغازفين على العود — والمهرج — إن كنا لم نسىء الفهم . ولم تكن هذه وليمة كبرى لأن نصيب كبار الموظفين أنفسهم لم يزد عن العشرة أرغفة ، ولم ينل الواحد من بين الآخرين أكثر من خمسة . ولم يكن هناك ما يشرب ، ولم تمنح الحلوى لغير الوزير والقائد .

ومع ذلك فإن جميع هذه الاحتفالات لا تكشف إلا عن الناحية الظاهرة من الأعياد ، وأما ناحيتها الحقيقية التى كثيرا ما تبقى خفية فهى شىء آخر . وكما رأينا من قبل — كان المراد من هذه الأعياد الاحتفال بتخليد أحداث معينة من قصص الآلهة ، تمثل أمام الشعب فى مناسبات مختلفة . وقد كانت تمثل أحيانا على هيئة مأسى حقيقية ، ونستطيع أن ندرك صميمها فى يسر ما دمنا نعرف الأجزاء الهامة من القصص الأوزيرى — إلى أى ناحية يمكن أن نرجعها فى أعياد أبيدوس<sup>١</sup> .

وتقص علينا لوحة الأمير ايچر نفرت — وهو من أقدم خازنى الدولة — كيف أن الملك سنوسرت الثالث ( حوالى . ١٨٦ ق . م ) أرسله فى مهمة خاصة إلى أبيدوس ليزين تماثيل الإله والأدوات الدينية بذهب اغتنمه الملك من التوبة . وقد أدى هذه المهمة « بيد طاهرة وأصابع طاهرة » فزين تماثيل الإله باللزورد والذهنج والذهب الصانى والأحجار الكريمة . وقد حلت أعياد الإله أثناء وجود ايچر نفرت وصحبه<sup>٢</sup> فى أبيدوس فكان له شرف الاشتراك فيها .

(١) ما يلى مأخوذ عن Schäfer فى كتابه Die Mysterien des Osiris in Abydos (Sethe : Untersuchungen IV, 47 ss.)

(٢) ترك لنا هؤلاء كذلك لوحات صغيرة فى أبيدوس ، انظر :

Schäfer : Untersuchungen IV, 39



وأول هذه الأعياد خروج أوب وات عندما يذهب لنجدة أبيه (أوزوريس) فيدافع إيجر نفرت عن قارب الإله ، ويهزم أعداء أوزوريس . والمقصود هنا من غير شك الأحداث الكبرى للحرب التي قام بها أوزوريس حين فتح البلاد . ثم يلي ذلك عيد آخر ، هو « الخروج الأكبر » وكما يتضح لنا من مراجع أخرى كان هذا هو العيد الرئيسي الذي يشغل جانبا كبيرا من الحداد على أوزوريس . وعلينا أن نذكر أن مقتل الإله كان يذكر ويخلد أثناء هذا الاحتفال . ولكنه لم يكن يمثل لأن المصريين حاولوا دائما أن يجتنبوا ذكر هذه المسألة المفزع في ذمهم . ويكتفى إيجر نفرت بأن يقص علينا أنه زود قارب الإله بمقصورة كما منح الإله حليا جميلة حتى يتيسر له الوصول إلى قبره في « بكر » ثم يعبر إيجر نفرت طريق الإله ( التي تؤدي ) إلى قبره في بكر ، ولعله يقصد من وراء ذلك حدوث موكب كبير .

وفي عيد آخر يخلد انتصار الإله ، وهو يوم « العراك العظيم » الذي يهزم فيه أعداء أوزوريس حيث يقتلون على مياه « نديت » ثم يطلع إيجر نفرت بأوزوريس — الذي يجب أن تصوّره منبعا — في قاربه الكبير الذي ينقل « جماله » . ويتهلل الشعب كله حين يرى عظمة مركب « نثمت » عندما يبلغ أيدوس ويعبد أوزوريس إلى مقره .

وقد وصلتنا من آخر الدولة الحديثة أنباء عن أعياد أيدوس ، ولكن ليس بها في واقع الأمر أكثر من إشارات وتلميحات . ويقص علينا رسميس الرابع ( حوالى ١١٦٠ ق . م ) كيف أنه أثار في أيبيلوس الضوء لأوزوريس في اليوم الذي تمنط فيه موميائه . وأنه أبعد ست عن الإله حين أراد أن يمزق أوصاله . وأنه وضع ابنه حوريس كوريت له على العرش . ولكن في العيد الذي أقيم تمجيذا لحوريس في أيبيلوس نرى أن الملك بصق على عين حوريس التي كان قد انترعها من تغلب عليه ، وأنه أعطى لحوريس عرش أبيه وميراثه في كل البلاد . وجعل كلمته صادقة في يوم المحاكمة ، وجعله يطوف بمصر والأرض الحمراء بصفته نائبا عن حوراختي<sup>١</sup> . وفي أثناء احتفال آخر ، وهو احتفال إقامة عمود أوزوريس الذي كان يحتفل

به أصلا في منف ، كانوا يقيمون عمودا مثله بوساطة جبال حتى يعتدل على قاعدته وكان أوزوريس هو الذى يقيمونه هكذا بعد أن تمثل جنازته خلال الأيام السابقة . وتأتى بعد ذلك تمثيلات أخرى لاندرك لها مغزى ، وكان فريق من الشعب يرقص ويقفز ، وفريق آخر يهجمون على بعضهم البعض . ويصيح آخر : « لقد أمسكت بحوريس » ، وكان آخرون يتحاربون بالعصى وباللكمات ممثلين فى ذلك سكان بلدتى في ودب التى كانت تتألف منهما العاصمة القديمة بوتو . وأخيرا كانوا يطوفون حول المدينة أربع مرات بأربعة قطعان من العجول والحمر . ونحن لاندرك تماما معنى هذه القصص حتى نستطيع من وراء ذلك تفهم مغزى هذه الأمور . وربما كانت أحداثنا تتصل بمقدم حوريس الذى كان يحتفل به فى اليوم التالى ١ . والحقيقة أن التمثيلات التى تنارلناها لاتعدو فى الحقيقة - على قدر ما نستطيع أن نقدرها - المناظر الشعبية التى تحل في ديننا مولد وموت المسيح .

ونحن لانستطيع أن نعرف إذا كانت تضاف إلى هذه الأحداث المألوفة لكل مصرى أحداث خاصة بالمميزين ، ولكن مثل هذه « الأسرار » لاتظهر إلا فى عصر متأخر جدا حين يطوف هيرودوت بمصر .

ولم يكن على الأشخاص الذين يساهمون فى هذه الحفلات التى ذكرت هنا سوى النطق ببعض العبارات التى كانت تكتب أحيانا إلى جانب اللوحات التى تمثل هذه الأعياد . وفى أحيان أخرى كانوا يجمعونها ، وكل من يقرأ كتاب فلسفة منفيس القديم يدرك أن الجزء المخصص لأوزوريس يسجل الكلمات التى ذكرت أثناء حفل كهذا . فترى جب يقول لست : اذهب إلى حيث ولدت - ويقول جب لحوريس : اذهب إلى حيث غرق أبوك . ويقول جب لحوريس وست : لقد فصلت فيما بينكما . ويقول جب للتاسوع : لئن سلمت ميراثى إلى هذا الوارث ابن أول أبنائى المولود الأول - هو ابنى وطفلى . . . ويقول حوريس لإيزيس ونفتيس : أذهبوا مسكبا به . وتقول إيزيس ونفتيس لأوزوريس : سنأتى لناخذك ٢ .

Brugsch, Thesaurus p. 1190 ss. (١)

Erman ; Sitz. Ber. Berl. Akad (1911) p. 916 (٢) وقد تناول Sethe بالتفصيل

هذه المسألة فى 1928 Dramatische Texte, Leipzig

وكان للكلمات التي ينطق بها الكاهن أثناء تقديم قرابينه طابع درامى فى كثير من الأحيان . فحين يصرع ثورا مثلا ، فإنه يمثل قتل أعداء الإله . ويقول وهو يفكر فى ست : لقد قتلت أبى وصرعت من هو أكبر منك . وكإشارة إلى أوزوريس يقول : إبنى ضربت لك من ضربك - كالعجل - لقد صرعت ، ن صرعت - كحيوان المجرز ١ .

وفى الاتصالات القليلة التي تربط الملك بالعبادة . نرى أعياد الملكية تتقارب من بعض الأعياد الإلهية . ومن بينها جميعا يكاد يكون العيد المعروف بـ « حب سد » أشهرها . وقد اعتادوا استعمال كلمة يوبيل لأداء معنى هذا الاصطلاح . والواقع أنه يراد بهذا الاحتفال انقضاء العام الثلاثين لارتقاء العرش وإعلان الملك التالى وريثا للعرش . ويظهر الملك من جديد على عرش اليوبيل ٢ وهو الذى سبق أن طلع عليه من قبل . ومن الطبيعى أن يدعو هذا إلى التفكير فى الملك أوزوريس الذى استمرت حكومته عن طريق ابنه حوريس ٣ . ولم يكن ميسرا لكل ملك أن يحتفل بمثل هذا اليوبيل كما احتفل به - طبقا لمعتقدات المصريين - الإله بتاح ناتن ورع وأوزوريس احتفالات متتابعة . ولقد كان يكفى هذا الاحتفال بهاء رائع إن أسعد الحظف الملك أن يقوم به .



وفى هذه المناسبة كان يعاد بناء منازل اليوبيل فى المعابد كما أن صورها الإلهية - صاحبة اليوبيل - كانت تصنع من الذهب والفضة والأحجار الكريمة وتكسى بالملايس الرقيقة ، وتمسح بالأدهنة ، وتسرى بقرابين جديدة دائما ٤ . وقد مثلت تفصيلات هذا العيد الكبير متتابعة على ألواح فى معابد مختلفة . ومنها نرى قرابين وتبخيرات وحاشية ، كما نلاحظ أية صور دينية تقام فى هياكلهم وأبها تحمل ، وأى إيبين كملك الوجه البحرى (من حمامات)

(١) Edfou, I, 4 4 (٢) Pyr. 580

(٣) Möller, Æ. Z., 39, 71 ss. Breasted, Development, p. 39

(٤) Harris, I, 49, 10 ss. (٤)

كهنة أو أى كبار رجال المملكة يشاركون فى الاحتفال . وأخيرا كيف يأخذ الملك مكانه فى صالة العرش بصفة خاصة ، حيث يجلس أولا على عرش ثم على آخر .

وإذا جاز لنا تصديق الصور الممثلة على المعابد فان هذه الاحتفالات كانت تقام مرتين : مرة لملك مصر العليا ، والأخرى لملك مصر السفلى ، مما يتفق والعقيدة التقليدية التى تكوّنت المملكة المصرية كأثر لها — حتى بعد التوحيد — من قطين .

ومن المسلم به أن أعياد الملكية الكبيرة كان يكسوها فى نظر المصرى طابع دينى .

أو ليست تستقر فكرة الدولة فى نظره على مبدأ أن الملك إله ؟ على هذه الفكرة تقوم

العبادة كلها ، وهى التى تضع الملك على اتصال مباشر بالآلهة . من هذا يتضح هذا

الخروج عن المألوف الذى يظهر فيه الملك كآتما يمثل

الشعب كله فى المعابد . فالملك يقيم للآلهة معابدهم ويقدم

لهم القرابين . والآلهة بدورها تعطى لابنها العزيز

لقاء هذه التقوى حياة من ملايين السنين عن طريق

النصر الذى يكسبه على أعدائه ، وعن طريق

مجده الأبدى .



وليس الآلهة بعد للشعب ، بل هى لفرعون ...

ابنها ... وحتى هذه الصلة ... صلة الملك بالآلهة قد

بعدت كثيرا عن هدفها الأول : فحين يقيم الملك

معبدا ، فانه لا يقيمه — طبقا للقرار الرسمى — حبا

للمعبود ، بل رغبة فى شهرته الشخصية ... إنه أقام

هذا الأثر لنفسه ... هكذا تبدأ منذ زمن طويل كل

٧٩ — الملك أبريس يقدم القرابين

لآلهة منف ، على أن الكتابة تحل

ذكرى هنية أمها أحد حراس

النقوش التذكارية ، وبعد هذه الصيغة فقط يطلق لراسمه على المبنى الذى أقامه الملك

لأبيه الإله . وهذه فى الحقيقة صيغ تقليدية ، ولكن فقر هذه الديانة الرسمية ، يتجلى

فى أن أمثال هذه العبارات والعادات تكوّنت فى العصور الأولى للشعب . وليس من

شك أن الملوك قدموا أشياء عظيمة للمعابد ، ولكن العباد الأتقياء لم يتأخروا هم

كذلك عن تقديم هداياهم وعطاياهم ورغم ذلك فالنقوش لا تذكر عنهم شيئا . وقد حدث ذلك في كل عصر ، حتى إن الملوك اليونانيين والأباطرة الرومانيين كانوا يعتبرون البنائين الوحيدين لكل المعابد التي شيدت خلال حكمهم .

وكنتيجة طبيعية لوجهة النظر هذه لم ترسم كذلك صور الكهنة في المعابد ، وإنما استبدلت صورهم بصور الملك . فعلى كل الجدران كانت تمثل مناظر تقديم القرابين وكل الاحتفالات التي تحدث أمام الآلهة ، ولكن الشخص الذي كان يقوم بجميع مراسمها كان الملك بشخصه دائما . وإننا لو جاز لنا أن نقبل أن فرعون نفسه كان لديه وقت كاف للقيام بأعماله الدينية ، فإن مشاركته في العبادة في كل معابد القطر ليست إلا شيئا نظريا . كما أن المختفلين الحقيقيين في مصر كانوا رجال الكهنة حتى وإن هم لم يذكروا أنفسهم في الطقوس لإلكتائين عن الملك<sup>١</sup> .



٨٠ - الملك يقدم التيبه  
(من معبد الدير البحرى)

وحتمت الظروف الطبيعية أن يكون شرف إدارة المعابد منذ أقدم العصور من حق الأسرات الكبيرة القديمة. وكان المنصب الدينى فى الامبراطورية الوسطى كذلك وراثيا فى عائلات معينة كان أفرادها يقومون بهذا العمل كوظيفة ثانوية فقط . وما دام الكاهن قد ورث وظيفته عن أبيه الذى كان كاهنا فى المعبد<sup>٢</sup> فإنه يستطيع عمل كل التقدّمات وأداء كل الاحتفالات . وإلى جانب هذا فإننا نجد من قديم مجموعة أخرى من الكهنة من بينهم عدد يشغلون وظائف معينة . فى الامبراطورية القديمة كان كبار رجال القضاء هم فى نفس الوقت كهنة إله .. الحق كما كان الأطباء كهنة ستمت ؛ وأما الممتازون من الفنانين فكانوا كهنة بتاح .

وكلمة كاهن نستطيع أن نفهم من وراثتها أمورا شديدة التباين . فيجب أولا

Mar. Abydos I, tabl. 24 (Rituel) (١)

Idem, tabl. 1. (٢)

Litt. p. 153 (٣)

التفرقة بين هؤلاء الذين يقومون بعملهم بصفة دائمة ، وأولئك الذين يحملون لقباً مؤقتاً . ثم إن هناك اختلافاً آخر في هاتين الفئتين بين الكهنة الذين يقومون بأعمال كهنوتية معينة ، فهناك أولاً « خديم الإله » وهؤلاء هم كهنة العبادة الحقيقيون ، ثم يليهم الـ « خرحب » أى العلماء أو كتّاب كتاب الإله ، ويركن إليهم مثلاً في منح الاسم للطفل الملكى ٢ ، وهم كذلك الذين يقومون خلال الاحتفالات بتلاوة الصيغ القديمة ، والذين يعرفون أسرار السحر . . . هم السحرة ، وإذا أراد أحد أن يحتفظ سرّاً بتعويذة لا يعرفها غيره فإنه يستطيع مع ذلك أن يطلع عليها أحد الـ « خرحب » وهم متخصصون فى فن الأدهنة ، وهم يمارسون هذا العمل بصفتهم أطباء كذلك ٣ .

وأما أصل وظيفة الكهنة المسمين « وعب » فنحن نعرفه عن طريق اسمهم المأخوذ عن الكلمة التى تعنى « طاهر » أو « تقي » ، والواقع أنهم فى نقوش الدولة القديمة يعطون رؤيهم ونصيحتهم عن الحيوانات التى تذبح ، فهم يفحصون دماءها ويقولون « إنها نقية » - ٤

وقد اعتبر - فيما بعد - كهنة « وعب » فى أسفل السلم الكهنوتى ٥ ، أو بمعنى آخر ، أصبح اسمهم يعنى كاهن فحسب .

وهناك لقب آخر متداول « أب الإله » أو « محبوب الإله » وهو يعتبر لغز بالنسبة إلينا ، وربما يكون المراد منه تخصيص أرفع طبقات الكهنوت ٦ .

وكلما ارتفعت أهمية المعبد ازدادت قيمة الكهنة الذين يخدمونه . ولذينا وثائق معبد كبير من الدولة الوسطى استطعنا بفضلها أن نكون فكرة صادقة عن

Urk., IV, 261 (texte ancien) (١)

Totb. éd. Budge 190,5 (٢)

Pap. med. Berlin, VIII, 10 (٣)

Erman : Reden und Rufe, p. 13 (٤)

(٥) مثلاً بك أن خسو .

(٦) كذلك Urk. IV, 349 حيث يكون آباء الإله ورجال البلاط حاشية الملك . وفى Urk, IV, 106

وكذلك 100 idem يكاد هذا اللقب يعنى « الأنبياء » .

الظروف التي كانت تنظمه .

وقد وجد كذلك في مدينة تقع إلى جانب هرم سنوسرت الثاني عند مدخل الفيوم مبدل لإله الموتى أنوبيس<sup>١</sup> ، وكان عدد موظفي إدارته أكثر من خمسين شخصاً لم يكن بينهم من يشغل وظيفة دائمة سوى ستة في الواقع هم : الأمير أو رئيس المعبد : أى الرئيس الأعلى ؛ ثم « الحرحب » الأول مدير العبادة ، ثم الأربعة حراس للأبواب وهم موظفون أقل درجة . وأما باقى كهنة وموظفي المعبد الآخرين ، فكانوا يتناوبون الخدمة الإلهية ولم يكونوا يعملون إلا في شهرهم فقط . وكانوا مقسمين إلى أربعة طبقات ٢ . وكانت كلما بدأت طبقة منها عملها كانت تسلم من سابقتها المعبد وكل ما يتصل به . وكان يكتب محضر لإخلاء طرف الفرقيين ، وهذا يسهل فهمه جداً في مصر حيث كان للبروتوكول أهمية كبيرة .

وفي معبد آخر<sup>٣</sup> يرجع إلى نفس العهد وهو معبد « أوب واوت » في أسيوط نرى رجال الكهنوت الدائمين يتكوّنون من أمير المقاطعة الذى كان في نفس الوقت كاهناً أكبر ، ثم من تسعة كهنة . وكان هؤلاء العشرة يتكوّنون هيئة المعبد وكانوا كهنة بالوراثة . وكان إلى جانبهم كذلك كهنة يتناوبون ؛ وكان يطلق عليهم اسم الكهنة المؤقتون ، نستطيع أن نرى فيهم من غير شك موظفين للملك أو للمقاطعة ، يفخرون غالباً في نقوشهم بأنهم كهنة هذا الإله أو ذلك . وفي الوقت نفسه كان يستطيع أفراد من طبقة أدنى أن يشاركوا كذلك في الكهنوت ، ومن هنا نجد مرة — في معبد يوشك على الفناء — أن كبير الصيادين للأسمك والطيور كان في الوقت نفسه رئيس كهنة معبده<sup>٤</sup> .

ولم يكن يكفي فقط الالتئام إلى أسرة كهنة لكن يستطيع المرء الحصول على مرتبة الكهنوتية . ونستطيع أن نتخيل أنه كان يجب أن يكون هناك ما يثبت — على الأقل — بالنسبة للمراكز العليا — وجود ثقافة خاصة ، وربما تكريس خاص . فلن بعض

(١) مايل مأخوذ عن Borchardt : *Æ. Z.* 37, 89 ss.

(٢) تسمى طبقات الكهنة هذه قبائل ، وذلك حسب التسمية الإغريقية .

(٣) Erman , *Æ. Z.* 20, 159 ss.

(٤) Schäfer : *Priestergräber*, P. 34 (٤)

النصوص الأكثر حداثة على الأقل تذكر أمثال هذا التكريس والتطهير ، فنحن نقرأ أن كاهنا جديدا استحتم في البحيرة المقدسة بالكركنك وتطهر عن طريق النظرون<sup>١</sup> ويقص علينا كاهن آخر في تفصيل أكثر وضوحا قائلا : إنني تقدمت أمام الإله وكنت شابا ممتازا . وحين أدخلوني إلى أفق السماء خرجت من « النون » وتخلصت من كل شائبة كانت بي . وخلعت ملابسى وتدهنت كما يتطهر حوريس وست . ثم تقدمت نحو الإله في قدس الأقداس وأنا أحسن بالرهبة أمام قدرته<sup>٢</sup> .

وإذا كان الكثيرون من الكهنة يفخرون بمعرفة الأمور السرية « مثل أسرار السماء والأرض والعالم السفلى » فإن علمهم كان قاصرا من غير شك على معرفة الصور الدينية والتقاليد المقدسة<sup>٣</sup> ، لأن هذه التقاليد تعتبر سرية كذلك . وحتى في الدولة القديمة نحن نعرف أن « كتاب فن الخرحب » الذى كان يجب العمل به أثناء عمل التقدمة يحتوى على أمور سرية<sup>٤</sup> .

ولم تبعد السيدات فى أى عصر من العصور عن خدمة المعبد . فى الدولة القديمة نراهن يتباهين بأنهن كاهنات ( خادمات للإله ) لنوت وحاتور . . . « واحدة تمجد حاتور كل يوم »<sup>٥</sup> . ومن اليسير أن ندرك أن النساء كن يملن إلى خدمة حاتور إلهة الحب ، وسرى فيما بعد كيف اكتسب دور الكاهنات أهمية أكبر فيما بعد .

لم نتعرض حتى الآن فى كل ماقلناه عن الكهنة المصريين لذكر شىء عن الطبقة العليا الروحية التى نسميها كبار الكهنة ، وليس هناك اصطلاح خاص فى اللغة المصرية للتعريف بهذه الوظيفة . وفى المعابد الكبرى كانت لهم ألقاب ترجع إلى أصل بالغ القدم . ومن هنا كان يسمى الكاهن الأكبر فى هليوبوليس باسم

(١) Brugsch : Thes., 1071

(٢) ويعنى هذا إذا تجردنا من العبارات المصرية أنه أعد فى المعبد وأنه اغتسل وتذثر عندما قبل فى عداد الكهنة ، وعند ذلك ضح له بدخول قدس الأقداس - انظر تمثال سور فى القاهرة (W. B. 426) وانظر كذلك Legrain - Naville, L'aile nord pl. 11 B. حيث مثل تطهير كهنة وكاهنات من الطبقة الراقية .

(٣) Pap. ex. Louvre, c. 218 XIX dyn.

(٤) L. D. II, Erg. Tafelband 7; M ar. Mast. p. 10

(٥) Brit. Museum, 528.





أطلال سيد الكرك من الجزء من تيل الأقصر . في وسط الصورة المئبد الرئيسي و البحيرة القديمة ؛ وفي مقدمتها بيوت قرية الكرك الحالية  
و مئبد عيسى .

« كبير الرائين » والكاهن الأكبر في شمون باسم « كبير الخمسة » ، ولكن كاهن منفيس الأعظم الذي كان في خدمة إله الفنانين بتاح ، فقد كان يسمى « الكبير لإدارة الفنانين » ولقد كان يشغل في الواقع هذه الوظيفة أيضا في مدلولها الدنيوي ، وكان في الدولة القديمة كذلك يعتبر رئيسا فعليا لكل أعمال النحاتين والأعمال الأخرى



٨٠ - الكاهن الأعلى في منف عليه على صدره وخصلته على جانب رأسه (برلين ١٢٤١٠)

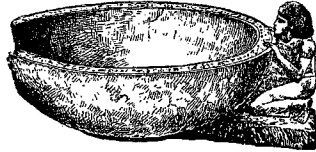
المماثلة . ويظهر أنه في الأصل كانت هناك شخصيتان توزع عليهما أعمال هذه الوظيفة النصف روحية والنصف دنيوية ، ولكن في أواخر الدولة القديمة نرى ملكا ينقل كل شيء إلهي ، وكل ما يجب أن يؤديه الكاهنان الكبيران إلى رجل يدعى تبي - سابو الذي كانت له فيه ثقة خاصة<sup>١</sup>

وكان رؤساء هذه الهياكل الكبرى أشخاصا من أرفع الطبقات . ولقد كانوا في الدولة القديمة أبناء الملك عادة . وأما في المقاطعات التي كانت تحت نفوذ أمرائها المحليين فإن أولئك كانوا كذلك رؤساء خدم الإله : أي الكهنة الكبار . . . ولقد

اعتبر أحد هؤلاء نفسه مديرا لكافة الوظائف الدينية ، العارف بالكلام والأشياء الإلهية ، وهو الذي يعطي للكهنة التعليمات لإدارة الحفلات ، وله صوت مدو حين يسبح الإله ويد طاهرة حين يحضر الزهور ويقدم الماء والطعام على المذبح<sup>٢</sup> .

وتسترعى مكانة الكهنة الكبار النظر بسبب الملابس الكهنوتية التي يرتدونها في بعض الأحيان ، والتي ترجع من غير شك إلى عصر بعيد جدا ، وكان الشيء الوحيد الذي يطلب من كل كاهن ، وكذلك من كل من يقترب من الأشياء المقدسة هو الطهارة . ونقرأ في قبر يرجع إلى الدولة القديمة ما يلي : كل من يدخل هنا يجب

أن يكون نقياً ، وعليه أن يتطهر كما يتطهر عند دخوله معبد الإله الكبير<sup>١</sup> ، وبينون دائماً أولاً بأول أن أيدي الكهنة يجب أن تكون مطهرة . وكذلك نرى في الدولة الحديثة المؤمنون وهم يهلون إلى المعابد أحواضاً كانت تستخدم للتطهر من غير شك<sup>٢</sup> . وقد اتخذ هذا الاتجاه نحو التطهر صوراً عجيبة كما هي الحال في كل أنحاء العالم . وكان على كل من أراد أن يردد صيغة سحرية ألا يغتسل فحسب ، بل ألا يلمس كذلك امرأة ، بل لا يجب عليه أن يأكل لحم المشائية أو السمك<sup>٣</sup> . وفي بعض المقابر القديمة الجميلة حيث يدعى الزوار إلى التحقق



من تطهارتهم فإنهم يطالبون كذلك ألا يكونوا قد تناولوا أسماكاً . وسنرى فيما بعد -

في الفصل الثامن عشر أن ملكاً مخلصاً للآلهة المصريين كان يقف بعيداً عن الناس الذين

٨١ - حوض ماء أهده أحد الأفراد ويدعى حوى لمعبد نحتت في أبو صير .

كانوا يأكلون السمك . والواقع أن هذا المنع الذي حرم الشعب من أحد أطعمته الرئيسية لم يستوجب أن يساهم فيه الجميع بالضرورة .

ولقد رأينا فيما سبق أن العبادة المنظمة كانت تتضمن تقدمات يومية هي من الطبيعي أقل أهمية من تقدمات أيام الأعياد . ولكن بما أنها كانت دائماً مستمرة طيلة العام فإنها كانت تحوى كمية ضخمة من الخبز واللحم . ولنا أن نتساءل لإلام كانت تصير تلك الأطعمة بعد أن يشبع الإله - طبقاً للتعبير الرسمي - .

ومن المفهوم أننا لم نستطع الوصول إلى إجابة حاسمة في هذا الموضوع ، لأن هذه الأشياء كان يستطيع المصري أن يصل إلى فهمها من تلقاء نفسه ، ولكن شيئاً

Urk. I, 173-147 (cf. Urk. I, 87, 202) (١)

Brit. mus., 28 (٢)

Totb., éd Naville, 64 Copie en Ca. (٣)

وإحدا كان يهيمه ، وهو أن يسر الإله بهذه التقدّمات . ونحن لانستخفّ بعقولنا إن أكيدنا أن الكهنة كانوا يتناولون هذه الأطعمة ، وأن كل ما كان يؤتى به إلى الإله كان يعتبر بالنسبة لهم دخلا . وبالمثل كان كل ما يملكه الإله من أملاك ثابتة كان يطلق على اسم « التقدمة الإلهية » وكان الكهنة يتمتعون بثمارها .

ومن بين المنح التي كان الملوك أو الأفراد يقدمونها بصفة قرابين نستطيع أن نميز أمرا خاصا ، وهو أن قرابين معينة كان لا يستحب أن يستمتع بها الإله وحده بل يجب أن يستمتع بها كائنات أخرى مجلّة . وهكذا مثلا يقوم في معبد ما تمثال رجل صالح أقامه الملك في هذه الناحية حتى تكون له كذلك حصته من تقدّمات الإله . وفي هذه الحالة كان يوضع أمام هذا التمثال كذلك بعض الأطعمة المأخوذة من التقدّمات ، وهنا لنا أن نتخيل كذلك أن الكاهن المختصّ بهذا التمثال هو الذي يستمتع بالأطعمة . وبالمثل فإن صورة رجل مقامة في مقبرته تستطيع المشاركة في التقدمة المقدمة إلى الإله . وعند ذلك تنتقل هذه الأطعمة إلى الكاهن الجزئى المختصّ بالقرير وذلك بعد أن يشبع المتوفى . ونستطيع اعتبار هذه التقدّمات التي كان يستفيد منها الكهنة بصفة دائمة بمثابة مرتب لهم . وعلى ذلك فلم يكن همهم الوحيد تموين الإله بالأطعمة هو الذي يدفعهم إلى تقبل العطايا الملكية في سرور ، وإنما كان طعامهم الشخصى هو هدفهم الأسمى . وهم يمدحون الملك لأنه يبلّ المذابح أطعمة ويجعل موائد القرابين زاخرة ويكثر من التقدّمات <sup>١</sup> .

وتدلنا أسماء أبواب المعابد كذلك على الأهمية التي تتصل بالقرابين . فهم يذكرون أن الملك يأتي بالأطعمة <sup>٢</sup> عند ما يعبر هذه الأبواب .

ولم يكن الكهنة يفيدون من مأكولات الإله فقط لأنه كان يتخلى كذلك عن ملابس . ولقد كان شيئا طيبا أن يأخذوا في مناسبة الدفن شرائط من الكتان يلفون بها

(1) Westcar, litt. p. 73

Deirel Bahari, 95; Karnak, Temple de Khonsou «727» Abydos (٢)  
«447»; Chassinat, Mammisi, 155

الميت كان الإله قد تخلى عنها ١ ، ولنا أن نتخيل أنه من الطبيعي أن تلك الشرائط كان لها قوة حافظة جاءت عن طريق الإله الذي كانت تلمسه . وبالرغم من أن الكهنة كانوا لا يألون جهدا في أخذ القرابين ، فإن هناك حالات كانت ترفض فيها هذه القرابين - ولو نظريا - وواحدة من صيغ اللعنات تذكر أن الآلهة لا تقبل قرابينها .

## الفصل الثالث عشر

### العبادة في الدولة الحديثة

لعل ما قمنا بعرضه حتى الآن عن عبادة الآلهة المصرية قد زوّد القارئ بفكرة تكاد تكون كاملة عن هذه العبادة ، وهذا في الحقيقة بالنسبة إلى العهود والظروف الطبيعية . أما في عصر الدولة الحديثة فإن كثيرا من الأمور أصبح ليس ذات قيمة . لأن في هذا العصر اتخذ كل شيء نسبا معينة حتى أصبح يتعذر معها المقارنة مع ظروف العبادة السابقة واللاحقة . وتنطبق هذه الملاحظة بصفة خاصة على عبادة آمون الذى لا يكرم عبثا كملك للآلهة والذى كانت معابده الطيبية تعتبر رمزا للدولة الحديثة بقلدر ما كانت الأهرام رمزا للدولة القديمة .

ويكفى للتحقق من عظمة المباني الدينية لهذا العهد أن نلقى النظر برهة على معبد الكرنك ، فهو الأعمدة فيه يشغل مساحة قدرها ٥٠٠٠ متر مربع ، ولا يقل عدد أعمدتها عن ١٣٤ عمودا ، يفوق ارتفاع الاثنى عشر عمودا منها الكائنة في الصحن الأوسط عن ٢١ مترا ، وقطر كل منها ٣٧ و٣ متر ، أما الأعمدة في الجانبين فيبلغ ارتفاع الواحد منها ١٣ مترا .

ويبدو كما يتضح من النقوش أن هذه الصالة الفخمة والصرخ الذى يتقدمها شيئا في الأسرة التاسعة عشرة وخلال حكم رمسيس الثانى على الأخص ، وهما يكوّنان معا مجموعة واحدة ، ولكن مادام المعبد كان قد بديء العمل فيه ، حسب هذا الرأى . بقاعة الأعمدة ، فانه من الممكن أن نفترض أن البهو الكبير الذى أقيم أمام الأبنية فيما بعد كان جزءا من المشروع الرئيسى . وليس من المستبعد أن يرجع هذا التصميم الراجع إلى ذلك العهد الذى أعقب العصر المرطقي حين لم يكن هناك شيء مما ينجد آمون يعتبر مبالغا فيه . ولقد صرف النظر بعد رمسيس الثانى عن تنفيذ هذا التصميم لأنه اعتقد أنه لا يمكن تحقيقه . وذلك لأن سبتي الثانى أقام معبدا أصغر في القضاء المزروع كما بنى رمسيس الثالث معبدا كبيرا كرّسه للآلهة الطيبية وأقامه بطريقة تقترب

من التصميم المذكور . ولم يشرع في إنهاء الفناء إلا في عهد الملوك اليبين والأثوبيين ، ولعل منحدر اللبن القائم حتى اليوم والذي استخدم في بناء الصرح يقوم دليلا واضحا على أن العمل لم ينته تماما .

ولكن هذه المباني الضخمة التي تمتد على طول ١٨٠ مترا ليست إلا مجموعة معمارية تتقدم معبد أمون الحقيقي الذي يمتد ببواباته وإبهائه وممراته وضالاته التي شيدها ملوك الأسرة الثامنة عشرة . ويجوار معبد أمون الكبير يقوم معبدا زوجته وابنه وهما معبد موت ( الذي يرجع إلى عصر أمنوفيس الثالث ) ومعبد خونسو . ولبتاح منفيس كذلك هيكل مهم .

وتتصل هذه المباني ببعضها عن طريق ممرات وأبواب تذكارية وتكون في مجموعها مدينة مقدسة حقيقية طولها أكثر من كيلومتر ، ولسنا نستطيع إلا أن نفترض عدد المباني الأخرى التي كانت تقوم في هذه الناحية ، لأن منازل السكنى وصوامع الغلال والإسطبلات والورش كانت تبني كما جرت العادة من قبل من اللبن ، وهي من أجل ذلك لم تصل إلينا . وليس من شك أن مئات من الأهلين كانوا يعيشون في هذه الناحية لخدمة أمون .

وعلى بعد يزيد قليلا عن الكيلومترين إلى الجنوب ، يقوم معبد أمون الثاني في الأقصر ، وقد أقامه أمنوفيس الثالث ووسعه توت عنخ أمون ، وأضاف رعسيس الثاني مبنى كبيرا أمام المباني القديمة عبارة عن بهو يتقدمه صرح زائغ ومسلتان وتماثيل ضخمة .

ولكن هذه المعابد الشائخة في الكرنك والأقصر لا تكفي للتعبير عن مدى الخشوع الذي كان يحسه ملوك الدولة الحديثة نحو إلههم ، وهم أولئك الملوك الأتقياء الذين كانوا يسهبون دائما من أجل المعابد . فهناك على الضفة المقابلة للنيل تقوم معابد أخرى كبيرة كان يعبد فيها أمون كذلك ، والواقع أنه لم يكن يعبد هناك وحده ، بل

فى صحبة إله أو آخر من آلهة الموقى ١ . كما يستوجب ذلك قيام هذه المعابد فى مدينة الأموات . وهناك المعبد الرائع للملكة حتشبسوت وهو الذى كان يستخدم فى الوقت نفسه كمعبد جزى للملكة . وهناك كذلك كان يقوم المبنى الشامخ الذى أقامه أمنوفيس الثالث ، والذى يكاد يتلاشى فى يومنا هذا وإن ظهرت عظمتة فى تمثالى ممنون . وكان يقوم هناك كذلك معبد لـ « آى » الذى تهدم تماما . . . وكذا المعبد الضخم الذى شيده رمسيس الثانى ، والذى نعرفه اليوم باسم الرمسوم . وبعد قرن من الزمان نرى رمسيس الثالث الذى كان قد أقام لأمون فى الكرنك معبدا كبيرا يقيم هنا كذلك معبد مدينة حابو ، « ذلك المنزل العجيب الذى سبق ملايين السنين فوق جبل نب عنخ » ٢ ، وليس من شك أن تسمية طيبة بالعبرية باسم نو - أمون ؛ أى مدينة أمون ليست تسمية خاطئة .

أما باقى مدن المملكة فلم تكن تنقصها كذلك معابد تكرس لأمون رغم كل المنشآت الضخمة التى أقامها ملوك الدولة الحديثة فى كل مكان للآلهة القديمة . وليس من شك أنه ليس من المبالغة أن نذكر أنه لم يقم فى بلد ما ملك ما فى أى عصر بنشاط فى أعمال البناء يعدل نشاط رمسيس الثانى أكبر بنائى هذا العصر ٣ . ولم يقنع مبنى من مباني الدولة الحديثة بالضرورة فقط ، بل أنهم أرادوا أن تثبت هذه الأبنية بضخامتها وفخامتها عظمة الإله الذى يسكنها .

ويتمشى مع هذه الأهداف الإفراط فى الزهو داخل المعبد . وكانت تنصب أمام البوابات التى لاتلوح اليوم إلا فى صورة كتل ضخمة من الحجر ساريات ذوات أعلام متعددة الألوان وأطرافها مذهبة . وكانت البوابات من النحاس السورى المكثف بالذهب ٤ . ولم يكتف فى داخل المعابد باللوحات المتعددة الألوان ، بل كانت

(١) هذا ما أخبرنى به بورخارت ، على أن تفاصيل هذه المسائل لاتزال مهمة . وما يلفت النظر أن الملوك أنفسهم كانوا يعبدون كذلك فى هذه المعابد .

(٢) Harris, I, 3, 11

cf. Ed. Meyer II<sup>2</sup>, p 497 (٣)

Urk. IV, 56 ss.; Annal. idem 169 (٤)



الأعمدة وإطارات الأبواب تلتصق بالذهب<sup>١</sup> ، بل إن الأرض كانت تكفت في بعض الجهات المقدسة بالذهب أو الفضة<sup>٢</sup> .

وكانت اللوحات الكبيرة من الحجر تزين كذلك بالذهب وتزخرف علاوة على ذلك بجلى من الذهب السورى . وهى تستقر فوق قواعد مكفنة بالفضة وحلى ذهبية وهى ثقيلة حتى لتكاد الأرض تنطوى تحتها<sup>٣</sup> . ويتأق داخل المعبد كذلك بكل الأدوات المصنوعة من الذهب والفضة « التى تغمر مصر بصبوها كما تفعل النجوم تحت بطن آلهة السماء »<sup>٤</sup> . وهذه كلها هدايا من الملوك . فتحتمس الثالث يقدم إناء من الذهب ارتفاعه سبعة أذرع ( ٣٥ متر )<sup>٥</sup> ، ورعسيس الثالث يضع فى الحوش الخارجى لمعبد أمون حاملا كبيرا بحجرة مزين بالذهب والأحجار الكريمة . وأما الأواني فمصنوعة من الذهب وهى تحوى النييد والجمعة لتقدمة الصباح<sup>٦</sup> . ويقدم نفس الملك كهديبة مائدة قربان من الفضة<sup>٧</sup> وإناء كبير - كاجر كا - من الفضة كذلك بغطاء من الفضة له حافة ذهبية<sup>٨</sup> .

ولم تعد أوراق البردى واللوحات البسيطة تكفى لكتابة حوليات المعابد ، فهى الآن تسجل على ألواح من المعدن الثمين . وهكذا يقدم رعسيس الثالث إلى أمون لوحات ذهبية صغيرة تحوى أدعية ، وأخرى من الفضة خاصة بأوامره للمعبد ، ثم عددا كبيرا من اللوحات الفضية بها مراسم وكشوف ومحتويات المعبد التى قام بتحريها وإعلانها خلال حكمه<sup>٩</sup> .

Harris I, 4,12 (١)

Urk. IV, 423; Borchardt, Baugeschichte, 46; Sixtemples, 12,3. (٢)

ولقد يميل المرء إلى الظن فى الغلاة فى هذه المعلومات ولكن كما يلاحظ - بورخارت - توجد آثار التكيفات بالمعادن الثمينة - بل ما زالت ترى - فى بعض الجهات على الجدران .

Harris I, 71 (٣)

Urk. IV, 173 (٤)

Idem (٥)

Harris I, 6,1 (٦)

Idem, I, 5,12 (٧)

Idem I, 6,11. Kaherka وهناك عيد اسمه (٨)

Harris, I, 615-6 (٩)

وهناك أدوات أخرى ذات طابع أقل أهمية وإن كانت دقيقة الصنع وكان الملك يكرسها للمعبد . . . وهكذا نرى رعمرسيس الثالث يمنح معبد هليوبوليس ميزانا فحما من الذهب لم ير أحد له مثيلا منذ عهد الإله . ويجلس تحوت عليه في صورته كقرد عظيم — مصنوعا من الذهب — كما لو كان منوطا بالميزان .<sup>١</sup>

وهكذا كان المعبد من ذلك العصر يعتبر صورة رائعة للفخامة وحسن الروتق ، ونحن نعرف تماما أن المصريين كانوا يقارنونهم دائما بالقصر السماوى لإله الشمس .

وأخيرا ، فإن صورة الإله وكل ما يختص به كانت تزين في رسوم رائعة بها الكثير من الإفراط ، ولذلك كانت المعابد تمتلك بيوتا للذهب ومصانع يمكن في داخلها صنع الأشياء التى تتطلب سرية كاملة في إتقان . ولندكر من بين التماثيل التى كرسها رعمرسيس الثالث في المعابد الطيبية تماثيل أمون في مدينة هابو ، « فهو مزين بأحجار حقيقية تتألق مثل الأفقين والمرء يسعد بروياه إن هو خرج »<sup>٢</sup> . وتقوم في محاربيها في نفس المكان تماثيل آلهة منفيس وتامسوع آلهة السماء والأرض ، وهى مصنوعة من الذهب الخالص ومحلاة بالأحجار الكريمة<sup>٣</sup> . وقد التحقت بها صورة ذهبية للملك نفسه ، وبالعكس لم يكن لازما أن تصنع تماثيل لموت وخونسو ، إذ أعيد صنعهما من جديد في بيوت الذهب وكسيا بالذهب الخالص ، ثم حليا بالأحجار الكريمة وألبسا عقودا من الذهب تتدلى من أمام ومن خلف بدلايات من الذهب السورى . وحينئذ — كما يقول الملك — تستقر وتسرى<sup>٤</sup> . ويتسلم أمون كذلك قلادة مماثلة من الملك بها دلالات ذهبية تثبت إلى جانب تماثم مقدسة تعلق إلى جسمه حين يظهر<sup>٥</sup> .

(١) Idem, I, 26, 11-12

(٢) Idem, I, 4,6

(٣) Idem, I, 4,9-11

(٤) Idem, I, 6,4

(٥) Idem, I, 6,12

(٦) Idem, I, 6,3

ولم يكن قارب أمون ، المسمى أوسرحات ، أقل روعة . كان من خشب الأرز وطوله ١٣٠ ذراعا ، وكان يغطى بالذهب الخالص ، وكان المحيط يبنى تحت ثقله كما لر كان قارب رع وكانت الحياة تعود إلى العيون حين تتطلع إليه ، وكان محرابه من الذهب النقي ومزيننا بكل أنواع الحجارة الثمينة <sup>١</sup> .

وكانت القوارب الأخرى للآلهة ، الذين يستعملونها في النيل ، تجهز في روعة بالغة . ولندكر من بينها قارب «نشمت» الشهير الخالص بأوزوريس أبيدوس فإن نحو خمس الأول أعاد صنعه من جديد من خشب الأرز اللبناى الحقيقى . وكان مقدمه ومؤخره مكسوآن بالذهب . وحين كان يسرى فوق الماء كان يحدث به تألقا سحرىا كالعبيد<sup>٢</sup> .

وإذا كان من العسير علينا اليوم أن نقدر ذلك البذخ المفرط الذى يسود داخل المعابد ، فلإننا نستطيع فى سر أن نتفهم نوعا آخر من الزينة وهى الحدائق . فنبلا رعسيس الثالث يفخر بأنه غرس فى طيبة أشجارا خضراء وزهورا ونبات البردى عسى أن يسرّ أمون براحتها <sup>٣</sup> . وفى مدينة رعسيس بالدلتا نرى نفس الملك يجعل طريق الإله يتألق بزهور جميع البلاد ونبات والبردى <sup>٤</sup> .

وقد أقام الكاهن الأكبر باك - ان - خونسو من عهد رعسيس الثانى حدائق فى طيبة ، ولقد كان ذوقا خاصا بهذه الفترة أن تستنبت فى المعابد من أجل الآلهة - الذين كانوا يسرون بالمر والبخور - الأشجار التى تنتج هذه الأطياب <sup>٥</sup> . وهكذا استنبتت فى طيبة بونت جديدة ( بلاد البخور ) فغمرت السماء والأرض معا بأريجها .

ورغم فخامة معابد الدولة الحديثة التى قمنا بتصويرها هنا ، فإن العبادة ظلت تحفظ طوال هذه الفترة بطابعها القديم . وظلت طقوس الخدمة اليومية على حالها . كما لم يتغير شيء مما كان يحدث فى أيام الأعياد بمحافلها ومشاهدتها . وكل ماحدث

Idem, I, 7,5 ss. (١)

Urk., IV, 98 (٢)

Harris, I, 7,12 (٣)

Idem, I, 8,4 (٤)

Urk. IV, 346; Harris, I, 7,7 (٥)

أن الكمل شيء ازداد ثراء وروعة وفخامة عما كان من قبل . ولقد رأى القارىء  
 فى الفصل السابق أن الأضياف الممتازين كانوا فى العهود القديمة لا يتسلمون سوى  
 عشرة رغفان بدلا من خمسة كان يتناولونها الآخرون ، وذلك فى مناسبة عيد موتونو ...  
 فليعقد القارىء الآن مقارنة بين ذلك وبين ما كان يعطى لنظرائهم فى عيد أقيم تمجيدا  
 لأمون خلال حكم رعحميس الثالث<sup>١</sup> .

وكان ما يقدم للإله وما يأكله المشتركون فى الحفل يتضمن وجبات حقيقية من  
 « الخبز الجيد واللحم والكعك والرقاق . وكان ذلك كله مكوّما فى سلال مختلفة  
 الأشكال تتفق ومقام الأضياف . وكانوا يحتاجون فى كل عام إلى خمسة عشر سلة  
 احتفالية ، وأكثر من خمسة وثلاثين سلة ذهبية وحوالى ٣٦٥ سلة طعام ، وعلاوة  
 على ذلك مائة وعشرين كأسا للأمرء - أى كبار الموظفين - . ولنا نستطيع أن  
 نجزم بمقدار كمية الخبز التى كانت تخصص للمشاركين فى الاحتفال ، ولكنها كانت  
 تتعدى الآلاف من غير شك .

وتبين أعمدة معبد الأقصر التى قام بزخرفتها الملك توت عنخ أمون استمرار حفل  
 كبير فى ذلك العهد وتنوّعه . ونرى فيه كيف ينتقل أمون رع من الكرنك إلى  
 الأقصر ليحتفل بعيد أوبت المشهور - الذى أخذ شهر « بابه » اسمه عنه - ولا تقدم  
 اللوحات لنا سببا لهذا العيد ، بل إنها تشير فقط إلى انتقال الإله إلى الأقصر وعودته  
 إلى الكرنك . ولما كان اسم « أوبت » الذى يحمله معبد الأقصر يعنى فى الوقت نفسه  
 كلمة « حريم » فإنه بظن أن ذلك قد يؤدى إلى أن الإله كان يذهب إلى هناك كل  
 عام ليحتفل بزواجه .

ويبدأ الاحتفال بتقدمة يفعها الملك أمام قارب أمون - أى أمام محرابه المحمول  
 ( المتنقل ) قبل أن يغادر هذا المحراب معبد الكرنك . وتقدم القرابين كذلك أمام  
 قوارب آلهته التى تكون أسرته موت وخونسو وأمام قارب الملك كذلك .  
 ثم يخرج الموكب من ضريح المعبد والكهنة يحملون القوارب فوق أكتافهم ،  
 ويجب ألا يقل عدد الذين يحملون قارب أمون عن ثلاثين . . . ثم يتقدم الملك

نفسه خلف قارب أمون ، وكان يصحب الموكب الغناء ودق الطبول ، ويتقدم المشهد جندي ينفخ في النفير .

وعند وصولهم إلى النيل كانت تنزل المواكب وركبها وكان قارب أمون يتلوه قوارب محملة بالقرايين ، ويصحب الملك والملكة الآلهة في قواربهم الخاصة الفخمة .

وأما على الشاطئ فكان هناك موكب طويل يرافق الحملة المقدسة ، والناس نصيح صياح العبطة والهلال . وكان هناك منهم المكلفون بسحب القوارب في اتجاه مضاد للتيار ، ومهما تكن صعوبة ذلك العمل فإن أولئك الذين كانوا يقومون به كانوا يؤدونه وهم مملوعون سرورا - كما تدل على ذلك النقوش - وذلك لقيامهم بخدمة الإله في عيده . وفي مكان آخر نرى جندا مع ضباطهم كما نرى في الموكب كذلك ليبيين وزنوج ، وهؤلاء يظهرون سرورهم طبقا لعادات بلادهم عن طريق الرقص والغفر . زد على ذلك ضجيج هؤلاء المتبربرين مضافا إلى ضرب الصلاصلا وترتيل أشودة قديمة ترددها جماعة من المغنيات والكهنة . وترى في الموكب مركبتان للملك ، وحين تصل القوارب إلى الأقصر يتجه الموكب بعينه نحو المعبد وعلى رأسه الكهنة ومعهم قارب أمون وخلفه الملك وحاشيته . ثم تحمل كذلك قوارب موت وخونسو . وفي وسط الحاشية العسكرية تندس جماعات فرحة من الموسيقيات والراقصات لايسات ملابس رقيقة ويقمن بحركات فيها كثير من الجرأة . . . وعلى الطريق تقام أبنية صغيرة يقدم فيها الكهنة القرايين . وفي المعبد يقوم الملك بنفسه بمراسم القرايين في الوقت الذي تنتظر الحاشية من الكهنة ورجال البلاط أمام باب قدس الأقداس .

أما العودة إلى الكرنك فتم تطبيقا لنفس البرنامج وإن اختلفت من ناحية أن القوارب في عودتها لا تحتاج لأن تسحب . وتتقدم نفس الحاشية من الجنود المصريين والليبيين والزنوج على الضفة في الطريق الذي رش باللين وهم يرددون ويمتدحون جلالته الذي سرى بأمون على الماء .

وحين تصل الآلهة إلى الكرنك يحتم الاحتفال بتقديم القرايين العظيمة .

ومن الوصف الذى قدمناه معتمدين على النقوش التى وصلتنا يظهر أن الاحتفال كان يستمر يوما واحدا فقط ، ولكن الواقع أن هذه الحفلة كانت تستغرق مدة طويلة . ولدينا من عهد تحوتمس الثالث ما يثبتنا أنها استمرت أحد عشر يوما ، كما أنها ظلت مدى ٢٤ يوما فى حكم رمسيس الثالث ١ .

ولقد رأينا من قبل أن الكهنة كانوا أصلا فى العصور القديمة من بين سكان المدن ، ونستطيع أن نقرر أنهم لم يكونوا منفصلين عن الشعب بصفة قاطعة . أما فى الدولة الحديثة فقد تغير هذا أيضا ، إذ أننا نعرف الكاهن الآن من مظهره الخارجى ، فهو لا يلبس الملابس الحديثة لعصره ، وهو يجتنب أن يرتدى ملابس



٨٢ - كاهن من الدولة

فضفاضة مثنية تغطى الجزء الأعلى من الجسم ، مما كان يفرضه الذوق العصرى على أصحاب الطبقات الرفيعة ، وبدلا من ذلك فإننا لانراه يأتزر بغير مثزر قد يطول وقد يقصر طبقا لما كان ساريا فى الدولتين القديمة والوسطى ، كما لو كان يريد الإشارة إلى أصله الذى يرجع إلى ماضى وقور . وبالمثل لم يكن الكهنة يزينون رعوسهم بشعر مستعار مصفف بطريقة فنية كما كان يتفق والطراز السائد فى الدولة الحديثة ، بل تراهم يخلقون رعوسهم ، كما أن حلاق المعبد كان موظفا من أهم موظفيه . أما سبب هذه العادة الغريبة فأتانا - كما فعل الحديثة حلق الرأس وعلى ظهره المصريون فى العصور المتأخرة - الميل إلى الطهارة الخالصة . فراه نمر (برلين ٧٢٧٨) وهكذا أصبح الكهنة الآن طبقة معينة ، وكلما ازداد عددهم فى المعابد الكبيرة ازداد شعورهم بأنهم طبقة خاصة .

ونستطيع أن نتبين بالقرب من أكبر الآلهة جميعا - أمون ٢ - ثلاثة مجاميع من الكهنة : الطبقة الدنيا وهى مكوّنة من كهنة « وعب » الذين يصحبون الإله فى مواكبهم

(١) كل ما قدمناه من وصف مأخوذ عن Walter Wolf : Das Schöne Fest von Opet Leipzig, 1931

(٢) ما يلى مأخوذ عن Lefebure: Grands Prêtres P. 14 ss

ويحملون قاربه ، وتدخل كذلك بعض الأعمال الضئيلة الشأن في اختصاصهم ، ولكنهم لم يكونوا يشتركون في طقوس العبادة ذاتها ، رغم أن بعضهم من ذوى المرتبة المرتفعة كان يسمح لهم بالدخول حتى قدس الأقداس . وفوق هؤلاء تأتي طبقة الكهنة العلماء الـ « خرحب » وهم كذلك طبقات مختلفة .

وعلى قمة الكهنوت يوجد هنا كذلك خدم الإله وآباء الإله الذين نسميهم الأنبياء وهم الذين يفتحون أبواب السماء : أى الذين يدخلون إلى قدس الأقداس ويعرفون كل أسرار الإله . ويمكن أن نميز من بينهم عدا آباء الإله المعتادين أربعة طبقات أكثر سمواً : النبيّ الأوّل ، وهو الكاهن الأكبر الذى لا يحمل هنا - بعكس أمثاله عند الآلهة الكبار - أى لقب خاص . وله نائب لكل ماهو دنيوى يسمى بالنبيّ الثانى .

وإلى جانب الكهنة كان للآلهة في الدولة الحديثة هيئة من الكاهنات لم يشغلن سوى دور ثانوى في العبادة وهن مغنيات الإله . وكان عددهن كبيراً في خدمة آمون ولقد كانت سيدات العائلات الكريمة يتشرفن بالانتماء إلى هذه المجموعة . ولما كانت الفنون التى يدخلن بها السرور إلى قلب الإله هى نفس المتع التى تمارسها فتيات الحريم أمام مولاهن ، فإن هؤلاء السيدات كن يعتبرن كأنما هن حريم الإله . ولقد رأينا منذ نهاية الدولة الوسطى هذا الاصطلاح فيما يختصّ بالإله موتو . ولقد انتصرت وجهة النظر هذه خلال الدولة الحديثة فيما يتصل بأمون . وكما هى الحال في حريم أى أمير أرضى لم تكن النساء جميعاً في مرتبة واحدة ، ونستطيع أن نثبن في حريم آمون كذلك مراتب متفاوتة ، فعلى رأسهن « الأكثر عظمة بين الحظيات » وهى عادة زوجة الكاهن الأكبر ، تلك التى يسبغ عليها هذا الشرف . ولكن توجد على رأس النساء سيدة من الأسرة المالكة ، هى زوجة الإله أو عابدة الإله ، أى الزوجة الحقيقية للإله ممثلة الإلهة موت<sup>١</sup> .

وكانت أول سيدة عرفناها ارتفعت إلى هذه المرتبة هى « إيمحوزه - نفر إيرى - والدة الملك أمنوفيس الأوّل التى اختيرت فيما بعد حامية لمدينة طيبة

(١) وقد ذهب إلى أبعد من هذا حتى أن العبارة « يد الإله » التى نشأت من أسطورة تلقح إله الشمس نفسه بنفسه (صفحة ١٠٤) ، والتي وجدت سبيلها إلى موت ، قد استعملت كذلك لقباً لزوجة الإله على الأرض

الجزرية . ولقد كانت الملكة حتشبسوت كذلك زوجة إلهية قبل اعتلائها العرش ،  
 وحينما ارتقت العرش أسبغت هذا الشرف على طفلة هي ابنتها نفرو - رع ، وعلينا  
 أن نلاحظ أن وظيفة زوجة الإله لم تكن تتطلب التزامات قاسية بمن يشغلها . وسنرى  
 في الفصل الثامن عشر كيف أصبح لهذه الوظيفة أهمية بعد ذلك ثم كيف اختفت .  
 ولنتساءل الآن ماذا كانت مهمة كاهن أمون ؟ إن سجل حياة باك - أن - خسو  
 الكاهن الأكبر خلال حكم رمسيس الثاني ( ١٢٩٢ - ١٢٢٥ ق . م ) تدلنا على  
 ذلك <sup>١</sup> ، لقد كان ابنا لثبتي ثان ، وقد تلقى تعليمه الأول في مدرسة معبد موت .  
 ومن السنة العاشرة من عمره إلى السنة الحادية والعشرين تلقى تعليما من نوع مختلف  
 نستطيع أن نصفه بأنه عسكري ، إذ أنه ألحق بالإسطبل الملكي ، وإن من يعرف  
 ماذا كانت تعنى العربات والخيول يستطيع أن يدرك لأول وهلة أنه كان عضوا  
 في فرقة المستازين . . . . . وعقب هذا الاستعداد العلماني وهذه التربية في البلاط دخل  
 خدمة أمون بصفته كاهنا « وعب » ، ولكن بعد أربع سنوات فقط انتقل إلى  
 كهنة تسمى ظلّ فيه أبا للإله مدى اثنتي عشرة سنة . وفي سنّ السابعة والثلاثين  
 صار نبيا ثالثا ، وفي سنّ الثانية والخمسين أصبح نبيا ثانيا ، وأخيرا جعل منه أمون  
 وهو في سنّ الرابعة والستين نبيه الأول ، أو بمعنى آخر كاهنه الأكبر . وقد ظلّ يشغل  
 هذه الوظيفة مدى سبعة وعشرين سنة . وقد استطاع أن يردّ للإله فضله - كخادم  
 أمين ومحترم للإله الذي نشأه كابن له - وذلك عن طريق المباني الفخمة التي نفذها  
 باسم الملك . وهو يفخر بأنه كان أبا لمرعوسيه ، وأنه كان يمدّ يده للبوساء ، وأنه  
 كان ينال تقديره الفقراء كالأغنياء ، وأنه كان يعطي لكلّ ما يستحقه ، وأنه اهتمّ  
 بجزارة من لأولاد له ، وحبى الأرامل والأيتام ، وثبّت لابن وراثته أبيه ، وأنه  
 أصغى إلى من كان يقول الصدق ، وأنه أبعد ذوى السيرة السيئة .  
 ولقد كانت هذه هي الفضائل التي اعتاد أمراء المقاطعات أن يفخروا بها في كل

(١) مأخوذ من تمثال ميونخ الذي قارنه Lefebure بتمثال آخر في القاهرة .



عصر ، والتي كان يستطيع كاهن أمون الأكبر أن يباهى بها . ألم تكن تحت إمرته إدارة متسعة جداً ؟ ومهما كان ناقصا ما لدينا من سجلات فاننا نعرف ما لا يقل عن مائة لقب لموظفين وخدم أمون<sup>١</sup> .

وكان الناس الذين يديرون ثروة أمون وحقوقه وقطعانه وثرواته من طبقة عالية جدا ، وكان لكل منهم كتابه وموظفوه الخاصون ، وكان هناك كذلك المعمارون والنقاشون والنحاتون ، كما كان هناك قائد جيوش أمون وضباطه وكل الموظفين المكلفين بتجهيز التقدّمات والأطعمة من خبازين وطباخين وحلوانية وصناع الجعة والكرامين والمزارعين ومجهزي الزيوت والبخور . وكان هناك النساجون والغزلون والصباغون والحلاقون والأطباء . ويجب ألا نهمل ذكر الموظفين المكلفين برعاية وإدارة عقار أمون كموظفي المساحة وكلاء صوامع الغلال ورؤساء الفلاحين والطحانيين وصيدى الوحوش والسماكين ، وبالاختصار كان هناك في الواقع جيش حقيقي في خدمة أمون .

وإننا نستطيع أن نكون فكرة صحيحة عن ثروة أمون ، طبقا لأرقام مستند عجيب وضع في قبر رعمسيس الثالث ( ١١٩٨ - ١١٦٦ ق . م )<sup>٢</sup> وكان أمون يملك طبقا لهذه البردية من بين ما كان يملك من أشياء أخرى : ٨١٣٢٢ عبدا ، ٤٢١٣٦٢ رأسا من الماشية ، ٦٥ مقاطعة ، ٤٣٣ خديقة ، ٨٦٨١٦٨ أورورا من الحقول ، ٩٣ قاربا ، ٤٦ مصنعا ، ويأتي بعد ذلك ٥١٦٤ تمثالا إلهيا ، ومما يدعو إلى الدهشة أنها كانت تعتبر ضمن هيئة الإدارة .

ويمكننا أن نضيف إلى رأس المال المذكور الثابت الضرائب السنوية المفروضة على ما يلي : خلال الـ ٣١ سنة من حكم رعمسيس الثالث زادت ثروة الإله بمقدار ٥١ كيلوجراما من الذهب ، ٩٩٧ من الفضة و ٢٣٩٥ من النحاس ، وكذا ٣٧٢٢ قطعة من الملابس الخ . . .

وفي الحقيقة ليس من السهل تقدير هذه الأرقام ، لأننا نجهل إن كانت العائلات

(١) قارن La liste dressée par Lefebvre : Grande Prêtres P. 41 ss.

(٢) Pap. Harris; cf. pour les passages auxquels il est fait allusion ici; Erman : Sitz, Ber. Berl. Akad. (1903) p. 14 ff.

كانت تحصى بكامل أفرادها، أم أن هذه الأعداد تمثل الرجال وحدهم . وبالمثل فإننا لانعرف المعنى الذى تشير إليه كلمة « مقاطعة » ، ونفس الصعوبة نلقاها فيما يخص الحقول والماشية . ومع ذلك فإننا نستطيع أن نذكر أنه كانت هناك ثروة طائلة ، لأن الحقول لم تكن تقل مساحتها عن ٢٣٩٣ كيلو مترا مربعا ١ .

ولعل الأمر يكون أكثر وضوحا إن نحن قارنا ثروة أمون بما يتصل من إشارات للمعابد الأخرى الكبيرة ، فلم يكن هليوبوليس سوى ١٢٩٦٣ من الرعايا ، ١٦٠٠٨٤ أورورا من الحقول . كما أن منفيس كان لها من الرعايا ٣٠٧٩ ، ومن الأورورا ١٠٠٤٨ . وهكذا كان أمون يمتلك ستة أمثال رعايا هليوبوليس وستة وعشرين ضعفا لمنف . وبالنسبة للحقول كان لأمون خمسة أمثال هليوبوليس ، ٨٦٠ ضعفا أكثر من منفيس ولم تكن هذه الثروة هائلة بهذه الصورة دائما ، بل إن كثيرا من العطايا التى كانت تقدم لأمون كانت تفقد ، مثل المدن السورية الثلاثة التى أهداها إياه تحوتمس الثالث فى غزواته . وبالمثل كانت سلطة الكاهن الأكبر تحدها الدولة أحيانا . ونستطيع أن نتصور أن السلطة المدنية كانت تتعارض دائما مع السلطة الدينية . فكان الكهنة مكبوتين حين تقوم حكومة قوية . . . وأما فى عهد الحكومات الضعيفة فان سلطة الكاهن الأكبر كانت تزداد ٢ ، ومن المؤكد أن الأمر لم يكن محض صدفة إن نحن وجدنا فى فترة المشاحنات على العرش التى أعقبت موت تحوتمس الأول ( ١٥٠١ ق . م ) كاهنا أكبر لم يكن نبي أمون الأول ومدير كل أعماله وأملاكه فحسب ، بل وأكثر من ذلك رئيس المغايد وكل أنبياء البلاد جميعا . . .

(١) لسانا نعرف على التحقيق فى أى عصر بالغ الملوكة فى زيادة أملاك أمون إلى حد الإفراط على هذا النحو ، على أن هناك أمرا واضحا ، وهو أنه منذ الأسرة التاسعة عشرة لم يبق هناك مساحة كبيرة من الأرض فى مصر يستطيع أن توجه إلى الآلهة حتى إنه حين أقام سيق الأول (جوانى ١٣٠٠ ق . م) معبده الفسخم فى أيديوس اعظم إلى يهيم أرضيا فى النوبة ( انظر الفصل العشرين ) .

(٢) إن كل ما يلى منقول عن Lefebvre, Grands Prêtres. ما دام لم يبق له ذكر فى مصادر أخرى

وبالتالى الرئيس الأعلى للكنيسة المصرية . وعلاوة على ذلك كان لهذا « حاوسنب » وظائف علمانية ضخمة جدا ، فهو وزير وحاكم الجنوب ، وهناك ألقاب أخرى فى البلاط ترينا أية شخصية عظيمة كانتها ذلك الرجل .

وفى الواقع لم يكن لكل الكهنة العظام هذه السلطة الفائقة ، وكان الاستمتاع بثروة أمون محدودا فى بعض الأحيان ، ولم يكن لجميع الكهنة العظام السلطة العليا على مجموعة الكهنة <sup>١</sup> .

ويبين لنا أحد النقوش من عهد رمسيس الثانى أن الملك كان له أن يبدى رأيه فى اختيار الكاهن الأكبر ، وهو اختيار كان يرجع من الناحية الرسمية ، إلى الإله وحده ، وفى السنة الأولى من حكمه ظلت وظيفة الكاهن الأكبر شاغرة ، وقد شغله الملك بنفسه <sup>٢</sup> وأدار حقله عيد أويت بصفته النبي الأول ، ثم شغل باختيار كاهن أكبر جديد فدعى أمام أمون لأرجال البلاط جميعا وأنبياء كل الآلهة وكبار رجال بيته وقائد الجيوش ، وكل الذين كانوا مجتمعين أمام وجهه ، ولكن أمون لم يوافق على واحد من بينهم إلا حينما ذكر الملك اسم « نب - أونف » أمامه خوفاً أمون . وكان « نب أونف » نبيا أول لأونوريس ، ونبيا أول لخاتحور دنبرة . وعند عودته من العيد نزل الملك فى تيس وأعلن لنب أونف اختياره ، فصار منذ ذلك الوقت نبيا أول لأمون ، وستكون إدارة أمون كلها بين يديه ، وقد انتشر هذا النبأ فى البلاد جميعا عن طريق رسول خاص . وقد منح الملك ابن نب أونف وظيفة أبيه ككاهن أكبر لدنبرة <sup>٣</sup> .

ونحن نرعى كيف أدار الملك أمر اختيار أمون . . . فقد وقع حقا على رجل كانت للملك فيه ثقة خاصة . وكان هؤلاء الذين يختارهم الملك يدركون تماما أن وظائفهم ترفعهم أكثر بكثير عن باقى الأفراد ، وأن لهم الحق فى تشريف أكثر مما يناله غيرهم .

(١) فى عهد المرطقة انتقلت هذه السلطة إلى الوزير ، انظر Lefebure, Grands Prêtres, p. 114

(٢) منقولة عن نقوش وجدنا فى الكرنك cf. Sethe, *Æ. Z.*, 58, 54

(٣) Sethe : *Æ. Z.* 44, 30 ss.

وفي آخر الأسرة التاسعة عشرة نرى أن الكاهن الأكبر « روم » المسمى « روى » يفرض نفسه بطريقة غير معهودة ، فقد قام بتوسيع منزل الكاهن الأكبر الذى لا يبعد كثيرا عن البحيرة المقدسة ، والذى كان قد قام ببنائه سيروستريس الأول ( ١٩٥٠ ق م ) وقد مثل نفسه فى هذا الجزء من المعبد حيث كان من المعتاد أن يسمح بصورة الملك وحدها أن تظهر فى المعبد ، وبعد نصف قرن تقريبا - فى عهد رعمسيس التاسع - نجد فى نفس الجزء من المعبد صورا تمثل كاهنا أكبر أكثر غرورا من هذا . وهى تبين الكاهن الأكبر أمنحتب يسبغ الملك عليه تكريما لاحد له ورعاية عجيبة <sup>١</sup> ، وهو يمثل - بعكس المعتاد فى النظام المصرى - فى نفس الحجم الذى للملك ، بينما تظهر الشخصيات الأخرى فى اللوحة صغيرة . ولنلاحظ كذلك أنه هو الكاهن الأكبر الذى يقوم بالتقدمة لأمون وليس الملك . وفى النقوش يفخر أمنحتب ببنائه مبنى ضخما ، وأنه جدد مسكن الكاهن الأكبر فى كل روعته وبهائه . بل هو يقصّ علينا أمرا أشدّ خطورة من ذلك ، هو أن كل ضرائب أمون التى كان يتسلمها حتى ذلك الوقت بواسطة الملك لم يعد الإله يتسلمها عن ذلك الطريق إذا استطعنا أن نفهم الموقف تماما كان هناك صراع من ناحية الكهنة يهدّد سلطة الدولة . والواقع إن خليفته الكاهن الأكبر حريحور وضع حدا لهذه الحكومة المزدوجة واستطاع أن يعتلى العرش كما سنرى ذلك فى الفصل الثامن عشر .

(١) وقد قدم له الملك كذلك هدايا ذات قيمة كبيرة .

## الفصل الرابع عشر

### العقائد الجنائزية

لئن كان الشعب المصرى يختلف فى شىء عن غيره من الشعوب ، فإنما ذلك فى العناية التى كان يوجهها إلى موته<sup>١</sup> . فقد كان اليهود أو الإغريق لا يتحدّثون كثيرا عن مصير موتاهم ، بل لقد كانوا يتحرّجون من الحديث عنهم ، على حين كان المصريون يفكرون فيهم بغير انقطاع ، ولا يدّخرون وسعا فى العناية بهم والاهتمام بسعادتهم ، كما كانوا يودون ألا تفنى ذكراهم<sup>٢</sup> . ومن المحقق أنه لم يكن هذه العناية من سبب فى بداية الأمر غير السبب الطبيعى الذى تشترك فيه الإنسانية عامة ، ألا وهو حبّ الأهل وذوى القرى . فكما تجب رعاية المسنين والأطفال الذين لا يستطيعون العناية بأنفسهم ، فإن من الواجب كذلك رعاية الموتى المساكين الذين لا عون لهم . حقا لم يكن فى الاستطاعة أن تكون قبورهم أكثر من حفر بسيطة لسكنائهم ، ومع ذلك فقد كان فى الإمكان أن يودع فيها سائر ما يحتاجون إليه من طعام ، وما يدخل على قلوبهم البهجة والسرور ، وهو ما نجد فى مقابر ما قبل التاريخ فى مصر .

على أن الأمر فى مصر لم يقف عند حدّ هذه العناية البسيطة بالموتى ، وإنما أخذت هذه العناية تزداد بازدهار الحضارة المصرية ، حتى بلغت حدّ المغالاة والسفه . أجل لقد شيدت شعوب أخرى لعبادة الآلهة أو للأغراض العملية من العمائر ما يمكن أن يضارع عمائر مصر الضخمة ، غير أنه ليس فى العالم مقابر تماثل الأهرامات العظيمة ، أو المقابر المحفورة فى الصخر فى طيبة ، كما أنه لم تودع فى مقابر الموتى فى أى مكان

(١) من الممكن أن تكون هذه العناية قد نشأت من استقرار المصريين فى بلادهم منذ أقدم الأزمنة .

(٢) لا ينبغى أن نسوى بين هذه العناية بذكري الموتى وبين الفخر بالأجداد بالمطام بما يميز كذلك بعض الشعوب الأخرى ، وذلك لأنه منذ انتشار الكتابة فى مصر لم يكن حتى الصعلوك من الناس ليُدسّر وسعا فى « إحياء » أسماء ذوى قرباه من لم يكونوا أقل منه خولا فى الذكر .

آخر ودائع وافرة قيّمة يمثل ما أودع في مقابر المصريين . ولم يكن الشعب المصرى ليبدل مثل هذه الجهود مدى ثلاثة آلاف سنة ، لو لم تكن قد نشأت تدريجيا إلى جانب العامل الأصلي ، وهو التقوى ، عوامل أخرى تتجلى فيما تصوّره المصريون عن العالم الثانى وعن حياة الموتى ، وهى تصوّرات لا يزال من الممكن ترسيمها فى الأدب الجنائزى القديم الذى تخلف لنا بكثرة لا تكاد تحصى .

وهو فى الحقّ ليس أدبا بالمعنى المعتاد ، أو هو كذلك فى أصغر أجزائه فقط ، إذ أغلبه أوراد قصيرة أو طويلة ، جرت العادة بتلاوتها عند إعداد الخنة ودفنها ، وعند إطعام الميت وتقديم العطايا إليه ، وعند ما تراءى حمايته من كل سوء بالبدعاء والسحر .

وقد جرينا الآن على تقسيم هذه الأوراد إلى ثلاث مجموعات كبيرة ، وذلك بالنسبة لعهد كل منها وأسلوب كتابتها ، وهى « متون الأهرام »<sup>١</sup> التى ظهرت فى مقابر ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة ، و « متون التوابيت »<sup>٢</sup> ، وكانت تكتب فى الدولة الوسطى على الخدران الداخلىة لكثير من التوابيت ، و « كتاب الموتى »<sup>٣</sup> ، وهو أوراد كانت تكتب على قرطاس من البردى توضع إلى جانب الميت منذ الدولة الحديثة . ومع أن متون التوابيت وكتاب الموتى يتضمنان — على وجه التأكيد — كثيرا من الأوراد التى يرجع عهدها إلى أقدم العصور ، إلا أن متون

(١) وهى معروفة منذ عام ١٨٨٠ ، وقد نشرها ماسيرو عام ١٨٨٢ ، ومعها ترجمة تدل على نبوغ كبير ، ولكنها بطبيعتها الحال غير صالحة لأن يعتمد عليها فى الوقت الحاضر . وقد نشرها زيتا بتدقيق كبير . Leipzig, Heinrichs, 1908 ff.

(٢) وقد نشر بعضها ليسيوس ولاكو وغيرهما ، انظر :

Lepsius, Aelteste Texte des Totenbuches; Lacau, Textes religieux

ويعمل طائفة من الأمريكان والإنجليز على نشرها كاملة .

(٣) نشرها لأول مرة ليسيوس (سنة ١٨٤٢) ، ثم قام نازيل بطبيعتها طبعة كإمالة وفق كتابات الدولة الحديثة . وفضلا عن ذلك فقد نشرت كثير من نصوصه . ودرس جرابوزيتا بعض أوراده . (Grapow, Religioesé Urkunden, Leipzig 1915 ff.; Sethe, A.E. Z. 57, I ff.) وفى الدولة الحديثة كانت أوراد هذا الكتاب تكتب على أوراق بردية كانت تؤلف مما كتابا متسقا ، ولكن لم يكن لهذا من سبب ، كما لاحظ لاكو بحق ، غير أن الشكل المادى للتأبوت فى ذلك الوقت لم يعد يسمح بمكان مناسب لهذه الأوراد الكثيرة . . .

الأهرام هي التي احتفظت بالطابع الأصلي في أثنى وأصدق صورة . لهذا فإن علينا أن نتجه إليها قبل أى شئ آخر إذا أردنا أن نعرف أفكار المصريين في أقدم عصورهم عن الموتى وعن مصائرهم .

ومع هذا فلن نفيد من متون الأهرام جوابا واضحا غير مبهم عن كل ما يعنى لنا من أسئلة ، وذلك لأن الأوراد التي تتألف منها — وهي أكثر من سبعمائة ورد ، قد نشأت في مناطق مختلفة من مصر ١ ، كما أنها ترجع بالتأكيد إلى عصور مختلفة جدا الاختلاف ٢ . بل لقد يشتمل الورد الواحد على موضوعات غير متجانسة ولا متسقة ، وذلك لأن الكهنة الذين « كانوا يرتلون الكلم » ٣ عند المقابر كانوا يجرون في ذلك على نحو ما يجرى في أى مكان آخر من العالم ، فكانوا يرتلونه من الذاكرة بحيث كانوا يجمعون بمحض اختيارهم بين الآيات والعبارات التي تجرى بها ألسنتهم في سهولة كبيرة ، وذلك تقريبا على نحو ما يجمع رجال الدين الآن بين آيات التوراة وبين الأغاني الدينية . ولم يكن من المهم أن تكون هذه الآيات متجانسة دائما في موضوعاتها تمام التجانس ، طالما هي في مجموعها تتحدث عن أشياء متشابهة ؛ وغاية ما كان يعنى به أن يكون لما يتلى جمال ورنين موسيقى . ولم يكن مما يعيب أن كثيرا من هذه الأوراد المختارة ليست — بالتحقيق — معدة في الأصل للموتى ، فن

(١) وعلى نحو ملاحظ برستد (Breasted, Development) يبدو أن معظم هذه الأوراد نشأ في الوجه القبلي ، وخاصة تلك الأوراد التي يعتبر فيها الوجه البحرى بلادا معادية (الأوراد ٢٣٩ ، ٢٧٤ ، ٥٧٤ ، ٦٨١) . وعلى عكس هذا نشأ الوردان ٢٢١ ، ٥٠٨ في الدلتا ، والورد ٣٠٧ (وغيره كذلك بالأكيد) في هليوبوليس .

(٢) إن الأوراد المذكورة في الملاحظة السابقة التي لا يزال ملوك الوجه البحرى وتيجانهم يبدو فيها كأنهم كانتات معادية ، لابد أن تكون قد نشأت في ذلك العهد السحيق الذي كانت فيه مصر لا تزال تتألف من ملكيتين منفصلتين . أما عن أغلب متون الأهرام فيمكننا أن نقول إنها كانت في أواخر النولة القديمة ذات ماض طويل ، تعرضت فيه لتغييرات كثيرة . ولقد ظن بحق أن هذه التغييرات قد حدثت كذلك في العصر الذي سجلت فيه في المقابر الملكية ؛ أجل إنه يمكن أن تكون بعض المتون التي وردت في هرم نفر كارح ، والتي تنقص في هرم أوناس قد نشأت في القرن الذي يفرق بينهما .

(٣) يوجد هذا النص في مقدمة كل ورد للدلالة على أن الغرض إنما هو تلوته .

الأوراد ما تعلق بملك حى وبمدى سلطانه <sup>١</sup> ، ومنها ما يبدو أنه كان يختص بالاحتفال بمدينة شيدها الملك <sup>٢</sup> ؛ ومنها أوراد ضد السباع التى لم يكن على الميت ألا يخشى بأسها <sup>٣</sup> ، غير أنها اضلت طريقها بين عزائم السحر ضد الأفاعى التى ربما كان للميت أن يخشاها فى قبره .

وتدور الأوراد فى متون الأهرام فى مجموعها حول الملك المتوفى الذى ينبغى أن تعنى الآلهة بشخصه المقدس بعد موته ؛ على أن من بينها كذلك أورادا كثيرة تدل فى الأصل على مصير أكثر تواضعا ، فهى تتضمن ما يفيد بأن الميت يرقد فى الأرض والتراب أو فى الرمل <sup>٤</sup> ، أى أنه ليس له قبر من اللبن على نحو ما كان للملوك القدامى وغيرهم من الأشراف <sup>٥</sup> . وهناك ورد آخر يمتدح فيه الميت بأنه لم يذنب فى حق الملك أبدا ، وبهذا لا يمكن أن يكون الميت نفسه هو الملك <sup>٦</sup> .

وفى عدا ذلك ، لقد حرفت متون الأهرام فى بعض أجزائها بسبب ميول وأغراض خاصة ، فقد أخذ أوزيريس مكانة إله الشمس وإله السماء ، وقد كانا من آلهة الموقى الأقدمين .

ومع هذه الصعاب جميعا ، فإن الأوراد الجنائزية القديمة لا تكشف إلا عن القليل من التصورات الأولى ، ولا يمكن أن يكون الأمر على غير ذلك ، لأن أقدم ما نعرف من أوراد يرجع حقا إلى عهد ذى حضارة معينة .

وكان معتقدا أن الموقى يقيمون فى مقابرهم أو فى عالم خاص بهم ، وكان موتهم يفسر بأن قوة خاصة كانت تلازمهم فى حياتهم ، وتسمى « الكا » ، قد هجرتهم . ويستقبل كل إنسان هذه « الكا » عند مولده ، وذلك بأمر من الإله رع <sup>٧</sup> ،

(١) الفقرة ١٨٣٧ . من متون الأهرام .

(٢) الورد ٥٨٧ ، هل المقصود من ذلك المدينة التابعة للهرم ؟

(٣) الأوراد ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ من متون الأهرام .

(٤) الفقرات ٦٥٤ ، ٧٤٧ ، ١٣٦٣ ، ١٧٢٢ ، ١٨٧٨ ، ٢٠٠٨ من متون الأهرام .

(٥) يبدو هذا شيئا مسلما به فى الفقرة ٥٧٢ .

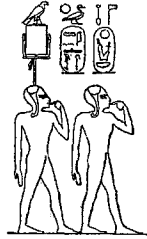
(٦) الفقرة ٨٩٢ من متون الأهرام .

(٧) Zauberspr. f. Mutter u. Kind, S. 26-27



وما دامت معه هذه الكا ، وما دام هو « رب الكا » وأنه « يغدو معها » ، فهو حتى يبرزق<sup>١</sup> . ولئن كان أحد لا يستطيع رؤية هذه الكا ، فالمعتقد أنها تشبه صاحبها تماما .

وقد ورد أنه عند ما خلق إله الشمس في بداية نشأته أول إلهين ، وذلك بأن تفلهما ، فقد « وضع ذراعيه من ورائهما » ، ففاضت عليهما الكا ، التي كانت له ، ودبت فيهما الحياة<sup>٢</sup> . ولا بد أن وضع الذراعين على هذا النحو كان ذا صلة بمنح الكا ، لأن الذراعين الممتدتين كانا رمزا للكا منذ أقدم الأزمان . فإذا مات الإنسان هجرته الكا ، على أنه كان يرجى منها أن تظل معنية بالجنس الذي سكنته . أمدا طويلا ، وأن تكون إلى جانب الميت من وقت إلى آخر على الأقل ، وأن تبادر إلى مساعدته إذا دعاها<sup>٣</sup> ؛ وقد



٨٣ - الملك امنحوتب الثالث طفلا ومن ورائه الكا ( من معبد الأقصر )

جاء في كتابة متأخرة<sup>٤</sup> : « إنك تعيش سعيدا أبدا وبجانبك الكا التي لك ، إنها لن تهجرك أبدا » .

لذلك كان ينعت القبر بأنه « دار الكا » ، كما كانت تقدم الأطعمة وفقا لصيغة القربان الشائعة إلى « كا » الميت . وقد طفقت تلك الفكرة الغامضة عن الكا تتطور فيما بعد ، فكانت الكا تعتبر تارة كأنها كائن إلهي ، كما يدل على ذلك رسم لفظها في اللغة المصرية القديمة ، وتارة كأنها الملاك الحارس ، الذي يهيم بالإنسان ، ويعنى بأمره ، وتارة كانت الكاهي التي تلد الابن<sup>٥</sup> . وفي أحيان أخرى كانت « الكاوات

(١) انظر مثلا الفقرة ٩٠٦ من متون الأهرام ( أصحاب الكاوات = الأحياء ) L. D. III. 17 e  
كل الكاوات الحية = كل الناس ) ؛ أثر سيبك حنوب في اللوفر « إنه معاني وسعيد بما له من كا =  
إنه حتى ) .

Mar. Abyd. tabl. 16 (٢)

(٣) فقرة ٦٣ من متون الأهرام .

Urk. IV 499. (٤)

(٥) Prisse 7, 11 (Litt. S. 91)

الحياة « تعبيراً رشيقياً يوصف به الناس <sup>١</sup> ؛ وتارة أخرى كانت الكاوات تعبر عن قوى الحياة ، أى عن الأطعمة <sup>٢</sup> ، أو كانت سائر النعم التى يتصرف فيها إله الشمس .  
وفضلاً عن ذلك فقد كان لفظ الكا يحشر بكثرة في مختلف التراكيب والجمل .



٨٤ - الروح  
(برلين ٤٦٧٩)

وإلى جانب هذه الكا ، التى ظلت دائماً كائناً غامضاً غير محدود ، على كثرة دورانه على اللسان ، فكر المصريون في الروح -- وكانوا يسمونها « يا » -- وقد تصوروا في مختلف الأشكال . وهى إذ كانت ترك الجسد ، وتنفلت منه عند الموت ، فقد تخيلوها عادة كأنها طائر . وربما تمثلوا الميت المبكى عليه بين الطيور التى تستقر على الأشجار التى غرسها بنفسه من قبل . وقد فكر آخرون في زهرة اللوتس التى تتفتح أمامها وهى تطفو فوق سطح البحيرة أثناء الليل ، فراحوا يتساءلون عن الميت : ألا يتمثل في هذه الزهرة ؟ وفكر فريق آخر في الثعبان الذى يندفع من جحره في غموض كأنه « ابن الأرض » أو في التمساح الذى يزحف من الماء إلى الأرض كأنه ينتمى حقاً إلى عالم الأرض . ومن ذا يعلم إن كانت الروح لا تستطيع أن « تتخذ هذه الأشكال » جميعاً « وما تريد » من أشكال كثيرة أخرى ، وأنها لا تستطيع أن تستقر اليوم هنا وغداً هناك « في أى مكان تشاء » <sup>٣</sup> ؟  
أما من كان يسرح بفكره إلى أبعد من هذا ، ويتفكر في عالم الأحياء ، وفيما يمكن أن يكون إلى جانبه من عالم آخر مماثل للموتى ، فانه لم يكن ليثبت طويلاً حتى يخطر بباله أين ينبغي أن يوجد عالم الموتى هذا . إنه كان يرى الشمس كل مساء تغيب في الغرب لتبدو من جديد في الشرق عند الصباح ، وعلى ذلك فلا بد أن تكون قد نجابت في الليل علماً سفلياً ، أى سماء ثالثة من أسفل الأرض ، لذلك كان من

Urk IV. 245 (١)

Tall Amarna II, 7; III, 16; Harris I, 44, 6 (٢) انظر مثلاً :

(٣) لا سبيل إلى الشك في قلم هذه التصورات الشعبية وإن كانت لا تعرف إلا في كتاب الموتى

(الفصول ٧٧ - ٨٨) .

السير الادعاء بأن هذا العالم الذى لا يدخله الأحياء هو عالم الموتى . وعلى نحو ماتصنع الشمس ذهب الظن إلى أن الموتى يهبطون في الغرب ويعيشون في عالم مظلم ، لا يتألق فيه نور ، إلا إذا مضت من فوقهم الشمس في رحلتها بالليل . وقد شاع هذا التصور بين المصريين في وقت مبكر ، وأدى إلى تسمية عالم الموتى باسم « الغرب » ، وتسمية الموتى « بأهل الغرب » . وقد تصوروا أحد آلهة الموتى القديمة حاكما على الغرب ، وهو « أول أهل الغرب » أو سكر من منف .

وواقع الأمر أن واحدة من هذه الصور التي للحياة بعد الموت لم تكن لتعتبر نهاية سعيدة ، فسواء قضى الإنسان حياته تحت الأرض أو فوق سطحها في أشكال مختلفة ، فإن هذا لم يكن يعدو أن يكون وجودا محزنا وحياة غير صحيحة . لهذا تساءل منذ وقت مبكر ذوو الأطماع الطامحون عن هذا المصير ، أهو نهاية كل إنسان حقا ؟ لئن كان إلى جانب الجمع الغفير من الفقراء والمساكين على سطح الأرض أغنياء وأصحاب سلطان ، فإن الجمع لا يمكن كذلك أن يتساووا بعد الموت . حقا إنه لا بد أن يكون هناك وجود أفضل ومقرّ أحسن للأرواح الممتازة « التي ينبغي أن تعيش وفقا لأمر الآلهة » ، وخاصة للملوك الذين كانوا يعتبرون في حياتهم كأنهم آلهة . لقد كان هذا المقرّ في السماء حيث تصور المصريون عالما ثانيا للموتى ، أطلقوا عليه اسم دوات ، على أن هذا الاسم قد أصبح يطلق كذلك في العصور المتأخرة على عالم الموتى السفلى .

وكان المصريون يرون النجوم تجوب الليل في جلال سافر ، تتميز به سماء بلادهم ، وكانوا يعرفون منها بعضها ، مما كان له في نفوسهم وقع خاص كالشعري الثمانية والحبارة ونجمة الصباح ، وقد ذهب الرأى بهم إلى أنها آلهة تركت الأرض على نحو ما فعل إله الشمس . أما هذا العدد الذى لا يتناهى من النجوم التي لا اسم لها ، والتي تحيط بتلك النجوم القليلة فما عساه يكون ؟ لانزاع في أن هذه النجوم ماهى إلا موتى أو أرواح سعيدة وجدت طريقها إلى السماء حيث ظلت في سناء دائم إلى جانب الآلهة . لقد مدّ إليهم يده « الإله العظيم ، سيد السماء » ( أى الإله رع ) ، أو لقد

أخذتهم إليها إلهة السماء<sup>١</sup> ونظمتهم بين « ما لا يفنى » من نجوم جسدتها ، وقد يتمثل الميت في شكل « ذلك النجم الوحيد الذى يشرق فى الجانب الشرقى من السماء »<sup>٢</sup> .  
والذى يجوب السماء فى صحبة الجبار والشعري الثمانية<sup>٣</sup> .  
ولم يلبث أن شغل خيال الشعب فى حيوية وافرة بتزويق فكرة الوجود السماوى للموتى الممتازين ، وفيما يلى من متون الأهرام ما يعرض مدى مانشأ عن ذلك من صورة مرقشة متناقضة .

فالميت يطير فى شكل طائر إلى السماء : « إنه يغدو إلى السماء كالصقور وريشه كريش الإوزة<sup>٤</sup> ، إنه يتدفع إلى السماء كالكركى ، ويقبل السماء كالصقر ، ويقفز إلى السماء كالجرادة<sup>٥</sup> . وهكذا يطير من بينكم أيها الناس ، إنه لم يعد على الأرض إنه فى السماء<sup>٦</sup> ، إلى جانب إخوته الآلهة » ، حيث تمدّ إليه إلهة السماء يديها . « أى رع ، إنه عند ما يصعد نحو السماء إليك برأس صقر وجناحى إوزة . . . فإنه يحرك الذراعين كالإوزة ، ويضرب بجناحيه كالطائر . أيها الناس ، إنه يطير من يطير هناك ، وهذا يطير عنكم<sup>٧</sup> . وفى السماء تقيمه الإلهة نوت عليها « نجما لا يفنى<sup>٨</sup> » ، إنها هى التى صنعت حياته ، إنها هى التى ولدته ، إنه فى الليل يُحمل به ، وفى الليل يولد ، إنه ينتسب لأولئك الذين يقفون من وراء رع ، ولأولئك الذين يقفون من أمام نجمة الصباح<sup>٩</sup> . إنه يبحر إلى الجانب الشرقى من السماء ، إلى المكان الذى تولد فيه الآلهة ، والذى فيه يولد هو معهم ، متجددة قواه ، عائدا إلى الشباب<sup>١٠</sup> .

(١) ولما كانت نوت تعتبر كذلك حامية للموتى فقد كان يوجد فى الدولة القديمة كهنة « لأنوبيس

ونوت » انظر L. D. II, 18 ff.; Kairo 1431

- (٢) متون الأهرام فقرة ٨٧٧ .
- (٣) متون الأهرام ، فقرة ٨٢١ ، ٨٢٢ .
- (٤) متون الأهرام ، فقرة ٩١٣ .
- (٥) متون الأهرام ، فقرة ٨٩١ .
- (٦) متون الأهرام ، فقرة ٨٩٠ .
- (٧) متون الأهرام ، ٤٦١ ، ٤٦٣ .
- (٨) متون الأهرام ، فقرة ٧٨٢ .
- (٩) متون الأهرام ، فقرة ١٣١ - ١٣٢ .
- (١٠) متون الأهرام ، فقرة ٣٥٣ .

أجل إنه يلتقي بضروب مختلفة من الآلهة والنجوم تستطيع اعتراض سبيله ، على أن أحدا لا يستطيع أن يصدّه عنه : « فليس هناك إله يمسكه دون سبيله ، وليس هناك معترض يعترضه في طريقه<sup>١</sup> . وقد يسأله نور عظيم وهو يهدده بقربه : « أين يذهب إذن ؟ » فيكون الجواب على ذلك : « إنه يذهب إلى السماء وقد ملئ بقوى الحياة ليرى أباه ، ليرى رع » ، وبهذا يدعه ذلك الكائن الخفيف يمضي إلى سبيله<sup>٢</sup> . ويتلقى إله الشمس ، ساكن السماء الحديد في عطف ومودّة ، ويقول له : « إني أمْنَحُكَ منطقتك وجسدك ، وإنك لتتخذ شكل إله<sup>٣</sup> » « ويجعل جسده يضيء » كأجساد أهل السماء<sup>٤</sup> ، ثم يدعه يجذف في سفينته الخاصة<sup>٥</sup> ، أو يهبط له مكانا في « مقدمها ويبجر به القائمون على الدفة الذين يبحرون برع<sup>٦</sup> » ، وقد يجعله على رأس مجدفيه<sup>٧</sup> ، بل قد يطرد كاتبه السماوى الخاص ، ويجعل الميت « في مكانه<sup>٨</sup> ، » ليقضى ويكون فيصلا ، ويعطى الأمر إلى من هو أعظم منه<sup>٩</sup> . وهكذا يبحر عبر السماء رفقا لإله الشمس ، « فيبتهج كل إله عند ما يدنو<sup>١٠</sup> . وحتى تحوت إله القمر فإنه يعين الميت مثل هذا العون ، فيأخذه في سفينته بالليل وهكذا » يجوب السماء مثل رع ، ويجوب السماء مثل تحوت<sup>١١</sup> .

وهذه المغالاة في تصوّر ما للميت الممجّد من سلطان في السماء ، كما يتجلى في كثير مما سقناه من عبارات ، تطالعنا في صورة أقوى في أوراد أخرى من متون

- (١) متون الأهرام ، فقرة ١٢٣٧ .
- (٢) متون الأهرام ، فقرة ٩١٤ ، ٩١٥ .
- (٣) متون الأهرام ، فقرة ٧٦٢ .
- (٤) دعاء الشمس في Mar. Abyd. II, 14 .
- (٥) متون الأهرام ، فقرة ٨٨٩ .
- (٦) متون الأهرام فقرة ٧١٠ - ٧١١ .
- (٧) متون الأهرام ، فقرة ٩٢٢ .
- (٨) متون الأهرام ، فقرة ٩٥٤ ، ٩٥٥ .
- (٩) متون الأهرام ، فقرة ٧١٢ ، ٧١٣ .
- (١٠) متون الأهرام ، فقرة ٩٢٣ .
- (١١) متون الأهرام ، فقرة ١٣٠ .

الأهرام . فالملك المتوفى ليس بإنسان ، إذ « أبأوه ليسوا من البشر : وأمهاته لسن من الناس »<sup>١</sup> ، وإنما هو بعبارة بسيطة إله . إنه تحوت « أقوى الآلهة »<sup>٢</sup> . أو هو « أونج (أى شو) ابن رع ، الذى يحمل السماء ويزعم الأرض ويقضى بين الآلهة »<sup>٣</sup> . طوبى للذين يرونه وهو متوج بحلية رع وعليه نقبته كحناخور<sup>٤</sup> . إنه يغدو إلى السماء فيجد رع واقفا . . . فيجلس إلى جانبه ، ولا يسمح له رع بأن يرتقى على الأرض ، لأنه يعلم حقا أنه أعظم منه<sup>٥</sup> . كما يعلم أن هذا « الممجد الذى لا ينفى » هو ابنه ، فيبعث الرسل من الآلهة ليعلنوا إلى سكان السماء ، أنه قد ظهر لحم ملك جديد : « أى سنت ونفتيس ! أسرعا وأعلننا إلى آلهة الجنوب وممجدتهم : « قد أتى ممجد لا ينفى ، إنه إذا شاء لكم الموت فإنكم تموتون . وإذا شاء لكم الحياة فإنكم تعيشون » . وعلى نحو مماثل ينبغى أن يتجه أوزيريس وإيزيس إلى الشمال وتحوت إلى الغرب وحورس إلى الشرق ، ثم يقال بعد ذلك : « أى رع أتوم : إن ابنك يغدو إليك ، إنه يغدو إليك ، إنك تسكنه عندك وتضمه بين ذراعيك ، إنه ابنك من جسدك إلى الأبد »<sup>٦</sup> .

وتصحو الآلهة من نومها مذعورة : « من الطائر العظيم الذى يأتي من النيل . من الإله ابن آوى الذى يخرج من شجرة الأثل »<sup>٧</sup> . وذلك لأن الميت قد ظهر بينهم فجأة كما يخرج الطائر من الماء ، وكما يبرق ابن آوى من الأجمة .

(١) متون الأهرام ، فقرة ٨٠٩ .

(٢) متون الأهرام ، فقرة ١٢٣٧ - إن من يرى هذه التمجيدات المسرفة للميت المبرور « وفى سرورية » ، من شأنها أن تجعل من الملك المتوفى إلها ، فانه ينفى فهم الطابع الشرى لهذه النصوص . وتعاونيد العمابين فى متون الأهرام تعرفنا بما فيه الكفاية كيف تبدو رقى السحر الحقيقية .

(٣) متون الأهرام ، فقرة ٩٥٢ .

(٤) متون الأهرام ، فقرة ٥٤٦ .

(٥) متون الأهرام ، فقرة ٨١٢ - ٨١٣ .

(٦) متون الأهرام ، فقرة ١٥٣ - ١٦٠ .

(٧) متون الأهرام ، فقرة ١٢٦ .

ويبلغ الإغراق في المغالاة أبعد مداه في النصّ التالى<sup>١</sup> ، الذى يصوّر فيه الخيال الجامح الميت كصائد يتصيد نجوم السماء ، ويلتهم الآلهة والممجدين : « إن السماء تمطر . وإن النجوم لتضطرب ، والسهام لتضلّ طريقها هنا وهناك ، وعظام اكرو ترتجف . . . وقد رأته يبلو وله روح كأنه إله ، يعيش على آبائه ويتغذى بأمهاته . . . إن جلاله في السماء ، وقوته في الأفق ، على نحو أبيه أتوم الذى ولده ، إنه ولده أقوى منه هو نفسه . . . إنه هو الذى يتغذى بالبشر ، ويعيش على الآلهة ، يصيدها له القابض على الهامات والإميتكحاو ، ويجرسها ويسوقها إليه ذو الرأس الجليل ، ويقيدها له حرى - تروت ، ويطعنها له ويستخرج ما فى بطونها الراكض ذو السكاكين العديدة . . . ويقطّعها له شمو ، ويطبخ منها فى قدور المساء . إنه هو الذى يأكل سحرهم ، وابتلع أرواحهم . إن كبارهم لطعامه فى الصباح ، وأوساطهم لأكلة المساء ، وصغارهم لعشائه بالليل . أما الشيوخ والعجائز منهم فلو قوده ، على حين يُلقي عظماء السماء الشمالية النار من تحت القصور ، التى تحتوى على أفضاخ شيوخهم . وهذا الطعام الكريه يفيده ، لأنه « يأكل أحشاءهم المكتظة » فينعم بالشفيع ، ويأكل قلوبهم وتيجانهم ، فيكسب بذلك قوتهم ، « ويستقرّ سحرهم فى جسمه ، وابتلع عقل كل إله » - وهذه كلها تصوّرات لها ما يماثلها عند أكلة لحوم البشر .

وهذه الأوهام بطبيعة الحال أمور شاذة : بل إنه لمن الصعب أن نعتبر الاعتقاد فى مصاحبة المتوفى للإله رع فى سفينة الشمس ، على كثرة وروده ، اعتقادا شعبيا حقا . فحسب العقيدة الشعبية يتخذ الممجدون فى الغالب مقراً ثابتاً « على الجانب الشرقى للسماء فى الجزء الشمالى بين ما لايفنى<sup>٢</sup> » أو « عند الممجدين الذين لا يفنون والذين هم فى شمال السماء<sup>٣</sup> » أو « فى شرق السماء<sup>٤</sup> . ولعلّ المصريين قد قصدوا

(١) متون الأهرام ، فقرة ٣٩٣ وما بعدها - اكرو هو إله للأرض ، أما الكائنات الأخرى المذكورة هنا فهى كما هو واضح بروج النجوم ، وربما كان المقصود بالإقواس قوس قزح .

(٢) متون الأهرام ، فقرة ١٠٠٠ .

(٣) متون الأهرام ، فقرة ١٢٢٠ .

(٤) متون الأهرام ، فقرة ٩١٦ .

بذلك منطقة التطب الشمال الواقعة في الشمال الشرقي ، والتي يمكن اعتبار نجومها  
بما « لايفي » حقا . لأنها لا تخفى كغيرها من السماء ١ .

وزاد الشعب في صورة مقرّ الأبرار . فتصوّره كأنه مجموعة من الجزر تحيط بها  
المياه المختلفة : ومن السهل أن يتصوّر الإنسان أن نهر الحجر الباهت اللون ، الذي تحيط  
شعابه مساحات قائمة : هو الذي أوحى بهذا التصوّر . وتسمى إحدى هذه الجزر  
« حقل الأظمة » : وهى بهذا الاسم إنما تدل على أن الطعام فيها فقير ، ومن ثم  
يستقر فيها الآلهة والمخلدون . وأزكى منه شهرة « حقل يارو » ، وهو حقل الأمل  
الذي ظلّ المصريون حتى عصورهم المتأخرة يعتبرونه مقرّ الممجدين . ومما لا يحتاج  
إلى بيان أن المصريين قد تصوّروا هاتين الجنّتين على شاكلة بلادهم نفسها ، إذ يغمرهما  
الفيضان ويزدهر فيهما الزرع بما يوفر للموتى طعامهم . وذلك لأن الآلهة والممجدين  
في السماء لا يستطيعون كذلك الحياة بغير طعام . وفي الشرق من السماء « شجرة الحمير  
الساقية » ، التي تجلس عليها الآلهة ٢ ، وهى شجرة الحياة التي يعيشون عليها ٣ ، والتي  
يغذّى ثمرها الأبرار أيضا . إلى جانب ذلك فإن إلهات السماء تزود الميت بطعام أصرح  
طهرا وبراعة ، فإذا أتى إلى نوت أو الحية التي تحمى الشمس ، تحببه كل منهما كأنه  
ابنها ، « وتعطف عليه وتدنى له ثديها لترضعه » . وهكذا يعيش ويعود من جديد  
« طفلا » ٤ . وهو يذهب « إلى والدتيه الرحيمتين ذواتي الشعر الطويل والثديّ الناهدة ،  
واللتين تجلسان على جبل سمسح ، فتمدان ثديهما إلى فيه ولا تقطعانه أبدا » ٥ .  
على أن الذى لا يستطيع التخلّى عن عادات عالم الأرض ، له أن يطعم في أظمة  
أخرى وفي حياة طبيعية « إنه يتلقى نصيبه مما في شونة الإله العظيم ، ويلبس من الثياب

(١) وفق ما أخبر به بورخارت .

(٢) متون الأهرام ، فقرة ٩١٦ .

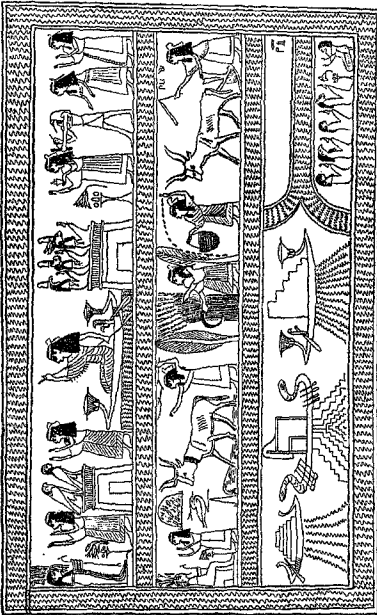
(٣) متون الأهرام ، فقرة ١٢١٦ .

(٤) متون الأهرام ، فقرة ٩١١ ، ٩١٢ ، ١١٠٩ .

(٥) متون الأهرام ، فقرة ١١١٨ .



ما لا يقنى « ، وله من الخبز والخبزة ما يبتى أبدا ١ : « وهو يأكل وحده خبزته » ،  
ولا يضطر لأن يعطى منه شيئا إلى « ذلك الذى يقف من ورائه » ٢ ، « وطعامه بين



٨٥ - حفل باور ، من بردية جنارية لسيدة وقد ملك عليها وهي تلعب الأرض وتغمر حباب الماء وتتبع الآلة  
( بردية ٣٠٠٨ )

الآلهة وشرابه النبيذ على نحو شراب رخ « ٣ « وإن يأكل رخ يعطه ، وإن يشرب  
يعطه مما يشرب . إنه ينام كل يوم في صحة وعافية . . . إنه اليوم أفضل منه أمس » ٤ .

(١) متون الأهرام ، فقرة ١١٨٢ ، ١١٧٧ .

(٢) متون الأهرام ، فقرة ١٢٢٦ .

(٣) متون الأهرام ، فقرة ١٣٠ .

(٤) متون الأهرام ، فقرة ١٢٣ ، ١٢٢ .

وهكذا يطيب الأمر « للممجدين أولى القم الموهوب »<sup>١</sup> : إنهم لن يضطروا « لأن يأكلوا الجوع ويشربوا العطش »<sup>٢</sup> : ولن ينحسوا أن يرغموا يوماً على أن يأكلوا العذرة مما كان يثير عند المصريين دائماً الخوف والفرع<sup>٣</sup> .

على أنه لم يكن من اليسير أن يوفق كل إنسان في بلوغ حقول الأبرار تلك ماراً « بالطرق الجميلة التي في السماء »<sup>٤</sup> . وذلك لصعوبة اجتياز المياه التي تحيط بها ؛ لهذا كان من الناس من كان يأمل في عطف الطيور المقدسة كصقر حورس وأبي منجل - وهو الطائر المقدس للإله تحوت - راجياً أن تنقله إلى هذه الحقول : « يا مخلي حورس ، ويا جناحي تحوت ، اعبرا به ولا تتركاه دون أن يعبر ! »<sup>٥</sup> . ومنهم من كان يرجو أبناء حورس : الذين تحدثنا عنهم آنفاً صفحة ٨٤ : أن يأتيوا له بقارب<sup>٦</sup> ، أو يتجه إلى إله الشمس نفسه ليحبر به في سفينته<sup>٧</sup> . غير أن أغلبهم كان يعتمد على نوتى يسمى « الملتفت إلى ورائه » و « المستدير بوجهه » : ذلك لأنه إذا وقف في مؤخر قاربه ليحرك المجداف اضطراباً إلى أن يدبر رأسه . وهذا النوتى هو الذى يعبر بالآلهة في قاربه<sup>٨</sup> ، وهو الذى يقوم كذلك للميت بهذا الصنيع . على أنه في واقع الأمر لا يؤديه لكل إنسان ، لأن « نوتى حقل يارو » هذا لا يتقل غير « الرجل القويم الذى لا يقرب له » والذى وجد مقسطاً « أمام السماء والأرض » وأمام الجزيرة نفسها<sup>٩</sup> . وفي هذا أثر ملحوظ للشعور الخلقى في ذلك الزمن القديم ، ومع ذلك فهذا الأثر ليس بالوحيد من نوعه في متون الأهرام . فإذا

- 
- (١) متون الأهرام ، فقرة ٩٣١ .
  - (٢) متون الأهرام ، فقرة ١٣١ .
  - (٣) متون الأهرام ، فقرة ١٢٨ .
  - (٤) متون الأهرام ، فقرة ٨٢٢ .
  - (٥) متون الأهرام ، فقرة ١١٧٦ .
  - (٦) متون الأهرام ، فقرة ١٢٢٧ .
  - (٧) متون الأهرام ، فقرة ٦٠٧ .
  - (٨) متون الأهرام ، فقرة ٣٨٣ .
  - (٩) متون الأهرام ، فقرة ١١٨٨ .

قيل عن الميت إنه « ما من شرّ ارتكبه » فإن هذه العبارة تصعد إلى إله الشمس ، فيستقبله استقبالا حسنا ١ . « وإذا لم يتقوّل السوء على الملك » ولم يحقّقر الآلهة فإن في هذا أيضا ما يزيكه في السماء ٢ . ومع هذا فإن الآلهة تتطلب عادة من الزميل الجليد في السماء طهارة الجسد أكثر من غيرها ، وهي نفسها تساعد في هذا السبيل . فالآلهة التي تشرف على المياه الجائشة في إلفانتين تطهره بأربعة قدور من الماء ٣ ، أو « إنه يغتسل مع رع في بحيرة يارو ، ثم يجفف حورس جسده ، ويجفف تحوت قدميه ٤ » .

وإلى جانب التصورات التي عرضناها هنا عن الحياة بعد الموت ظهر تصور آخر لم يكن له في البداية إلا مركز ثانوي ، غير أنه لم يلبث مع الزمن أن ساد سائر ماعده ، ألا وهو عقيدة الإله المتوفى أوزيريس - الذي غدا ملكا للموتى أجمعين . ومثالا يتخذونه ٥ .

وقد رأينا فيما مضى ما حاكته الأسطورة حول إله أبو صير القديم وكيف أصبح مصيره المؤثر - من موته وبعثه - شائعا بين سائر المصريين ، عزيزا على قلوبهم ، حتى لقد برز أوزيريس في كل مكان على آلهة الموتى القديمة أو حلّ مكانها ، وغدا الملك الوحيد للمتوفين جميعا وسيد مملكة الموتى . على أنه وجد في أبيلدوس ويطنا ثانيا ، حيث أخذ يقوم بدور « أول أهل الغرب » . ومن ثمّ غدت هذه البلدة مركز عبادته .

ولم يكن قيام ملك على الموتى بالأمر الجوهري ، وإنما الأثر الحاسم على تطوّر العقائد الجنازية في مصر يتجلى في أن المصريين قد رأوا في الوقت نفسه في الإله

(١) متون الأهرام ، فقرة ١٢٣٨ .

(٢) متون الأهرام ، فقرة ٨٩٢ .

(٣) متون الأهرام ، فقرة ١١١٦ .

(٤) متون الأهرام ، فقرة ٥١٩ .

(٥) لم يعثر في مقابر الأسرات الأولى على ما يشير إلى وجود هذه العقيدة على وجه أكيد ، على أن هذا لا يدلّك بطبيعة الحال على أنها لم تكن إذ ذاك عقيدة شعبية .

الميت مثالا للشخص المتوفى <sup>١</sup> . فالرجل الذى كان يدفن فى الأرض إنما يلقى المصير نفسه الذى تلقاه الإله ، فقد اضطرَّ هو كذلك رغم أنه إلى أن يتفصم عن الحياة وأن يخلف وراءه زوجته وأولاده . ألم يكن لمثل هذا الرجل أن يرجو أن يكون ما يلقاه بعد ذلك مماثلا لما تلقاه الإله ؟ « فكما أن أوزيريس حيا : فسيحيا هو كذلك : وكما أن أوزيريس لم يميت حقا فإنه هو أيضا لن يموت . وكما أن أوزيريس لم يمحق حقا ، فإنه هو أيضا لن يمحق » <sup>٢</sup> . إنه سيبعث فى هيئة أوزيريس ثان إلى حياة جديدة سعيدة ، وسيشبه ابنه كحورس ثان . سينتصر على العدو الذى أتلغ حياة أبيه ، كما انتصر حورس على ست . وسيحمي بيته ويصون شرف اسمه .

وأهم من هذا كله أن الميت سوف يصحو ثانية على نحو ما بعث أوزيريس للحياة من جديد ، لاعلى شكل شيخ خيالى ، وإنما فى بعث مجسد : ذلك لأن الآلهة « جمعت » <sup>٣</sup> معا عظام أوزيريس ، ثم « ضمَّ رأسه إلى عظامه وعظامه إلى رأسه » <sup>٤</sup> . وعلى هذا النحو سوف يجرى الأمر مع الإنسان الميت إذا اعتبر كأوزيريس جديد . إن عظامه لاتزال مبعثرة لاحتراك فيها : غير أن نوت : أم أوزيريس . لاتأبث أن



٦٦ - نوت تبسط جناحها على أوزيريس (برلين ١٠٨٣٢) .

تقترب منه لتضمَّ عظامه من جديد : « إنها تعطيك رأسك وتجلب لك عظامك ، وتجمع لك أعضائك ، وتضع قلبك فى جسدك » <sup>٥</sup> . إن جميع أجزاء شخصك تجد

(١) ربما كان الاعتقاد فى اتخاذ الميت شخصية أوزيريس قد نشأ فى أول الأمر بين الملوك على نحو ما يظن زينا .

- (٢) متون الأهرام ، فقرة ١٦٧ .
- (٣) متون الأهرام ، فقرة ٦٢٣ .
- (٤) متون الأهرام ، فقرة ٥٧٢ .
- (٥) متون الأهرام ، فقرة ٨٣٥ .

سبيلها إلى جسدك : « وروحك الممجدة وعافيتك تأتيان إليك كأنك إله يمثل أوزيريس ؛ إن روحك معك وعافيتك من خلفك <sup>١</sup> » . وستصاحبك من جديد الكا التي لك ؛ « وتأتي لك حياتك . . . وتأتي لك روحك الممجدة يا أول المجدين . وعافيتك يا أول الأحياء ؛ إن لك روحا ، يا ذا الروح <sup>٢</sup> . وإن الآلهة لتقف من حولك وتناديك : « قم ، قف <sup>٣</sup> » فتصحو <sup>٤</sup> . وإن جب ليفتح فلك لتستطيع الكلام من جديد <sup>٥</sup> ؛ وتحوت وحورس يوقفانك ويضعانك في وسط الآلهة <sup>٥</sup> ، ومن ثم « يدعو حورس تحوت بأن يسوق إليك عدوك ثم يضعك فوق ظهره : خذ مكانك من فوقه ، اصعد واجلس عليه <sup>٦</sup> . وتصبح الآلهة التسعة بالعدو في سخيرية وهو من تحتك : « احمل من هو أعظم منك <sup>٧</sup> .

فإذا انتصرت بهذا النحو على مضطهديك ، فإن رع وحورس ينصبان لك سلما . « يقف أحدهما على هذا الجانب ويقف الآخر على ذلك الجانب <sup>٨</sup> » ، ومن ثم « ترق عليه إلى السماء <sup>٩</sup> . ويفتح لك باب السماء وتفرغ لك المزالج الكبار <sup>١٠</sup> . فتجد زرع واقفا . . . فيأخذك من يدك ويقودك في قصر ( ؟ ) السماء ، ويجلسك على عرش أوزيريس <sup>١١</sup> ، على عرشك هذا لتتولى حكم المجدين <sup>١٢</sup> . عند ذلك تجلس كأوزيريس ، « ووصولك في يدك ، لتصدر الأوامر للأحياء ومجنتك ؟ وسوطك في يدك لتصدر الأوامر لذوى الأماكن الخفية <sup>١٣</sup> . ومن ورائك يقف خدم الإله ،

- 
- (١) متون الأهرام ، فقرة ٧٥٢ ، ٧٥٣ .
  - (٢) متون الأهرام ٨٣٣ .
  - (٣) متون الأهرام ٨٩٥ .
  - (٤) متون الأهرام ٦٢٦ .
  - (٥) متون الأهرام ٩٥٦ .
  - (٦) متون الأهرام ٦٥١ ، ٦٥٢ .
  - (٧) متون الأهرام ٦٢٧ .
  - (٨) متون الأهرام ٤٧٢ .
  - (٩) متون الأهرام ٩٧٤ .
  - (١٠) متون الأهرام ٥٧٢ .
  - (١١) متون الأهرام ٧٥٧ .
  - (١٢) متون الأهرام ٥٧٣ .
  - (١٣) متون الأهرام ١٣٤ .

ومن أمامك يقف نبلاء الإله ويناديون : تعال أيها الإله ! تعال أيها الإله ! تعال يا صاحب عرش أوزيريس ! إيزيس تخاطبك .. ونفتيس تحيك . والممجدون يسعون إليك راكعين ليقبلوا الأرض عند قدميك ١ . ها أنت ذا في كنف الحراسه . متحليا كتاله ، متخذًا شكل أوزيريس على عرش أول أهل الغرب . إنك تفعل مافعله بين المجددين والخلدين . أما ابنك فيقوم على عرشك متخذًا شكلك . إنه يفعل ما اعتدت أن تفعل من قبل : هر أول الأحياء كما أمر رخ . إنه يزرع الشعير ويزرع القمح ويهدى إليك منهما ٢ . « أما أنت فإنك » تجعل بيتك يزدهر من بعدك وتصون أبنائك من كل ضير ٣ .

هذا هو المصير الذي ينتظر الأتقياء الذين يعبدون أوزيريس . حقا إنه لا بد أن يغادروا هم أيضا الأرض ، ولكنهم « لا يذهبون أمواتا بل يذهبون أحياء » ٤ . وهم لا يموتون بعد الموت حياة الأطياف والأشباح فحسب ، وإنما يبعثون لحياة حقيقية جديدة ، يحرزون فيها أجسادهم وأرواحهم : « فلهم قلوبهم ، ولهم أرواحهم ، ولهم أفواههم ، ولهم أرجلهم ، ولهم أذرعهم ، ولهم سائر أعضائهم » ٥ .

ولا يعرف متى بدأت هذه العقيدة تنتشر بهذا الشكل في الشعب المصرى . على أنه مهما يكن من أمر فإنها ترجع إلى زمن قديم جدا . وذلك لأن الأوراد التي يتخذ فيها الميت شخص أوزيريس توجد بكثرة في أقدم ما حفظ لنا من أدب جنازى ألا وهو متون الأهرام . أجل هذه إن الأمثلة من متون الأهرام إن هي في بعض أجزائها إلا حياكة جديدة لأوراد قديمة ، فقد اعتاد المصريون الصيغ القديمة حتى إنهم لم يشاءوا الاستغناء عنها في العقيدة الجديدة . فإذا كان قد جاء في ورد قديم ذى انتشار كبير : « تقول الآلهة : سعداء من يرون ، وطوبى لمن ينظرون . كيف يصعد هذا الإله إلى السماء . . . وعليه روحه ومع قوة ويجانبه سحره . إنك تصعد إلى السماء

(١) متون الأهرام ٧٥٤ ، ٧٥٥ .

(٢) متون الأهرام ٧٥٩ - ٧٦١ .

(٣) متون الأهرام ٨٢٩ .

(٤) متون الأهرام ١٣٤ .

(٥) Totb. ed Nav. 68, 4-5

وتدخلها « الخ ١ ، فقد جاء في الصياغة الجديدة : « تقول إيزيس : سعيد من يرى الأب ، وتقول نفتيس : طوبى لمن ينظر إلى الأب ، إلى أبيه ، إلى أوزيريس حينما يصعد إلى السماء بين النجوم ، بين المختلدين ، وعلى رأسه القلنسوة ومعه القوة ويجانبه السحر . إنه يسرع إلى أمه نوت ويدخلها « الخ ٢ . فالصيغة الأولى تعرض رحلة الملك المتوفى إلى السماء ، كأنه إله جديد يدخل السماء ويثير دهشة الآلهة القدامى (انظر صفحة ٢٤١) . أما الصيغة الثانية فقد أضيف فيها إلى اسم الملك اسم أوزيريس ، واستحالت السماء إلى أمه نوت . وصارت الآلهة هي إيزيس ونفتيس : وبهذا أصبح الورد يتعلق برحلة أوزيريس إلى السماء : على أنه لم يفد من ذلك في حقيقة الأمر جلاء أو جمالا .

وأسوأ من هذا طريقة التصرف في ورد قديم يشيد بإلهة السماء التي حملت معها الآلهة عند صعودها في أجواز الفضاء . وقد جاء في إحدى آياته : « أى نوت إنك متوجة كملك . لأنك تسلطين على الآلهة وعلى أرواحهم وتراثهم وطعامهم وسائر ما يملكون<sup>٣</sup> » . فحرف هذا في غير صعوبة وأصبح يقال : « أى أوزيريس ، لقد توجت ملكا لمصر العليا والسفلى ، لأنك تسلط على الآلهة وعلى أرواحهم<sup>٤</sup> » : مع أن أوزيريس الطيب لم يصعد بالآلهة من الأرض . عدا هذا يلاحظ أن في هذا التحريف كان لابد للكلمة القديمة ، التي نشأت في مصر السفلى ، والتي تعنى الملك أن تترك مكانها للقب الفراعنة الرسمي : وفي هذا علامة واضحة على حداثة عهد هذا التحريف .

وفي غير هذا كذلك لم يكن لانتشار عقيدة أوزيريس أثر حسن على الأدب الخنازى . فقد كان هذا الأدب لا يخلو من التصورات المتنوعة المتعارضة ، ومن ثم غدا خليطا مشوها تماما . والنص التالي يعدّ مثلا جيدا لهذا الخلط :

(١) متون الأهرام ٤٧٦ وما بعدها .

(٢) متون الأهرام ٩٣٩ وما بعدها .

(٣) متون الأهرام ٨٢٤ .

(٤) متون الأهرام ٧٧٦ .

« أصبح لحورس وقف ضد ست . انهض أيها الابن الأول لخب ، بامن يرتعد أمامه التاسوعان ، ومن أجله تنصب المقاصير ... ومن أجله يحتفل بالفصول ... . إنك تنجوب أبيلدوس في شكلك المجد هنا . الذى قضت الآلهة بأن يكون لك ، وإنك لتصعد إلى الدوات حيث يكون الجبار . إن ثور السماء ليقبض على ذراعيك . وإنك لتأكل من طعام الآلهة . . . ( رع ) يضعك كنجمة الصبح وسط حقل يارو . وإن باب السماء المؤدى إلى الأفق ليفتح لك . وإن الآلهة لتتهيج (٢) عند ما تقترب كنجم يعبر البحر من تحت جسم نوت في جلالك هذا الذى قضى به رع . إنك تجلس على هذا العرش النحاسى كأنك عظيم هليوبوليس . وذلك لكى تقود المجددين وترضى ما لا يفتنى « ١ . فأى خليط هذا ! إن الميت في الجزء الأول من هذا النص هو أوزيريس . أما في الجزء الثانى فإنه يحير إلى الجبار . نجم أوزيريس ، وفي الجزء الثالث هو نجم بجوار رع ، وفي الجزء الرابع يجلس على العرش ملكا على الموتى وعلى النجوم .

وكان هذا بداية الاضطراب ، فقد زادت فيه . بطريقة مختلفة جدا الاختلاف ، القرون التالية ، التى يرجع إليها معظم ما يسمى بمتون التوايبت وكتاب الموتى . وإنه من العجب حقا أن توهب الحياة السماوية ، التى ابتدعت أصلا للملوك ، لأى ميت آخر ، على أنه أعجب من هذا أن يصبح كل ميت إلها في العالم السفلى ٢ . وقد امتزجت بهذه الأفكار وغيرها مما تواتر عن الأزمنة القديمة واستحال لونه وأسىء فهمه ، ضروب مختلفة مما استحدثت من تصورات عن مصير الموتى . وعن مملكة أوزيريس . وبهذا نشأ خليط قلما يجدى في أغلب الأحيان ترسم خطوطه . يضاف إلى هذا ما يمتاز به نصوص كتاب الموتى من طابع . فقد كان معظمها يعتبر كأنها صيغ سحرية ، فلكنى يتم للميت هذا أو ذلك ، عليه أن يتلو وردا يتخذ فيه شخصية أى إله ، اعتقادا بأنه بهذه الوسيلة يكتسب صفاته . فن كان يتلو مثلا الورد التالى : « لقد منحت اسمى في البيت العظيم ، وذكرى اسمى في بيت اللهب .

(١) متون الأهرام ٦١٠ .

Litt. 8. 316 (٢)



في تلك الليلة التي أحصيت فيها السنوات ، وحسبت فيها الشهور . إني هناك ذلك الذي يجلس في شرق السماء . وكل إله لا يتبعني فسأخبر باسمه ! » فانه كان « يتذكر اسمه في مملكة الموتى » .<sup>١</sup>

وما الخوف من أن لا يعرف الميت في العالم الثاني شخصه ، إلا أحد الشجون الكثيرة الغربية . التي كان على ما في كتاب الموتى من سحر أن يعالجها . ومما كان يخشاه الميت كذلك ألا يكون له فم يتحدث به مع الآلهة<sup>٢</sup> ، وأن يسلب منه قلبه<sup>٣</sup> وأن تقطع رأسه<sup>٤</sup> ، وأن يفسد جسده بالرغم من تحنيطه<sup>٥</sup> . وأن تنتزع بعض الكائنات المعادية منه « مكانه وعرشه »<sup>٦</sup> ، وأن يضل طريقه « فيقع على مذبح الإله »<sup>٧</sup> أضحية تعيسة . وقد يعوزه الطعام والشراب ، فيضطر لأن يأكل من عذرتة ويشرب بوله<sup>٨</sup> . فإذا وجد الماء حقا فقد يحدث أن يغلي إذا أراد شربه<sup>٩</sup> ، وفضلا عن ذلك فقد يعوزه الهواء<sup>١٠</sup> . وكان من شأن أوراد كتاب الموتى أن تساعد على هذه الأخطار وما يماثلها . فما كان يساعد مثلا ضد الثعابين التي يمكن أن تعض الميت ، أن يحاطبها على النحو التالي : « أيها الأفعوان ، لا تقترب ! إن جب وشو يقفان حيالك . لقد أكلت الجردان وهذا ما يعافه رع ، وعلكت عظام قطة متخفنة »<sup>١١</sup> . ومما كان يتفجع ضد أكل الأقدار هذا الورد : « . . . أنا من له الخبز في هليوبوليس . خبزي في السماء بجانب رع ، وخبزي على الأرض بجانب جب . سفينة السماء وسفينة-

Totb. ed. Nav. 25 (١)

- (٢) نفس المرجع ص ٢٢ .
- (٣) نفس المرجع ص ٢٧ .
- (٤) نفس المرجع ص ٤٣ .
- (٥) نفس المرجع ص ٤٥ .
- (٦) نفس المرجع ص ٤٧ .
- (٧) نفس المرجع ص ٥٠ .
- (٨) نفس المرجع ص ٥٣ .
- (٩) نفس المرجع ص ٦٣ ب .
- (١٠) نفس المرجع ص ٥٦ .
- (١١) نفس المرجع ص ٣٣ .

الصباح للشمس تجلبانه إلى من بيت الإله العظيم في هليوبوليس « ١ .  
طوبى إذ لمن يكون بجانبه هذا السحر . ويعرف كيف يحتفظ به . لأنه يعرف  
الورد الذى يفيد ضد التماسيح التى تسلب الميت بحره ٢ . ومعرفة سائر هذه الأوراد  
يفيد أيضا فى الحياة : « من يتل هذا الورد على نفسه كل يوم يسلم على الأرض .  
ويخرج من كل نار ولا يلقى سوءا أبدا » ٣ .

ولا تظهر كل هذه الشجون التافهة ولا هذا السحر كله فى متون الأهرام ٤ إلا  
قليلًا ، على أنه لا بد أن كانت تسود الأوساط والعصر الذى جمعت فيه أوراد كتاب  
الموتى ٥ . رغبة متهوِّسة حقا لإفادة الميت عن طريق السحر ، إذ كان يجمع كل ما كان  
يبدو أنه سحر على أى نحو حتى ولو كان مقصودا به فى الأصل شىء آخر مختلف جدًّا  
الاختلاف . وقد بلغ الأمر أقصاه فى عزائم السحر الحقيقية القديمة . ومن أمثلة ذلك  
ورد قديم كان الغرض منه — كما يدل عليه مضمونه بوضوح — تيسير ولادة  
النساء ، إلا أنه أصبح يستخدم كذلك للميت دون عناء كبير ، وإذ قد ورد فيه  
الكلام عرضا عن أحد الصقور . فقد ظن لذلك أنه لا بد أن يساعد الميت على  
« أن يتخذ شكل الصقر » ٦ .

وفى هذا كله يدل كتاب الموتى على طابع شعبي أقوى مما تدل عليه متون  
الأهرام . ولهذا تبرز فيه كذلك تصوّرات قديمة جدا تكاد تختفى فى تلك المتون  
ذلك لأنها لم تكن تتفق مع الوجود السامى الذى كان السادة العظماء يرجونه لأنفسهم .

(١) نفس المرجع ص ٥٣ .

(٢) نفس المرجع ص ٣١ .

(٣) نفس المرجع ص ١٨ فى نهايتها .

(٤) فيما عدا الشجون الخاصة بالجنوع والعطش لا ترد أمثال هذه الأشياء فى متون الأهرام إلا قليلا  
(انظر ماجا فى متون الأهرام ٩٦٣ عن الأعداء الذين يحملون بين الميت وبين أوزيريس) . وتكاد تكون  
الأوراد ضد الثعابين هى وحدها التالويد السحرية .

(٥) لست أعتبر أن كتاب الموتى يشتمل على النصوص التى تظهر صدقة على برديات الموتى فى الدولة  
الحديثة فحسب ، وإنما هو يشتمل كذلك على النصوص المماثلة التى نعرفها من توابيت الدولة الوسطى ،  
أى « نصوص التوابيت » التى سبق الكلام عنها .

(٦) انظر الفصل الوارد فى Lacau, Recueil 27, 56-58

فالميت ، أو على الأصح روحه تودّ أن « تستحيل إلى كل ما يهواه القلب »<sup>١</sup> : إلى العنقاء ، وإلى مالك الحزين ( بلشون ) ، وعصفور الجنة ، والصقر ، والدودة ، والتمساح ، وزهرة البشنين ( اللوطس )<sup>٢</sup> ، وحتى إلى الإله بتاح نفسه<sup>٣</sup> ؛ ويجب أن تتحد الروح مع الجسد من جديد<sup>٤</sup> ، وأن تجد باب المقبرة مفتوحا<sup>٥</sup> . وما من شيء ينبغي أن يردّها عن سبيلها لكي « تستطيع الخروج بالنهار » في أى شكل يعجبها<sup>٦</sup> . وهذه الأمنية الأخيرة بالذات — وهي إقامة الميت بعض الوقت على الأرض بالنهار عند ما تضىء الشمس — هي الأمنية التي تلعب دورا كبيرا في كتاب الموتى ، حتى لقد أطلق فيها بعد على كتاب الموتى بأكمله « كتاب الخروج بالنهار » . وفي بعض الأحيان تعتمد الأرواح التي تترك القبر على هذا النحو ، إلى التدخل في حياة من خلفتهم وراءها من الأحياء ، وبهذا يمكن « للممجد » أن يكون ضيفا غير مرغوب فيه في هيئة طيف كما سترى فيما بعد . ولهذا فن أمانى الميت كذلك أن « يرحب به » في بيته عند عودته إلى عالم الدنيا . ومن اليسير أن ندرک سبب تمنى الموتى « الخروج بالنهار » ، وذلك لأن النهار هو أسوأ وقت عندهم ، إذ لا تضىء الشمس لهم بأشعتها إلا في المساء حينما تغرب . « عندئذ يفتحون عيونهم عند ما يشاهدون الشمس فتطفح قلوبهم بالفرح حين يرونها ، ويهللون عند ما تكون من فوقهم . إنها تمتح أنوفهم الهواء » . ويفرحون إذ يستطيعون مساعدة الشمس بدورهم فيمسكون الحبل المعقود بمقدم سفينة الشمس<sup>٧</sup> ، ويجرّونها في العالم السفلى الذي لا تهب فيه أى ريح — وذلك على نحو ما تجرّ السفن في النيل حين تسكن الرياح .

على أن أهم من هذا كله هي فكرة ضرورة تبرير الميت ؛ وهي فكرة حديثة

(١) Totb. ed. Nav. 64

(٢) نفس المرجع ص ٧٧ - ٩٨ .

(٣) نفس المرجع ص ٨٢ .

(٤) نفس المرجع ص ٨٩ .

(٥) نفس المرجع ص ٩٢ .

(٦) نفس المرجع ص ١٨ ، ٦٤ .

(٧) Totb. 15 B II

النبأثة . لقد رأينا فيها مضى أن ست قاضى أوزيريس المتوفى ، وأن الآهة اجتمعت  
 فى هليوبوليس لها كته ، غير أنها « أحقت كلامه » أى أنها وجدته برينا . فبررته  
 (صفحة ٨٨) . ويبدو من كتاب الموتى أن مثل هذه المحكمة قد اجتمعت كذلك  
 فى أبو صير ويوتو وأيلدوس وهيراكليوبوليس وفى معبد سكر فى منف وفى أماكن  
 مقدسة أخرى . وكان تحوت فى كل منها هو الذى « برره » . وقد أدى هذا التصور  
 إلى أن أصبح يرجح أن يبرر تحوت الميت كذلك بصفته أوزيريس جديدا ، وكما  
 أن أوزيريس قد وجد محقا ، فقد وجب لهذا أن يثبت كذلك أن الميت فى مملكة الموتى  
 ظاهر مبرأ من كل إثم — وإلا فكيف يمكن استقباله فى مملكة ذلك الإله الذى كان  
 يدين بسلطته لبراءته من الخطايا ؟ وفى هذا مظهر خلقى وجد سبيله من أسطورة  
 أوزيريس إلى العقائد المصرية ؛ ومنذ ذلك الوقت لم يعد الرجل القوى والشريف  
 هو الذى ينتصر فى الموت ، وإنما هو الرجل المحق البرىء من كل ذنب .  
 وكان تصور أوزيريس قاضيا أمرا معروفا فى عهد الدولة القديمة : فقد ورد  
 فى نصوص إحدى المقابر حديث عن « الإله العظيم سيد القضاء »<sup>١</sup> . وفى مقبرة  
 أخرى يعد الميت أنه سيكون يوما عونا فى محكمة « الإله العظيم » لكل من يدخل  
 مقبرته فى طهارة تامة<sup>٢</sup> . على أن هذا التصور لم يبلغ تطوره التام ولم يحظ بالاعتراف  
 العام إلا فى الدولة الوسطى ، التى أصبح من المعتاد فى عهدها كذلك عدم ذكر اسم  
 الميت دون أن يضاف إليه لفظ « المبرر » .

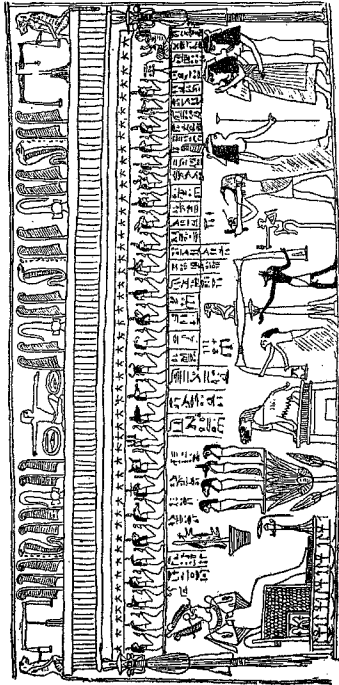
وقد أشار كذلك إلى محكمة الموتى ذلك الملك الشيخ<sup>٣</sup> ، الذى ترك تعاليمه لابنه  
 ميركارع ، إذ حذره فيها من « القضاة الذين يفصلون فى قضايا المظلومين . إنك  
 لتعلم أنهم غير رحما فى ذلك اليوم الذى فيه يقضى للمسكين » . وفوق هذا أوصاه  
 بالأىظن أنه لا يزال هناك أمد طويل إلى أن تحين المحاكمة ، وأنه حتى ذلك الوقت  
 سينسى كل شئ\* : « لا تثق بطول السنين ، فأنهم ينظرون إلى أمد الحياة كأنها ساعة .

Mar. Mast. D. 19 (١)

Urk. I 202 (٢)

Litt. 8. 112. (٣)

وإن الإنسان ليبقى بعد الموت وستكوم أعماله إلى جانبه . وستلوم إلى الأبد حياة الإنسان في مملكة الموتى ، وإنه لأحق من لا يأبى بذلك . « أما من يأتي إلى قضاة الموتى مبراً من كل ذنب فيسكون مثل إله ، ويسير حراً طليقا كسادة الأبدية » .



٨٧ - محاكمة الميت ، عن بردية جنائزية لإسدى السيدات . ( برلين ٣٠٣٤ ) ، من عهد متأخر ٢٠

على أن الشعب قد أفسد هذه الأفكار البسيطة الجميلة ، وهو ما تدلّ عليه

الصورة والنضج الخافل لنا نسميه بالفصل ١٢٥ من كتاب الموتى . فى الصورة ترى بهوا كبيرا حُلِّي سقفه بلهب النيران وعلامات الحق . وفيه مقصورة يجلس فيها أوزيريس على عرشه . ومن أمامه رمز أنوبيس وأبناء حورس وآكل الموتى . وهو حيوان خرافى ، « تمساح من أمام ، وأسد من وسط . وفرس نهر من خلف » . وفى أعلى الصورة ، أى فى مؤخرة البهو ، يجلس قضاة أوزيريس الخفيفون وعددهم اثنان وأربعون قاضيا ؛ ومن أسفل ، أى فى الجزء الأمامى ، الميزان العظيم يوزن فيه قلب الميت . وتستقبل إلهة الحق الميت وهو يدخل هذا البهو . ومن ثم يأخذ حورس وأنوبيس قلبه ويتحققان بالميزان إن كان أخف من علامة الحق . ويسجل تحوت كاتب الآلهة النتيجة على لوحة ، ثم يخبر بها أوزيريس . وأعجب من هذه الصورة : ما ينطق به الميت عندما « يصل إلى بهو الحقيقتين هنا . وحينما يبرأ من كل سوء اقترقه ، وحينما ينظر إلى وجه الإله » . إنه يدعو الإله إذ ذاك على هذا النحو :  
 لك الحمد أيها الإله العظيم ، يارب الحقيقتين . لقد أتيت إليك سيدى لأشاهد جمالك ،  
 إني أعرفك وأعرف أسماء الآلهة الاثنتين والأربعين الذين معك فى بهو الحقيقتين :  
 والذين يعيرون على المسيئين ويشربون دمهم يوم الحساب أمام ونفري .  
 هاأنذا أجيء إليك ، أجب الحقيقة وأطرد الإثم .

إني لم أترف إثما ضد البشر . . . ولم أفعل شيئا تمقته الآلهة : ولم أسع بأجد عند رئيسه ، ولم أجوع أحدا ، ولم أدع أحدا يبكى ، ولم أقتل ، ولم أدع إلى القتل ، ولم أسبب لأحد ألما ، ولم أقلل فى المعابد الطعام ، ولم أنقض خبز الآلهة ، ولم أسلب طعام الممجدين ، ولم أسق فى المكان الطاهر لإله مدينتى ، ولم أطفف مكياال الحب ، ولم أنقص مقياس النراع ، ولم أزيف فى مقياس الحقل ، ولم أثقل فى مئاقيل الميزان ، ولم أزور فى لسان الميزان ، ولم أسلب اللبن من فم الطفل ، ولم أسرق المشاية من مراعها ، ولم أصطد طيور الآلهة ، ولم أصطد الأسماك من بحيراتهم : ولم أمنع ماء (الفيضان) فى وقته ، ولم أسد على الماء البخارى . . . ولم أضرم للمعابد من قطعان ، ولم أعترض الإله فى شيء من إرادته . وبلى هذا اعتراف ثان من نوع مماثل يدعى

Totb. ed. Nav. 125; Vignette in Ag. (1)

فيه لكل إثم بإله خاص - وما من شك في أنه كان في الأصل مستقلا بذاته ثم ألحق هنا فيها بعد . وبهذا أصبح الميت يقرر براءته مرتين : « يا صاحب الخطوة العديدة في هليوبولس ! إني لم أقترف ذنبا . يا حاضن الذهب في خر - احاو ! إني لم أنهب . أيها الأنف في هرموبولس ، إني لم أغش . يا آكل الظلال في كررت ! إني لم أسرق . يا صاحب الوجه المستدير في روستاو ! إني لم أقتل البشر . أيها اللبوة المزدوجة في السماء ! إني لم أطفئ مكيال الحب . يا من عيناه سكينان في ليتيوبولس ! إني لم أصنع شيئا معوجا . أيها الذهب في نختخت ! إني لم أسرق شيئا من ثروة المعبد . يا كاسر العظام في هيراكليوبولس ! إني لم أكذب » . ومن بين الذنوب الأخرى التي ينكرها الميت بعد ذلك أمام « صاحب الأسنان البيضاء ، وآكل الدم ، وآكل الأحشاء ، والضال » وغيرها من الكائنات الخفيفة ، الذنوب التالية : « إني لم أسرق طعاما . إني لم أذبح الثيران المقدسة ؛ ولم أسترق السمع ، ولم أزن ، ولم أصم أذني عن كلمات الحق ؛ ولم أدع أحدا يبكي ، ولم أأكل قلبي ( من الندم ) ، ولم أمسئ ؛ ولم أتكلم كثيرا ؛ ولم أمسئ إلى الملك ؛ ولم يكن صوتي عاليا ؛ ولم أمسئ إلى الإله » ، وغير هذا كثير . ثم يقول الميت بعد ذلك للقضاة الخفيفين : « الحمد لكم أيها الآلهة . إني أعرفكم وأعرف أسماءكم ، ولا أقع أمام سيفكم . إنكم لن تبلغوا عني سوءا لهذا الإله الذي توفون حاشيته ؛ إنكم لن تشغلوا أنفسكم بأمرى ؛ وإنكم ستقولون الحق عني أمام سيد الكون ، لأنى عملت ما هو حق في مصر ولم أمسئ إلى الإله وليس للملك المعاصر ما يشغله بأمرى » .

« الحمد لكم أيها الآلهة ، يا من في بهو الحقيقتين ، ومن ليس في جسمهم بهتان ، ويا من يعيشون على الحق . . . أمام حورس الذي يسكن في شسه . نجونى من باباى ( انظر صفحة ٢٥٩ ) الذي يعيش على أحشاء العظام في يوم الحساب العظيم . ها أنذا أجيء إليكم بغير إثم وبغير سوء . . . إني أعيش على الحق وأتغذى على ما في قلبي من حق . لقد عملت ما يقول به الناس وما ترضى عنه الآلهة . لقد أرضيت الإله بما يجب وأعطيته خبزا للجائع ، وماء للصادى ، ولباسا للعارى ، وقاربا لمن لا قارب له . لقد قدمت القربان للآلهة ، والصدقات للممجدين » .

«نجوني واحموني ، إنكم لن تهتموني أمام الإله العظيم ، إني رجل ذو قم طاهر  
ويدين طاهرتين ، يقول له من يراه « مرحبا مرحبا » .  
وما يذكره الميت كذلك لتبرئته أنه « سمع تلك العبارة ، التي تبادلها الحمار مع  
القطعة » . والغرض من هذا وغيره إنما هو التذليل على أن الميت كان خادما مخلصا  
لأوزيريس ، اشترك في أعياده وتمثلياته ١ .

والجائثل بنظره في هذه القائمة للذنوب التي لم ترتكب ، لا يلبث أن يلاحظ أنه  
كان من الصعب على مؤلفيها أن يجدوا اثنين وأربعين إنما عرضها على القضاة  
الاثنين والأربعين الذين حددت عددهم مقاطعات مصر الاثنتان والأربعون . ولهذا  
فكثيرا ما تتكرر هذه الأرقام في صيغ مختلفة ، أو تبدو في عبارة عامة . والناحية الخلفية  
التي تنطق بها هذه الاعترافات بسيطة جدا على نحو ما أشرنا إلى ذلك من قبل  
(صفحة ١٧٨) .

ولا يدخل الموتى الذين يخفقون في هذا الامتحان في مملكة أوزيريس ، وفي  
هذا جحيم الكفاية من البؤس والشقاء ، لأنهم يظنون في مقابرهم يضيئهم الجوع  
والعطش ، ولا يشاهدون الشمس بنهار أوبليل . وكما أن المذنب يلقي في محاكم الدنيا  
عقوبة خاصة ، لهذا تخيل المصريون — وإن يكن في زمن متأخر على وجه التحقيق —  
بعض العقوبات للميت الذي لم يبرر . فالقضاة تحمل سيوفا لمعاينة المذنب ، وكذلك  
تدل أسماءهم على عقوبات مروعة ، والحيوان الواقف أمام أوزيريس « يلتهم الميت »  
ويزقه ، وهو كائن مخيف بصفة خاصة يدعى باباي ٢ ، لانعلم عنه خلا هذا  
شيئا . وفيها عدا هذا لانعرف شيئا كثيرا — إذ لم يكن ذلك موضوعا يميل إلى استقصائه  
خيال الشعب .

ولا نعرف كذلك شيئا كثيرا واضحا من كتاب الموتى عن مصير الميت المبرور .  
« إن له مقره أمام الإله العظيم . وإنه ليعرف ذلك الإله العظيم . . . وهو يخرج إلى

(١) من المخطوطات الدينية الواردة على نصب رمسيس الرابع في أبيدوس : « كسر البيضة وهي تتكون »  
و « صيد السباع في عيد باسنت » ( وكان السبع حيوانها المقدس ) . عدا هذا فن المخطور كذلك في المعبد  
« القسم بتيس متديس » و « ذكر أسم بتاح تا - تن » وذلك لأسباب لانعرفها .

(٢) ويسمى بيون بالإغريقية ، وهو زبيل ست أو هو ست نفسه : Plutarch, De Iside, 49



حقل يارو . وهو يُعطى الفطائر والخبز ، وحقلا طول الشعير والقمح فيه سبعة أذرع ، يحصدهما له أتباع حورس ( انظر الفصل السادس حيث أطلق عليهم المجددون الأوائل ) ، وهو يأكل من هذا الشعير وهذا القمح « ١ . وهو كذلك يدخل ويخرج في العالم السفلى ، ويسكن حقل يارو . ويقوم وقتا في حقل الطعام ، ذلك المكان الفسيح ، ذو الرياح الكثيرة ، حيث هو هناك قوى مجده ، وحيث يحرث ويحصد ، ويشرب ويحب ، ويفعل سائر ما كان يفعل على الأرض » ٢ .

وما تصوّره المصريون في أزهي عصورهم عن مصير الموتى الأبرار ، تكشف لنا عنه الدعوات في مقابر أشرف الأمرة الثامنة عشرة ، إذ يتجمع في هذه الدعوات سائر ما يرجى للميت . فرتيس الشون نختمين يرجو لنفسه « مجددا في السماء ، وقوة في الأرض ، وتبريرا في العالم السفلى ٣ ، ودخولا وخروجا في قبري — وأن أتبرّد في ظله — وأن أشرب الماء في كل يوم من بركتي — وأن تنمو أعضائي — وأن يمنحني النيل الغذاء والطعام وسائر النباتات الطازجة في إبانها — وأن أعده وأروح على شاطئ بركتي كل يوم بلا انقطاع — وأن تحومّ روحي على أغصان الأشجار التي زرعتها — وأن أتبرّد تحت شجرات الجميز التي لي — وأن آكل الثمر الذي تنتجه — وأن يكون لي فم أتكلّم به كأتباع حورس — وأن أصعد إلى السماء وأهبط إلى الأرض ، لا يعترضني عائق في الطريق — وألا يغلق أحد على الكا التي لي — وألا تحبس روحي — وأن أكون في وسط أهل الثناء بين الموقرين — وأن أحرث مزرعتي في حقل يارو — وأن أعده إلى حقل الطعام — وأن يخرج الناس إلى بالقذور والخبز — وسائر أطعمة سيد الأبدية — وأن أتلقى غذائي من اللحم ، الذي على مائدة الإله العظيم » .

أما أهل باحرى ، أمير الكاب ، فهم يتمنون له ما يأتي : « إنك تدخل وتخرج يقلب جدلان وبما يكافئك به سيد الآلهة . . . إنك تغدو روحا حية ، ولك التصرف في الخبز والماء والهواء . إنك تتخذ شكل العنقاء أو عصفور الجنة أو الصقر أو مالك

Totb. ed. Nav. 99. (١)

(٢) نفس المرجع ص ١١٠ المقدمة

Louvre C. 55. (٣)

الجزين ، وذلك كما تشاء ، لأنك تعبر في القارب ، ولن يردك أحد . إنك تبهر على  
الموج إذا كانت هناك مياه . إنك تحيي من جديد ، فلا تغادر روحك جسدك .  
إن روحك مقدسة مع الممجدين والأرواح الفاضلة تتحدث معك . إنك بينهم  
وإنك ( مع ذلك ) لتتلقى ما يقدم على الأرض . لديك الماء ولديك الهواء ، ولك  
بما تهوى الشيء الوفير . لقد أعطيت عينك لتنظر ، وأذنك لتسمع ما يقال ،  
وإن فمك ليتكلم ، وساقيك لتمشيان . ويديك وذراعيك تتحرك ، ولحمك ينمو ،  
وأوردتك سليمة ، وإنك لمعافى في سائر أعضائك . إن قلبك الحقيقي بجانبك ، ولك  
قلبك القديم ، إنك لتصعد إلى السماء وتدعى كل يوم إلى مائدة شراب ونفوسى  
( صفحة ٩٠ ) . وإنك لتلقى الأطعمة التى تقدم إليه وصدقات سيد الحياة .  
وإنهم ليرجون له فضلا عن ذلك : « إنك تأكل الخبز بجانب الإله عند السلم  
العظيم لسيد التاسوع ، إنك تروح وتغدو هناك وتصاحب أنبا حورس . إنك  
تصعد وتهبط دون أن يمنعك أحد . إن أحدا لا يردك عن باب الدعوات ، وإن مضراعى  
باب الألق ليفتحان لك ، والمزائج تفتح لك من تلقاء نفسها . إنك تدخل بهو  
الحقيقتين ، فيحييك الإله الذى فيه . إنك تستقر في مملكة الموتى وتجول في « مدينة  
النبيل » . إنك تفرح عند ما تحرث نصيبك من حقل يارو ، إن ما تحتاج إليه يوفرة  
لك عملك ، وبأتيك حصادك قمحا . إنك تخرج كل صباح وتعود كل مساء ،  
ويوقد لك مصباح بالليل حتى تتألق الشمس ( ثانية ) على جسدك . إنه يقال لك  
« مرحبا » في بيتك هذا ، بيت الأحياء . إنك تشاهد روع في أفق السماء ، وترى  
أمون عند ما يشرق . إنك تبصحو صحوا جميلا بالهار وقد اتفى عنك كل سوء .  
إنك تجوب الأبدية في ابتهاج ، ويثنى عليك الإله الذى فيك ( أى ضميرك ) .  
إن لك قلبك بجانبك وإنه لا يتركك ، إن طعامك حيث ينبغي أن يكون » .  
ومن الدعوات الأخرى التى من هذا القبيل ما يذهب إلى أبعد من هذا . فهى  
لأنك تنمى حقل فحسب يزرعه الميت بنفسه . وإنما تنمى حقولا وقطعا وعبيدا  
من الرجال والنساء . ولا يكتفى الموتى في هذه الدعوات بأن يبعث الجسد منهم

(١) انظر الفصل الحادى عشر ص ١٧٧

(٢) Urk. IV 149, 15.

ثانية ، وإنما ينبغي أن يبعث في شباب غضّ على نحو ما كان من قبل<sup>١</sup> . وإنهم ليرجون كذلك أن يسمح لهم - كما جرى الأمر في حياتهم - بزيارة معبد إلههم المحلى برغبة في الاستمتاع بالبخور وتقبل باقات الزهور التي تقدم للإله<sup>٢</sup> . وليس من اليسير كذلك على من يقرأ هذه الدعوات بعناية أن يصل إلى صورة واضحة عن حياة الموتى . وكل ما يمكن أن يستبين منها على وجه التقريب هو أن الميت يمضى في القبر أو في العالم السفلى ، وأنه يصحو في الصباح ثم يترك قبره حينما يرى الشمس مشرقة ؛ وأنه يجثم على الشجر في شكل طائر ، أو يتمتع في أبيدوس بالحديث مع الموتى القدامى ؛ وأنه يقيم (على شاكلة الملوك من قبل) في السماء حيث يصل بالزورق إلى حقل يارو ، وأنه يزرع أرضه هناك ، وأن أوزيريس يطعمه كذلك ، وأنه في هذا كله يشعر من جديد بأنه إنسان حيّ ذو روح غضّ وجسد بضّ . فإذا أريد استقصاء التفاصيل فدون ذلك متناقضات من ضروب شتى . فنصوص نختمين تتصور محكمة الموتى وتبرير الميت في العالم السفلى ، على حين تجعل نصوص باحرى مقرّ هذه المحكمة أو بعبارة أخرى مقرّ بهو الحقيقتين في السماء . وكل من ينبغي استيضاح الصلة التي بين الجسم والروح والكا - وإن كثيرا من النصوص فوق هذا لتذكر كذلك « ظل » الإنسان - فإنه يقع في حيرة حيال النصوص المتأخرة أشدّ مما يجد بإزاء النصوص القديمة ، وله أن يعجب كيف تحمل شعب ذكيّ هذا الخلط قرنا بعد قرن .

على أن الأمر هنا يتعلق بما وراء الحسّ ، وما يجوز لشعب أن يأخذ هذه المسائل بدقة تامة . لقد تأملها الخيال الأصيل الغضّ في وقت ما ، وعبر عنها في صورة حية ثم جاءت الأجيال الحديثة فألحقت بالتعبيرات والنعوت التي نشأت على هذا النحو أفكارا أخرى غير محدّدة . وإنما نحن في الوقت الحاضر لتتحدّث عن « السماء » ولا نقصد من ذلك شيئا أكثر من مملكة الأبرار ، كما نتحدّث عن الروح والعقل والقلب ولا نكاد ندرك المعنى الأصلي لهذه التعبيرات .

فلنترك إذن للمصريين في العصر التاريخي حقّ استخدام التعبيرات القديمة عما

(١) Urk. 497, 7.

(٢) Urk. IV, 150,3 . انظر كذلك : Harris I 42, 1

وزاء الحسّ وعما لا يدرك دون أن يعباؤا بمعناها الدقيق . ولو أنه تسر لنا في الوقت الحاضر سؤال أحد المصريين عن هذه المتناقضات الواضحة ، لأجابتنا من غير شك بأن هذا لا يكاد يدلّ على تناقض ما ، وقد يجب كذلك : بأن من الخير ألا ينظر إلى هذه الأشياء المقدسة التي لا تقبل البحث بدقّة زائدة . وذلك لأن الإنسان يجد في هذا الغموض والإبهام سحرا خاصا لهذه المسائل . ولا يخطر إلا للاهوت مختصر متعمق عمل تصميم للعالم الثاني في زهو وخيلاء . وحتى هذه المرحلة لم ينجح الشعب المصرى منها ، وتدلّ على ذلك الكتب الغربية التي تبين للميت طريقه ، وتعرفه بسائر الكائنات التي يمكن أن يقابلها في العالم السفلى .

وترينا إحدى خرائط العالم الثاني <sup>١</sup> أن من يدخل مملكة الموتى ممن يكونون في المكان المقدس روستاو بالقرب من البحيرة ( انظر صفحة ٣٠ ) فإنه يجد أمامه سبيلين مفتوحين يؤديان به إلى مملكة الأبرار ، أحدهما عن طريق الماء ، والآخر عن طريق الأرض . وكلاهما يتعرجان ، غير أنك لا تستطيع أن تعرج من أحدهما إلى الآخر ، لأن بينهما بحرا من النار . وهناك كذلك طرق جانبية وإن كان « لا ينبغي لك سلوكها » ، لأنها تؤدى بك إلى النار أوهى طرق طويلة ملتوية . وقبل السير في أحد هذين السبيلين يجب أن يمضى الميت من باب من النار . وتوجد فكرة الأبواب التي تعترض الميت عدا ذلك في كتاب الموتى <sup>٢</sup> ، ففي حقل ياروخسة عشر بابا أو واحد وعشرون بابا ، يقوم إلى جانبها حراس أشرار في أيديهم النصال تعلقها الثعابين .

وقد تطوّر هذا الأدب بطريقة خاصة إلى كتابين حافلين ، ألحق فيهما سبيل الميت بالرحلة التي تقوم بها الشمس في ساعات الليل الاثنتي عشرة عبر العالم السفلى ، وفي هذا تتجلى الفكرة القديمة التي تذهب إلى أن الموتى المساكين يرون كذلك الضوء في مقرّهم المظلم ، ولكن ما أشدّ تفاهة ما صارت إليه هذه الفكرة الجميلة .

وينقسم العالم السفلى — وفقا لما جاء في « كتاب العالم السفلى » الذي يسمى عادة إمدوات — إلى اثني عشر قسما بما يوافق ساعات الليل الاثنتي عشرة ، وتسمى هذه

(١) « كتاب السبيلين » نشره جراف شاك من تابوت من مجموعة الآثار في برلين .

(٢) Totenb. 144-146 .

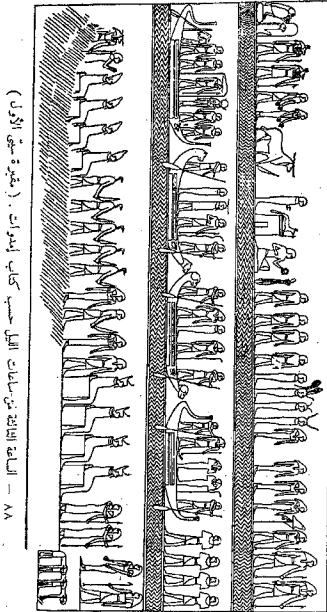
الأقسام « الحقول » أو « المغاور » . وهي أهلة بالآله والأرواح والموتى ، وفي كل منها عادة مدينة يتولى السيادة فيها أحد الآلهة . وكما أن فرعون يجوب مقاطعات بلاده ، كذلك ينتقل إله الشمس من إحدى هذه المغاور إلى الأخرى ، « يلقى أوامره إلى الآلهة التي توجد فيها » ، ويوزع الحقول بينها . وتتألف حاشية رع من آلهة شتى . كما تصاحبه كذلك في كل ساعة الإلهة الخاصة بها . على أنه في حقيقة الأمر ليس في هذه الرحلة إلا جثة أو مجرد « لحم » كما يقول ذلك الكتاب ؛ ويتجلى مظهر هذه الحالة التعسة في أنه يحمل إذ ذاك رأس كبش .

وفي الساعة الأولى يلج إله الشمس « في الأرض » ، في الباب العظيم للأفق الغربي ، ويبلغ طول الرحلة ١٢٠ سخنا ، حتى يصل إلى آلهة العالم السفلى . وتسمى الساعة الثانية « ورنس » ، وهي حقل يبلغ طوله ٤٨٠ سخنا وعرضه ١٢٠ سخنا ، ويستخدم الإله منذ هذه الساعة سفينة جديدة ، تقودها في بداية الأمر أربعة زوارق غريبة . وحقل الساعة الثالثة ذو مساحة مماثلة ، ويقطن فيه أوزيريس مع حاشيته . وتتقدمه هنا كذلك طائفة من السفن كما أنه يستقبل استقبالاً بهيجاً .

أما الساعتان الرابعة والخامسة فتقوداننا إلى منطقة غريبة ، إلى « السرايب » أو مغارات الغرب السرية « حيث يسكن الإله العظيم القديم للموتى في منف ، وحيث يسود الظلام و« لا يرى رع من فيها » ، وإن كانوا يسمعون صوته حين يلقى أوامره . وهذه المنطقة صحراء رملية لاماء فيها وتسكنها الثعابين ، بحيث لا بد لسفينة رع نفسها أن تستحيل ثعباناً لتجرح خلال سرداب ، هو « الطريق الذي دخلت منه جثة سكر » أسفل الكتيب الذي دفن فيه سكر ، والذي تطل منه رأسه الآن لتشاهد الشمس .

وفي الساعة السادسة تجد سفينة الشمس مرة أخرى مجرى من الماء ، وهي « في هذا الحقل غير بعيدة عن جثة أوزيريس » . أما الساعة السابعة فتحرضها لخطر كبير ، وذلك لأن تبن العواصف أبوفس « الذي مقره في السماء » ، يتخذ مكانه كذلك في العالم السفلى ، ويرقد على « رابية طولها ٤٥٠ ذراعاً ، بماؤها بأثناثة » . ولكن « صوته يقود الآلهة إليه » ، فيجرحونه ، ولا يمر هذا الإله العظيم فوقه ،

ولأنما يعرج بطريقه عنه . ولكن "خط آخر يعرض في « هذا الطريق الخفي الذي يبحر عليه الإله في سفينته الفاخرة » . وذلك أنه خلو من الماء ، إذ قد جرحه كله التنين . ولهذا فلا مناص من الاستعانة بسحر إيزيس والإله « القديم » لتسير السفينة إلى الأمام . وفضلا عن هذا ، فإن هذا المغار ينحصر "أوزيريس الذي نرى « لحمه » متربعا على



العرش ملكا ؛ ومن أمامه أعداؤه مقطوعة رؤوسهم أو مقيدون . وأغرب من هذا أن إله الشمس يصل في هذه الساعة وفي الساعة التالية إلى رواب من الرمال قد دفنت من

تحتمها آلهة شتى كأثوم وروع وخبرى وشو وتفتوت وغيرهم ، وبهذا يقابل نفسه ، وذلك في أشكاله الثلاثة .

وفي الساعة الثامنة تنادى شتى الأرواح الإله رع ، حتى ليبدو لحيهم كأنه عواء قط ، أو طنين جماعة من النحل ، أو كأنه بكاء البشر ، أو كأنه أيضا خوار ثيران ، أو صراخ صقر ؛ وقد يتخيل الإنسان كذلك أنه يستمع إلى زقزقة عش حافل بالطير ، أو إلى الصوت الأَجَشَّ الذى يحدثه سقوط أجرف الشواطئ في الماء .

وفي الساعة التاسعة ينزل مجدفو سفينة إله الشمس « فيستريحون في هذه المدينة » ، وفي الساعة الحادية عشرة ، حيث يشاهد تعذيب أعداء أوزيريس ، يستحيل الليل ، الذى به تجر السفينة ، ثعبانا . وأخيرا في الساعة الثانية عشرة يتم ما قد مهد له منذ الساعات الأخيرة ، فقد استقر في الساعة العاشرة جعل إلى جانب رع ، والآن في المغار الذى يطلق عليه « نهاية السَّجَر » تجر سفينة الشمس من جوف ثعبان طوله ١٣٠٠ ذراع ، وعندما تخرج ثانية من بين فكى الثعبان إذا بإله الشمس يصبح هذا الجعل . لقد تحول إلى خبرى ، إله شمس الصباح . وبينما يظل جسده القديم في العالم السفلى يستقبل شو الجعل و « يخرج » الإله الجديد « من العالم السفلى ، ويستقر في زورق الصباح ، ثم يصعد في حضن إلهة السماء » . لقد ولدت الشمس من جديد وهي تبدأ رحلتها الجديدة .

هذا هو ما يتضمنه هذا الكتاب على وجه التقريب بقدر ما يتسنى عرضه . أما ما لم يتيسر عرضه ، وما أضنى على الكتاب طابعه الخاص ، فهى التفاصيل الغريبة العديدة ، التى شاء خيال مؤلفه المضطرب أن يملأ بها . لقد صورت مثلا ، في الساعة الثالثة مملكة أوزيريس ، غير أنه ليس فى أشكالها الإيضاحية السبعة والتسعين شىء على الإطلاق مما يتصل عادة بإله الموتى . فليس فيها ما يصور موائد طعامه أو الحقول التى يزرعها الأبرار ، وليس فيها شىء عن محكمة الموتى أو عن إيزيس وفتيس . وإنما يقف فيها على أحد الشاطئين آلهة ثلاثة فى أيديهم صوالج ، وإلى جانبهم صقر وأربع نساء « ييكين » أو « يندبن » وفق العبارة المكتوبة إلى جانبهن ، وأربع مومياءات

على رعوسها أجنحة وقرون ، وأربعة رجال يمثلون على ما يبدو «الموتى الأشراف» .  
ويلى ذلك « وافر السحر » ، وهو غصن من بردى عليه قطعة من لحم ، ومن ورائه  
رجل ذكر عنه أنه هو « الذى يجلب العين ويرضى الآلهة » ، ثم أنوبيس ومن أمامه  
صوبلجان ، ثم مومياء لها يدان . أما الكبش ومعه السيف فهو « قاتل أعدائه » ؛  
ويبدو أن « الجالبية » و « الجالب » يحملان مقلا . وخلف ست وأنوبيس - أخيرا -  
قردان يجلس أحدهما فى كن ، ويجلس الآخر « على رملته » كنص العبارة التى إلى  
جانبه . ومن يرى على الشاطئ الثانى إلهان فى رداءين طويلين ، يمثل أحدهما النجم  
الجبار ، ثم إله بنقبة قصيرة يسمى « المنتمى للغرب » ، والإلهة « التى فوق لحيها » ،  
وإلهة الولادة ، و « الحماسى » وهى كائنات خمسة لها رعوس طير وفى أيديها نصال ،  
ثم كثير غيرها . ويجلس بين هذه الآلهة أربعة آلهة تتخذ تيجان الوجه البحرى ،  
وأربعة أخرى تتخذ تيجان الوجه القبلى ، ويمثل هؤلاء الثمانية جميعا أوزيريس الذى  
يملك هذه المنطقة ، وذلك بما يطابق أسماء الثمانية المختلفة ، وهى : « أقوى الآلهة » ،  
وملك مصر السفلى ، والجالس على عرشه ، وثور الغرب ، وغازى الأبدية ،  
والنائب ، وأول أهل الغرب ، وسيد الغرب . ومن وراء هؤلاء جميعا رجل يصل  
ثم الإله خنوم . فإذا أجهنا إلى السفن التى ترافق سفينة الشمس ، وجدنا فيها الحيات  
المسماة : « الوجه ذو الشرر » و « النار فى الوجه » و « النار فى العين » ، كما نلقى  
« الصقر » و « الصقرة » و « صاحب الصوبلجان » و « ذلك الذى فى البلاد » ،  
والربانبة المسمين « وجه الذهب » و « النصل فى الوجه » و « مجدف المجدفين » .  
فإذا يمكن أن يعنيه هذا كله ؟ إنه مما لاجلوى منه كذلك البحث عن تفسير لهذا  
كله فى الكتابات التى تصاحب هذه الصور . إنها تعرفنا أن أشكال الصف العلوى  
« تخلق المحيط وتعمل على جريان النيل » ، على حين أن أشكال الصف الأسفل  
« تمزق الأرواح وتسجن الظلال » وتعاقب الأعداء بالنار والسيف . وهى تعرفنا  
كذلك أن هذه الكائنات تعبد رع ، وأنه يتحدث إليها فى مودة وإخاء ، وأنه  
يسقها ، فإذا ما تولى عنها ظلت تنوح . ولكن ماذا يفيدنا هذا كله لإدراك حقيقة  
كل من هذه الأشكال ؟ ومع ذلك فليس من شك فى أن الرجل الذى ألف هذا



الكتاب الجميل على أساس أفكار مماثلة قديمة ، قد قصد بهذا كله إلى شيء ما ، وأنه كان له ما يسرّه في سائر هذه التلميحات والإشارات ، التي تكمن من وراء هذه الصور . على أنه ليس لنا أن نأسى بلهنا ، لأن ما لانفهمه لا يمثل تصورات شعبية ، ولا ينطوي على تفكير عميق ، وإنما هو أو هام لبعض أفراد ، ولم يكن الشخص الذي صاغها في الشكل الذي تبدو لنا فيه الآن ، إلا صانع كتب في السحر ، وهو ما تدل عليه الزعود التي ملأ بها الكتاب بأكمله . فن « يعرف » هذه الصور وهذه الأسماء . « فإن ذلك يفيد الفائدة العظمى على الأرض ، كما يفيد في العالم السفلي العظيم » ؛ أو « إن من يعرفها فإنه يجوز الأطعمة في العالم السفلي ، ويشبع من صدقات أتباع أوزيريس ، على حين يقدم أهله كذلك الصدقات له على الأرض » ؛ أو أنه كذلك يسكن في سفينة روع في السماء وفي الأرض . « أما من لا يعرف هذا » ، فإنه لن يستطيع اتقاء أبوفس . وبهذا فكل كلمة وكل صورة من هذا الكتاب إن هي إلا ذخيرة لمن لصاحبها السعيد . ومن الحق كذلك أن هذا الكتاب بهذه الصفة قد درّ ثمنا باهظا على الرجل الذي أخرجه لأول مرة ، وإن كان قد جاء أنه أخذ من « غرفة خفية في العالم السفلي » ، حيث وجد مصورا على جدرانها الأربعة .

وقد حفظ لنا كذلك كتاب آخر يناقسه نسميه كتاب الأبواب ، وذلك لأنه وفق ما جاء فيه تقوم بين الساعات بعضها وبعض حصون عالية تحرسها الحراس والتهابين التي تنفث النار . وهو أكثر رعاية للتصورات الشائعة من كتاب إمدوات ؛ كما أنه أقل منه احتفالا بالأغراض السحرية ؛ على أنه فيما عدا هذا فهو قريب الشبه جدا به في خطته وطريقة عرضه .

وهناك ناحية لها أهميتها الخاصة بالنسبة لنا في هذا الأدب كله ، وهي أنه قد أتى عليه هو أيضا فترة من الزمن كان فيها موضع التقدير وغاية تطلب . فهاوك الأسترين التاسعة عشرة والعشرين ، الذين خفروا مقابرهم في طيبة في القرنين الثالث عشر والثاني عشر ، قد نقشوا هذين الكتابين على الجدران وعلى الثوابت . وإن من يجوب الآن الدهاليز المهيبه لهذه المقابر ليلقى أشكال الإمدوات وهي ترنو إليه بأبصارها من جميع الجهات ، كأن المصريين القدامى لم يتخلوا شيئا عن الحياة بعد الموت أفضل من

هذه الأشكال الغربية . وفي القرن التالي كانت توضع إلى جانب بعض الموتى أجزاء من كتاب الأمدوات مكتوبة على قراطيس البردى لتحميمهم ، ومع هذا فلم يبعد هذا الكتاب في أي وقت كتابا شعبيا ، وإنما ظل كما كان ، وكما ينبغي أن يكون ، سرا لدى أهل الخبرة بالسحر .

وما ينبغي أن ينتهي هذا الفصل عند حدّ هذا الخلط المهووس الذي اضطربنا هنا إلى التحدّث عنه ، فبن الأدب المصري وخاصة أدب العصور القديمة تصلنا أصدااء نعم لها في قلوبنا وقع أكثر من غيرها .

لقد كان حتى أتقى المصريين الذين كانوا يطعمون عن عقيدة قوية في مملكة الموتى ، والذين « أعدوا لأنفسهم مكانا جميلا في وادي الصحراء » ، يفزعون من الموت ، ويرهبون رسول أوزيريس ، وذلك لأن لأوزيريس رسلا ذوى نظرات شرسية ، يطلبون الناس ولا يخشون أحدا من الآلهة ( صفحة ٩٦ ) . ولا يعلم أحد، متى يأتيه مثل هذا الرسول ، وذلك على نحو ما قال أحد حكماء الدولة الحديثة : فكر في الموت لأن « رسولك يأتي إليك . . . لا تنقل إلى لأزال شابا » ذلك لأنك لاتعرف موتك ، إن الموت يحضر ويقود الطفل ، الذي لا يزال يجلس في حجر أمه ، كما يقود الرجل الذي أسن » ١ .

وفي صراحة تامة يذكر أحد شعراء الدولة الوسطى ، أن الدفن لايجب غير الأسي والدموع ، وأن سائر المقابر الجميلة تهدّم بلا شك ، وأن المدفونين فيها ليسوا بأحسن حالا من الفقراء ، الذين يموتون مجهدين على رصيف الميناء ،

وإننا لنقرأ حتى في أحد نصوص كتاب الموتى ٢ ، في حديث بين أتوم وأوزيريس ، أن مملكة أوزيريس إن هي إلا أرض لاماء فيها ولا هواء ، ولا خبز ولا جعة ، ولا حب . حقا لقد أشار أتوم إلى أن أوزيريس يستعيض عن نعم الدنيا هذه براحة البال والتعجيد ، وإننا لندرجو أن يكون هذا البديل قد أرضى أوزيريس ، ولكن — من الحقق — لم يكن الأمر مع البشر دائما على هذا النحو ، وذلك لأن أغنية

Litt S. 297 (Max D'Anii 3, 16) (١)

Kees, Ae. Z. 65, 73. (٢)

الشراب القديمة تدعو ، وهى ترنو بنظرها إلى الموت ، إلى الاستمتاع بالحياة ، « لتبتهج ، ولتأس قلبك أن الإنسان سوف يمجّد يوماً » . إن المقابر كلها تهتّم وحتى مقابر الحكماء الأقدمين « قد غدت كأنها لم تكن . لأحد يأتي من هناك فيحدثنا كيف حالهم ، وماذا يعوزهم ، ليظمن قلوبنا حتى نغدو نحن كذلك إلى حيث ذهبوا » . لهذا فلتنعم بالحياة حتى يأتي يوم النديب ، ولكن « ذا القلب الساكن لا يسمع صباحهم ، ولا ينجى النواح أحدا من العالم السفلى . ما من أحد يستطيع أخذ متاعه معه ، وما من أحد يعود بعد أن مضى » ١ .

أجل هناك أغنية أخرى تختجّ على هذه التصوّرات ، وتجنح إلى مدح عالم الموتى كأنه شيء جليل . على أن ناظمها لا يصدر في ذلك عن إيمان تام وهو يقول : « ماذا ينطقون عند ما يشيدون بمدح الحياة على الأرض ويقللون من شأن مدينة الموتى — ماذا يفيد العمل ضد الأبدية على هذا النحو ، وهى البلد الحقّ العادل الذى لا فرج فيه ؟ إنه يمقت الشقاق والخصام ، وما من أحد فيه يتخذ العدة ضد سواه . فى هذا البلد الذى يخلو من الأعداء يستريح أهلنا جميعا منذ العصور الأولى ، وسيغدو إليه كل من سوف يكون هنا فى ملايين الملايين من السنين . ما من أحد استطاع أن يبقى فى مصر ، وما من أحد لم يذهب إليه . إن الزمن الذى يقضيه الإنسان على الأرض إنما هو طيف خيال فحسب ، وعندئذ يقال لمن يصل إلى الغرب « مرحبا » ٢ .

وهكذا احتفظ الشاعر بالتهجّة الواجبة لمملكة الموتى ، على أنه لم يطرها فى حقيقة الأمر بأحسن من أن الإنسان يجد فيها فى خاتمة المطاف راحة وسلاما .

ومع ذلك فلم يكن سائر الموتى ليفرحوا حقا بالراحة التى كان يرجوها لهم أخلافهم الأحياء ، وذلك لأن أفكار الكثيرين منهم ظلت تتعلق بالدنيا وبالْحياة فيها ، كما ظلّ بعضهم يحتفظون بسخط صامت ، يودون لإرضاءه ، على حين كان آخرون يتبرّمون بحياة من خلفهم من الأحياء . على أن الميت لم يكن ضيفا مرحبا به إذا زار أحيانا أحد البيوت حيث لا يراه أحد على نحو ما رأينا من قبل (صفحة ٢٥٤) . ولا بد

Litt. S. 178. (١)

Litt. S. 317. (٢)

في واقع الأمر أن كل شخص كان يشعر بأنه مهدد من قبل أمثال هذه الأشباح . سواء أكانت من الأهل أو من الأرواح الشريرة الأخرى . ولم يكن هناك ما يبق شرها غير تعاويذ السحر والتأمم ، ومع هذا فلم يكن أحد يوقن أنها نفيذ حقا . على أنه قد يسعد الحال بالكشف عن قبر الميت المسمى ، وبهذا ربما استطاع المرء « ألا يدعه يهبط أو يصعد مع الريح »<sup>١</sup> . وهكذا خطر على البال أن من المستحسن الاتصال بالميت نفسه اتصالا مباشرا ، فلربما ثنته عن رأيه رسالة فينسى سخطه . وقد حفظت لنا أمثال هذه الرسائل من سائر العصور . وكان يفضل كتابتها على الصفحة التي تحوى طعام الميت ، لأنها ستصل إلى يديه بالتأكيد . وقد كتب رجل<sup>٢</sup> إلى والديه يرجوهما أن يتوسلا لدى أخيه المتوفى ، فقد حمله إلى أرض الوطن حيث دفنه ، غير أنه لابد أنه لم يكن راضيا عن ذلك ، لأنه دائب على الإساءة إليه . وكتبت أرملة إلى زوجها تشكو إليه كيف سرقها بعض الأقارب الأشرار هي وابنها في بيتهما . وجزعت أرملة أخرى لمرض أمتها ، فأنجته إلى زوجها الميت ليقى الفتاة من الأشباح الشريرة ، التي أصابها بالمرض ، فإن لم يفعل ذلك فسيخرب بيتها . ويفيض باليأس كذلك ما كتبه أحد الأزواج المترملين إلى زوجته . فهو في يأس وبلاء ، ويعتقد أن امرأته هي السبب في شقائه ، وإن لم يكن لها أن تشكو منه شيئا . وهو يبصرها بأن أطفالها كذلك يقاسون العذاب . فإذا كان السبب في شقائه يرجع إلى غيرها من الموتى فعليها أن تطلب العون من أبيها ، لأنه رجل قوى النفوذ في مملكة الموتى .

وإذا كان في هذه الرسائل الساذجة ، التي يرجع أغلبها إلى السولة الوسطى ، ما يؤثر في الشعور ، فإن في الرسالة التالية من ذلك نصيبا أوفى بكثير .

كان ذلك حوالى سنة ١٣٠٠ ق . م تقريبا ، حين كان يعيش في منف موظف أو ضابط كبير . وكان عمله يقتضيه التغيب عن بيته فترات طويلة . وفي إحدى هذه الفترات مرضت زوجته « عنخ - إيرى » ؛ وعلى الرغم مما كفل لها من العناية الطبية ، فقد ماتت قبل عودته . فنقل ذلك على نفسه كثيرا ثلاثة أعوام بأسرها . ثم أدرك

Pap. Turin 124, 13. (١)

(٢) كل مايلي هو كما جاء في Gardiner and Sethe: Letters to the dead, London 1928

آخر الأمر أنه لا بد من أن تكون زوجته نفسها هي التي تحول بيته وبين استعادته مرحة . فكتب إليها رسالة ربطها في تمثال خشبي لفتاة ، ووضعها في قبر زوجته ليكون لها رسولا . وخط الرسالة وحده يدل على أنها كتبت في ثورة نفسية ، وقد جاء فيها : إلى الروح الفاضلة عنخ - إيبري . أى مساءة اقترقتها إليك حتى أقع في هذه الحالة السيئة التي أنا فيها ؟ ما الذي أفعله ضدك حتى تضعي يدك عليّ ، مع أنني حقا لا أقترف ذنبا ضدك ؟ منذ أن كنت زوجك إلى اليوم - ما الذي فعلت ضدك مما أضطررت إلى إخفائه ؟ - إنى لأعرض الأمر الآن بكلمات من فمى أمام آلهة الغرب ، وسيتفصل بينك وبين هذا الكتاب . . . . .

لقد اتخذتك زوجة عندما كنت صبيا ، وقد كنت معك ، ثم تقلدت جميع الوظائف فبقيت معك ، ولم أهجرك ، ولم أضن قلبك .

لقد أخذتك وأنا صبي ، وتقلدت جميع الوظائف العظيمة لفرعون ، ومع هذا لم أهجرك ، فقد قلت : لقد كانت دائما معي . . . . ها إن لم تدعى قلبي يتهيج فسأقاضيك ، وسيرى الناس ما هو الحق وما هو الباطل . ها انظري ، حينما كنت أعلم ضباط جيش فرعون وضباط فرقة المركبات ، أرسلتهم ليسجلوا على بطونهم أمامك . لقد جلبوا شتى الأطايب ليضعوها بين يديك . لم أخف عنك شيئا أبدا طول حياتك . . . وما وجدت أبدا أنني غضضت من قدرك ودخلت في بيت آخر كما يفعل الفلاح . . .

ولما أصبحت في المركز الذي أشغله الآن ، لم أكن أستطيع الخروج كما كان الأمر من قبل ، فقامت بما يقوم به رجل في مركزى حينما لا يكون في بيته ، ولم أؤثر نفسى بالعمود والخيز والملابس ، فبعثت بها إليك ولم أبعث بها إلى أى مكان آخر ، فأقص من قدرك . ولما مرضت المرض الذى أصابك ، بعثت إليك بأحد رؤساء الأطباء ، فأعدت لك الدواء ، وقام بما كنت تطلين جميعا . ولما رافقت فرعون في سفره إلى الجنوب قضيت ثمانية أشهر بلا طعام أو شراب . فلما جئت منعت ،

(١) كانت الزوجة على ما يبدو من أصل أقل شأنًا ، وكان من المتوقع أن يطلقها زوجها عندما بلغ مركزا عاليا فيما بعد .

رجوت فرعون أن يمنحني إجازة ، ثم ذهبت إلى مسكنك وبكيت مع أهلى أمام بيتك كثيرا . وقدمت ثيابا من الكتان الرقيق لتكفينك ، وسمحت بصنع ملابس كثيرة ، ولم أذع شيئا طيبا لم أفعله من أجلك .

وهأنا قد قضيت ثلاثة أعوام إلى الآن وأنا هنا قعيد لأذهب إلى بيت آخر ، مع أن رجلا مثلى ليس فى حاجة إلى ذلك ، ولكنى فعلت هذا من أجلك . ها انظرى إذا كنت لاتعرفين الخير من الشر ، فأنك ستقاضين .

وفى نهاية الخطاب أضاف هذه الحاشية : « ها انظرى : إن الأخوات اللاتى فى البيت . . . لى لم أذهب إلى واحدة منهن » .

والموتى فى هذه الرسائل ليسوا هم أتباع أوزيريس المادئين ، الذين غادروا عالم الأرض — حقا إن اسمه لايرد فى أى من هذه الرسائل — ولكنهم كثيرا ما يساهمون فى هذه الحياة ، فهم يحبون ويكرهون ، كما كان الأمر من قبل ، ومنهم الأقوياء ومنهم الضعفاء ، على نحو ما فى الحياة الدنيا . وفى هذا تتجلى التصورات الشعبية التى كثيرا ما نجدها فى غير هذه الرسائل . ولا تخلو متون الأهرام من الحديث عن الموتى الذين يسيئون إلى المتوفى أو يعتدون عليه ٢ ، أو يتلفون قبره ٣ . أما الفكرة المماثلة ، التى تذهب إلى أن الموت والموتى يجلبون للأحياء المرض والملاك ، فقد ظلت فى جميع العصور ، كما سنرى فيما بعد .

(١) هذا هو التعبير عن الحبيبة فى اللغة المصرية .

(٢) متون الأهرام ٦٣ .

(٣) متون الأهرام ١٦٥٦ .

## الفصل الخامس عشر

### العناية بالموتى

منذ كشفت الحفائر في عشرات السنين الأخيرة عن أقدم جبانات مصر ، ونحن نعلم أن الدفن كذلك في هذه البلاد ، التي بالغت في الاحتفال بموتائها ، كان في بداية الأمر بسيطا جدا . فكانت الجثة توضع في حفرة صغيرة ، بحيث ترقد على جانبها الأيسر على هيئة القرفصاء والركبتان مثنيان .

وقد كان يصيب الجثة التلف في هذه الحفرة ، بحيث كان لا يجد من يكشف فيها بعد عن مثل هذا القبر ، غير هيكل من عظام متناثرة . وقد احتفظت مصر فيما بعد دون أن تعلم ، بذكرى هذه الطريقة القديمة للدفن ، إذ ظل يرجح للميت في الدعوات الجنازية أن تلثم أعضاؤه من جديد ، وأن يلتحق رأسه بعظامه ثانية . ولم يفهم العصر التالى الذى عمل على حفظ الجثث في شكل المومياء ، مثل هذه الصنيع ، وكثيرا ما كان يؤولها بالأسطورة التى فيها مزقت جثة



٨٩ - قبر من أقدم الأزمنة  
( من صورة فوتوغرافية من عمل ج . ريزنر )

أوزيريس . على أن الأقرب إلى الاحتمال في واقع الأمر هو أن تكون هذه الأسطورة قد نشأت بالأحرى من مثل هذه الصنيع التى ضاع معناها .

ومن بعض قبور هذا العصر السحيق ما يدل فيه دفن الميت على عناية بيئة بحفظ الجثة ، التى هى وإن كانت قد احتفظت بوضع القرفصاء ، كما كان الأمر من قبل ، فقد كان يحاط عليها جلد أو حصير ، أو كانت تودع في قدرين كبيرين<sup>١</sup> ، على

(١) لاسيلى هنا إلى بحث ما إذا كانت هذه الطرق المختلفة للدفن ترجع إلى مجموعات مختلفة من السكان .

أنها لم تكن تلبث أن تكنسب في الأرض الحافة بيوسة تغدو معها كومياء طبيعية . وقد يخفر القبر على عمق أكبر ، وتكسى جوانبه باللبن ، ثم يوضع من فوقه لوح من حجر ، يحمي ما بداخله من أن يتحطم . وكان أصون من هذا وأسلم حفر بئر في الصخر غير عميقة ، تتصل بقاعها غرفة صغيرة ، كانت تسدّ فتحتها بالبناء ، فإذا ردمت هذه البئر ، ثم جمع من فوقها كومة من الحجر ، كان في ذلك ما يحمي الجثة من اللصوص وبنات آوى .

ولقد فطر الإنسان على ألا يترك أهله وأقرباءه الذين أحبهم وكرّمهم في الحياة دون رعاية بعد الموت . وليس بهمّ في هذا تفاصيل ما تصوّره الإنسان عن مصير الميت ، فالشعور الغامض نفسه ، الذي يوحى بأنه لا يستغنى عن شيء مما استخدمه في الحياة ، ليؤدّي إلى تزويده بأهمّ الضرورات . لهذا لم يفت المصريين في أقدم عصورهم تزويد موتاهم بما يلزمهم من أثاث جنازى . فكان يوضع إلى جانب الميت قبل كلّ شيء قدور وصحاف فيها طعام وشراب حتى لا يجوع أو يعطش ؛ وكان يتلقى الخطاطيف والنصال من الحجر ، ليصطاد طعامه ويحمي نفسه ضد أعدائه ، ورقعة اللعب ليزجي بها وقته ، ودبابيس الشعر وصلايات من الحجر لصحن الصبغ الأخضر ، حتى يحسن ترجيل شعره وصبغ ما حول عينيه ، كما فعل من قبل في حياته . وكانت تضاف إلى هذا أشياء أخرى لا يمكن أن نفيده إلا عن طريق خارق للعادة . فن شأن قارب صغير من صلصال أن يبسر له عبور المياه التي تحيط بحقول الأبرار في السماء كما رأينا فيما مضى ( صفحة ٢٤٣ ) ؛ كما أنه من شأن الثور من الصلصال أن يذبح له ، والخدمة من الصلصال في الدن الكبير أن تعجن بقدمها عجينة الشعير ، لتعدّ له الوجعة ، شرابه المحبوب . ويندو كذلك أن تلك التماثيل الأخرى التي تمثل نساء جاثيات ، أنها إنما كانت لتمنح سيدها ملذات الهوى والحب ، ولهذا لوّنت بألوان مختلفة جميلة ، حتى لتبدو كأنها اتخذت زخرفها وزينتها ؛ ولهذا أيضا غلظت لديها الأقدام

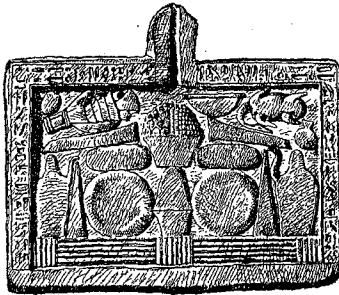


٩٠ - تماثيل امرأة من أحد قبور ما قبل التاريخ (برلين ١٢٧٦٧)



والأعجاز ، ولا يزال يعتبر ذلك حتى اليوم عند سكان أفريقيا ذروة الجمال في النساء .

وفي وقت مبكر كذلك ، تطرَّق الشك في أن ما يوضع إلى جانب الميت من طعام كان يكفيه على الدوام ؛ لذلك ذهب المتخلفون الأحياء إلى أن من واجبهم كذلك العناية بطعام الميت بعد دفنه . ولم يكن الغرض من هذا بطبيعة الحال إطعامه كل يوم ، وإنما كان ينبغي أن يحصل الميت المسكين على بعض الطعام على الأقل في أيام الأعياد التي جرى الناس فيها على أن يأكلوا في بيوتهم أطيب الطعام ، ويشربوا أحسن الشراب . لهذا كان يبسط أمام المقبرة حصير ، توضع عليها صحفة عليها رغيف ١ ، ثم يسكب الماء ، وعند ذلك ينادى على الميت : « قم نخذ خبزك هذا مني » ٢ . فيخرج من القبر ويتم بالطعام . ولم يكن في مثل هذه المسائل التي تسمو على الطبيعة ، ما يقلق شعور الإنسان ، ألا يرى الميت ، وألا يتنص الطعام .



٩١ - مائدة قربان من عهد الدولة الحديثة . من أسفل الحصىرة الأصلية وعليها صحفة الخبز ، ومن فوق ذلك كدست الرغفان وجرار الماء وسللة الفاكهة وإوزة مشوية وغيرها ( بزلين ٢٢٧٣ )

وكان المصريون يسمون مثل هذا القربان الجنازى - أو إطعام الميت بعبارة

(١) مما يدل على أن قربان الميت في الزمن القديم كان على هذا النحو علامة الكتابة التي كانت تستخدم للتعبير عن ذلك ؛ انظر أيضا الشكل ٩١ .

(٢) متون الأهرام ٢١٧ .

أصبح - « الخروج على الصوت » ، وذلك لأن صوت الإنسان الحي هو الذى يستدعى الميت من القبر . وكان القيام بهذا من واجب الأبناء البررة <sup>١</sup> ، فإن الابن « يزرع الشعير ، ويزرع القمح ليسديهما إلى الأب » <sup>٢</sup> . فإذا قُدم للأبوين القربان فإنهما يجلسان فى سرور إلى مائدة الطعام على نحو ما كانا يفعلان من قبل فى الحياة ، وهو ما يدل عليه النقش القديم فى مجموعة الآثار فى برلين .



٩٢ - الطعام الجنائزى على لوحة من الحجر من مقبرة زوجين ؛ وعلى الجانبين بعض أبنائهما (برلين ١٤٧٩٥)

وكانت المقابر الفخمة ، والعطايا الوافرة ، قاصرة أول الأمر على الملوك . فقبرة نقادة الكبيرة فى مصر العليا ، التى دُفن فيها أحد ملوك العهد العتيق <sup>٣</sup> ، هى مبنى مستطيل من اللبن ذو جدران قوية مائلة إلى الداخل ، تتخللها مشكاوات متداخلة تضى على البناء شكل القصر ؛ وكان السقف من جذوع النخل . وكانت تشتمل على غرفة كبيرة للجنة فى الوسط ، وعلى أربع غرف أخرى ، كانت تحتوى على كميات كبيرة من الأطعمة ، وقدر النبيذ ، والبعة ، وأرائك من العاج ، وأوانى فاخرة من الأحجار ، وما عدا ذلك من سائر الأثاث المنزلى ، الذى يحتاج إليه الملك بعد

(١) إنه الفكرة التى تذهب إلى أن القربان كان يقدم الموتى عن خوف رغبة فى استرضائهم ، ليست فكرة مصرية بآية حال . ولا يعرف المصريون أيضا ما ينسب إليهم عادة من تقديس الموتى كآلهة ؛ أما ما وجد فيها بعد من ذوافع المثل هذا التقديس ، فقد نشأ من تصور الميت على شكل أوزيريس جديد ، ولم يكن لهذا معنى العقيدة .

(٢) متون الأهرام ٧٦١ .

(٣) لعله ميتنا المشهور . عما يلى انظر Ae. Z. ، جلد ٣٦ ، صفحة ٨٧ .

الموت . وفي أبيدوس بنى ملوك هذا العهد الباكر مقابر مماثلة . وتمثل فيها عادة غربية : ففي الغرف الصغيرة القريبة من مقبرة الملك يرقد بعض حاشيته من نسائه وحرسه وأقزام البلاط وحتى كلابه ، وذلك وفق ما تدلّ عليه الشواهد الصغيرة للمقابر . ونحن لا نخطئُ حقا إذا فكرنا هنا في تلك العادة التي نعرفها أيضا في شعوب أخرى : فالمدفونون في هذه الغرف كان لهم شرف مصاحبة سيدهم في الموت عند وفاته ، إذا ما كان ينبغي أن يكون في مملكة الموتى من غير خالصته . ومثل هذه العادة تنجلي كذلك في مقابر الأفراد من نفس العصر ، إذ كانت توضع في بعض الأحيان إلى جانب الميت حيواناته المحبوبة كبطة ، أو ثلاثة خمير ، وكانت تدفن في توابيت على نحو ما يدفن الإنسان <sup>١</sup> .

وبعد ذلك بأربعة قرون نجد أنفسنا في عالم آخر لا يعرف شيئا من هذه العادات الهمجية القديمة . فقد عمل أشرف البلاط إذ ذاك ، على أن يدفنوا في مقابر عظيمة ، ابنتوها من حول مقبرة الملك ، التي تسمو في شكل هرم على سائر ماعداها . وأول ملك شيد بناء مدهشا على هذا النحو الملك زوسر . ولم ينس المصريون حتى في الأجيال المتأخرة وزيره المحوتب : الذي أقام البناء الضخم للهرم المدرج من الحجر لامن اللبن . ولا علاقة لهذه المباني في حقيقة الأمر بالفن المصري ، الذي كانت الأهرامات تعتبر علما عليه فيما مضى ، ذلك لأن هذه الكتل الحجرية الموحدة الشكل ، ليست في أساسها إلا كومة الحصى والتراب ، التي كانت تكوّم فوق الجثة لتقيها الدمار ، والتي زيد في مجموعها إلى حدّ الإفراط . وليس من شكّ في أنه قد أدّى إلى هذه المغالاة ذلك الاعتقاد الذي تحدّثنا عنه في الفصل السابق ، وهو الاعتقاد بأن الإنسان سيبحث حياة جديدة إذا ظل جسده سليما يتصرّف به كيفما شاء .

وهكذا لا يشتمل الهرم في داخله على أية غرفة أخرى غير الغرفة الصغيرة التي يوجد فيها التابوت ، أما الدهليز الضيق الذي يؤدي إلى غرفة التابوت هذه ، فكان يغلق بعد الدفن إلى الأبد <sup>٢</sup> . ولهذا فليس في الهرم نفسه مكان ، يمكن أن تقلم فيه

(١) انظر *Journal of Egyptian Archaeology* المجلد الأول صفحة ٤٣ .

(٢) يشتمل هرم في أوسر رع مثلا على ١٠٧٠٠٠ متر مكعب من البناء ، بينما لا تزيد سعة الغرف الداخلية

على ٢٠٠ متر مكعب .

للملك المتوفى الأطمعة ، وتؤدي فيه الشعائر ، التي كانت تقتضيهما الطقوس ، وإنما كان هذا كله يؤدي في مبنى خاص كبير ، يقع من أمام الهرم ، نسميه الآن المعبد الجنائزى .

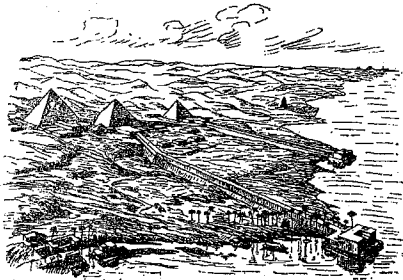
وكان الملوك في القرون الأولى من بناء الأهرام يتبارون في تشييد الأهرامات الضخمة ، وكثيرا ما كان يستعاض في أثناء الحكم عن بناء مشروع أول متواضع ببناء آخر أعظم وأفخم . وفي بعض حالات معينة يتبين أن الملك مات قبل أن يتم بناء الهرم والمعبد ، وفي هذه الحالات كان يقع على كاهل خلفه العمل على إتمامهما ، وهو عمل كان يؤديه في كثير أو قليل من الإقبال<sup>١</sup> .

وقد ادّخرت الأقدار للملكين من الأسرة الرابعة ، وهما خوفو وخفرع : أن ييزا إلى حد بعيد في مبانيهما سائر مباني أسلافهما وخلفائهما . ولتكوين فكرة عما يسمى « الهرم الأكبر » للملك خوفو ، فليصور المرء سطحا مربعا طول كل جانب منه ٢٣٣ مترا ، وهو مكان يعادل في برلين حديقة الزهرة ، أو ميدان فنتسبرج ، وقد أقيم عليه جرم من الحجر يفوق في ارتفاعه ارتفاع كاتدرائية شتراسبورج . ولم يكن الإنسان الطبيعي ليتصور أن مثل هذا البناء الضخم قد يكون لحماية جثة واحدة ، لهذا شغل الخيال بالبحث عن سبب آخر لمثل هذا البناء . ولا زلنا نرى في أيامنا هذه مدى الحماقات التي يردى فيها الإنسان في هذا الشأن . ففي كل البلاد الآن أناس يحلفون أن الهرم الأكبر ، إنما بنى ليخلد بمقاييسه أسراراً في الرياضة أو الفلك أو الدين . على أنه من اليسير علينا أن نذكر أن هذين الملكين اللذين كلفنا شعبهما مثل هذه الأعمال الضخمة ، قد عرفنا عند الأجيال المتأخرة باتعدام القوى والصلاح بنوع خاص . وهناك شيء آخر جدير بملاحظتنا في هذه الأبنية الضخمة للأسرة الرابعة ؛ فالأهرام ومعابدها على حد سواء تخلو من الكتابات أو الصور ؛ إذ ما كانت تؤثر في النفس إلا بضمخامة جرمها ليس غير<sup>٢</sup> .

(١) كما هو الأمر في المعبد الجنائزى الملك نفر إير كارح . انظر Borchardt, Grabdenkmal des Königs Nefer-ir-ka-re صفحة ٤٩ وما بعدها .

(٢) نعرف اليوم أن هذه البساطة إنما كانت اتجاهاً مقصوداً لذاته يناقش ما كشف عنه من فن سابق رشيقي في المعبد الجنائزى الهرم المدرج .

وقد اختلف الأمر في الأسرة الخامسة ، وبخاصة في المعابد الجنائزية . وإنما  
لنعرف الآن تفاصيل أجزائها الفخمة بفضل الحفائر الألمانية ١ . فعلى رصيف الميناء  
حيث كانت ترسو السفن ، مدخل فخم يخرج منه دهليز طويل مسقوف يبلغ طوله  
في إحدى الحالات ٤٠٠ متر - يؤدي صعودا إلى سطح الهضبة ، حيث يقوم المعبد ،  
وفي مقدمته ردهة ، كان يجتمع فيها من كان لهم حق الاشتراك في الاحتفالات ،  
ومن ثم يمضون إلى الفناء الواسع ذي الأساطين ، حيث كان يمكنهم إذا فتحت  
الأبواب رؤية تماثيل الملك المخلد . أما الجزء الخلفي في المعبد فكان على نقيض هذا



٩٣ - أهرام أبي صير ومعابدها الجنائزية. من أسفل في الوادي المداخل ومنها دهليز مسقوف تؤدي إلى  
المعابد (عن بورخارت)

مخصصا للعبادة الجنائزية بالذات . وهو ينتهي بما يسمى الباب الوهمي ، وهو ذلك  
المكان الذي يظن أن الميت يظهر فيه ليستقبل ما يقدم من طعام . وكذلك تنفق زخرفة  
المعبد الداخلية ، مع الأغراض المختلفة من غرفه . فالنقوش المصوّرة في هو الأساطين  
وفي الجزء الأمامي من المعبد تتعلق بأعمال الملك وحياته ، أما في الغرف الداخلية فتحتل  
الجدران صور أنوبيس وغيره من آلهة الموتى .

وفي عهد آخر ملوك الأسرة الخامسة ظهر كذلك شيء آخر فيه فائدة علمية لنا

(١) يعتمد ما يلى على ما وجد في مقبرتي في أوسر رع وساحورع .

تفوق ما لساثر صور المعابد الجنازية كثيرا ، وذلك لأن جدران غرفة المدفن والدهليز في هرم هذا الملك وأهرام خلفائه من الملوك تغطيها كتابات لاتنتهى . نسجيا الآن متون الأهرام ، وهى عبارة عن أوراد قديمة جدا نستقى من معيناها بنوع خاص معلوماتنا عن أقدم ديانة للمصريين . ولقد سجل في واقع الأمر للملك المتوفى هنا كل ما أمكن أن يساعد على سعادته فى الحياة الثانية .

وكان بناء الهرم يعتبر فى الدولة القديمة أعظم عمل فى حياة الملك . وبدل على ذلك ما كانت تجرى به العادة إذ ذلك من تسمية مقراً إقامة الملك باسم هرمه . وكان اسم كل هرم يتضمن الإشادة به باعتباره أثراً فخماً خالداً ، فكان الهرم الأكبر فى الجيزة يسمى « الأقق » ، والهرم الثانى « العظيم » ، وهناك هرم آخر كان يحمل اسم « لأوسركاف المقاعد الطاهرة » .

ومن حول هرم الملك كان يدفن أولئك الذين أحاطوا به فى الحياة ، وهم الأمراء والأميرات وسائر عظماء بلاطه .

وكان المدفن حول هرم الملك يعتبر مئة خاصة من الملك ، وسئرى فيما بعد كيف كان الملك يساعد أصفياءه فى إقامة مثل هذه المقابر .

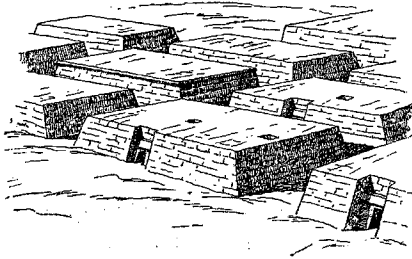
ولم يكن من اليسير دائماً حتى على الرجل الموسر ، أن يشيد له قبرا فخماً يتفق وما كانت تقتضيه مجاورة المقبرة الملكية . ويقص علينا أحد الرجال بصراحة أنه لم يقرر ابتناء قبر له إلا فى مرضه ، وأنه عند ما عوفى قام ببنائه<sup>١</sup> . أما إذا لم يكن الميت قد استطاع إعداد مقبرته ، فقد كان أبناؤه هم الذين يقومون بهذا الواجب ، وهكذا يقول أحد الأبناء إنه « أنشأ هذا (القبر) لأبيه وأمه » عند ما « ارتحلا إلى الغرب »<sup>٢</sup> . ومهما يكن من شىء فقد كان من واجب الابن الأكبر الاهتمام بمقبرة أبيه<sup>٣</sup> .

وكانت هذه المقابر تقع حول الهرم كأنها مدينة ذات شوارع منتظمة ، وهى تختلف كثيراً فى حجمها ، وفى مادة بنائها ، وفى زخرفها ، على أنها كلها فى جوهرها من طراز واحد ، أطلق عليه الفلاحون فى الوقت الحاضر اسماً غير جليل ، ولكنه

(١) Urk. I, 178 وفق تكله زينا .

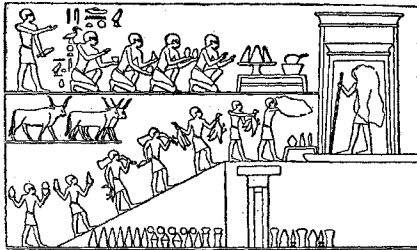
(٢) Urk. I, 161

(٣) Sethe, Ae. Z. 61,69 ff. ثم انظر كذلك 162 Urk. I,



٩٤ - مصاطب (عن برو- شيبى)

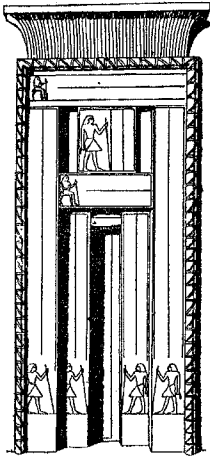
وإف بالمعنى ، وهو « المصطبة » ، أى المقعد . وتبدو المصطبة فى مظهرها الخارجى على الشكل المستطيل الذى تتميز به أقدم المقابر الملكية ، غير أنها تجتمع إلى هذا سائر



٩٥ - تقديم القرابين أمام إحدى مقابر الدولة القديمة ، وفى أعلى شمال الميت فى ناووس ( L. D : الجزء الثانى لوحه ٣٥ )

الوسائل الاحتياطية ، التى ابتدعت حتى ذلك الوقت لوقاية الجثث . فكانت تحفر فى الأرض الصخرية حفرة عمودية عميقة ( نسميها البئر ) ، ثم تنقب فى نهايتها غرفة صغيرة جانبية ، كانت توضع فيها الجثث . ومن فوق البئر كانت تقام كومة مستطيلة من كتل الأحجار ، تكسى جوانبها بجلدران من الحجر المنحوت ، وبذلك كانت المصطبة تبدو كأنها بناء مشيد له جدران مائلة . وكان يزداد فى ارتفاع البئر حتى يبلغ

سطح المصطبة ، إذ كان يجب إنزال الخثة منه يوم الدفن <sup>١</sup> . فإذا تمّ هذا سندّ المدخل إلى غرفة الميت وملئت البئر حتى أعلاها بالأحجار وتقارة الأحجار .



٩٦ - باب وهمي حذف من عليه الكتابات  
(برلين ١١٠٨)

وإذ تصوّر المصريون أن مملكة الموتى كانت تقع في الغرب ، أو أن الدخول إليها كان من جهة الغرب ، فهم لهذا كانوا يتجهون أيضا إلى هذه الناحية من السماء في كل ما كانوا يأتون من أجل الميت . فكانت المقابر تأخذ مكانها على حافة الهضبة الغربية حيثما أمكن . كما كان السكان الذي يقدم فيه القربان للمتوفى <sup>٢</sup> يتخذ أمام الجدار الشرقي للمصطبة ، بحيث كان مقدم القربان يتجه إلى الغرب عندما يخاطب الميت . وكان من المعتاد تمييز مكان تقديم القربان هذا في المصطبة بما يسمى بالباب الوهمي ، وهو صورة نمطية للباب . وهو يمثل في الوقت نفسه المدخل إلى داخل القبر ، والباب الذي يخرج منه الميت لاستقبال ما يقدمه الأحياء من تقدمات . وفي المصاطب الكبيرة كان يؤثر تعميق مكان تقديم القربان

على شكل غرفة ، يقوم في جدارها الخلفي الباب الوهمي . وكانت هذه الغرفة صغيرة في بداية الأمر . فغرفة مقبرة متن ، التي توجد في برلين ، والتي تنتمي إلى الأسرة الثالثة ، ليست في حقيقة الأمر سوى مشكاة عميقة ضيقة ، يتسع مؤخرها على شكل الصليب أمام الجدار الخلفي . وهي لم تكن لتسع غير الشخصين اللذين كان عليهما أن يقوموا

(١) لنقل التابوت إلى سطح المصطبة ، حيث كان يقام أيضا الاحتفال الجنائزي ، كان ينشأ طريق صاعد ، يزال فيما بعد ، انظر Schaefer, Ae Z. المجلد ٤١ ، صفحة ٦٥ .  
(٢) في المقابر الأقدم عهدا كان كثيرا ما يختصم للفقراء الجنائزية مبنى إضافي من اللبن يحيطه فناء .



بالصلاة وتقديم القرابين في المقبرة ، كما كانت تسمح فضلا عن ذلك لمقدم القرابين بأن يضع الأطعمة على يسار الباب الوهمي . ويمينه . وقد حليت جدران هذه الغرفة الصغيرة بشتى الصور المناسبة<sup>١</sup> ، فأهل الميت يقدمون له الأطعمة والأثاث المنزلى ، وكلابه ( كان الميت رئيس الصيادين ) تصيد له الحيوانات لقربانه ، والكهنة يؤدون له الطقوس . وعلى المدخل نصاب طه يلاان يتحدثان عما أصابه من فى حياته من توفيق . وعمما شيده لنفسه من بيت جميل وحديقة كبيرة .

وفى عهد خوفو ، أى بعد بضع عشرات من السنين ، أصبح من المرغوب فيه أن تكون الغرف أكثر اتساعا . والزخارف أكثر تنوعا ؛ وأجيرا كان فى الأسترتين الخامسة والسادسة أن ابنتى كثير من العظماء بيوتا حقيقية فى مصاطبهم ، فقبرة مردوكا وزير الملك بيبى ( حوالى سنة ٢٣٧٥ ) تحتوى على ما لا يقل عن إحدى وثلاثين غرفة خصص منها واحدة وعشرون غرفة للميت نفسه ، وست غرف لزوجها . وأربع لابنه . ثم ماذا من الصور لم يصور فى مثل هذه المقابر ؟ لقد صورت فيها زراعة الأرض ، وتربية الماشية ، وصيد الحيوان والطيور ، كما صور فيها الصناع ، والملاحون ، والموسيقيون ، والراقصات ، وذبح الضحايا من الحيوان ، وعصر النبيذ ، وسائر ما عدا ذلك مما كان يبدو سارا مشوقا للطبقة الممتازة من المصريين<sup>٢</sup> . حقا إن معظم هذه الصور صلة أيضا بالمقبرة — فالماشية ، والصيد ، والطيور ، والحبوب ، والنبيذ ، هى لما يقدم فى المقبرة من قربانين ، والصناع إنما يعملون لزوجها بما يلزمها من أثاث ، والملاحون ينقلون التقدعات إليها ، والموسيقي والرقص للترفيه عن الميت ، كما كان يرفه عنه فى الحياة . على أن من يدقق النظر

(١) ليس هناك ما يدل على صحة الرأى الحديث ، الذى يذهب إلى أن هذه النقوش إنما وجدت مكانها فى المقابر ليكون لمن تتلقه من الخدم والحيوان وما إلى ذلك نصيب مع الميت فى البقاء بعد الموت ، وليقوموا أيضا بخدمة فى الحياة الثانية . أضف إلى هذا أن هذا الرأى فى حد ذاته قليل الاحتمال ؛ وإلا لكانت هذه الصور قد اختيرت بطريقة منظمة ، ولما كان للخرية والاختيار مجال كبير فى رسمها . إن هذه الصور إنما ترجع إلى ما ترجع إليه الزخارف فى سائر العالم من أسباب ، ألا وهى فرحة الانتلاك ولذة العمل الفنى .

(٢) لقد سمح كذلك فى بعض حالات معينة للفنانين الذين عملوا فى المقبرة أن يمثّلوا أنفسهم فى صورها . ومن أمثلة ذلك أن رئيس المثالين « بتاح - ممتخ - نى » الذى تدن له بالنقوش الجميلة فى مقبرة بتاح - حتب ، مثل نفسه . وهو جالس فى قارب يتم بالطعام . انظر Ae. Z. مجلد ٣١ ص ٩٧ : ٩٩ .

لا يلبث أن يلاحظ أن هذه العلاقة قد أخذت تغدو مع الزمان شيئاً ثانوياً ، وإلا لما كانت هناك ضرورة إلى تصوير الملاحين وهم يعتركون ، إذا كان المصريون قد تخيلوهم حقاً يجلبون التقدّمات فحسب ؛ ولم يكن من الضروري كذلك أن يخلد على جدران المقابر ما يتنادى به الجزارون ، أو ما يغنيه حملة المحفّات . أو أسماء القفّزات الجريئة للراقصات . في هذا كله ندرك أن هناك محاولة واضحة لخرقة المقبرة بطريقة فنية زاهية ، حتى ولو كان في تعليل ذلك شيء من افتيات . وإنه لمن غير المحتمل أن يكون هذا التغيير قد حدث بغير سبب قوى ، لهذا يعتقد أنه قد سادت في ذلك الوقت عادة إحياء أعياد الموتى بالمآدب البهيجة بما يناسب الغرف الكبيرة ذات الزخارف الزاهية أكثر مما يناسب الغرف الضيقة ذات الصور المعلمة .

وفما عدا ذلك كذلك أصبح كل شيء يتصل بإطعام الميت في الدولة القديمة أشدّ أناقة ، وأحفّل بأطياب الطعام من قرن إلى قرن . أجل لقد كان يسرّ المصريين منذ وقت مبكر أن يغالوا على الطريقة الشرقية فيما كانوا يتمنون للميت من طعام ، إذ كانوا يتمنون له ألف رغيف ، وألف قدر من جعة ، وألف ثور ، وألف إوزة ، وألفاً من كل شيء طيب طاهر ، على أن هذا لم يكن غير أماني لا يكلف نطقها شيئاً ، وإنما كان المعتاد أن يضع الأحياء بضعة أرغفة على مائدة القربان أمام الباب الوهمي ، ثم ينضحونها بالماء ؛ فلذا أضافوا إلى هذا في أيام الأعياد العظيمة الممتازة بعض الفاكهة ، وفخذ ثور ، فإنهم كانوا يظنون أنهم قاموا بواجبهم بما يبلغ حد الكفاية . وكذلك لم تكن القائمة الطويلة للأطعمة التي كان يؤثر الإنسان كتابتها إلى جانب صور الميت ، وهو يتناول الطعام ، بما تشمله من أنواع النيذ الخمسة ، وأنواع الفطائر الأربعة عشر ، وأنواع اللحم العشرة ، إلا أمنية طيبة فقط على وجه التأكيد<sup>١</sup> .

على أن ذلك قد غدا شيئاً آخر في تلك المقابر الكبيرة ، التي سبق الكلام عنها ، ويدل على ذلك عدد من كان يقوم بالعمل فيها من الموظفين من الدرجات الدنيا والوسطى والعليا ، وهم «خدمة الكا» ، أو كهنة الميت كما نسميهم . وحيثما كان

(١) ربما كانت هذه القائمة مأخوذة من المقابر الملكية ، التي كانت دائماً نموذجاً للمقابر الأثراء .

الأمر يقتضى عددا كبيرا من الموظفين لتقديم القرابين - في مقبرة مروكا أمكنى حصر ٤٧ كاهنا - لا بد أن كانت كذلك القرابين المقدمة من كميات كبيرة . ولعل كثرة عدد الكهنة في هذه المقابر إنما كانت على مثال ما جرى عليه الملوك ، فقد كان هؤلاء يستخدمون في أهراماتهم عددا كبيرا من الأشراف كهنة جنازيين . وبهذا لم يقدر للنظام الطبيعي القديم البقاء ، ذلك النظام الذى كان يعهد فيه إلى الأبناء والأحفاد أمر الاهتمام بالموتى ، إذ كان على هؤلاء الأفراد - وكانوا من علية القوم - واجبات أخرى كثيرة ، لم تكن لتسمح لهم بالقيام كذلك بما كانت تتطلبه المقبرة من رعاية منتظمة . ولهذا لم يبق إلا غض النظر عن تقوى الأبناء ، والاهتمام بالموتى عن طريق العمل المسأجور . فكانت الاتفاقات تعقد مع بعض الأقارب أو بعض خدم الأسرة أو مع بعض الأشخاص من غير الأهل والأقارب ، يمنحون فيها ملكية بعض الأراضى أو بعض الدخول ، على أن يتكفلوا مقابل ذلك بتزويد الميت بالقربان وتأدية الطقوس الضرورية ، وأن يحفظوا المقبرة في حالة جيدة .

وفي المقابر الكبيرة كان هؤلاء الكهنة الجنازيون يؤلفون جماعة من مراتب مختلفة لها قوانينها الخاصة . ومما تتميز به هذه القوانين ، أن قدر روعى فيها أيضا حساب المنازعات بين أفراد الكهنة الجنازيين ، وفيما عدا ذلك كان لهذا النظام مضاربه أيضا ، ولهذا عدل عنه في الدولة الوسطى ، إذ فضل إذ ذاك تخصيص كاهن واحد فقط للميت ، يزود بالدخل الضرورى ، ولا يجوز له أن يورث وظيفته ودخلها إلا لابن واحد من أبنائه<sup>١</sup> .

ويلاحظ كذلك في الدولة القديمة ، أن هذه العادة التى استحدثها العظماء لم تلبث أن انتشرت بين الطبقات المتواضعة ، فهاهو ذا رجل ، لم يكن إلا كاهنا جنازيا ، قد ترك لنا لوسا<sup>٢</sup> أحصى عليه مختلف الأشخاص الذين ألحقهم بمقبرة ابنه . فإذا جاز لنا أن نستنتج حالة مركزه المسالى من رداة كتابة هذا اللوح ، فانه لم يكن ليستطيع أن يسخو في العطاء على هؤلاء الأشخاص ، ومع ذلك فعل الملك

(١) Ae. Z. 60, 83

(٢) برلين ١٤١٠٨ .

أن يكون قد ساعده في ذلك على نحو ما كان يفعل كثيرا في ذلك الزمن القديم .  
وقد أدّى هذا التدخل من قبل الملك إلى تصوّرات غريبة ، لا يمكن لنا التنازل  
عنها هنا . ففي الطبقة العليا من المصريين ، التي كانت في كثير من الوجوه تعيش على  
كرم الملك « وتأكل مما يعطيه من فاخر الطعام » في البلاط <sup>١</sup> ، كثيرا ما كان الملك  
يساعد كذلك بعض الجديريين من أفرادها في تجهيز مقابرهم والإنفاق عليها <sup>٢</sup> .  
وإننا لنسمع عن الكثير من هذه الحالات ، فن الأشخاص من ابنتي له الملك مقبرة  
كاملة ، ومنهم ( وكان طبيب الملك الخاص ) من منحه الباب الوهمي على الأقل <sup>٣</sup> ،  
ومنهم فريق ثالث كان يستجاب لهم التوابيت الحجرية <sup>٤</sup> . ومنهم كذلك من كان  
يتمنى في مقبرته « أن يكون من المستطاع أن يورد إليه القربان الجنائزى من الشون .  
ومن بيتي المال ، ومن مصانع الزينة الملكية . . . ومن كل مكان للبلاط ، يرد  
منه قربان جنائزى <sup>٥</sup> . وإذا كان هذا قد حدث في الدولة القديمة في بعض الحالات ،  
فعله كان القاعدة تقريبا في العهود الأولى ، حيث كانت المقابر الحسنة لاتزال تقتصر  
على طائفة صغيرة من أسمى الشخصيات ، وهكذا كان يرجى لكل ميت أن يضع  
الملك الأطعمة أمام قبره . وكما كان يرجى من أنوبيس ، إله الموتى القديم ، أن يوفر  
للميت غذاءه ، فقد كان يرجى ذلك كذلك من الملك ، وكانت أكثر الدعوات  
تلاوة في المقبرة « ما يعطى الملك من قربان ، وما يعطيه أنوبيس ! ألف من خبز ،  
ومن جعة ، ومن ثيران ، وإوز ، ومن كل شيء طيب ! » وقد ظلت هذه الدعوة  
إلى العصر الذي غدت فيه فاتحتها غير ذات معنى تقريبا ، ولكنها ظلت الدعوة  
الجنائزية المثلى عند المصريين . فقد كانت هذه الدعوة : « ما يعطى الملك من قربان »

(١) Westcar 7,21

(٢) وكان يحدث كذلك أن يكرم الملك من مات من الرجال، الجديريين ، وذلك بمنحه في مقبرته مرتبة  
أسمى ما ناله في حياته ( Deir el Gebrawi الجزء الثاني ، صفحة ٣٥ وما بعدها ) - وهذه عادة نجد  
كذلك ما يماثلها في الصين .

Mar. Mast. D. 12 (٣)

(٤) نصوص أوفى .

(٥) Mar. Mast. E. 12 ؛ انظر أيضا العبارة الواردة في Ae. Z. 39, 85 (من الدولة الوسطى).

التي تنص على أن الملك يسمح بتقديم القربان للالهة والقربان الجنائزى للميت (برستد) .

هى أمّ الدعوات عند المصرى القديم، كما أنها ظلت باقية طوال آلاف من سنين، ولئن كانت قد أوّلت وحرّفت ، فقد احتفظت دائما بفاتحتها القديمة ، وكانت تستخدم للآلهة نفسها فى معابدها . وكانت تكتب طوال عهد الديانة المصرية فى المقابر جميعا ، وعلى سائر ما يوضع فيها ؛ وإنا لنرى علاماتها الهير وغليفية على الآثار المصرية بكثرة تورث الضجر والملل ، مما يدعوننا إلى إهمالها وغيض النظر عنها . على أننا إذا أردنا الخير للمصريين ، فإنه لا ينبغى أن نتغاضى عنها بهذا الشكل ، وإنما ينبغى أن نقرأها بصوت عال وفى ورع وتقوى ، لأنها هى التى يرجوها أصحاب المقابر المصرية من الخلف دائما . لأنهم يرجون منا « نفحة من الفم ، تفسد الميت ولا تثقل »<sup>١</sup> على من يلفظها ، ولا تكلف أحدا شيئا<sup>٢</sup> ؛ لأنهم يرجونها منا بكل ما كان مقدسا عندهم : « بحقّ ما تودون أن تحبكم آلهة بلادكم وتجزىكم ، وتخلّفوا وظائفكم لأبنائكم ، أو بحقّ ما تحبون الحياة وتكرهون الموت » . وأخيرا أصبحت عبارة « ما يعطيه الملك من قربان » التى « ينبغى أن تتلى كما هى فى الكتابات القديمة » ، وكذلك عبارة « الخروج على الصوت » (صفحة ٢٧٦ - ٢٧٧) التى ينبغى تلاوتها بنصّ « ألفاظ الأجداد »<sup>٣</sup> ، تعويذة سحرية ، فى مجرد تلاوتها ما يوفر للميت غذاءه بأسلوب خارق للمأوف . وهكذا انتهى الأمر بالدعوة القديمة أن غدت رقية بكثرة الاستعمال كما هو الشأن فى العالم فى كثير من الأحيان<sup>٤</sup> .

عدا هذا ، كثيرا ما تخاطب كتابات المقابر زوّارها فى مستقبل الأيام . من ذلك أن أحد أصحاب المقابر يؤكد لنا أن له كل الحقّ فى احترام الخلف لإياه ، لأنه كان رجلا طيبا « لم يأت سوعا ضد أىّ إنسان » ، وأنه « ابنتى مقبرته هذه من موادّ

(١) برلين ٧٢١١ وفى مواضع أخرى كثيرة . وقد يزداد على ذلك ، أن هذا يفيد من يفعله أكثر ما يفيد من يعمل من أجله ( انظر مثلا فلورنس ١٥٤٠ ) - وذلك لأن الآلهة تجزيهم خيرا عن مثل هذا العمل الصالح .

Ae. Z. 45,67 (Spiegelberg) (٢)

Paheri 9,41 (٣)

(٤) إن من يعتبر هاتين الصيغتين مجرد تعويذتين سحريتين منذ البداية ، كما هو الشائع الآن ، يجب أن يعتبر على هذا النحو كذلك منذ البداية : « أبانا الذى فى السموات » و « السلام لك يا مريم » ، وذلك لأنها يتلى الآن على نحو مماثل لسعادة الأرواح المسكنة .

جديدة ، ولم يأخذ لها شيئاً مما يملكه إنسان<sup>١</sup> . ويقول آخر : إن ما يقدم له « هو ملكه الخالص » ، وأن « ماعزه ( الخاصة ) تذيح » له في قبره ، الذى بناه « بيده »<sup>٢</sup> . ويذكر رجل ثالث أن « سائر من سيدخاؤون هذه المقبرة ويبرون ما فيها ويصنون كتاباتها . . . ، سيصبحون شيوخا في مدينتهم ، وأشخاصا محترمين في مقاطعاتهم »<sup>٣</sup> . ولكن الويل لكل من يتلف المقبرة : إن الميت سوف « يدعو أمام المحكمة » ، وهو وإن لم يعد يستطيع اللجوء إلى أية محكمة على الأرض ، فهو مع ذلك يستطيع الأخذ بتلابيب المسىء أمام الإله « العظيم » الذى يقيم عنده<sup>٤</sup> .

ومع ذلك فلم تق هذه اللعنات ، ولا الأوقاف الثابتة ، المقابر المصرية من القضاء المحتوم ، الذى لم يكن مناص من تعرضها له بما يتفق وطبائع الأشياء ؛ فسا في ميسور الشوب ، حتى أغناها ، أن تتحمل دائما أبدا ما تقتضيه الرعاية المتصلة لوتائها من تكاليف . وماذا عسى أن يفيد ما كان عند الملك الحاكم من رغبة طيبة في أن يؤدي مخلصا واجب البر والتقوى نحو « الملوكة الأجداد » ، ونحو سائر الملكات والأمراء الأقدمين؟ إنه لامفر من يوم يأتى ، يعلن فيه مستشاروه أن من الصعب إنشاء وقف يكفى لمقبرة الملك الخاصة ، وأن من المحال إرضاء مطالب سائر أقرباء الملك بما فيه الكفاية . ولذلك فلم يكن بدّ ، من الاستيلاء على وقف أحد الأجداد من نحرهم النسيان بعض الشيء ، والانتفاع به في المطالب القائمة . فإن الملك ساحورح لما أراد أن يسر قلب برسن ، موظف القصر العجوز ، بهبة خالدة ، لم يجد أصلح من الاستيلاء على وقف الملكة القديمة نفر حتس ، ونقل الفطيرتين والزيت ، وهو ما كانت تحصل عليه تلك الملكة كل يوم لمقبرتها من معبد بتاح ، إلى هذا الرجل الجديز<sup>٥</sup> . ولا بد أن ما لم يكن من الميسور تجنيه بالنسبة للملكية ، على كثرة وسائلها وعظم

(١) برلين ١٥١٢٦ ٤ مماثل ذلك القاهرة ٢٠٧٤١ .

(٢) القاهرة ١٥٩٦ (نهاية الدولة القديمة) .

(٣) Siut I, 225 ff.

(٤) برلين ١٥١٢٦ وكثير غيره .

(٥) برلين ١١٤٠٦ = (Mar. Mast. D. 45)

شأنها ، وقد وجد سبيله على مدى أوسع في أسر الأفراد ؛ ولم يكن بدّ أن تضطرّ حتى أغنى الأسر إلى استخدام دخول المقابر القديمة للإئناق منها على مقابر العصر القائم . ولم يكن كهنة الموتى ليعنوا إلا بالمقابر الحديثة ، التي كانوا يجزون عن العمل فيها ؛ أما المقابر القديمة فكانت تغلق وتترك وشأنها . وبدلنا مثل من مصر الحديثة على ما كان لا بد من حدوثه إذ ذاك ؛ ففي القرن الخامس عشر بعد الميلاد ، أنشأ سلاطين المماليك في القاهرة مقابر لهم تنافس في فخامتها مقابر مصر القديمة ؛ وكانت عبارة عن مساجد مزودة بمدارس وغرف للطلبة ، خصصت لها أوقاف غنية للإئناق عليها وعلى مرتبات عدد كبير من الموظفين ممن كانوا يعملون فيها . وقد ألغيت هذه الأوقاف في بداية القرن التاسع عشر ، وبهذا غدت هذه المساجد الخنازية في الوقت الحاضر خرائب مهتمة ، تستحقّ الرثاء ، بعد أن انتزع منها وسرق كل ما يستحقّ السرقة .

ويقيم في بعضها جماعة من الشحاذين ، هم أحفاد موظفي الجوامع ، الذين كانوا يقيمون فيها فيما مضى ، أما البعض الآخر فقد استفادت به الحكومة باتخاذها مخازن . وليس هناك من سبب يدعو إلى الظنّ بأن الأمر في مصر القديمة قد كان على خلاف ذلك ، إذ لا بد من أن كل مقبرة يهمل أمرها ، قد كانت تنتهي سريعا إلى الدمار . وإنا نعلم اليوم من الحفائر الألمانية في أبو صير ، كيف كان يتلرّج مثل هذا الدمار .

ففي الأسرة الخامسة شيد في هذا المكان معبد جنازي بالغ الفخامة ، ولكن كل شيء فيه قد خرب بعد قرون قليلة ، وأصبحت تقطن فيه بعض الأسر ، التي كانت تدعى أن أفرادها هم الكهنة الخنازيون للملك القديم . على أنه يبدو أنها كانت من ذرية أمثال أولئك الكهنة — وكانت هذه الأسر فقيرة ، وكانت تدفن موتاها في خرائب المعبد القديم . وحدث بعد ذلك أن حظيت صورة منقوشة للإلهة سخمت ، تبقت بهذا المعبد ، بشهرة كبيرة من التقديس عند سكان المناطق المجاورة ، وهكذا قدّر لهذا المعبد أن يعيش من جديد في الدولة الحديثة معبدا متواضعا لهذه الإلهة (صفحة ١٦٣) . ومما يدل على مدى نهب المقابر التي أهملت رعايتها ، ما وجد من

(١) يبدو أن الحكومة المصرية قد أخذت في الوقت الحاضر تهتم من جديد بهذه المباني التي خربها الإهمال .

أشياء عديدة في المقابر المتأخرة . وقد كان يحى منها اسم الميت الذى سرت منه مقبرته في الزمن القديم ، ويثبت مكانه اسم المالك الجديد ؛ وعلى هذا النحو تحمل كثير من التوابيت والتماثيل وما إليها من الأثاث الجنائزى آثار هذا الاستخدام المزدوج . وتدل المقابر نفسها دلالة واضحة على ذلك ، فكلها - أو جلها - اغتصب ونهب في الزمن القديم . وكثيرا ما يلاحظ أن الكتابة في إحدى المقابر قد طمست بظلاء ثم حلّ مكانها كتابة لميت آخر ؛ وأكثر من ذلك شيوعا ما كان من استخدام المقابر القديمة استخداما سيئا فظا ، حيث كانت تهدم في بساطة ، ويتخذ ما يصلح نقله من أحجارها مادة سهلة للبناء . ومن ثم طفقت الرياح تحمل إلى أطلال هذه المقابر رمال الصحراء دون أن يعترضها حائل ؛ وطفقت الرمال تتجمع وتعلو دائما حتى تكون آخر الأمر مستوى جديد ، أقام عليه جيل متأخر مقابره من جديد ، وهكذا توجد في سفارة فوق المقابر الخربة من عهد الملك تتي ، غير بعيد من هرمه ، مقابر أخرى من الدولة الحديثة ، تعلوها مقابر أخرى أقامتها مصر في العهد اليونانى ، وقد خربت هذه المقابر جميعا ونهبت . وإن منظر هذه المنطقة الآن لمنظر مخزن ، وإنه ليذكرنا بالآبيات القائمة ، التى يرنئ فيها شاعر مصرى قديم عقم الأبنية الجنائزية جميعا : « هؤلاء الذين بنوا بالجرانيت الأحمر ، وأولئك الذين بنوا في هرم بهو ؟ ، وأولئك الذين أبدعوا شيئا جميلا في هذا العمل الجميل . . . إن مواقد قرابينهم خالية كموائد المكودين » الذين يموتون على رصيف الميناء دون خلف <sup>١</sup> .

ومن حين لحين ، كان أحد الأحفاد الأتقياء يشعر بأن من واجبه إعادة بناء مثل هذه المقابر ؛ وهكذا يفخر إنتف ، أمير أرمنت في الدولة الوسطى : « لقد وجدت غرفة قربان الأمير نختي - إقر مهدمة ، وكانت جدرانها قديمة ، وكل تماثيلها مهشمة ، ولم يكن من أحد يهتم بها . فشيئدت من جديد ، وزيد في رفعتها ، وصنعت تماثيلها من جديد ، وأقيمت أبوابها من الحجر ، وذلك لكى يسمو مقره على مقرّ الأمراء العظام الآخرين » <sup>٢</sup> . وكان ما أداه انتف يعتبر في حقيقة أمره واجبا

(١) Gespraech eines Lebensmueden 60 ff. (Litt. S. 125)

(٢) برلين ١٣٢٢٢ ، وقد حدث كذلك أن رجلا أصاب نجاحا في حياته فعمل على بناء مقابر جميلة لأجداده بدلا من مقابرهم المتواضعة (القاهرة ١٦٥٢ من نهاية الدولة القديمة) .



دينيا ؛ ولكن ما أكثر الذين يفخرون بأنهم « جدّوا ما كان مهلما » ، وما أقلّ من عملوا جدبا على ذلك ! على أن الأمر قد كان مستحيلا حقا . ومع ذلك فقيم كان يفيد تجديد بناء المقابر المهتمة ، إذا كان اللصوص ، كما كان الأمر في كثير من الحالات ، قد اقتحموا غرفة التابوت نفسها ، وانتزعوا الجثة وحشموها ؟ لقد كان هذا بالذات هدفهم المعتاد ، لأنهم كانوا يجدون في غرفة الدفن سائر ما كان يمكن الانتفاع به بسهولة . أما ما كان يوجد في غرفة القربان فوق سطح الأرض من موائد للقرابين ، وقصاع حجرية ، وقواعد وغير ذلك ، فقد كان قليلا حقا بالنسبة إلى الغنيمة التي كان يتوقعها لهم خيالهم في غرفة التابوت ، وما كان للجنث أن يقات راحتها أحد ، إلا أن يكون فيها أودع بجانبها من أثاث ما يغرى .

ولسوف نرى في الفصل الثامن عشر كيف كانت المقابر تنهب بأسلوب منظم ، حتى اضطرت الحكومة آخر الأمر إلى الاستسلام أمام اللصوص ، إذ لم تعد تستطيع حماية مقابر الماوك ، ولم تجد من وسيلة أخرى غير إخفاء الجثث نفسها ، التي لما يعث اللصوص بها ، وذلك في شعيب بالجيل . وقد بقيت فيه زمنا لا يهتدى إليها اللصوص حتى عام ١٨٧٥ .

وإذا كان المصريون قد ظلوا يتمسكون بعادة دفن موتاهم بعناية ونفقات كثيرة . ونحما عن الأحداث المتكررة الخفية لآمالهم ، فان هذا لم يكن حبا في التقاليد القديمة فحسب ، ولكنهم لأنهم كانوا كذلك ينسبون إلى سائر عادات الدفن هذه أهمية كبيرة لسعادة الميت ، إذ لم يكن القربان والدعاء وحدهما بكافين . وقد تطورت هذه العادات كثيرا فيما بعد ، على أنها كانت كذلك في الأزمنة القديمة بينة التعدد ، وذات خصائص مميزة ، حتى إنه لا يجوز أن يفوتنا أن نعرضها هنا في خصائصها الجوهرية .

كان المصريون عند علاجهم الجثة يعملون جهدهم على أن يحفظ الجسد سليما ، وأن يسان له مظهره الطبيعي . فقد كانوا يعتقدون أن الروح سوف تجد فيه مقرها المعتاد كما كانوا يعتقدون أنه سيبعث من جديد . لذلك كان يعالج بالنظرون والبقار ثم تلف سائر الأعضاء في الكتان ؛ وكان يوضع على الوجه قناع من الكتان والجص

من شأنه أن يضفى عليه مظهرا طبيعيا بقبر الإمكان<sup>١</sup> ، وكانت المومياء توضع بعد ذلك في هيئة التأم على الجانب الأيسر ، ورأسها على مسند خاص ( انظر الشكل



٩٧ - مومياء من الدولة الوسطى (من رسم بسالاكا)

صفحة ١٦٧) ، وذلك من داخل تابوت يعلق عليها ؛ وهو صندوق مستطيل من حجر أو خشب ، جدرانها قوية تحمي الجثة من العبث . أما كيف لاتخذ جدران التابوت هذه من حرية الميت ، وكيف يستطيع الميت مع ذلك « أن يدخل ويخرج دون أن يعوقه شيء لكي يشاهد الشمس » ، فذلك ما يجب ألا يرجو أحد فهمه ، لأنه ينتمى إلى عالم ما وراء الطبيعة . ومع هذا فقد شعر المصريون أنفسهم بما في ذلك من تناقض ، وذلك لأننا نجد على كثير من التوابيت ، أنهم قد اتخذوا من التدابير ، ما كانوا يظنون أنه يعالج هذه الصعوبة . فبالقرب من الرأس ، على الجانب الذى يتجه إليه وجه الميت ، صوروا من الخارج عيني كبيرتين<sup>٢</sup> ، « كى يرى » الميت بهما « سيد الأفق ، وهو يجوب السماء »<sup>٣</sup> . وعلى جدار التابوت صوروا في بعض الأحيان بابا يسمح للميت بمغادرة تابوته . وفيما عدنا ذلك كان شكل التابوت في الأزمنة الأولى بسيطا جدا ، فهو عبارة عن صندوق أملس ذى غطاء مسطح أو صندوق ذى أربعة أعمدة مرتفعة في أركانه وغطاء مقبب ( وهكذا كان يظن شكل تابوت أوزيريس ) . وفي الدولة الوسطى — إذ فضل التصوير على التابوت بألوان مختلفة — كان من المعتاد تغطية سطوحه الداخلة بفصول شتى من

(١) حفظ لنا من الدولة القديمة نص يدلى على مدى ما كان يدل من عنابة في التحنيط ، وهو يدل كذلك على أن التحنيط كان إذ ذاك لا يستغرق أقل من عشرة أشهر (Urk. I 156/157) أما في العهد المتأخر فكان يستغرق سبعين يوما .  
(٢) وكانت العينان اللتان ترسمان على الجزء الأعلى من كثير من شواهد القبور تهديان إلى تحقيق مثل هذا الغرض ، انظر ما كتب إلى جانب الميتين على الشاهد رقم ٢٠٢٤٩ بمتحف القاهرة ، وهو من الدولة الوسطى .

الأدب الجنازى القديم ( انظر صفحة ٢٣٣ ) ؛ ومع هذا فإن أهم ما كان يكتب على التابوت هى السطور التى على الجدار الخارجى ، والتي يعهد فيها بالمتوفى لكثف الآلهة الذين يحمون الموتى : لأنوبيس ، وأوزيريس ، وجب ، ونوت ، وإيزيس ، ونفتيس ، ولأبناء حورس بصفة خاصة ، فهؤلاء ساعدوا فيما مضى أوزيريس الميت ، وفتحوا له فمه ( انظر صفحة ٨٤-٨٥ ) ، حتى يستطيع أن يأكل ويتكلم من جديد . ولهذا ينبغى أن يساعدوا الإنسان المتوفى كذلك ؛ وفى الواقع لقد أصبح واجبهام الأول حمايته من الجوع والعطش ، مما أدى إلى عادة غريبة ، بدأت منذ نهاية الدولة القديمة ، غير أنها لم تنتشر انتشارا عاما إلا بعد ذلك بكثير : وهى عادة استخراج الأحشاء من الجثة ووضعها فى صناديق أو قدور خاصة تحت حماية تلكم الأرواح ، وذلك لكى لا تثير الأحشاء أحاسيس مكدره للميت .

وكان الميت - إلى جانب ذلك - يوقى شرّ الجوع والعطش على النحو الذى اتبع فى العصور الأولى ؛ فكان يوضع إلى جانبه فى غرفة التابوت بعض الخبز واللحم والشراب ؛ بل لقد كانت العناية به تتجاوز هذا الحدّ وذلك بتزويده بماذبح تمثل حاجياته الضرورية ، فهناك بيت من الصلصال ذو فناء فيه أطعمة شتى ، وها هى ذى شونة فيها تماثيل صغيرة للعمال ، تمثلهم وهم يفرغون فيها أكياس الحبوب . وهذه غرفة يغزل فيها الخادومات وينسجن ؛ وتلك تماثيل صغيرة وكبيرة تمثل خدما وخادومات قائمين على خدمة سيدهم على نحو ما كان الأمر فى حياته ، فمنهم خادم يحمل زوجا من النعال خلف سيده ، وفناة وافرّة الزينة تأتى لسيدها بمرآته وصندوق من طعام ، وامرأة تطحن حبا بين حجرتين ، وأخرى تصنع الجعة . وتؤلف - فى بعض الأحيان - مثل هذه التماثيل الصغيرة مناظر كاملة ٢ . فالسيد والسيدة يجلسان تحت عريشة يشاهدان ما يساق أمامهما من قطعان ، أو هاهى ذى فرق الجنود المختلفة ، مثلت وهى تسير فى خطوات منتظمة .

(١) فى بداية الأمر كانت الأحشاء تستخرج من الجثة لتيسير التحنيط . وتسمى هذه القدور الآن

القدور الكانوبية ، وهو اسم يرجع إلى تفسير خاطئ قديم .



٩٨ - خادمة تطحن ( برلين ٧٧٠٦ ) - ٩٩ - تمثال امرأة من الفاشان الأزرق ( برلين ٩٥٨٣ )

ومن الأشكال الغريبة تماثيل صغيرة لفتيات عاريات ينقصهن الجزء الأسفل من الأرجل<sup>١</sup> ، وهى خاصة لاحظناها من قبل فى تمثال المرأة من عهد ما قبل التاريخ ، وهو المنشورة صورته آنفا (صفحة ٢٧٥) ، وكأنما أريد بذلك منعها من الحرب من المقبرة . ونحن لانتخطئ إذا دعانا هذا إلى التفكير فى مقابر أقدم الملوك (صفحة ٢٧٨) التى كان يدفن فيها مع الملك حاشيته . حقا لقد استبدل عصر لاحق ، دمت الشعور ، هذه الدى بأولئك الضحايا المساكين من أفراد الحاشية .

وقد ظلت كذلك إلى الدولة الوسطى تلك العادة القديمة ، عادة تزويد الميت بالسفن حتى لا يكون تحت رحمة نوى السماء . بل لقد دفن إلى جانب هرم سيسوستريس الثالث فى دهشور سفن حقيقية فى الرمال ، على أن الموتى العاديين كانوا يكتفون بطبيعة الحال بناذج صغيرة . ولكن إذا كان الميت فى هذه النماذج الصغيرة للسفن يرقد فى هيئة المومياء تحت مظلة ومعه نادبتان وكاهن يتلو من كتابه الآيات القديمة ، ثم إذا كان ثمة سفينة أخرى كذلك ذات مجاديف تجر سفينة الميت ، فإن فى هذا ما يبين بوضوح كيف تلاشى الغرض الأصيل من هذه السفن ، لأنها ، على ما هو واضح ، لم تعد تمثل غير عبور النيل إبان الموكب الجنائزى . ولم يكن للتأمم والرموز المقدسة أى شأن فى العصر القديم ؛ أما بعد ذلك ، فقد

(١) ترك تمثيل القدمين أمر شائع فى تماثيل النساء الشبية بالدى . وفى مجموعة الآثار فى ليزرغ رجل من هذا القبيل كذلك ، يحمل فوق رأسه كعبا من الحديد .



١٠٠ - قطعة من العاج نقشت عليها صور تماثم (برلين ١٤٢٠٧)

كانت المزيماوات تزود بعدد وفير منها لتقيها المخاطر . وإنما لنكتفي هنا بذكر عصى العاج التي حفر عليها شتى الأشكال الغريبة ، مما كان يسمى « التماثم الكثيرة الواقية » . ويسمى أحد هذه الأشكال المحارب ، ويبدو أن الغرض منه هو حماية الميت من الثعابين والعقارب . وبما يدل على مدى ما كان يخشى على الميت من خطر هذه الهوام ، تلك التعاويذ التي لا تحصى في متون الأهرام ضد الثعابين . ويدل على ذلك كذلك ، أنه كان يخشى حتى من الثعابين المصورة على جدران المقابر في علامات هيروغليفية عادية ، ولهذا فقد كتب في كثير من المقابر حرفا ف ، ز ؛ اللذين يمثلان ثعبانين ، وكأتهما قطعا لإربا ؛ وعلى هذا النحو كذلك اجتنب ضرر المقطع « رو » الذي يمثل أسدا . ويصعب مع ذلك على إدراكنا في الوقت الحاضر تعليل السبب الذي من أجله كان على الطير أيضا أن يتخلى عن أرجله في بعض المقابر الأخرى .

أما تجنب العلامات التي تمثل السمك في متون الأهرام ، فهو يرجع إلى أن هذه الحيوانات المسكينة لم تكن تعتبر طاهرة (صفحة ٢١٤) .

وكان ما يودع إلى جانب الميت من أثاث وأدوات ، يتوقف - بطبيعة الحال - في نوعه ومقداره على ثراء الأحياء وميولهم ، فكان في هذا القبر أو غيره كل شيء من أسلحة وعصى ، ومقاعد وصناديق ، وأدوات للتجميل والزينة ، وملابس

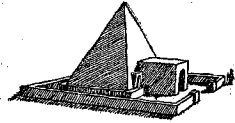
وزيوت ذات رائحة زكية . وكان إلى جانب الأشياء الحقيقية ، التي كانت توضع في غرفة التابوت أشياء أخرى تزود بها المقبرة في شكل صور ليس غير . ففي أقدم المقابر نجد قوائم قصيرة ، تحصى مختلف أنواع الزيوت والكتان ، مما ينبغي أن يكون لدى الميت ؛ ومنذ نهاية الدولة القديمة كان يصور ويكتب على جدران التابوت سائر ما كان يمكن أن يحتاج إليه الميت من دمالج ، وعقود ، ونعال ، وعصى . وأسلحة ، وأدوات للعمل ، ومن كثير غيرها . ولا بد أن تكون قوائم العطايا هذه قد جمعت في الأصل للمقابر الملكية ، وذلك لأنها تتضمن أيضا تيجانا وأشياء أخرى لا يمكن لغير الملوك استخدامها<sup>١</sup> ؛ وواقع الأمر أن مقبرة الملك كانت مثلا يحتذى في سائر ما يتعلق بأمر الدفن .

وأعجب ما كان يوضع إلى جانب الميت جميعا تمثاله ، ويمكن معرفة الغرض منه من المكان الذي كان يقام فيه عادة في المصاطب ؛ فقد كان يوضع فيما يسمى بالسرداب ، وهو غرفة صغيرة محوطة كلها بالجدران ، تقع إلى جانب غرفة القربان ، ويصل بينهما شق ضيق في أكثر الأحيان . وهكذا يشهد الميت ممثلًا في تمثاله على الأقل ما يؤدي له من تمجيد ، فهو يسمع الكاهن وهو يرتل ، ويحج السبيل إليه عبيق البخور ، وشذا الطعام ؛ ولعل المصريين قد ظنوا أن روحه إذ ذاك إنما تترك الجثة في غرفة التابوت ، وتحمل في هذا التمثال كأنه جسد ثان . وحتى المقابر التي لم تكن على شكل مصطبة ، ولا تشتمل على سرداب ، كان يقام فيها في أغلب الأحيان تمثال للميت على نحو من الأنحاء ؛ فيتجلى في المقبرة الصخرية مكشوفًا للنظر في نهاية آخر غرفة ، أما في المقابر الصغيرة من عهد الدولة الوسطى ، فقد كان يوجد تمثال واحد على الأقل للميت في تابوته .

ولا تكاد المقبرة الصخرية ، وهي أحد النوعين السابقين من المقابر ، أن تكون أحدث عهدًا من المصطبة نفسها ؛ فقد حفر عظماء الأسرة الرابعة مقابرهم في بعض الأحيان في الجدار الصخري لهضبة الجزيرة ، بدلا من بنائها فوقها . على أن هضبة منف ، التي شيدت عليها معظم المقابر الكبيرة في الدولة القديمة ، لمي أكثر صلاحية

لبناء المصاطب ، ولهذا ظلت المقبرة الصخرية فيها على الدوام أمرا نادرا . على أن أنسب الأماكن للمقابر الصخرية هي المناطق الجنوبية ، التي يحفّ فيها وادى النيل جداران مرتفعان ، شديد انحدارهما ، حيث كان من أبسط الأشياء حفر المقبرة في الصخر في اتجاه أفقى . وتحلى كذلك هذه المقابر الصخرية الكتابات والصور على نحو المصاطب ، ويوجد فيها كذلك باب وهمى وبئر ، تقع عند قاعها غرفة الثابوت ؛ ومع هذا فقد أخذ نظامها يتطور في وقت متأخر طبقا لوجهة نظر أخرى . فقد تصور المصريون أن المقبرة الصخرية كأنها بيت الميت ، ولذلك ، فهي كمسكن الشخص الحي ، تحتوي من أمام على بهو عريض للاستقبال ، ومن خلفه قاعة كبيرة يليها مسكن الميت الخاص ، وهو مشكاة يستقرّ فيها تمثاله .

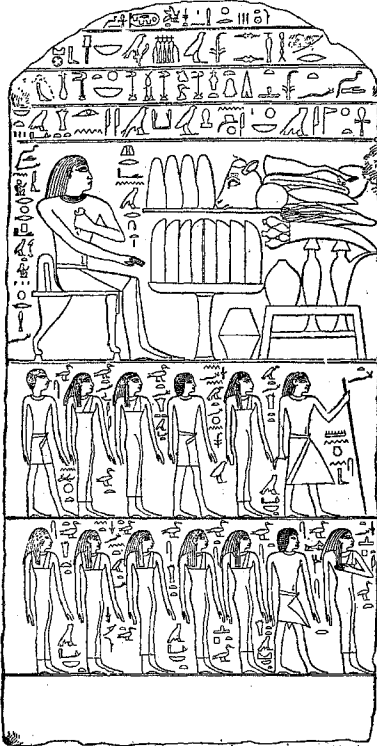
وأما الأهرامات الصغيرة من اللبن ، تلك التي غدت منذ الدولة الوسطى الطراز العادى للمقابر في مدن المقاطعات ، فهي بطبيعة الحال تقليد لأهرام الملوك الكبيرة . على أن الذين قاموا ببنائها إنما كانوا من أوساط الناس وذلك لأن هذا النوع من المقابر كان أبسط



١٠١ - هرم من اللبن أعاد تصميمه برو - شبى

الأنواع ، وأقلها كلفة ، على الرغم من فخامة النموذج الأصلي الذي اتخذته مثالا . فغرفة الثابوت عبارة عن حفرة منقورة في الأرض الصخرية ، سقفها على شكل القبو ، ومن فوقها كان يبنى هرم صغير من اللبن على قاعدة منخفضة ، ثم يطلّى بطلاء أبيض . وفي الناحية الشرقية كان يعين المكان الذى يجب تقديم القربان فيه شاهد عليه صورة الميت وحده أو مع زوجته وهما يتناولان الطعام ، وإلى جانبيهما في كثير من الأحيان صفوف طويلة من الأبناء والأقارب يكرمون فقيدهم . ومن أمام الشاهد على الرمل مائدة القربان التي كان عليها يوضع الطعام ويسكب الماء . يضاف إلى هذه التداوير ، التي عرضناها هنا جميعا ، الطقوس العديدة التي كانت تؤدى عند إعداد الجثة ودفنها ، وعند إطعام الميت بغرض زيادة سعادته . وهي طقوس كان يظن أنها إذا أدّيت حقّ أدائها جعلت من الميت شخصا مبهورا

أو «مجدلا» على حدّ تعبير اللغة المصرية . وهي من نوع الطقوس التي عرضنا لها



١٠٢ - شاهد مقبرة من النوبة الوسطى ، أقامه لنفسه في أبيدوس كاي ، رئيس بيت المال : .

(برلين ١١٨٢)



أنفا (صفحة ١٩٤ - ١٩٥) عند الكلام عن عبادة الآلهة. وتصبح كل عمل فيها، على نحو ما كان الأمر في عبادة الآلهة، تلاوات تثير ذكرى أى حادث من عالم الآلهة، وهى تلاوات لا تنتهى ولا تدل على ذكاء ولا تحليلها التوريات الكثيرة المستعملة فيها، ولم تحفظ لنا شعائر التحنيط فى مجموعها إلا فى صيغة متأخرة جدا ، على أننا لانحطى إذا ذهبنا إلى أن الحنط ومساعدته ، وهو الحكيم « خرحب » (صفحة ٢١٠) قد كان ينظر إليهما كأنهما الإلهان اللذان حنطا جثة أوزيريس ثم أحاطاها باللفائف . وأكثر من هذا وأدق ما نعرفه عن الطقوس الجنائزية ، التى كانت تؤدى عند المقابر ، وذلك على الجثة نفسها يوم الدفن أولا ، ثم على تمثال الميت فى أيام الأعياد بعد ذلك . وكان الشخص الرئيسى فى هذه الطقوس كاهنا يدعى « سم » ، على أن « الخرحب » وأشخاصا غيره آخرين قد كانوا يشتركون فيها كذلك ، وكان إذا رش الميت بالماء ، وبحر بالبخور ، دخل إلى المقبرة ثلاثة نفر يوقظون الكاهن « سم » ، الذى كان قد رقد فيها من قبل ملفوفا بالأربطة . فإذا ما نهض متثاقلا على نحو معلوم ، قام الأربعة معا يدور أبناء حورس ، الذين كانوا قد اعتنوا بأوزيريس من قبل . وفى مرحلة تالية من مراحل هذه الطقوس الجنائزية يتحلى للكاهن « سم » بحلية غريبة على صدره ، ويحمل عصا فى يده ، ويمثل حورس بن أوزيريس ، ويصبح بعض الأشخاص : « أى إيزيس » ، لقد أتى حورس ليحضن أباه ، فيصبح « الخرحب » : « أسرع لترى أباك » . عند ذلك يستبدل الكاهن « سم » بحلية الصدر جلد الثور ، وبينما تقطع الضحية ، التى إلى جانبه ، يعلن إلى الميت : « لقد خلصت عينى هذه من فمه ، لقد قطعت فخذته » - وذلك لأنه يقدم للميت فخذ الثور على نحو ما قدم حورس من قبل لأبيه عينه ، التى كان قد انزعها

(١) لقد كان ينسب إلى أنوبيس « تمجيد » كل من أوزيريس والموق ( القاهرة ١٥٧١ ، نهاية الدولة القديمة ) ، ولهذا نسب أيضا إذ ذاك إلى فن أنوبيس ، أى إلى إعداد الجثة إعدادا صحيحا ، أنه قادر على تمجيد الميت .

منه ست (صفحة ٨٣) غير أنه ينبغي قبل أن يتمكن الميت من التمتع بهذا الطعام ، أن يؤدى له طقس « فتح الفم والعينين » ، وهو أهم سائر الطقوس جميعا . فكان وجه الميت يمس مرتين بأصابعين مصغرتين مستعرضتين ، ومرة بمنحت ، فإذا تم هذا مع ما كان يتخلله من طقوس أخرى عديدة ، وإذا فتح الكاهن « سم » الفم والعينين بالخنصر ، فقد استعاد الميت قدرته على تناول طعامه . ويرفع الكاهن « سم » عصاه ويحيل الطعام إلى الميت ، ثم يبخره آخر الأمر ، ويعطره ويمنحه غطاء للرأس ، ويكسوه بالفائف ، ويعطيه عصا وسوطا على نحو ما يحمل أوزيريس .

وإلى جانب هذه الطقوس كان هناك الطقس الجنائزى الخاص بالقربان أو « كتاب حرفة الخرحب »<sup>١</sup> ، وهو أوراد لاحصر لها ، تسمى فيها القربانين « عين حورس » وفقا للتورية التى سلف ذكرها : « إني أجلب لك عين حورس التى انتزعتها من ست » ، أو « إني أجلب لك عين حورس بعد أن أحصيتها » وهلم جرا ، وما يقال عند تقديم العين من هذا أو ذاك يتوقف على اسم ما يقدم من قربان ، لأنه يجب أن تكون هناك تورية بينه وبين ما يقال .

وفما عدا المقبرة كان ثم مكان آخر يعنى فيه بإطعام الميت إذا كان من الطبقة الراقية . فكما أنه كان يحضر فى حياته توزيع القربانين فى أيام الأعياد بعد تقديمها على مذبح الإله (صفحة ٢٠٢) ، فإنه كان يرجو أن يكون له كذلك فى مماته نصيبه من هذه الوجبات . وكما كان يأخذ كذلك نصيبه من الزهور التى كانت تقدم للإله ، فقد كان يرغب كذلك أن يحصل فى مقبرته على « باقة إله » من المعبد<sup>٢</sup> . لهذا كان يؤثر منذ الدولة الوسطى إقامة تمثال للميت فى المعبد ، وكان يرجى له « سائر ما يقدم على مذبح الإله » . على أن الحريصين لم يكونوا يقتصرون على هذا الدعاء فحسب ، وإنما كانوا يشترون من الكهنة توريد عدد معين من الرغفان فى الأعياد على الدوام ، وتوضع أمام تماثيلهم ، ثم تكون بعد ذلك على وجه التحقيق من نصيب كهنة مقابرهم . ومن جهة أخرى أتاحت هذه العادة فى كثير من الأحيان للملوك فرصة الاعتراف

LD. II 71-72 (١)

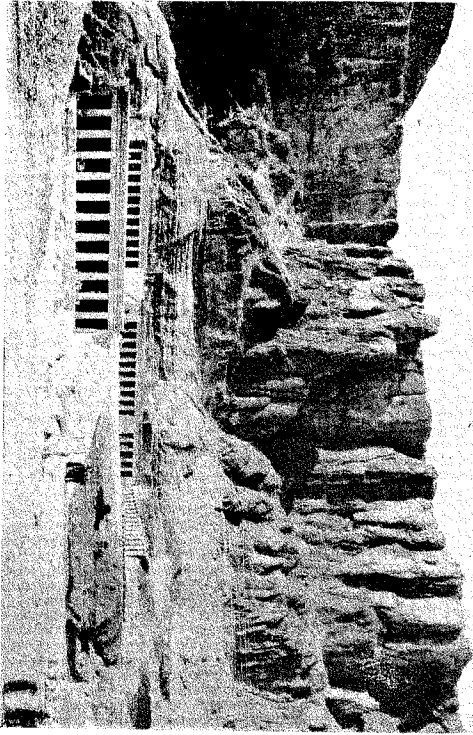
Urk. IV, 136 (٢)

بالخدمات الصادقة ؛ إذ نقرأ على كثير من تماثيل الأفراد ، التي وجدت في أحد المعابد ، أنها منحت « مكافأة من الملك »<sup>١</sup> .

وفضلاً عن ذلك ، فقد تيسر للمصريين أن يجدوا مكاناً ثالثاً يعتقدون عليه آمالهم في الحياة المستقبلية ، وهو مدينة أيدوس المقدسة . فند أن أقام ملوك الأسرة الأولى في أيدوس ودفنوا فيها ، نشأ الزعم بأن أوزيريس « أول سكان الغرب » ، وكان يعبد في هذه المدينة ، إنما هو — بنوغ خاص — إله مقدس رحيم . وفي أيدوس كذلك كانت أهمّ أشلائه ، وهى رأسه ، مدفونة في صندوق صغير ، كما كان يحتفل بجانب مقبرته بأعياده العظيمة . ولهذا طوبى للموتى الذين كانوا يدفنون غير بعيد من درج<sup>٢</sup> الإله العظيم . إنهم كانوا يؤلفون حاشية ملك الموتى ، وكان يطلق عليهم « عظماء أيدوس » و « رجال حاشيته » . « وكانوا يظفرون بمكان في سفينة الإله ، ويقول لهم عظماء أيدوس « مرحبا » ، كما كانوا يتلقون الأطفمة الطاهرة ، التي كانت تقدم للإله العظيم ، وذلك بعد أن ينعم بها »<sup>٣</sup> .

ولذا فلا بد أن كانت أعزّ أمنية لكل مضرى تقي أن يدفن في أيدوس . وواقع الأمر أن كثيرا من المصريين من سائر الطبقات قد آثروا منذ نهاية الدولة القديمة أن تكون مقابرهم في هذا المكان المقدس على أن تكون بالقرب من بلاط الملك أو في موطنهم . فأما من لم يكن يستطيع بناء قبره في أيدوس ، فإنه كان يحسن به — على الأقل — أن يزور الإله في أيدوس ، وأن يقيم فيها حجرا « عند درج الإله العظيم » ، وأن ينقش اسمه في مقر إقامة الإله<sup>٣</sup> ، وبهذا كان يضمن لنفسه حقا مكانا بين الممتازين من الموتى . وتدل مجموعات الآثار في العالم على ما كان لهذه العادة من انتشار ، فأغلب الشواهد والنصب الصغيرة للدولة الوسطى قد وجدت في أيدوس . ويحدثنا الكثيرون من هؤلاء الزوّار بأن أعمالهم أفضت بهم إلى هذه المدينة المقدسة ، على أن آخريين إنما زاروها حججا ، ولكن غيرهم لم يحجروا إليها

(١) حفظ لنا نص من عهد أمنحوتب الثالث يبين بوضوح طريقة تنظيم ما ترتب على هذه العادة في كثير من الأحيان من فوضى واضطراب Petrie, Tarkhan  
(٢) ولهذا ما يماثله أو يشبهه كثيرا على شواهد الدولة الوسطى .  
(٣) المتحف البريطاني ٥٧٤ .



مسجد الأمير البحري

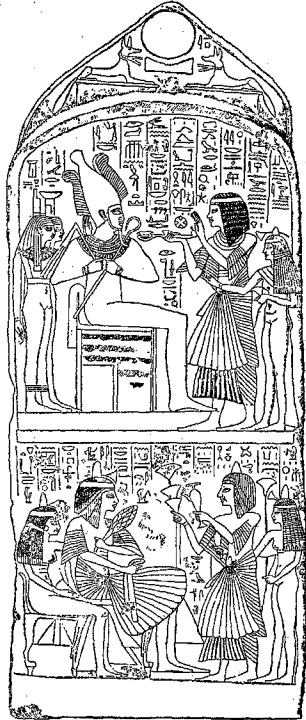
إلا بعد موتهم . والذي ينعم النظر في مقبرة الأمير خنوم حنّب في بنى حسن ، يلاحظ فيها صورة كبيرة تمثل — على نحو ما كتب فوقها — كيف أنه صعد في النيل « ليتعرّف شئون أبيدوس » . وترى على السفينة جثته تحت مظلة وإلى جانبها الكاهن « سم » و « الخرحب » لا يغادراها طوال الرحلة . وفي المدينة المقدسة يتقدم لإله الموتى كأنه فرد جديد من أفراد رعيته ، ثم يشترك في حفلات أعياده ؛ فيرى « ذلك الذى يخطر فى جمال مثل أوبوات » ، ثم « كيف يبرّر أوزيريس أمام الآلهة التسعة »<sup>١</sup> ؛ ثم يعود إلى موطنه تصحبه نساؤه وأبناؤه ، ويحلّ في مقبرته العظيمة فى الجدار الصخرى لبنى حسن .

ولقد بقيت فى الدولة الحديثة أغلب العادات الجنائزية التى عرضناها حتى الآن . ولئن كانت بعض العادات القديمة قد اختفت فى هذا العصر أو تحلّت إلى الوراء . فإن غيرها قد تطوّرت تطوّراً كبيراً بدلاً منها ، كما أن وسائل جديدة قد ابتدعت تفيض على الميت بالنعيم .

وقد ظلت المقابر تبنى على الطرازين اللذين آثرتهما الدولة الوسطى ، فكان أوساط الناس يكتفون بأهرامات صغيرة من اللبن ، أما الطبقات العالية فكانوا يحفرون مقابرهم فى الصخر . وقد بنى الملوك مقابرهم على هذا الطراز أيضاً ، غير أن الشكل الذى أصفوه عليها كان شكلاً جديداً ؛ فهى تتألف عادة من دهليز ضيق طويل ، قد تلحق به غرف جانبية ، على أنه يؤدى إلى قاعة ، كانت تسمى « بيت الذهب » ، كان يستقرّ فى وسطها التابوت من الحجر وفيه جثمان الملك . وتغطى سائر الجدران نصوص وصور دينية ، ولما كانت هذه النصوص والصور مشتقة فى جوهرها من أوصاف مملكة الموتى ، تلك التى تحدثنا عنها فى الفصل السابق ، فقد ذهب الظن — وهو ظنّ له ما يرجحه — إلى أن العالم السفلى نفسه هو الذى كان يتراءى أمام نظر بناءة هذه المقابر الغريبة ، وقد كان يظنّ أنه يشتمل على دهليز طويل يزداد ظلاماً بانطراد حتى يبلغ المكان الذى يستقرّ فيه أوزيريس ، الملك . ولا يعرف مدى استخدام هذه المقابر الملكية ، التى تقع فى وادى بيبان الملوك فى الصحراء

(١) وهى مسائل كان الميت يرغب فى رؤيتها فى أبيدوس ، وقد وردت على الأثر ٥٨ فى المتحف البريطانى . أما عن هذه الأعياد فانظر صفحة ٢٠٥ .

القاحلة ، للعبادة الجنائزية ؛ ومع ذلك فليس في غرفها ولا في بعد موقعها ما ينطق بشيء من هذا القبيل . وإنه لبيدو من المحتمل أن القرابين والطقوس إنما كانت تؤدى للملوك المتوفين في الدير البحرى والقرنة وفي سائر المعابد التى شيدها هؤلاء الملوك لأنفسهم على الشاطئ الغربى لطيبة ، التى كانوا يعبدون فيها بمنزلة الآلهة والزملاء لآلهة طيبة . أما المقابر نفسها فقد كان ينبغى أن يكتنفها غموض شامل ، ولم يكن من العيب أن يفخر لإنبىء<sup>١</sup> ، أحد كبار موظفى تحوتمس الأول ، بأنه أشرف على إقامة مقبرة الملك « فى عزلة دون أن يرى أو يسمع أحد بذلك » . ولم يكن مكان المقبرة الملكية يعتبر كأنه سر عميق لسبب دينى خفى فحسب ، وإنما كان ذلك يرجع إلى سبب مادى أيضا : فقد كان يجب أن تضان المقبرة من لصوص المقابر . ومنذ أن عرفنا من المقبرة الملكية الوحيدة ، التى حفظت لنا



١٠٣ - شاهد من الدولة الحديثة . ويرى من أعلى الضابط وزوجته إمدان أوزيريس ومعهم إيزيس ونفتيس . ومن أسفل يتقبل حاي وزوجته تكريم أبنائهما ( برلين ٧٢٨١ )

سليمة ، وهي مقبرة توت عنخ أمون ( الفصل الثامن ) ، أية ذخائر هائلة كانت تودع إلى جانب فرعون ، فإننا نفهم أنه لم تكن هناك غير وسيلة واحدة لحماية مثل هذه المقبرة من اللصوص ، وهي وجوب إخفائها . ومع هذا فسئرى فيما بعد أن إخفاء المقبرة لم ينقذها كذلك من النهب .

وفضلا عن هذا فقد ظل كذلك في الدولة الحديثة الاعتقاد في أن الميت يحظى ببركة خاصة إذا انضم إلى أوزيريس في أبيلدوس ، المدينة المقدسة . ولكن المصرى القديم من ناحية أخرى قد كان يود أن يدفن في موطنه الخاص . لهذا كان يرجو أن تكون له مقبرة ثانية أو مقبرة تذكارية في أبيلدوس . وعلى هذا النحو بنى الملك أحمس بلدتة التي دفنت في طيبة مثل هذه المقبرة الوهمية <sup>١</sup> . كما أن الملكة ياح حتب كرمت موظفيها الأمين كارس بهذه الطريقة نفسها <sup>٢</sup> . ولابد مع هذا الانصراف إلى العناية بالموتى أن كان هناك شعور بأن الجبانة مهما تكن أجل الجبانات . فلإنما هي



١٠٤ - مقابر على حافة الصحراء المزروعة بالأشجار ؛ وبين الأشجار مائدة قربان ، وأمام المقابر امرأة تنذب .

مكاناً لأحزين موحش . لهذا فإننا كثيرا ما نسمع عن الحداثق التي كانت تنشأ غير بعيد من المقبرة ، بل إننا لنجد مثل هذه الحديقة حتى في الدولة الوسطى <sup>٣</sup> . ولما بنى الملك أحمس بلدته تلك المقبرة التذكارية في أبيلدوس حفر لها كذلك بركة وغرس أشجارا <sup>٤</sup> .

Urk. IV, 27. (١)

Urk. IV, 45. (٢)

Siat I, 316/317. (٣)

Urk. IV, 28. (٤)

وفي مقبرة إينبي ، الذى أعدّ قبر تحتمس الأول كما رأينا من قبل ، وصف شامل « لحديقة الغرب » بكافة أشجارها حيث كان الميت يرجو أن يتريض مع زوجته وأن يتبرّد في ظلال أشجاره<sup>١</sup> .

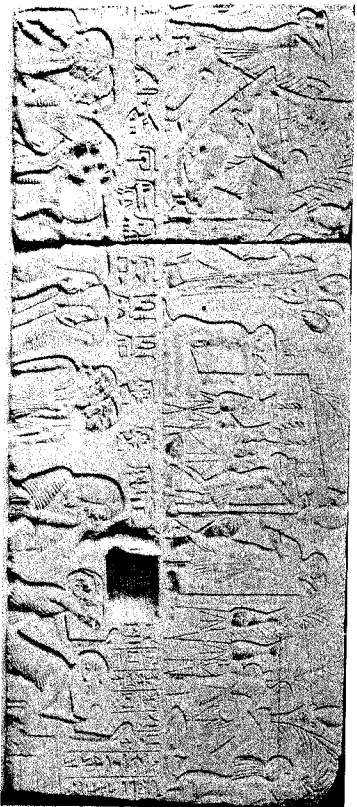
وفي مقابر الأفراد وعلى شواهد مقابرهم نستروح عبير عهد جديد . حقا إن من يستعرض الشواهد التى لاتخصى من العهود السابقة ، فإنه يقرأ عليها جميعا شيئا عن أوزيريس ، الذى كان الميت يضع أمله فيه ، غير أنه يندر أن يتجه الميت إليه بالعبادة ، أو يمثل أمامه وهو يتعبده ، فقد كان حتى هذا الإله الودود يبتعد عن الأفراد ، ولم يكن لأحد أن يتعبده غير الملوك<sup>٢</sup> . أما في الدولة الحديثة فقد تغير الحال وأصبح المتوفى على شواهد المقابر يتعبد حقا لأوزيريس ورع . وفي هذا تتمثل سمة التقوى الشخصية التى نجدتها كذلك في نواح أخرى من هذا العهد (صفحة ١٥٨) . وما يقال عن شواهد المقابر يقال بحق كذلك عن صور المقابر . فإذا كانت هذه الصور في جوهرها تدور حتى هذا العصر حول إطعام الميت ، وهو موضوع لم يكن ينضب معينه ، أو بعبارة أخرى حول التقدّمات التى يجلبها إليه من خلقهم من بعده من أهله وخدمه ، فقد أخذت هذه الصور تتراجع ، وأصبحت الجدران تحلّ بدلا عنها بالصور الدينية ، وإلى جانبها مناظر وافية من حياة الميت على الأرض ، وهى بالأحرى مناظر تنطرق إلى عرض ما لاقاه الميت في حياته من حظوظ ، فهى تصوّر حياته الحميدة ، وكيف كان يقوم بوظيفته ، وكيف ميزه الملك وكافأه . وأصبحت حتى صور الدفن والاحتفالات الجنائزية ذات طابع شخصى ، لم يكن لها من قبل . وكما أن الشعور الشخصى قد جروا على التعبير عن نفسه بحرية في الشعر الدينى في هذا العصر ، فإنه قد برز كذلك بوضوح في هذه المقابر ، التى لم يعد الميت فيها ذلك الممجّد ، الذى يكرم ويطعم دون شعور شخصى ، وإنما هو الأب والزوج المحبوب والصديق والسيد ، الذى انتزع من ذويه ، والذى يبكونه ويندبونّه . حقا لقد كان

(١) Urk. IV, 73 (١) ، لعلقة هذا بالذائق التى كان يقام فيها الحفل الجنائزى ، والتى كانت

ملحقة ببيت الميت على وجه التأكيد ، انظر : Madsen, Ae. Z. 41, 110 ff.

Borchardt, Ae. Z. 55,62. (٢)





جنازة كاهن أمين من منف ، القرن ١٩ ق

في الصنف الأول : تزوجة الباكيت - ومن خلفها تقدم بترسو ث ورم يقصير الشعر للحقل ايلخازي ، في الصنف الاوسط : من خلف تبايرت ، التي يجي في قارب : ابنت ائيت يورولان ، يتبعها عطنة ، اعيان الملكة ، وعل زاسيم وول لجهام الوزيران وغيرهم من القضاة ، وازينة وزسه كنيته ، من بين الكاهن الاكل طهير يوريس ؛ واطورا حياطة القدينة وهو يوافق بل الورا ، كنيته ينجح ، الذين لم تظهر صورهم في هذه اللوحة .  
 ( برلين ١٨٤١ . وقد رجعت هذه الاصول في دار اهد الالوجين )

الكاهن « سم » يفتح فمه ، وكان « الحرحب » يتلو أمامه دعواته وصيغته ، كما كان الأمر دائما ، وذلك لأن هذا كان ضروريا لسعادة الميت : غير أنه كان يمتزج بهذه الأحاديث الجلفة ندبب الزوجة التي تحتضن المومياء قبل إنزالها إلى الأبد في المقبرة : « أجل لى أختك ، أيها العظيم ، فلا تتركنى . . . ماذا يعنى بعدك عنى ؟ يا من كنت توثر المزاج معى ، إنك تصمت ولا تتكلم » . ومن خلفها هى والكهنة : يندب عليه أهله ، والنساء والأطفال الذين أحسن إليهم : « وافجيعناه ، وافجيعناه . . . آه من هذه المصيبة ! لقد ذهب الراعى الطيب إلى أرض الأبدية . يا من كنت ذا عشيرة كبيرة ، ها أنت ذا الآن فى الأرض التى تحبّ الوحدة ! إن من كان يحبّ أن يفرّج ما بين قدميه هو الآن مغلق عليه ، ملفف بالأكفان ، مضيق عليه . إن من كان له الكتان الرقيق الوافر ، وكان يحبّ ارتدائه ، هو هذا الذى ينام الآن فى ثياب الأمس المنبوذة » . وإذا كان السادة من الطبقة العليا ، الذين يشيعون جنازة زميلهم ، لا يساهمون بأصواتهم فى هذه المرأى ، فقد كان يسرّهم مع ذلك أن يساهموا مساهمة عامة : « ما أجمل ما يحدث له . . . ، لقد أحبّ إله كثيرا » . ولهذا « فانه قد سمع له كذلك بأن يصل إلى الغرب ، يصحبه جيل بعد جيل من خدمه »<sup>١</sup> .

وفى أثناء هذا كانت تجلب الموائد حافلة بالأطعمة ، والحوامل عليها القلور ، وذلك لأن الدفن كان يقترن بوضيمة تقام فى المقبرة نفسها ، أو تحت عرائش من الأزهار والأغصان . وكثيرا ما تمثل مقابر الدولة الحديثة بما فيه الكفاية ما كان يجرى فى يوم الدفن ( وكذلك على وجه التحقيق فى الأعياد الكبيرة التى كان يقدم فيها القربان للموتى ) . فهؤلاء أهل الميت وأصحابه يرتدون لباس العيد ويتحلون بالزهور يأكلون ويشربون ، ويشاهدون الراقصات ، ويسمعون أغنية العازف على الطنبور<sup>٢</sup> :

(١) Wilkinson, Manners and Customs III, pl. 67 انظر أيضا :

Erman, Ae. Z. 33,20.

(٢) من مقبرة نفرحتب فى طيبة (Litt. S. 314) ؛ ولغده المرأى ما يشبهها فى

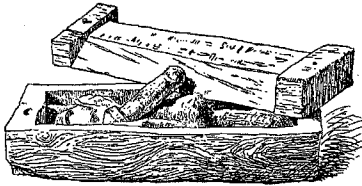
Kees, Ae. Z. 62,76.

« ما أهدأ ما يرقد هذا الأمير العادل ، لقد حلّ المصير الجميل . تذهب الأجسام إلى هناك منذ عهد الآلهة ، ويأخذ مكانها النشء الجديد » . وطالما « يندورع في الصباح ويغرب أنوم في الجبل الغربي ، فستظل الرجال تنسل ، والنساء يجبل ، والأنوف جميعا تنشق الهواء . غير أن كل من يلدون يذهب في وقت مبكر إلى المكان الذي قدر له » . ثم يخاطب المغنى الميت نفسه ، كأنه يجلس بين الطاعمين ، ويدعوه إلى التمتع مع زوجته بالحياة القصيرة : « احتفل باليوم السعيد ! تضحك بالطيب ، وادهن أنفك بفاخر الزيت ، وضع الأكاليل وأزهار اللوتس على جسد أختك الحبيبة التي تجلس إلى جانبك . وأمر بأن يغنى ويعزف أمامك . وائق بكل محزن وراء ظهرك ، وفكر في المسرة حتى يأتي اليوم الذي فيه يبلغ الإنسان الأرض التي تفرض الصمت على الناس » . وتب الراقصات في عنف متزايد ، وفي أوضاع مثيرة على الدوام ، على حين يقدم الخدم في حماس أوعمة النييد : « اشرب حتى تثمل ! » وهذه سيده تطلب من النييد المزيد ، فقد غدا كل ما فيها « هشيا » ؛ وهذه أخرى قد بلغ بها السكر حدًا أكبر ، فهي تجلس على الأرض نادبة وقد انزلق ثوبها من فوق كتفها ، وتدلّت زهرة اللوتس من على ذراعها ، على أن الخادمة التي أسرع في جلب الإناء المشتموم وصلت متأخرة جدا .

وبينا كان يحتفل بموت الأشخاص من الطبقة العالية بمثل هذا الترف فإنه لم يكن يوبه كثيرا -- بطبيعة الحال -- لأشخاص الطبقات الدنيا . ومع هذا فقد كان يتاح لهؤلاء كذلك تهيئة دفن مناسب لأنفسهم ، وذلك لأنه منذ أخذت الرغبة في الدفن وفق الشعائر الصحيحة تنطبق إلى الطبقات الدنيا للشعب ، قام الطامعون في الربح بالعمل على إرضاء هذه الرغبة ؛ فكانوا يحصلون على مقبرة قديمة خالية محفورة في الصخر ، يزيدون في سعتها ، ثم يؤجرون الأماكن فيها . حقا لم يكن مثل هذا المكان جميلا ، فقد كان يوضع أحد التوابيت فوق الآخر حتى السقف ، ومع ذلك فقد كان قبرا حقيقيا ، يمكن للسماك ، والفلاح ، والصانع ، والراقصة ، أن يدفنوا

فيه <sup>١</sup> . وكانوا يرددون في توأبيت حقيقية ، كما كان في إمكان أعقابهم أن يضعوا إلى جانبهم أدواتهم وغير ذلك من العطايا على نحو ما كان يحدث مع الأثرياء .

ومع هذا فقد كان لا يزال هناك من هم أشد فقرا ، ممن لا يستطيعون إيجاد مكان لهم ولو في مقبرة عامة . وإنما لنجهل أين ووريت جثثهم في الرمال ، غير أنه يبدو أنهم حاولوا كذلك أن ينالوا شيئا مما تديحه المقابر من نعم . فقد صنعوا دى صغيرة من خشب <sup>٢</sup> ، تشبه المومياء من بعيد ، وكانوا يستكتبون عليها أسماءهم ويلفونها في خرق من الكتان ، ثم يضعونها في تابوت صغير . فاذا دفن هذا التابوت بعد ذلك أمام مدخل مقبرة كبيرة ، فقد كان يرجى أن ينال الميت بفضل تلك الدمية التي تمثله من الخشب ، من السعادة التي ينعم بها الميت المدفون في هذه المقبرة .



١٠٥ - صندوق بداخله دى من الخشب كبديل عن دفن الميت

( برلين ١٩٠٦ )

وإن بدت لنا هذه الحيلة التي عمد إليها الفقراء غريبة ، فهي لم تكن كذلك عند المصرى القديم على وجه التحقيق ، بل إننا لنرى فكرة مشابهة عند أصحاب المناصب العليا . فعند ما ابتنت الملكة حتاتشبسوت معبدها الجنائزى المسمى بالدير البحرى ، أقام أقوى أصفياؤها سنموت - وقد كانت له مقبرة إذ ذاك - مقبرة ثانية غير بعيد من هذا المعبد . وهى وإن لم تتم فإن طوعنا أن نتبين أنه كان فى النية أن يؤدى دهليز

(١) هناك قبر عام من هذا القبيل من عهد رمسيس الثانى ، انظر : Berlin, Ausfuehrl.

Verzeichnis S. 190 ff.

(٢) نفس المرجع ص ١٨٤ .

طويل إلى ما تحت المعبد . وبهذا كان لسنموت أن يصير إليه كذلك نصيب من النعم التي كانت من حق الملكة<sup>١</sup> .

وفي شكل التوابيت تتجلى كذلك القيمة التي كانت تسند في الدولة الحديثة لمظاهر الدفن الخارجية . فلم يكن التابوت حتى ذلك الوقت إلا على ما كانت تقتضيه الغاية منه : أى صندوق قوى يحمى الجثة من التلف . أما في الدولة الحديثة فكان لا بد أن يتخذ شكل المومياء نفسها ، وهو أمر غير طبيعي إلى حد كبير ، غير أن المصريين في ذلك العهد كانوا يعتبرون المومياء شيئا خارقا للعادة مقدسا ؛ ولهذا كان يجب أن يتخذ التابوت الخارجى من الجرانيت شكل ما يحتويه ، حتى ولو وضعت المومياء في أكثر من تابوت ، رغبة في حسن حمايتها ، وهو ما كان يحدث كثيرا منذ الدولة الوسطى . ويبدو التابوت الموميوى الشكل في بداية هذا العصر كأنه محاط بجناحين في كثير من الأحيان . ويجب أن يكون المرء مصريا ليفهم ذلك ، فكما أن ليزيس قد أخذت بين جناحيها جثمان أوزيريس حماية له ( صفحة ٨٦ ) ، فهى تفعل ذلك أيضا لأوزيريس الحديد الذى تمثله هذه المومياء .

وحوالى نهاية الدولة الحديثة عمد المصريون إلى التعبير عن قداسة المومياء بتصوير المناظر الدينية التى لائحصى على التابوت ؛ وكان لا بد من الاستعانة في ذلك بصور الآلهة والحيوانات والرموز المقدسة . وإنه ليتجلى بوضوح كيف كان المنتجون يصادرون في عملهم بدون تفكير وبطريقة آلية . وأقول هنا عن قصد « المنتجون » ؛ وذلك لأنه مما يميز الجناز في الدولة الحديثة أن حاجياتها كانت تنتج جملة وتعرض للبيع . ومن اليسير التذليل على ذلك : فقد كان المنتجون يتركون فراغا حيثما كان يجب ذكر اسم الميت في الكتابات التى تدون على مثل هذه الأشياء ، وذلك لكي يستطيع الشارى أن يدون فيه الاسم المطلوب ، وهو ما كان يحدث عادة ، على أنه كثيرا ما كان يُنسى كتابة هذا الاسم ، وهذا السهو هو الذى يكشف لنا كيف أصبحت

(١) انظر Metropolitan Museum of Art, The Egyptian Expedition

الواجبات القديمة تؤدي عن طريق البيع والشراء . وحتى التمثال - وهو دون غيره من سائر ما كان يودع إلى جانب الميت ، لا يتفق بأية حال مع الإنتاج التجارى - قد شمله ذلك العمل ، إذ كان يتمّ صنعه فيما عدا ملامح الوجه الدقيقة ، وتفصيل الرداء ، وما كان يكتب عليه من نقوش ، ليقوم الشارى بهذا كله وفق هواه . على أن هذه الأشياء كانت في بعض الأحيان تترك دون أن تتمّ ، كما يدل على ذلك أحد التماثيل في مجموعة الآثار في برلين ١ .



١٠٦ - أوشبتيات من الدولة الحديثة : (١) لكاتب حوى في ثياب الأحرار ؛ (ب) السيدة تاميت (ج) لإحدى الملكات (برلين ٤٦٥٢ ، ٤٤٠٦ ، ٨٥٢٨)

وأكثر التقلدات الشائعة في مقابر الدولة الحديثة هي ما يسمى بالأوشبتيات ، وهي تماثيل صغيرة على هيئة المومياء ، تزحم متاحفنا في الوقت الحاضر . وقد ظهرت بضعة أمثلة قليلة منها في الدولة الوسطى حيث يجوز التشكك في العنصر الذى من أجله وضعت هذه التماثيل في المقابر<sup>٢</sup> إذ لم تكن تحمل غير اسم الميت . أما ما كان

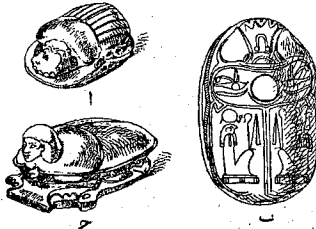
(١) Ausfuehr. Verzeichnis, S. 141.

(٢) أجل ، لقد كانت في بداية الأمر صوراً تميت نفسه ينذر لها أهله . انظر بورخارت في Ae. Z. مجلد ٣٢ صفحة ١١١ وما بعدها ، على أنه من جهة أخرى قد سمي تماثل من هذا القبيل في الدولة الحديثة « خدام سيده » . انظر بيوزر (Boeser) في Ae. Z. مجلد ٤٢ صفحة ٨١ .

يظن أن تـؤدبه للميت في الدولة الحديثة ، فتدلّ عليه الأداتان اللتان في يدي كل منبأ ، وهما المعزق لعزق الأرض ، والزنبيل . وتدلّ عليه كذلك الكتابة التي تحملها عادة : « أنت أيها الأوشبتي ! إذا نودى علىّ ، وإذا أحصيتُ للقيام يشتي الأعمال التي تودى في العالم السفلى . . . وإذا أحصيتُ في أيّ وقت لاستنابات الحقول ، وريّ الشطآن ، ونقل الرمل من الشرق إلى الغرب ، فلتقل عندئذ : هأنذا » . ولسنا نعلم معنى هذه الأعمال الخاصة ، غير أنه من الواضح أن الميت يخشى أن يزجّ به في مملكة الموتى في مختلف الأعمال الزراعية الخافية . وتتجلى في هذا فكرة قديمة تعود للظهور من جديد . فقد كان الشعب في الزمن القديم ، عند ما كان لا يزال شعبا من الفلاحين يحلم بجنة لموتاه ، يبلغ ارتفاع الشمر فيها سبعة أذرع ، وطول سنابله ذراعان . وكان العمل في مثل هذا الحقل يعتبر أجمل مصير يمكن أن يتصوره الإنسان . ولقد ظلّ هذا التصور باقيا حتى إن المصريين عند ما بدأوا يعتبرون أوزيريس ملكا على مملكة الموتى ، ظنوا أنه سيصنع مع موتاه ما كان الملك يصنعه على الأرض مع رعاياه ، وأنه سيعمل قوائمهم . ، وأنه سوف يختار - اعتمادا على هذه السجلات - هذا الميت حينما ، وذلك حينما آخر لأعمال الفلاحة والرى وإقامة الجسور . ولم تكن وجهة النظر هذه مما لا يسرّ الفلاح ، إذ كانت تمنيه في بساطة ويسر باستمرار حياته الدنيوية ؛ أما الطبقات العليا فلا بد أنها فكرت في ذلك على نحو آخر ، فال موظف والكاهن والصانع والحندى والسيدة - هؤلاء جميعا كان يبدو لهم توقع مثل هذا العمل الخافي في الآخرة أمرا سيئا . في هذا التوقع المقلق خطر على أحد العقول المتبدعة خاطر غريب : هو أن يزود الميت بمثل هذه الدى ، لتكون بدائل له ، تقوم بالعمل عنه . بل إن الملوك أنفسهم لم يستطيعوا الاستغناء عنها ، ولا بد لمن يشاهد مجموعة الملك سيق الأول من التماثيل الجنازية الموجودة في متاحفنا أن يعتقد أن قد صنع له منها آلاف وآلاف . وقد تكون بين أوشبتيات الأفراد في بعض الأحيان بعض التماثيل التي لقيت عناية في صناعتها ، والتي عولجت كأنها صورة صادقة للميت ؛ وكانت هذه التماثيل بنوع خاص توضع في تابوت صغير ، على حين كان على التماثيل العادية الخافية أن

تكنفي بصندوق من خشب ، يوضع فيه منها عدد وافر . ولما كانت الخرافة تنمو وتزدهر دائماً ، فقد ارتبطت بهذه التماثيل مخاوف جديدة ، إذا ما العمل إذا حدث بين الأوشبتيات ما يحدث بين الخدم من عراك ، أكانت نوبة أحدهم اليوم في العمل أم غداً ؟ لذلك كان من الخير أن يكتب على كل منها اليوم الذى عليه أن يشتغل فيه من أيام العام ١ . ثم ما العمل إذا قابل الميت في الآخرة عدواً يغوى الأوشبتيات ، على نحو ما كانت الخدم تُغوى في الحياة الدنيا ؟ لهذا كتب أحد الرجال الحريصين على تماثيله الجنازية بعد الصيغة المعتادة العبارة التالية : « أطع فقط من صنعك ولا تطع عدوه » ٢ .

وكما أن هذه التماثيل في المقابر إنما كانت في حقيقتها لتجنب ما يقدر في مملكة الموتى ، فقد حاول المصريون كذلك تحقيق ما يماثل هذا بوضع ما يسمى بجعل القلب إلى جانب الميت . لقد رأينا فيما مضى (صفحة ٢٥٧) كيف اقتضى تصور أوزيريس ملكاً على الموتى طهارة الميت الخلقية . وكيف أنه كان يُعتقد أن هناك محكمة للموتى ، يمتحن فيها قلب الميت بوزنه . ومن اليسير أن ندرك أن وجهة النظر هذه لم تكن مغرية جداً ، ومع هذا فن الصعب أن تتفق مع أفكارنا تلك الطريقة التي توقع بها المصريون تجنب الخطر المنذر ، وذلك بمحاولة التأثير في الشهود المرهقين . فعلى



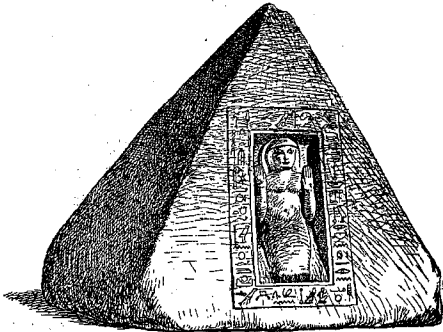
١٠٧ - جدلان للقلب (أ) من الشكل العادى ، (ب) عليه صور رع وأوزيريس والقمر ، (ج) :  
برأس إنسان (برلين ٣٩٠١ ، ٣٤٥٦ ، ١٠٧٠٩)

Erman. Ae. Z. 44, 131. (١)  
Ausfuehrl. Verz. S. 182 (108 ff.) (٢)



صدر الميت فوق مكان القلب كان يوضع جعل كبير من الحجر ( وكان زمنا مقدسا باعتباراه صورة لإله الشمس) وكان يكتب عليه العبارات التالية: « أيها القلب ، الذى لى من أمى ! أيها القلب الذى ينتمى إلى وجودى ! لاتنهض شاهدا ضدى ، ولا تدبر لى أية معارضة أمام القضاة ، ولا تناقضنى أمام صاحب الميزان . إنك روحى الذى فى جسدى . . . لاتجعل اسمنا كرية الرائحة . . . لاتفتري على الكذب عند الإله » .

أما الأهرامات الحجرية الصغيرة التى توجد بكثرة فى مدن الموتى ، فهى تتجه إلى الصديق الآخر للميت ، وهو إله الشمس ، وليس بعضها فى حقيقة الأمر سوى القمم الحجرية للأهرامات الصغيرة من اللبن ، التى ذكرناها من قبل . وعلى الهرم المنشور هنا صورته نجد بتاح موسى - الذى كان الكاهن الأعلى فى منف فى عهد تحتمس الثالث - يركع مرتين وهو يتعبد للشمس ، شمس الصباح على الجانب الذى كان يتجه إلى الشرق ، وشمس المغرب على الجانب الآخر . ومن الواضح أنه كان يرجى أن تساعد هاتان الصورتان الميت على أن يخرج إلى باب مقبرته فى الصباح وفى المساء ليشاهد الشمس . وفيها عدا هذا كثيرا ما توجد كذلك على المداخل الحقيقية



١٠٨ - هرم لبتاح موسى ، الكاهن الأعلى لمنث ( برلين ٢٢٧٦ )

للمقابر دعوات للشمس أو للشمس والقمر . كان على الميت أن يتلوها في هذه الأماكن .

ولا يتضح لنا ماذا كان يهدف إليه من أغراض ما يسمى بصدريات الموميات :



١٠٩ - صدريه عثيا قارب الشمس ، وفيه الإله على شكل جعل تتعبد له إيزيس وفتيس ( برلين ١٩٨٣ )

وهي لوحات صغيرة على شكل المعبد تشبه عادة ما كانت الآلهة والملوك تحمله . على أنه بينما كانت هذه الأخرى تتضمن اسم حاملها ، فإن صدريات الموميات تظهر الميت وهو يتהל إلى إله الشمس أو تظهر كذلك صور آلهة الموتى . ولعلها كانت تعبر - على نحو ما - عن أن الميت إنما هو في حماية هذه الآلهة . ولا يفضل هذا كثيرا ما نعرف عن الأشياء الكثيرة التي كانت تعلق على الموميات على شكل

التأتم كالعيون والجعلان والقلوب والصوالمج والتيجان وغيرها . أجل نتحدثنا بعض أورد كتاب الموتى بأن من حمل « جد » ، رمز أوزيريس ، أذن له بأن يدخل مملكة الموتى ، وأن يأكل من أطعمة أوزيريس ، وأنه يبرز ، أو أن من يعلق رمز إيزيس فإن إيزيس وحورس يحميانه ، وأنه يرحب به في ابتهاج . على أن هذه المزايم البهيمية المضطربة إنما ترجع إلى عصر لم تعد لديه فكرة واضحة عن المعنى الأصلي للتأتم ، ولهذا فليس لنا إلا أن نركن إلى الحدس والتخمين . ومع هذا فن الواضح أن الجعل الذي كان يوضع كذلك من داخل بطن الموميات ، إنما كان لجلب البركة ، باعتباره صورة لإله الشمس ، كما أن من السهل كذلك أن نرى أن الرمزين القديمين لأوزيريس وإيزيس (صفحة ٥١) اللذين كانا يوضعان عادة في يدي المومياء ، إنما كانا للتوصية بالميت في مملكة أوزيريس . ومن المحقق أن الغرض من الشمس المشرقة إنما كان لتسمح للميت بأن يشاهد الشمس . أما العين - وكانت أكثر التأتم شيوعا -

فإنها تأتي كل تفسير ؛ ترى هل هي عين حورس ، المثال الأول لكل هبة طيبة ؟  
ولعل الغرض من القلب الصغير ، أن يعمل على نحو ما يعمل جعل القلب الذي سبق  
عنه الكلام ، على حين أن العروس المقطوعة للثعابين قد تكون لإرهاب الهوام ، التي



ا



ب



ج



د



هـ



و



ز



ح



ط



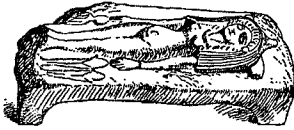
ي



ك

١١٠ - تمام من مويبات (ا) الشمس المشرقة ، (ب) العين ، (ج ، د) تاجان ، (هـ) ريشتان ؛  
(و) صولجان على شكل البردي للآلات ، (ز) مسند الرأس ، (ح) الزاوية ، (ط) القلب  
(ي) الشاقول ، (ك) الدرج .

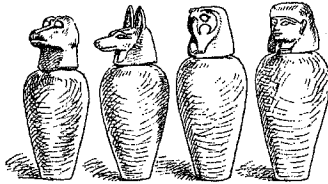
تهدّد الموتى في مقابرهم . - ومن التماثم الأخرى ما قد ثبت لدينا أنه لم يكن يعتبر  
في الأصل على هذا النحو ١ ، إذ لم يكن سوى نماذج صغيرة لسائر ما كان يوضع  
إلى جانب الموتى في مقابرهم في الزمن القديم (صفحة ٢٧٥) . وقد اكتفى  
في الدولة الوسطى بتصوير هذه الأدوات على السطوح الداخلية للتابوت ، ثم  
خطر على البال فيما بعد عمل نماذج صغيرة توضع إلى جانب الميت . فمسند الرأس  
الصغير من حجر الدم إنما ينبو عن مسند الرأس الكبير الخشبي الذي ينبغي أن ينام  
عليه الميت ؛ أما الزاوية والشاقول فهما من أدوات العمل ، التي كانت توضع إلى  
جانبه ؛ وتنتمى التيجان والصوالج لزيئته الملكية . إلى جانب هذا لقد أسىء فهم



١١١ - امرأة على سرير وعند قدميها طفلها ونعلها  
(برلين ١٢٦٦١)

كثير من التمام ، فليس السلم إلا  
حفنة فقدت شكلها بالتدريج ،  
وكانت الريشنان في وقت من  
الأوقات سكيننا من الحجر من  
شكل خاص .

وبينا ظلّ يوضع إلى جانب الميت في مقابر الدولة الحديثة ما يكفي من الأثاث  
والأدوات واللباس والحليّ ، وبينما كان لا يستحي من تزويده بتمثال امرأة عارية  
جريا على عادة قديمة جدا ، وإن أصبح تماثلا يمثلها راقدة على سرير ، فقد أخذت



١١٢ - قنور الأحشاء (برلين ٧١٩٣ ، ٧١٩١ ، ٧١٨٩ ، ٧١٨٨)

العناية بإطعام الميت ثقلاً بعد أن كانت أهمّ شيء فيما مضى . حقا لقد كان يوضع  
هنا أو هناك في القبر أوان من خشب تحاكي القنور الحجرية ، وإوزا مشويا من  
خشب ، وتما من خشب كذلك ، على أنه كان يعتمد بصفة عامة على القوة السحرية  
التي لقنور الأحشاء ، والتي تحدثنا عنها آنفا ، والتي غدت من جملة الضرورات  
في المقابر . وكان يصنع منها عادة أربع قنور من المرمر المصري ، غطاء كل منها  
كهيئة رأس واحد من أبناء حورس الأربعة ، وبهذا كان يقسم الحراسة على الميت  
رجل وقرود وابن آوى وصقر .

ونحن إذا أردنا الآن أن نجمل سائر ماعرضناه ، فإنه يمكننا أن نقول إن المسائل  
المتعلقة بالموتى فقدت في الدولة الحديثة طابعها القديم الساذج ، على حين برز فيها

الجانب الدينى والعنصر السحرى . ويتجلى ذلك كذلك فى استخدام الأدب الجنازى القديم؛ فقد رأينا كيف تزود الملوك فى أواخر الدولة القديمة بمجموعة من هذا الأدب فى نقوش أهراماتهم ، وكيف عمل الأفراد كذلك فيما بعد على أن تكتب هذه الأوراد القديمة على توابيتهم . ولم يقتصر الأمر فى الدولة الحديثة على تحلئة جزء كبير من جدران المقابر بمثل هذه النصوص ، وإنما كانت توضع كذلك إلى جانب الميت أدراج من بردى تحتوى مثل تلك الأوراد ، التى اعتبرت معرفتها مفيدة له على نحو خاص ، ، والتى يقرأ فى نهايتها : « إن من يعرف هذا الورد فانه » ينعم بهذه البركة أو بتلك . وهذه الأدراج هى التى تسمى « كتب الموتى » ، والتى استقيننا منها فى الفصل الرابع عشر الكثير من التصورات الحديثة عن مملكة الموتى . وإلى جانبها ظهرت فى نهاية الدولة الحديثة برديات أخرى تحتوى على كتاب الأمدوات ، الذى كان يطلب فى بداية الأمر ليكون حامية نافعة للمقابر الملكية (صفحة ٢٦٣) . وفضلا عن ذلك فقد كانت سائر هذه البرديات الجنازية تصنع جملة كغيرها من الحاجيات الأخرى للمقابر ، ومن اليسير أن نتصور ما يودى إليه هذا . فهذه المخطوطات تبدو فى ظاهرها بصورها الجميلة ، الملونة فى كثير من الأحيان ، متقنة ، منسقة ، غير أنها تعج بالأخطاء والكلمات الساقطة سهوا . وكثيرا ماتلحق بالنص صور غير صوره ، أو أن الكاتب ، وقد داعب الكرى عينيه ، نسخ سطور النص فى ترتيب معكوس . على أن هذا لم يكن فى الحق يحول دون اعتبار هذه الكتب الجنازية نفسها فى القرون التالية شيئا مقدسا ، وأن تعامل على هذا الأساس ، وذلك لأنها تتضمن عبارات قديمة مقدسة . وهكذا كانت تتسلل دائما عناصر جديدة فى العقائد والعادات الجنازية المصرية ، حتى ليظن أنه كان لا بد لهذه العقائد والعادات من أن تحتق فى الدولة الحديثة بما فيها من تناقض وهدر . على أن هذا لم يحدث ، وسرى كيف ظلت تتطور على طريقها نحو ألف عام .

## الفصل السادس عشر

### الموتى فى العصر المتأخر

على نحو ما تمسكت الحضارة المصرية فى عهد تدهورها بالتقاليد القديمة فى الديانة دأن فى مراعاتها الخلاص الوحيد ، فقد جاهدت كذلك فيما يتعلق بالموتى على تقليد واستبقاء ما ابتدعته القرون الماضية لسعادة الموتى . وقد أخذ المصريون يستقصون جميع ما وجد من مختلف أنواع الأدب الجنائزى ، ويقدمونه للميت على البردى أو فى نصوص لا آخر لها على التوابيت أو على جدران المقابر . وبهذا عادت إلى الظهور مرة أخرى متون الأهرام ( صفحة ٢٣٣ ) التى كاد يغشاها النسيان منذ الدولة القديمة ؛ وجمعت نصوص كتاب الموتى ( صفحة ٢٣٣ ) فى كتاب واحد ، يتطلب قرطاسا من البردى طوله عشرون مترا تقريبا ، كما أصبح كتابا رحلة الشمس يثبتان بكل صورهما على التوابيت الحجرية الكبيرة ( صفحة ٢٦٣ ) . وإلى جانب هذا الأدب القديم ظهرت كذلك كتب صغيرة أخرى ، كانت تعتبر كلها قديمة أيضا ، وإن كان كثير منها حديث التأليف على وجه التحقيق . ومن هذه الكتب مرآتى ليزيس ونفتيس لأخيهما أوزيريس ؛ وقد ذكرنا طرفا منها آنفا ( صفحة ٨٦ ) ، ومنها كتاب التنفس ، وكان محبوبا فى طيبة بنوع خاص ؛ ومنها الرثاء على سكر ، وطقس التحنيط ، وكتاب الانتصار على أبوفس وكثير غيرها . ومن المحقق أن ليس لأحد أن يتوقع فهم الكثير من هذا الأدب القديم ؛ وذلك لأن النصوص قد صحفت فى أحيان كثيرة حتى لم يعد لها معنى . ومع ذلك فقد أجهد المصريون أنفسهم فى نقل الكثير منها إلى اللغة المتأخرة<sup>١</sup> . على أن الصعوبة فى فهم هذه النصوص قد كانت هى بعينها تضفى عليها كثيرا من الغموض ، وكان الغموض والإبهام علامة على كل شىء مقدس مبجل فى هذا العصر .

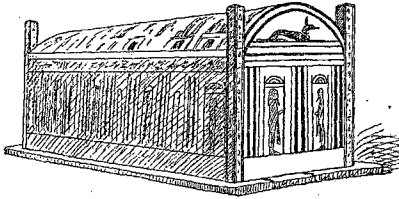
(١) انظر : Schott, Urk. VII, S. 60 f. ؛ وقد نقل أيضا الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى ( وهو يختص بمحاكاة الميت ) إلى الكتابة الديموطيقية ( Lexa, Das demotische Totenbuch, Leipzig 1910).

لقد ضاعت مقابر ملوك العهد المتأخر ، على أن مقابر الأثرياء من الأفراد تكفي لأن نرى كيف تصوّر هذا العصر واجباته نحو الموتى ، فهي تفوق في عظمتها سائر مقابر اليهود السابقة ، وليس في المقابر الملكية في طيبة ما يجارى مقبرة بتانوبى في ضخامة مساحتها ، وقد كان صاحبها يعيش في طيبة في العهد الصاوى ، ويلقب برئيس «الخرحوب» على الأسلوب القديم (صفحة ٢١٠). يمرّ المرء أول ما يمرّ بفناءين أماميين ، زودا بصرحين ضخمين على نحو ما في المعابد ، ومن ثمّ بهوين محفورين في الصخر ، يعتمد سقفهما على أعمدة مربعة ، ثمّ يلج من بعد ذلك إلى مجموعتين من الدهاليز والأبهاء والغرف . وفي نهاية إحدى هاتين المجموعتين كتلة من الصخر طولها ١٥ مترا ، وعرضها ١٠ أمتار ، شكلت على هيئة تابوت ضخّم . وهى تعين المكان الذى يرقد الميت من تحته ؛ على أنه لا يبد للوصول إلى هذا المكان نفسه من أن يهبط المرء بثرا في أحد الأبهاء المذكورة آنفا ، ثمّ يمرّ في ثلاث غرف ، تتلى من بعدها بثر أخرى ، تؤدى إلى بهو تقع من خلفه قاعة كبيرة كان يستقرّ فيها التابوت .

ولقد شيدت على نحو غريب كذلك المقابر التى خلفها لنا هذا العهد في منف . ومع أن مبانيها العلوية اختفت الآن ، فقد بقى منها الجزء الرئيسى ، وهو البئر الواسعة العميقة ، التى تقوم على قاعدتها غرفة التابوت كأنها بناء مستقل . وليس من شكّ في أن أسراراً عميقة تخفى وراء تصميم هذه المقابر ؛ فقد تحاكى تلك المقابر العالم السفلى . وقد تمثل هذه قبر أوزيريس في بئر روستاو .

وزخرفة هذه المقابر ذات طابع دينى بطبيعة الحال ، وهى مقتبسة من الأدب الجنائزى . على أنه يظهر إلى جانب الصور الدينية فى كثير من المقابر صفوف من الصور ذات الطابع الدنيوى ، مما تلقاه مرحبين مسرورين ، وذلك لأن هذا العهد المتأخر لم يترك لنا فيها عدا ذلك صورا من أى نوع يمكن أن تعرض علينا حياته ونواحي نشاطه . على أن هذا السرور قصير الأجل ، لأن الصور الجميلة ، التى تمثل ذبح الضحايا من الحيوان أو تقديم الطيور ، قد نسخت بدقة مع جمع الحواشى من أبة مقبرة من مقابر الدولة القديمة ؛ وقد نسخ الفنان الذى عمل فى مقبرة منتمحات فى طيبة صفوفها كاملة من الصور من معبد الدير البحرى المجاور<sup>١</sup> . بل إننا نستطيع

التدليل كذلك على أن الفنان ، الذى حلّى مقبرة إيبى فى طيبة بتلك الصور العجيبة التى تمثل الصناع ، قد استخدم مصدرا فى مكان بعيد ، إذ نسخها من مقبرة قديمة فى مصر الوسطى ، شيدها رجل كان يحمل اسما مماثلا - ولعل أيبى المتأخر ظن أنه قد كشف فى سميته هذا عن أحد أسلافه . ولهذا استنسخ صور مقبرة سلفه ليحلّى بها جدران مقبرته <sup>١</sup> . وكان ولع هذا العصر بكل قديم ( انظر الفصل الثامن عشر ) هو الذى أعاد هذه الصور من جديد ، وهو ولع يسود الفن والدين فى ذلك الوقت .



١١٣ - تابوت متأخر ذو أعمدة (برلين ١٨٤٩٧) .

وتقابل فخامة المقابر فى العهد الصاوى روعة توابيتها ؛ فقد كان لابد لتوابيت الأفراد من الطبقة العليا أن تكون من الجرانيت القاتم أو البازلت الأسود ، وهى فى كثير من الأحيان أعجوبة حقا تدهش بكمال صنعها . فبعضها فى هيئة المومياء ، كما جرت العادة منذ الدولة الحديثة ، وبعضها الآخر يخاكي التوابيت الصندوقية الشكل من عصور ما قبل الدولة الحديثة ؛ على أنها كلها تتميز حقا بصفة خاصة . فبينما تقل النقوش على تلك التوابيت الحجرية القديمة ، رأى المقلدون المحدثون أنه لا بد من أن ينقشوا كتبها كاملة من الأدب الجنائزى بصورها على التوابيت . ولم يكن ليخفى على أعينهم . كذلك أن هذا إنما يتلف الطابع الجليل الذى لهذه القطع النفيسة ، ومع ذلك فقد كان من الأهمية بمكان أن تكون للميت تلك النصوص المقدسة منقوشة بالقرب منه على مادة لا تفسد . ويدل على شدة الحاجة إلى مثل هذه التوابيت

Davies, Deir el Gebrawi I, 36 ff. (١)



أن المصريين عرفوا كيف يزودون بها كذلك العاجزين عن القيام بنفقات صنعها ، إذ كان يسرق لهم من أية مقبرة من مقابر العهود السابقة تابوت قديم ، تمحي من عليه نقوشه ثم تنقش مكانها النقوش التي كان يقتضيها العصر الحديث . وفي مجموعة الآثار في برلين تابوت يدل على أن توابيت

معينة قد كانت تستخدم كذلك لهذا الغرض ، أن المرء لم يكن ليضيق إذا كان الغطاء لا يتفق مع الجزء الأسفل ١ .

أما من لم يكن يستطيع اصطناع تابوته من الحجر ، فقد كان يؤثر في هذا العصر المتأخر صنعه صندوقا من خشب ، على شكل



١١٤ - سقر من أحد التوابيت ( برلين ٤٦٨٧ )

خاص كان يُظن أنه كان لتابوت أوزيريس : أى صندوق له في الأركان أربعة أعمدة تعلقو سطحه المقبي . وكانت توضع على هذه الأعمدة أربعة صقور ، نحتت أشكالها

على أسلوب قديم ، كما كان ابن آوى يوضع على الغطاء ، على أن يتندل ذيله من على التابوت ؛ وتمثل هذه الأشكال الخشبية ذات الألوان المختلفة الآلهة التي قامت بحماية تابوت أوزيريس . وكان



١١٥ - ابن آوى من أحد التوابيت ( برلين ١٠٨١ ) .

على موضع الرأس من التابوت وعند قدميه تمثالان لإيزيس ونفتيس تبيكان

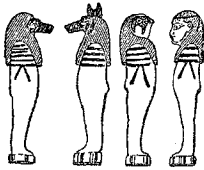
الزوج المتوفى ؛ ومعهما كذلك أنوبيس يقبض على رمز أوزيريس أو يفرك عينيه باكيا ٢ . أما في التابوت الداخلى ، فكان يوضع على المومياء أشكال

تمثل جعلاً ناشراً جناحيه ، وأبناء حورس الأربعة (صفحة ٨٤) ، وإلهة السماء ، وسائر ما ابتدع في مصر من تآمم صغيرة ؛ وكان الأمر يقتضى مالا يقل عن ١٠٤

(١) برلين ٤٩ (Ausfuehrl. Verzeichnis S. 270)

(٢) نفس المرجع ص ٣٠٨ .

تميمة مختلفة ، إذا أريد صيانة الجثة كما صيغت جثة أوزيريس من قبل ١ . وكلما



١١٦ - أبناء حورس من أحد المومياء  
( برلين ١٢٦٣١ - ١٢٦٣٤ ) .

زاد نصيب الميت من هذه الأشياء كان هذا خيرا له ، وقد أصبحت تصنع على أحسن شكل ومن أنفس المواد باعتبارها أشياء مقدسة . فتحت رأس الميت كان يوضع قرص مستدير من الكتان صورت عليه صور غريبة ، وقد جاء عنه أنه « يمنح الميت الدفء تحت الرأس » ، وذلك لكي لا يقرسه البرد في النوم - وما زال الرأس حتى

يومنا هذا جزء الجسم الذي يلفه المصري ليلا بأكبر عناية . وبين ساق المومياء كان يوضع في بعض الأحيان تمثال صغير لأوزيريس من الطين ، مملوء بحبات قمح ، كان نموها يشير إلى عودة الإله للحياة من جديد ( صفحة ٤٩ ) . وكان يوضع إلى جانب الميت ، فضلا عن ذلك ، إصبعان من حجر أسود ، وصورة كبيرة للبعين



١١٧ - لوحة الرأس ، في الوسط أمون رع تتعبد لإله القردة ، ومن أسفل جانتحور على شكل بقرة ، وغيرها . ( برلين ٧٧٩٢ ) .

التمنى من الشمع أو المعدن ، و تماثيل صغيرة من الشمع لممالك الخزيين ( بلشون )  
أو لأبي منجل وأشياء كثيرة أخرى . هذا وقد يحدث ألا يجد الميت من هذه الذخائر  
ما يكفيهِ . لذلك كان الحريصون يحملون معهم في القبر قوالب من الحجر ١ ،  
حتى يمكنهم أن يصوغوا فيها الكثير لأنفسهم وقت الضرورة . وكانت الأحشاء  
توضع في صندوق ، أو على الأرجح ، كما كان في الدولة الحديثة ، في أربعة  
قلود حجرية ، تحمل أغطيتها رءوس أبناء حورس الأربعة ، وتوضع  
فوق ذلك تحت حماية إيزيس ونفتيس ونيت وسلكت .



وما كان لينسى كذلك شيء من الضروريات الأخرى للمقبرة ،  
بل لقد زاد عددها . وهكذا أصبح كثير من المقابر يحتوي على سلم ،  
لعل الغرض منه كان مساعدة الروح على الصعود من بئر المقبرة ،  
إن لم يكن للصعود إلى القبعة الزرقاء وفقا للنصوص العتيقة عن سالم السماء  
١١٨- أصبعان من الحجر ( صفحة ٢٤٨ ) . وقد وجد في إحدى المقابر تماثيل لأبي الخول ،  
( برلين ) في خلقة أسد برأس إنسان ، « ليحمي المقبرة » ، وذلك بطرد الأعداء  
( ٣٤١٧ ) .  
عنها ٢ ، على أنه أيضا كان بمثابة صورة للملك يحرس الطريق إلى المعبد . وعثر  
في مقابر أخرى على ألوية من خشب عليها تماثيل صغيرة للحيوانات المؤلمة ، على  
نحو الألوية التي كانت تتقدم المواكب « لإعداد الطريق » ٣ . أما قرطاس البردى  
الذي كان يزود الميت به ، فقد أصبح إذ ذاك يوضع في جوف قاعدة تماثيل خشبي  
لأوزيريس ، وكان الغطاء الذي يغلق به هذا الجوف يشكل على هيئة تابوت الإله .  
وهكذا كان يستقر الكتاب في تابوت إله الموتى نفسه بما يتفق وقداسته .

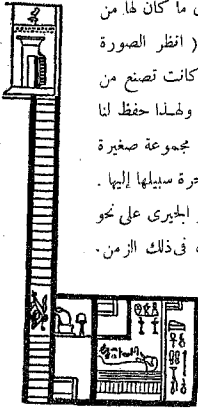
وأهم ما يسترعى النظر بين سائر ما كان يعتبر من مستلزمات المقابر تماثيل  
الأوشابتي ، التي كانت تقوم كما رأينا من قبل ( صفحة ٣١١ ) عن الميت بأعمال

(١) Berl. ausfuhr. Verzeichn. S. 280. وهي قوالب يستخدمها الموتى.

(٢) Bergmann, Ae. Z. 18, 50.

(٣) Mar. Denderah I, 9; IV, 16 ؛ وكانت في الأصل تحمل أمام الملوك ، انظر :

Quibell, Hierakonpolis, pl. 29



١١٩ - حجرة الروح على السلم  
إلى القبر .

البحيرة . والتي تدل على إحدى سماتها الخارجية على مدى ما كان لها من قداسة : فقد غدت تتخذ للحمية الخاصة بالآلهة ( انظر الصورة صفحة ٣٢٧ ) . وكانت التماثيل البسيطة منها ، وقد كانت تصنع من القاشاني الأزرق الفاتح ، وتوضع بكثرة في المقبرة ، ولهذا حفظ لنا منها عدد وافر بحيث لا يكاد يوجد في الوقت الحاضر مجموعة صغيرة من الآثار إلا وقد وجدت بعض هذه التماثيل المتأخرة سبيلها إليها . وحتى التماثيل الجميلة ، التي كانت تنحت من الحجر الجيري على نحو من الكمال لم يكن لبسنى إلا للصانع المصرى وحده في ذلك الزمن .

فإنها كانت تصنع في عدد أكبر ، وتوضع في جدران غرفة الدفن ، وذلك في مشكاوات سدّت فتحاتها بالبناء ، لتكون خير معين لصاحبها . وكان يحدث كذلك أن يزود الميت بخمسة وستين وثلاثمائة أو شبقى يقوم كل منها بالخدمة مرة واحدة في السنة .

وهذا الذى اصطنعه الأغنياء والأشراف لسعادة أرواحهم قد قلده كذلك أفراد الطبقات الدنيا بقدر استطاعتهم ، ولهذا فإن في الجبانات الكبيرة من هذا العهد توابيت وأثاثاً جنازياً من كل نوع حتى من أحقرها .

وكان للحدادون الذين يقومون على دفن الفقراء يدفنونهم غالباً على أسوأ حالة في المقابر القديمة . فقد حشرت أربعة توابيت مثلاً في غرفة لم تكن لتسع غير تابوت واحد . كذلك كانت بعض التوابيت توضع رأسية في مدخل إحدى الآبار ، وقد تدفن كذلك المومياءات في بئر ، فإذا كانت ضيقة ثبتت المومياء ببساطة . أما الفقراء المتبرون فإنهم كانوا يدفنون في الرمل بعد تحنيط بسيط ، يشدون بعده ببعض الخرق إلى جذع نخلة ٢ . وكانت أنواع التحنيط تتميز كذلك بأسعارها ،

(١) Rubensohn, Ae. Z. 41, 8 . انظر ما سبق أن ذكر عن استخدامها .

(٢) Rubensohn, u. Knatz, Ae. Z. 41, 14 .

وقد أوضح هيرودوت أن المخطط قد كان قبل قيامه بتجهيز الجثة يعرض على الطالبين ثلاثة نماذج خشبية للموميאות ، تبين طريقة تجهيزها وفق الأسعار المختلفة<sup>١</sup> .

وتتجلى هذه الروح التجارية نفسها عند أولئك الذين كان يعهد إليهم برعاية المقابر ، وهم خلفاء الكهنة الجنائزين في الأزمنة القديمة ، الذين اعتدنا تسميتهم باسمهم اليوناني وهو « الكواخيتيون » . ولدنا من العهد الإغريقي وثائق عديدة تبين لنا المعاملات التجارية التي كانت تقوم بها أسر هؤلاء الناس . ومنها نرى أن كل ميت قد كان يعتبر ببساطة رأس مال لهؤلاء القائمين على رعاية الجثث . فقد تعهد أحدهم بأن يقوم بتلاوة الأدعية بانتظام وتقديم القرбан إلى أبسناسيسخسن وزوجته وأولاده ، وأن ينال على هذا على نحو ما أجرا دائما ؛ وكان هذا العمل وماله من جزء مسألة مالية كأي شيء سواه من المسائل المالية ، حتى لقد كان يمكنه أن يوصى به لأبنائه أو يبيعه إلى شخص آخر من طائفته<sup>٢</sup> . وكان يمكنه كذلك أن يستدين عليه مالا ، ولعل ذلك كله هو الذي أدى إلى الخبر الغريب الذي ذكره هيرودوت<sup>٣</sup> والذي لاكنه الألسن كثيرا ، من أن المصريين كانوا يستطيعون رهن جثث آبائهم . ومهما يكن من أمر فلنا أن نحترس من أن نستخلص من هذه العادة ومن هذا العمل التجاري للكواخيتيين أي شيء عن المشاعر الحقيقية للشعب نحو موتاه . وإذا كنا لانستطيع أن نرتو إلى هذه المسائل إلا من بعيد بما يزيد على ألفي عام ، فإننا عرضة دائما لأن نحكم عليها من مظاهرها التي لانستطيع أن نراها إلا من بعيد كذلك . إننا نرى المقابر وأثاثها ، ونرى حراسها المحترفين في أعمالهم وفي صلاتهم التجارية ، غير أنه يجب على من يريد إدراك ذلك على حقيقته أن يفكر في شيء آخر ، لانطق به أية كتابة أو صورة ، ولكنه كان من بين ماشاهده هيرودوت في مصر ، وهو تلك الولوجة الصاخبة يوم الوفاة ، يوم كانت النساء يلعخن رءوسهن بالطين ،

Herodot II, 86. (١)

(٢) هناك مثال من هذا النص في الكتيب Aus den Papyrus der Koenigl. Museen. ص ١٠٣ وما بعدها .

Herodot II, 136. (٣)

ويجيب المدينة لاطمات خلودهن مولولات ، ويجب أن يفكر كذلك في تلك الفترة من الحزن الصامت ، إذ يرسل الرجال فيها شعورهم ولحاهم ، كأنهم يريدون بذلك تجنب السعداء من الناس ، ثم أخيرا في تلك الذكرى الطويلة الحزينة التي لم يذكر حتى هيرودوت عنها شيئا .

وهاك مسألة أخرى لنا أن ندرک منها أنه لا ينبغي أن نعتد فقط في حكمتنا على هذا الزمن المتأخر على ما خلف لنا في المقابر . فقد رأينا فيها مضى كيف كان المصريون في هذا العهد يرفعون من شأن الأدب الجنازي القديم ،



١٢٠ - أوشابتي من العهد الناصري (برلين ٤٥١٣) .

ويرعون عادات أجدادهم الجنازية ، ولكنهم وقد صنعوا ذلك فهل كانوا يشاركونهم كذلك سائر التصورات والأفكار ، التي تعتمد عليها هذه العادات ؟ وهل ظلت الآراء حقا عن مصير الروح هي بعينها طوال القرون العديدة التي انصرفت منذ تصنيف كتاب الموتى أو كتاب الإسدوات ؟ لم يكن الأمر كذلك حقا ، ولكننا وقد حرص المصريون على اتباع التقاليد تماما في كل ما كانوا يقوهون به من عمل ، لا نستطيع بدورنا أن نلاحظ التغيرات التي طرأت على عقيدة الشعب ، ولا نستطيع كذلك أن نحكم أكان هيرودوت قد أنبئ بالحق حين يروى لنا أن المصريين إنما كانوا أول من بشر بخلود الروح ، وأنهم كانوا يعتقدون فوق ذلك في تنقل الروح ، أي أنها عند الموت تمشي إلى كائن آخر يتلقى الحياة في تلك اللحظة نفسها ، فإذا حلت في محال ثلاثة آلاف عام في كل ما يعمر الأرض والماء

والهواء من كائن ، فإنها تعود إلى الإنسان في خاتمة ذلك المطاف . فهل انتهى الأمر حقا بذلك التصور العتيق ، الذي كان يذهب إلى أن الروح تستطيع أن تبدو طائرا أو زهرة أو « كل ما تريده من شكل » ، إلى أن تتخذ في عقيدة الشعب مثل هذه الصيغة ؟ في الحق لا بد أن كان هذا التصور غير ما زعم هيرودوت ، ذلك لأنه

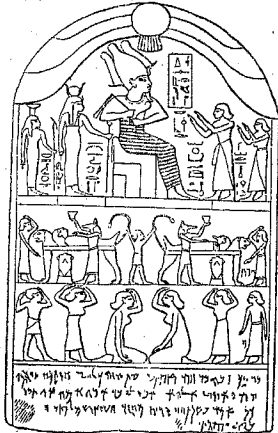
Herodot II, 85. (١)

Herodot II, 123. (٢)

لو أن المصريين سلموا بمثل هذه الدورة التي لا تنتهي للروح ، لما كان هناك ما يدعو إلى الاعتقاد في أوزيريس ومملكته . على أن أوزيريس ، بصفته حامي الموتى ، ظل يرمي الأرواح طوال وجود الديانة المصرية بوجه عام .

وتفيدنا نصب مقابر الأجانب ، الذين عاشوا في مصر ثم دفنوا فيها وفقا للعادات المصرية ، في معرفة القليل عن العقائد الشعبية في الزمن المتأخر . فقد دفن في القرن الخامس في منف بعض السوريين ، وتدل شواهدهم على أنها من إنتاج صناع أجنبي ، ولهذا لم تتأثر مآظرها بالتقاليد المصرية القديمة .

وإننا لنرى عليها أن الميت يتعبد



١٢١ - شاهد مقبرة آنت أبوالسورية ، من منف من عام ٤٨٢ ق . م . ( برلين ٧٧٠٧ ) .

لأوزيريس ، وأن أنوبيس يبذل العناية بالمومياء ، وأن أهل الميت يندبونه ، وفي النقوش السوربانية يرجو الولد من أوزيريس البركة لوالده . وهذا الذي تعبر عنه الصورة والنقوش هو في جوهره ما كان يعتقد الفرد العادي عن الموت . أما المخاوف والآمال التي لا تحصى ، وسائر الأشباح والآلهة ، التي يزرع بها الأدب الجنائزي القديم ، فقد تلاشت من نخيلة الطبقات الدنيا من الشعب وعشيتها النسيان .

## الفصل السابع عشر

### السحر

السحر نبت وحشى . فى دوحه الدين . وهو عمل يهدف الى التغلب على القوى التى تتصرف فى مصير الإنسان . وإنه لمن الخير أن نعرف كيف يمكن أن ينشأ الاعتقاد بإمكان القيام بمثل هذا العمل . قد بينو أن الإله استجاب للدعاء تارة . ولم يستجب له تارة أخرى ؛ عند ذلك بطراً قسراً على الفكر أن العبارة التى صيغ فيها الدعاء أول مرة قد لقيت عند الإله قبولاً خاصاً ؛ لذلك يعدّ هذا التركيب أفضل تركيب من نوعه ، ويغدو صيغة لا يلبث الإنسان أن يعتقد أن لها منعولاً لا يخيب ، وأنها تقهر القدر . عندئذ يسوق هذا الاستنتاج الخاطئ إلى أداء أعمال معينة ونبد أعمال أخرى ؛ فقد نجحت اليوم فيما أخفقت فيه منذ زمن وجيز . ومن الواضح أنك قد أسأت إلى الإله . أو إلى كائن آخر مجهول بهذه الوسيلة أو بتلك ؛ أما اليوم فقد أَرْضَيْتَهُ ، فإذا وفقت فى تعليل ذلك . فلسوف تستطيع فى المستقبل تجنب ذلك الخطأ العائر أو جاب . هذا التوفيق . ومن يتدبر هذه الأشياء ويعرف طبيعة الآلهة فإن يلبث كذلك أن يدرك ما عسى أن يكون . ولذلك فإن من كان بالآلهة أعلم فهو يغدو كذلك خير ساحر ؛ وكذلك كان الخرحب الرئيس (صفحة ٢١٠) فى اعتبار المصريين . إذ هو أعلم الكهنة بالأسفار القديمة المقدسة .

فإذا حدث أن تطرّق هذا الاتجاه إلى تفكير شعب ما - والشعوب البافعة الساذجة هى أول ما يتعرّض لهذا - فلن يقف أمامه حائل . وبذلك تزدهر الأعشاب الطقيلية التى تمثل السحر والشعوذة إلى جانب الدوحة الطيبة للدين . وفى الشعوب ذات المواهب المحدودة تخنق هذه الأعشاب آخر الأمر دوحه الديانة خنقا تاماً ، ومن ثم تسود البربرية التى لاتدين بأى نظام ثابت فى العالم ، والتى تجعل من الضمير ذى القوة السحرية أسمى ما لديها ، والتى تستعيض عن الكاهن بالساحر وشعوذته .



ولا يرى أحد أن ينسب مثل هذه الحالة إلى شعب يافع كالمصريين القدامى -  
ولإلّا كان أشبه بمن يريد أن يسوّي بين خيرات العجوز المنتكس طفلا ، وبين طيش  
صبيّ يبشر بكثير من رجاء . ومع ذلك فقد كان للشعب المصرى كذلك نصيب  
وأفر من تلك الضلالات منذ عهد مبكر .

ومن المحقق أنه من الصعب هنا ترسم حدّ فاصل ، كما أنه لا ينبغي أن تعتبر كل  
عادة تشير إلى ما وراء المحسوس من قبيل السحر<sup>١</sup> . فمن يزود الميت بالطعام أو  
يصوّر له على جدران المقبرة مناظر الحياة الرغدة ، لا يؤدي بذلك عملا من أعمال  
السحر ؛ وحتى ذلك الذى يتاو للميت الدعوة الجنائزية إنما يتاو في حقيقة الأمر  
دعاء ، وإن كان قد غدا دعاء أجوف وكان يعتقد أن له تأثير السحر . لهذا فلندع  
جانبا مثل هذه الحالات ذات العلاقة بعبادة الآلهة والموتى ، وفيما بقى بعد ذلك  
الكفاية وزيادة . وقد زادت العصور المتأخرة في سائر ما تواتر عن أقدم الأزمنة  
من أعمال السحر . وما ينبغي أن يدهشنا ذلك ؛ حقا لقد بلغت ثقافة الشعب في هذه  
العصور مستوى أرقى مما كان في العصور الأولى ، غير أن الميل إلى السحر إنما يمكن  
في كل إنسان ، فإذا ماتراخت قيود العقل ظهرت الحماقات الكبرى من جديد حتى  
في أرق طبقات الشعب المثقف .

وتعاويز السحر مختلفة الصيغ ، أبسطها ما خاطب فيه الساحر الشر الذى يود  
أن يطرده ، وذلك على نحو ما ينطق به ضد التعابين أحد الأوراد العتيقة ، التى  
حفظت لنا في متون الأهرام : « يسقط الثعبان الذى يخرج من الأرض ، ويسقط  
المهيب الذى يخرج من البحر . فلتسقط ! »<sup>٢</sup> أو قد يزعم الساحر للموتى ، الذين  
تجلب أشباحهم المص في البيت ، أنه قادر على أن يفعل بهم السوء ، وأنه قادر على  
أن يجرب مقابريهم ، وأن يتزعم قرابينهم<sup>٣</sup> . وهو يوضح للمرض أن من الخطر عليه  
أن يلتم بهذا المريض حيث لا مأمّن له في أى جزء من جسمه : فاللسان في الفم ثعبان

(١) عن موقى في هذه المسائل انظر صفحة ٢٨٤ . ملحوظة ١ . و صفحة ٢٨٨ ملحوظة ٤ .

(٢) متون الأهرام ، ٢٣٧ .

(٣) Zaubersprueche f. M. u. K. S. 33 ؛ إنى أدين بالتفسير الصحيح إلى جراف شاك .

في جحره ، والدبر منفرة للآلهة ، أما الأسنان فسوف تطحن المرض ، وسوف يهرسه القدم ، وقد يتلاشى في الفم<sup>١</sup> . فإذا لم ينفع الأمر والتهديد والإقناع عمد الساحر إلى أسلوب أرق حاشية ، فيعزى المرض بأنه أفضل له أن يسكن إلى حريمه من أن يسكن في هذا الطفل المسكين : « هلمّ اذهب لتنام ، واذهب إلى حيث نساؤك الجميلات ، اللاتي وضع في شعورهن المرء ، وعلى أكتافهن البخور الندى »<sup>٢</sup> .

على أن الساحر يستنجد عادة بالآلهة . فهو يدعو رع ، الذي يرى كل شيء ، لرقابة أشباح الشر<sup>٣</sup> ، أو يشكو التعبان إلى رع لأعماله السيئة ، لأنه « عض الأرض ، عض جب »<sup>٤</sup> ، أو يبين للمرض أن كل عضو من أعضاء الجسم تحت حماية أحد الآلهة . وكثيرا ما يتكلم كذلك كأنه هو نفسه الإله : « اخرج أيها السم ، أفيض على الأرض ! حورس يعزم عليك ، إنه يببذك ، إنه يتقل عليك . إنك لن تقوم ، إنك تسيل على الأرض ، إنك ضعيف لاحول لك ، إنك بائس ولا سبيل لك إلى المقاومة ، إنك أعمى لا ترى ، إن رأسك ليتدلى ولن ترفع وجهك . . . بفضل ما يقول حورس الساحر القوي »<sup>٥</sup> . أو قد يقول : « إنك لن تسلم على ، إني أنا أمون . إني أنا أنوريس ، المحارب الطيب . إني أنا العظيم ، رب القوة »<sup>٦</sup> .

وإذا ذكر الساحر في مثل هذه الرقى هذا الإله أو ذلك ، فإن لهذا في الغالب سببه في أساطير الآلهة ؛ فالإله الذي انتصر بنفسه يوما ما على الثعابين ، يدعو أفضل منجدها ، والإلهة التي تعهدت الرضيع بنفسها ، تصبح كذلك أفضل عون للأم من بنى الإنسان . ولما كان من الحكمة الاستفادة مباشرة من هذا المثال السابق ، فقد نشأ نوع من الرقى يعرض علينا حادثا من قصص الآلهة لتطبيقها بعد ذلك فيما بعد .

(١) نفس المراجع صفحة ١٩ وما بعدها .

(٢) نفس المراجع صفحة ١٩ .

(٣) نفس المراجع صفحة ٤٠ وما بعدها .

(٤) متون الأهرام ٢٣١ ؛ لقد أخطأ الكاتب ، كما كان يحدث كثيرا ، بكتابة اسم الملك والمقصود هو جحر الثعبان الذي ظن بأنه عضة في الأرض .

(٥) Metternichst. 3 ff.

(٦) Pap. Mag. Harris. 8.5.

ففي عزيمة تشفى من لدغ العقرب يتعلق الموضوع بالقطعة المقدسة ، أى الإلهة باسطة  
( صفحة ٤١ ) : « أى رع ! هلم إلى ابنتك التى لدغتها عقرب فى طريق منزل !  
إن صراخها ليصعد إلى السماء . . . وقد سرى السم فى أعضائها ، ويجرى فى لحمها ،  
وهى تحوّل فيها نحوه » . ومعنى هذا أنها تحاول أن تلتحق مكان الأكم . على أن رع  
يجيبها : « لا تخافى ، لا تخافى يا ابنتى الجليلة ، هأنذا أقف من ورائك . إنه أنا ، لى  
أطرح السم الذى فى سائر أعضاء هذه القطعة » .

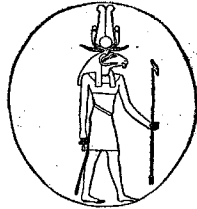
وكان يفضل بطبيعة الحال ذكر الآلهة التى كانت تعتبر بصفة عامة مثالا لهما  
الحياة البشرية جميعا ، وهى أوزيريس وعشيرته . فإن التماسيح لترتد مذعورة  
إن تذكر الإنسان كيف لبثت جثة أوزيريس فيما مضى فى الماء فى حماية الآلهة :  
« أوزيريس فى الماء وبجانبه عين حورس . ومن فوقه يبسط الجعل الكبير  
جناحيه . . . إن من فى الماء يخرج سليما ، ومن يقرب من فى الماء إنما يقرب من  
عين حورس . إلى الوداء يا حيوانات الماء ! . . . لا ترفعوا وجهكم يا حيوانات  
الماء حين يمر بكم أوزيريس . . . أى سكان الماء ، إن رع ليغلق أفواهكم ،  
وسمعت تسد حناجركم ، وتحوت يقطع ألسنتكم ، ورب السحر يعمى أعينكم .  
هؤلاء هم الأرباب الأربعة ، الذين يحمون أوزيريس ، أولئك هم الذين يحمون من  
فى الماء ، وسائر من فى الماء من إنسان وحيوان . اليوم ! » ٢ . هذا . ويساعد ضد  
لدغ العقرب تذاكر الأُم المسكينة . تلك التى اضطرت إلى الاختفاء فى منافع الدلتا  
مع طفلها الصغير . « أنا إيزيس . لقد ولدت حورس بن أوزيريس فى مستنقعات  
الدلتا فابتهج لذلك كثيرا . . . لقد أخفيت به وخبأته خوفا . . . غير أنى وجدته  
يوما . وهو حورس الذهبى الجميل ، ذلك الطفل اليتيم ، وقد بلل الأرض بماء  
عينيه ورطوبة شفتيه ، وكان جسمه منهوكا ، وقلبه يفيض بسرعة . . . فصرت  
ونحت : « إن أبى فى العالم السفلى وأمى فى مملكة الموتى ، وأخى الأكبر يرقد فى التابوت

Metternichst, 9. ff. (١)

Metternichst. 38 ff. (٢)

... إلى لأود أن أدعو أيا من الناس لعل قلوبهم تتجه إلى . . . فدعوت سكان  
المستنقعات فوجهوا قلوبهم سريعا إلى : وترك الناس بيوتهم . وهرعوا على  
ندائي . وقد ناحوا على فداحة مصيبي . . . ولكن أحدا منهم لم يستطع مساعدتي .  
« وجاءتني امرأة كانت أكيس نساء مدينتها . . . وقالت لي : إن ست ما كان  
يستطيع ارتكاب ذلك . « لأن ست لا يجيء هذه المقاطعة . إنه لا يجوب خمس . . .  
لعل عقربا لدغته . . . عند ذلك وضعت إيزيس أنفها على أنفه وتبينت رائحته . . .  
وأدركت ألم الوريث الإلهي . وعرفت أنه مسموم . فأخذته بين ذراعيها بسرعة . . .  
« أي رع لقد لدغ حورس ، لقد لدغ ابنك ، لقد لدغ حورس وارث ملكك .  
. . . وجاءت نفثيس باكية تردد المناقع نواحها . وصاحت سلكت : « ماذا حدث  
ماذا حدث ؟ ماذا حدث لحورس بن إيزيس ؟ ادع السماء فتقف حاشية رع ،  
ولا تعدو سفينة الشمس حورس . »

عند ذلك أرسلت إيزيس دعاءها إلى السماء . وصراخها إلى زورق الأبدية .  
فوقفت الشمس ثابتة لم تتحرك من مكانها . وجاء تحوت مزودا بسحره وبالأمر  
العظيم لرع ، وقال : « ماذا حدث ؟ ماذا حدث يا إيزيس ، أيتها الإلهة الحليمة ذات  
القم الحصيف . أجل إنه لم يحدث للابن حورس أي سوء ؟ . . . لقد أتيت من  
سفينة الشمس من مكانها الذي كانت فيه بالأمس ، وقد انتشر الظلام واختفى الضوء  
حتى يشق حورس من أجل أمه ، وكذلك كل عليل  
( آخر ) . . . حارس حورس هو ذلك الذي في  
شمسه ، والذي يضيء القطرين بعينه المتألفتين -  
وهو كذلك حارس العليل . حارس حورس هو  
الشيخ الذي في السماء السفلى ، الذي يصنر أوامره  
إلى كل ما يوجد وما لا يوجد - وهو كذلك حارس  
كل عليل . . . إن سفينة الشمس تقف ثابتة ،  
والشمس لا تغادر مكان الأمس حتى يشق حورس



١٢٢ - « التي في شمس »  
( من معبد إسنا ) .

من أجل أمه ، وحتى يشفى كذلك العليل من أجل أمه <sup>١</sup> .  
وعانى حورس مرة أخرى من حريق لعله التهم الكوخ الذى كان يرقد . منه  
فقيل إذ ذاك لإيزيس : « إن ابنتك يحترق فى الريف » . - هل هناك ماء ؟ - « ليس  
هناك ماء » - « إن الماء فى فى ، وإن نيلا ليين ساقى ، لقد جئت لأطفى الحريق » .  
ثم كان أن رؤى فى عصر تال أن هذه الرقية الساذجة ضد الحروق يجب أن تصاغ  
على نحو أرق ، ولهذا أصبحت إيزيس تقول : « إن الماء لى فى ، وإن شفى  
لذواتنا فيض <sup>٢</sup> » .

وفى مرة أخرى كان حورس يحرس ماشيته فى الحقل ولم تشأ أن توغل  
كثيرا حيث الحيوانات المفترسة بالقرب من ذلك المكان . لهذا صنعت له إيزيس  
ونفتيس بعض التمام : « كُتِّمَت أفواه السباع والضباع وسائر الحيوان الطويل  
الذليل ، مما يتغذى باللحم ، ويشرب الدم ، لطردها وقطع آذانها ، ومنحها الظلام  
وحرمانها الضوء ، ومنحها العشا وحرمانها النظر ، فى كل منطقة فى هذه الليلة .  
قف أيها الذئب الشرير ... اذهب إلى الجنوب ، إلى الشمال ، إلى الغرب ، إلى  
الشرق ؛ إن الحقل بأمله حقلك ، ولن يردك عنه أحد . لاتوجه وجهك نحوى  
وول وجهك شطر حيوانات الصحراء . لاتول وجهك إلى طريق ، بل ول  
وجهك شطر طريق آخر <sup>٣</sup> . وفى هذه العزيمة الأخيرة لايتالك المرء إلا أن يظن  
أن الساحر نفسه هو الذى ابتدع لحورس حياة الرعاة تلك ، التى لم ترد عنها أدنى  
إشارة فى أى نص آخر ؛ لقد كان حورس قبل غيره الطفل الإلهى ، ولذلك أمكن  
أن يسند إليه كل ما كان واجبا أن يفعله الصبية فى مصر . وعدا هذا يتضح كذلك  
أن صحة الأساطير التى تشير إليها هذه الرق لاتنزه دائما عن الشك .

وبينا تبدو فى هذا كله نجدة الآلهة كأنها هدية يمنحونها إذا طلبها الساحر  
بالعبارات الصحيحة ، هناك ما يدل على مغالاة غريبة فى اتباع وسائل البشر العادية ،

(١) نفس المرجع صفحة ١٠٦٨ وما بعدها .

(٢) Schaefer, Aegypt. Zeitschr. 36, 129.

(٣) Langè, Pap. Mag. Harris. S. 86 f. انظر

إذ يهدّد الساحر أهل السماء حتى ينفذوا إرادته . وتوجد مثل هذه التهديدات في الأدب الجنائزى القديم ؛ فقد جاء في أحد الأوراد التي حفظت في متون الأهرام : « أنتم يا آلهة الأفق ! بحق ما تودون أن يحيا ( سيدكم ) أنوم ، وتضمخوا أنفسكم بالزيت ، وتابسوا الملابس ، وتتلقوا أطعمتكم ، خذوا بيده وأنزلوه في حقل الأظعمة »<sup>١</sup> . وأقوى من هذا ما جاء في موضع آخر من نفس هذه المتون : « فإذا لم تسيروا بالزورق إليه . . . فستزع لم الشعر التي على رءوسكم كما تنزع براعم الأزهار على شواطئ البحار »<sup>٢</sup> . وإذا لم تقودوا الميت مع أسرته تتعطل عبادة الآلهة ؛ « ومن ثم تسرق قطع اللحم الممتازة من على مذابح الآلهة ، ولن يقدم الخبز ، ولن يصنع خبز أبيض » ، ولن تقدم « أية قطعة من اللحم من وضم الخزار » إلى الإله<sup>٣</sup> . بل إن الساحر ليقلب العالم أجمع ؛ لأنه إن لم « يخرج ميررا ، فلن يرقى رع إلى السماء ، وإنما يرقى النيل إلى السماء ، ويعيش على الحق ، ويهبط رع إلى الماء ويعيش على الأسماك »<sup>٤</sup> . وإذا لم يمنح الميت مكانته السامية فعلى السماء أن تبرق وتمطر ، وأن يضرّب ذراعا شو ، اللذان يحملان السماء<sup>٥</sup> . على أنه لم يتذكر كيف تنفذ هذه التهديدات . ويعتمد الساحر في حالات أخرى على أنه يعرف اسم الإله ، اسمه الذي تركز عليه قوته . لهذا جاء فيما سبق من تهديد أصحاب لم الشعر أنه سيذكر أسماءهم للناس . أليس لأسماء الآلهة قوة رهيبة ؟ إذا « نطق » إنسان باسم منها « على شاطئ نهر ، امحى النهر ( أى جف ) ، وإذا نطق به على الأرض تظاير الشرر » ؛ وإذا هجم تمساح على ساحر يعرف هذا الاسم فإنه بفضل « يجعل الأرض تغور في أمواج الماء ، ويصبح الجنوب شمالا ، وتدور الأرض »<sup>٦</sup> . ولكن من أين عرف السحرة هذا الاسم المكنون الذي يعتمدون على معرفته ؟

(١) متون الأهرام ٨٧٩ - ٨٨٠ .

(٢) متون الأهرام ١٢٢٣ .

(٣) Grapow, Ae. Z. 49, 48 f. انظر أيضا ؛ Lacau, Textes religieux, No. 2.

(٤) Totb. ed. Naville, 65, 12

(٥) متون الأهرام الفصل ٢٥٥ .

(٦) Lange, Pap. Mag. Harris, S. 58.

هذا السؤال لا بد أن يكون المصريون قد عرضوا له كثيرا . وذلك لأن عزيمة من الدولة الحديثة تكفلت بالإجابة عليه في إفاضة ، فهي تقص علينا كيف أفشى مرة اسم رع المكنون . ذلك أن رع لما كان يحكم « الآلهة والبشر أجمعين » على الأرض ، كانت إيزيس أمهر النساء جميعا ، كانت أمهر من البشر والآلهة والمبجلين ، « وما كان في السماء ولا في الأرض شيء لا تعرفه » . غير أنها لم تكن تعرف الاسم الحقيقي لرع ذى الأسماء الكثيرة . فعولت على معرفته . وقد غدا الإله شيخا عجوزا ، يرتجف فده ، « ويتساقط رواله على الأرض ، فعجنت إيزيس بيدها منه ومن التراب الذى لصق به دودة عظيمة : . . وضعتها في الطريق الذى يسلكه الإله العظيم إذا أراد زيارة قطرية » . وحيثما كان رع « يترى كعادته كل يوم » ، تبته الآلهة لدغته الدودة .

« وبلغ صوت جلالته السماء . وقالت آلهتها : ماذا حدث ؟ وقالت الآلهة ( الأخرى ) : ماذا جرى ؟ ولكنه كان عاجزا عن أن يجيب وكانت شفاته ترتعشان وسائر أعضائه ترتعد ، وتملك السم جسده . كما يتملك الثيل الأرض » .

ولما هدا قليلا نادى حاشيته : « تعالوا يا من نشأتم من جسدى ، أنتم أيها الآلهة يامن خرجتم منى ، تعالوا أخبركم بما حدث لى . لقد أصابنى ما يشبه المرض ؛ إنى لأشعر به ولكن عيني لا تريا نه . . . إنى لم أذق ألما يماثله أبدا . . . إنى أمير ، وابن أمير ، إنى البذرة الإلهية ، التى غدت لها . إنى أنا العظيم بن العظيم . لقد ابتكر أبى وأبى اسمى . إنى أنا ذو الأسماء الكثيرة ، وصاحب الأشكال العديدة . شكلى فى كل إله . إنى أدعى أتوم وحورس حكن . لقد أخبرنى أبى وأبى باسمى ؛ أنه كامن فى جسدى منذ مولدى ، حتى لا يكون لأحد ، ممن يريدون عمل السحر ضدى ، قوة سحرية . ولما خرجت لرؤية ما خلقت وللترىض فى القطرين اللذين خلقتهما ، أصابنى شيء لا أعرفه . إنه ليس بنار ، وما هو بماء ، ولكن قلبى يتقد ، وجسدى يرتعد ، وسائر أعضائى فى برودة الثلج »

(١) انظر كذلك ما لاحظ عن اسم آمون . (صفحة ١٥٢) وما ذكره عن خلق أسماء الأشياء بمجد خلق العالم (صفحة ٧٧) .

على هذا النحو جرت شكايه رع : وقد استدعى أبناء الآلهة « أولى الحديث الرائع ، والفم العارف » ، فجاءوا جميعا مكرويين ، وكذلك جاءت إيزيس ببراعتها ، وهي ذات الفم الممتلئ بسم الحياة ، والتي يطرد مقالها الداء . والتي يحيي حديثها من لانفس له « . قالت : « ما الخبر ؟ ما الخبر أيها الأب الإلهي ؟ انظر إن كانت قد آذنتك دودة ، أو رفع أحد مخلوقاتك رأسه ضدك . فإني أجعله يهوى إلى الأرض بفضل سحرى البارع » .

وفتح الإله الممجد فمه : « عندما كنت في الطريق أترى في مصر والصحراء . ود قلبى رؤيه ما خلقت ، فجرحتنى دودة لم أرها . إنه ليس بنار . وما هو بماء . ومع هذا فإني أشد دودة من الماء ، وأشد حرازة من النار . إن كل أعضاء كتيض عرقا » .

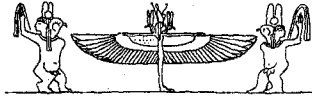
عند ذاك قالت إيزيس لرع : « أخبرنى باسمك يا أبى المقدس . إن الرجل الذى يذكر اسمه يظل حيا » . فأجاب الإله الكهل : « إني أنا الذى فطر السماء والأرض . وعقد الجبال وأنشأ ما عليها . إني أنا الذى صنع الماء . وخلق لبحج السماء . . . إني أنا الذى صنع السماء ، وجعل أققها مكانا خفيا ، وأقمت فيه أرواح الآلهة . إني أنا من إذا فتح عينيه ضاعت الدنيا . وإن أغمضهما ساد الظلام . ومن يجرى ماء النيل بأمره — ولكن الآلهة لاتعرف اسمه . إني أنا الذى قدر الساعات وخلق الأيام ، إني أنا الذى يفتتح العام ويخلق الفيضان . أنا خبرى فى الصباح وأتوم فى المساء » .

ومع ذلك لم يتلاش السم ، فقالت إيزيس : « إن اسمك ليس فيما حدثتني به ، أخبرني به ، وبذلك يخرج السم . إن الرجل الذى يذكر اسمه يظل حيا » . وطفق السم يتقد أشد من النار حتى لم يستطع الإله أن يصمد طويلا . فقال لإيزيس : « إنما ينبغي أن يعضى اسمى من جوفى إلى جوفك » . ثم أردف قائلا : ينبغي أن تخفيه ، ولكن فى طوعك إخبار ابنك حورس به ليكون حجابا قويا ضد كل سم . وإن القارئ ليرى أن الساحر يحتفظ لنفسه هنا كذلك بالاسم المكنون ولا يخبرنا



به . على أن الأمر ربما جرى على خلاف ذلك في ورد قديم جدا ، يتضمن للميت استخدام معراج السماء (صفحة ٢٤٨) : « تعال أيها المعراج (موكت ) ، أقبل بابوكت . تعال باسمك ، الذى تذكره الآلهة » ١ ؛ وربما كان المقصود هنا أن الآلهة لاتسمى المعراج موكت كما يفعل البشر ، وإنما تسميه بوكت .

وكذلك فان أغلب الكلمات الغربية ، التى تزخر بها رقى العصر المتأخر بنوع خاص كانت حقا تعتبر أسماء خفية للإله . وفى مواضع أخرى كان هذا الهذر



١٣٣ - أشكال شمسية لتصويرها على شريط من الكتان ( كتاب الموق ، طبع لبيوس ١٦٤ ) .

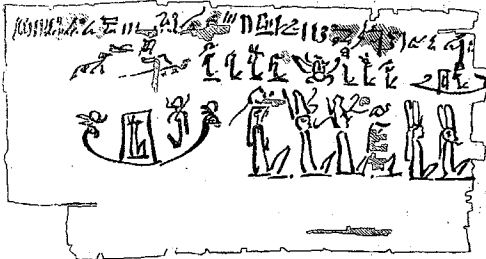
يجرى على أنه لغة أجنبية ، وإذن فالتعويذة الواقية من الأسود « إدر إدرسن إدرجه إدرسن متحدا مرم إدرسن متحدا إى إدرسن » الخ ، كانت تعتبر من المحقق تعويذة فينيقية ، وذلك لأنها تتضمن بعد ذلك اسم الإله بعل ٢ .

ولكى يكون للرقى أثرها الصحيح كان لابد من مراعاة أشياء كثيرة عند تلاوتها . فكان على من شاء لنفسه أن يتلو وردا يجلب له الحظ ، أن « يتطهر » قبل كل شيء تسعة أيام . ثم كان عليه بعد ذلك أن يتضمخ بنوعين من الزيوت ، وأن يتبخر ، بحيث تكون المبخر من وراء الأذنين ، وأن يطهر الفم بالنظرون ، وأن يغتسل بماء الفيضان ، وأن يتخذ نعلين من الجلد الأبيض ، ونقبين جديدين ، وكان عليه آخر الأمر أن يرسم على لسانه علامة الحلق بمداد أخضر . ثم كان عليه بعد ذلك — إذا كنت أحسن الفهم — أن يدخل فى دائرة لايجوز له أن يتركها طوال أداء الطقوس السحرى . ولتلاوة ورد آخر تلاوة مجدبة ، كان يجب أن ترسم على الأرض صورة كاملة تمثل : امرأة إلهة « على وسطها » ثعبان متصب على ذيله ، وسماء وأشياء أخرى كثيرة ٣ ؛ أو ترسم على اليد عين تضم صورة الإله أنوريس ، ولهذا

(١) متون الأهرام ٩٩٥ .

(٢) Pap. Mag. Harris XII. ؛ لما كانت اللغة المصرية تنقصها الحروف المتحركة ، لهذا فلا سبيل إلى أن نتبين كيف تنطق هذه العبارات السحرية .

(٣) كلا هذين المثلين من Destruction des hommes سطر ٧٤ ٨٠٥٠ .



١٢٤ - بطاقة عليها رقية وأشكال سحرية ( ليدن ) .

علاقته بالتأكيد بما جاء في الورد من أن الساحر يتخذ شخصية الإله « شو ، صورة رع التي من داخل عين أبيه »<sup>١</sup> . وفي رقية أخرى ، كانت تتلى في الماء ضد الحيوانات الشريرة ، ووصف إله الشمس بأنه « بيضة الماء » ، ذلك لأنه برز مرة في بيضة وسط الأمواج ( صفحة ٧٢ ) ، ولهذا كان يجب على « الرجل الواقف عند مقدم السفينة أن يقبض على بيضة من الطين في يده » ، لأنه بذلك « يعتقد سكان الماء » أنهم يرون الإله نفسه ، فإذا برزوا فوق سطح الماء ارتدوا فيه مذعورين<sup>٢</sup> .

وكان من الخبير فضلا عن هذا ألا تتلى الأوراد مرة واحدة ، وإنما أربع مرات<sup>٣</sup> على نحو ما جرت به العادة مع كثير من الدعوات منذ القدم . فإذا ألحقت بها كذلك كلمة « اليوم ! » ، كان ذلك علامة على أنها يجب أن تؤتى أثرا سريعا . وكانت تضاف إليها في بعض الأحيان هذه العبارة : « الوقاء من وزاء ، الوقاء المقبل ، الوقاء ! »<sup>٤</sup> .

ومما لا يحتاج إلى إيضاح ، أنه كان ينبغي أن تتلى الرقية في صوت مهيب ، ومما يدل على ذلك أنها عادة منظومة شعرا . وليس من شك كذلك في أنها كانت ترتل

(١) Lange, Pap. Mag. Harris, S. 58.

(٢) نفس المصدر صفحة ٥٤ .

(٣) Z. f. M. u. K. S. 52; Lange, Pap. Mag. Harris S. 60. f.

(٤) Z. f. M. u. K. S. 33, 35.

إنشادا ، ذلك أن مخطوطا يحتوى على رقى الدولة الحديثة قد وصفها بأنها « رقى جميل إنشادها »<sup>١</sup> .

وتتعدد الأغراض التي يستخدم فيها السحر على نحو ما تتعدد ضروريات الحياة . فهو يصرف العاصفة والزوبعة<sup>٢</sup> ، ويحمى في الصحراء ضد السباع ، وفي الماء ضد التماسيح ، وفي كل مكان ضد أشد أخطار مصر لزعاجا ، وهي الثعابين والعقارب ، أجل لقد زودت أهرامات الملوك القدامى بعدد وافر من الرقى ضد هذه الهوام . فضلا عن ذلك فإنه يساعد على الولادة<sup>٣</sup> ، ويتلى عند إعداد الأدوية ، وبه تحارب جميع السموم وجميع الجروح ، وجميع الأمراض ، كما يحارب به كذلك الذين يجلبون هذه المكارِه وهم الموتى . وذلك لأنه من عقائد الشعب المصرى القديمة<sup>٤</sup> كما رأينا من قبل ( صفحة ٢٧٠ ) أن الموتى الأشرار يتركون مقابرهم ويتربصون بالبشر ، ولهذا ينبغي على الآلهة أن « تحبس ظل الميت والموتى الذين يسيئون إلينا »<sup>٥</sup> . فقد ترى الأم الجزعة طيف امرأة ذات وجه مدمر تنسل إلى البيت في الخسق تريد القيام من رضيعها مقام الحارس ، عند ذلك تقول لها : « هل جئت تقبلين هذا الطفل ؟ لست آذن لك أن تقبليه . هل جئت تهديين من روح لهذا الطفل ؟ لست آذن لك أن تهديه . هل جئت تؤذينه ؟ لست آذن لك أن تؤذيه . هل جئت تنتزعينه ؟ لست آذن لك أن تنتزعيه منى . عند ذلك « يضع » على الطيف « ما جاء من أجله »<sup>٦</sup> . ولهذا أيضا تتلو الأم في الصباح والمساء على التيممة التي تعلق لطفلها الصغير : « أى رع إنك تشرق ، إنك تشرق . إذا رأيت هذا الميت يذهب إلى فلان ، والميتة ، زوجة . . . فإنه لا ينبغي لها أن تأخذ طفلى بين ذراعيها . إن رع ،

Larige, Pap. Mag. Harris S. 12. (١)

Budge, Nesiamsu 121 ff. (٢)

(٣) ويساعد كذلك البقرة عند ولادتها رعاة خيبرون بالسحر ( مقبرة بتوزيرس ، صفحة ٤٦ )

انظر أيضا صفحة ٣٤٢ .

(٤) تتجلى هذه العقيدة في متون الأهرام ، انظر ( متون الأهرام ٢٩٠ - ٢٩٣ ) .

Totb. ed. Nav. 92, 10. (٥)

Z. f. M. u. K. S. 12 (٦)

سيدي ، هو الذى ينجينى . إني لأسلم فيك ، إني لأسلم حملى إلى اللص واللصة من مملكة الموتى » ١ .

ويتربص الميت والميتة كذلك بالشبان اليافعين ، وكذلك ترى الكتابات الطيبة فيها أصلا للأمراض ٢ .

وهناك فضلا عن ذلك كتب للسحر ، تمنح « القوة والبأس » ضد الأعداء ، و « تنشر الفزع » ؛ وقد جاء فيها أنه إذا صنعت تماثيل الآلهة والبشر من الشمع ثم دسست في منزل الخصم فإنها « تشلّ فيه يد الإنسان » ٣ . ونحن إنما ندين بهذه البيانات قبل كل شيء بوثائق قضية حكومية ، يدل ما جاء فيها من تقرير رسمى على أن هذه المسائل كانت تؤخذ بجِدّ تام . ولحماية الملك ( هذا إن كان لنا أن نتق في بيانات أحد الكتب المتأخرة ) كان يودى من أجله في كل صباح ضرب من السحر يحميه من أعدائه . ويتضح لنا ذلك أيضا مما كشف من أشياء غريبة تبين لنا كيف كان المصريون يستعملون كذلك بعض السحر فيما كان يهدد الملك والحكومة من أخطار . فن متون الأهرام نفسها نسمع عن تهشم القدور ٤ ، أما كيف كان يودى هذا الضرب من السحر فإنه يدلّ عليه تلّ من كسر الفخار ٥ ، عثر عليه في طيبة ومحفوظ الآن في متحف برلين . وهو يرجع على ما يظنّ إلى العصر الذى حكمت فيه مصر الأسرة الحادية عشرة ، حتى تفضى أمنمحات الأول على حكمها ( حوالى ٢١٠٠ ق . م ) . وما من شك في أن هذا السحر قد عمل لأحد هؤلاء الملوك . فقد كتب على عدد كبير من القدور والصحاف قائمة بأسماء كل من يخشى خطره على الملك ، مزودة ببيانات دقيقة عن كل فرد منهم ، ومرتبّة بعناية وفق بلادهم ، وذلك لكى يسهل على « الآلهة والأرواح » ممن عليهم تأدية السحر الاهتداء إليهم . وفي بداية القائمة أمراء البلاد المجاورة الجنوبية مثل : « حاكم أوباتس ، باكووى ، الملقب زاي ، الذى ولدته

Z. f. M. u. K. S. 43 ff. (١)

Ebers I, 4 كما جاء مثلا في 4

Pap. Lee I, 4; Pap. Rollin I. (٣)

(٤) متون الأهرام ٢٤٩ .

Sethe, Achtungstexte (Abh. Berl. Akademie 1926). (٥)

إيحاسى ، والذى أبوه أونكات . مع سائر خالصاته الذين بجواره . ولكى لا يترك أى شئٍ شريرٍ أضيف إلى هذا « وسائر زنوج كوش ، وميجر ، وشات » ، وزنوج بلاد أخرى كثيرة ، « أقوياؤهم وعداؤهم ، وحلفاؤهم وشركاؤهم ، الذين سيصبحون أعداء ، والذين سيتآمرون ، والذين سيقاتلون ، والذين يقولون إنهم سوف يقاتلون ، والذين يقولون إنهم سيصبحون أعداء في هذه البلاد جميعا » . وعلى هذا النحو كذلك سردت سائر أسماء الأعداء من أمراء فلسطين ، تليها أسماء الليبيين فى فقرة موجزة . تليها أسماء أعداء طرّا ، وهم المصريون أنفسهم ، رجلا ونساء ، وكبار « المستشارين ، الذين سوف يصبحون أعداء ، والذين سيتآمرون » ... الخ فى هذه البلاد قاطبة . وقد ذكر ثمانية منهم بأسمائهم ، ونعت أربعة من هؤلاء بأنهم مربوبون لفتيات من الطبقة العليا ، وإن الإنسان يميل إلى الاعتقاد بأنهم كانوا ينتمون إلى دار النساء ، وأنهم اشتبكوا فى مؤامرات الحرّيم . وقد جاء صراحة أمام أسماء هؤلاء المصريين الثمانية أنهم « يجب أن يموتوا » ، على حين اكتفى فى حالة الأعداء الأجانب بإضافة علامة تعنى أنهم من عداد الموتى . ولقد كان الساحر يعتقد أن هذا المصير سوف يلحق بهم إن هو هشم القدر الذى عليها أسماءؤهم ، وتدلّ كسر الفخار على أنه قد قام بدقة بهذا الأمر .

وفضلا عن ذلك ، فقد حاول بهذه المناسبة أن يزيل شرا آخر ، فقد أضاف إلى قائمة الأعداء : « كل العبارات السيئة ، وسائر الكلام السيء ، وكل سباب سيء وسائر الأفكار السيئة ، وسائر الدسائس السيئة ، وسائر المنازعات السيئة ، وسائر المشاجرات السيئة ، وسائر التدابير السيئة ، وسائر الأشياء السيئة ، وسائر الأحلام السيئة ، وكل نوم سيء » . وهكذا إذا المحى هذا كله ، المحى كذلك كل ما يمكن أن يرهق الملك فى اليقظة أو النوم .

ونعلم عدا ذلك أيضا أن هناك فنا آخر ، كان يقى الملك ، ويختم على أفواه الأعداء ، الذين يتقوّلون السوء ضد الملك ، فقد كان يضع تمثال صغير من الطين أو الشمع تلحق به لوحة من البردى عليها اسم المجدف بحق الملك واسم أبويه . وكان يضع بهذا التمثال أشياء شتى ، فكان يؤخذ به إلى حيث تنفذ الأحكام ، ويختم على

كل أعضائه كما ختم تحوت على فم المسىء . أو كما ختم حورس على فم المذنب<sup>١</sup> . وترجع هذه الطريقة إلى زمن قديم ، على أنه يتضح كذلك من ورودها في هذه النصوص المتأخرة ، أنها كانت في العهد المتأخر موضع تقدير كبير . وللاوصاية بها ذكر عنها أنها « مجرية مرات كثيرة » . ولم يقتصر الأمر على وجوب حماية الملوك أنفسهم بالسحر ، إذ لم يكن للآلهة غنى عنه كذلك ليحموا أنفسهم من خصومهم . وقد كان من المعروف أن تحوت قرأ رقية بقرة السماء على رع لحمايته<sup>٢</sup> ؛ وكان في طوع البشر كذلك مساعدة إله الشمس بتلاوة الأوراد الخاصة بالانتصار على التين أبوفس ، وذلك في أوقات معينة<sup>٣</sup> . وقد وجدت هذه التصورات سبيلها إلى عبادة الآلهة ، فكانت تماثيل الآلهة في المعابد « تعوذ بالتمام » ( صفحة ٢٠٢ ) ، و « السحر والكلام البارع ، وليطرد من أجسادها كل سوء »<sup>٤</sup> . وقد تكلمنا بما فيه الكفاية في الفصل السابق عما كان ينبغي أن يوفره السحر للموتى من حماية تامة ؛ فالتحامات ، والسفن ، والمواقد ، والشون ، وعصى العاج ، وتماثيل الأوشاشي ، وجعلان القلوب ، وألواح الرأس - كل هذا وكثير غيره إنما ينتمي للسحر أو يقاربه أتم قرابة . ولقد رأينا فيما مضى أن الأدب الجنائزى نفسه قد أخذ يزداد طابعه السحري مع الزمن ، وأصبحت أوراده في الدولة الحديثة تماما بمثابة الرقى تسعد تلاوتها الميت أو الحي .

ويتفق هذا أيضا مع الكتابات الطيبة ، على أنه في الواقع لا يكاد يكون للرقى في المؤلفات القديمة الكبيرة في الطب أثر يذكر ، ولكنها أخذت في الدولة الحديثة تحل شيئا فشيئا محل « الوصفات » الطيبة .

ويقابل التقدير العام الذي حظى به السحر ، أن القيام به لم يكن من شأن الأفراد ، وإنما كان له ممثلوه الأخصاء ؛ وهؤلاء هم الكهنة « الخرحب » ، « كتيبة كتاب

Schott, Ae. Z. 65, 35 ff. (١)

Destruction des hommes 78. (٢)

Budge, Nesiamsu p. 146. (٣)

(٤) نصب رمسيس الرابع (Mar. Abydos II 54-55, 25 f.)

الإله» ؛ وكان يشغل أعلى وظائفهم في الدولة القديمة أبناء الملك بالذات ؛ وتحدثنا مجموعة طريفة من القصص من الدولة الوسطى كيف كانوا يستخدمون فهم كذلك لأغراض دنيوية . فقد اصطنع أحدهم من الشمع تمثالا صغيرا لتمساح التقم في الماء زانيا ؛ وشق آخر بحيرة طاويا أحد شقيها على الآخر ليستخرج لإحدى السيدات حلية سقطت منها . وقد ساهم كذلك العهد القديم بلفظ محرف هو « خرطوم » باعتبارهم مفسرين للأحلام ورفاة في بلاط مصر<sup>١</sup> . وكانت رعاية السحر كذلك من واجبات « دار الحياة »<sup>٢</sup> ، وهي مدرسة العلم في مصر ، كما كانت كتب السحر تؤلف على منهاج منظم ، وكان لها مكانها كذلك في مكتبات الملوك<sup>٣</sup> ؛ إذ كانت في حقيقة الأمر تنتمي إلى الأدب كالكتابات الأدبية أو كتب الحكمة . وكانت جميعها تدعى بطبيعة الحال بأنها قديمة جدا ، فقد أُلّف أحدها إله الأرض<sup>٤</sup> ، وألف آخر إله الحكمة<sup>٥</sup> ؛ ووجد كاهن من العهد الصاوي كتابا ثالثا في قبر ثور منيفس<sup>٦</sup> ؛ وجاء أن كتبا أخرى من نفس هذا العصر وجدت في قدر بجانب إحدى الموميات ، وكان من بينها كتاب ابتدعه أمحنوتب بن حابو ، الوزير الحكيم لأمنحوتب الثالث ، لاستعماله الخاص<sup>٧</sup> .

على أنه في حقيقة الأمر من المشكوك فيه صحة أغلب العزائم السحرية ، فقد كانت بضاعة نافقة ، تدفع من أجلها الأموال العظيمة ، وتقضى قدر المستطاع . وكثيرا ماتتألف ببساطة من أورداد أو أغاني محبوبة قديمة<sup>٨</sup> . فمن أغنية قديمة جدا للإلهة نوت

(١) من المحقق أن مؤلف كتاب دانيال ، الذي جاء في عصر متأخر ، والذي أطلق هذه الكلمة على السحرة البابليين ، قد اقتبسها من قصته بنتاتويش .

(٢) Pap. Mag. Harris 6, 10.

(٣) Pap. Amherst I, 3.

(٤) Destruction de shommes 58.

(٥) Griffith, Stories of the high priests p. 20.

(٦) Metternichst. 87.

(٧) Pleyte, Chap. supplém., ch. 167-174, pl. 126-167.

(٨) وذلك على نحو ما يتعمد سحرتنا استخدام آيات من الكتاب المقدس والسحرة العرب آيات

من القرآن .

اختير بيتان محبوبان ، استبدل فيهما باسم نوت إلهة الولادة مسخنت ، ثم أضيف إليهما بضع عبارات أخرى ، وبهذا تمت الرقية الخاصة بتيسير الولادة <sup>١</sup> . وأضيف إلى قصة إثناء البشر التي ذكرناها من قبل ( صفحة ٧٥ ) بضعة أحاديث للآلهة عن الثعابين ، وبهذا أصبح هذا الكتاب رقية عجيبة ضد هذه الهوام ، وكان جديرا بأن ينقش بهذه الصيغة في إحدى المقابر الملكية <sup>٢</sup> . وفي بعض الأحيان كانت تستخدم رقية لاشك في قدمها لغرض جديد إذا اقتضى الأمر . فقد كانت هناك رقية تتحدث عن حمل إيزيس ، وعن مولد حورس ، لأن الغرض منها إنما كان مساعدة الأمهات ؛ على أن رجلا من الدولة الوسطى احتاج إلى رقى للموتى فاستخدمها ببساطة رقية « للتحوّل إلى صقر » ، وذلك لأن حورس سمي فيها بالصقر ، على نحو ما جرت به العادة <sup>٣</sup> . كذلك ابتدع عدد كبير من الرقى في العهد المتأخر ؛ بل لقد وضع كثير منها في الدولة الحديثة نفسها ، ويتجلى هذا بوضوح في لغته وتصوراته الدينية الحديثة . ويبدو أن الدولة الحديثة بصيغة عامة هي العهد الذي ازدهر فيه هذا العلم الحوشي .

ويتجلى كذلك حرص السحرة على الاستفادة فيما كانوا يشيدون به من نتائج لما اصطنعوا من ضروب السحر . وقد مردنا من قبل بضعة أمثلة لهذه الإشادة عند الكلام عن كتب السحر في الأدب الجنائزى ( صفحة ٢٦٨ ) ؛ وإليك من كتاب متأخر مثل يشيد بما للرقية من فوائد جمة . فمن كان يملك رقية أبوفس فإنه لم يكن ليذب هذا الثنين عن سفينة الشمس ، ويشتت السحاب ، ويطرد العواصف فحسب ، وإنما كان « يكسب منها كذلك فوائد على سطح الأرض . وفوائد في مملكة الموتى » ، وكانت تمنحه « القدرة على القيام بعمل رئيسه » ، وأخيرا « تخلصه حقا من كل سوء » . وكان الساحر يستطيع أن يعد عملاءه بهذا كله بضمير مطمئن ، لأنه « شاهد هذا كله بنفسه » <sup>٤</sup> .

Z. f. M. u. K. S. 26. (١)

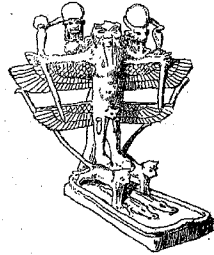
Destruction des hommes, 56 ff. (٢)

Lacau, Textes religieux in Recueil 27,56-58. (٣)

Budge, Nesiamsu p. 122. (٤)



وكان مما اختص السحر به في العصر المتأخر صناعة تماثيل وشواهد صغيرة ، كانت تقام في البيوت أو تعلق في الرقاب حماية من مختلف أنواع الحيوانات الشريرة . وكانت لبعض الكائنات المقدسة شهرة بأنها تساعد ضد هذا الخطر بنوع خاص - فهناك مثلا الإله القديم شوبن رع ، الذي يحمل السماء ، والذي كان يسمى في أبيدوس أنوريس ، لقد أصبح المصريون يتصوّرونه في هيئة « المحارب الجميل » ١ ، والمنقذ ( شد ) ، ويتمثلونه أميرا شابا يقتل وهو في مركبته الأسود ٢ . وقد أخذ هذا الدور نفسه النصف إله بس ، الغريب ( صفحة ١٦٦ ) ، والطفل المشوّه الذي تسميه « باتيكا » ، ثم قبل كل شيء الطفل حورس نفسه ، الذي لا يستطيع أى حيوان شريد أن يسهه بأى ضرر . وكثيرا ما كانت تمزج عدة آلهة معا لتكون حمايتها أقوى ٣ ؛ فكان حورس الصغير مثلا يعطى ، أس بس الحيوانية ، أو كان يرثى من خنوم ورع ومين وحورس ، أو من خبرى وخنوم وتخوت ومين وأنوبيس وأوزيريس وموت وباستت شكل مركب ، يبدو مخيفا حقا ، غير أنه كان يعتبر لهذا السبب أقدر على فعل العجائب . وفي إحدى الحالات سمى أحد هذه الأشكال المركبة باسم آمون رع ، مع أنه لا يكاد يكون فيه من آمون شيء يذكر ، ويظن أن اللاهوت في الدولة الحديثة ، وقد خلط بين الآلهة ، إنما كان يلهو بهذه التسمية .



وتقترن هذه الأشكال ، التي هي من عمل الدولة الحديثة كما ذكرنا ، بالتمائم العديدة التي حاول الإنسان وقاية نفسه بها منذ زمن قديم .

١٢٥ - شكل مركب من إيزيس وحورس وباستت وغيرهم يقهرون الأسود والتمايح والفايين ( برلين ١٨٦٧ ) .

وكان يعد حماية جيدة ذلك الحبل الصغير ، عقد به عدد معلوم من العقد ، فثلا « إحداهما

(١) Pap. Mag. Harris 8,5.

(٢) Berlin, Ausfuehrl. Verz. S. 205.

(٣) عمال انظر نفس المرجع ص ٢٩٩ .

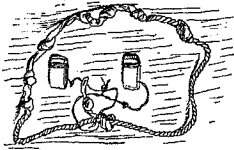


١٢٦ - نصب صغير للوفاية من  
الحيوانات الشريرة: حورس برأس  
بس ، وعلى جانبيه أحد آلهة الشمس  
وزهرة نفرتم ( برلين ٤٤٣٤ ) .

ولكننا لا نكاد نعرف عما كان ينسب لكل من هذه التأمم من كفاية ، ولا عن  
الأساس التي كانت تعتمد عليه قدرتها على التأثير ، ولا يكاد المصريون أنفسهم  
في العصر المتأخر يحدثوننا عن ذلك بشيء واضح ، وكل ما كان يمكننا أن نخبرونا به

في المساء وأخرى في الصباح حتى يتم منها سبع عقده<sup>١</sup> .  
وكان من هذا القبيل كذلك أن تنظم سبع حلقات  
من الحجر وسبع حلقات من الذهب في سبعة خيوط  
من الكتان تعقد بها سبع عقد<sup>٢</sup> . وكان من الممكن أن  
تضاف إلى هذا أيضا أية وسيلة خاصة ككيس صغير  
فيه عظام فأر<sup>٣</sup> . أو كخاتم نقش عليه صورة يد  
وتمساح<sup>٤</sup> ، أو كلوحة صغيرة عليها طائفة من صور  
الآلهة ، أو أي علامة أخرى مما يجلب الحظ .

وإننا لنعرف الآن هذه الأشياء الأخيرة وخاصة  
من التأمم ، التي كانت تعلق على الموميات كما  
رأينا من قبل . والتي تزخر بها مجموعات الآثار .



١٢٨ - خيط به سبع عقد معلق به حجابان  
عليهما رتي ( برلين ١٠٨٢٦ ) .



١٢٧ - تيمتان ( برلين  
١١٣٨٩ ، ١٣١٧٣ ) .

(١) Z. f. M. u. K. S. 41.

(٢) نفس المصدر صفحة ٥٢ .

(٣) نفس المصدر صفحة ٣٠ .

هو أنه في سائر هذه التأمم تكن « الحكا » ، وهى القوة التى تسمو على الطبيعة ،  
والتي تملكها الآلهة ، والتي تستقرّ في أسمائهم الخفية ، والتي يمكن كذلك أن تحل  
في الأشياء المقدسة كتيجان الملك الزاخرة بالسحر <sup>١</sup> . ومن شأن التأمم والرقى أن تنقل  
إلى الإنسان نصيبا من هذه القوة التى كان يعتمد عليها فنّ الساحر .

وليس في طوعنا هنا أن نتطرق بالتفصيل إلى الكلام عن الخرافات الكثيرة  
المختلفة ، التى انتشرت في مصر إلى جانب السحر ؛ على أننا نذكر هنا بعبارة  
صريحة أن النوعين اللذين سادا في مصر في العهد المتأخر ، وهما كشف الطوالع والكيمياء  
القديمة ، لم يظهرها في الدولة الحديثة مطلقا . ولم يظهر كذلك إلا في العصر المتأخر  
— على وجه التأكيد — الاعتقاد في العين الشريرة ، الذى تؤمن به البلاد الجنوبية بأسرها .  
وإننا لنقرأ على لوحة صغيرة من الخشب كانت معلقة يوما في رقة بتموستوس ،  
أن كل إنسان ينظر إلى الطفل « محيت » هذا نظرة شر ، فان الآلهة تكبه كما تكب  
التنين أبوفس <sup>٢</sup> . وكان يستحب في العصر المتأخر تسمية الأطفال بأسماء كان يظن  
أنها تقيهم العين الشريرة <sup>٣</sup> . بل لقد كانت التعاويذ توجد في مكتبة إدفو <sup>٤</sup> « لصرف  
العين الشريرة » .

ولقد كشف حديثا عن ضرب آخر من الخرافات وهو كتاب الأحلام ، الذى  
ما زال يسمى في أوروبا في الوقت الحاضر « الكتاب المصرى الحقيقى في الأحلام » <sup>٥</sup> .  
وهو مؤلف على غرار كتب الأحلام في زمننا هذا تماما ، وتشبه بعض تفسيراته

(١) المحف البريطانى ٥٧٤ .

(٢) Schott, Ae. Z. 67, 106.

(٣) Spiegelberg, Ae. Z. 59, 149 Folg.

(٤) نفس المصدر صفحة ١٥٣ .

(٥) ليس من المؤكد إذا كانت العينان الشريرتان اللتان جاء عنهما أنهما يجتآن بابا مطلقا (متون

الأهرام ١٢٦٦) لها صلة بهذا الموضوع .

(٦) إفي لأدين بمعرفة هذا الكتاب لما تفضل وأخبرني به ا . ه . جاردنر .

ما لا يزال شائعا بيننا من تفسيرات ؛ فن يرى نفسه ميتا فهو يعيش حياة طويلة ؛ ومن يحلم بسقوط أسنانه فإن قريبا له يموت ؛ وروية المرء نفسه في المرأة فال سبيء ، ومعناه زوجة ثانية . ومن يحلم بقطعة كبيرة ، فإنه ينال محصولا وفيرا ؛ ومن يتسلق سارية سفينة رفع الإله من شأنه . أما من يحلم بأنه يأكل خيارا فسوف يشنجر ؛ فإذا رأى في نومه أنه يأكل تينا وعنبا ، كان في ذلك دلالة على المرض . ويرجع تاريخ هذا الكتاب إلى الدولة الحديثة وأفكاره بسيطة ساذجة . على أن الأحلام لم يكن لها بصفة عامة شأن هام ١ ، إلا في العهد اليوناني حيث أصبح تفسير الأحلام يمارس بحماسة .

والأمر على تقيض ذلك في اختيار الأيام ، أو بمعنى آخر في تصور أيام معلومة من السنة أياما سعيدة وأخرى غير سعيدة ؛ فلدينا من الدولة الوسطى تقويم عن شهر يعين ثمانية عشر يوما طيبة ، وتسعة أيام سيئة ، وثلاثة أيام بين بين ٢ . ومن الدولة الحديثة لدينا كتاب كبير يزودنا ببيانات مماثلة عن جزء كبير من السنة ، وكثيرا ما يحاول كذلك تدعيم هذه البيانات ، فالיום قد يكون سعدا أو نحسا تبعاً لهذا الحادث أو ذاك مما جرى فيه من قصص الآلهة . وإنا لنقرأ مثلاً عن اليوم الثاني عشر من الشهر الأول للشئاء أنه سبيء جدا وأن الإنسان يجب فيه أن يجتنب « رؤية فأر في هذا اليوم » ، وذلك لأنه اليوم الذي فيه « أعطى سخمت الأمر » والمقصود بذلك رع الذي أمر بقتل البشر ( صفحة ٧٥ ) . أما اليوم الأول من الشهر الرابع للشئاء فهو يوم طيب تماما ، وهو « عيد كبير في السماء والأرض » ، وذلك لأن « أعداء سبك خروا في طريقهم في هذا اليوم » ٣ . ويبدو أن هذه التفسيرات إنما نشأت عند ما حاول المصريون أن يسلكوا انحرافات الشعبية عن الأيام السعيدة والسيئة في نظام واحد ،

(١) جاء إلى جانب السحر في النصائح لمريكارح ذكر الأحلام بالنهار والليل كنسمة وهبها الله للبشر .

انظر Lit. صفحة ١١٩ .

(٢) Kahunpap. pl. 25; Text p. 62.

(٣) Sallier IV, 14, 2; 21, 2.

وعند ما طفقوا يصطنعون من التمييز بين الأيام علما . ومن السهل أن تتبين أنهم اعتبروه على هذا النحو ؛ لأن البردية التي حفظت لنا هذا النصّ هي كراسة مدرسية لصبيّ ، نسخ فيها الكتاب كتمرين خطي . ومن الواضح أنه لم يكن يفهم منه الشيء الكثير ؛ ومع ذلك فما من شك في أن هذا النموذج ما كان ليعطى للصبيّ لنسخه ما لم يكن يُعتقد في فائدته ومنفعته . وهكذا نرى على الدوام مرة بعد مرة كيف كانت الحرافة تنمو وتزدهر في عهد الدولة الحديثة ؛ ولهذا فلا غرابة إذا انتهى الأمر بأن أصبح هذا العشب الضارّ يسمو على كل شيء في مصر .

---

## الفصل الثامن عشر

### عهد الاضمحلال والعصر الصاوى

حينما كان كهنة طيبة يودعون رمسيس الثالث فى مقبرته الفخمة ، جعلوا إلى جانبه تلك الوثيقة العظيمة ( صفحة ٢٢٨ ) ، التى تسجل كل ما قدم الملك للمعابد مصر من خدمات ؛ ولهذا فقد كان على الآلهة أن ترعاه فى موته وأن تداوم على حماية مملكته . غير أنه يبدو كأن الآلهة لم تستمع لهذه الأمنية ؛ إذ يظهر لنا — كما نرى من الأحداث الآن — أن موت رمسيس الثالث بالذات إنما كان نقطة التحول فى تاريخ مصر ، فقد أخذت البلاد فى عهد خلفائه تهباً لفترة طويلة من المحن . على أن كهنة طيبة أنفسهم كانوا يستطيعون بلا شك أن ينظروا إلى المرحلة الأولى من هذه الفترة من المحن ، كأنها لاتزال مرحلة عظيمة فى تاريخ البلاد ، إذ نتحقق فيها ما كان يلوح لهم منذ عهد بعيد كأنه من غير شك أسمى مثال ، فقد استولت السلطة الروحية على الملك ، وارتقى العرش حريحور ( حوالى سنة ١١٠٠ ق . م ) الكاهن الأعلى لآمون . ولئن كانت مملكة الكاهن الأعلى وأسرتة قد ظلت ذات طابع دنيوى ، فما من شك فى أن المبدأ الذى اعتمدت عليه إنما كان مبدأ السيادة الدينية . فقد كان آمون يحكم البلاد عن طريق كاهنه الأعلى ، وعن طريق الزوجة المقدسة ، التى نتحدث عنها فيما بعد ( صفحة ٣٥٦ ) . وسنرى كذلك فيما بعد ، عند ترسم مصير الديانة المصرية فى البلاد الأجنبية ، كيف تطوّرت هذه الحكومة الدينية فى مكان آخر انتقلت إليه . على أن من المحقق أن مملكة هذا الكاهن الأعلى لم تكن لتستطيع أن تجعل السيادة لها على البلاد كافة إلا بصعوبة ؛ فقد كان إلى جانبه ملوك آخرون . وكان سمنس ، وهو يؤمئذ أقواهم جميعا ، يقيم فى تانيس عند حدود مصر الشمالية الشرقية ، حيث كانت الظروف فيها تختلف عنها فى طيبة ، تلك المدينة المقدسة فى أقاليم البلاد . ولسنا نعرف كيف حدثت هذه الانقلابات ؛ على أننا نرى أن العهد الحديد قد عمد

إلى التعبير عن نفسه بإقامة مبنى عظيم على نحو ما جرت به العادة في مصر . وكان إله القمر خنسو ثالث آلهة طيبة في حاجة إلى معبد جديد به . حقا لقد بدأ رمسيس الثالث بإقامة مثل هذا المعبد ، ولكنه لم يتمه .

وقد أتمَّ حريحور هذا البناء ، وما من شك في أن معاصريه قد ذهبوا إلى أن هذا العمل يضارع المعابد التي شيدها كل من أمنحتب الثاني والثالث ورمسيس الثاني والثالث في القرون الخالية . على أن هناك فرقا بين تلك العمائر وبين هذا العمل الذي قام به حريحور ، وهو فرق يبيِّن لايحوز لنا أن نتخطى ذكره هنا . لقد كان الفراعنة القدامى إذا أرادوا بناء معبد يعمدون قبل كل شيء إلى افتتاح حجر يمدِّهم بالحجر اللازم للبناء ، أما حريحور فقد سهل على نفسه الأمر ، بأن هدم المعابد القديمة واستخدم أحجارها في مبناه . وقد رصت الأحجار بحيث تحتفي نقوشها في البناء ، فاذا تعذر ذلك أزيلت منها النقوش ، أو غشيت بطبقة من الجص<sup>٢</sup> . وهكذا تلاشى في المبنى الحديد ، الذي أقامه حريحور ، معبد كوم الخيتان الكبير الذي كان أمنحتب الثالث قد شيده على الشاطئ الغربي ( صفحة ٢١٩ ) . وقد استُخدمت إذ ذاك مبان أخرى كذلك معاجر بنفس هذا الأسلوب المخزن . حقا لقد حدث مثل هذا من قبل ، فإن حورمحب - على الأخص - قد استولى بهذا الأسلوب على مباني عهد الزنقة ، ولكن الملك الكاهن في هذه الحالة ، التي بين يدينا ، هو الذي هدم على هذا النحو أحد معابد إله الخالص .

وكذلك يبدو لنا عهد الرعامسة الأواخر وعهد حريحور كأنه عهد جديد ، غير أن الطريف فيه هو الاحتطاط .

ولدينا كذلك من عهد حكم حريحور وثيقة أخرى تبسط أمام أعيننا حالته المخزنة ، كأن معبد خنسو لم يكن يكفي في الدلالة على هذا العصر . وهذه الوثيقة تقرير برحلة أونامون ، وهو يبيِّن لنا أن قوة مصر وسعفتها لم يعد لهما وجود ، وأن ثروة آمون لم يعد لها وجود كذلك .

(١) لا يعني هذا بطبيعة الحال أن رمسيس الثالث لم ينجح كذلك على هذا النحو حين بدأ العمل في معبد خنسو .

وكان لابد لكى يشتري أونامون الخشب من فيثيقيا ، من أن يدبر أولا المال اللازم لذلك بجمعه مما يهبه مختلف عظماء مصر ، كما كان يجب أن يتولى سمنسوس نفقات الرحلة نفسها بالبحر<sup>١</sup> . وكان العون الوحيد ، الذى منح لأونامون فى مهمته ، تمثالا لآمون ، كما أنه تلقى الأمر بهذه المهمة عن طريق الوحي الإلهى . ومع ذلك فلم يستفد حقا من كلا هذين الأمرين إلا قليلا فى رحلته الكثيرة . وقد شاهدنا حالات كثيرة من مثل هذا الوحي ( صفحة ١٧٤ ) منذ بداية الدولة الحديثة ، ولكنها لم تغدو وسيلة منظمة ثابتة إلا فى عهد الانحطاط . وكان إذا أراد أحد الطبقة العليا التصرف فيها سوف يخاف من أملاك ، فإن الإله يصدر - حبا له - أمرا بهذا الشأن : « هكذا يقول آمون رع ، الإله العظيم ، الإله الأول العظيم : إن قطعة الأرض هذه التى لفلان ، والتى حصل عليها بالطريقة كذا وكذا ، والتى تقع فى مكان كذا - وقد كان هذا كله يبين على طريقة الأعمال التجارية - « إلى أئبتها لابنه . . . ومن ينزع هذا القرار « المقام بالمعيد ، « يكن غيبيا ، بعيدا عن أن يصلح كلامى ، وأنقم عليه فى الحال . . . ثم لألقين به فى البؤس ، وليكونن لغيره إرثه ، ولترين ذلك عيناه ، وليركعن أمام عدوه ؟ ، ولتنزعن من جانبه امرأته - « ولسوف يحدث هذا كله لأنه « تحظى الأمر الذى أحنيت له رأسى »<sup>٢</sup> .

فإذا كان الأمر يتعلق باستدعاء بعض المنشيين بعد ثورة سياسية ، جئ فى أحد أيام الأعياد « بجلالة هذا الإله المجيد ، سيد الآلهة ، آمون رع ، ملك الآلهة ، فىأتى إلى الألفية العظيمة فى معبد آمون ، ويستقر . . . » ثم يقدم له القربان « وتقدم التحية » ، ويعرض عليه رئيس الكهنة أن أولئك البائسين منفيون فى الواحات ، وأنه يرجى أن يحرم الإله نقى أحد بعد ذلك فى الواحات ، كما يرجى أن يكتب هذا القرار على نصب ، « فكان الإله يحنى رأسه كثيرا كثيرا » عند كل رجاء<sup>٣</sup> .

(١) التقرير عن رحلة أونامون Lit. S. 226. ff.

(٢) Erman. Ae. Z. 35, 12 ff.

(٣) Brugsch, Reise nach d. grossen Oase, Tafel 22.



وفي حالة أخزى تعرّض تحوتمس ، أحد كهنة آمون الخصوصيين ، لاتهم قوى ، وهو أنه ارتكب اختلاسات في شئون الإله . وفي صباح أحد أيام الأعياد ، عندما كان الكهنة يحملون الإله في قاربه ، ويخرجون به « على الأرض الفضية في بيت آمون » . كتبت في محضره رسالتان ، جاء في إحداهما : « أى آمون رع ، ياملك الآلهة ، يا سيدى الطيب ! يقال إن تحوتمس هذا المشرف على الضياع ، يحرز شيئا مفقدا » ؛ وعلى الأخرى : « أى آمون رع ، ياملك الآلهة ، يا سيدى الطيب ! يقال إن تحوتمس ، هذا المشرف على الضياع لا يحرز شيئا مفقدا » . بعد هذا سأل الكاهن الأعلى الإله عما إذا كان يريد « أن يقضى . فأبدى الإله العظيم موافقته التامة ، ووضعت الرسالتان بين يدى الإله العظيم . فأخذ الإله العظيم الرسالة التي جاء فيها « أى آمون رع ، ياملك الآلهة ، يا سيدى الطيب ! يقال إن تحوتمس ، هذا المشرف على الضياع ، لا يحرز شيئا مفقدا » . وقد تكرر هذا مرة أخرى واختار الإله الرسالة التي تبرئ تحوتمس . وفي يوم آخر عرض الكاهن الأعلى مشافهة على الإله أشياء أخرى اتهم بها تحوتمس ، فاذا أحسنت الفهم فقد كان الإله يؤيد براءته من كل تهمة . وأخيرا منح تحوتمس بهذه الطريقة عفوا عاما . وانتهى الأمر بأن اقترح على الإله ، أن ينصب تحوتمس « في وظيفة الأب المقدس لآمون ، والمشرف على الضياع » والمشرف على الشئون ، ورئيس كتاب أوامر آمون ، ورئيس كتاب الشئون لضياع آمون » . وقد وافق الإله كذلك على هذا الاقتراح — وإنما لندرجه ألا يكون قد ندم على موافقته .

وما من شك في أن آهة أخرى غير آمون كانت كذلك تحسم المنازعات بين البشر على هذا النحو . فقد كان في الواحة الداخلة نزاع قديم على ملكية إخدى العيون . وقد فصل فيه آخر الأمر في عهد الملك نيشنق ، إذ حدث عند خروج الإله الخلى سوتخ في عيده أن قرّر هذا الإله أمام الشهود أن البيانات الواردة في القوائم صحيحة ، وأن العين لفلان لا لغيره .

ومن ناحية أخرى فليس من شك في أن السلطان الواسع الذى كان لسوتخ

في هذه الواحة . وإنما كان يعتمد على ظروف محلية . إذ كان سوتخ في هذا العصر مطرودا مبنوذا في غير ذلك من المواضع . لقد ظل المصريون آلافا من سنين يؤمنون في اطمئنان أن ست قد قتل أوزيريس وأنه قاضاه بغير الحق . ولكنهم على الرغم من ذلك قد ظلوا يعدونه من بين الآلهة العظيمة . على أن الشهرة السيئة التي كانت تلصقها به أسطورتهما ، أخذت تبرز مع الزمن . حتى إنه عند ما شيد الملك سيتي ( حوالي سنة ١٣٠٠ ق . م ) مقبرته الصخرية العظيمة لم يعد يعتبر من المناسب أن يذكر في هذه الغرف ، التي يسود فيها أوزيريس . اسم قاتله . ولهذا اضطرت الملك إلى أن يوافق على ألا يسمى في مقبرته الخاصة باسم سيتي « المتسمى إلى ست » وإنما باسمه الأوزيري . وقد ازدادت مع الزمن كراهية الشعب لست ، حتى لقد كان على من يكتب اسمه أن يحوه بنفسه <sup>١</sup> . وإذا كان بين تماثيل أحد المعابد تماثل لست فقد كان رأسه <sup>٢</sup> يشكل على هيئة رأس أنوبيس المشابهة . ثم كانت صورته تمجى — آخر الأمر — من نقوش المعابد . فقد غدا الإله القديم شيطانا وعدواً لسائر الآلهة ، واتخذ الدور الذي كان يقوم به تنين العواصف .

ولم تجلب حكومة آمون في طيبة نعماً كثيرة لمدينته . وإنما لنجد ما يؤيد ذلك في الأحداث التي لا يمكن أن تكون ، حتى من وجهة نظرنا ، إلا أحداثاً وضعية . ففي عهد خلفاء رمسيس الثالث بدأ الكفاح مع اللصوص الذين رنوا بأبصارهم إلى موميאות الملوك بالذات وما كان معها من ذخائر . وإنما لتملك أوراق تحقيق أجرى في هذا الشأن في عهد رمسيس التاسع . وفي عهد الملوك الكهنة رؤى أنه لا أمل في هذا الكفاح ، فأخضبت موميאות الملوك في أماكن ، كان يرجى أن تكون فيها في مأمن أوفى ، فنقلت مثلاً مومياء رمسيس الثاني مؤقتاً في مقبرة سيتي الأول ، ثم بعد ذلك في مقبرة أمحتوتب الأول . وأخيراً أخفى ما أمكن إنقاذه من موميאות الملوك في شق في الضحى غير بعيد من معبد الدير البحرى . وفي هذا الشق نفسها أخضبت إذذاك كذلك موميאות الأسرة المالكة الحاكمة . فإذا فكرنا فيما كان يعنيه — عند الشعب

(١) كما هو الأمر في برديات برلين من عهد الأسرة ٢٢ .

(٢) تماثيل في اللوفر من مجموعة بوسنو ، وتمثال في كوبنهاجن .

المصرى - سلب الملوك الموتى ذخائرهم وكراماتهم ، فلنا أن نقول إن هذا كان يعدّ من أسوأ ما كان يمكن حدوثه في طيبة .

وللجانِبِ قوّة الكهنة في ذلك القرن ازدهرت قوة أخرى هي قوّة الجنود الأجنبية . فنذ نهاية الدولة الحديثة أقام في أماكن مختلفة من البلاد المحاربون من الليبيين . وفي حوالى سنة ٩٥٠ ق . م . استطاع أحد زعمائهم - وهو شيشق - أن يقيم نفسه ملكا في بوسطة ، وقد مكثت السلطة في أسرته عهدا طويلا .

وبهذا غدت كذلك إلهة بوسطة ، وهي الإلهة باستت ذات رأس القطة ، إلهة المملكة ، كما لم تفت الآلهة الأخرى للدلتا أن تحظى بعطف ملوك هذا العهد .

ومن ناحية أخرى لم تضعف المهالة التي كانت تحيط العاصمة القديمة في الصعيد وإلهها ، فأبدى ملوك بوسطة لآمون الاحترام والتبجيل ، واستأنفوا من جديد تشييد المباني الضخمة في الكرنك ، وبهذا برهنوا على أنهم كذلك من أتباع آمون . وقد كان لهذا أيضا أسبابه المادية ، فقد كانت طيبة من الأملاك التي يجزى الاهتمام بها والجهد من أجلها . على أن أحدا من الأسرات الحاكمة في العصر المتأخر لم يملك

طيبة رسميا ، إذ كان لابد لها جميعا من أن تعمل حسابا لخرافة غريبة ظهرت في تلك القرون ، وهي أن طيبة لن تتبع بعد هذا أميرا من البشر ، فقد كان لها سيد إله ، هو آمون ، ولم يكن ممثل سلطانه في الأرض كاهنه الأعلى ، كما قد يظن ، وإنما كانت « الزوجة المقدسة » أى زوجة الإله في الأرض (صفحة ٢٢٦) . وبهذا غدت طيبة أشبه بإمارة روحية تقوم بالحكم فيها سيده من الطبقة الراقية ، ولا بد أن كانت كل أسرة حاكمة تطمح في الحصول لإحدى أميراتها على هذه الوظيفة السامية وما يرتبط بها من ثروة . ولما كان من حقها وفقا للقانون أن تورث منصبها الرفيع إلى ابنة خالصة لها ، فلم يكن إذن مناص إذا اقتضى الأمر من أن تجبر السيدة الحاكمة على تبنى من تتطلب السياسة أن تخلفها . وقد حدث هذا كثيرا في ذلك العصر وفي القرون التي أعقبته ؛ وإن الإنسان



١٢٩ - الزوجة المقدسة عنتخ - نس - ففر - ايب - رع (برلين ٢١١٢) .

ليضحك إذا قرأ في أحد نقوش أوسباتيك الأول ما يعلل به عملا من هذا القبيل . فإنه إقرارا بجميل آمون قد وجد أنه مضطر لأن يهب للإله ابنته نيتوكريس . وبهذا قدمها لزوجته المقدسة شب - إن - أويت « لتكون ابنتها الكبيرة » ، وأرسلها عام ٦٥٥ ق . م . إلى طيبة في احتفال كبير ، حيث استقبلها السكان جميعا . فلما وصلت إلى الزوجة المقدسة شب - إن - أويت ، نظرت هذه إليها وسرت بها وأحبها<sup>١</sup> . وللمرء أن يظن أن النساء اللاتي كن يشرفن على هذه الإمارة - سواء الشابات منهن والعجائز - لم يكن يدرنها بأنفسهن ، إذ كان يقوم عنهن لهذا الغرض « المشرف على بيت العابدة المقدسة » ، وهو رجل من الطبقة الراقية ، كان بين كهنة آمون يحمل لقب الكاهن الرابع .

ويدل على مدى ما كان لهؤلاء الناس من ثراء ، مقابرهم العظيمة التي تنافس في اتساعها وفخامتها مقابر الملوك السابقين ، كما يدل على ما كان لهم من مكانة أن ملك آشور أقام أحدهم ، وهو منتمحات ، أميرا لطيبة ، ولم يذكر في هذا شيئا عن الزوجة المقدسة نفسها ولا عن الكاهن الأعلى ؛ وبهذا لم يكونا ذوي قيمة كبيرة عند فاتح البلاد . أما بالنسبة لمصر نفسها فقد كانت وظيفة الكاهن الأعلى جديرة بأن تشرب إليها النفس . ففي حوالي عام ٨٠٠ ق . م . انتهز أوسركون ، وهو أحد الأمراء الشباب من البيت المالِك في بوسطة ، وكان إذ ذاك قائدا يقيم في طهنا ، فرصة الخلاف في إدارة معبد آمون ، فسار على رأس جيش إلى طيبة ، حيث اضطر آمون راضيا أو كارها الاعتراف به كاهنا أعلى . وقد استأصل شأفة الحزب المعارض في إدارة المعبد بدعوى أنه « تخطى تقاليد السلف ؛ وقد أحرق كل واحد منهم في مكان جريته » ، بحيث غدا الأمر يبدو « كأنه مجامر النار في عيد بزوغ الشعري الجمانية » . ثم أقام موظفين جددا في المعبد من « أبناء الأشراف » ؛ وقد قام بهذا كله « من قلب يفيض حبا ، لكي يوطد أركان المعبد أحسن مما كان عليه من قبل »<sup>٢</sup> . وليس من شك إذن في أن مصر قد تردت في هوة سيحقة ، إذ أمكن اغتصاب أسمى

Erman, Ae. Z. 35, 24 f. (١)

Erman, Ae. Z. 45, 1 folg. (٢)

الوظائف الدينية فيها على هذا النحو ، وإذ أباح الغاصب لنفسه فوق ذلك ذكر ضراوته على جدران المعبد .

وفي القرن الثامن قبل الميلاد قدر على مصر أن تقامى سطوة الملوك الأثيوبيين . وقد كانوا يعتبرون أنفسهم أنهم بعثوا العقيدة المصرية الصحيحة من جديد ، كما كانت طيبة المكان المقدس عندهم قبل كل شيء . وقد خضعت لسلطانهم معظم الوقت ، كما أن أميرات من الأثيوبيين تقلدن منصب الزوجة المقدسة . على أن يتاح إليه منف قد نعم كذلك بالخطوة عند الأثيوبيين الأتقياء . وكان خصوم هؤلاء الملوك الأثيوبيين عادة أسرّات صغيرة من أصل ليبي ، على أنه كان يقف من خلفهم ماوك آشور ، الذين استولوا على مصر مرتين . ولم تعد للبلاد الطمأنينة والرفاهية إلا عندما نجح أحد أمراء سايس ( صا الحجر ) ، وهو أوسماتيك الأول ( حوالى عام ٦٤٥ ق . م ) فى تحرير مصر بالجنود المرتزقة الإغريق والكاريين من كل سيادة أجنبية .

وحوالى نهاية القرن الثامن نجد كذلك علامات غريبة لانقلاب مفاجئ فى تصورات الشعب . فإذا كان عصر رمسيس الثانى قد اعتبر حتى ذلك الوقت العصر العظيم فى مصر ، بحيث كان يمتدى به حتى فى المظاهر الخارجية ، فقد برز الآن مثل أعلى آخر وهو الدولة القديمة ١ . وإنا نلتقى هذا الاتجاه نفسه فى كل مكان ، سواء لدى الملوك الأثيوبيين الذين كانوا يحكمون فى مصر العليا ، أو لدى خصومهم من أمراء سايس . ولما استطاعت أسرة أوسماتيك هذه أن تجعل من مصر مرة أخرى حكومة مزدهرة ، كان هذا الاتجاه من القوة بحيث يعتقد الناظر فى آثار هذا العصر أنه قد ارتد إلى عهد خوفو . وأن الأمر ليندو كأن الشعب وقد هزم ، راح يصبو إلى الشباب الضائع ، الذى عاش فيه نفسه ، لا يزعجه شيء من سائر المؤثرات الأجنبية ، وهو

(١) وصفت هذه الحركة الذهنية بأنها إحياء للشعب المصرى من جديد ، على أن هذا تعبير يمكن أن يقود إلى الخطأ ، لأن الأمر لم يكن يتعلق باتخاذ حضارة قديمة أرقى ، وإنما كان على التقيض من ذلك يتعلق بالرجوع عن قصد وإرادة إلى مرحلة من الثقافة تغطيها مصر منذ مدة طويلة . وهذه هى الظاهرة المحزنة التى تحدث فى بعض الأحيان عند الشعوب الأخرى فى عصور الحزن والشقاء ، فيتخيل المرء أن الشعب قد كان أسعد حالا فيما مضى ، ويفضل كثيرون لو يستطيعون تلخع المدينة المروثة عن أنفسهم فلما منهم أنها شئ غريب عنهم .

ذلك العصر ، الذى ظلت أهراماته تبدو شاهدة على عظمته . ومهما شاقنا ذلك البحث عن الفردوس المنشود . فنن الحقق أن الأسلوب الذى تبدى فيه كان سقما . فقد كان تقليد الماضى يحمل طابع الغرام العلمى بالأشياء القديمة كأن ذلك أمر طبيعى محض ، فكان المرء يكتب بلغة الدولة القديمة وفى هجاء كلماتها ، مع أن أئى عام كاملة قد مضت عليها ؛ وكان اتخذون يمثلون بالملابس العتيقة . كما كان معاصرو أيسماتيك يمنحون ألقاب رجال بلاط خوفو وأسماءهم .

ولقد أفادت الديانة قوّة جديدة من هذه العودة إلى الحضارة المصرية القديمة . كما أنها تغلغلت فى حياة الشعب بما لا مثيل له من قبل . كأن الديانة كانت موضوعه الوحيد . وبذلك نشأ أولئك المصريون



١٣٠ - فأر فرعون المقدس ،

والذين كانوا مثار دهشة معاصريهم من الإغريق ، والذين كانوا يراعون بدقة سائر العادات القديمة التى كانت من شأنها أن تضفى عليهم طابع الخدم الأطنهار للآلهة القديمة ، وأن تفرق بينهم وبين الأجانب ؛ الذين أصبح المصريون ينظرون إليهم باحتقار . وكانوا يؤثرون بناء بيوتهم إلى جانب المعبد حتى « يسمعوا التسابيح من أفواه الكهنة » ٢ . وقد قال أحد سكان منف : « أى بتاح ، لقد أغلقت عليك فى قلبى ، وإن قلبى الممتلىء بحبك كحقل ممتلىء ببراعم الأزهار ؛ لقد أقمت بيتى بجانب معبدك كخدام بمجد سيده » ٣ . وبدل على تحمس الشعب إذ ذاك فى عبادة الآلهة كلها عدد لا يحصى من التماثيل الصغيرة للآلهة وأدوات المعابد البرنزية التى

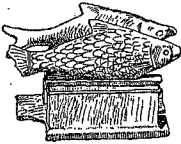
(١) Herodot II 37 a.

(٢) برلين ١٧٢٧٢ ، وقد ترجع هذه التماثيل المفرطة إلى ذلك الانحياز الذى تلقاه فى نهاية الدولة

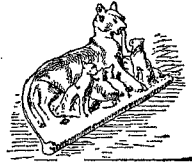
الجدية ( انظر ص ١٠٥٨ وما بعدها ) .

(٣) اللوفر ٣٣ .

كان ينلذرها أفراد الطبقات الدنيا في هذا العصر للمعابد ، والتي تزخر بها مجموعات الآثار في العالم . وفي هذه الروح بين أفراد الشعب ازدهرت أشد ما يكون الازدهار

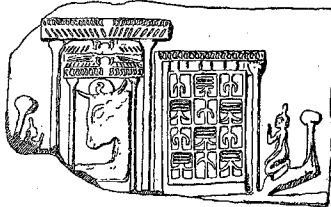


١٣٢ - سمكتان مقدستان  
من البرنز ( برلين ٢٥٧٠ ) .



١٣١ - قطة مقدسة مع صفارها  
من البرنز ( برلين ١٣١٢٢ ) .

النواحي الغربية للعقيدة المصرية كعبادة الحيوان . فقد جاء العصر المجيد للثعابين والطيور والكباش والقطط المقدسة ، التي غدت أثيرة لدى الشعب ، والتي أصبحت العناية بدفنها من الأعمال التي يُسأل عليها الثواب . فهاهي ذى سيدة تقيمة تقول عن نفسها في زهو : « لقد أهديت ما تحتاج إليه الأرواح الحية ( أى أرواح الحيوانات المتوفاة ) ، حتى تكون لديها العطور والملابس الفائقة عند ما تصعد أرواحها إلى السماء » .<sup>١</sup> وكان أشهر تلك الحيوانات جميعا أبيس<sup>٢</sup> (صفحة ٣١) ، وكان يحتفل

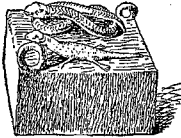


١٣٣ - أبيس الميت في نعشه من داخل  
سفينة ، تكيه ليزيس ونفتيس ( برلين ٧٤٩٤ ) .

(١) نصب من عهد البطالسة في مجموعة السيدة م .

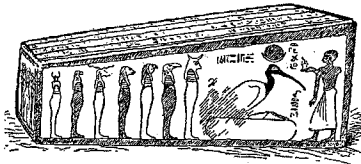
(٢) جاء عن بليوس Hist. nat. في الجزء الثامن صمحة ١٨٥ أنه كانت تساق إليه كل عام بقرة كان عليها أن تدفع حياتها ثمنا لهذا الشرف ، وأنه لم يكن يجوز أن يتجاوز هو نفسه سنا معلوما ثم يفرق بعدها ، وإنه من الصعب أن نقول أى هذا كله هو الصواب .

كل عام بعيد ميلاده سبعة أيام ، وإذا مات ليست عليه النساء ثياب الحداد :  
 و « لا يدخل أفواههن شئ غير الماء والخضر » سبعين يوماً حتى يتمّ دفنه ١ . وكان  
 يحج إلى قبره ، ويقام له شاهد يكتب عليه ما شاق من تاريخ حياة هذا العجل :  
 متى ولد ومتى جرىء به « إلى معبد بتاح » ، ومتى « فارق الحياة » و « جملة أيام  
 حياته » . وفي بعض الأحيان يخبرنا المصريون بأية قرية شرفت بأن كانت وطنه ،  
 وأى اسم كان لأمه . وكان دفنه يقترن بكل أنواع الترف والبنخ ، إذ كانت الدولة  
 تقسمها تعني بذلك . وقد ورد أن أسيما تيك الأول لما أخبر عام ٦١٢ قبل الميلاد بأن  
 « في معبد أبيك أبيس . . . أتت القدم على ثوابيته ، أمر جلالته بأن يجدد معبده



١٣٤ - تابوت ثيمان وعظاته  
 (؟) (برلين ٨٨٤٦) .

ليكون أجمل مما كان من قبل . ودعا جلالته أن  
 يصنع له سائر ما يجب أن يصنع لإله في يوم الدفن ،  
 وقد قام سائر الموظفين بواجبهم . وحفظ الجسد  
 بالزيت والشرائط من أرقى أنواع الكتان وبملايس  
 كل إله . وكانت ثوابيته من خشب « كيد »  
 وخشب « مير » وخشب الأرز ومن صنوة سائر  
 الأخشاب ٢ . وفي عام ٥٤٧ جاوز الملك أمازيس ، ظهير الإغريق ايهوس ، سائر



١٣٥ - تابوت من الخشب لأبي منجل

ومن أمامه بيختر الرجل الذي قام بلفته (برلين ٦٩٣٨) .

(١) انظر Rec. Trav. 21, 63; 22, 176

(٢) نفس المرجع ٢٢ ، ١٦٦ .



ما كان يؤدي لأبيس حتى ذلك الوقت ، « لأنه أحب أبيس أكثر من أى ملك آخر . فوضع له تابوتا كبيرا من الجرانيت الأحمر ، وذلك لأن جلالته لم يجد أحدا من الملوك فى أى عصر قد صنع له تابوتا من الحجر » . وجهزه بالأكفان « والتأتم وسائر الخلى من الذهب ومختلف أنواع الأحجار الفاخرة ، وكانت أجمل من كل ما صنع من قبل » ١ . وكان هذا التابوت أول تلك التوابيت الضخمة ، التى لازلنا نعجب بها اليوم فى مقابر أبيس فى صقارة ، وهى عبارة عن صناديق كل منها قطعة واحدة من الجرانيت طولها أربعة أمتار وارتفاعها يزيد على ثلاثة أمتار .

وفى عدا ذلك تنافس الملوك الصاويون فيما بينهم فى العناية بالآلهة ، وقد بدأوا من جديد المباني الفاخرة والأوقاف الواسعة للمعابد ، وخاصة ما كان منها فى سايس ،

العاصمة ، التى أصبحت إلهتها نيت ( صفحة ٣٩ ) تحظى بأسمى مقام ، وقد عمل سائر ملوك هذا العصر المشغوف بكل قديم - سواء كانوا أثيوبيين أو صاويين - على ترميم آثار المناضى ، وتجديد ما كان قديما من أهرامات إلى كتاب صنعه الأجداد ، والتهمته الديدان ، واستبدله شاباكو الأثيوبي بلوحة من الجرانيت الأسود ٢ . ونظمت من جديد طوائف الكهنة التى اندثرت وغشها النسيان ؛ وإن القارئ فى إحدى نصوص العصر المتأخر للألقاب التى لا تنتمى للكهنة ليثيين فى دهشة مدى ما ابتعثت للحياة من أشياء



١٣٦ - جملان  
متانقان لهما أذرع  
بدلان الأرجل (برلين  
١١٤٠٥) ؛

مرة أخرى .

وقد جدّ المصريون كذلك فى البحث عن الأدب الدينى القديم ، الذى كان فى سبات عميق فى مكتبات المعابد ، وبهذا برز إلى النور من جديد مختلف الأفكار التى تقادم عليها العهد . وإذا كانت أغلب هذه الحكمة المكتشفة من جديد لم تنفذ إلى الشعب ، فقد زادت فعلا فى اضطراب الديانة الرسمية ، وقد كان هذا الاضطراب

(١) نفس المرجع ٢٢ ، ٢٠ .

(٢) Breasted, Ae. Z. 39, Tafel, 1. 2. وهو نفس الكتاب الذى سبق الكلام

بغير هذا كبيرا حقا بدرجة كافية . على أن ازدياد الرصيد الديني كان مما يسر رجال الدين في العصر المتأخر ، لأنهم لم يكونوا ليشبعوا من الأشياء المقدسة . وقد جمعوا هنا كله وربطوه في نظام جميل ، ولا بد أن كان في ذلك المتعة الكبرى لؤلاء العلماء . وأقول : لا بد . وذلك لأن مؤلفاتهم الخاصة ضاعت . بحيث لا يمكن أن نكون صورة عن هذا العلم في الحضارة المصرية المختصرة إلا مما خلفه لنا خلفاؤهم ، كهنة العهد اليوناني . ففي هذه الكتب وفي نقوش معابد القرون التالية نجد قوائم بأسماء الآلهة كلها ونوعتها : فهي محدثنا مثلا بالذي يجب أن نفهمه عن مسخت إله الولادة « مسخت العظيمة تسمى نفتت . ومسخت القوية نوت ومسخت الجميلة إيزيس . الخ »<sup>١</sup> . وعلى جذران المعابد نجد بيانات تبين كيف نظمت في كل مقاطعة سائر المسائل المقدسة . وكانت مصر السفلى بالرغم من اختلاف أشكالها تنقسم إلى عدد من المقاطعات يماثل تقريبا عدد مقاطعات مصر العليا : ومن الغريب أنه كان في سائر هذه المقاطعات أشياء متماثلة تماما . فقد كان في كل منها إله وأثر من أوزيريس ، وكاهن أعلى ، وكاهنة عليا ، وسفينة مقدسة . وشجرة مقدسة ، وثمان مقدس ، وأرض يعاوها الفيضان ، ومستنقع . وكان لهذا كله أسماء قديمة يجب على المرء أن يعرفها كما كان يجب عليه فضلا عن ذلك أن يعرف تاريخ عيدها الكبير . وما كان يحرم فيه - فما كان أهبج من أن يتحقق إلا نسان من هذا كله وأن يعمل على جمعه : وما كان أنفعها من معرفة !



١٣٧ - خنوم في هيئة الصقر (من معبد طندرة).

وليت الأمر كان مقتصرًا على جمع وإحياء الأشياء المتعلقة حقا بالديانة القديمة والعبادة القديمة ! بل لقد كان يجمع بصراحة كل ما كان قديما ونادرا ، ولم يكن يسأل عن مكان نشأته ، وعمّا إذا كانت له قيمة جدية إذ ذاك . وبهذا وجدت منتجات السحرة ، كالأشكال الخليطة للآلهة المختلفة ، سبيلها إلى الديانة<sup>٢</sup> : بل إنه لم تكن ترفض الخزعبلات الصببانية .

(١) بردية برلين ٧٨٠٩ من العهد الروماني ولكنها بطبيعة الحال نسخة من نص قديم .

(٢) في الواحة الخارجة : Hoskins, Visit to the great oasis, pl. 8 .

ولما كان كثير من الآلهة يمثّل في الغالب كهيئة الطير — مثل حورس صقرا ، ونخبت رحمة ، وتحتوت في شكل أبي منجل — فقد أصبح من الممكن كذلك أن تمتح الآلهة العظيمة للمقاطع جسد الطائر . وبهذا أصبح خنوم صقرا برأس كيش ، وأوبرات صقرا برأس ابن آوى ، وباستت صقرا برأس قطة وهلم جرا ، ولكل من هذه الرعوس فضلا عن ذلك تاجها الخاص .

وتدلّ هذه الأمثلة بما فيه الكفاية على ما صارت إليه طبيعة عقائد المصريين في العصر المتأخر . فقد كان كل شيء قديم عندها أهلا للتقديس وجديرا بأن يرفع من شأنه ، على أنها هي نفسها لم تعد تبتدع أشياء جديدة كثيرة .

ومن هذا التقدير للحكمة القديمة نشأت كذلك في هذا العصر عبادة من كانوا أنفسهم من القاطنين بها في الزمن القديم . وقد كانوا في الزمن القديم فعلا أشخاصا مبدعين ، فأصبح بعضهم الآن آلهة تقريبا . وأولهم احوتب ، وكان ينتمي إلى بلاط الملك زوسر ، إذ كان رئيس بنائيه ، ولم ينس الشعب أنه كان أول من شيد هرما من الحجر المنحوت . إلى جانب هذا عرف عنه كذلك أنه كان عالما ، وقد ورد عنه في أغنية من عهد الدولة الوسطى أن كل شخص ياولك بلسانه أمثاله وحكمه <sup>١</sup> . ثم غدا بالتدريج حاميا لكل من يشتغل بالعلوم ، وكان الكاتب قبل أن يغمس قلمه في إناء الماء الصغير ينثر القطرات الأولى من أجل احوتب <sup>٢</sup> . وكان الأطباء كذلك يمجّدونه باعتباره أول من ابتدع حرقهم ، وأخيرا كان يعتبر عند الشعب إله الشفاء كما سنرى فيما بعد . وقد ذكر عنه أنه لم يكن أبنا لأحد من البشر ، وإنما كانا بنا لبتاح إله منف ، ولده من امرأة تدعى خروتي — عنخ -



١٣٨ - الحكيم  
احوتب يقرأ في كتابه  
(برلين ٧٥٠٥)

Litt. S. 178. (١)

Schaefer, Ae. Z. 36, 147. (٢)

ومع ذلك فمن المحقق كذلك أن هذا الإله الجديد قد ظل يمثل - حتى فيما بعد - في هيئة إنسانية صريحة من غير تاج ولا صولجان أو لحية الآلهة ، كما كانت الطفوس ، التي كُرِّست له ، على شاكلة ما كان يؤدى في مقابر الموتى المبجلين <sup>١</sup> .



١٣٩ - صورة صادقة لأمنحوتب بن حابو . من تمناه في القاهرة .

وقد تطوّر على نحو مشابه تقديس إحدى الشخصيات الشهيرة في الدولة الحديثة . ففي أقصى عهود ازدهار مصر كان الوزير أمنحوتب بن حابو يشغل المكان الأول في بلاط أمنحوتب الثالث العظيم . وكان رجلا عابسا كما يتحدث بنفسه إلينا في أحد النصوص : « فقد لُفِّنَ الكتاب المقدس ، ورأى ما أثر تحوت » ، وكان يفهم أسرارها ويستشار في أمرها <sup>٢</sup> . وهو لم يكن متعلما فحسب ، وإنما قام كذلك في وظيفته السامية

بعضائم الأمور ، وقد كسب شكر سيده . ولدينا اليوم ثلاثة تماثيل كان الملك قد أنماها له في حياته . وقد اعتبرته كذلك الأجيال المتأخرة على نحو أمنحوتب « حكما لا تلبى حكمه » <sup>٣</sup> . وقد نسب إليه كتاب في السحر ، كما غدت مقبرته التي كانت تقع على شاطئ طيبة الغربي مكانا مقدسا ؛ وقد ارتفع شأن هذا المكان كثيرا في العهد اليوناني ، حتى جعل منه بطليموس الرابع معبد دير المدينة ، وفيه انضم أمنحوتب بن حابو وزميله في المصير أمنحوتب إلى الآلهة العظيمة .

واستطاعت هذه المقبرة أن تبقى زمنا طويلا ، وذلك لأن للملك أمنحوتب

(١) عن أمنحوتب انظر Sethe, Untersuchungen II 95 ff

(٢) Mariette, Karn. 36, 28 انظر Brugsch, Ae. Z. 14, 96 folg. وكذلك

Sethe, Ebersfestschrift, S.107 folg.

(٣) Brugsch, Ae. Z. 13, 125; Erman Ae. Z. 15, 147.

وقف عليها الحقول والريق بوفرة . على أن ثروة هذا الوقف قد كانت تخفى بين طياتها بغض الأخطار . وذلك لأن الموظفين في القرون المتأخرة أدركوا أن من الممكن استخدام الرقيق في مكان آخر . بما هو أكثر نفعاً . وأجدى من استخدامهم في حقول أحد الوزراء الذين ماتوا منذ أمد بعيد . في هذا الحرج عمد كاهن المقبرة إلى وسيلة غريبة : فقد اصطنع وثيقة زعم أنها ترجع إلى عهد امنحوتب الثالث ، وأن هذا الأخير أصدر في السنة الحادية والثلاثين من حكمه في حضرة جميع كبار الموظفين مرسوماً يضمن دوام هذا الوقف إلى الأبد . وفي هذه الوثيقة عهد بمقصورة المقبرة إلى أسمى من كان على سطح الأرض إذ ذاك ، وهو آمون رع . ملك الآلهة . وذلك لأنه « ملك الأبدية وحامي المدفونين »<sup>١</sup> . ثم جاء فيها بعد هذا : أن أى موظف كبير في المستقبل لا يعنى بهذا الوقف وبعبئيه . . . ويستحوذ على أى رجل منهم ليذسبه إلى أى من أملاك فرعون أو إلى عمل له هو نفسه ، أو لا يتدخل من أجلهم إذا أضربهم غيرهم ، فإنه سينزلق إلى مكان الإعدام لآمون رع ، سيد الكرنك . إنه لن يدعهم يشبعون في وظائفهم . . . وسيلقى بهم في هيب أملك يوم مقتله ، وسيثقب تاجه النار على رؤوسهم . . . وسيغرقون في البحر حيث تخفى أجسادهم<sup>٢</sup> . ولن يمجّدوا كذلك في الموت ، وسيمكثون في القبر بغير طعام ولا ماء . « ولن يعين أبناؤهم في مراكزهم ، وسيزنى بذنائبهم أمام أعينهم » . وهكذا يستمر تهديد هؤلاء الموظفين ، على حين يوعد من ناحية أخرى كل من يعنى بالمقبرة ووقفها بكل النعم والبركات . ولنا أن نذهب إلى أن هذا التزوير قد حقق الغرض منه ووفى المقبرة ، إذ ظلت هذه قائمة قروناً كثيرة . ولا بد أن كان الموظفين ، الذين كان مقدراً أن يخدمهم هذه الكتابة ، بسطاء حقاً ، ذلك لأن كل شيء في هذه الوثيقة قد كان ينبغي أن يثير ارتياحهم ، ففى لم تنقش على حجر منحوت ، بل على لوحة جافية ، علمها كانت بلاطة قديمة ، وقد حفرت على هذه اللوحة في كتابة رديئة زاخرة بهجائيات وصيغ لغوية حوشية ، مما لا يمكن تصوّره في كتابة رسمية من عهد امنحوتب الثالث<sup>٣</sup> .

(١) يبدو من هذا أن آمون في العصر الذي ارتكب فيه هذا التزوير قد أصبح ينظر إليه كأنه نحاس الموتى شأن أوزيريس في ذلك .

(٢) عن هذا النص انظر : Moeller, Sitz. Ber. Berl. Akad. 1910, 941 ff.

وفضلا عن ذلك فإن اللعنات لا تكاد تناسب المثقفين في هذا العهد . وهي بالأحرى من إنشاء العهد المتأخر . وفيها عدا ذلك لم يكن يعوز مصر في العهد المتأخر تزويرات مماثلة للتزوير الذى ذكرنا ، ومن التزويرات المشهورة ذلك التزوير الذى قام بعمله كهنة اليفانتين ليدلوا على حق إلههم خنوم في المنطقة التى بين اليفانتين وفيله . فقد اضطنعا - حوالى العصر اليونانى - نصا يروى قصة محزنة عن مجاعة مروعة : ففي عهد الملك القديم زوسر ( حوالى ٢٧٠٠ ق . م ) امتنع الفيضان سبع سنين . فأقبل الملك عند ذلك على وزيره الحكيم ، وهو محتوب نفسه الذى عرفناه من قبل ، وسأله الرأى ، فبحث هذا في الكتب القديمة وتبين منها أن خنوم إله اليفانتين هو الذى

يجرى الفيضان .  
وظهر الإله إذ ذاك في الحلم للملك ووعده ألا يتخلف الفيضان تارة أخرى .  
لهذا أهدى الملك إلى خنوم وآلهة اليفانتين سائر منطقة الشلال الأول مجراج حقولها  
وجميع أنواع الضرائب والمكوس ١  
ولا يقل عن هذا غرابة ، تزوير آخر من عصر أقدم بعض الشيء . وهو يقص  
علينا أن الملك رنسيس الثانى ( ١٢٩٢ - ١٢٢٥ ق . م ) كان قد تزوج من ابنة أمير



١٤١ - قارب خنمو الصغير الذى يطرد الشياطين ،

ومن أمامه كاهن يحرق البخور ( من نصب بتريش ) .

أسيوى ، كانت بلاده تبعد عن مصر كثيرا . وكان لهذا الأمير ابنة صفوى استولت عليها وروح شريفة . لهذا رجا الأمير أن يرسل إليه الملك إلهها يسقى الأميرة . فعرض

رمسيس هذا الرجاء على الإله العظيم خنسو نفرحوتب ، ورجا إليه أن يعث خنسو الصغير « الذى يحكم فى طيبة » ، وأن يمنحه كذلك « قوته » .

وأخى خنسو الكبير رأسه موافقا جدا على الاقتراحين . فلما وصل خنسو الصغير بختن ، حيث استقبل بإلال عظيم ، نجح فى تخليص الأميرة من الروح الشريرة . على أن أمير بختن أراد أن يحتفظ بهذا الإله صانع المعجزات ، فاستبقاه ثلاثة أعوام وتسعة أشهر ، ولم يقتنع بأن يأذن له بعودته إلى مصر ، إلا بعد أن رأى رؤيا . وقد زود بالهدايا الفاخرة ، ودلل خنسو الصغير أنه غير محب لذاته ، لأنه أعطى كل شىء لخنسو الكبير ، ولم يحتفظ لنفسه بشىء .

وقد وجد هذا النص فى الكرنك فى مبنى صغير من العصر المتأخر غير بعيد من معبد خنسو ، ومن المحقق أن هذا المبنى كان مقصورة خنسو الصغير . ويبدو أن كهنته قد اصطنعوا هذا النص ليرفعوا من ذكر إلههم الخامل الشأن باعتباره إله الشفاء . ولم يكن هذا التزوير يرمى للقراء المتقفين حسابا ، إذ لم يبذل صانعه شيئا من عناية فى نسخ أسماء رمسيس الثانى صحيحة ، وقد كانت تقرأ فى كل مكان فى طيبة .

ومثل هذه التزويرات تتفق ومظهر الحضارة المصرية فى العهد المتأخر ، وهى تذكرنا بالتزويرات المشابهة من العصور الوسطى . ويمكن أن يقال هنا على نحو ما يقال هناك من أن صانعيها لم يكونوا يرون فيها شيئا جائرا ، لأن التفاصيل وإن جاز اختلافها عما تصوره هذه النصوص ، فإن هذه النصوص مع ذلك لم تكن كاذبة من حيث المعنى العام . ألم يكن خنوم يهب الفيضان حقا ، وخنسو يشقى المزرورين ! لم يكن هناك إذن بد كذلك من أن يحتفل بمثل هذين الإلهين وأن يعطيا ما يحتاجان إليه لينعم البشر ببركاتهما .

(١) واضح أن هذه القصة تعتمد على رواية من نهاية الدولة الحديثة . وقد ذهب الظن إلى أن بختن هى باكرين ، التى عرفها المصريون فى العهد الفارسي . وقد رأينا فيما سبق (صفحة ١٧١) أن تماثيل الآلهة كانت ترسل حقا من بلد إلى بلد آخر ، وأنه كان يخشى ألا ترد .

(٢) لقد كان حقا يخشى إله الشفاء ، فى بعض النصوص من عهد بطليموس الثانى يخشى عليه بأنه يطرد الأمراض ، وينقى الأرواح والموت ، وقد أنقذ كذلك الملك من العالم السفلى وحفظه من الطاعون ( انظر : Sethe, Urk. المجلد الثانى ص ١٠٨ ، وطيبة ، باب الإمارة ) .

## الفصل التاسع عشر

### العهد الفارسي

إن الصورة، التي عرضناها في الفصل السابق عن عقائد مصر في العصر المتأخر، يمكن أن تعتبر كذلك في جوهرها صورة لعهد السيادة الفارسية. وكان استيلاء قمبيز على مصر ( ٥٢٥ ق. م ) حقا نكبة للديانة بالذات ؛ ذلك لأن هذا الفارسي كان يقف من مصر وآلهتها موقف الساخر المحتقر. ولئن كان قد انتهب تماثيل الآلهة والكتب من المعابد ، فمن المحقق أن ذلك لم يكن لأنه كان يعتبرها شيئا مقدسا. وإنما كانت عنده مجرد غنائم تبين للفارس أي بلد عجيب استولى عليه. ألم يقتل في حنقه أبيس ساخرا « ويخرب معابد مصر جميعا »<sup>١</sup> ! ومع ذلك فهناك نص غريب<sup>٢</sup> يدل كذلك على أن قمبيز لم يستطع أن يتجرد من كل اعتبار لرجال الدين. فقد كان لهم في حقيقة الأمر ممثل في محيط قمبيز ذومهاراة خاصة ، هو طبيبه الخاص « أوزا - حر - رسنت ». وقد عرف هذا الطبيب كيف يثير اهتمامه من أجل سايس على الأقل ، فقد « بين لجلالته مقدار عظمة سايس . . . ومقدار عظمة معبد نيت » ، وعرفه جميع معابد سايس. وقد بلغ الأمر حدا أن دخل الملك الفارسي في سايس تقسما « في معبد نيت ، وركع أمام سيدته كما فعل كل ملك ، وقدم كذلك قربانا كبيرا من كل شيء طيب إلى نيت العظيمة ، أم الإله ، وللآلهة العظيمة في سايس كما فعل كل ملك بارع ». ولما عرض أوزا - حر - رسنت على قمبيز أن الأجانب من مختلف الأجناس ، يسكنون على أرض المعبد ، مما يثير مقت المصريين الأتقياء .

(١) هذا ما كتبه الجالية اليهودية في اليقاتين عام ٤٠٨ إلى الحاكم الفارسي في ذلك الوقت ، مهتمة بأن تبرز أن معبدها الخاص قد بئى سلبا ؛ وعلى هذا كان الاضطهاد موجهها في الواقع ضد الديانة المصرية. وكان الأقباط فيما بعد يعرفون كذلك أن قمبيز خرب أبيدوس ، انظر : Lemm, Kleine kopt.

Studien صفحة ٦٤ .

(٢) تتشابه في الغاتيكان ، أما عن الخاتمة ، فانظر : Schaefer, Ae. Z. 37, 72



قام الملك الفارسي بما لم يكن قد قام به الملوك الوطنيون ، فقد أمر بهدم بيوت الأجناب ، وأجبرهم على الإقامة خارج سور حرم المعبد .  
 وفي عهد داريوس كذلك استمر هذا الطبيب الخاص يقوم بدور الوساطة هذه ، وقد أقنعه باعتباره طبيبا « بفضل هذه المهنة ( مهنة الطب المصري ) في حفظ حياة كل مريض » ، فأرسله الملك إلى مصر ليعمل من جديد في سايس ، ذلك المقر القديم لفنّ الطب الكهنوتي ، على رفع شأن « مدرسة الحياة » أي مدرسة الكهنة .  
 وقد قام بهذا الأمر ، وزود المدرسة بجملة الكتب والأدوات التي كانت تملكها وفقا لما جاء في النصوص القديمة . وهكذا عمل أوزا - حر - رسنت فعلا على خدمة مصالح الحضارة المصرية « في عمرة البؤس الأعظم الذي حلّ بالبلاد جميعا » ؛ ولئن عرف كيف يحصل في الوقت نفسه لأقاربه على وظائف الكهنة ، وكيف يغنيهم بالممتلكات من الأرض بفضل عطف ملوك الفرس ، فإن مواطنيه لاشك قد غفروا له ذلك عن رضا .

وفيها عدا هذا اهتمام كملك داريوس وخلفاؤه بمصر وآهتها ؛ وعن داريوس بالذات تذهب الرواية التي حفظها ديودور عنه ١ ، إلى أنه هو نفسه قد اجتهد في أن يصلح ما ارتكبه قميمز من عنف . ألم يُذكر عنه كذلك أنه كان يميل إلى الخديث مع الكهنة المصريين ليُلمّ بتعاليم الآلهة ؟ وواقع الأمر أن داويوس قد شيد حقاً معبداً لآمون في الواحة الخارجة ، تتفق نقوشه ومناظره مع الديانة المصرية في العصر المتأخر . فإذا قصّ علينا ديودور بعد ذلك أن المصريين عبدوه في أيام حياته إلها ، فقد يكون هذا صحيحاً ، وذلك لأن شاهداً صغيراً في متحف برلين يرينا داريوس وهو يعبد على شكل الصقر ٢ .

وفي عهد داريوس الثاني اهتمت الحكومة الفارسية كذلك بأن تكون مقبولة لدى الكهنة . فقد كان معبد يهوا لليهود البفانثين شوكة في عيون كهنة خنوم . لهذا أمر الحاكم الفارسي بناء على شكواهم هدمه من أساسه وحرقه غير عابئاً ببكاء اليهود ،

(١) Diodor I, 95.

(٢) برلين ٧٤٩٣ .

الذين « ارتدوا ملابس الحزن ، وصاموا مع نسائهم وأولادهم منذ ذلك الوقت »<sup>١</sup> .  
وما نعرفه من مصر نفسها عن العقائد في العهد الفارسي ليس كثيرا ؛ على أن  
حظا سعيدا حفظ لنا من هذا العصر بالذات تقريرا حيا لأحد الإغريق . ففي حوالي  
سنة ٤٥٠ ق . م جاب هيرودوت مصر ، وكان قوياً الملاحظة شديد الانتباه لا يكل .  
وقد اهتم بصفة خاصة بنفس الأشياء التي تهمنا هنا ؛ وذلك لاعتقاده الجازم بأن  
هذه الآلهة المصرية ليست شيئا آخر غير آلهته الخاصة : فأوزيريس وإيزيس عنده  
هما ديونيسوس ودميتر ، وحورس هو أبولو ، وست عدو الآلهة إنما هو تيفون  
الجبّار ، ونبت إلهة سايس إنما هي أثينا ، ومين هو بان ، وآمون هو زيوس ، بل  
إن باستت ذات رأس القطة إنما تتفق مع أرتيميس . وعنده أن أوزيريس وإيزيس  
يشغلان المركز الأوسط للديانة ، وهو ما يجب أن ننتظره في ذلك العصر ؛ فهما الإلهان  
اللذان كان يعبدهما المصريون جميعا<sup>٢</sup> . وهو يحسّ الزهو والفخر بأن الكهنة أتاحوا  
له اللقاء نظرة على أسرارهما ؛ وهو يذكر ذلك في صراحة ، ولو أنه لا يخبرنا بشيء  
عنه ، حتى يظلّ آمينا على وعده<sup>٣</sup> .

وكانت الحيوانات المقدسة مما أدهشه كثيرا ، وفي أخباره عنها يبدو لنا كذلك  
ما كان لها من تقدير مفرط ، وهو يعرف عن أبيس ، الذي شاهده في فناء أمام البوابة  
الجنوبية لمعبد بتاح ، أنه ينشأ من شعاع من السماء ؛ وأنه أسود ، وأن على جبهته غرة  
مربعة ، وعلى ظهره صورة نسر ، وغير ذلك من الشيات . وكان إذا وجد أبيس  
جديدا ، احتفلت مصر جمعا به في ملابس العيد وبالأيام البهجة<sup>٤</sup> . ولم ير هيرودوت  
العتقاء ( الفونقس ) ، الطائر المقدس في هليوبوليس ، لأنه لا يظهر — كما حدثه الكهنة  
هناك — إلا كل خمسمائة عام ، ليجلب إلى المعبد جثة أبيه في بيضة من المر<sup>٥</sup> . وقد

(١) انظر : Ed. Meyer, Der Papyrusfund von Elephantine, Lpzg. 1912, S. 78 ff.

(٢) Herodot II, 42.

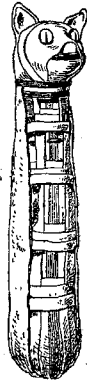
(٣) نفس المرجع ٦١.

(٤) نفس المرجع ١٥٣ ، والكتاب الثالث منه فقرة ٢٧ ، ٢٨ .

(٥) نفس المرجع ، الكتاب الثاني ، ٧٣ .

أراه المصريون عند بحيرة مورييس وفي مصر العليا تمساحا مقدسا محلى بالذهب والأحجار الثمينة في أذنيه وقدميه الأماميتين<sup>١</sup> .

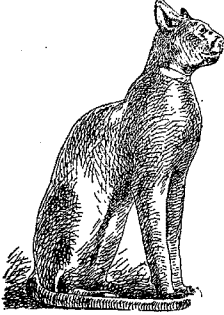
ولم تكن هذه الأمثلة المفردة ، التي كان يعنى بها في المعابد ، ويقوم على خدمتها السدنة ، ويطعمها الأتقياء ، تعتبر وحدها آلهة ، وإنما أضفت قداستها منذ أمد بعيد على سائر أبناء جنسها ، على البقر والتيوس ، والكلاب والقطط ، وأفراس النهر والتماسيح ، والجردان والفئران ، والصقور وآباء منجل ، والفرخ ( القشر ) من الأسماك ، وطحابين الماء . فكان إذا شبَّ حريق ، كان تفكير المرء في إنقاذ القطط أشدَّ من تفكيره في إطفائها<sup>٢</sup> . وكان من يلتمسه تمساح يعتبر بنوع خاص ميتا سعيدا<sup>٣</sup> ؛ أما من كان يقتل عامدا حيوانا مقدسا ، فإنه كان يفترط في حياة نفسه بنفسه ؛ بل كان قتل أبي منجل أو صقر ، حتى ولو خطأ ، يعتبر خيانة عظمية<sup>٤</sup> . وكان لكل نوع من هذه الحيوانات مكان ينبغي أن تنقل إليه جثته حينما أمكن ذلك ؛ فكانت عظام القطط تحمل إلى بوبسطة ، وجثث الفئران والبواشق إلى بوتو ، وجثث آباء منجل إلى الأشمونين<sup>٥</sup> . فإذا مات ثور دفن أمام المدينة ، بحيث كان يترك أحد قرنيه بارزا في الأرض علامة عليه ، لأن أتقياء من أنرجيس في الدلتا كانوا يجوبون البلاد ويجمعون عظام الثيران ليدفنوها في بلدهم . على أن البقر الذي كان يعتبر لأقدس الحيوانات جميعا ، لم يكن يدفن على هذا النحو ، وإنما كان يلقى به في النيل<sup>٦</sup> . وقد يعد المرء هذه الصورة التي يعرضها هيرودوت مبالغاً فيها ، ولكنها صورة صحيحة حقا ، وذلك لأننا نلقى في كل مكان من



١٤١ - موسى  
قطعة (برلين)  
١٩٤٢ .

- (١) نفس المرجع ٦٩ .
- (٢) نفس المرجع ٦٦ .
- (٣) نفس المرجع ٩٠ .
- (٤) نفس المرجع ٦٥ .
- (٥) نفس المرجع ٦٧ .
- (٦) نفس المرجع ٤١ .

مصر مثل تلك المقابر العامة للحيوانات المقدسة من العصر المتأخر ، كالمقابر التي دفنت فيها القطط بمئات الآلاف ، وكالمغارات التي دفنت فيها التماسيح مع بيضها وأفراخها الحديث فقسها ، وكقابر آباء منجل ، ومقابر الصقور ، ومقابر الثعابين والسماك<sup>١</sup> .



١٤٢ - تابوت من البرنز لقطه  
(برلين ٢٠٥٥).

ولم تكن هذه الحيوانات تدفن في إيجاز واختصار ، وإنما كانت كثيرا ما تحنط على أدق طريقة وتدفن في توابيت ، أو قلوب ، أو تماثيل من البرنز . وهي توجد في كثير من هذه المقابر في جموع هائلة ، حتى إن الصناعة الحديثة استخدمت الجثث المقدسة استخداما دنيويا : فقد استخدمت مقابر القطط في بني حسن في إنتاج السجاد الصناعي .

وقد شاهد هيرودوت كذلك الأعياد في المعابد العظيمة في الدلتا ، تلك التي اندثرت

في الوقت الحاضر ، والتي شاد بذكر عظمتها وجلالها . وتدل أخباره على أن هذه الأعياد كانت ترقى بها إلى الذروة إذ ذاك تمثيلات من أساطير الآلهة . فكان يوجد مثلا في سايس في حرم معبد نيت قبر أوزيريس تحيط به أجمة بها مسلتان وبجانبه بحيرة مستديرة ، كانت تمثل عليها آلام الإله<sup>٢</sup> . وفي عيد آخر كان يوثى بكاهن عصبت عيناه ، يرتدى ثوبا نسج خصيصا لهذا الغرض ، وذلك على الطريق الذي كان يؤدي إلى معبد إيزيس ، حيث يقوده إليه ذئبان ، هما على ما يبدو الإلهان أوبوات ، ثم يعودان به ثانية<sup>٣</sup> . ولعل هيرودوت هنا وفي غير ذلك ، حينما يتعلق الأمر بأوزيريس وإيزيس ، لم يبين أسباب هذه التمثيلية خشية ورهبة . ولكنه — عند ما يتعلق الأمر بأخته

(١) عن موميئات الحيوانات المقدسة انظر : Lortet - Gaillard, La faune momifiée (Lyon).

(٢) Herodot II, 170, 171.

(٣) نفس المرجع ١٢٢ .

أخرى — فأنة يتكلم بجرية أكثر . وقد روى أن الإله ، الذى يسميه هرقل ، عندما اشتاق يوما إلى رؤية آمون ، لم يظهر له آمون إلا متخفيا فى رأس كبش ، ولذلك كان أهل طيبة يذبجون فى عيد آمون كبشا ، ويلبسون تماثيل الإله فروة هذا الحيوان ويجعلون من أمامه تماثيل هرقل . وكانوا عند ذلك يضربون أنفسهم ثم يدفنون الكبش<sup>١</sup> . وفى بابريمس فى الدلتا دخل الإله الذى يسميه هيرودوت آرس ، يوما معبد أمه بالقوة ليجعل منها زوجة له ، ولهذا كان يُخرج بتمثال الإله من المعبد فى ليلة العيد . وعند غروب الشمس كان الكهنة يعودون به على مركبة ذات عجلات أربع ، ولكنهم كانوا يجدون أكثر من ألف رجل مسلحين بالهراوات واقفين بالباب ليحولوا دون دخول الإله فى المعبد . وكان لابد لزمره الإله أن تعمل على دخول الإله غضبا فى معركة مروعة بالهراوات<sup>٢</sup> . وكما كان الأمر فى هذه الحال لابد أن كان الشعب كذلك يساهم فيما عدا ذلك من أعياد بأكثر مما تسمح بالظن به نقوش المعابد . فقد كانت قضاء فى إحدى الليالى سايس بل مصر كلها إضاءة عامة ، وذلك بإقامة المصابيح حول المنازل<sup>٣</sup> ، وكان النساء فى عيد أوزيريس يتجولن هنا وهناك ، يغنين على الزمار الأغاني عن الإله ، ويحملن تماثيله بحيث يتحرك ذكره<sup>٤</sup> . وفى المناحة التى كانت تقام لهذا الإله نفسه فى أبوصير كان سائر الشعب يضرب نفسه من وقع ما يشعر به من فجيعة ؛ وكان الكاريون المقيمون هناك يشتركون كذلك فى هذا الاحتفال — على أنهم لم يكونوا يكتفون بضرب أنفسهم ، وإنما كانوا كالمجم يمزقون لحومهم بالمدى<sup>٥</sup> . وكان فى العيد الكبير فى بوسطة يتدفق إلى هذه المدينة سبعمائة ألف من الناس من كل صوب : « يبحر الرجال والنساء معا وعلى كل سفينة منهم عدد كبير . ومع كثير من النساء الصنوج يصفقن بها ، ويزمر كثير

(١) نفس المرجع ٤٢ .

(٢) نفس المرجع ٦٣ .

(٣) نفس المرجع ١٦٢ .

(٤) نفس المرجع ٤٨ .

(٥) نفس المرجع ٦١ .



١٤٣ - شمال لياست من العهد  
المتأخر ، ويمكن مرفقها بقطعتها  
وسلاطها . وهناك قردان يتسلقان  
كتنبيها ، ينفخ ثالث المزمار إلى  
جانبا ( برلين ١٢٤٢٤ ) .

من الرجال طوال الرحلة ، على حين يغنى بقية الرجال  
والنساء ويصفقون بأيديهم . فإذا مروا بمدينة أرسوا  
السفينة ، وظل بعض النسوة يعملن على نحو ما ذكرت ،  
ويسخر بعضهن صائحات بنساء المدينة . ويرقص غيرهن ،  
على حين يرفع البعض الآخر ثيابه إلى أعلى . وكذلك  
يفعلون عند كل مدينة تقع على النهر ، فإذا بلغوا  
يوسطة أحيوا العيد بالأضحية العظيمة ، واستهلك  
من التبيد في هذا العيد أكثر مما يستهلك في بقية العام كله .  
وكان الشعب يشترك كذلك في العبادة عن طريق

تقديم الأضاحي ، وإن كان هذا تحت إشراف الكهنة .  
وكان أحد هؤلاء الكهنة - وهو الكاهن « وعب »  
بلا شك - يفحص أولا الأضحية ، فإذا لم تكن بها  
شعرة واحدة سوداء ، وإذا كان شعر الذيل ناميا نمواً

صحيحاً ، وإذا لم يكن باللسان شيء غريب ، علق خاتماً بقرنها ، وبهذا كان يعلن  
أنها طاهرة ٢ . « ويساق الحيوان الموسوم على هذا النحو إلى المذبح ، حيث تكون  
التضحية ، فتوقد النار ويسكب على الأضحية البنيذ ، ثم يذكر اسم الإله ، وتذبح  
ويقطع رأسها . ويسلخ الجسم ، أما الرأس فيستنزلون عليه اللغات . . . راجين إن  
كانت هناك مصيبة توشك أن تنزل بهم أنفسهم أو بمصر ، أن تقع على هذا الرأس ٣ .  
ولهذا لم يكن المصريون يأكلون رعوس الحيوانات ، وكانوا في المدن التي يعيش فيها  
الإغريق يبيعونها لإلهم ، أما في البلاد الأخرى فكانوا يلقون بها في النهر .

وفي هذا الجزع من رعوس الأضاحي من الحيوان ما هو غريب عن العادات  
المصرية القديمة . فلقد كان رأس الثور الصغير وفخذه بالذات القطعتين اللتين كانتا

(١) نفس المرجع ٦٠ .

(٢) نفس المرجع ٣٨ .

(٣) نفس المرجع ٣٩ .

توضعان على سائر مواثد القربان في العهد القديم . وما يرجع كذلك على وجه التحقيق إلى التأثير الأجنبي حرق القربان وكان أمرا استثنائيا محضا في مصر من قبل ( صفحة ١٩٨ ) ، فأصبح الآن طقسا عاديا ؛ ، وما يؤيد هذا أيضا أن حرق القربان كان يتخذ في اللغة المتأخرة اسما مشتقا من كنعان وهو « جليل » .

ولعله كان من الأمثلة الأجنبية كذلك أن الوحي بالغيب ، الذي كان له دور كبير في العالم الإغريقي في ذلك الوقت ، قد بلغ تمام ازدهاره في مصر أيضا . وقد عرف هيرودوت على ضفاف النيل ما لا يقل عن سبعة آلهة ، كانوا يوحون بالغيب . وكان مهبط وحي الإلهة بوطو في البلد المسمى باسمها يعتبر من أكثر مهابط الوحي تمتعا بثقة الناس ٢ . وكانت الآلهة في بعض الأحيان تعلن عن مقاصدها عن طريق بعض الأحداث المفردة الغريبة : وكان المصريون يلاحظونها بعناية ويدونون ما يراها من نتائج ٣ . وكانوا يندبون كذلك إلى أن حظ كل إنسان إنما يتقرر وفقا ليوم مولده ، لأن كل يوم إنما ينتمي لإله معلوم ٤ . وكانوا بصفة عامة أتقى البشر جميعا ، كما أنهم كانوا يتميزون عن غيرهم بكثير من العادات : ومنها الختان الذي كانوا أول من سته ، وكان ذلك حقا بقصد النظافة والطهارة ٥ ؛ ومنها كذلك نفورهم من الخنازير ٦ ( ومن المحقق أن لذلك علاقة بما ورد من أن ست وهو في هيئة « خنزير أسود » قد جرح حورس ) ٨ . وأخيرا وقبل كل شيء تلك الرهبة التي كانوا يحسون بها نحو البقر ، حتى إنهم كانوا لا يأكلونها ، ولا يضحون بها ، كى لا يسيثوا إلى إيزيس ذات قبرني البقرة « ولهذا لا يقبل أى مصرى أو مصرية إغريقيا أبدا ،

(١) نفس المرجع ٤٠ .

(٢) نفس المرجع ٨٣ ، ١٣٣ ، ١٥٥ .

(٣) نفس المرجع ٨٢ .

(٤) نفس المرجع ٨٢ .

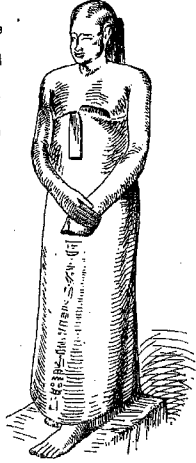
(٥) نفس المرجع ٣٧ .

(٦) نفس المرجع ٣٦ ، ٣٧ .

(٧) نفس المرجع ٤٧ .

(٨) انظر الأسطورة في كتاب الموتى فصل ١١٢ .

ولا يستعمل سكينه أو سفوده أو مرجله ، ولا يأكل من لحم ثور طاهر قطع بسكين .  
 لإغريق<sup>١</sup> . وكان الكهنة يتميزون عن الشعب بشدة رعايتهم لتلك « العادات التي  
 لا تخصي » . وكانوا يرثون وظائفهم عن آباءهم<sup>٢</sup> ،  
 ويحصلون كل يوم على جراية وفيرة من الخبز ولحم  
 الثيران والأوز والنيذ ، غير أن السمك كان محرّما  
 عليهم ، بل لم يكن يجوز لهم حتى النظر إلى الفول<sup>٣</sup> .  
 وكان حتماً عليهم الاغتسال مرتين ليلاً ومرتين نهاراً<sup>٤</sup> .  
 وأن يخلقوا رؤوسهم كل يوم وأجسادهم كل يوم  
 ثالث . وكانوا طبقاً لعادة قديمة يتخذون نعالمهم من  
 البردى ، وثيابهم من الكتان — لأن الثياب الصوفية  
 تمقتها الآلهة<sup>٥</sup> .



١٤٤ - حارى ، كاهن في

هليوبوليس في عهد السيادة الفارسية  
 (برلين ٧٧٣٧) .

والتقارئ اليوم لوصف هذا الرحالة الإغريقي يرى  
 أنه قد أولى مصر الاحترام الذي يمكن أن تطالب به  
 حضارة قديمة جدا . غير أن نظريته إلى الشعب التي  
 لم تكن في حقيقة أمرها لتختلف كثيرا عن نظرتنا اليوم  
 إلى الصينيين والهنود . فكان المصريون عنده بقية من  
 عصر راحل من عصور البشرية ؛ وكانوا ينظرون  
 في ترفع وتعصب إلى الشعوب الأخرى ؛ التي كانت  
 غير طاهرة ، وغير قريبة من الآلهة قريهم منها .

(١) هيرودوت نفس المرجع السابق ٤١ .

(٢) نفس المرجع ٣٧ .

(٣) نفس المرجع ٣٧ ؛ لانستطيع أن نخمن سببا لذلك المنع الذي يرجع بالتأكيد إلى زمن متأخر :

(٤) وكان الكاهن إذا قلد وظيفته اغتسل في « البحيرة الطاهرة » للمعبود ثم يظهر باللبطرون .

(Brugsch, Thesaurus 1072) انظر كذلك الفصل ١٢ ص ٢١٢ .

(٥) Herod. II, 81 ويرجع سبب ذلك حقا إلى أن زمن التقى السحيق الذي تنسب إليه بلائس الكهنة .

كان لا يعرف غير ملايس الكتان .



وما كانوا يستطيعون ، بل لم يشاءوا الأخذ بأي نصيب في الحياة التي ازدهرت في هذه القرون ، وإنما أرادوا أن تستمر حياتهم على ما كانت عليه حتى ذلك الوقت في خدمة آلهتهم وتحت حمايتها . فإذا تحقق لهم ذلك فإن سائر ما عداه لم يكن ليغني عندهم كثيرا .

ولم تكن مصر فضلا عن ذلك إبان زيارة هيرودوت لها بالبلد الهادئ المطمئن ، كما يمكن أن يبدو من وصفه لها . فقد نجح المصريون مرارا في التخلص من نير الفرس ، حتى إنه ليبدو طوال بضع عشرات من سنين في منتصف القرن الرابع كأن الدولة الفرعونية القديمة كانت تريد أن تنهض من جديد . ولما له ميزة خاصة أن يقظة مصر هذه تتجلى كذلك في الديانة المصرية بالذات ، وإنه لتبتدى لنا في كل مكان في مصر تقوى ملكي القرن الرابع اللذين نسميهما مع الإغريق نقطانب ، فإنه على قلة أمن مركزهما السياسي — إذ أخضعهما كذلك في الواقع الفرس — قد بنى في عهدهما من المعابد ما يجعل الأمر يبدو كأن مصر امنحوتب ورمسيس تنهض من جديد . وقد استخدمت في هذه المباني أصلب المواد وأتمنها ، وإن ابتناء معبد بأكمله بالخرائيت الأحمر من أسوان ، على نحو ما قام به نقطانب الأول في بهيت مسقط رأسه ، إنما كان من الإسراف الذي يعدّ من المسائل التادرة في تاريخ البناء في مصر .<sup>١</sup>

وفي نقوش هذين الملكين يلاحظ المرء كذلك الاهتمام ذاته بإرضاء الكهنة . ففي أيديوش وجد المتدينون ما يسيئهم في قطع الأحجار من الجبال المحيطة بالمدينة المقدسة مهما كان البناء . فأصدر نقطانب الأول استجابة لشكاوهم سنة ٣٧٨ مرسوماً يجرّم أي إتلاف بعد ذلك في الجبل ، وجعل عقاب ذلك بتر أعضاء الجسم .<sup>٢</sup> ولما اعتلى العرش نقطانب الثاني سنة ٣٦١ أبدى في الحال حبه لآلهة بلاده وكرهه للأجانب . وكان سلفه قد فرض ضريبة العشر على جملة الواردات والمصنوعات ؛ ولم يكن نقطانب كذلك في مركز يسمح له بالتخلي عنها ؛ ولكنه منح جزعين كبيرين منها للإلهة نيت

(١) وفي اليونانيين بنى هذا الملك نفسه الخنوم معبداً فخماً ، عفظك لنا منه حتى اليوم أعياه القسمة . ومقتصورته العظيمة ( انظر Ae. Z. المجلد ٤٦ صفحة ٥٦ ) .

(٢) برلين ١٤٣٩٩ ؛ انظر : Burchardt, Aegypt. Zeitschrift 44,55 .

من أجل قرابينها وهما : الضريبة التي كانت تؤديها الواردات من بحر الإغريق ،  
والضريبة التي كانت تجبي من الصناعات في المدينة الإغريقية نقراتس<sup>١</sup> . وإذا لم يكن  
لأحد من فراعنة القرن الرابع أن يستغنى عن هؤلاء الأجانب الصناع المهرة . وأن  
يمنع سكانهم بأرض مصر المقدسة ، ألا يقتضيم هذا جزاء يؤدونه للألآفة !  
ولكن أى كراهية هذه نحو الأجانب تلك التي يتيحها هذا الإجراء لدى المصريين  
الأثقياء ! على أنها كانت كراهية الشيخوخة الضعيفة ، التي لا بد أن تخمد بسرعة .  
فبعد قليل من عشرات السنين خضع الكهنة أنفسهم في ذلة للإغريق الذين سادوا البلاد .  
وفي عهد الانتقال هنا حفظ لنا أثر يبدو لنا كأنه حلقة اتصال بين عهدين ، وهو  
قبر أحد الكهنة العظام من المدينة المقدسة الأشمونين (هرموبوليس) (صفحة ٧٢) .  
وقد يخبر هذا الكاهن الفترة السيئة من أواخر العهد الفارسي . وقدّر له كذلك أن  
يشهد العهد الطيب للسيادة الإغريقية ، ذلك هو بتوزيرس كاهن الأشمونين الأعلى  
الذي كشف لمقرره عن مقبرته الرائعة .  
وقد خدم « منذ الطفولة » بإخلاص إله الأشمونين ، « وحفظ في قلبه » أفكاره ؛  
ولذلك اختاره تحوت أيضا ليدبر معبده ، وقد ظلّ مديرا لأملاكه سبع سنين .  
وكانت إدارته لها مبرأة من كل عيب على رغم الزمن السيئ الذي كان عليه أن يقوم  
بها فيه ، وذلك لأن مصر كان يسودها إذ ذاك « أهل البلاد الأجنبية » ، أي الفرس .  
« ولم يعد شيء في مكانه القديم » ؛ وكانت الحرب تضطرم في مصر ، والفرز يسود  
الوجه القبلي ، والهياج في الوجه البحري ، وكافة الناس في حيرة وارتباك . ولم يبق  
لأى معبد سدنته ، ولم يعد الكهنة يحسنون معرفة شيء . غير أن بتوزيرس لما أصبح  
مدير أملاك « جعل معبد تحوت كما كان من قبل . وجعل كل شيء ( مرتبا ) من  
جديد ، وكل طقس مقدس يؤدى في وقته . وزاد من شأن الكهنة ، وعظم كهنة  
معبده العلمانيين ، وورق خدمه أجمعين ، وأعطى الإرشادات لسدنته . ولم يقلل من  
الأطعمة في المعبد ، وملا أهرامه بالشعير والقمح ، وخزائنه بكل شيء طيب ، وقد  
أعطى أكثر من ذى قبل ، حتى شكره أهل المدينة جميعا . وأعطى الفضة والذهب

وسائر أنواع الأحجار الثينة ، وأفرح الكهنة (؟) وكل من كان يشتغل في مصنع الخلي . وهكذا أعاد كل « ما وجد مخرباً » إلى الازدهار من جديد<sup>١</sup> . وقد اهتم قبل كل شيء كذلك بكافة الأماكن المقدسة التي كانت موجودة في هذه المدينة الجلييلة . وكان منها ذلك المكان الذي كان يسمى « البحيرة العظيمة » ؛ وقد كانت « المكان الذي نجم فيه رع منذ النشأة الأولى ، عند ما كان المحيط لا يزال يحيط بالأرض » ، وكانت مكان مولد سائر الآلهة ، وقد نشأ فيها كل ما نشأ . وكان هذا المكان الأجل ، الذي ظل « مدفوناً فيه نصف البيضة » ، التي نشأ منها إله الشمس ، مهملاً تماماً ، « فكان فلأشرار يطأونه ، وكان الناس يأكلون الفاكهة من أشجاره . وكان الغاب يؤخذ منه إلى كافة الأنحاء » . وإلى هذا يرجع السبب في الشقاق والشفاء الذي أصاب مصر .

على أن بتوزيرس « مدّ الزراعين حول « البحيرة العظيمة » » ؛ ولم يسمح للعامة بالدخول فيها ، وبنى فيها ، بما يناسب هذا المكان ، معبداً لرع من أحسن أنواع الحجر الجيري ، وبأبواب من خشب الأرز ، مصفحة بالنحاس<sup>٢</sup> .

ولم يكن أقلّ سوءاً حال معبد حقت ، تلك الإلهة الفطرية القديمة ، التي في هيئة الضفدعة . وكان يقع في شمال الأشمونين مكان ظل « يسمى على أفواه الشعب « بيت حقت » ، ولكنه كان مخرباً منذ أمد بعيد ، تجرفه المياه كل عام فلم تبق منه لبنة واحدة أو حجر . وكان يبدو كأن لم يحفر له أساس أبداً . . . وما كان فيه إلا العشب والنبات . وفي أوان الفيضان كانت السفن تجرى من فوقه ؛ أما في الصيف فكان يتخذ جرننا تدرس فيه الثيران » . عند ذلك حدثت أعجوبة ، فإن بتوزيرس بينما كان يشترك في عيد الإلهة ، ويمضي أمامها في المركب - هذا إذا صحّ فهمي - ظلت هي قائمة في هذا المكان المقفر ، فأدرك ما كان يعنيه ذلك ، وعزم على أن « يشيد أثراً جميلاً . . . فدعا كاتب المعبد وأعطاه فضة « بغير حساب » ؛ وأقام فضلاً عن ذلك جداراً يحيط بالمكان لحمايته من الماء ، ثم أعطى لتسينا ليبنى به . وتشاور مع كافة

(١) Lefebvre, Le tombeau de Petosiris (١) النص رقم ٨١ ، ٢٢ - ٤٧ .

(٢) نفس المرجع ٨١ ، ٥٠ .

الحكماء ليعبثوا ما يقضى به العرف القديم « منذ أن عرفه الإنسان » للأيام التي فيها تزور الإلهة هذا المكان وتقيم فيه ١ .  
وقد سرّت الإلهة هذه الأبنية وغيرها ، « ورفعته تحوت على سائر نظرائه ، مكافأة له على ما فعل ، وأغناه بكل شيء طيب ، بالفضة والذهب ، والحبوب . . . في الشون ، وبالخقول والقطعان ، والكروم وحدائق الفاكهة ، والسفن تجرى في الماء ، وبكل أطياب الخزانة » .

إلى جانب هذا « امتدحه حاكم مصر وأحبه رجال بلاطه » . وكان له أن يمتحن لنفسه حياة طويلة بهيجة ، وقبرا إلى جانب أبيه وأخيه ، وبيننا مليئا بالولد ، يتبع فيه الولد غيره من الأولاد ٢ . وهذا كله ليس إلا صدى الماضي : حتى إن من يقرأ ما سقناه من نصوص ليتصوّر بتوزيرس مصريا تقيا من طراز عتيق ، على أن هذا التصوّر إنما هو نصف الحقيقة ليس غير ، فقبوره بالذات يدل على أنه عاش عند مفترق عهدين . وبناء القبر على شكل المعبد يبدو في حدّ ذاته أمرا جديدا ، على أنه أغرب منه تلك الصور التي حليت بها جدرانها . فكما أن أمراء الزمن القديم عملوا في مقابرهم على تصوير سائر ما كان يحيط بحياتهم ، فصوروا قطعانهم وحقولهم ، وصناعهم



١٤٥ - صياغ من مقبرة بتوزيرس .

(١) نفس المرجع ٨١ ، ٧٠ وما بعدها ٦١ ج (C) .

(٢) نفس المرجع ٨١ ، ٨٣ وما بعدها .

وموظفهم ، فقد أراد كذلك أن تكون له مجموعة مماثلة من الصور في مقرّ راحته.<sup>١</sup>  
 الأخير . غير أنه لم يطلب من الفنان ، الذى أدى له هذه الصور ، أن يرتبط بالأمثلة  
 القديمة منها ، وإنما تركه على حريته . على أن مثل هذا الفنان قد اتصل في المدرسة  
 بالتحاين الإغريق ، وكان يحاول تقليد فنهم . وبهذا نشأت صور من طراز خليط  
 غريب ، تنتمى من حيث موضوعها إلى آلاف السنين الغابرة ، غير أن كل شكل  
 فيها إنما هو شكل أجنبي غير مصرى . إلى جانب هذا فإن التفاصيل الأجنبية غير  
 مصرية أيضا ، فالتناس يتخذون الملابس الحديثة ، والحيوب تدرس بأداة مستحدثة  
 هى مضرب الدّراس<sup>٢</sup> . وإنه ليبدو لنا غربيا حقا ، إذا شاهدنا في هذه الصور  
 ما يصنعه الصائغون من أو ان على الطراز الإغريق ، وعلى غطاء إحداها يجلس إيروس  
 ( إله الحب ) في شكل بديع<sup>٣</sup> .

ويبدو هذا كله في مجموعه كأنه من المساخر ، التى لا يتوقعها أحد في مثل  
 هذا المكان المقدس . ومع ذلك فلم يكن الأسلوب الجديد هو وحده الذى فرض هذا  
 على بتوزيرس ، ولكن لا بد أنه هو نفسه قد وجد مسرّة في مثل هذا التجديد ، وإلا  
 لما غير كذلك في حرية كبيرة تلك النصوص الملحقة بالصور ، التى لم يكن لأى  
 إغريق أن يستطيع قراءتها<sup>٤</sup> .

فإلى جانب الأشخاص الذين يجمعون العنب نجد العبارة التالية : « تعال يا سيدنا ،  
 وانظر إلى حدائقك التى يبتهج لها قلبك ، إن البستانيين يعصرون ( العنب ) ، وعلى  
 الأغصان عنب كثير له عصير أوفر من عصير أى سنة أخرى<sup>٥</sup> ؛ اشرب واسكر  
 واعمل ماتحب<sup>٦</sup> . ويقول أحد الملاحظين لأحد الحاصدين وهو يشرب : « لم يتلق  
 أحد بعد شيئا من يديك ، لاتشرب اليوم قبل أن تعمل<sup>٧</sup> » .

(١) نفس المرجع لوحة ١٣ .

(٢) نفس المرجع لوحة ٨ .

(٣) ظهر ما يشبه هذه النصوص حقا في المقابر المصرية القديمة ، على أن كتابات بتوزيرس ليس لها  
 مثال سابق مماثل ، وهى بالتأكيد من اختراعه الشخصى .

(٤) نفس المرجع ٤٣ .

(٥) نفس المرجع ٥٢ .

حقا لقد كان بتوزيرس رجلا من عصر جديد ، وهو وإن ظلّ مخلصا لعقيدة آباؤه القديمة ، فقد تقبل مع ذلك الحضارة الإغريقية التي نجحت في أن تكون لها السيادة في مصر وفق إرادة الآلهة . ولذلك فإننا نفهم جيدا أنه كان محبوبا لدى « حاكم مصر » ١ ، أى في بلاط الاسكندرية .

وتمّ شيء آخر في مقبرة بتوزيرس جدير بالانتباه : ففى كثير من نصوصها تتجلى روح طليقة ذات صفات خاصة ، ليس لها أدنى صلة بأى تأثير إغريقي . مما يبدو مثلا في الصور التي سلف ذكرها ، وإنما تنبض تلك النصوص بذلك التدوين العميق ، الذي عرفناه في الدولة الحديثة والعصر الذي تلاها ( صفحة ١٥٨ ) . فالذى يملأ حياة بتوزيرس إنما هو شعور التقوى الذي يربطه بإلهه ، وهو « تحوت العظيم مرتين » . وكان هذا الإله رائده طوال حياته ، وهو الذى هداه إلى أن يكون مخلصا له . ولهذا فهو يهيب بمن يزور قبره في المستقبل : سأرشدكم إلى طرق الحياة . ومن ثم سوف ترسون في العالم الثانى تحذوكم ربح رخاء . لقد وضع ثقتي في الإله منذ الطفولة إلى اليوم ، فكان يفكر بالليل فيما عسى كانت إرادة الإله . ويعمل في الصباح ما يحبه الإله . وكان يقول الحقّ وينفر من الظلم ، ولم يتعامل مع من لم يكونوا يعرفون الإله ، ولم يعتمد إلا على المخلصين للإله ، وذلك لأنه كان دائم التفكير في أنه سوف يذهب بعد الموت إلى الإله ، وأن سادة الحق سوف يجلسون لمحاكمته .

هكذا كانت تقريبا عقيدة بتوزيرس ٢ . وليس من الصدفة بالتاكيد أن نجد في تعاليم أمون إم أوبى ( صفحة ١٨٢ ) ، شعورا تقيا مماثلا ، يتجلى كذلك بشكل واضح في تلك الدعوات الموجهة إلى تحوت ، والتي ذكرناها من قبل ( صفحة ١٥٩ ) . ويتعلق الأمر في كلتا الحالتين ، كما في حالة بتوزيرس ، بأشباع تحوت الذين يعلنون ، عقائدهم هذه ، ولا يمكن أن يكون هذا من قبيل الصدفة . فقد كان الموظفون والكتبة

(١) لقد كان هناك كثير من أمثال هؤلاء الكتبة المتقنين ، وستعرف على أحدهم ، وهو مانيتو ، في الفصل الحادى والعشرين .

(٢) وربما يتصل بهذا أن بتوزيرس قد وصف فيما خلفه الزوار من كتابات في العهد اليونانى ، الذى كان ينجح فيه إلى قبره ، بأنه « حكيم بين الحكماء » ( انظر Lefebvre, Le Tombeau de Petosiris . الجزء الأول ص ٢٤ )

الذين يخدمون تحوت ، من الطبقة العالية المثقفة من الشعب ، التي كانت تحيا فيها حقا روح عالية ؛ ومن المحقق أن هذه الروح قد عاشت بعد ذلك ، وخاصة عندما أصبح تحوت هو هرمز ، الذي كان يعتبر ممثل الحكمة السامية . وسنتكلم فيما بعد عن هرمز هذا وعن أتباعه . حقا لقد غدت التعاليم التي يمثلونها شيئا آخر غير تعاليم جماعة تحوت القديمة ، على أنهم ورثوا الاعتقاد بأن إلههم هو الإله الذي يعلم الحكمة العميقة .

وحيث ذكرنا هنا هذا الازدهار الثاني للروح المصرية ، يجب أن نفكر في كتاب ينطق عن روح الحضارة المصرية القديمة نفسها ، وقد ازدادت دماثة . وصفاء . لقد حفظت لنا هذا الكتاب بردية أنسنجر الديموقراطية<sup>١</sup> ، وهي وإن كانت قد كتبت في القرن الأول بعد الميلاد ، إلا أنه من المحقق يقينا أن ماجاء بها يرجع إلى ما قبل ذلك . ولسنا نستطيع مع الأسف فهم الكثير من تفاصيل هذا الكتاب فهما تماما ، على أنه ليس مجرد مجموعة من آداب السلوك ، ولكن من المحقق كذلك أنه لانتقصة هذه الآداب ، وذلك لأن هذا الكتاب يحذر كذلك من رذائل الغضب والشهوة وعدم الاعتدال ، ويبنه إلى عواقبها المهلكة وهو يمتدح الزوجة الطيبة والطفل المحب للمعرفة . وينصح الإنسان بأن يظل في موطنه ؛ وذلك لأنه في البلاد الأجنبية ليس له أهل يساعدونه ، كما أن إلهه المحلى بعيد عنه . ولا ينبغي أن يغضب من قدر أي شيء ، فالإله الصغير يمكن أن يكون له أثره ، والتميمة الصغيرة يمكن أن تقي ، وقليل من المسرة يجي القلب ، والفضيلة مهما تكن يسيرة لا تخفى على الإله .

على أن هناك فكرة أساسية تتخلل تعاليم هذا الكتاب جميعا ، كما أنها تؤولف نهاية كل فصل من فصوله الكثيرة : « يجرى القضاء والحظ ، والإله هو الذي يجرهما » .

وينظر الكتاب إلى حياة الإنسان في علاقتها بالإله ، فالإله هو الذي يعرف التقى كما يعرف الأثيم ، وهو يحمي أحدهما في أوان الشدة ، ويعاقب الآخر . والقوى والضعيف أمام الإله سواء . ولا ينبغي أن نرى في كلمة « إله » إشارة إلى آلهة

(١) نشرها ب . ا . بيزر Boeser ، ليدن ١٩٢٢ .

العقيدة المصرية كل على انفراد - وإن كان يرد في بعض الظروف ذكر نحتوت  
 وحانحور وموت وتويرس - وإنما الإله هنا هو حاكم العالم كما هو الحال في أقدم  
 الكتابات ذات الاتجاه المائل . وعلى من ينكر هذا الإله أن يقته إلى ذلك الخفى ،  
 إلى الشمس والقمر ، والصيف والشتاء . إنه هو الذى يمنح الهواء والماء ، ويرزق  
 الأحياء الطعام . وهو يجعل الأرض تلد الملايين ، ثم تعود فتلتهمهم ، ثم تلدهم من  
 جديد . وهو يصدر أوامره إلى الناس ؛ وهو الذى يفرض القانون ويحقق العدل  
 دون محكمة ، ولكنه يظل خافيا .

وفى هذا يتجلى لنا ناحية غريبة من تاريخ الفكر المصرى . وعلى المرء هنا أن  
 يسلم بأنه من الممكن كذلك أن تكون هذه الحكمة قد أثرت فيما بعد على فلسفة  
 التصوف لبويماندر<sup>١</sup> وهرمس تريمجستوس .

(١) أشار بيزر (Boeser) إلى أن من المواضيع ما يشبه ما جاء عن بويماندر .



## الفصل العشرون

### الديانة المصرية في البلاد المجاورة

قبل أن نستعرض المصائر الأخيرة للديانة المصرية ينبغي أن نلقي نظرة على ما كان لها من انتشار في فترة ازدهارها الطويلة في البلاد المجاورة ، وعلى ما كان لها من تأثير فيها .

لم يكن للحروب والغزوات أثر في انتشار الديانة المصرية بقدر ما كان للاتصال السلمى بين شعب وشعب . والمصريون أنفسهم وإن لم يكونوا شعبا تجاريا ، فهم لم يكونوا



١٤٦ - من أحد الأواني من الحجر من كريت القديمة .

ليستطيعوا الاستغناء عن مثل هذا الاتصال . فقد كانت بلادهم ، على غناها ، تفتقر إلى بعض المنتجات الهامة ، التي لا يمكنهم إلا أن يستوردوها من الخارج . فكانت العطور والبخور تجلب من البلاد الواقعة في جنوب البحر الأحمر ، والأحجار الثمينة والنحاس من سينا ، وأخشاب البناء - وكانت أهم الواردات جميعا - من لبنان . ومن كان يذهب إلى هذه البلاد ، مخترقا الصحارى والبحر الخفيف ، كان يستودع نفسه عند قيامه برحلته آلهة مصر ؛ وفي عودته آلهة البلد الأجنبي ، وذلك لأنها تحكم المناطق التي عليه أن يخترقها .

ولا مرأه في أنه كان هناك اتصال قوى مع كريت ؛ وهناك ما يدل أيضا فيما نعتقد على أنه كان لهذا الاتصال أثره كذلك على ديانة كريت ؛ فعلى إناء من حجر يرجع تقريبا إلى بداية الألف الثانية قبل الميلاد ، صورة موكب أقيم لتمجيد إحدى آلهة الحصاد هناك . ويقود المغنين الكريتيين ، الذين يسرون في هذا الموكب ،

رجلى صغير يتضح من رأسه الحليق ومن السستروم أنه كاهن مصرى ، وهو يقوم على ما يبدو بين البرابرة بدور رائد المرتلين ١ .

وهناك قرينة أخرى وإن تكن أقل دلالة . فقد رأينا أن العقائد الجنازية القديمة للمصريين تعتمد قبل كل شيء على فكرة وجوب إطعام الخلف للموتى . وتتجلى هذه الفكرة في المقابر كلها في الصور الأساسية التي تمثل الميت وحده أو مع زوجته وهو يتناول الطعام . ومن الصعب أن تكون الصدفة هي السبب في أن نجد هذه الصورة نفسها في نقوش المقابر القديمة في شمال سوريا : تلك التي ترجع بالتحقيق إلى الألف سنة الثانية قبل الميلاد . وأن تعود تلك الصورة التي تمثل



١٤٧ - شاهد مقبرة ملكة سورية من سده -

جرى (برلين) .

الميت طاعما ، مرة أخرى على نقوش المقابر الإغريقية القديمة . وعادة دفن الجثة في تابوت أو في تابوتين لحمايتها ليس لها كذلك معنى إلا عند شعب يعتقد أن من الضروري حفظ جثة الميت . وعلى هذا فان هذه العادة التي نجدها في أوروبا وفي الشرق إنما هي مقتبسة من مصر . وكذلك المقابر الإتروسكية بصور جدرانها إنما تبدو لنا تماما كأنها تقليد للمقابر المصرية . وإلا فكيف كان من الممكن أن تظل الأعمال العظيمة ، التي قام بها المصريون من أجل موتاهم ، دون أثر على الشعوب التي اتصلت بهم ؟ ومع هذا فمن الحق أنه لا يزال مشكوكا في أن يكون في هذا أكثر من اتخاذ عادة أجنبية من الناحية الشكلية ليس غير ، إذ من الجائز أن تكون الشعوب الأخرى قد شكلت مقابرها طبقا لما جرت به العادة في مصر ، دون أن تعرف تفاصيل العقائد الجنازية للمصريين . وأولى بهذا الشك هو جميع ما وجد

(١) يدل أحد النصوص المصرية القديمة جدا على أن الجثث كانت تحفظ في كريت كما في مصر

من أشياء ذات طابع مصرى فى بلاد البحر الأبيض المتوسط ، فى شمال أفريقيا أو فى غربى آسيا ، لأنه إذا كان قد استخدم على الآثار الرمز المصرى للحياة ، أو الإله ذو رأس ابن آوى ، أو الشمس المجنحة ، أو تيجان الآلهة ، فما كان هناك ما يدعو إلى أكثر من الظن بأنها رموز المصريين الأتقياء ، وأنها أشياء من المحقق أنها قد تعجب الآلهة الخاصة .

وإننا لنقف على أساس أشدّ متانة فى فلسطين وفينيقيا ، حيث نجد العبادات المصرية والوطنية جنبا إلى جنب . ففى بيت شيان مثلا شيد ملوك الدولة الحديثة ، أو بالأحرى حكام الحصون ، معبدا للإله المحلى مِكِرَ وزوجته حيث كان يعبد كذلك رشف وعنات إلى جانب آمون رع وحراختى .

وإلى الشرق من بحيرة طبرية صحرة منعزلة جاء عنها أن أيوب اعتمد عليها ، وقد مثل عليها رمسيس الثانى وهو يمجدها متبربرا ، يبدو أنه كان يسمى « . . . للشمال » . وقد افتخر رمسيس الثالث كذلك صراحة بأنه شيد فى فينيقيا معبدا لآمون ، كان « بيتا مليئا بالخفايا والأسرار ، وكان يشبه الأفق السماوى الذى فى السماء » . وكان اسمه « بيت رمسيس فى كنعان . وقد صنع الملك كذلك تمثالا كبيرا لآمون يستقر فيه » يسمى « آمون رمسيس أتى إليه شعوب سوريا بتقدماتها ، وذلك لأنه إلهى » ١ .

وعلى الجملة فلنا أن نذهب إلى أن الحضارة المصرية فى عهد الدولة الحديثة كان لها تأثير كبير فى هذه البلاد وكذلك على الديانة فيها . وقد أصبحت الأختام تحمل صور الآلهة المصرية ، كما أصبحت المقابر تحلى على الطريقة المصرية ٢ . على أن الأمر لم يبلغ حقا عند هؤلاء الشعوب أن تكون للديانة الأجنبية السيادة على الديانة الوطنية وعلى ما ورد إليهم قبل ذلك من عقائد من بابل . ولم يحدث ذلك حتى فى جبيل ، تلك المدينة الواقعة على الساحل التى كانت منذ الأزمنة السحيقة على صلات قوية بمصر من أجل تجارة الأخشاب . فقد كان ملوك الدولة القديمة ومن

Harris I 9,1 ff. (١)

(٢) فى مجموعة كنارد (Kennard) فى لندن جزء من صورة من جدران مقبرة مائلة .

بينهم منكاورع (باني الهرم الثالث) يهدون إلى معبد هذه المدينة التقدّمات ، التي ما زال يكشف عنها فيه . ولم تنقطع هذه الصلة الدينية مطلقا ، وقد وجدت جبيل سيدها كذلك إلى أسطورة أوزيريس<sup>١</sup> ، وكذلك ذكرها أحد كتاب الدولة الحديثة ، كأنها مدينة مليئة بالأسرار ، يمكن أن يقال الشيء الكثير عن إلهتها<sup>٢</sup> . وكانت هذه الإلهة ، وهي بعلة جبيل أو « سيدة جبيل » كما تسمى في اللغة المصرية ، الحامية العظيمة للملاحين ، ومنهم كذلك الملاحون المصريون . وقد سوّى هؤلاء بينها وبين إلهتهم حاتحور ، ولهذا كانت حاتحور تسمى منذ ذلك الوقت « سيدة جبيل »<sup>٣</sup> . وكانت حاتحور تعتبر كذلك حامية الملاحين وإن كانوا لا يبحرون إلى جبيل وإنما في البحر الأحمر ، بل إن السفينة التي كان

الميت يبحر فيها إلى السماء كانت تقودها حاتحور سيدة جبيل<sup>٤</sup> . وأخيرا كان أهل جبيل أنفسهم يعبدون إلهتهم في شكل حاتحور؛ وحوالي عام ٤٠٠ ق . م . كانت الإلهة التي كان ملك جبيل يقدم لها دعواته تشبه تمام الشبه حاتحور المصرية وإن كانت هي بعلة



١٤٨ - يهوا ملك جبيل ، أمام إلهة جبيل .

جبيل .

وهكذا كانت جبيل في الواقع مدينة مقدسة لديانتين . وفي العهد الروماني نسمع كذلك أن رأسا مصنوعة من لحاء البردى يدفعها الريح كل عام بطريقة عجيبة تحت إرشاد الآلهة من مصر إلى جبيل<sup>٥</sup> .

وكان آمون يعبد في الدولة الحديثة في جبيل أيضا ، على أن جذور عبادة آمون في حقيقة الأمر لم تتأصل في جبيل ، وذلك لأنه عند ما سافر أونامون ، أحد الموظفين

(١) انظر صفحة ٩٩ .

(٢) Anastási I ; Litt., 288.

(٣) وفي الدولة الوسطى نفسها كان يطلق اسمها على الفتيات الصغيرات .

(٤) Lacau, Textes religieux no. 20.

(٥) Pseudolucian, De Dea Syra.

فى معبد طيبة ، حوالى سنة ١١٠٠ ق . م . إلى جبيل (صفحة ٣٥٢) ، ليجلب منها الخشب اللازم لصنع سفينة مقدسة جديدة ، لم يكن فيها شىء من احترام الديانة المصرية . ولم يكن هناك أثر كبير لإيفاده رسولا لآمون حامله له تماثلا . وكان من العيب أن يستشهد بأن أبا أمير جبيل وجده كانا يعتبران آمون « سيدهما » ، وأنهما « قضبا حياتهما يقدمان له القرابين » ، وأن الأمير نفسه « خادم آمون » . وقد اعترف الأمير بهذا كله وسلم كذلك بأن الفنون والتعاليم إنما وردت من مصر إلى فينيقيا ، ولكن هذا كله لم يجرّك فيه ساكنا ، إذ لما كان آمون لم يرسل مالا ، لهذا لم تكن رغبة الإله تساوى عنده شيئا .

وفى واحات الصحراء الغربية كان يعبد فى الزمن القديم الإله آش : الذى كان يشبه ست ٢ عند المصريين . وقد حلّ محله فيما بعد ست ٣ وسوتخ ٤ . وفى الدولة الحديثة أصبح آمون الإله الرئيسى للمعابد فى الواحات ؛ وكذلك فى العهد المتأخر ، الذى أخذ فيه آمون فى مصر يتقهقر تدريجا إلى الورا ، تملك الليبيون فى الواحات به فى إخلاص . وفى القرن الخامس ازدهرت عبادته فى الواحات بطريقة ملحوظة .

وفى عهد ملوك الفرس بدئ بإقامة معبد كبير فى الخارجة ، كما أن إقامة المعابد فى الواحات الأخرى ترجع إلى العصر المتأخر جدا . ولما لم يكن سكان هذه الواحات من الرأى بحيث يستطيعون تشييد مثل هذه المباني بوسائلهم الخاصة ، لهذا فإن لنا أن نعتقد أن المال اللازم ورد إليهم من مصر . ولأنه ليظن أن هذه المعابد فى الصحراء كانت تعتبر عند المصريين مقدسة حافلة بالأسرار بنوع خاص ، وأنها لهذا قد استفادت من الاعتقاد فى النبوة بالغيب فى العصور المتأخرة . وليس من شك فى أن الأمر كان على هذا الحال فى تلك الواحة التى تقع أبعد ما تكون عن مصر ، وهى واحة جوييت — آمون ، التى تسمى الآن سيوة . وكان المهبط وحى آمون فى سيوة بين الإغريق النازلين فى برقة ، والذين كانوا يعيشون على بعد سفر أيام قليلة منه ، جمهور عارف بفضل نشر شهرته فى عالم البحر الأبيض المتوسط . فكان الناس يقصدونه

Erman, Litt. S. 233 ff. (١)

Royal Tombs II 22, 179, 178; 23, 199, 200. (٢)

Sethe, Sahure II, 74; Israelinschr. 11 (Litt. S. 343); Rougé, Inscr. 144. (٣)

(٤) عن سوتخ ، انظر صفحة ٤٥ ، ١٢٠ .

من آسيا الصغرى ، ومن بلاد الإغريق ، وقرطاجنة لاستشارته . وقد رفع من مجده كذلك مناسبة خاصة حسنة ، فإن الإسكندر عند ما ذهب إلى مصر عام ٣٣٢ راقبه أن يشاهد هذا المكان ، فقام بتلك الحملة في الصحراء التي كان لها على الإغريق أثر كبير . ولما حياه الكاهن الأعلى وفقا للعادة المصرية كأنه ابن للإله ، أعجب الملك أن يرى في هذه التحية ما هو أكثر من مجرد عبارة تقليدية ؛ فقد كانت العبارة عنده قرارا من الإله يمنحه به السيادة على العالم . ومنذ ذلك الوقت أصبح مهبط وحى جوبيتر — آمون إحدى العجائب العظيمة في الزمن القديم ، وغدا معبده ومصدر الشمس فيه من الأشياء الشهيرة التي تستحق المشاهدة . وإذا كان آمون قد طفق يصير بسرعة زيوس عند الإغريق — وقد مثل على هذا النحو على النقود القديمة في برقة — فلقد احتفظ الأهالي أنفسهم بالتقاليد المصرية ، فكان إلههم يشبه آمون المصري ، وكان يجبر بالغيب بالطريقة التي كانت متبعة في طيبة . ويتسمى معبدا سيوة حقا إلى القرن الرابع قبل الميلاد ، وقد شيدهما الزعماء الوطنيون ، وكانوا على ما يبدو يعتبرون الملوك المصريين في العصر الفارسي ملوكا عليهم ا ، وقد حُلى أقدم المعبدتين على نحو المعابد المصرية ؛ ولكن بطريقة سيئة إلى حد كبير . ويشغل آمون وموت وخونسو باعتبارهم آلهة طيبة المكان الأول بين النقوش بطبيعة الحال ، أما صور الآلهة الأخرى فيبدو أنها أضيفت دون نظام ثابت . ويرجع المعبد الأحدث عهدا إلى عصر «نقطانب الثاني» ، فلم يكن عمره على هذا يزيد على بضع عشرات من سنين عند زيارة الإسكندر . ولقد حفظ لنا فضلا عن ذلك قبر لأحد الكهنة هناك ، وهو قبر «الكاهن» ، كاتب كتاب الإله باتحوت» : الذي كان «عظيما في بلده» ٢ . وهو من عمل ردىء أيضا ، غير أن نقوشه تتضمن فصولا من كتاب الموتى .

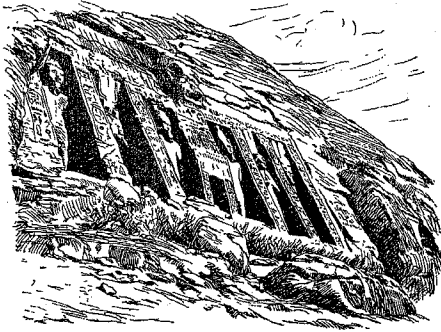
على أن الديانة المصرية قد وجدت أرضا شكورة وانتشارا واسعا في البلاد التي فرضت فيها على قبائل ذات حضارة منحطة ومواهب محدودة جدا ، وهي بلاد النوبيين والنزوح . وإذا كان ملوك الدولة الوسطى عند ما غزوا بلاد النوبة قد تركوا

Steindorff, Ae. Z. 69, 17 ff. (١)

Steindorff, Ae. Z. 61, 94 f. (٢)

لها إليها دوناً ، فقد ضموا إليه خنوم ، إله الشلالات المصرية . وفي الدولة الحديثة التي فيها امتدّ الغزو كثيرا إلى الجنوب ونظمت بلاد النوبة كولاية تابعة ، تمصرت فيها العبادة أيضا .

وقد شيد تحوتمس الثالث نفسه في أحد الحصون الذي كان يحمل الاسم الحربى « نحر الشعوب الأجنبية » ، معيدا لآمون رع ، معبود الكرنك ، وقد استحال هذا المعبد في القرون التالية إلى معبد آخر شبيهه بالكرنك<sup>٢</sup> . وكان يقع حيث يبرز في هضبة النوبة العليا جبل وحيد صعوده ، كان يسمى « الجبل الطاهر » ، ويدعى الآن جبل بركال . وفي هذا المكان نفسه كانت تقع نباتا عاصمة النوبة ومقرّ الملوك الأثيوبيين فيما بعد .



١٤٩ - المعبد الصغير في أبي سنبل حيث ترى على جانبي الباب تماثيل رمسيس الثاني وزوجه .

وإلى جانب آمون رع انتقل كذلك إلى بلاد النوبة الإلهان المصريان بتاح ، ورع حراختي ، وكذلك إيزيس وحاتور ، وقد أضيف إليهم الملوك المصريون كأهنة للبلاد أيضا . ففي سمنة كان على النوبيين أن يعبدوا الملك سيزوستريس الثالث ، وهو

(١) ورد دون في متون الأهرام نفسها كجانب للبخور : متون الأهرام ٩٩٤ ، ١١٠٧ .

(٢) Reisner, Ae, Z. 69, 35.

الفتاح الأول لبلادهم ، وكذلك نحوتمس الثالث ، الفاتح الحديد ؛ وفي صولب فرض .  
أميتوفيس الثالث نفسه لها ، وفي أبي سنبل جلس رمسيس الثاني بجوار الآلهة في قدس  
الأقداس في المعبد الكبير ، على حين كانت زوجته تعبد مع الإلهة حاتحور في المعبد  
الصغير . وفي عدا هذا كان من عادة النوبيين كذلك عبادة الأشخاص <sup>١</sup> .

وقد شُيد في هذه البلاد القليلة السكان المعبد تلو المعبد - حتى في عهد الإلخاد .  
وفي عهد رمسيس الثاني خاصة شيدت هنا المعابد الكبيرة في أبي سنبل وجرف حسين  
وبيت الوالى وغيرها . ولما كان الوادى الضيق لا يبيء مكانا فسيحا لهذه المباني ، فقد  
اتخذت هنا الوسيلة التي اتبعت في هذا العهد بالذات في المقابر الملكية الضخمة .  
فحتمت المعابد في باطن الصخر ، وبهذا ابتدعت أعمال مدهشة يمكن أن تقارن بالمباني  
ذات الشهرة العظمى في الأراضى المصرية . ومن الواضح أن كهنوت هذه المعابد  
قد تلقوا أوقافا مناسبة من حقول ودخول - وإن كانت مثل هذه المنح لا تتفق مع  
فقر البلاد . بل لقد كان يعتمد على هذا القطر الفقير في النفقة على بعض المعابد التي  
لم تكن في بلاد النوبة . فعندما أقام سبتى الأول لأوزيريس معبده الكبير في أبيدوس  
منحه إقليميا في بلاد النوبة ؛ ويدهشنا أن نقرأ المرسوم الملكى الطويل بكافة ما ينثر به  
في جزئياته من عقوبات لتأمين الكهنة على دخلهم <sup>٢</sup> . ومن اليسير أن نقدر أن هذا  
التوسع العظيم للديانة المصرية قد خلف تأثيرا دائما على السكان الفقراء في البلاد الجنوبية .  
فعندما انفصم الرباط الذى كان يجمعهم بمصر بعد نهاية الدولة الحديثة كان لابد  
أن تتخلى اللغة المصرية بسرعة عن مكانها للغة الشعبية ، غير أن الديانة المصرية بقيت  
وعظمت قوتها بين النوبيين والزنوج إلى حد تجاوز مدى قوتها في وطنها الأصيل .  
وقد تحققت بين ظهرائى هؤلاء البرابرة على أوسع مدى تلك المملكة المقدسة التي لم  
يتمكن كهنة طيبة من إقامتها في مدينتهم الأصلية إلا لأمد قصير ( صفحة ٣٥١ ) .

(١) وهكذا كانوا يعبدون في الدولة الحديثة في دبود « وى » الباور الذى ربما كان ضابطا في الدولة  
الوسطى . وقد حدث ما يماثل هذا مرة أخرى في العهد المتأخر ، انظر : Brugsch, Thesaurus 1425 .

(٢) نصب نوزى : انظر Griffith, Journ. Egypt. Arch. XIII



وكان الحاكم الحقيقي لبلاد النوبة هو آمون نباتا برأس الكبش<sup>١</sup> . فبوجيه كان الملك يُختار أو يُعزل أو يؤمر بموته<sup>٢</sup> ؛ وبأمره خرج الملك لاستخلاص الأراضي المصرية المقدسة من الأيدي النجسة ، ذلك لأن الأثيوبي في هذا العهد كان يعتبر نفسه الممثل الحقيقي للعقيدة المصرية الصحيحة<sup>٣</sup> ، بينما كان يعتبر المصريين أنفسهم أنجاسا مرتدين . ولما ذهب عظماء المصريين المغلوبين ليقدموا خضوعهم للملك الأثيوبي ، لم يسمح ذلك البربري إلا لواحد منهم بدخول سرادقه ، أما الآخرون فكانوا « غير مختونين ، ويأكلون السمك ، وهو رجس عند القصر »<sup>٤</sup> . وكان الملك في كل مدينة تقهرها له شراذمه المتوحشة ، يزور الآلهة ويهب لها الهدايا ، وذلك لأن آلهة مصر كانت آلهته أيضا . وقد حظيت طيبة قبل غيرها بمكان ملحوظ باعتبارها المدينة المقدسة في نظر الأثيوبيين ، وقد ظلت مدة طويلة في قبضتهم وحكمتها أميرات أثيوبيات بصفتن<sup>٥</sup> زوجات الإله ( صفحة ٣٥٦ ) .

ولما أشرقت أيام أسباتيك المحيطة على مصر في القرن السابع وتمّ إجلاء الأثيوبيين عنها ، ارتدّ وادى النيل الأعلى إلى الهمجية القصوى تارة أخرى . والذي يقرأ النصّ الكبير الموجود في متحف برلين ، حيث يقصّ الملك ناستسن<sup>٥</sup> — الذي اتخذ مروى فيما يبدو حاضرة له في عهد قميمز — أعماله العظيمة ، فانه لا يدرى أيعجب أكثر لبربرية اللغة والكتابة ، أم لبربرية ما تحتويه . ولكن هذا الزنجي لصّ البقر ، كان قبل كل شيء ، رجلا نقيًا مؤمنا بالآلهة المصرية ، وكان يقدم إلى الآلهة جزءا وافرا ينتهبه في غزواته من قبائل الصحراء ، كما كان يدين قبل كل شيء أيضا لآمون نباتا بالجميل ، إذ استدعاه يوما من مروى ونادى به ملكا ، وقد أقرت

Erman, Ae. Z. 35, 15. (١)

Diodor 3, 6. (٢)

(٣) تذكرنا وجهة النظر هذه بأن أسرة ماندشو في الصين كانت أشد من غيرها تمسكا بالعقائد الدينية . وكلا الفريقين أنصاف برابرة ، وقد كانا يريدان أن يخفيا ذلك بشدة تديهما

O. Franke. Z. D. M. G. 1923. Neue Folge. Bd. 2. S. 11, 12.

(٤) نصب يعنقى ١٥٠ .

Diodor 3,6. (٥)

الآلهة الأخرى قرار رئيس الآلهة ، حين طفق يزورها في مدنها عقب اعتلائه العرش .  
 وفي القرن الثالث قبل الميلاد تفككت حقا عرى مملكة آهون هذه التي قامت  
 بين الزوج والنوبيين ، وذلك عندما « اقتحم » الملك إرجامينس « ذو الثقافة  
 الإغريقية ، بجنوده قدس الأقداس ، حيث كانت المقصورة الذهبية ، وقتل الكهنة » ١ .  
 ومع ذلك فلم يتغير الطابع الديني للمملكة الأيوبية كثيرا ، ولم يكن لثقافة الحاكم  
 الإغريقية أى تأثير على شعبه . وقد حلت مروى مكان نابانا مدينة مقدسة . وهي  
 أكثر توغلا في الداخل ، وتقع إلى الشمال قليلا من الخرطوم ؛ وبهنا غدت الآلهة  
 أكثر بربرية وأكثر أفريقية في طابعها . والذي يرى صور معبدى بحراويه وبذأجا



١٥٠ - إله مصرى من معبد ناجا وهو عسك بذراعى ملك وملكة يتعدان .

وما تمثله من متوحشين في أكداش من الحلبي وهم يتعبدون بطريقة الفراعنة لآلهة  
 جافية في لباس نصف مصرى ، يلاحظ إلى أى حد من التدهور انحطت هذه السلالة

من الديانة المصرية . وإذا قدر لنا التوفيق يوما في فهم نصوص هذه الملكية الأثيوبية المتأخرة ، وهى مكتوبة باعتمها وخطها ، فإنه يصعب أن نخرج منها بصورة حسنة عنها . وكان هؤلاء البرابرة يعاملون أيضا موتاهم وفق التقاليد المصرية ؛ فكانت تقام لهم الشواهد الجنائزية وموائد القرابين ، وتبنى للملوك أهرامات بشكل مشوه غريب . وكما يبدو من صورها كان لأوزيريس وأنوبيس وإيزيس ونفتيس السلطة على الموتى أيضا .



وقد عُنى العالم اليونانى الرومانى بهذا الشعب التقيّ فى أقصى الجنوب ، وصدّقه عندما ادّعى أن بلاده هى مصر الحقيقية ، وأنه الشعب الذى أخذ عنه سكان مصر دينهم وفنهم وكتابتهم ١ . وعند ما جعل الشاعر الرومانى الناقد السيدة النبيلة تحجّج إلى « حدود مصر » لتجلب من هناك الماء الحقّ لمعبد إيزيس ، فقد استبدل بينابيع إليفانتين ، وهى المقصودة بطبيعة الحال ، بغير عناء « مروى الدافئة » ، التى كانت أكثر استشارة لشوق قرائه ٢ .

١٥١ - شاعده اثيوبى ، وعليه الميث يتعد لأوزيريس وإيزيس

ونحن لا ندرى مدى ما عاشت الديانة الأثيوبية ، ومع ذلك فإنه يظنّ أن الوثنية قد عاشت فى هذا الركن القصىّ من العالم زمنا أطول مما عاشته فى الأمبراطورية الرومانية ، ولو أنه من المعروف أن خصيا للملكة الأثيوبية كنداكى كان من أوائل المؤمنين بالدين المسيحى . على أنه من المقطوع به أن العقيدة الوطنية استمرت أمدا طويلا فى النوبة الشمالية ، التى خضعت لسيادة روما والتي لعبت دورا خاصا فى حياة مصر الدينية إبان العهد المتأخر .

وكانت منطقة الحدود بين بلاد النوبة ومصر مما يلى الشلال الأوّل جنوبا تدين فى بداية الأمر للإله العظيم خنوم ، الذى كان يحمى منابع النيل فى إليفانتين . وقد جاء

Diodor 3,3. (١).

Juvenal, 6, 527. (٢).

أن الملك زوسر اعتاداً على مشورة الحكيم إيمتب (صفحة ٣٤٦) وهب لهذا الإله منطقة المراحل الاثنتي عشرة على ضفتي النهر بكافة مواردها ومكوسها ، ليُشفي من جديد نيلا غزيراً إلى مصر ، التي كانت إذ ذاك في السنة السابعة من الجاعة .

وعندما سيطر أوزيريس وإيزيس على قلوب الناس شيئاً فشيئاً ، بلغ هذان الإلهان أيضاً أسى اعتبار لدى النوبيين ، وطفق معبد إيزيس في جزيرة فيلة الصغيرة الواقعة عند الطرف الأقصى للشلال ، يبرز أكثر فأكثر على هيكل اليفانتين المجاور . وفي عهد بطليموس فيلادلفوس بدى بتشييد المعبد الجديد ، الذي كان يعتبر بحالته السليمة وبموضعه في بيئة مهيبة من أجل ما عرف زماناً ، ولكن برابرة أوروبا أغرقوه في خزان من المياه .

وكان لهذا المعبد الواقع عند حدود البلاد المصرية مركز خاص ، لأنه كان يكفل الحاجات الدينية لشعبين في وقت واحد . وكان سادته هم ملوك الإغريق وأباطرة الرومان ، غير أنه كان يُسمح للأثيوبيين كذلك بدخوله والانتفاع به . وقد شيد فيه الملك الأثيوبي إرجامينس بالاشتراك مع بطليموس فيلوباتور هيكلاً لإله أرسنوفس . وتدلّ النصوص العديدة باللغة الأثيوبية على مدى ما أبداه أهل الجنوب من حماس في الحج إلى فيلة . وفي هذا المعبد وجدت آلهة البرابرة أيضاً مكانها ، ومنها أرسنوفس وإله الشمس مندولس ، وكان محله المقدس في تاليس ، التي كانت تقع كذلك من داخل منطقة الحدود ، وكان المتعبدون الوطنيون يطلقون عليه في الأناشيد الإغريقية « الرب مرسل الأشعة » .

وكان بدو صحراء بلاد النوبة ، البليميون ، يحجون إلى إيزيس في فيله ، ولم يكن للحكومة الرومانية ، التي سبب لها هؤلاء الرحل كثيراً من المتاعب ، إلا أن تسمح لهم بممارسة عبادتهم في فيلة . ومع أن المسيحية كان قد كتب لها الفوز في مصر منذ أمد بعيد ، فقد ظلت عبادة إيزيس في فيلة حبيبة للنوبيين والبليميين . وعند ما عقد القائد مكسيمينوس عام ٤٥٢ ب . م . معاهدة سلام مع الشعبين ، سمحت بيزنطة التقيّة لأولئك الوثنيين بحرية الحج إلى معابد فيلة ، وأن يستقدموا منها تمثال إيزيس كل عام

للاحتفال به . وبعد قرن متكامل ، عندما انقضت هذه المعاهدة ، أمر جستنيان بإيصال معبد فياة كذلك ، وحبس كهنته ، ونقل تماثيل الآلهة إلى القسطنطينية . وهكذا كانت قبلة آخر مركز للديانة المصرية ، وفيها نجد آخر آثارها ، التي خطتها يد مصري بنصوصها اليونانية والديموتيقية والهيروغليفية المتأخرة . وإنما لنجهل أصحاب هذه النصوص القصيرة المحفورة ، ولكننا لن نبخل بعطفنا على « الكاهن سمث » . وعلى « سمتمخ » القيم الأول على ملابس الإله ومظهره الخارجى ، لأنهما كانا آخر من عرفنا من كهنة الآلهة المصرية .

## الفصل الحادى والعشرون

### فى العصر اليونانى الرومانى

فى العهود التى سيطر فيها على مصر الملوك الصاويون ثم الفرس وخصوصهم الملوك المصريون، ظهر عنصر جديد فى بلاد الشرق، وهو الإغريق. وقد ظهروا جندا مرتزقة فى خدمة أهل الشرق، كما استقرّوا تجارا وصناعا فى مدنهم؛ وساعدهم جدّهم وكفالتهم فى كل مكان نزولهم على التقدّم. وقد تسرّبوا إلى الشرق فى هدوء، وذلك على نحو ما يحتلونه من جديد فى أيامنا هذه، مشتغلين بالتجارة والربا على كره من الشرقيين، غير أنهم يتصلون بهم بألف وسيلة من وسائل الاتصال التجارى. وقد سمح لهم فى عهد أمازيس بتأسيس مدينة إغريقية فى مصر؛ وهى نقراطس الغنية الآلهة بكافة القبائل الإغريقية؛ وعند ما جاء هيرودوت مصر، كان المصريون قد ألفوا تماما رؤية أمثاله من الضيوف. ولا ينبغي أن يُظنّ أنهم اكتسبوا حقارضاءهم؛ ذلك لأن الإغريق العادى كان لا يشعر بأى احترام نحو الشعب القديم ولا لبيئته المقدسة. وكانوا، على نحو ما يفعل الأوروبيون اليوم فى الصين، يرون لأول وهلة فى كل شىء ما يثير الضحك. فقد سموا مقابر الملوك فى منف الرغيف لما بدا لهم من شكلها؛ وأسماوا مقابر طيبة الناي؛ أما الأعمدة الحجرية الكبيرة المائلة أمام المعابد فقد كانت فى نظرهم سفافيد؛ وكانت حيوانات النيل الضارية تسمى بما تسمى به العظايا فى بلادهم. وقد سموا أقاليم مصر وآثارها بما كان مألوفاً لديهم من الأسماء، وذلك فى الغالب لوجود أى وجه شبه مع ما لديهم منها، وهكذا تمثّلوا كذلك على ضفاف النيل طروادة، وأبيدوس، وبابيلون، واللابرنس، وأبو الهول، وتمثال ممنون. وكانوا يشعرون بأنهم الشعب الممتاز، وهذه العطرسة الساذجة هى التى ساعدت فى الواقع على نجاحهم.

ولما جعلت حملة الإسكندر عام ٣٣٢ من الإغريق سادة للبلاد ، لم يكن منها إلا أن أتمت من الناحية السياسية ما كانت روح الإقدام عند الهيلينيين قد أعدته منذ أمد بعيد . ومنذ ذلك أضحووا الفئحة المسيطرة في مصر ، وغدت الحكومة وجزء من سكان المدن إغريقيا . على أن الغالبية العظمى من الشعب قد ظلوا أوفياء لقوميتهم ، أوفياء قبل كل شيء لعقيدتهم الموروثة عن الأجداد ، وظلوا هم المصريين الأتقياء كما كانوا من قبل . بل لقد اشتدّ تمسكهم بعقيدتهم أكثر مما كان من قبل . ومع أن هذه العقيدة قد تأثرت على مرّ القرون بالروح الإغريقية ، فإنها بقيت في الحقيقة على ما كانت عليه قبلا ، وبدلا من أن تنقلص وتنقهر ، أخذت تبرز إلى أمام ، فقد وجدت الآلهة المصرية لها عبادا كذلك من بين السكان الإغريق مع فارق واحد ، وهو أن الإغريق قد تحاشوا بقدر الإمكان استعمال أسمائها البربرية . فعبدوا عن عقيدة بتاح وآمون وحورس وحاتور ونيث ، ولكنهم آثروا تسميتهم هيفستوس وزيوس وأبولو وأفروديت وأثينا . وأصبح نحوت يُسمى كذلك هرمس بما يتفق وطبيعته ، كما كان لابد لإله القمر خنسو ، وهو ابن آمون ، أن يسمى تبعاً لذلك هرقل . بيد أن هذه التسميات قد ظلت من غير شك تتعلق بالشكل دون الجوهر ، ولم يكن أحد ممن يتعبدون في معبد الكرنك أو في معبد صا الحجر يتصور آلهة هذين المعبدتين في صورة الأُولمبي ( زيوس ) « وابنته ذات العيون الزرقاء » .

وبلد كصر في ذلك العهد ، تحظى الديانة فيه بمركز السيادة ، لا يمكن أن يحكم على الدوام ، إلا إذا كانت القوة الزمنية على وفاق مع الزعماء الروحانيين للشعب . ولهذا جعل الملوك الإغريق والأباطرة الرومان « السلطة الدينية » تحت حمايتهم على أن تؤيد من ناحيتها « السلطة الزمنية » . وهذه العلاقة التي استمرت زهاء الخمسمائة عام ، قد هيأت للعبادة المصرية خاتمة سعيدة ، فقد ظلت باقية في معابدها حتى النهاية يحفظها الجلال والعظمة ، وظلت الحكومة تحميها حتى في الوقت الذي بدأ فيه أهلها أنفسهم يهجرونها . ولا يعني هذا بطبيعة الحال أن القوتين ، اللتين عرفنا كيف تعيشان معا ، لم يحدث بينهما كذلك كفاح خفيّ دائم ، فقد كان هناك نزاع بشأن ما يسمى حقّ حماية اللاهوتيين ، إذ كان الكهنة في مصر وكذلك في البلاد الأخرى من العالم المعروف إذ ذاك يعتقدون أنه ليست هناك سلطة في المكان المقدّس لأيّ إله غير

سلطة هذا الإله نفسه ، ولم يكن للحكومة قول نافذ فيه ، فإذا ما التجأ مذهب أو مدين إلى المعبد أصبح تحت حماية الإله . وبهذا لم تكن تصل إليه أيدي رجال الإدارة ، وذلك طبقاً لوجهة نظر الكهنة على الأقل<sup>١</sup> . وكان هذا الحق يثير بطبيعة الحال خلافات دائمة ، ومع ذلك فلم تكن الحكومة لتنجسر على أن تنكره إنكاراً تاماً ، وإنما كانت تجتهد في الحد منه فقط . وكان الملك يمنح هذا الحق بأسلوب صريح معابد معينة ، كانت تمارسه في حدود دائرتها الضيقة ، أى في نفس بناء المعبد وفي محيطه المباشر . وكانت تقوم على حدود هذه الحكومة الحرة أساطين كان يمكن أن يقرأ عليها المرسوم الملكي الذي كان يعترف للإله بهذه الحكومة الحرة<sup>٢</sup> .

وكان النزاع حول ثروة الآلهة أشد من النزاع المستمر حول حماية اللاجئيين ، لأن الحكومة كانت تودّ بداهة أن تسيطر عليها ، وأن تكفل في مقابل ذلك للكهنة دخولا وفق ما تشاء هي . وقد وفق في هذا إلى حد ما الملوك الأول الأقوياء في البيت البطلمي ، فقد خفّضوا الضرائب والعوائد التي كانت المعابد تتسلمها ، واحتفظوا لأنفسهم بحق التصرف النهائي في ممتلكاتها العقارية ، بحيث أضحي الكهنة في واقع الأمر تحت رحمة الحاكم<sup>٣</sup> . غير أن قوة الكهنة و ثروتهم فيما أعقب ذلك من اضطرابات قد طفقت تنمو من جديد ، حتى قضى أغسطس على هذه الدولة التي في داخل الدولة ، وبهذا لم يكن الكهنة في ظل الإمبراطورية الرومانية سوى موظفين تحميم الحكومة ، وكان كبار رجال الدين دون البيروقراطية الرومانية . ولكننا - تارة أخرى - لا نجد أثراً صريحاً لهذه المنازعات إلا في الأوراق البردية الإغريقية ، أما الآثار الرسمية فإنها تبهجنا بما تدل عليه من ولاء للكهنة وشعور التقوى عند الملوك . أجل لقد عبّد الملوك الإغريق مع الآلهة المصرية ، فقد غدا الإسكندر الأكبر الإله الرسمي للمملكة ، كما نجد كآله الخلفاء اللاحقون من الملوك والملكات والباطرة الرومان - على أن هؤلاء الملوك لم يكونوا بطبيعة الحال آلهة للأفراد من

(١) انظر ما كتب بإسهاب في : Schubart, Aegypten, S. 301 ff.

(٢) Schubart, Papyruskunde, S. 346, 347.



الشعب - وإنما كانوا آلهة الحكومة ، وربما كان أهم شيء في هذا كله هو أنه قد غدا في إمكان الكهنة أن يضيفوا إلى سائر ألقابهم الأخرى لقب كهنة « الآلهة المحبة لأخواتها » أو كهنة « الآلهة الخيرة »<sup>١</sup> .

ولم تعوز الملوك المناسبات التي يدللون فيها على حسن شعورهم نحو المعابد . فقد عثر البطالمة الثلاثة الأوائل في حملاتهم الآسيوية على تماثيل الآلهة وأدوات المعابد والكتب التي اغتصبت من المعابد في العهد الفارسي ، وقد أبهجهم أنهم استطاعوا « أن يعيدوها إلى المعابد التي سلبت منها »<sup>٢</sup> . وكان للمعابد ادعاءات قديمة على قطع من الأرض ، فقامت تطالب بها . فقد أهدى مثلا الملك خبأش ، أحد الملوك المناهضين للحكم الفارسي في مصر ، لمعبد بوتو منطقة كاملة قريبة منه . ولكن اكسركسيس ، بعد أن غلبه على أمره ، ألغى هبة هذا الناثر . وقد انتقمت آلهة بوتو من اكسركسيس وهيات له ولابنه خاتمة مشينة ، ولكنها لم تعوّض أبدا عما سلبه منها عند ما أبطل هبة خبأش . ففرض كهنة بوتو أمرهم على أول البطالمة ، وقد وجد هذا الإغريق الماهر أن من المفيد أن يجيب رجاءهم .

وما خلفه الملوك المناهضون للحكم الفارسي كذلك من واجبات أخرى من هذا القبيل إتمام المعابد التي بدأوا بناءها ولم يتموها . فقد شيدت تحت حرحب (نقطانب الأول) مبنى ضخما من الجرانيت في بهبيت في الدلتا لإيزيس ، ولكنه لم يتمه ، فتعهده بطليموس الثاني وأتمه . وإذا كان الملوك قد ساعدوا أحد الآلهة على هذا النحو ، فهل كان لهم أن يفضوا النظر عن رغبات إله آخر لم تكن مكانته تقل عنه ، وكانت مقصودته في حاجة سريعة إلى بناء جديد؟ وهكذا ابتداء ببداية العصر البطلمي

(١) عدا هذا لقد كان لعبادة الملوك هذه ناحيتها العملية أيضا ولكن لمصلحة الملوك أنفسهم . فقد كانوا يستطيعون أن يرروا استيلاهم في بعض الأحيان على ثروة المعابد ، إذ كانت من الثروات التي لهم فيها كآلهة نصيب .

(٢) Kanopus 10 : 5; Pithomstele Ae. Z. 32, 74 ff. كان من الأفكار القانية في مصر في العهد المتأخر أن البرابرة يسرقون الكتب ؛ انظر Nesiansu 109 حيث صبت اللعنة على الزنوج والأثيوبيين والسوريين الذين يفعلون ذلك .

عهد جديد عظيم في بناء المعابد امتد حتى العصر الروماني ، ولا تزال منشآته العظيمة تطلعننا اليوم في كل مكان في مصر . فن بين ما أنشئ في عهود الحكام الإغريق والرومان نكتفي بذكر معابد دندرة وإدفو وكوم امبو وفيلة ، وإن كان إنشاؤها قد استغرق أزمانا طويلا . فعبد إدفو بنى في فترات متقطعة في الفترة من ٢٣٧ إلى ٥٧ قبل الميلاد ؛ واستغرق بناء كل من معبدى دندرة وكوم امبو حوالي قرنا من الزمان ؛ وابتدأ العمل في معبد فيلة في عهد بطليموس الثاني ، وكانت بعض الأعمال لا تزال تجرى فيه في عهد ماركس أورليوس . وفي عهد الإمبراطور دكيوس كان البناء لا يزال يجرى في معبد إسنا . ومن الطبيعي أن بعض ما كان يلزم من أموال للبناء كان من الخزائن الملكية ، على أنه من الثابت كذلك أنه كثيرا ما كانت الإنشاءات ، التي يبدأ بها بفضل هبة ملكية ، يستمر العمل فيها على حساب موارد المعبد الخاصة<sup>١</sup> . ولكن إذا كان قد أمكن استخدام ثروة الإله لهذا الغرض ، فقد كان الفضل في ذلك للملك . ولهذا كان الأمر أكثر من مجرد صيغة عند ما كان الملوك الإغريق والأباطرة الرومان يذكرون كنبأة للمعابد ، وعندما كانوا يمثلون فيها كمتعبدين بررة ، يقدمون القربان متضرعين عابدين . وسواء كانوا لا يعبأون شخصيا بالتمساح ، إله أمبوس ، أو ببلهة دندرة ذات قرني البقرة ، أو كانوا يعتبرونهما من الخرق ، فقد كانوا مع ذلك هم الذين يعملون على أن يظل هذان الإلهان في بهاء وعظمة .

ويتيح لنا النظر في هذه العلاقة بين الحاكم ورجال الدين نصب كبير أقامه كهنة مدينة منديس بالدلتا تكريما لبطليموس الثاني . فهم يمدحونه بأنه زار معبدهم عقب توليه العرش مباشرة ، وبهذا كان كبشهم أول حيوان مقدس مجده جلالة . وقد سير سقيته هذا الإله على المياه الخاصة بمعبده « كما فعل الملوك من قبله ، وأدى له جميع مناسك الزيارة ، كما هي مسجلة كتابة » . وقد رأى في نفس الوقت أن العمل يجرى لإصلاح الأضرار « التي كان البرابرة العجزة قد ألحقوها به » ، فأمر في الحال

(١) وكانت الجمعيات الخاصة بالتيقة تساهم كذلك في بعض الأحيان في بناء المعابد ، ومن أمثلة ذلك جمعية ساحور في إدفو ، وجمعية حارسحتوس في دندرة - وكلاهما في عهد أغسطس .

( Spiegelberg Ae. Z. 50, 36 ff.)

أن يكمل بناء المعبد . « ثم عاد جلالته إلى مقرّ ملكه يملؤه الجبور بما أسلف من عمل لأبائه ، كباش منديس العظام الأحياء » . وإذ توفيت الملكة أرسينوى في السنة الخامسة عشرة من حكمه ، وقد كانت أيضا كاهنة الكيش المقدّس ، أقيمت لها في منديس حفلة جنازية ، فيها « هلل الإنسان وأيقظت روحها للحياة إلى جانب الكباش الأحياء ، كما يحدث لأرواح كافة الآلهة والآلهات منذ البداية حتى اليوم الحاضر » ؛ وذلك لأن منديس « هي مدينتهم التي يستعيدون فيها شبابهم . وقد أمر جلالته بإقامة تمثال لها في سائر المعابد ، مما أرضى كهنتها » . أما في منديس فقد أخرج تمثالها مع الكباش المقدسة في حفل ، وسمى « أرسينوى فيلادلفوس حبيبة الكيش » . وقد مُنح معبد منديس كذلك منحة حقيقية ، فأعفيت مقاطعة منديس من ضريبة المعابر التي كانت تجبي في كل مكان آخر في البلاد ، وذلك لأن الكهنة « قالوا لجلالته ، إنهم لم يدفعوا ضريبة حتى ذلك الوقت ، وأن كل ما يدخل مدينتهم أو يخرج منها إنما يخصّ إلههم » ، وأن رع إنما خلق البلاد لتكوين إلههم . وإذ كان واجبا في أيّ مكان آخر توريد جزء من جملة موارد المقاطعة إلى خزانة الملك ، فقد سمح الملك بالألا يحصل هذا الجزء من مقاطعة منديس ، إذ ادعى الكهنة أن تحوت نفسه أصدر مرسوما ملوك المستقبل ، بأن يعملوا على توفير القرابين « للكيش الحي » ، « فإذا ما أنقص من هذه القرابين فستنشأ بين الناس مصائب لا آخر لها » .



١٥٢ - بطليموس فيلادلفوس وأرسينوس وأحد الأمراء يتبعون كيش منديس (نصب منديس).

وفي السنة الحادية والعشرين من حكمه تمّ بناء المعبد ، وقد احتفلت البلاد بأكلها

بتدشينه ، وأناب الملك ابنه عنه في هذا الحفل . وبعد الاحتفال سار الكهنة من وراء رجال البلاد إلى مقرّ الملك يحملون باقات الورود والدهون ليدخلوا السرور على قلب الملك ؛ « فتضمخ جلالته بالمرّ » ، وتشبعت ملابسه بالعطر ، « وأمر جلالته بأن يحمل بعضه إلى القصر ، وحذا حذوه كافة الأمراء » . وأخيرا جدّ في عهد هذا الملك حادث آخر سعيد من أجل منديس : فقد اهتدى إلى كبش مقدّس جديد . وقد أُعلن هذا الخبر للملك ، ليستدعى جماعة الحكماء لفحصه ؛ فاستدعاها من كافة معابد مصر ، ونظرت في الكبش ووجدت أن شكله يطابق ما ورد في الكتابات القديمة . وقد لقب : « روح أوزيريس الحية » ، وذلك كما جرت العادة منذ عهد الأجداد . ولما أخطر الملك بهذا ، أمر بأن يوضع الكبش الجديد على عرشه ، وأن يقام احتفال عظيم « لملك حيوانات مصر » ، حظى فيه تمثال أرسينوى بشرف مصاحبة تمثال الكبش .

وبينا تشيد النصب التي من هذا النوع بما قام به الملوك للآلهة من أعمال ، فإن هناك نصبا أخرى تبين لنا كيف كان الكهنة يصوغون شكرهم . في مناسبات خاصة كان الكهنوت أجمع يجتمعون في مصر في مجمع حافظ في أحد المعابد ، ويقررون ما يودون أن يخصوا به الملوك من تكريم غير عادى . هذا إلى جانب ما كانوا يولونهم من شرف عظيم : فقد كانوا يعترفون بهم في حياتهم آلهة ، أو بعبارة أخرى « آلهة محبة لإخوتها » أو « آلهة تعمل الخير » ، على نحو ما كانت تقتضيه عادة البلاط الهيلينى . فثلا عند ما كان الكهنة في الإسكندرية عام ٢٣٨ ق . م . بمناسبة عيد ميلاد الملك ، فقد اجتمعوا في كنوب ، المدينة المجاورة ، للنظر في جملة ما قدمه « الإلهان المحسنان » ، بطليموس الثالث وزوجته ، من أعمال للمعابد . « فهما قد أحسنا للمعابد في البلاد ، وزادا كثيرا في لإجلال الآلهة ، وأوليا أبيس ومنيفس وسائر الحيوانات المقدسة الجليلة (على أن منها كذلك حيوانات غير جليلة ) اهتمامها بكل وسيلة ، وفي إسراف وبذخ كبير » . وقد استرجع الملك في حملاته الحربية « التماثيل المقدسة ، التي اغتصبها الفرسان » ، وردّها إلى المعابد . وأخيرا لقد وفر لسكان البلاد السلام ، ووقاهم العوز في سغب الجماعة . ولهذا كان ينبغى أن تتراد مظاهر تكريم الملوك في المعابد ، « وينبغى

كذلك أن يسمى كهنة كافة معابد البلاد « كهنة الإلهين المحسنين » ، وأن يسجل ذلك هكذا في سائر الكتابات ، وأن يتقش على الأختام التي يحملونها أنهم « كهنة الإلهين المحسنين » . ويجب أيضا أن يضاف إلى الطوائف الأربعة ، التي يتألف منها الكهنوت المصرى وفق التقاليد القديمة ، طائفة خامسة من كافة الأشخاص الذين أصبحوا كهنة في عهد هذا الملك ومن أعقابهم ، كما ينبغى أن تسمى هذه الطائفة باسم « الإلهين المحسنين » . وإلى الأعياد الشهرية الثلاثة ، التي قرّرت من قبل للإلهين المحسنين ، ينبغى أن يضاف عيد كبير في كل سنة يحتفل به في المعابد وفي البلاد كافة ، وذلك في رأس السنة من السنة القديمة . ولكي تقع دائما في هذا اليوم من التقويم الأعياد الأخرى كما في هذه السنة التي تقرر فيها هذا العيد ، ينبغى أن يعدل التقويم ويجعل ثابتا . ولما كانت الأميرة برنيكى الصغيرة قد توفيت أثناء هذا المؤتمر ، فينبغى أن يقام لهذه الإلهة الجديدة تمثال في معبد كانوب إلى جانب تمثال أوزيريس . وإذا كانت قد توفيت في شهر طوبة ، وهو نفس الشهر الذى فارقت فيه ابنة رع الحياة (صفحة ٧٨) ، والذي كان يحتفل لها فيه في معظم المعابد بموكب كبير ، فإنه ينبغى أن تكرم برنيكى كذلك ، على نحو تكريم هذه الإلهة ، بموكب حافل في جملة المعابد في طوبة . وينبغى أن يكون لها تمثال من الذهب مرصع بالأحجار في المعابد الكبيرة ، وأن يطاف به في الأعياد مع سائر تماثيل الآلهة ، وينبغى أن يكون لها تاج من سنبلتين وحية وساق بردى تلتف من حوله أفعى . وينبغى أن تقدم بنات الكهنة وغيرهن من الفتيات القرابين لتمثال آخر لبرنيكى في عيد أوزيريس في شهر كيهك ؛ وينبغى أن تنظم لعبيدها الأناشيد وتسجل في الكتب المقدسة . وينبغى أن يتخذ هذا كله وكثير غيره في كتابة من ثلاثة خطوط باللغة القديمة ، واللغة الشعبية ، والإغريقية . ولنا أن نتساءل عما كان يجول بخاطر الملك الإغريقى من أفكار ، وهو يتقبل مثل هذا القرار من أيدي الكهنة شاكرًا ، وعما كان يعتور العناصر المؤمنة من رجال الكهنوت من مشاعر وهم يتفكرون في أن هذين « الإلهين المحسنين » ورجلها العظماء ليسوا إلا من كانوا يدعون من قبل « البرابرة البائسين » . حقا لقد كانت حالة غير طبيعية أن يبدو أكثر حكام ذلك الوقت استنارة أصدقاء للكباش والثيران المقدسة ، وأن تكرم

أقدم هيئة دينية في العالم ملوك شعب أجنبي أكثر مما كرمّت الملوك الوطنيين . لقد تنازل كلا الفريقين عن كثير من آرائهما ، ولكن كان لكل منهما ما يفيد من ذلك . وكانت السلطة ، التي حظى بها الكهنة لدى الشعب ، تعتمد في جوهرها على أنهم كانوا يُعتبرون حماة الأشياء المقدسة القديمة . ولهذا لم يكن لهم أن يسمحوا بإدخال أى تغيير ، وخاصة على المظاهر الشكلية للديانة بنوع خاص ، وهي التي كان الشعب يراها ؛ وإذا كان العهد الجديد قد أشاع في مصر الطراز الإغريقي للبناء ، فما كان ينبغي لهذا الطراز أن يجد سبيله إلى ما يستجدّ من عمارة المعابد . وقد ظلّ الكهنة يشيدون المعابد على نحو ما تصوّروا من تخطيطها في الزمن السحيق ، فكان يجب « أن يكون ارتفاعها جميلا ، وعرضها صحيحا ، وأن تقدر في مجموعها على أساس صحيح من جهاتها الأربع طبعا لحكمة تحوت ، ووفقا لما هو ثابت في الكتابات المقدسة »<sup>١</sup> . وقد أنشئ معبد دنلدرة وفق تخطيط من عهد خوفو ، وجاء أن المحوتب المؤله (صفحة ٢٧٨) هو الذي خطط بنفسه معبد إدفو . على أن هذه المباني الجديدة تتميز عن المعابد القديمة حقا بأنها بنيت بأكلها وفق فكرة واحدة ، على حين تتمثل عادة في المعابد القديمة تصميحات قرون مختلفة . وهذا الفارق هو نفسه الذي يميز في الوقت الحاضر بين كاتدرائية حديثة عن أخرى من العصور الوسطى . ويمكن من الناحية الفنية أن يجد المرء هنا كما يجد هناك نفس العيوب<sup>٢</sup> في المباني التقليدية الحديثة ، وهي المغالاة في الأشكال والزخارف الباهظة .

أما المناظر التي تزين الجدران ، فهي في موضوعاتها نفس مناظر المعابد القديمة ، فهنا على نحو ما هناك ، نرى الملك يقدم للإله النبيذ والجمعة والخبز ، أو يذبح له الأضحية ، أو يحمل إليه من الهدايا ناووسا ، وحليا وشخاليل وغير ذلك . ولكن المناظر هنا أكثر استطلاة وتنوعا منها في المعابد القديمة . ومن خلف الملك تقف آلهة أخرى ، وتصاحب المناظر نصوص ضمنت طرائف شتى ينبغي ألا تهمل . من ذلك مثلا أن الملك عندما يقدم مقدمة من قلائد أو مرايا أو « شخاليل » ، فإن النص ينعته بأنه « ابن » أو « وارث الإله بتاح » ؛ وذلك لأن هذا الإله هو الفنان بين

الآلهة ، وهو الذى يعرف كيف يصنع الأشياء الجميلة بما يشبه ما يقدمه الملك .  
وإذا قدم الملك جمعة ، فانه يفعل هذا باعتباره « ابن منكث » ، إلهة الجمعة .

وهذه إنما هي كتابات دقيقة ، كان يعجب بها كهنة هذه المعابد . ولم تكن هذه  
الكتابات تسمى عند ذبح الأضاحى ، فجزّار المعبد يسمى « الشجاع ذو السكاكين  
الكثيرة . . . العظيم في المذبحة ، البطل المغوار بين الأشرار »<sup>١</sup> ، كأنه كان يحاربها  
فتاكا وسط الأعداء ، في حين أن هؤلاء الأعداء إنما هم في حقيقة الأمر تلك الحيوانات  
الوديمة التي يطعنها ويقطع أوصالها .

بيد أن هناك ما هو أهم من هذه الكتابات . حقا إن من يجيل بصره في كتابات  
أحد معابد الدولة الحديثة ، وليكن أبيدوس ، وينظر بدقة في جملة المناظر ، فإنه لن  
يستخلص من هذا كله سوى الطفيف جدا من الحقائق الواقعية ، وهى : أسماء  
ما يعبد من الآلهة ، وبعض الشعائر ، وقائمة بالقرابين ، ثم في أحسن الظروف ،  
نصّ أحد الطقوس . أما ما عدا هذا مما كان يجرى في المعابد ولا بد أن كانت  
تجرى في مثل هذه المنشآت أشياء كثيرة ، فقد حجب عنا ، أو بالأحرى لم يذكر  
لأنه كان يعتبر شيئا واضحا أو غير ذى بال . أما في هذا العهد المتأخر فقد كان  
الأمر مختلفا ، إذ لم يعد هذا العهد يتبين كيف يجهز البخور للإله . وذلك لأن أحدا  
من تجار التوابل خارج المنطقة المقدسة لم يعد يجهزه — بالتأكيد — على النحو المطلوب .  
وإذ كانت الأعداء تسمى في المعبد « الأفواس التسعة » ، فقد كان يجب أن يتعلم  
الإنسان أولا أى الشعوب المقصودة ، وذلك لأن أحدا لم يكن يتحدث إلا عن  
الإغريق والرومان والسوريين والفرس في ذلك العالم . وكان يجب أن يتعلم المرء أى  
الكتب تودع في المكتبة ، وأى تماثيل الآلهة يمتلكها المعبد ، وكيف تسمى الساعات  
والأيام وفق العادات القديمة ، وأى الأحداث في زمن الآلهة أعطى اسمه لما في داخل  
المعبد وخارجه من أشياء . وكان يجب كذلك أن تعرف جميع الأعياد الكبرى وكافة  
ففاصيل العبادة ، ومتى يصعد المرء هذا الدرج ، ومن يجتاز ذلك الباب ، وفي أى

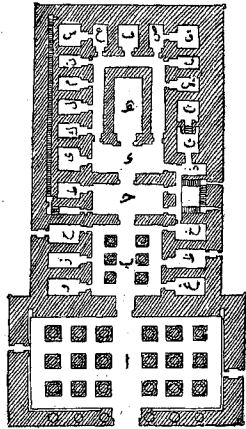
المواضع ينبغي أن يقف الموكب ؛ كما كان يجب أن يعرف أيضا جميع ما ينشد من أغان وما يتلى من صيغ . ولعلّ هذا كله كان مما لا يؤبه له في البداية ، غير أن القرون أضفت عليه قداسة كبيرة ، حتى إنه لم يعد ينبغي لأخلاف الكهنوت أن يجيدوا عنه حتى في أبسط الأشياء . ولم يكن يكفي أن يعهد به إلى قرطاس هش من البردى ، وإنما كان لابد أن ينقش في الحجر ليبقى إلى آخر الدهر . ولهذا تغطي جدران المعابد البطلمية نصوص تنبئنا بكل ما كان الكهنة أنفسهم يعرفون ، مما يتصل بالمسائل المقدسة أو المسائل العملية ، سواء كان من الأمور الهامة ، أو مما ليس بنسبى بال ، مما يؤلف مكتبة منقوشة بكل ما يتعلق بالمعبد . ولم يكن الكهنة ليخشوا أن يقرأ العلماء هذه الأسرار العظيمة ، ذلك أنهم استبدلوا بالهيروغليفية القديمة نوعا جديدا من الكتابة تحكروا فيها وفق هواهم ، حتى إنه كان لا يمكن أن يقرأها إلا من درّب عليها . وفضلا عن ذلك لم يكن أحد غيرهم يستطيع أن يفهم اللغة التي كانوا بها يكتبون حتى فهمها ، وذلك لأنهم هذبوا لغة الكتابة القديمة التي كانت لأبائهم ، بما يدلّ على سعة اطلاع لاحدّ له . فقد جمعوا تعبيراتهم من آداب ثلاثة آلاف سنة ، وكانوا في كتاباتهم كلفين باستخدام هذه التعبيرات التي لم يعد أحد يعرفها . وإنه لمن الممتع أنهم كانوا يكتبون نصا واحدا عشر مرّات جنبا إلى جنب ، مستخدمين في ذلك تعبيرات مختلفة في كل مرّة . وتتجلى سعة الاطلاع هذه في شيء آخر اشتقوه من كتابات أجدادهم . فقد كان يقال مثلا عن حاتحور « إنها تملأ القصر جمالا »<sup>١</sup> ، وذلك تعبير جميل من غير شك ، غير أنه للأسف لا يتفق مع هذه الإلهة بنوع خاص ، وإنما يتفق مع الملكة على الأرض التي تعيش في القصر . وكذلك أصبحت تستخدم كافة التعبيرات التي كان يشاد بها بأعمال الملك وبأسه . ففي إدفو وندرة نقرأ أن الأعداء جميعا قد أسلموا القياد ، وأن الشعوب كافة تحمل ذخائرها إلى الملك ، وأن البرابرة بأسرهم تحت قدميه . غير أن الملك الذي يشاد به على هذا النحو هو في بعض الأحيان حاكم إغريقي أو روماني ، ممن لا ينطبق عليه هذا إلا قليلا ، أما إله المعبد ، فهو عادة الذي تلقى إرث الفراعنة القدامى .



أما كيف كان يخطط أحد هذه المعابد ، فخليق أن يشرح ذلك معبد دندرة للإلهة حانخور « العظيمة ، سيدة دندرة ، عين الشمس ، سيدة السماء ، سيدة الآلهة كافة ، إبنة رع ، التي لا شبيه لها » . وقد كانت إلهة فرحة جدلانة ، فهي « ربة الابتهاج ، وسيدة الرقص ، وربة الموسيقى ، وسيدة الغناء ، وربة الوثب ، وسيدة ضمير التيجان »<sup>١</sup> . وكان الشعب بأسره يحبها وولدها الصغير ، إيحي « ملك الأطفال »<sup>٢</sup> . وعند ما كان تماثلها ينقل إلى المعبد ، كان الشبان يغنون « عند زوايا الطرق ، وأيديهم مليئة بالأزهار ، يمهدون لها السبيل »<sup>٣</sup> . ولم يتم بناء معبدها الذي كان يوصف بأنه « مقرّ النشوة » ، ومكان « الحياة الراضية » وغير ذلك من نعوت لاحتصى ، فهو يتقصه صرح المدخل والفتاء الكبير ، وكان يقوم مقام هذا الأخير ميداناً طليق أمام المعبد ، كانت

الجماهير تتجمع فيه في الأعياد الكبيرة . أما ضيوف الأعياد الممتازون من أصحاب الحظوة فكان مكان مكانهم في البهو الأمامي الكبير ( ا ) في التخطيط المجاور ) الذي يبدأ به المعبد الآن ، والذي يقوم فيه أربعة وعشرون أسطواناً يتوجها وجه حانخور تبسم لنا<sup>٤</sup> .

وإذا كان البهو الأمامي معبداً لأوساط الناس ، فإننا في البهو الكبير التالي ( ب ) ، « بهو التجلي » ، ندخل قاعات العبادة الحقيقية . ففيه كانت مواكب « الأعياد الجميلة تأخذ مكانها ، على حين كانت القاعة التالية ( ج ) « مقصورة التبربان » لمثل تلك الأيام ، حيث كان « الإله يقاد إلى أقواته » . ويؤدي بنا الباب التالي إلى القاعة الوسطى ( د ) ؛ وكانت



١٥٣ - تخطيط معبد دندرة .

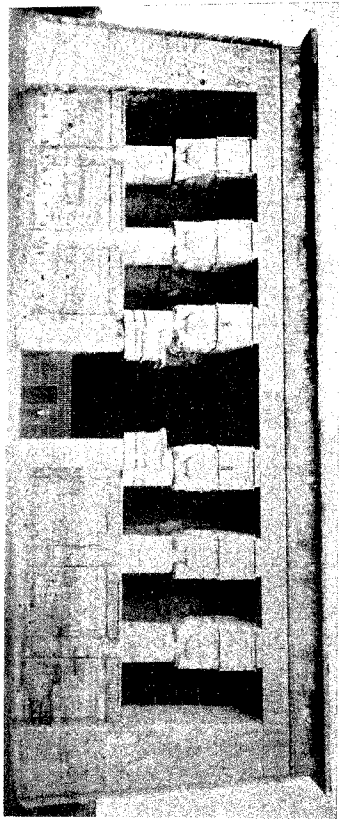
(١) نفس المرجع ٤٥ ، ٤٤ .

Mammisi d'Edfou. 87. (٢)

Duem. Baugesch. 39. (٣)

(٤) كل ما يلي هو وفق ما تفضل فأخبرني به هـ . يونكر .

لوحة ٩



١٥  
١٤  
١٣  
١٢  
١١  
١٠  
٩  
٨  
٧  
٦  
٥  
٤  
٣  
٢  
١

بمباشرة ردهة تبدأ منها المواكب ، وهو ما تدلّ عليه المناظر والتون على جدرانها ، وفيها نرى حملة الألوية ، الذين يتقدمون الآلهة عندما تغادر مسكنها في الأعياد . ومقصورة الأعياد هذه ( ه ) ، أو « الكرسي العظيم » ، هي قاعة مظلمة محاطة بجدار ، تتسع للنواويس وما يمكن حمله من زوارق الآلهة المختلفة ، والكاهن الذي يؤدي قبالتها مراسم الطقوس ، على نحو ما تصوّره المناظر على الجدران . ومن خلف هذه القاعة يقع قدس الأقداس الحقيقي ( ف ) ، الذي كان يضمّ التثال الرئيسي لخاتحور ، الذي كانت تقدّم له فروض العبادة في كل يوم ؛ وكان يحمل اسم « البيت العظيم » . وهو إحدى غرفات صفّ طويل من الغرف تحفّ بالقاعات الداخلية للمعبد من جانبيها . فعلى يسار « بهو التجلي » الغرفة المعدة لطبخ الدهون والعمطور ( و ) . وغرفة الزهور ( ز ) ، والغرفة التي كان يجلب إليها القربان بعد أن تكون خاتحور قد تمتعت به ( ح ) ؛ وفيها باب يؤدي إلى خارجها ، ولعله كان يصل بينها وبين أهراء الغلال الواقعة من ورائها . وإلى اليمين بضعة غرف منها خزانة المعبد ( غ ) ، وغرفة الماء ( ظ ) ، التي كان يؤدي بابها الخارجي إلى البئر . وكانت الغرفة ط على صلة على نحو ما يقرأين « مقصورة القربان » الواقعة بجانبها ، بينما كانت توضع في الغرفة ي ملابس الآلهة والدهون اللازمة لزيّنتها . أما غرف الجزء الخلفي من المعبد فأغلبها إما كن مقدسة . فالغرفة ل هي المكان الذي ولدت فيه الإلهة من أمها ؛ ولهذا تمثل مناظر جدرانها الملك وهو يقدم لخاتحور العطايا التي يحتاج إليها طفل إلهي ، وهي لبن وكثان . والحجرتان م ، ن هما مقصورتا أوزيريس وسوكاريس وحورس « موحد القطرين » ، والغرفة ق هي مقرّرع . أما الغرفتان المجاورتان لقدس الأقداس الثاني فهما تابعتان له ، فق ح كان يطهر تمثال الإله بالماء ، وفي ص ، وهي « بيت النار » ، كان يحرق البخور والقربان . وبالقرب منهما الغرفتان س ، ر ؛ وكانت تحفظ فيها آلات الموسيقى اللازمة للعبادة من شخايل وعقود كبيرة ، كان يصلصل بها في الرقص . وأخيرا تبدو الغرف ت ، ث ، ذ كأنها تولّف هيكلًا خاصًا . إذ كانت المكان الذي يحتفل فيه بالأعياد الكبرى بمناسبة تغيير السنة ، فكان يحتفل فيها بما يسمى « يوم الطفل » في العش ، وهو اليوم الذي ولدت فيه خاتحور ، وبالسنة

الجديدة وبأعياد أخرى كثيرة . وهي تتكوّن من معبد صغير مرتفع ، كانت الإلهة تجلس فيه على العرش وتدثر وتدهن ، ومن فناء كانت تقدّم لها فيه القرابين ، ثم من غرفة أمامية ، كانت تحفظ فيها الأشياء الثمينة اللازمة لهذا العيد .

وللمعبد درجان يؤدّيان إلى سطحه ، أحدهما طويل وكان يستخدم في مواكب الأعياد للصعود بتمثال الإلهة إلى السطح في احتفال بهيج . وكان على السطح نفسه معبد خاصّ صغير لأوزيريس ، لم يكن يصحّ أن يخلو من مثله معبد كبير في ذلك العصر ، وذلك لأن إلهه قد أصبح منذ زمن بعيد أقرب الآلهة جميعا إلى قلوب المصريين . وفي هذا المكان ، كان يجري أداء ما يسمى بالأسرار الخفية ، التي سنتناولها بالكلام فيما بعد ؛ وليس من شك في أن هذه الغرف التي نظّوها بأقدامنا الدنسة فوق سطح المعبد ، كانت تحوطها بغير شكّ أعرق الأسرار . ومع هذا فهناك أماكن أخرى يمكننا أن ندخلها في الوقت الحاضر ، وقد كانت أشدّ خفاء وعموصا . فجدران المعبد القوية تحمي في باطنها دهاليز سرية ضيقة ، لم يكن يتيسر لأحد أن يتوهم وجودها في الخارج ؛ في هذه الأماكن الخفية « التي لا يعرف أجنبيّ محتوياتها ، والتي تحمي أبوابها »<sup>١</sup> ، كانت تودع تماثيل الآلهة والأدوات المقدسة ، التي لم يكن يحتاج إليها في العبادة . ولعلّ التذوّر الوافرة قد وجدت فيها مكانا أيضا ، تلك التذوّر التي كان الأتقياء يهبونها للمعبد ، والتي كان من المستحيل إقامتها فيه جميعا . أما إذا كان هناك عدد أكثر من اللازم من هذه التماثيل البرنزية الصغيرة ، فقد كانت تدفن ببساطة في مكان ما في أرض المعبد المقدسة<sup>٢</sup> .

وهكذا كانت هذه المعابد تسمو بزيتها الوافرة وسط الأزقة الملتوية للمدن المصرية ، تعلن للجمهور ، الذي كانت مواكبه تزدهم في الخارج ، أنه وإن كانت الأزمنة تروح وتعدو ، فإن شيئا ما لم يتغير على هذه الأرض المقدسة . فعلى نحو ما كان يحدث دائما كان الكهنة يؤدّون طقوسهم اليومية في قدس الأقداس ، وفي الأعياد

(١) Duemichen, Resultate 36.

(٢) ذلك على نحو ما جرى في السرايوم في منف ، حيث وضعت آلاف التماثيل البرنزية تحت بلاط الطازيق (Wilcken, Urk. I, 10).

الخاصة ببعض الأيام . أما كيف كانت تجرى مثل هذه الأعياد والاحتفالات ، وما هي الأغاني التي كانت تنشّد ويردّد صداها المعبّد ، فلعّلّ في الأمثلة التالية ما يوضح ذلك ، وهي بضعة أمثلة قليلة من ذلكم العدد الوافر الذي نعرفه من نصوص المعابد .  
 ففي يوم رأس السنة كان الكهنة يتجهون ومعهم ناووس تمثال الإله إلى الدرج الذي يؤدّي إلى السطح ، فيرقونه في حفل بهيج . وفوق السطح كانوا يضعون الناووس في معبد صغير مكشوف ، ثم يفتحونه ليستطيع الإله أن « يبصر الشمس » . وكانت هذه العادة تجرى في دنندرة وإدفوا ، وفي معابد أخرى كذلك بطبيعة الحال ، وهي تعني في ذلك الوقت بالتأكيد أن الإله « يقابل أباه » ، فهو يحبه في بداية العام ، حينما كان الناس يحبون بعضهم بعضا . على أن هذه الشعيرة قد تكون في الأصل شيئا آخر ، إذ يبدو أنها تنطوي على فكرة تتصل بالعقائد الجنازية نقلت إلى الآلهة .  
 أجل لقد كانت أمنية الموتى دائما أن يخرجوا بالنهار من ظلماتهم وأن « يبصروا الشمس » ؛ ولهذا فن الجائز أن تكون هذه الأمنية وجدت سبيلها كذلك إلى الآلهة ، وقد رأينا في الفصل الخامس عشر كيف تطرقت التصوّرات والطقوس المتصلة بعالم الموتى إلى المعابد .

وفي يوم آخر كان يحتفل بعيد نصر الإله ، الذي قهر أعداءه ، ثم استوى على عرشه . وكان يقدم إليه إكليل النصر وتضرب مغنيات المعبد على الدفوف ويغنين :  
 أقبلوا في ابتهاج يا آلهة البلاد ! أقبلوا مهلين ، أيها البشر وأيها الشعب ! أقبلوا مسيحين بقلوب جذلة ! لقد استحوذ حورس على عرشه . . . ؛ وسيعمر ما كان قفرا ؛ وسيسبغ البهجة على القلوب الحزينة ، وسينجي البشر جميعا .  
 أجل أبصروا حورس ، وعلى رأسه تاجه . . . إنه يحث الخطي وإنه لحرّ طليق في هذه البلاد ، وتاسوع الآلهة يقبل الأرض بين يديه . . . انظروا إلى حورس أيها الآلهة وأيها البشر ، وابتهجوا لتاجه . . . ، لقد حطم رعوس أعدائه .  
 ( أجل انظروا إلى حورس ، أيها الآلهة ) وأيها البشر ، وأبصروا كيف يعصف في هجومه وكيف ينتصر . . . إنه كالنار إبان العاصفة ، إذا ما اجتاحت الأدغال . . .

لاتبقى على شيء مما تلتمهم . يأبها الآلهة ويأبها البشر مجدوا تاجه إذا جاء مهللا وقد  
قضى على الذعر . . . إنه كأسد سريع الجرى ، إنه يلتمم الأعداء . إنه كطير كاسر  
إذا انقضت على خصومه ؛ إنه ينتزع قلوب الأشرار . إنه كثور إذا طعن من يهاجم ؛  
إنه يقضى على من يحاربه .

ويعضى النشيد على هذا النحو ؛ وينبغي أن تفرح كذلك الآلهة والبشر بحماله  
وطيبة قلبه « فلبتهجوا له ولتفرحوا أيها الرعايا يا من تكونون عبيده . . . إنه الملك  
وحياته باقية إلى الأبد »<sup>١</sup> .

ومن نافلة القول أن أذكر أن هذا النشيد الجميل لم ينظم في العهد الإغريقي ،  
وأنه لم يكن أصلا مما ينشد في أعياد الآلهة في المعبد ، وإنما هو أنشودة النصر لأحد  
ملوك الدولة الحديثة<sup>٢</sup> ، وأنه لم يغير فيه إلا قليلا عندما استخدم نشيدا للآلهة .

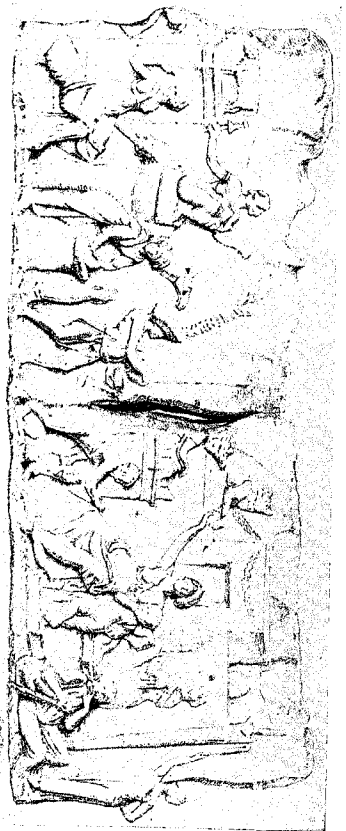
ومع هذا فإن الأناشيد الجيدة نادرة ، إذ أغلب الأناشيد إنما يتألف من مدائح  
ظلت تعاد منذ آلاف السنين ، فإذا هي قد غدت أشبه ما تكون بجمل اصطلاحية ،  
قلما تتميز بها فكرة جديدة أو صورة مستحدثة . فقد ورد في نشيد لإيحيى ، صغير  
حاتحور ، معبودة دندرة ، يشيد به كأنه الشمس المشرقة<sup>٣</sup> : « المجد لك ، المجد  
لقرينك ، أيا إيحي العظيم ، ابن حاتحور ، يا من أشرقت على عرش أبيك رع ،  
واقتبس القطران جمالك .

أيها الطفل الجميل ، وليد الفاضلة ، القوية ، العظيمة ، سيدة دندرة . يا صورة  
حراختي ، ويا ولد أتوم . أيها الصبي الجميل ، المحبوب اللطيف ؛ إن البشر جميعا  
ليفرحون لمراك ، ويهلل القطران لمحباك الجميل . إن التاجين ينعقدان على رأسك ..  
إن البلاد والأقطار الأجنبية تنحني أمام جلالتك ، كما تنحني أمام رع عند ما  
يشرق في الأفق ، ولك يخلص الرجال والنساء معا ، وتجتو الأرض أمام روحك .  
أيها الوليد الفاضل ذو الشكل المتألق . . . إنك تظل في غرفتك في دندرة

(١) Edfu, ed. Rochem I, 442, 1 ff.

(٢) ويتجلى هذا من نعمته ولفته . وفيما عدا هذا فإن استخدام الأناشيد الملكية في مديح الآلهة لم يكن  
من ابتداء العهد الإغريقي فحسب ، انظر ماسبق صفحة ١٥٠ .

(٣) Duem. Resulate 22, 5 ff.



صبي في العهد الروماني

على باب المدينة ، وقد زين بزينة العبد ، ونسج الألفه وبها يبرهن قوامه ، وبالترتيب من قديما به آخر صغير ، ومن الباب حبالا حديد اثنين مقلبتين . - ومن أمامه  
 الألفه كأنه جالس من طراز قديم يدليح الأصصية ، وحاضرات من حده الحديد يشبهك المنادح ويهداك النيرة . ومن خلفه حذاء حديد أبيض من الشريط القويح .  
 ويظهر أنه لا يقر له في البيت غير النساء ، يجعل التماثيل أو يرقص . - ومنه ، اسمه ذلك على جن ، ويملك تفرس إلى بعضه فاني الجسماء .  
 ( تصويح آراء من الثقافة لخصف بولاني )

كالشمس تشرق وتغيب ، إن قوتك لتجوب مائحة الضوء ، وإنك تهب الهواء  
لأنوف البشر .

أيا إيجي العظيم ، يا ابن حاتحور ، أميل بحياك الجميل للملك . . . ! « . على  
أن اسم الملك لم يذكر في النص ، في ذلك العهد المضطرب لأواخر البطالة ، كان  
من الحكمة عدم تحليد أى ملك قد يدعو الأمر إلى لعنه كعدو بعد قليل .

والنشيد التالى أوفر حيوية من نشيد إيجي هذا ، وكان المرثون ينشدونه لحاتحور  
ربة دندرة حين كان يخرج بها من معبدها فى احتفال مهيب . ويحمل الرديد على  
الظن بأن هذا الموكب كان يحدث عند ما ينضج النبات من جديد بعد الفيضان :  
« فلنصح صيحات الفرح للذهبية حين تضىء فى دارها ! ولنجد سيدة الآلهة ،  
ولندخل البشر على هذه الإلهة ! . . . هاهى الطرق تفتح لك ؛ وهاهى السبل تفتح  
لك فى بهاء وجمال . والسماء تسبح لك فى سعادة ، وكذلك البلاد والشيطان جميعا . إن  
لك يئيبت الناس الأشجار الحلوة ، وإن من أجلك تخضر النباتات . وإن وجهك  
ليشعّ جمالا ، وإن السماء لصافية وإنها لتبصر بعينيك ، والصحراء مضيئة من حلطك .  
إن البلاد قد عظمت بفضل عينيك ، وإن حياك ليتألا .

أيتها الخضراء الجميلة ، سيدة النضرة ، وسيدة الخضرة المتألثة .  
إن لك تعزف السماء مع آلهتها ، وإياك تعظم الشمس والقمر ، وإياك تمجد  
الآلهة والآلهات .

أيتها الخضراء الجميلة ، سيدة النضرة ، وسيدة الخضرة المتألثة .  
لك تعزف الأرض كلها ، ولك ترقص السماء فرحة طروبا ، وإياك تمجد البلاد  
والأقطار الأجنبية حتى عنان السماء عند أركانها الأربعة » .

أيتها الخضراء الجميلة سيدة النضرة ، وسيدة الخضرة المتألثة .  
ويدلّ هذا النشيد على أن ذلك العيد ، الذى كان الناس يخرجون فيه على هذا  
النحو ، إنما كان عيدا بهيجا ، يتخذ فيه العزف والرقص لإدخال السرور على  
حاتحور . فقد جاء ٢ : « إننا نعزف لقرينتك ، وترقص بلحلاتك . إننا نرفعك إلى

Junker Ae. Z. 43, 101 f. انظر : Duemichen, Resultate 46, 7 f. (١)

Duem. Resultate 45, 3 ff. (٢)



عنان السماء . إنك ربة الجلال والعمود والشخاليل ، . . . إننا نمجّد جلالتك كل يوم ، من المساء إلى النهار .

إننا نتهلّل لطلعة محياك يا مليكة دندرة . . . أنت سيدة الجبور ، مليكة الرقص ، سيدة العزف ، مليكة الغناء ، سيدة القفز ، مليكة ضفر الأكاليل . . . هيا أقبّلوا صائحين صيحات الفرح ، واقرعوا الطبول ليل نهار ! إن الرجال تفرح الطبول والنساء في جبور . . . » . وليس صعبا أن نتمثل مثل هذا العيد الذي كان يقام لحائجور بما كان يحفل به من رقص وهنّافات الحشود الصاخبة ، وصيحات النساء ودوى الطبول ، وجلجلة الجلال ، وبخشخشة الشخاليل ، يتخلل هذا كله ما كانت تثيره أغاني الكهنة ذات النغمة الواحدة من هرج صاخب . إنها لصورة صادقة لأحد الأعياد في الجنوب ، حيث تعبر العاطفة الدينية عن نفسها بالهرج والمرج .

على أن الأعياد الأخرى كانت تجري حقا دون جلبة كثيرة ؛ ولئن لم ينقصها من الطعام والمشرب والتهلّل شيء كثير ، فقد كان هذا لفترة قصيرة مقبولة خلال المراحل الطويلة للطقوس المقدسة التي كان على الكهنة أن يقوموا بها طوال اليوم . فكان حورس معبود إدفو حينما يريد الاحتفال بعيده الكبير ٢ ، حينما كان يزوره بهذه المناسبة لها المعبدن الصديقين في دندرة والكاب ، يترك في اليوم السابق معبده في صحبة رفيقه خنسو والحراب الأربعة التي بها حارب الآلهة ست ، ثم يتجه لتقاء الإلهين اللذين جاءا من بلدين آخرين لزيارته ، وهما حورس معبود الكاب وحائجور معبودة دندرة . وكان على هذه الآلهة أن تحيي معا عيدا يستغرق عدّة أيام ، تحتفل فيه بانتصارها على ست ورفاقه وابعثاء حورس العرش . على أن الأمر لم يكن يقتصر على هذه المسائل دون غيرها ، وإنما كانت هناك سلسلة لانهاية لها من الشعائر ، كانت تقضيها « التقاليد » المرعية لهذه الأيام ؛ مثال ذلك أنه عند ما كان لها إدفو يريدان صعود سفن الوافدين ليدخلوا المدينة في احتفال مهيب ، كانت تتلى

(١) كان النساء يصلطن في الفناء بمقود كبيرة .

(٢) يعتمد ما يلي على Brugsch, Festkalender von Edfu ، ويوضح من لغة هذا النص

أنه يمثل مناسك أحد أعياد الدولة الحديثة .



أولاً « الأوراد التي تحمى السفينة » ، ثم تقدم القربان . و « يهذى  
النبذ » ، و « توهب الأرض » : ويطلق الأوز كأنه رسل ، وتقدم  
باقات الزهور ، وتؤدى أشياء أخرى كثيرة . وما تكاد الرحلة تبدأ  
حتى تتوقف بعد ذلك بسرعة مرة أخرى ، وذلك لأن السفن كانت  
تمر على « مقرجب » ، وكان يجب أن ينزل الركب « ليحرق قربانا

١٥٤ - حربة

حورس .

نموذج مصغر

كان بمثابة

تميمة (برلين

١٥١٢٥ )

عظيما بين يدي هذا الإله المجيد » . وكان لابد أن يؤدى من جديد  
« طقس ركوب السفينة والطقس الذي يحمى السفينة ، والذي يُجرى  
السفن » ، ومن ثم « يبحر الركب مصعدا نحو إدفو » . وفضلا عن ذلك  
كان يراعى بإحكام أى كبار الموظفين في مصر العليا يجب أن يسهموا  
في الحفل نيابة عن الملك ، وأى نظام يجب أن تتبعه السفن . وكانت الموسيقى تأخذ  
مكانها في سفينة أمير إدفو ، كما كان على أمير الكاب ، عند رسو السفن عند المعبد ،  
أن يسلك سفن الآلهة من مقدماتها على حين يجذبها من مؤخراتها أمير مدينة أخرى .  
وكان على أمير دنندرة « أن يجلب هو ورجاله الهدايا » ، وعلى أميرين أن يقدموا ثور  
الأضحية ، وعلى آخر أن يؤدى خمسمائة رغيف ، ومائة قدر من الجعة ، وفخذ  
ثور ، وثلاثين عنزا لطعام أهل المدينتين الآخرين ، الذين رافقوا آلهتهم لهذا العيد .  
فإذا ما وصل هؤلاء إذا هم « يجلسون ويشربون ويحتفلون بالعيد بين يدي هذا الإله  
الجليل ، ويشربون ويتضمخون بالدهون ويهللون في صوت صاحب مع سكان  
المدينة » .

وفي أول أيام العيد كانت الآلهة تصعد مع مرافقها ، الذين أمضوا ليلتهم بجانب  
المعبد ، إلى « معبد علوى » ، كان يقع في مكان ما على حافة الصحراء . وهنا كان  
يستقرّ الجمع على الأرض ، ويقدم شئ من القربان ويقام طرف من الشعائر ، ثم  
تعرض الآلهة ويحتفل « كاتب كتاب الإله » بانتصار حورس . وكان يهتف أربع  
مرات : « لقد عاد حورس منتصرا ، وتمّ كل ما عهد به إليه . إن أمه إيزيس فرحة  
لأنه نال وظيفته هذه بقلب مبتهج » . وكانت آلهة إدفو ، « الأرواح الحية ، تجلس على  
عروشها » وترنو ببصرها إلى « سيد الآلهة » ، وكان « الفرع يعم إدفو » . أما الكهنة

فكانوا « يجيئون مرددين : « افرحى أيتها الأرواح الحية ! لقد انتصر حورس . وتمّ كل ما عهد به إليه » . وفي غمار هذه الهتافات كان الموكب يستأنف مسيره إلى « قاعة المدرسة ، حيث تجلب أولا عنزة حراء وثور أحمر ، تنزع أحشاهما ، ويحرقان قربانا بعد أن يحشى جوفهما بكافة الأعشاب العطرة ، ويصب عليهما عصير العنب الطازج والنبيد » . ومن ثم كان كاتب كتاب الإله يتلو كتاب « تمجيد حورس الذي ثبت له إرثه » ، ثم أربعة كتب أخرى ؛ وكان القريان يقدم لرع ، بحيث « يدعى بأسمائه جميعا » ، وكان يجلب له مائة رغيف ومائة رغيف أبيض ، وقدر خمسة من الجعة ، وفضائل وبلح ولبن وإوز ونبيد . وكان الكهنة يرتلون أثناء ذلك : « الحمد لك يارع ؛ الحمد لك يا خبري ، بسائر أسمائك هذه الجميلة ! إنك تُقبل قويا شديدا ، وقد أشرقت في جمال وبهاء ، وقهرت التنين . أمل حياك الجميل إلى الملك ! » . ثم كانت تطلق مرة أخرى أربع أوزات ، لتنبئ الآلهة بأن « حورس ملك إدفو ، والإله الأكبر ، سيد السماء أخذ التاج الأبيض وأضاف إليه التاج الأحمر » ؛ ثم كان يقوم رجل ، يمثل « الابن المحبوب » في هذا العيد ، فيرمي عن قوسه نحو جهات السماء الأربع ، ليردى بذلك أعداء الإله . وكانت باقات الزهر تقدم للإله ويذبح ثور يلقي بفخذه الأيمن بين الحشد حيث يتلقاه « رجل ، يسمى حورس » . وعند ذلك كان رجال حورس يقرعون الدفوف . كذلك كانت طائفة من الشعائر تؤدي بتمثال لفرس البحر من الشمع ، تكتب عليه « أسماء أعداء المقاطعات جميعا » ، ويثايل للتماسيح من صلصال ، ثم تطرح على الأرض أسماء يطؤها الكهنة جميعا ويطعنونها بالمدى ، وهم يغنون : « انحنوا أجسامكم بالجراح ، وليقتل بعضكم بعضا ، إن رع ينتصر على أعدائه ، وحورس معبود إدفو ينتصر على جميع الأشرار » . وكانوا يعلنون بعد ذلك « تفسير » هذه الطقوس الأخيرة : لقد قاموا بأبادة أعداء الإله والملك . وبهذا ينتهى الاحتفال بالعيد في المدرسة لذلك اليوم ؛ فيتسنى للقائمين بمراسم العيد أن يركنوا إلى الراحة ؛ وكان المرء « يشرب في المساء بين يدي هذا الإله ، ويقضى ليلة جميلة في هذا المكان » . وكان الأمر يستمر على هذا النحو ثلاثة عشر يوما حتى تثوب في النهاية الآلهة الغريبة إلى مواطنها ، وآلهة إدفو إلى معبدها .

ومن ثم يسود الهدوء المدينة تارة أخرى . ولم يكن الجمهور الذى اشترك في العيد ليستبين كثيراً من وقائعه على الرغم مما كان يقدم من « تفسير » في بعض الأحيان ؛ كما أنه لم يكن ليفهم معاني ما كان الكهنة يتغنون أو يبتهلون به باللغة العتيقة . ومع ذلك فقد كان ذلك الغموض يزيد في الأثر الكلى لهذا العيد على مشاعر الإنسان ، وكان من شأن التباين الواضح بين ما كان مقدسا ، جديرا بالتكريم ، وبين ما يتصل بالحياة الدنيوية الحديثة إذ ذاك ، بين الكهنة في زينتهم القديمة ، وبين رجال الشرطة الإغريق والموظفين الرومان ، أن يقوى شعور الإجلال لدى الشعب لعقيدته القديمة .

وقد غدت عبادة أوزيريس ذات صبغة سرية خاصة . فقد كسب هذا الإله لنفسه مكانا في كل معبد كبير في مصر ، وخاصة بطبيعة الحال في المدن الست عشرة ، التي كانت تفخر بأن فيها مثنوى عضو من أعضائه : وقد ذكرنا من قبل المعبد الصغير الذى شيّد في المنشآت الجديدة في إدفو ودندرة وقيلة فوق سطح المعبد لأعياد أوزيريس : ولما لنعلم الشيء الدقيق عن أحد هذه الأعياد ، وكان يحتفى به في شهر كيهك ، وذلك لأن نصا طويلا في دندرة يحدثنا كيف اعتاد المصريون أن يحتفلوا به في المدن المختلفة ، في أبو صير وأبيدوس وسائس وغيرها . ويتضح من مجموع هذا النص أن الكهنة كانوا يعنون بأداء مراسيمه حتى في أدق تفصيلاتها ، وكانت شعائره الأساسية واحدة في سائر المدن . ولهذا لنا أن نظن أن الشعائر في أحد المعابد كانت مثلا احتذته الشعائر في المعابد الأخرى . ومن اليسير علينا أن نفهم الشعيرة التي كان يبلغ بها هنا العيد ذروته . لقد كان أوزيريس واهب الخصب ، ولذلك كانت الأرض والماء ، الذى يخصبها ، من بين ماتشملة قدرته . لهذا كان يصاغ من الرمل والشعير في هذه الاحتفالات شكل للإله الميت ، ثم كان يروى بالماء . فإذا ما نبت الشعير واكتسى جسد الإله بخضرة نضرة ، فقد كان هذا لدى المؤمنين دليلا على عودة الحياة للإله ؛ وهو وإن ظلّ يبدو ميتا ، غير مخصب ، فلقد عاد إلى الحياة من جديد لخير البشر . هذا هو بهرة الاحتفال كما ذكرنا ، أو بهرة الخلفية الدينية ، على نحو ما نسمةا الآن على غرار الإغريق . ولكن لما كان الكهنة المصريون هم الذين كانوا يقومون بها ، فقد كان لابد أن يحيط بها كثير من الشعائر الثانوية .

إلى جانب هذه الاحتفالات الأوزيرية ، التي كان يحتفي بها في كل مكان كانت تؤدى لهذا الإله بطبيعة الحال شعائر أخرى كانت وليدة ظروف محلية محضة . وإنا لتعرض هنا أخيرا إحدى هذه الشعائر التي نلمّ بها إلاما تاما .

فهناك على حدود بلاد النوبة ، حيث يتفرق النيل آخر حواجز الأحجار الصلبة ، التي تفصله عن مصر ، يقع عدد من الجزر الصخرية بالقرب من الشلال . وعلى إحدى هذه الجزائر يقوم معبد فيلة الفخم ، الذي اشتهر في العالم بأسره في العهد الإغريقي بأنه أهم معابد إيزيس ، والذي ظلّ باقيا على حالته تماما حتى عصرنا الحاضر ، ولكنه تعرّض للدمار في الأيام الأخيرة .

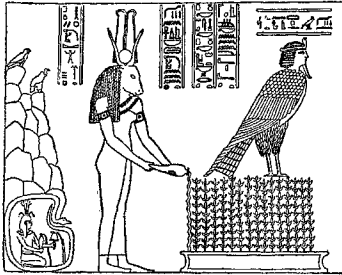
وتقع بالقرب من جزيرة فيلة هذه جزيرة أخرى ، هي بجة الحالية ، وكانت تعتبر كذلك من الأماكن المقدسة للديانة المصرية . فمن جهة لقد كانت المكان الذي وطأته مرة أخرى الإلهة الوحشية تفنوت من أرض الوطن واستحالت فيه إلى حاتحور الودودة ، وفقا لأسطورتها القديمة ( صفحة ٧٩ ) . ومن جهة أخرى كان يوجد في بجة قبر أوزيريس ، وكان يعتبر في العهد الإغريقي في مقدمة الأماكن المقدسة ، ولم يكن في مصر العليا إذ ذاك قسّم أعظم من أن يقسم الإنسان « بأوزيريس الثاوي في فيلة »<sup>١</sup> . وكان هذا المكان الذي يضمّ قبر أوزيريس يسمى « أباتون » ، أي الحرم ، وذلك لأنه لم يكن يجوز في هذا المكان أن يقلق راحة الإله أحد . وكان الطبيعة قد قدرّت أن يكون هذا المكان بالذات معبد أوزيريس ، وذلك لأن المصريين كانوا يعتقدون أن في الماء الحائش هنا يوجد أحد البنبوعين اللذين يتفجر منهما ماء الفيضان ، جالب الخصب والتماء ، وقد كان يسمى « ماء بجة النقي »<sup>٢</sup> . ولما كان أوزيريس يشرف على كل ما يكفل الخصب ، لهذا كان يعتبر أيضا أنه هو الفيضان نفسه . وكما كان يقول كهنة فيلة ، لقد كان أوزيريس « النيل الكبير الذي يخلق الحب بفضل ما فيه من ماء » ، والذي « يثبت الأشجار والأزهار من رشحه ( عرقه ) »

(١) Diodor I 22, 3.

(٢) Junker, Das Goetterdekret ueber das Abaton. (Denkschr. der Wiener Akademie 1913), S 39.

و كذلك يعتمد كل ما يلى على كتاب يونكر فيما عدا الحالات التي أذكر فيها مرجعا آخر .

لهذا كيف يمكن أن يكون لأوزيريس قبر أفضل مما كان له في « أباتون ». حيث كان يمكن أن يعود للظهور في هيئة فيضان جديد؟ فهو كالليل « يولد في حينه ، وتتجدد



١٥٥ - أوزيريس كإله الليل في كهف بجة ، وروحه تستقر على شجر الغيضة المقدسة وتسكب لها إيزيس اللبن (Champ. Mon. 93).

أعضاؤه كل عام . . . وإذا كانت الأسطورة تذكر أنه لم يدفن في « أباتون » إلا جزء من أوزيريس ، وهو ساقه اليسرى ، فلم يكن من ذلك بأس ، وذلك لأن الكهنة ظنوا أن هذه الساق هي أحد ذلكم الينوعين ، وتمثلوا كيف ينبثق الماء منها فاترا متفجرا . أما « أباتون » نفسه بأكمله فقد تمثلوه جبلا به كهف غائر ، يقرّ فيه أوزيريس على هيئة الليل ويجرسه ثعبان . ولسنا نعرف كيف كان شكل القبر في حقيقة الأمر ، على أننا نعلم فقط أن لإحدى الأشجار كانت تظله على نحو ما كان في مقابر أوزيريس الأخرى . ولعلها كانت تلك الشجرة التي جاء في الأسطورة المتأخرة أنها نبتت من حول تابوت أوزيريس في جبيل (صفحة ٩٩) . وإلى جانبه - كما كان الأمر كذلك في أبو صير وأبيدوس - أجمة كان يظن أن روح أوزيريس تحطّ على أغصانها في شكل طائر برأس إنسان . ومن السهل معرفة منشأ هذا التصوّر ؛ أجل لقد كانت أمنية الأشراف في الدولة الحديثة أن تستقرّ أرواحهم بعض الوقت على أشجار حداقهم ، لهذا عمد المصريون أيضا إلى إقامة حديقة لروح أوزيريس<sup>١</sup> .

(١) جلب روح الروح إلى فيلة عند ما وجدت الحفة ، أما قبل ذلك فقد كانت في القمر في السماء .

وفي هذه الأجمة وضعت ٣٦٥ مائدة للقربان ، كان الكاهن الكبير المختص بالمعمل في النوبة الشهريّة يقدم عليها قربانا من الماء واللبن . ولكنه لم يكن وحده الذي يقدم هذا القربان ، وإنما كان تمثال إيزيس يبصر إلى هنا كل عشرة أيام ويقدم للزوج المتوفى ولروحه قربانا من لبن ، يرده «شابا» من جديد . وكانت هذه الأيام ، التي «تعتلى» فيها إيزيس «العرش العظيم» في «أباتون» ، تعتبر أياما لها قداسها الخاصة لأباتون ، فما كان لأحد أن يجاهر بالكلام فيه . وكانت لهذه الإلهة أيام أخرى تقضيها في «أباتون» ، من ذلك مثلا عند ما كان يحتفل بدفن أوزيريس ؛ وإذ ذلك كانت تتبعها الآلهة الأخرى ، وترافقها في سفينتها تماثيل أمون وخنوم وبتاح وغيرها . وعلى نحو مماثل كان يحدث كذلك في اليوم الذي تقتاد فيه إيزيس روح أوزيريس إلى «أباتون» ، حيث كانت أرواح الآلهة الأخرى تبحر كذلك ثم تأخذ مكانها مع روح أوزيريس في الغيضة . ومن السهل فهم هذه العادة التي كانت تقضى بأن يصحب الإله الميت بتمثال لروحه ، فقد كان لابد من أن يعود إلى الحياة من جديد ، ولهذا فقد كان ينبغي أن تكون روحه بجانبه . غير أن هذه العادة كانت تفسر بأسطورة خاصة . فعند ما عثرت إيزيس على جثة زوجها ذهبت إلى إله الشمس في هليوبوليس ، وكانت له به رعاية وعناية سابقة . وقد ساعد هذه المرأة كذلك فأرسل سائر الآلهة إلى «أباتون» ليدفنوا فيه جثة الإله (أو بالحرى ساقه فقط) بعد أن حملها إلى هناك حورس متخذًا شكل تمساح . وقد زاد الآلهة على ذلك بأن أصدروا مرسوما لحماية مقبرة الإله ، وقع عليه رع وشو وجب ، وهم أسلاف أوزيريس وكتبته تحوت بنفسه بصفته كاتب الآلهة . وفي هذا القرار الذي كانت منه نستختان في معبد فيلة أعلن الآلهة أن «أباتون» يجب أن يكون على الدوام لأوزيريس وإيزيس ؛ وقد سنوا الشعائر التي يجب أن تؤدي فيه ، وعنوا قبل كل شيء ، بما يكفل الهدوء في هذا المكان المقدس . فما كان لأحد فيه «أن يقرع الطبول أو يغنى على صوت الجنتك أو الناي . وليس لأحد أن يطأه في أي وقت» ، أو «يصيد الطير والأشماك» من حوله . وفي الوقت المقدس ، الذي فيه تستقر إيزيس في «أباتون» لا يجوز لأحد أن يجاهر فيه بصوته .

(١) وهذا يرجع هذا الاحتفال إلى الدولة الحديثة .



١٥٦ - التمساح الذى حمل جثة أوزيريس إلى البر  
( Junker, Abaton, S. 42 )

أجل إنه لما يتفق وشعور الإنسان  
أن يعرى المرء المهدوء حيثما يبكى على  
الميت ، ولهذا فمن المعقول أن المهدوء  
كان مطلوباً منذ البداية في أماكن  
أوزيريس . ولكن إذا كان كهنة

فيلة قد أكدوا هذه المسألة الواضحة وأبرزوها في شكل خطير في مرسوم للآلهة ،  
فإن هذا يشير إلى أنه كانت لديهم أسباب خاصة لذلك . ولا يسعنا هنا إلا أن نذكر  
أنه كان يجاور مقبرة أوزيريس مكان لم تكن الأمور تسير فيه على الدوام بغير  
ضوضاء ، مما كان يتنافى مع ما ينبغي أن يراعى من أجل هذه المقبرة . فقد رأينا أن  
جزيرة بجة كانت كذلك المكان الذى اغتسلت فيه الإلهة تفنوت عند عودتها من  
بلاد النوبة ، ومن ثم استحالت إلى حاتحور الودودة الضحوكة ، التى كانت تحيى  
أعيادها بديق الدفوف والغناء والرقص ، أى بسائر ما لم يكن مستحبا في جوار  
أوزيريس .

ويؤيد الظن بأن شعائر كل من العبادتين كانت تراحم الأخرى نص عجيب  
من القرن الثانى قبل الميلاد ، عثر عليه في إليفانتين . وهو عبارة عن كتاب وجهته جمعية  
دينية إلى أحد أعضائها إذ ذاك تبلغه إنذارها الأخير ، وذلك باسم إلهها اسميتى ،  
« الصبى المولود في اليفانتين » ، أحد القديسين المحليين ، وكان يعرف كيف يلزم  
اتباعه حد الأدب وحسن الخلق . وكان هذا المذنب ، الذى وجه إليه الإنذار ، رجلا  
ثرى ، كان من أخطائه أنه أقام لنفسه بيوتا شاهقة ، ولذا كان عليه أن يهدمها ثانية ؛  
على أن هذا لم يكن ذنبه الرئيسى ، وإنما كانت أكبر سيئاته ما ارتكبه ضد أوزيريس .  
« لقد اجترح ما تشمئز منه إيزيس ، وشرب النبيذ في الليلة التى ارتدت فيها الإلهة  
ثياب الحزن : لقد شرب النبيذ في الغيضة وفي الحديقة ، المنترتين للملك أوزيريس » ،  
وسمح بالغناء هناك وبذلك أيقظ « روح أوزيريس من سباتها » . بل لقد بلغ به الأمر  
أنه في سكره عبر إلى « أباتون » مع ضيوفه - وكانوا بالإضافة إلى هذا من البلميين



البرابرة . وعند ما نصحته امرأته بأن يقلع عن هذه الخطايا صاح فيها : « إنها لتفتنوت ، وإن أحدا من الآفات لا يمكن أن تقف في وجهها » ؛ وهكذا أراد أن يعتذر بعيد فتنوت عن الخطيئة التي ارتكبتها ضد إيزيس وقت حداثها .

غير أن القديس اسبميتي لم يكن ليخضع بهذه السهولة ؛ لقد « كان يعلم (مكتون) ، قلبه » ، ولذا أعلن إليه أولاً أنه لن يدعوه مذ ذاك بالاسم الذي حمله منذ الطفولة ؛ إذ لم يعد أهلاً لأن يتسمى بتوزيرس ، أى « عطية أوزيريس » .

ويبدو أن هذه القصة القصيرة قد حدثت على نحو ما ذكرنا في جمعية دينية ؛ وليس من محض الصدفة أن نجد مثل هذه الجماعة تتألف من أجل أوزيريس ، وذلك لأن عبادته كانت تحوطها هالة خاصة في كل العصور . ولم يكن يسمح لكل فرد أن يشترك في هذه العبادة ، أما الصفوة ، الذين كان يسمح لهم بهذا الاشتراك ، فكانت تعتقد بينهم وبين الإله صلة قوية . ومهما يكن من شيء فقد كان عليهم أن يلتزموا الصمت المطبق عن سائر ما كانوا يخبرونه أثناء الاحتفال بالأعياد الأوزيرية . ولقد رأينا فيما سبق (صفحة ٣٧١) كيف أن هيرودوت ، الذي كان له هذا الحظ ، قد تخاشى عن رهبة سرد ما يتصل بأوزيريس من تفاصيل ، وقد كان يعرفها حقاً ولكنه لم يكن يجوز له ذكرها .

فهل كان ما يصونه الكهنة بهذه الحيلة البالغة سرّاً في حقيقة الأمر ، يستحق مثل هذا الاتهام ؟ إن كل ما نستطيع قوله هو أنه فيما نعرفه من النصوص من أشياء كثيرة عن الاحتفال بأعياد أوزيريس ، لا يكاد يوجد شيء لم يكن من الواجب أن يعرفه كل مصري ، كان يهتم بأمر آلهته ؛ وذلك لأن ما كان يعرض في هذه الأعياد على المشتركين فيها ، إنما كان ، على نحو ما جرى في الزمن القديم وما سبقه (صفحة ٢٠٥) ، تمثيلات من قصة الإله ، تمثل موته ، والبحث عن جثته ، والعثور عليها ، وإحياءها ، ثم النظام الجديد للعالم ، وفيه يتولى أوزيريس حكم الموتى ، وحوزس حكم الأحياء . وكانت هذه المسائل تختلف في تفاصيلها بعض الشيء من

(١) مثل هذه الجماعات من العلمانيين الذين يعبدون أحد الآلهة كانت توجد كذلك في أماكن أخرى في مصر في ذلك العهد (انظر Otto, Priester und Tempel, S. 125 ff.) .

معبد لآخر ، ومن الواضح أن الكهنة كانوا يعلقون أهمية خاصة بالذات على ماينفرد به معبدهم من تفاصيل . وإذ كان يروق لهم أن يروا في سائر ما يجري في المعبد سرا من الأسرار ، فقد قدرُوا بطبيعة الحال أن لهذه الشعائر الخاصة أسبابها الخفية ، وأنها ترجع في نشأتها إلى ما قد حدث من قبل لدى الآلهة . وكانوا يسرون بمثل هذه الأسباب إلى المؤمنين ، عندما كانوا يشرحون لهم الطقوس كلاً على انفراد ، وذلك عن طريق تلك « التفسيرات » التي خبرنا أمرها عند الكلام عن عيد حورس . وإلى جانب هذا فلعلهم أسروا إليهم كذلك بهذه الفكرة أو بتلك مما يتجاوز قصص الآلهة بعض الشيء ، على أنه لم يكن في هذا كله أدنى أثر لما في التصوف الإغريقي المتأخر من عقائد سرية عن الإله والعالم والإنسان ، وهي العقائد التي يميل البعض إلى إرجاعها إلى الخفيايا المصرية . ولم تكن الاحتفالات السرية لأوزيريس في العهد المتأخر بأحسن كثيراً مما كانت عليه من قبل ، ولئن كان المؤمنون قد عظموها كأنها أسرار عميقة ، فقد كان ذلك لأنها عرضت عليهم بهذه الصفة ، وما ذلك في حقيقة الأمر غير وهم يحدث في العالم في كل زمان ومكان .

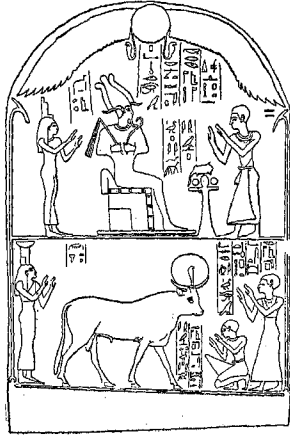
وكان في طوع الديانة المصرية ، على الصورة التي عرضناها فيها ، أن تعيش مدة أطول بنفس صيغها وبنفس تصوراتها الضحلة ؛ وكان يمكن أن تكثر تفصيلاتها وتزداد خلطاً واضطراباً ، ولكنها لم تكن لتستطيع أن تأتي بمجديد قِيم . بيد أنه برغم شدة جود كهنتها وشدة تعلق معتقبيها بها فقد أثر فيها مع الزمن احتلال الإغريق لمصر ، وأن سكانها المتجانسين استحالوا بالندريج إلى خليط من الأقوام .

وأول تأثير اعترى الديانة المصرية من الناحية الإغريقية يبدو لنا الآن كأنه من عمل رجل حاذق ، كان يقوم بدور الوسيط بين الملك والكهنة . ففي بلاط بطليموس الأول والثاني كان يعيش الكاهن مانيثو الذي يرجع منشؤه إلى سمنود في الدلتا ، وقد كان واحداً من أكسبهم ثقافتهم مكانة في معسكرين متضادين ، فكان يشبه بذلك الأفندي المحدث الذي تعلم في باريس ، ورغبة في أن يعرف سادته تاريخ وطنهم الجديد ، كتب لهم تاريخ مصر بالإغريقية ، وكان كتاباً نافهاً ، ولكنه عرف كيف يعلى من شأنه بجذاله الرخيص لهرودوت . ولما رأى الملك في منامه سيرابيس إله

سينوب الغامض يرجوه جلب تمثاله إلى مصر ، كان مانيتو هو الذى فهم معنى هذه الرؤيا ، ومعه رجل خبير بالشئون الدينية هو تيموثيوس الإغريقى ، الذى يرجع أصله إلى أسرة من الكهنة من إلويسيس . وقد أدرك كلاهما أن الإله الذى يودّ الحجىء إلى مصر لابد أنه يوجد فيها أيضا ، وإن كانت هيئته فى وادى النيل تختلف تماما عن هيئته على ضفة البحر الأسود . وبهذا لم يكن سيرابيس إله سينوب ، ذو اللحية

والشعر الأشعثين ، سوى أوزرحاب ، أى أوزيريس - أبيس ، الثور المقدس أبيس المتوفى ، الذى كان الشعب كله يعظم مدفنه كثيرا .

هنا ما كان من شأن الكاهنتين الحكيمين . أما الملك فهو وحده الذى كان سيفيد من ذلك ، فهذا الإله ، الذى كان على الإغريق والمصريين على حدّ سواء أن يقدّسوه ، إنما كان الإله المناسب لمملكته الجديدة ، التى يعيش فيها الشعبان . ومنذ ذلك الوقت أصبح سيرابيس الإله الرئيسى فى مملكة



١٥٧ - شاهد شخص يدعى اجوتب ، يرى فى أسفله وهو يتعبد لأوزيريس - أبيس ، أى سيرابيس (برلين ٧٣٠٤) .

سيرابيس وإيزيس والآلهة الأخرى ١ ، وكان مما يرضى الملك أن تشيد المعابد لسيرابيس فى خارج مصر أيضا ٢ .

ولنا أن نقدر أن هذا التأويل الجرىء من مانيتون لم يجد أية معارضة عند زملائه

(١) Wilcken, Urk. I, 84.

(٢) نفس المرجع .

الكهنة ؛ فقد كانت رغبة الملك كفضيلة ياقناعهم بأن سيرابيس لم يكن سوى أوزيريس أبيس . ومنذ ذلك الوقت كان سيرابيس هو التسمية الإغريقية لأوزيريس . وبطبيعة الحال كان الاسم القديم الذى أضفى الزمن عليه قداسته ، هو الذى يستخدم فى النصوص المصرية فى المعابد وفى مناظرها ، أما لدى الشعب فقد أصبح سيرابيس مذ ذاك إله الموتى وزوج إيزيس ، وحلّ تماما محلّ أوزيريس .

وكان أعظم معابد هذا الإله الجديدي يوجد فى عاصمة البلاد بطبيعة الحال ، أى فى الإسكندرية ، وكان معبدا ضخما يستوى فيه الإله على عرشه فى الهيئة التى شاهده الملك عليها فى رؤياه ، ولهذا صاغ المثال برياكسيس صورته بشعر ولحية أشعثين وعلى رأسه مكيال الحبوب ، وإلى جواره الكلب كبرروس .

وفى عدا ذلك لا بد أن سيرابيوم الإسكندرية كان على طراز إغريقى ، حتى وإن



ذكرتنا كل التفاصيل الإضافية فيه بالطابع المصرى وإنه كان يحتفظ فيه بثور مقدّس . وظلّ سيرابيس إبان القرون الخمسة ، التى كانت فيها الإسكندرية عاصمة العالم الكبرى ، يعتبر لدى سكانها أنصاف الإغريق هو الإله الأعلى ، وكان أتباعه الذين يعتقدون فيه على صلة وثيقة به ، فما كانوا يقدمون قربانا إلا ويدعونه إليه .<sup>١</sup> وفى عهد تراجان أوفدت بعثة إلى روما فاصطحبت معها تمثال سيرابيس صانع المعجزات .<sup>٢</sup>

١٥٨ - سيرابيس فى هيئة زيوس  
سيرابيس بقرنى كبش الإله آمون .  
سيرابيوم آخر ، ربما لم يكن يضارعه عظمة ، ولكنه كان يفوقه فى القدم والقداسة ، وذلك فى صحراء منف حيث كانت تدفن الثيران المقدسة . ومن هذا المكان خرجت

(١) Schubart, Aegypten usw. S. 83.

(٢) نفس المرجع ٨٢ .

عبادة أوزيريس - أيبس ، ولهذا ظلّ كعبة الحجاج من عباده .  
ولقد رأينا فيما مضى أية رعاية أحيطت بها الثيران المتوفاة في العصر الصاوي -  
الفارسي (صفحة ٣٦٠) ؛ أما الآن في عهد الملوك الإغريق فلم تكن هذه العناية  
تعرف لها حداً .

وقد وصلت لأيدينا القواعد الوافية لدفن ثيران أيبس ١ ، كما أننا نعرف تماماً  
ما كان يجب أن يقوم به في فترة التنحيط الطويلة الكهنة الخمسة الذين كان يعهد  
إلهم بأداء هذه القواعد ؛ فنعرف كيف كان ينبغي لفّ الأعضاء بالفائف ، أو  
حشو بعض الأعضاء : الرأس والعم والعينين والأنف ، وكيف كان يجب تغطية  
القرنين . أما الساقان فكانت تمدّان ، وكان تجويف البطن يغسل ويحشى ، ثم كان  
أيبس ينصب قائماً بدعائم خاصة . وكان الرأس يلفّ آخر الأمر بحيث يتخذ وضعه  
الأصلي . وكانت تلى ذلك الشعائر الجنازية الحقيقية : فكانت الجثة توضع على نعشها  
في داخل التابوت بينما تتوح النائمات ، ثم توضع في زورق يمحّر بها بحيرة على حين  
تتلى النصوص المقدسة . وآخر الأمر كانت تؤدى لهذا الثور الميت شعيرة فتح القم  
على نحو ما كان يؤدى للأموات من بني الإنسان . وكان هذا كله يستغرق سبعين  
يوماً ، كانت فترة حداد وصيام لمصر قاطبة . وفي متحف برلين شاهد ٢ من مقبرة  
ضابط من جماعة البوليس المصري الفيئتي ، يفخر فيه بأنه قد عهد إليه حراسة  
الجبانة في تلك الفترة الخطيرة .

ولا يتيسر من هذا الوصف تصوّر فداحة نفقات مثل هذه الجنازة التي كانت  
تقتضى مائة تالنت كان الملوك يتكفلون بها أو يقروضونها المعابد . أما الأباطرة (الرومان)  
فلم يحملوا أنفسهم عبء هذه النفقات ، وإنما ألّفوه على المعابد ٣ - فراحت تستعين

(١) ما يلي عن Spiegelberg, Ae. Z. 56, 1 ff.

(٢) Stern, Ae. Z., 22, 101; Schaefer, ebda 40, 31.

(٣) Schubart, Aegypten S. 258.

على ذلك بجمعها . وقد كان عليها بنوع خاص أن تحصل بهذه الوسيلة على الكليات الوفرة من الكتمان الرقيق الفاخر ، ولدينا صكّ بإعانة اختيارية من هذا القبيل قام بها معبد سُسْكُو بيايوس الصغير <sup>١</sup> (صفحة ٤٤٣) . بل — أكثر من ذلك — لقد ذهبت السلطة الرومانية بأن عاقبت كاهنا تهرّب من مثل هذه الإعانة <sup>٢</sup> . على أن الأمر لم يقتصر عند حدّ هذه النفقات في دفن أبيس ، وإنما كان يجب أن تعنى الحكومة والمعابد كذلك بطريقة مشابهة بنفقات الثور المقدّس منيفس الذي كان يحتفظ به في هليوبوليس . وقد احتاج الأمر كذلك إلى مائة تالنت أخرى في عهد بطليموس فيلادلفوس لدفن بقرة إيزيس المقدسة في مقاطعة أفروديت بولس <sup>٣</sup> ، وذلك لأنه كان يعنى بالأبقار المقدسة عناية لاتقلّ عما كانت تقتضيه الثيران الشهيرة ؛ وكانت بقرة إيزيس إذا ماتت أعلن حارس حظيرتها في أسى للكاهن الأكبر « إن روح إيزيس قد طارت إلى السماء » <sup>٤</sup> . وكان يتبع معها ما يتبع مع أبيس <sup>٥</sup> وبوخوس ، نور أرمنت ، والتمساح المقدس <sup>٦</sup> ، إذ لم تكن تتمّ لها القداسة الكاملة إلا بعد موتها فتصبح عند ذلك أوزيريس أبيس ، وأوزيريس بوخوس ، وأوزيريس سوخوس . وفوق المدفن العام ، الذي كانت توسد فيه العجول توأبئها الحجرية ، كان يقوم منذ أمد بعيد معبد كانت تزوّد فيه هذه العجول بالأقوات أسوة بالموثق من البشر . وكان ثمة أبنية أخرى ؛ من ذلك معبد لأنوبيس الذي كان ينتمى لهذا المكان باعتباره حامى الموثق ؛ وكان لعشترق (صفحة ١٦٩) هي الأخرى معبد هناك ؛ ويظنّ أن الفينيقيين ، الذين كان لهم حىّ خاصّ في منف ، قد عملوا على أن يكون لإلهتهم الأثيرة عندهم مكانها كذلك في السيرابيوم . ومن معبد أنوبيس كان هناك طريق مقدس يتجه إلى الغرب ، ويؤدى إلى الصحراء بين صفتين من تماثيل أبى الهول ،

(١) Otto, Priester u. Tempel, S. 392.

(٢) Schubart, Ae. Z. 56, 94.

(٣) Pap. greci e latini della società italiana 4,328.

(٤) Spiegelberg, Ae. Z. 43 129.

(٥) Schubart, Aegypten, S. 258 f.

(٦) Wilcken, Urk. I. 19.

وكان يجتازه الموكب الجنائزى الفخم ، وذلك عند نقل رفات العجل المتوفى إلى المعبد ثم إلى القبر .

وكان ينزل في المنطقة المحيطة بالمعبد نزلاء مختلفون ، وتقوم فيها مبان من كل نوع منها الدينى ومنها الدنيوى ، على نحو ما يحدث عادة فيما تكثر زيارته من أماكن الحج . فكانت هناك نزل لحجاج البقاع المختلفة ، كما كان يقطن هناك مختلف الصناع والحجازين وتجار الملابس ، وكذلك الأطباء ومفسرو الأحلام ، وبذلك كان الطريق المقدس المؤدى إلى السيرايوم أشبه بالسوق<sup>١</sup> .

وقد احتفظ سيرايوم منف في مجموعه بالطابع المصرى ، حتى بعد أن استحال معبوده أوزيريس أيبس إلى سيراييس العظيم . غير أنه بانتشار شهرته في العالم الهليني أخذ ينطرق إليه التأثير الإغريقى . فعلى الطريق الذى كانت تحف به تماثيل أبوهلول أضيفت إلى هذه الكائنات الخيالية المصرية أشكال أخرى من خيال الإغريق كالسيرينات ، بل لقد كانت تقوم في موضع آخر منه تماثيل افلاطون وبروتاجوراس وبندار<sup>٢</sup> . ويعلم الله وحده ما الذى كان يبحث عنه هؤلاء الفلاسفة في ذلك المجتمع الخليط من حول مدافن العجول .

وتتيح لنا بعض الوثائق الخاصة من منتصف القرن الثانى قبل الميلاد أن ننظر إلى ما كان يعترك في ذلك المكان العجيب من حياة . فنجد أول الأمر فتاتين فقيرتين دفعتهما قسوة الحاجة إلى اللجوء إلى السيرايوم ، حيث كان يقطن صديق قديم لأبيهما الراحل . وقد جعل كهنة المعبد منهما « توأمتين » ، تقومان في مدفن أيبس بدور إيزيس ونفتيس اللتين بكتنا أوزيريس الشهيد . وقد قامت الفتاتان بذلك ، كما أنهما كانتا فضلا عن ذلك تقومان بأداء « الطقوس في المعبد »<sup>٣</sup> . وكانتا تحصلان أول الأمر على دخل ضئيل ، غير أن كهنة المعبد لسوء الحظ لم يكونوا يوفون لهما به دائما<sup>٤</sup> . فكان أن دفعهما العوز إلى كتابة الشكاوى تلتمسان فيها إلى الملك عونته

(١) Otto, Priester u. Tempel, S. 283f.

(٢) Wilcken, Urk. d. Ptolem. I, 11 f.

(٣) نفس المرجع ١٩٤ ، ٢٤١ ، ٢٥٣ .

(٤) نفس المرجع ٢٠٠ .

حتى لاتضطرا بدافع الحاجة إلى هجر المعبد<sup>١</sup>. ولم يكن في وسع الرجل الذى آواهما بالمعبد أول الأمر — وكان يعنى بهما عناية أبوية — أن يساعدهما مساعدة جديده ، إذ لم يكن كاهنا ، وإنما كان من المستقبين ليس غير ، أولئك الذين كانوا يأوون إلى السيرايوم<sup>٢</sup> ، ويعيشون فيه عاما بعد عام ، ولا يسمح لهم بمغادرة منطقته<sup>٣</sup> دون أن يأذن لهم الإله سيراييس الذى استبقاهم . ولسنا نعرف كيف كان يتم هذا الاستبقاء ، وأى الأعمال كانوا يقومون بها للإله فى المعبد . لقد كان الإله يبعث إليهم بالروى ، وكانوا يعرفون كيف يؤوئونها ، وكانوا على اتصال به ، ولذلك كان أصحاب السلطة والملك ذاته يخشون الإله فى معاملتهم<sup>٤</sup> ؛ على أن هذا لم يكن يمنع حقا من أن يكون هؤلاء المستقبين شحاذين<sup>٥</sup> ، يعيشون على استجداء زوار المعبد ؛ بل فيهم من كان يستعين ببنية صغيرة تعاونه فى عمله هذا . وكانوا يعيشون فى هيكل عشتري ، ويحصلون على دخل ضئيل من المعبد<sup>٦</sup> ، غير أن من يقرأ الشكاوى التى وجهها المستبق بطليموس بن جلاوكياس إلى الملك والموظفين يرى أنه لم يكن لأفراد هذه الجماعة من الحياة حظ زاهر . فقد كان الجميع يسيئون معاملته<sup>٧</sup> ، سواء كانوا خدام المعبد أو الطبيب أو تجار الملابس ؛ وكانوا جميعا يريدون اقتحام مسكنه عليه واغتصاب متاعه ؛ وقد نهبت إدارة الشرطة التى كانت توجد بالقرب من معبد أنوبيس ، وقد ادعى أن الكهنة سمحوا بهذا كله ، لأنه إغريقى لامصرى . على أنه الأقرب إلى الظن حقا هو أن كهنة المعبد لم يكونوا ينظرون بعين الرضا إلى هؤلاء الرعاى الأتقياء ، الذين حلوا بين ظهرانيهم فى كنف الإله .

(١) نفس المرجع ٢٦٠ .

(٢) عن المستقبين فى السيرايوم وغيره ، انظر Wilcken, Urk. d. Ptol. I, 50 ff. وعن الزهاد صفحة ٧١ .

(٣) نفس المرجع ص ٥٥ .

(٤) Wilcken, Urk. d. Ptol I 53; 173. (٥) نفس المرجع ١١٨ .

(٦) نفس المرجع ٦٧ .

(٧) نفس المرجع ١٣٠ ، ١٣٨ .



ويدلّ ظهور سيرابيس على بداية عقيدة جديدة يمكن تسميتها بالعقيدة الإغريقية المصرية . وكانت دينا خليطاً لم يكن لينشأ إلا حيثما يعيش جماعة من شعبين معا على اتصال قوى ، بحيث لا يكاد يعرف الكثير من الأفراد إلى أى فريق ينتمون . فهم يتصاهرون فيما بينهم ، ويتكلمون اللغتين معا ، وإذا ما حزبهم أمر تولوا إلى ذلك المعبود الذى كان يعتبر أفضل مساعد فى منطقتهم ولو انتمى إلى الشعب الآخر . وقد تمّ هذا الامتزاج فى مصر بسرعة نسبية ، ودون أن تعوقه المظاهر الخارجية الغربية للمعبودات المصرية ، بل لقد جذبت هذه المظاهر بالذات إليها الإغريق المثقفين أيضا ، وذلك لأنهم كانوا ينشدون فى التصوّف عوضاً عن عقيدتهم الخاصة التى لم يبق لها معنى عندهم . ومنذ العصر الرومانى ، لم يكن هناك سوى دين واحد . على أن ذلك لم يكن فى حقيقة الأمر صحيح إلا بالنسبة لعقيدة الجمهور وحده ، أما فى المعابد فقد ظلّ الاعتقاد القديم فى الآلهة المصرية ثابتاً لا يتغير ، ولم يؤثر فيه العصر الحديث أى تأثير يذكر . وهكذا كان للدين صورتان : إحداها صورة حديثة للحياة العادية ، والثانية صورة قديمة لعبادة الآلهة فى المعابد . ولم يكن الأمر يخلو من اختلاف وتناقض بينهما ، على أن هذا قلما كان يضير المؤمنين : حقا لقد كان كل شيء فى المعبد يبدو عتيقا مختلفا عما كان يوجد خارجه ، فإذا كان يمنع من أن يسمى سيرابيس فيه كذلك باسم أوزيريس ؟ ولماذا لا يكون له كذلك شكل آخر مختلف تماما ؟ فى المعبد كان يتخذ شكل المومياء بتاج عال ولحية مضمفورة ، أما فى خارجه ، فقد كان فى هيئة إغريقية جميلة على شكل رجل قوى له شعر ولحية أشعثين وعلى رأسه المكيال . وكان الشعب يتمثله على هذه الصورة عند ما كان يتوجه إليه بالعبادة .

ومع الزمن أخذت الآلهة القديمة التى كان الشعب لا يزال يعبدها تفقد خصائصها شيئا فشيئا . أجل لقد حدث فى العهد السابق للعصر الإغريق أن أخذ يختلط الكثير من الآلهة المصرية بعضها ببعض ، وقد زاد ذلك الآن فامتزجت الآلهة المختلفة فيما بينها ، كما امتزجت مع آلهة الديانة الإغريقية . وإذا كانت إيزيس بإخلاصها لزوجها وحبها لابنها قد ظلت شخصية واضحة المعالم ، فقد جرت العادة على رجم ذلك

بالخلط بينها وبين حانخور وغيرها من الإلهات ، وبذلك أصبحت شخصية مبهمه غير واضحة ، بحيث يمكن أن يقال تقريبا إنها غدت الإلهة بصفة عامة ، وقد سميت فعلا في إحدى المرات « الجواهر الجميل للآلهة جميعا »<sup>١</sup> . وفي نشيد من العصر الرومانى أصبحت تعتبر بصفة عامة إلهة كل مدينة ، وأصبح على كل من نيت وباست ووبتو وغيرهن أن تقنع بأن نصير إيزيس .



١٦٠ - إيزيس ومعها الدفة وبوق الوفرة



١٥٩ - إيزيس - حانخور - أفروديت  
(برلين ١٣٧٩١)

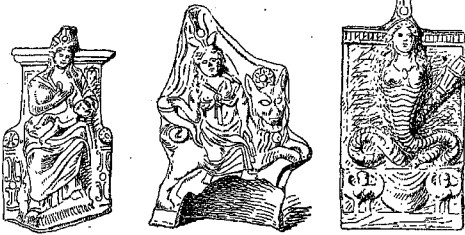
إلى جانب هذا أصبح لإيزيس إذ ذاك دور جديد ؛ فهي بوصفها إلهة ثغر الإسكندرية قد أصبحت حامية الملاحة ، وبهذه الصفة كانت تمثل ومعها الدفة وبوق الوفرة وعليها رداء يكاد يشبه طراز أردية النساء من الدولة الحديثة ذو طيات كثيرة وعقدة على الصدر . أما حيث كانت تقوم بدور حانخور - أفروديت ، فقد كان ينبغى أن تبدو عارية حبا لهذه الرفيقة الإغريقية ، وإن كان فيما تتخذها من حلية رأس مصرية ما لا يكاد يتفق مع هذا العرى . وكانت فى الأدوار الكثيرة التى كانت تقوم بها كإيزيس - تيثى ، وإيزيس - أثينا ، وإيزيس - أرتيمس ، وإيزيس عشترتى<sup>٢</sup>

(١) Oxyr. Pap. XI, 1380. سطر ١٢٦

(٢) Schubart, Papyruskunde S. 340-341.

تتخذ كذلك أشكالاً خاصة وإن كنا لا نستطيع تمييزها . وفي مساكن العصر الروماني نجد بين تماثيل الآلهة من الصلصال أشكالاً صغيرة متنوعة لإيزيس ، كانت تعتبر عند العامة من الناس تماثيل مقدسة ، وكثيراً ما كانت تزود بمصابيح نضاء في عيد المعبود تكريماً له . وفي هذه التماثيل الصغيرة يتجلى الشغف بإبراز الجانب الإنساني في إيزيس ، فقد كان يستحب تمثيلها مع رضيعها وهي تعطيه ثديها ، في وضع يذكر في بعض الأحيان بتماثيل السيدة العذراء بما يثير الدهشة .

وكان المصريون — منذ عهد سحيق — يتمثلون إيزيس في نجم الشعرى اليمانية ( سوتس ) ١ ، الذي كان ظهوره في الأفق الشرقي نبئاً بالفيضان ، وإذ كان الإغريق يدعون هذا النجم « الكلب » لذلك أصبحت إيزيس — سوتس تمتطى كلباً يلمع على رأسه النجم . وقد تمثلها المصريون كذلك على هيئة الأفعى ، المدافعة القديمة عن رع ( صفحة ٧٨ ) ، ولإرضائها اتخذ أوزيريس صورة الأفعوان أيضاً . وبدل على إيزيس في هذه الحالة الستروم ، وهو الآلة الموسيقية القديمة للنساء



١٦١ - إيزيس (برلين ٨٧٠٤ ، ٩٩٥٦ ، ١١٤٨٧) .

( صفحة ٢٠١ ) ، ثم الحجر التي كان يراق منها في المعبد الماء قربانا لها ؛ أما أوزيريس فتدل عليه كإله للموتى ، يستدرج الناس إلى النوم ، ثمرة الخشخاش ، وذلك حسب

(١) كان أهل مصر في العصر اليوناني يخلطون أحياناً بين إيزيس وسوتس وإلهة الفيضانات -



١٦٢- أوزيريس في هيئة

في هذا الطفل الصغير . على أنه إلى جانب ذلك كان يبدو المومياء (برلين ٩٣٦٨). كذلك ككائن إلهي ، فقد كان يجلس كأنه خليفة إله الشمس في السفينة (صفحة ١٩ ) ، أو في الزهرة (صفحة ٧٣) ، وقد يمتطي كبش آمون . وقد وجدت



١٦٣- إيزيس وأوزيريس في مقصورة (برلين ٨١٦٤).

الأوزة ، التي كانت تعبد في طيبة منذ الدولة الحديثة كحيوان مقدس لأمون ، طريقها كذلك إلى حربوقراط ، فهو يمتطيها أو يطعمها في حنان لِفنة . وإذا كان

هذا الإله الصغير قد مثل في بعض الأحيان وقضيبه منتصب ،  
فانه يبدو أنه قد أخذ ذلك عن مين ؛ ولكننا لانعرف سبب اتخاذ  
كذلك هيئة الرجل العجوز يحمل سلة في ذراعه . وقد يحمل  
حربوقراط أحيانا ، جريا على العادة الإغريقية ، بوق الوفرة ،  
يوزع منه عطاياه ، على أنه كثيرا ما يستبدل بهذه الأداة الشعرية  
قدرا قد تحتوي في الأغلب على الغذاء الذي يهبه الإله للناس .



١٦٤- حربوقراط  
بتاج القطرين (برلين  
٢٤١٠).

وقد نafs هذه الآلهة الثلاثة في مكانها وشهرتها إله آخر ،  
هو بس ، الذي لم تكن له من قبل غير أهمية ثانوية (صفحة ١٦٦) . وقد ظلت  
هيئته هزلية كما كانت من قبل ، ولكنه كان يؤثر أن يتخذ هيئة المحارب ينتضي  
السيف ويمسك بالترس (انظر شكل ١٧٠) . وثمة آلهة أخرى من أصل قديم كانت  
تبدو كذلك في هيئة الجند ، ومنها أنوبيس وأوبوات ، وهو ابن آوى القديم ، ويمثله  
تمثال صغير في مجموعة برلين في هيئة جندي ملتحي يمتطي صهوة جواده . أما حورس



١٦٥- حربوقراط (برلين ، ٩١٠٩ ، ٨٧٩٤ ، ٩١٠٦ ، ٩١٨١) .

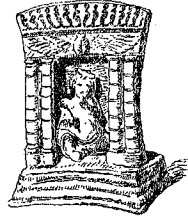
برأس الصقر فإنه يبدو لنا على هيئة المحارب الراجل أو الفارس يقذف برمح نحو عدوه  
الذي يبدو أحيانا في هيئة التساح من تحته ، وذلك تماما على نحو ما يبدو القديس

جورج في الفن المسيحي . ولم ينس ذلك العهد كذلك العجل أبيض والبقر المقدس والقردة والقطا والتماسيح والصقور .

وإلى هذه المعبودات القديمة انضم زيوس وهليوس وأرتميس وأفروديت وديونيسيوس وهرقل وبرياب . وفي الحق ، لقد تمصرت هذه المعبودات في أكثر الأحيان ، حتى كان على هليوس نفسه أن يحمل على يده تمساحا . ولكن ما كنته الأشكال الأخرى التي نجدها بجانب هذه الآلهة ؟ وما كنته أبو الهول المجنح

الذي يضع كفه على عجلة ؟ ومن تكون هذه المرأة العارية بتاجها الكبير ؟ ومن تلك الحسنة المماثلة ذات الذراعين العاجزتين ؟ ومن هي تلك الثالثة في المجموعة ، التي تبدو كمارد بطين يربض على الأرض بساقين منفرجتين ؟

وكل ما نستطيع أن نذكره هو أن ديانة العصر الإغريقي - الروماني كانت تزداد على الدوام ابتعادا عن الديانة القديمة ، وكانت تنتج نحو البساطة بادماجها المعبودات القديمة المختلفة معا ، على أنها كانت تضيف إليها دائما مخلوقات صغيرة جديدة ، لعل أحدا لم يكن يعرفها خارج مناطق عبادتها ، وإن كان لها في مناطقها شأن يذكر . ولستنا نعرف عنها عادة غير أسمائها ، ومن العبث التساؤل عن



١٦٦ - معبد صغير فيه حروبقرط (برلين ١٢٤٦٠) .



١٦٧ - حورس المحارب (برلين ١٧٥٤٩) .

(١) وإنا لنجده كذلك على نقش كبير في متحف برلين ، وقد تألف جسده من أجزاء آلهة مختلفة (متحف برلين رقم ٢٠٨٤٠) .

تكون الإلهة تريبيس أو الإله فنوير بالقيوم<sup>١</sup> ، ومن هو كولانتس بإخيم ؟ ثم من هو ذلك الإله الكبير أنطايوس ، الذى خلع اسمه على إحدى مدن الصعيد ؟ وكان يمثل على هيئة رجل ملتحم ، وفى قدميه حذاء طويل وعليه درع وسلاحه السيف والرمح ، وفى يده غزال ، من المحقق أنه كان ، على مثال ما كان عليه الأمر فى العهود القديمة (صفحة ١٩٨) ، يكنى به عن الكائنات الشريرة التى يقهرها ، وإلى جانبه رفيقته نفتيس<sup>٢</sup> . وبصفة استثنائية يمكننا أن نقول من أين أتى الإله الجديد برامارس ، الذى كان يعبد فى القيوم فى القرن الثانى<sup>٣</sup> ، حيث كانت توجد إحدى العجائب الكبرى لمصر ، وهى ما يسمى اللابرنث ، وهو المعبد الجنائزى لأمنمحات



١٧٠ - حورس المقاتل  
(برلين ١٩٦٥)



١٦٩ - أنوبيس المخارب . من البرنز  
(برلين ١٤٤١٨)



١٦٨ - بس المخارب الهامى  
(برلين ٨٤٤٢)

الثالث ، الذى كان يسمى فى العهد الإغريق لامارس<sup>٤</sup> . وقد أصبح هذا الملك يعبد باسم الإله « برامارس » فى هيئة الإله التمساح . وقد أدت عبادة هذا الملك القديم إلى أكثر من هذا ، وذلك لأنه إذا كان يحفظ به لها ، فما كان ينبغى أن يصنع أقل من

(١) Berl. Griech. Urk. Nz. 471 : Scharff, Ae. Z. 62, 90.

(٢) Golenischeff, Aeg. Zeitschr. 20, 135; 32, 1.

(٣) Rubinsohn, Aegyp. Ztschr. 42, 111.

(٤) كانت الصيغة القديمة لهذا الاسم قريبة الشبه فى جرسها من لفظ لاموربا ، وقد أدت بالإغريق إلى

تسمية هذا المعبد باسم اللابرنث .

ذلك بذلك الذى شاد ذلك المعبد المائل . وقد جاء فى إحدى الأساطير المتأخرة أنه كان مهندساً يسمى بتي سوخوس<sup>١</sup> . وبذلك أصبح بتي سوخوس هذا إلهاً ، واكتسب من الشهرة ما جعله يُختلط مع الإله التمساح سوخوس - سبك ، المعبود القديم لهذه المنطقة ، حتى لقد كان هذا الإله يسمى أيضاً بتي سوخوس<sup>٢</sup> .

وكذلك أولئك الحكماء القدامى ، الذين كانوا على نحو ما رأينا (صفحة ٣٦٤) يمجّدون كأنهم قديسون ، لقد أصبحوا على نحو صريح من الآلهة<sup>٣</sup> ، الذين يتمتعون فى بعض الأماكن بعبادة رسمية . وأولهم جميعاً المهندس إمحوتب ، أو إموتس كما سماه الإغريق ؛ وكان يعتبر ابناً لبتاح ، وقد أضحي الآن إلهاً شافياً ، فهو : « ربّ الحياة ينهبها لمن يحبّ وربّ الصحة »<sup>٤</sup> . وقد سوتى الإغريق بينه وبين أسكليبيوس تماماً ، ولسوف نعود فيما بعد إلى الكلام عنه وعن الكتاب الذى يقال إنه صنّفه (صفحة ٤٤٧) .

وإلى هؤلاء جميعاً يضاف مختلف الآلهة الأجنبية ، وذلك لأنّ الدعاية الدينية قامت فى مصر كما قامت فى سائر أجزاء الإمبراطورية الرومانية ، وقد أصبح فى مصر كذلك أتباع لأدونيس وللأم الكبرى وليترا<sup>٥</sup> .

من هذا يستبين المرء أن اضطراباً كبيراً كان يسود هذه الديانة المتأخرة ، وقد كانت الآلهة كثيرة حقاً بما فيه الكفاية ، وإنه لمن المضحك شيئاً ما أن تنعم الحكومة الرومانية كذلك على البلاد بإلهها جوبيتر الكايبتولى وبربتها روما . على أن هذه الديانة الرسمية لم تظفر فى حقيقة الأمر بأشباع كثيرين ، وإنما زادت فقط فى عدد الأعياد وفى نفقاتها التى كان على الجماعات أن تحمّل عبأها ؛ وبالإضافة إلى سائر الاحتفالات الأخرى كان يجب عليها أن تحتفل كذلك بعيد ميلاد روما وعيد ميلاد الإمبراطور .

(١) لا بد أن كانت هذه الأسطورة حديثة جداً ، تدل على ذلك صيغة اسم بتي سوخوس .

(٢) انظر : Schubart, Papyrskunde S. 351

(٣) هكذا كان أيضاً أمنتخب بن حابو على نحو ما جاء فى إحدى الكتابات الديموطيقية المنقورة .

(٤) Spiegelberg, Ae. Z. 50, 47.

(٥) هكذا فى فيلة ، حيث كان له معبد خاص أيضاً .

(٥) فى متحف برلين نقش ردى لبيترا من مصر ؛ انظر أيضاً Schubart, Papyrskunde S.353.



و كما أن لدينا عن الفترة السابقة للعهد الإغريقي ما كتبه هيرودوت ، الذى ينبئنا بما لم يرد عنه شيء فى نقش أو بردية ، فلدينا عن العصر الإغريقي الرومانى ما كتبه استرابو الذى جاب مصر حوالى عهد أغسطس . وقد كانت مصر إذ ذاك بالنسبة للعالم الرومانى ما أصبحت عليه الآن ، أى كانت بلاد العجائب التى كان يجب أن تشاهد فيها الأهرامات وتمثالا ممنون وقبور الملوك بطيبة ، والتى كان السائح يكتب اسمه على آثارها القديمة . ولا بعيننا هنا ما وجد فيه استرابو مثارا للدهشة من هذه العجائب ، غير أن فيما كتبه ما لا ينبغي أن نغض الطرف عنه . فهناك أولا ما يرويه عن عبادة الحيوان ، وهو يخصها بدور كبير من الأهمية ، يفوق ما يخصها به هيرودوت حتى ليبلغ به الاعتقاد أن يقرر أنه لم يكن بالمعابد المصرية تماثيل للآلهة ، وإنما كانت فيها تماثيل لحيوانات مقدسة ليس غير <sup>١</sup> . ولعل فى هذا ما يشير إلى أن هذا السائح الأجنبى قد وجه جل انتباهه إلى هذه الناحية الغربية من الديانة المصرية . أجل إنه لاسبيل إلى الشك فى أن عبادة الحيوان قد زادت أهميتها منذ هيرودوت ، ولقد كان ذلك العهد هو العهد الذى نظم فيه نصّ جنازى حافل بالمشاعر القوية وذلك فى أبيات إغريقية رثاء لثعبان سام مقتول : « بنواح عال ابكى أنا الثعبان المطهر ، ذا العمر المديد ، الذى ساقته يد أئيمة إلى العوالم السفلى » <sup>٢</sup> . وهو ذلك العهد الذى فيه أهلك العامة رومانيا لأنه قتل هرّة عفوا <sup>٣</sup> ، وتقاتلت فيه مقاطعتان متجاورتان لأن إحداها كانت تعبد سمكة وكانت الأخرى تعبد كلبا <sup>٤</sup> . على أنه كان يتصل بعبادة الحيوان ما لم يكن بسيطا سادجا . فإذا كان أهل دندرة كانوا يكافحون التماسيح ، فقد كان ذلك عملا صالحا طالما كان يحدث عن تقليد دينى ؛ ولكنهم فطنوا كذلك إلى ما يمكن أن يجنوه بذلك من ربح ، فطفقوا يعملون فى روما مروّضين للتماسيح <sup>٥</sup> . وكانت الحيوانات المقدسة فى المعابد تعتبر حقا مما يستحق

(١) Strabo 17, 28.

(٢) Berl. Ausf. Verz. S. 339.

(٣) Diodor I, 84.

(٤) Plut. Is. et Os. 72.

(٥) Strabo 17, 44.

الرؤية ، ولهذا كان أبيس وأمه يقيان في هيكليين صغيرين يشرفان على فناء . وكان يسمح بالتطلع إلى أبيس من خلال الباب ؛ ومن أجل الأجانب كان يسمح له بأن يرتع برهة في الفناء ، وذلك على وجه التحقيق لقاء أجر كاف<sup>١</sup> . وكان يسمح كذلك بتقديم الطعام له ، فإن لم يتقبله الثور المقدس كان في ذلك فآل سيء<sup>٢</sup> .

وفيما عدا ذلك كانت لأبيس أيام كثيرة يخرج فيها ليشاهده الشعب ؛ وكان رجال الشرطة يفسحون له الطريق ، بينما تجرى من حوله جموع الصبية تتغنى بمدائحه حتى يأخذهم الدهول فيتكهنون<sup>٣</sup> — وهذه سمة غريبة ، وذلك لأن الهيام المذهول كان غريبا عن المصريين الرزين .

ولندع استرابو يقصّ بنفسه كيف شاهد التمساح المقدس سرخوس في أرسينوى ؛ « وهو يطعم خبزا ولحما مما يأتي به الأجانب دائما عند ما يجيئون لشهوده . وقد مضى بنا مضيئنا ، الذى كان من عليه القوم ، والذى كان يجوب بنا هناك ، إلى البحيرة ، وقد أحضر معه من طعام الغداء فطيرة صغيرة وشواء من لحم وإبريقا صغيرا من شراب العسل . وقد وجدنا الحيوان راقدا على الشاطئ فاقترب الكهنة منه ، وفتح بعضهم فاه وألقمه أحدهم الفطيرة واللحم ، ثم سكب فيه بعد ذلك شراب العسل ؛ ومن ثم قفز التمساح في البحيرة وسبح إلى شاطئها الآخر . ولما جاء أجنبي آخر يحمل هدية أخرى جرى بها الكهنة سراعا حول البحيرة وألقموه إياها »<sup>٤</sup> .

وكان لإطعام التمساح مما يجب أن يشاهده السياح في مصر ؛ وهو بعض ما يتمثل من مناظر مصرية على قطعة من التسمية ساء في متحف الكابيتول ؛ وكان عند تقدير تكاليف زيارة رسمية ، يعمل كذلك حساب ما يقدم للتمساح المقدس من طعام<sup>٥</sup> . وكان الرجل المثقف في مصر يرجو كذلك أن يشاهد الكهنة الحكماء الذين قيل

(١) نفس المرجع ١٧ ، ٣١ .

Plin. H. Nat. VIII 185. (٢)

Plin. H. Nat. VIII 185. (٣)

Strabo 17, 38. (٤)

(٥) Schubart, Aegypten, S. 222 . يتناق الأمر هنا بزيارة لمبعوث روماني في القرن.

عندهم إن الإغريق تعلموا عنهم كثيرا . وقد شاهد استرابو دورهم بهليوبوليس ؛ أما « الفلاسفة والفلكيون » أنفسهم فلم يعد لهم وجود ؛ وقد قابل استرابو كذلك « مقدمي القربان والأدلاء » ١ . أما كهنة طيبة فقد كانوا لا يزالون يُعتبرون أهل علم يحسنون إجادة تلك المعارف ٢ . وقد عرف استرابو أيضا كاهنات طيبة ، وما يقصه عنهم ٣ لا ينبغي أن نغفل عن ذكره . فقد جاء أنه كان ينبغي أن تنذر لآمون أجل الفتيات وأعرقهن ٤ أرومة ، وكان لها أن تهب نفسها شهرا بأسره إلى من يروق لها ، ومن ثم كانوا ييكونها بعد ذلك ويزوجونها . هذه الرواية تدعو إلى التفكير في الزوجات الإلهيات ٤ وأوليات المحاطي والمغنيات اللاتي كن يؤلفن في الدولة الحديثة حريم آمون ؛ ولا يملك الإنسان إلا أن يتساءل عما إذا كان هؤلاء النسوة كن أساس هذه الرواية الغربية . ولكن من يدري إذا كان استرابو لم يسيء تماما فهم النظم القديمة ، إذا ما من مصدر آخر لدينا يعرف شيئا عن هذه العادة المزعومة .

ومع ذلك فإن معرفتنا بظروف الكهنة في هذا العهد المتأخر لا تكاد تعدلها معرفتنا بظروفهم في أي عهد آخر . ذلك لأنه يضاف إلى كل ما خلف هؤلاء الكهنة من نصوص ، البرديات الإغريقية التي تشرح كذلك هذا الجانب من الحياة المصرية .

وإننا لنعلم من شواهد القبور المصرية ، ومن التوابيت والنقوش التي نذرها هؤلاء الكهنة ، أي آلهة كانوا يتعبدون لها في معابدهم الخاصة ، وأيها كانت تعبده في المنطقة المجاورة . وإننا لنقرأ فيها أنهم كانوا كهنة عند هذا الملك وعند تلك الملكة ، وأنهم كانوا يشرفون على حراسة الابن الإله لمعبدهم ، ويقومون برعاية حيوانه المقدس . وكانوا يضمون إلى مراتبهم الكهنوتية أرفع ألقاب ذلوة الفراعنة القديمة ، ويعددون لنا في زهو وفخر أن الأب والجد والأسلاف جميعا من قبل الآباء والأمهات كانوا كذلك

Strabo 17, 28. (١)

(٢) نفس المرجع ١٧ ، ٤٦ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) في عهد بطليموس فيلادلفوس كان لا يزال هناك سبدهات من البيت الممالك بمثابة زوجات إلهيات

كهنة ممتازين<sup>١</sup> . وكثيرا ما كان يصحب هذا المركز الرفيع التحليل دخل و فير ، وذلك لأن معبدا كبيرا في ذلك العصر كان في مركز يضمن فيه لأتباعه حياة رعدة . وفي معبد إدفو مثلا نص<sup>٢</sup> يرينا مدى ما كان يمكن أن تبلغه ثروة معبد مماثل ، فهو يحصى في تفصيل واف جميع ما يمتلكه المعبد من حقول في القرى الأول قبل الميلاد ، ولا يزال كثيرا مما يتضمنه غامضا علينا ، على أن من الواضح أن ما كان يدعيه حورس معبود إدفو أنه من أملاكه الخاصة كان لا يقل<sup>٣</sup> عن ٣٣ كيلو مترا مربعا ، موزعة على قطع صغيرة وكبيرة في الوجه القبلي . ويجب ألا يفوتنا أن هذا الإحصاء لا يشمل غير الممتلكات العقارية ، وأنه لا سبيل إلى تكوين فكرة عما كانت تبلغه بقية ثروة المعبد من أموال معدة<sup>٤</sup> ومن دخول وفوائد<sup>٥</sup> .

ولا ينبغي أن يغيب عن الذهن أيضا أن المعابد كانت تدع صناعها ينتجون مختلف الأشياء للخدمة حاجتها فحسب ، وإنما من أجل الكسب أيضا . وكان من أهم المنتجات الكتان الرقيق والزيت . وكانت المعابد تنشئ كذلك الحمامات والمخابز ومصانع الجعة لاستئجارها<sup>٦</sup> .

ومهما يكن من شيء فلم يكن من الحظ السيء الانتهاء في العصر الإغريقي إلى أحد المعابد الكبيرة .

على أن الناظر في أوراق البردي يجد كذلك معابد أخرى كانت موارد الرزق فيها محدودة جدا<sup>٧</sup> . فعلى حافة صحراء الفيوم كان يقوم على بحيرة موريس معبد « سبك معبود الجزيرة » ، أو سكنو بابو ، كما كان يسميه الإغريق . وكان لذا المعبد كاهن أعلى يتقاضى مرتبا ضئيلا لا يعدو ٣٤٤ دراهمة ، أما سائر كهنته الآخرون فقد كانوا يتقاضون مجتمعين حوالى ٣٠ لترا من الخنطة يوميا لقاء ما يبذلونه من جهد

(١) هكذا ظلت وظيفة الكاهن الأعلى لمنف لثلاثة عام تقريبا في أسرة واحدة من عهد بطليموس الأول حتى كلوباترة الأخيرة ( Otto, Priester u. Tempel I 204 ff. )

(٢) لقد افترض مثلا معبد جوبيتر الكابيتولى ، الذى كان ينتمى تماما إلى المتابع المصرية ، إلى ٢١ شخصا مختلفا بمبالغ كبيرة وصغيرة في مرة من المرات .

(٣) Otto, Priester u. Tempel 291 ff. (٤)

(٤) كانت الحكومة الإغريقية تجعل المعابد على ثلاث درجات .

وعناء . ولم يكونوا يعفون من أعمال السخرة في الجسور ، فإذا أعفاهم منها مواطنوهم فإنما كان ذلك من قبيل الجميل فحسب . وفيما عدا ذلك كان ما يدخل للمعبد يصرف على العبادة فيه . فقد كان يجب في كل عيد الحصول على كتان رقيق لكسوة التماثيل الثلاثة المقدسة ، وكانت تبلغ نفقة ذلك كل مرة مائة دراخمة ؛ هذا فضلا عن عشرين دراخمة لتضميخ التماثيل المقدسة بالدهن وزيت المرّكل مرة ، وخمسين دراخمة للبخور في الأعياد ، وكانت أعياد ميلاد الأباطرة تقتضى كذلك ٤٠ دراخمة للقرابين والبخور<sup>١</sup> . وعلى الرغم من ظروف هذا المعبد السيئة فقد ظل هؤلاء الكهنة — وكانوا من الفلاحين وصغار الطبقة الوسطى — يعنون بالأيتلاشى ما لوظيفتهم من قداسة قديمة . وقد جعلوا من أبنائهم في سنّ الصبا خلفاءهم في طبقتهم الكهنوتية ، وكذلك ظلت بناتهم حتى بعد الزواج تنتسبن إلى طبقة آبائهن . أما من كان يجيد من هؤلاء الكهان عن تقاليد طبقتهم ، فيرتدى ثيابا من صوف أو يسمح لشعره بأن يطول فقد كانت السلطة العليا تستعدى عليه ، وذلك لأن لباس الكتان والرأس الحليق كانا من علامات الكهنة الخاصة منذ أمد بعيد<sup>٢</sup> . وقد كان الختان عاما بين المصريين جميعا من قبل دون أن تنسب إليه حقا أية أهمية خاصة ، على أنه أصبح كذلك عادة للكهان ، ولم يكن يسمح بأدائه لأبناء أسرهم إلا بإذن من الكاهن الأعلى ، وكان ذلك فقط عند ما كان يثبت قدماء الكهنة أن الصبي يتخلو من أية علامة تجعله غير صالح لأن يكون كاهنا . عدا هذا لقد كان هذا الكاهن الأعلى أكبر موظف لشئون العبادة في منطقة كبيرة ، وهو بذلك كان الممثل للموظف الروماني الكبير الذي كان بوصفه « الكاهن الأعلى للإسكندرية » و « مصر جميعها » له الإشراف الرسمي على معابد وادى النيل .

مما سلف عرضه جميعا ، يبدر إلى الدهن أن ما كان يبذل من عناية بعبادة الآلهة في هذا العصر كان يفوق ما بذل لها من قبل ؛ وليبيان ذلك نسوق هنا مثلا واحدا ؛

(١) ويدل على ضآلة الطاقة المالية للمعابد الصغيرة أنه قد دعا الأمر في إحدى السنين في تبتيس إلى عدم إقامة الموكب العظيم لسنة الجديدة ، وذلك لأن ملابس الطائر أبي منجل والصفقر سرقت عند غسلها (Schubart, Aeg. S. 285)

(٢) وكانت عقوبة مثل هذه المعاصي لا تقل عن ١٠٠٠ دراخمة (Schubart, Ae. Z. 56, 89)

وهو أن ناحية صغيرة من الفيوم ، لا يزيد تعداد أهلها عام ١١٥ ق . م . عن بضعة آلاف ، قد كان فيها ما لا يقلّ عن معبدين كبيرين و ١٥ معبدا صغيرا<sup>١</sup> ، وكان لا بد أن تقوم على رعايتها جميعا الكهنة ، وإذ كان في معبد واحد ، هو معبد بتينس<sup>٢</sup> ما لا يقلّ عن خمسين كاهنا كانت تعترف بهم الدولة ، فلا مبالغة حقا في تقدير عدد كهان مصر جميعا من نظاميين وعلمانيين بمائة ألف على الأقل . ولو أن هذا العدد الكبير كان تحت سلطة موحدة لكان له قوة هائلة ، ولكنه لم يكن كذلك ، وفي بعض المناسبات فقط كان رجال الدين يتحدون معا ، وكان أهمّ ما يشغلهم إذ ذاك ابتداع تكريمات جديدة للبت المالك<sup>٣</sup> .

وإذا ما غضضنا الطرف عن الفوارق التي كان وجودها طبيعيا بين كهنة المعابد الكبيرة والمعابد الصغيرة ، ألفينا أن في المعبد الواحد كانت مراتب الكهان تتدرّج تدرّجا كبيرا . فقد كان هناك أولا الكهنة الأعلون ، وهم رؤساء الكهنة والعرافون ، الذين كانوا سادة المعبد حقيقة ؛ وكان لهم حظ حمل تمثال الإله في الموكب . ويلهم قبل غيرهم القائمون على لباس الإله وعلى المظاهر الخارجية الأخرى للعبادة . أما كهنة الطبقة الدنيا فكانوا يتألفون من العلمانيين ؛ وكان أعلاهم طبقة هم حملة ناووس الإله ، وقد أبت عليهم السلطات الرومانية أن يسموا أنفسهم كهانا<sup>٤</sup> .



١٧١ - كاهنان يحيطان تمثال  
حر بوقراط  
(برلين ١٢٤١٧) .

وهناك فارق آخر ، فقد كان رجال الدين يقسمون إلى أربع طوائف وفقا لعرف قديم ؛ ويرجع هذا على ما يبدو إلى أن كهنة النوبات القدامى (صفحة ٢١١) كانوا ينقسمون وقتا ما إلى أربع طبقات ، تنولى كلٌّ منها

(١) Schubart, Papyruskunde, 8.

(٢) Schubart, Aegypten, S. 296.

(٣) تمثل قرارات مثل هذه المجامع في مرسومي كانوب ورشيد .

(٤) Schubart, Ae. Z. 56, 92.

إدارة المعبد ثلاثة أشهر . على أن أحدا لم يعد يلبرك معنى ذلك ، ويدل على هذا أنه في سنة ٢٣٨ ق . م . زيدت في كثير من بساطة طائفة خامسة ، كان عليها أن تعنى بتمجيد البيت المالك .

وليس من المستطاع هنا بحث المصادر التي كان الكهان يستقون منها دخلهم في مختلف العصور ؛ غير أنه من الطريف أنه في معبد لم يكن يضم سوى كاهن أعلى واحد ، كان هذا الكاهن يحصل على مالا يقل عن خمس مجموع دخل المعبد<sup>١</sup> . ومما هو جدير بالملاحظة كذلك أن الكهنة كانوا يتناولون مرتبات عن قيامهم بأعمال معينة ، وكانت هذه المرتبات ثابتة ، بحيث كان يمكن أن يوصى بها كأنها دخل خاص<sup>٢</sup> ، أو أن يُستفَع بها في وفاء حساب أو دين<sup>٣</sup> .

على أن الشرف التليد والرداء العتيق الخاص لم يكونا ليصنعا كاهنا حقيقيا ، وإنما كانت هناك أشياء أخرى تطلب ممن يسمح له مجلس الطوائف الخمس بأن يكون كاهنا في حضرة الإله<sup>٤</sup> . فقد كان يجب أن يجيد معرفة الكتابات المصرية الثلاث إجادة تامة ، وأن يكون ضليعا في الكتب المقدسة<sup>٥</sup> . وكان يجب أن يعرف الأيام والساعات المحددة للشعائر المقدسة ، وكان عليه قبل هذا وذاك أن يعرف كيف يتخلق بالأخلاق الفاضلة . وكان يجب « أن يكون ذا فم قويم وشفيتين عذبتين »<sup>٥</sup> ، حتى يكون لتسايبحه التي يترنم بها عند تقديم القرابين جرس جميل . وما كان ينبغي له أن يعجل في خطوه ، ولا أن يتحدث مع آخر بصوت عال<sup>٦</sup> .

ومع هذا فإن من ينبغي الحكم على الديانة المصرية في العهد الإغريقي الروماني اعتقادا على ما تعلن عنه معابدها في صورها ونقوشها فحسب ، فإن يفيد من ذلك إلا صورة غير كاملة عنها ؛ وذلك لأن من حولها قد نشأت صنوف مختلفة من الخرافات أخذت تنمو وتنتشر وتبلغ غاية ازدهارها أكثر من قبل . أجل لقد ازدهر التصوف

(١) Schubart, Ae. Z. 56, 90 (فقرة ٧٩) .

(٢) Schubart, Papyruskunde, S. 355 .

(٣) Glanville, Journ. of Eg. Arch. 19, 34 ff .

(٤) Clemens Alexandrinus Stromata V, 4 .

(٥) Edfu, II 34 .

(٦) Morgan, Ombos II, 245, 878 .

وازدهرت الخرافة كذلك في البلاد الأخرى في ذلك العصر ، ولكنهما وجدا في مصر تربة صالحة بنوع خاص ، وبذلك شغلت الآلهة إذ ذاك أكثر من قبل بإعلان تنبؤاتها وشفاء الأمراض . وكان الرجل إذا ابتغى الغوث نام في المعبد ، فينبئه الإله عن مشيئته وقضائه ، وذلك عن طريق رؤيا يفسرها له الكاهن . وقد يحدث حقا أن في مثل هذا التفسير ما يضل السائل ويعود عليه بالضرر ، حتى إنه ليقول في غضبه للمفسر « إنه يكذب كما تكذب آلهته » ، وإن « الآلهة ضللت به في إيمانه بالأحلام »<sup>١</sup> . غير أن آخرين غيره كانوا يعتقدون في ذلك اعتقادا قويا ، وكانوا يجمعون ما كان ينسب إلى سيرابيس والآلهة الأخرى من قصص الشفاء ، وذلك في كتب كانوا يبتغون بها تمجيد الآلهة وفائدة الأتقياء . وقد حفظت لنا مقدمة كتاب من هذا القبيل يشيد بمعجزات الإله إاموتس ، وهو الحكيم القديم الذي غدا إلها (صفحة ٤٣٩) . والذي سوتى الإغريق بينه وبين أسكليبيوس . وفيها يقص المؤلف بأن هناك نصا مصريا قديما ، يروى كيف أن الملك منكاورع ، بانى الحرم الثالث ، كان يخص إاموتس بتمجيده ، وأن هذا النص ظهر من جديد في عهد نقتاناب . آخر الملوك الوطنيين ، غير أنه كان بالخط المصرى ، ولهذا لم يكن يفهمه غير الآلهة . وإذ كان مؤلف هذا الكتاب يدين بالجميل لإاموتس ، لأنه أبرأ أمه ، فقد آتى على نفسه لهذا الإله أن يترجم النص القديم إلى الإغريقية . على أن هذا العمل كان صعبا . ولهذا أجله ، فبعث إليه الإله بأحد الأمراض . وفي الليل « إذ ينام كل شيء عدا المرضى » تملكه الحمى وضيق التنفس والسعال . وكانت أمه تجلس إلى جانب فراشه محزونة « وإذا بطيف إلهي مخيف يظهر فجأة ، ولم يكن ذلك حلما . وكان أكبر من الإنسان وفي ملابس بأهرة ، وفي يسراه كتاب . وقد نظر إلى المريض مرتين أو ثلاثا من رأسه إلى قدميه . . . » . ولما تمالكت الأم نفسها ، أيقظت ابنها فوجد نفسه معاق من الحمى ، وفي بحر من العرق . ومن العجيب أن كل ما شاهدته قد رآه هو أيضا في نومه . وقد قدم للإله الشافي القربان شاكرا ، ولكن الكاهن الذي كان قائما على



تقديم القربان أشار عليه بأن إنجاز الوعد أحب إلى الإله من القربان . وبهذا كتب المبرأ من مرضه كتابه ليعظم من مجد الإله : « ولسوف يروى كل لسان إغريقي قصة إيموتس ، ولسوف يمجده كل إغريقي »<sup>١</sup> . ولا يكاد الإنسان يغمط حق ذلك الكتاب ، الذي يبدأ على هذا النحو ، إذا اعتبره كتابا للدعاية لوحى إيموتس في منف ؛ وإنما لتعلم ما كان يجرى في مثل أماكن الوحي هذه مما كتبه لوسيان عن العراف إسكندر الأيونوتيخي ، إن لم نكن نعرف ذلك من مصادر أخرى .

وفي مصر نجد كذلك استلهام الوحي بطريقة رقاغ الأسئلة ، التي استغلها بمهارة فائقة صانع الأعاجيب هذا . وقد وجدت أمثال هذه الرقاغ في هيكل سكنوبايو أيضا ، ذلك المعبد الصغير الذي كان يقع على حافة صحراء الفيوم ، على الشاطئ الآخر من بحيرة قارون ، والذي بقي لنا فيه الكثير من العجائب . وكان أصحاب هذه الرقاغ من الفلاحين وصغار الطبقة الوسطى في هذه المنطقة ، وهي تكشف لنا عن رغباتهم وآلامهم . فهذا أحدهم يسأل الإله عما إذا كان عمدة القرية قد باع بقرة ؛ وهذا آخر يريد أن يعرف هل يفحص حاكم المقاطعة الوثائق ؛ وتلك امرأة ترجو أن تعرف هل لها أن تشتري عبد امرأة أخرى . وآخر يكتب على رقته : « أيقدر لي أن أتزوج تابتويس ، وهل لن تكون زوجة رجل آخر . بين لي ذلك وحقق لي هذا الرجاء المكتوب . لقد كانت تابتويس زوجة لخوريون من قبل »<sup>٢</sup> . ومن الواضح أن السائل قد أضاف العبارة الأخيرة حتى يتضح للإله تماما ، أى امرأة بهذا الاسم هي المقصودة بالذات . وقد ازدهرت هذه الطريقة في المعابد الكبيرة أيضا ، كما في أبيدوس حيث كان بس يجيب على رقاغ الأسئلة<sup>٣</sup> ، وكما في هليوبوليس ، حيث كانت تقدم للإله رسائل مختومة ، كان يجيب عليها كتابة<sup>٤</sup> .

وكان معبد سكنوبايو من أماكن الحج أيضا ، يزوره الحجاج من الأماكن القاصية ، وذلك لأن إلهه كان قريبا من الناس بصفة خاصة ، وكان يستمع فيه

(١) Oxyrhynchus Pap. XI 1381. سطر ٢٠٠ .

(٢) Schubart, Papyruskunde S. 357.

(٣) Ammianus Marc. 19. 12, 3 وذلك طبقا لما جاء في Schubart, Ae. Z. 67, 114

(٤) نفس المرجع طبقا لما جاء في Macrobius Saturn I, 23

إلى الدعوات أكثر مما كان الأمر في أى مكان آخر . وكان من أمثال هذه الأماكن  
السيرابيوم فى منف ، ومعبد أبيدوس ومعبد إيزيس بفيلة فى العصر الرومانى بنوع  
خاص ، حيث نعرف مما لا يحصى من كتابات ، أن هؤلاء أو أولئك قد تعبدوا هنا  
لإيزيس فى ورع وتقوى — وذلك تماما على نحو ما تطلب إحدى الكتابات فى بلاد  
النوبة من التوى<sup>١</sup> : « زر كل معبد للتعبد والدعاء »<sup>١</sup> .

بيد أن ما كان يقدم للآلهة من دعوات لم يكن لسعادة الغير دائما ، إذ كانت  
تقدم إليهم كذلك تمنيات أقلّ وداً وإخلاصا . فقد وضعت امرأة تدعى ارميزيا  
رقعة أمام سيرابيس ضمنها شكواها ضد زوجها تهمه بأنه يسرق قرايين مقبرة  
ابنتها ، فإذا رأى الإله أنه مذنب فليحرمه وأبويه من الدفن ونجس حياته وحياة  
كل من ينتمى إليه طوال قيام هذه الشكوى أمام الإله . وقد حرصت أن تصيغ إلى  
هذا أن يعاقب الإله<sup>٢</sup> كذلك كل من ينزع هذه الرقعة<sup>٣</sup> .

وكان الإنسان يؤثر أن يتجه بالرجاء الخبيثة لآلهة العظيمة وكهنتها وإنما  
إلى الساحر الذى كانت طوعه الآلهة والشياطين على حدّ سواء ، فن كان يرغب مثلا  
أن يشلّ عدواً فقد كان يأخذ رأس حمار ويلطخ قدميه بالطين ، ثم يتجه إلى الشمس  
ورأس الحمار بين القدمين . وكان يدهن يديه وفه بدم حمار ، ويمدّ إحدى يديه إلى  
أمام والأخرى إلى خلف ، ثم يقول : « إني أدعوك يا من تقطن الفضاء ، يا مخيف ،  
يا خفى ، يا قوى ، يا إله الآلهة ، يا متلفا ويا مخربا ، يا من يكره بيتا يسوده النظام .  
إنك حينما طردت من مصر سميت « محطم كل شيء » ، والذى لا يقهر » . أيا تيقون  
ست إني أدعوك ، إني أتمّ رقيتك ، لأنى أدعوك باسمك الحقّ ، الذى به لا يمكنك  
لإتصيح السمع : يو — إربت ، يو — باك — إربت ، يو — بلخو — ست ،  
يو — يو — باتاناس ، يو — سورو ، يو — نيوتو سوات ، اكتيوفى ، إرشيجال ،  
نب — أبو سوات ، أبى — رامنتون ، لرتكس — أناكس ، إترليوت ، تماربا ،

(١) Schubart, Aegypt. S. 312.

(٢) لا يزال الإله يسمى أزييرابيس ، ولهذا فإن هذه الرقعة قديمة جدا .

(٣) Wilcken, Urk. I 102.

إمينال ! تعال إلى وادن منى ، وأصب هذا أو تلك بالقشعريرة والحمى . لقد أساء إلى ، وأهرق دم تيفون . . . ومن أجل ذلك أفعل هذا <sup>١</sup> . والإله الذى يدعوه الساحر على هذا النحو هو ست القديم ، الذى سوتى الإغريق بينه وبين المارد تيفون ، وقد تمثل المصريون منذ عهد مبكر حيوانه المقدس على شكل حمار (صفحة ٤٦) ؛ وعلى هذا التصور تعتمد هذه التعويذة السحرية ، وإليه أيضا يرجع لفظ « يو » المتكرر ، وذلك لأنه هو الاسم المصرى للحمار . ويبدو أن « أناكس » إن هى إلا كلمة إغريقية ، أما « إرشيجال » فتدل على أن بعض هذه الأسماء قد وردت إلى مصر من مناطق بعيدة ، وذلك لأنها ليست إلا الاسم السومرى القديم لإلهة العالم السفلى <sup>٢</sup> ، الذى لا بد أن أدخله إلى مصر سحرة بابل . وفيما عدا هذا فإننا نجد كذلك فى الصبغ السحرية من ذلك العصر صنوفا مختلفة مما لا ينتمى إلى مصر ولا إلى بلاد الإغريق . وهى بالأحرى ذكريات متخلفة عن الديانة اليهودية ، فإن الساحر يذكر فى نفس واحد أوزيريس وسباوت ( أى زباوت ) ، ورؤساء الملائكة وآلهة الإغريق . وكان الساحر إذا أراد أن يظهر له الإله فى الرؤيا جنح إلى الاستعانة بموسى « الذى تجليت له على الجبل » ، ثم يؤكد له بعد ذلك مباشرة بأنه « سيمجده فى أبيدوس » و « فى السماء أمام رع » <sup>٣</sup> . وكانت مثل هذه الأسماء والكلمات الأجنبية كثيرا ما ترد كذلك على قطع الأحجار المنحوتة ، التى كان من المعتاد جعلها كتّام . وكان لا بد من أن تمثل عليها آلهة مصرية أو إغريقية أو آلهة نفيلة جمعت بين النوعين فى أشكال غريبة ، وإلى جانب ذلك ألفاظ مثل ياو <sup>٤</sup> أبراساكس ، ياو سباوت أو سمس لإيلام ( أى الشمس الصغيرة ) أو باى إن خوخ (روح الظلام) <sup>٥</sup> .

ودخلت مصر فى ذلك العصر كذلك صنوف جديدة من الخرافات ، وقد ازدهرت

Thompson, Demot. Magical Papyrus, p. 145. (١)

Thompson, Demot. Mag. Papyrus, p. 61. (٢)

Thompson, Dem. Mag. Pap. S. 47. (٣)

(٤) ياو هو هوى .

(٥) انظر : Berl. Museum Ausf. Verz. S. 378 ff.

فيها كثيرا ، وهى التنجيم والكيمياء وغيرهما ، مما لم يكن له على ما يبدو أصول فيها كان للمصريين من سحر قديم . على أن الأهمية الرئيسية قد ظلت لفنون السحر القديمة وهى : شفاء الأمراض والجروح ، وتعاويد الحب ، ورقى جلب السلطة والهيبة ، وكل التعاويد الغريبة التى تثير الجنون والمرضى . وكان يعتقد أن الساحر فى ذلك العصر



١٧٧ - تيمم من الحجر ، تسمى عادة جواهر أبركساس (برلين ١٩٦٥ ، ٩٧٩٩ ، ٩٨٥٨) .

يستطيع أن يفهم منطق الطير والزواحف ، وأن يفتح السماء والأرض والعالم السفلى ، وأن يستدعى الموتى من عالمهم . وقد بلغ من انتشار كل فنون السحر هذه فى مصر أن أصبح العالم المصرى يعتبر فى تصور العامة فى العصر الرومانى - فى بساطة ويسر - ساحرا أيضا . وترينا قصة لوسيان الطريفة كيف كان الرجل نصف المثقف يتصور إذ ذلك الحكيم المصرى . فهى تروى لنا كيف أن شابا حمله أبوه على السفر رغبة فى تثقيفه ، قد زار مصر أيضا ، فركب النيل مصعدا ، إذ كان لا يلد من أن يثير تمثال ممنون إعجاباه . وفى عودته تعرف فى السفينة على رجل مسن ، يسمى بنكرانس ، وهو اسم إغريقى ، وقد كان يجيد الكلام بالإغريقية ، على أنه كان مصرىا من منف . وكان رجلا كثير الإطراق والتفكير ، له ساقان نحيلتان وأنف أفتطح وشفتان بارزتان . وكان رأسه الحليق وقميصه الكتانى يدلان على أنه كاهن ؛ وكان من الكتبة المقدسين ، بل كان « صاحب حكمة رائعة ، خيرا بالثقافة المصرية جميعا » . وقد قضى ثلاثة وعشرين عاما طوالا فى أماكن خفية تحت الأرض ، تعلم فيها السحر من إيزيس نفسها . ولهذا كان يأتى فى كل يوم بمعجزة يدهش لها رفيقه فى السفر ؛ من ذلك أنه كان إذا تمقت السفينة امتطى التماسيح وطفق يعوم بين الحيوانات ، وهى تأتى إليه خاضعة تهز أذيالها ، حتى إن العالم أجمع اعترف له بأنه رجل قديس . ولم يكن بحاجة إلى أن يصطحب معه من يخدمه ، وذلك لأنه حين كان يحتاج إلى من يعاونه فى المساء ، كان يتناول أية أداة فيتمتم عليها مقاطع ثلاثة من صيغة سحرية فتستحيل فى الحال

خداما يجلب له الماء ، ويقوم له بغير ذلك من خدمات . وعلى الرغم مما أبداه الفتى من صداقة ، فقد كان يحتفظ بسحره هذا سرا لا يوح له بشيء منه . على أن الفتى عرفه صدفة ، ولم يتوان في محاولة تجربته بنفسه . ولست بحاجة إلى أن أبحث هنا ماجرته عليه هذه المحاولة من شر ، وذلك لأن « صبي الساحر » من تأليف جيتا قد أشاعت هذه القصة بيننا جميعا <sup>١</sup> .

ويتصل كذلك بعالم السحر هذا ، ذلك الأدب الذى نسميه كتب هرمس ، وذلك لما يظن من أنها تتضمن تعاليم هرمس العظيم ثلاثا ، وهوتحوت إله الحكمة القديم ، أو هرمس تريمجستس . وقد اجتذبت هذه الكتب الصوفية وما يماثلها من كتابات بويماندر أشياعا كثيرين ، وفى هذا ما يميز ذلك العصر ، الذى لم يعد فيه المثقفون يؤمنون بالآلهة القديمة ، والذى فيه أخذوا يبحثون فى قلق عن وحى جديد . أجل لاتزال بعض آثار التقاليد القديمة هنا وهناك فى هذه الكتابات ( صفحة ٣٨٥ ) ، ولكنها فى جملتها تمّ عن روح غريبة ؛ وإنما فى أغلبها لتأملات فلاسفة متصوفين ، لاضابط لها .

فى هذا العصر ، الذى تبدلت فيه التصوّرات الدينية كثيرا أو قليلا ، لم تسلم كذلك من تأثير التصوّرات المتعلقة بالحياة بعد الموت ، وهى التى يمكن أن تعتبر فى مصر ثابتة لاتتغير . حقا لقد ظلت الطقوس من الناحية الشكلية هى بصفة عامة كما سنرى ، ولكن المرء أصبح يتمثل مصائر الموتى على نحو يختلف فى كثير من جزئياته عما كان يتصوّره من قبل ، وتدلّ على ذلك إحدى قصص هذا العهد . لقد كان الكاهن الأعلى خعمواس يرجو أن يكون له ولد ، فأرسل إليه أوزيريس ميتا خبيرا بالسحر ، ولد له كابنه . وكان هذا الابن واسمه سى . أوسر رع يعاون أباه بفتوته السحرية ، وقد أدخله يوما إلى العالم السفلى ، وكان ماشاهده الكاهن الأعلى فى هذه الرحلة غريبا جدا ، لا ينبغي لنا هنا أن نغضّ عنه النظر .

وقبل أن يلج الرجل وابنه فى جبانة منف إلى العالم السفلى ، قابلا فيها جنازتين ،

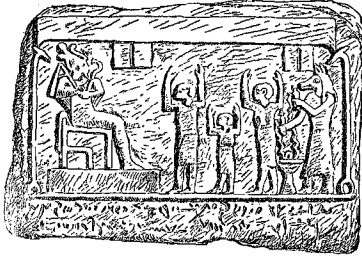
(١) Lucian, Philopseudes - وإل هذا يرجع أيضا ما جاء من أن كفتا العقيم تلق

حكته « فى أعماق المقابر المصرية » .

أولاهما لرجل ثرى تشيعه باكية إلى مقره الأخير حاشية كبيرة في ملابس فاخرة ،  
والثانية لرجل فقير يُحمل إلى قبره ملفوفاً في حصير ولا يشيعه أحد . وعندما اجتازا  
الأبهاء المختلفة في العالم السفلى شاهدا في الخامس منها « الممجدين الأجلاء » ، وفي  
السادس كان يجلس أوزيريس نفسه على عرشه الذهبي وإلى جانبه أنوبيس وتحوت  
مع مستشاريه . ومن أمامه كان الميزان الذى فيه توزن أعمال البشر (صفحة ٢٥٧) ؛  
« فن كانت سيئاته أكثر من حسناته فإنه يسلم إلى الملمّمة في العالم السفلى ؛ وتنفى  
روحه وجسده ، ولا يجوز أن يحيا بعد ذلك . ومن كانت حسناته أكثر من سيئاته فهو  
يُستقبل بين المستشارين المقدسين لسيد العالم السفلى على حين تذهب روحه إلى السماء ،  
مع الممجدين الأجلاء ، وقد شاهد ، خعمواس كذلك شتى طوائف المعذّبين ؛ وكان  
بعضهم في البهو الرابع .» وقد علق فوق رء وسهم الخبز والماء ، وهم يمدون إليهما أيديهم ،  
ولكن الأرض تنوى من تحت أقدامهم فلا يستطيعون إدراك الطعام . وكان في باب البهو  
الخامس رجل يدور في عينه النخعيّ محور الباب ، وهو يتوسل وينتحب . وقد قال سى  
أوسر زع لأبيه ، إن هذا المعذّب لمو ذلك الرجل الغنىّ ، الذى شاهدا جنازته الفخمة ،  
فقد كانت سيئاته أكثر من حسناته . وبالقرب من عرش أوزيريس كان يقف رجل  
عظيم متدثر بملابس فاخرة من كتان ملكى ، وهو نفسه ذلك الفقير الذى نقل إلى قبره  
في الحصير . لقد كانت حسناته أكثر من سيئاته ، ولهذا منح متاع الرجل الغنىّ  
« وجعل بين الممجدين الأجلاء ، بصفته وليا للإله ، يرافقه سكر . وذلك لأن « من  
يلك على وجه الأرض خيرا يجد في العالم السفلى خيرا ، ومن يك شريرا يلقى شرّاً »<sup>١</sup> .  
وقد بين سى أوسر روع أموراً أخرى لأبيه ، ولكن معرفتنا للأسف لم تبلغ بنا حدّ  
فهم عباراته حقّ فهمها . على أنه يبدو أن العالم السفلى في هذا العصر المتأخر كان  
يختلف عنه في العهود القديمة . لقد كان أوزيريس ما يزال يقيم فيه مع آلهته وأطيافه ،  
ولكن أعمال الإنسان غدت وحدها هى التى تقرّر مصيره ، فن كان مذنباً فلن  
تفيده التواييت والتمائم والأوشبتيات جميعاً ، ولسوف تنزع منه وتعطى للفقير ،

(١) وما يتعلق بهذا أيضاً أن شخصاً يشكو إلى أوزيريس على أحد شواهد القبور بأنه قتل رأتى به  
في إحدى القنوتات دون أن يقترف ذنباً . ومعنى هذا على وجه التأكيد أنه يبنى لأوزيريس أن يعاقب

الذى كان رجلا طيبا . وكان ذلك المارد الذى يلتهم الأرواح ، لا يزال يقوم بعمله فى العالم السفلى ، وكان لا يزال يقال عنه إنه يقنينا ، ولكن خيال الشعب اصطنع كذلك عقوبات للأشرار ، كان عليهم أن يقاسوها بالرغم من فناءهم .



١٧٢ - شاهد مقبرة من العهد الرومانى ، يضرع فيه الموتى أمام أوزيريس على الطريقة الإغريقية (برلين ٢١٢٣) .

وإلى جانب ما حدث فى عالم الموتى من تحوّل ، كان فى حقيقة الأمر تطوّرا طبيعيا ، طرأ عليه كذلك تغيير آخر من قبل الأفكار والتصورات الإغريقية : فأوزيريس - سيرابيس غدا بلوتو ، وتحوّت الذى كان يزن القلب أصبح منذ الآن يعتبر هرمس ، الذى يقود أرواح الناس إلى الجحيم ، وكان يحمل مثله مفتاحا ١ . وغدا بس يحمى كذلك الموتى ، كما كان يحمى الأحياء ، وإذ ذاك أصبح يحمل كذلك مفتاحا ٢ ؛ أما حانخور التى كانت من قبل إلهة الغرب (صفحة ٣٦) ، فقد صارت صنوا مؤنثا لأوزيريس ؛ وبينما كان الموتى حتى ذلك الوقت ينعنون بأوزيريس أصبح يؤثّر تسمية الموتى من النساء بحانخور . عدا هذا ، فهناك مسائل أخرى يعوّطها الغموض ، ومن ذلك مثلا الإله الذى تمثله صورته على أحد الآثار ٣

(١) Berlin, Ausf. Verz. S. 356, Nr. 11651 - وفى حل الإله للميزان ما يرجح

أنه الإله تحوت .

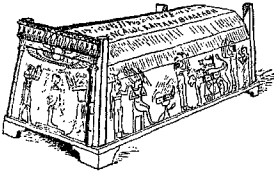
(٢) نفس المرجع ص ٣٤٥ رقم ١٤٢٩١ .

(٣) نفس المرجع ص ٣٥٦ رقم ١١٦٥١ .

وهو يدلى دلوا ؛ أليحصل بذلك لأميت على « الماء البارد » . الذى أصبح يعتبر حينئذ خير ما يقدمه أوزيريس ؟

وفى العصر الإغريقى الرومانى كذلك ظلت الصيغ الشكلية للدفن فى جوهرها على ما كانت عليه ، بل لقد ازداد فيها الطابع التجارى . وكان هناك أولا المخطون المتخصصون ، الذين يسمون التارىخيين الذين تشهد لهم المؤمياوات إلى الوقت الحاضر بجودة أعمالهم أو رداءتها . ولم تكن نفقات الدفن حقا بالقليلة ، إذ كانت تتبلغ دخل سنة تقريبا وبخاصة أن تحيط طفل قد استغرق اثنين وسبعين يوما ، وفق ما يتضح من عقد حفظ لنا ٢ . وكانت الحكومة تفرض كذلك ضريبة على الموائف اللازمة للتحنيط ، كما كانت فوق ذلك تفرض المكوس على نقل الجثة . ولم يكن يعنى من الضرائب غير عبور النيل ٣ .

وإلى جانب التارىخيين النجسين ، كانت هناك جماعة نصف كهنوتية . يسمون الكواخيتيين « مانحى الماء » ، الذين كان أهل الميت يتعاقدون معهم على رعاية الخدمة الجنازية ، ولهذا كان كل



ميت ، يقومون على رعايته ، بمثابة رأس مال لهم ، يحصلون منه على فائدة ثابتة ، وإنه لمن المضحك أن نراهم يتنازلون عن بعض الموتى أو يبيعونهم .

١٧٤ - تابوت الطفلى منسوس وتكاوت ، وعليه نقوش إغريقية من القرن الثانى بعد الميلاد (برلين ٥٠٥) .

ولم يكن الموتى ، الذين يعاملون على هذا النحو ، بطبيعة الحال

مقابر كبيرة خاصة على الشكل القديم . على أية حال لم يبق لنا من هذا العهد إلا القليل من هذه المقابر ٤ . وكان أغلب الموتى يستقرون فى حفر وآبار بسيطة

(١) Schubart, Aegypten S. 307.

(٢) Spiegelberg, Ae. Z. S. 54, 112.

(٣) Schubart, Aegypten, S. 304.

(٤) ويوجد أعظم هذه المقابر فى الإسكندرية نفسها ، وتحليها صور من الطراز المصرى الإغريقى =

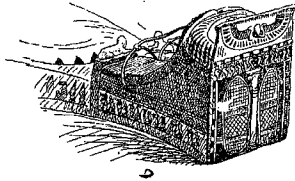


في الجبانات، أو يدفنون في مقابر عامة، كانت تعدّ في بعض الأحيان في المقابر القديمة من العصور السابقة<sup>١</sup>.

ولم يكن لأفقر المومياوات توايبت تدفن فيها، وإنما كان يكتفى بشدّ جنثهم إلى ألواح من خشب، أو إلى جذوع من نخيل حتى يكون لها شيء من ثبات. أما مومياوات الأغنياء وتوايبتهم فقد كانت تجهز في فخامة بالغة وخاصة في العهد الروماني. ولم يسبق في أى عصر أن لفت الجثث في أكفانها بمثل هذا الكمال، أو جهز غشاؤها الخارجي بمثل هذا الترف؛ فكان القناع الذى يغطى رأس الميت يغشى بالذهب، أو يشكل في الطراز الإغريقي وبالألوان الطبيعية في هيئة صورة صادقة للميت. وفي بعض الأحيان كان القناع يصنع ثم يرفع قليلا فوق الرقبة حتى ليبدو الميت كأنه يستيقظ على نحو ما فعل أوزيريس ذات مرة. وكانت ملامح الميت تصور كذلك على لوح من خشب أو على طرف من الكفن ثم توضع هذه الصورة فوق وجه الجثة. وفي أحيان أخرى نجد صورة الميت بأكملها على الكفن، وذلك كصورة الشاب ديون على قطعة قماش في متحف برلين، وقد كان يستانيا كما يدل على ذلك « جاروف » وغصن في يده. وكانت المومياء تزود في أكثر الأحيان عند قدميها بنعلين صوّرت على باطنهما أسرى مقيدون، وذلك لأن الميت ينبغي أن يظأ أعداءه أسوة بأوزيريس. وقد تشكل قدما المومياء على هيئة معبد بحيث يبدو باطن القدمين كأنه قدس الأقداس - ولا يعرف إلا الله أى غرض يقوم عليه هذا التصور. وفي أحيان أخرى كانت الثياب تتخذ شكل الجسم، وعندئذ تتحلى اليدان والنراغان بجملة ثمينة أو تمسك تاجا صغيرا من الورد. وفضلا عن ذلك كان يفضل

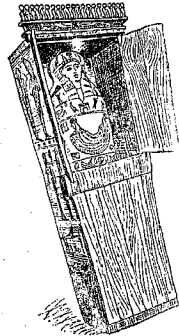
= الخليط. ومع أن المدفونين فيها من الإغريق، إلا أنه في الموت كان « يؤثر اتخاذ العادات المصرية » (Schubart, Aegypten, S. 85)

(١) وكان يحدث أن تستبد جثث أصحاب المقابر القديمة دون رعاية، ثم تدفن في الرمال المجاورة (انظر صفحة ٣٢٥).



١٧٥ - موميوات وأغشية موميوات من العصر الروماني (أ) الميتة ممثلة في ثيابها الكاملة (برلين ١٣٤٦٢) ،  
 (ب) صورة صادقة ملونة للميت (برلين ١١٦٧٣) ، (ج) الطرف الأسفل من غشاء المومياء وقد شكل  
 على هيئة معبد (برلين ١٣٤٦٣) .

في مثل هذه الموميאות إضافة أشكال للألهة على الغلاف نفسه أو على قطعة من الكفن تطوى فيها ؛ وهي تمثل إيزيس ترضع الميث أو تمثل أنوبيس وهو يحنطه ؛ ومهما تكن هذه الأشكال قبيحة مشوهة ، ومهما تكن ضالة ما بذل صانعوها من دقة ، فإنه كان يظن أنها على وجه التحقيق تجلب للميت النعيم .



١٧٦ - مومياء في صندوق  
(برلين ١٧٠٣٩) .

أما هذا الإعداد الرائع للموميאות الرومانية فلعله أن يكون مرتبطا بعبادة عجيبة ، نعرف عنها يقينا أنها كانت قائمة في ذلك العصر<sup>١</sup> . فقد كان المرء يحتفظ بموميאות الأقارب في البيت إلى حين ، كأنه لا يقوى على فراقها ، وبهذا كانت تقام في توابيت جدران مشقبة على نحو ما يوجد في مقابر ذلك العصر .

وطبيعي أن هذا الطراز من الدفن إنما كان للأغنياء ، ومع هذا لقد عملت كذلك السلطة الحاكمة إذ ذاك على دفن المعوزين دفنا مناسبا ؛ ولم يكن هذا الأمر يسيرا ، إذ كانت رغبة كل امرئ أن يستقر في جبانة بلده .

فقد أرسلت - على سبيل المثال - مومياء إلى أهل صاحبها في بلدهم ، وألحقت بها الصورة التي كان ينبغي أن ترينها ، ثم طلب الإقرار بوصولها<sup>٢</sup> . وفي مرة أخرى ذكر بأسلوب تجارى وأضح : « سلم المومياء في بانوبوليس لأن ديديموس من بانوبوليس<sup>٣</sup> . وقد يطلب باختصار أن : « تنزل في ميناء إمباو » أو « بومبي » ، وبذلك كان يكلف أحد الملاحين بتسليمها إلى القائم بدفن الموتى في جبانة إمباو

Carl Schmidt, Ae. Z. 32, 56. (١)

Spiegelberg, Ae. Z. 51, 89 ff. (٢)

Carl Schmidt. Ae. Z. 34, 79. (٣)

أوبومي ، فيدونها هذا في الرمل حيث تنوى مئات من مومياءات أخرى قد أحسن تسيقها وزوّدت ببطاقات من خشب . وبذلك كانت تحشد في مثل هذه المقابر العامة في العصر الروماني طائفة مختلفة من المومياءات : فإلى جانب « الكاهن سانسوس » و « السيدة زوجة الطبيب أبولونيوس » يضطجع « النجار بستيسس » ثم « إبا فريس عبد الفيلسوف يوليوس إيزيدورس »<sup>١</sup> . وثمة شيء آخر يقع في خاطرنا ونحن نجعل النظر في بطاقات مثل هذه الجبانة ، وهو اختلاف العبارات القصيرة التي تصاحب الاسم هنا أو هناك . وإنا لنجد من بينها الصيغ المصرية مثل « إن روحك لتحيا » أو « لترزقك حاتحور خبزا » و « لتتحك منك جعة » و « لتعطك حسب لبنا »<sup>٢</sup> . كما نجد كذلك الصيغ الإغريقية : « لاتخزن » ، « ما من إنسان خالد » أو « للذكرى الأبدية » . ولكن



١٧٧ - الراعي  
الصالح ، وقد عثر  
عليه في سنة ١٨٩٩  
بجانب أشكال مشابهة  
في انناس ( برلين  
١٤٨٥٢ ، ١٤٨٦٦ ) .

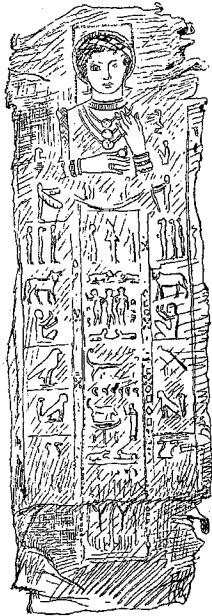
فيم يعنى أن يقال عن بعضهم « إنه قد أخذ إلى الراحة » ؟ أو إنه قد « ذهب إلى الضياء »<sup>٣</sup> ؟ إنا ما كنا نستطيع تفسير ذلك لو أننا لم نجد إلى جانب اسم آخر مختصر لفظ المسيح . ولو أننا لم نعرف من مصادر أخرى أن مثل هذه التعبيرات إنما كان يستعملها الناس ، وإنا لنجد بين الدمى الصغيرة المقدسة من الفخار ، تلك التي تكلمنا عنها آنفا ( صفحة ٤٣٤ ) ، الشكل المألوف للراعي الصالح . وعلى هذا فإن من بين الذين حنطوا وفق الطقوس الوثنية ، ثم دفنوا وسط قوم وثنيين ، من كانوا في واقع الأمر مسيحيين ؛ ذلك أن المؤمنين بالعقيدة الجديدة قد احتفظوا في أول أمرهم بالعادات الوثنية . وإنا لنجهل متى تغير ذلك . على أية حال لقد ظل التحنيط بعد ذلك أمدا طويلا في مصر . وإن من يرى غشاء المومياء المصور هنا ، فإنه يميل إلى تأريخه إلى القرن الرابع . أى في عصر

(١) Krebs, Ae. Z. 32, 36 ff.

(٢) Spiegelberg. Ae Z. 50, 42.

(٣) انظر مقالة كارل شمت السالفة الذكر .

كانت غالبية المصريين العظمى فيه إذ ذلك من  
المسيحيين . ومع ذلك فإن الدمى من الجص  
المذهب التي تربته ليست من المسيحية في شيء ،  
وإنما هي من مظاهر الوثنية جميعا ، مثل نعش  
أوزيريس وسفينة الشمس وإلهات الجمال  
الثلاثة ؛ ولهذا فلنا أن نعتبر أن هؤلاء الموتى  
كانوا لا يزالون وثنيين أيضا . وليس هذا بعيد  
الاحتمال وذلك لأنه وإن كان الشعب قد تحول  
في مجموعه إلى المسيحية منذ أواخر القرن  
الثالث ، فقد ظلت الوثنية مع ذلك باقية .  
وكان لا يزال للمعبد المصرى تأثيره دائما  
في الزائر ، وهو ما يجلوه لنا وصف ناطق  
لرجل مسيحي شديد التحمس . وهذا الرجل  
إن هو إلا كليمنت الإسكندري المتوفى عام ٢٢٠



١٧٨ - غشاء مونيء من العهد المتأخر جدا  
(برلين ١١٦٥٩) .

وتحيط بالألفية أساطين كثيرة ، وتضئ الجدران بأحجار غريبة أو بتصاوير لا عيب  
فيها ؛ وتشع المقصورات بالفضياء لما فيها من ذهب وفضة ، وذهب غير ذى بريق ،  
وتتلألأ بما فيها من أحجار ثمينة من الهند وإيثيوبيا . ويظلل قدس الأقداس أقمشة  
مطرزة بالذهب . فإذا أوغل المرء من داخل السور ، وأراد أن ينظر إلى صورة  
القوة ، وأن يبحث عن تمثال الإله الذى يقيم فى المعبد ، تقدم أحد حملة الناووس  
(صفحة ٤٤٥) أو غيره ممن يخدمون فى المنطقة المقدسة ، فيرجع فى هيئة مهيبة

وقورة أنشودة مديح باللغة المصرية : ثم يزيج الستار قليلا ليكشف عن إلهه <sup>١</sup> . من هذا نتبين أن تأثير هذه المعابد كان عظيما ، ولا يضعف منه ما لاحظته كليمنت في نهاية كلامه من أنه من السخرية أن يعبد على هذا النحو قِط أو تمساح أو أفعوان . على أن أكثر الشعب قد هجر مع الزمن العقيدة القديمة ؛ أما أهل الطبقات العليا من المجتمع ، وهم المثقفون بالثقافة الإغريقية ، فقد ظلوا مخلصين لها أطول عهد . ومع ذلك لا ينبغي أن نظن أن العامة جميعا كانوا في القرن الثالث والرابع مسيحيين ، وإن كان في حقيقة الأمر لم يتواتر لنا إلا شيء ضئيل عن عقائدهم . وقد كان معبد سيرابيس في الإسكندرية هو المعبد الأول . وفي منف كان يعبد أسكليبيوس قبل كل شيء ، وهو الحكيم القديم إيموتب الذي صار لها <sup>٢</sup> ؛ وكما أن هذا الإله قد حل محل بتاح . فقد زحزح بس الصغير أوزيريس من مكانه في أيديوس وطفق يعلن نبوءاته ، وكان لها تقدير عظيم <sup>٣</sup> . وفي منطقة أخميم بمصر الوسطى كان يعبد إله يقال له بتي <sup>٤</sup> ، وقد شبهه خصمه المسيحي بكرونوس وأسند إليه كل شيء يعرفه عن ذلك الإله الإغريقي . وعلى الجملة يبدو أنه كان للعنصر الإغريقي الغلبة تقريبا في المرحلة الأخيرة من الديانة المصرية ، فإنه إلى جانب بتي وإلى جانب بتاح ذكر راهب القرن الخامس هذا نفسه في حديثه كذلك ربا ، تلك التي كان كهنتها يُخصّون ، ثم أبوللو ، عازف القيثارة القلندر البديء ، وزيوس وابنه آرس ، وذلك كأنها كانت الآلهة المعتادة لمواطنيه الوثنيين . ومما كان يسخط عليه كذلك عادات مصرية صميمية كعادة إضاعة مصباح في « عيد المدينة » أو في « عيد الدار » ، وكعادة توجيه « التحية » للشمس والدعاء « بالنصر » للقمر <sup>٥</sup> .

وقد كانت مثل هذه المواعظ هي التي أدّت بالوثنية إلى نهايتها ، فقد ظلت

(١) طبقا لما ذكره Schubart, Aegypten, S. 284.

(٢) lb. XVIII, 12, 3. (٣) Amm. Marc. XXXII, 14. 7.

(٤) يتضح من أحد نصوص السحر المسيحية ، التي سيرد الكلام عنه فيما بعد ، أن اسمه الحقيقي هو « الرعد » ، وأن قدمه في الماء الأزرق ورأسه تبلغ السماء ، وأن له من أمام رأس أسد ، ومن خلف رأس دب . على أية حال فانه من خلق السحر في اليهود المتأخرة . انظر Lange, في Studies for

Griffith, p. 161 ff.

Leipoldt, Schenute S. 176. (٥)

الحكومة على الرغم من أوامر التحريم الرسمية تجيزها في واقع الأمر أمدا طويلا ، وكان اتباعها قوما سماحا ، خليقين بأن يكونوا سعداء لو كان يخلى بينهم وبين عبادة آلهتهم القدامى في هدوء وسلام . غير أن الزعماء من المسيحيين المتعصبين كانوا يثيرون دهما الشعب بمخبطهم ، وبذلك انتهى تاريخ المعابد ، الذي ظلّ عذّة آلاف من السنين ، إلى الفوضى والشغب ، وإنه لمن المعروف أمر تلك المشاهد البغيضة المنفرة ، التي كانت علامة على نهاية الدين العتيق في الاسكندرية بما صاحبها من معارك الشوارع و هجوم على معبد سيرابيس ( ٣٩١ بعد المسيح ) . والذي لدينا من روايات عن الأقاليم يدلّ على أن الأمر فيها كان مماثلا . فهالك شنودة ، قدّيس الأقباط الكبير ٢ يشيد بأنه دمر بنفسه معبد أتريب بجوار ديره ، وأن ذلك الصنيع كان قلدوة للآخرين . وفي مرّة أخرى توسل إليه الوثنيون ضارعين أن يبقى على معبدهم ، غير أنه طاردهم وأباح كل شيء في المعبد للتهب ، ثم حمل إلى ديره منه غنيمة ثمينة من أوان و تماثيل مقدسة وأسفار . حتى إذا استعاد الكهنة شجاعتهم وراحوا يقاضونه على نهب معبدهم ماجت المدينة في اليوم المحدّد للتحقيق بجمهور غفير من المسيحيين ، فغدا من المستحيل الاستمرار في الدعوى .

وفي مكان آخر نلتى ما نجده في بقاع العالم أجمع حيث الأقلية هدف لملت السواد الأعظم : فقد شاع بين المسيحيين أن كهنة أحد الآلهة ، ويدعى كوتوس ، يسرقون أطفالهم ويذبحونهم ، ثم يثرون دماءهم على المذبح ويصنعون من أمعائهم أوتارا لقياراتهم . وعلى ذلك فقد دمر القديس مكاريوس التكوى معبدهم ، وأحرق بنفس النار الإله كوتوس وكاهنه الأكبر هوميروس . وكان أن تنصر في اليوم نفسه كثير من الوثنيين ، ولكن بعضهم لاذّبالفرار إلى فاحتلّ المسيحيون ديارهم ٣ .

هكذا انتهت الوثنية تلك النهاية المحزنة ؛ وقد كان الخوف الذى ساور آخر

(١) بقيت الوثنية في فيلة حتى القرن السادس بسبب من كان يجاورها من البليمين الوثنيين ، انظر صفحة ٢٩٧ ، على أنه كانت تقوم إلى جانب ذلك كنيسة مسيحية .

(٢) Leipoldt, Schenute. S. 178 ff.

(٣) Mem. de la Mission IV 112 ff.

أبتاعها على حياتهم هو الذى أدى بهم إلى الكفر بها ؛ ومنذ ذلك الوقت أقفرت  
المعابد ؛ وقد استحوطت إلى كنائس أو تركت خرابا . وبهذا فقد أصبح يظن أن هذه  
البقاع المهجورة تسكنها الأشباح ، وإنما لنسمع عن أحد المعابد أنه يسكنه « شيطان  
شريف يدعى بس » ، وقد رآه الكثيرون يتوالب في المعبد ويتخذ كل ما يمكن من  
الأشكال ، وكان يخرج أحيانا فيضرب المارة فيصبحون عميا أو عمزة أو صما أو بكما  
غير أن القديس موسى عرف كيف يخضعه . وهكذا غدت آلهة الديانة القديمة أشباحا  
في الديانة الجليدية ، بل لقد أصبح لفظ « انتر » ، الذى كان يدل على الآهة من  
قبل ، يعنى فى لغة المسيحيين الأرواح الشريرة ٢ . ومع أن هذه الآهة غدت أهلا  
لمقت شعبها الأصلي ، فقد ظلت مع ذلك تحتفظ فى وطنها مصر بمكان تلتجأ إليه دائما ،  
وهو السحر ، ولكن ما أتعسه من ملجأ . وقد رأينا من قبل ماذا كان سحره الزمان القديم  
يصنعون بأسماء الآهة القديمة وقصصها ، وكيف كانوا بعد ذلك يضيفون إلى أفانينهم  
أفانين اليهود والإغريق . ومنذ أن أصبحوا مسيحيين غالوا كذلك فى استخدام الأسماء  
والصيفى فى العقيدة الجليدية ، على أنهم لم يهجروا لذلك تماما أسماء العقيدة القديمة  
وصيغها ، وقد بقيت مدة طويلة . فإذا شكنا طفل مثلا وجعا فى بطنه ، فقد كان  
الرجل الذى يرقيه لا يزال يفكر فى حورس الطفل ، الذى اضطر إلى مكابدة الكثير  
من الشرور فى وحدته . وكان يبدأ سحره بقصة طويلة ، تروى كيف أن الإله الصغير  
اصطاد طائرا ثم أكله نبيئا فأذى معدته . لذلك أرسل « الروح الثالثة التى لأجربا  
ذى العين الواحدة واليد الواحدة إلى أمه إيزيس ، وكانت « على جبل هليوبوليس » ،  
ليخبرها بألمه . وعند ذلك قالت للروح : « إذا كنت لا تجئنى ، وإذا كنت لا تعثر  
عت على اسمى ، ذلك الاسم الحقيقى ، الذى يحمل الشمس إلى المغرب ، والذى  
يحمل القمر إلى المشرق ، والذى يحمل مجوم التكفير الستة القائمة تحت الشمس ،

(١) Zoega, S. 533.

(٢) حقا لقد ظل كثير من تفاصيل العقيدة القديمة باقيا دون أن يلتفت إليه أحد ، ومن ذلك أشكال  
إيزيس مع طفلها وأشكال حورس على هيئة فارس يقتل تمساحا ( صفحة ٤٣٤ ) ، وقد عاش كلاهما  
فى أشكال القديس جورج والأم الإلهة . وكذلك لم يندثر الإغباء بالوحى ، وكان القديس فيلو كسنوس  
نقط هو الذى يتولاها بالوساطة عن الإله Schubart, Aegypten S. 367 .



فأعزم على الثلثائة عرق المحيطة بالسرة هكذا : إذن « لينبت في الحال كل داء وكل ألم وكل وجع في بطن هذا أو ذلك . إني أنا السيد المسيح الذى يمنح الشفاء » . وبهذه الكلمات الأخيرة التى لاتتفق إطلاقاً مع ما يسبقها يُرضى الساحر المسيحى ضميره . وفى تعويذة أخرى ورد عنها أنها تفيد فى حالة الأرق ذكرت « إيزيس ونفتيس » ، وهما « هاتان الأختان المحزونتان الأسوانتان »<sup>١</sup> .

ولقد كان أهل القرن الثامن ممن كانوا يستعيذون بهذا النوع من السحر إنما يتسبون على ما يبدو إلى أخطأ الطبقات الاجتماعية ، وكان من أفاينهم أيضاً أن يسحروا الكلاب ويفكوا القيود ، ولئن يفيد هذا ممن كان يعيش فى مثل ظروف الحياة المصرية إلا من كان على صلة سيئة برجال الشرطة .

وهكذا وجدت آلهة المصريين القديمة ملجأ لدى المشعوذين واللصوص ، تلك الآلهة التى من أجلها شيدت من قبل معابد الكرنك ومنف ، والتى ظلت خلال آلاف من سنين تقود وتلهم شعبا عظما .

## الفصل الثاني والعشرون

### الديانة المصرية في أوروبا

كانت شجرة الديانة المصرية العجوز في سبيلها إلى الفناء حينما خرج من أصلها صنو وحشى ، كان من العجيب أن يمتدّ ظله إلى بلاد بعيدة : فقد لقيت عبادة إيزيس وأوزيريس في أنحاء الامبراطورية الرومانية الواسعة جماعات يتحمسون لها <sup>١</sup> . ذلك أن الملاحين والتجار المصريين ممن أقاموا في موانئ البحر الأبيض المتوسط أو في مدائن الكبرى قد عرفوا وألّتهم منذ أمد بعيد . فقد كانت تتألف منهم فيها جماعات مصرية ، كانت لأعيادها الحافلة بالأسرار أثر كبير فيمن كان ينزل معهم من الإغريق ، إذ كانت يجتذبهم وتستميلهم إليها . وإنما لنجد في القرن الرابع قبل مولد المسيح في يبرى معبدا لإيزيس ، وإن يكن في حقيقة الأمر ذاتابع خاص . ولا يكاد الزمن يمضى يسيرا ، حتى نجد الآلهة المصرية كذلك في رودس ولسبوس وثيرا وأزمير وفي أماكن أخرى ؛ وفي جزيرة ديولس المقدسة <sup>٢</sup> كان سيرابيس وإيزيس يعبدان على رأس غيرهما من الآلهة . وقد ساهم تأييد الملوك البطالمة وتشجيعهم مساهمة كبيرة في هذا الانتشار للعقائد المصرية ؛ ولا غرابة في ذلك فقد كان سيرابيس وإيزيس هما الإلهان الرسميان في دولتهم فعلا .

وكان لمن يريد توكيد ولائه للملك مصر الأقوياء ، أن يقيم كذلك في بلده معبدا لآلهتهم <sup>٣</sup> ؛ وبذلك وجدت هذه الآلهة لأسباب سياسية طريقها إلى قبرص وصقلية

(١) بل لقد وجدت عبادتهما ذلك أيضا فيما وراء حدود هذه الإمبراطورية ؛ فقد كان الساكيون ، ملوك الهند المتخبرون ، يعبدون كذلك سارابو إلى جانب بوذا وهرقل. (Mommson, Roem. Gesch. V, 354, Anm 1)

(٢) في بداية القرن الثالث شيد أحد كهنة سيرابيس من منف هيكل صغيرا لسيرابيس في بيته في ديولس ، وقد جعل منه حفيده سيرابيوم بناء على أمر الإله (Wilcken, Urkunden I 84.)

(٣) انظر كذلك الرسالة الغربية ، التي ورد فيها ذلك صراحة . Wilcken, Urk. der Ptol. I 84

وأنطاكيا وأثينا . ولما تقوّضت بعد ذلك قوّة البطالمة ، كانت الآلهة المصرية قد تأصل غراسها في العالم الإغريقي بحيث لم تكن في حاجة إلى تأييد خارجي ؛ وغدت إيزيس وسيرابيس من عداد الآلهة العظيمة التي كان يعترف بها في كل مكان ؛ بل إننا لنجد في القرن الثاني قبل المسيح في أرخومين وخبروني تلك العادة الغربية ، عادة نذر من كان يراد عتقهم من العبيد لإيزيس وسيرابيس ، كأنهما كانا الإلهين العظيمين الرئيسين لهاتين المدينتين .

وكثيرا ما كانت الآلهة المصرية تمزج بالآلهة اليونانية ، فهذه إيزيس قد غدت تميزس ودبكاوسيني ونيكى وهيجيا ؛ وفي ديلوس غدت تسمى إيزيس — سوتيرا استارتى — أفروديت ، وكان إيروس — حربوقراط — أبولو لها ولدا .

وشقت الآلهة المصرية فضلا عن ذلك طريقها إلى أبعد من ذلك غربا ، أى إلى إيطاليا الجنوبية ثم روما ، حيث نجد في عهد سلّا جماعة مصرية ؛ ولئن كانت هذه الجماعة في بداية الأمر من أرقاء أجناب ومن عبيد معتقين ، فقد أخذت الديانة المصرية تنتشر كذلك بين الطبقات العليا من الشعب . وليس في هذا ما يدهش في شيء إذ كانوا جميعا يقاسون نقصا روحيا . فقد غدت الديانة القديمة بالنسبة لهم جميعا شبه ميتة ، ولم تستطع الفلسفة ، التي كان يحاول أن يجد فيها المثقفون عوناً لهم ، أن تكون لها دبلا كاملا . وبذلك لم يبق هناك غير شوق كامن للتطلع إلى ما وراء الطبيعة ، وكان كل ما يمكن أن يظني لظي هذا الشوق يلتقي لقاء حسنا . ولنا لنستطيع أن نلاحظ ما يماثل هذه الحالة النفسية لدى كثير من معاصرنا في الوقت الحاضر ، فقد فقدوا الطمأنينة التي تبعها الديانة التقليدية ، ولهذا يبحثون عن بديل لها ؛ ففهم من يقع على الروحية ، ومنهم من راح يتعلق بالبوذية أو أية عقيدة أخرى أجنبية . وتشابه هاتان الظاهرتان كذلك في أن المثقفين لم يقبلوا الديانة الأجنبية على ما هي عليه في سر ، لأنها لم تكن لترضى نفوسهم المرهفة الحساسة ؛ « فالبوذية الخاصة » عند السيدة الحديثة ليست في أساسها إلا خليطا من فلسفات مختلفة في رداء بوذى ، وليس من شك في أن كهنة منف وطيبة كانوا يهزّون رعوهم دهشة لو أنهم استمعوا إلى ما كان يعتقدوه بلوتارك عن إيزيس .

وكما أنه إلى جانب البوذية يعرض في الوقت الحاضر على كل نفس ثائرة حاملة كل ما يمكن تصوّره من شتى العقائد ، التي تدعى أنها في استطاعتها أن تأخذ بيدها إلى الخلاص ، فقد كان للديانة المصرية كذلك منافسوها العديدون إذ ذلك ؛ غير أنه لم يقدر « للآم العظيمة » في آسيا الصغرى ، ولا لمتراس ، إله الشمس عند القرس .



١٧٩ - منظر من وادي النيل ، وهو حفر روماني على صللح محروق ( في الانتيكواريوم في برلين ) .  
ولا لإله اليهود أن ينتزع أئى منها الأسبقية من الآلهة المصرية ، وذلك لأسباب كثيرة . وكان من أوائل هذه الأسباب ذلك الإجلال الغامض ، الذي كان يحسّ به المرء نحو هذه البلاد ذات الحضارة القديمة والآثار العجيبة ، حتى إن العالم الروماني لم يكن ليعجبه أن يرى من مناظر البلدان غير مصر بمعابدها وأكواخها من القصب وتماسيحها . كذلك كان يظن أنه كان للمصريين حكمة عميقة قديمة ؛ بل لقد كان يعتقد أن زعماء العالم المفكرين ، وهم الفلاسفة الإغريق ، قد تلقوا خير تعاليمهم عن الكهنة المصريين . ثم تأتي بعد ذلك تلك الطقوس الخفية أجمع ، مما كان يودى في أعياد إيزيس وسيرايبس ، والتي كانت تكنى بطريقة مدهشة عن أفكار سامية طاهرة . وأخيرا - وهو ما كان

عند الكثيرين السبب الرئيسي — لقد كانت الديانة المصرية تقدم لأتباعها عزاء أخيرا في كافة المصائب ، وكانت تمنحهم الإيمان بحياة أخرى أفضل ، يقضونها في مملكة أوزيريس . وبذلك لم تكن عبادة الآلهة المصرية عبادة سطحية ميتة ، كما كانت عبادة الآلهة الرومانية ، ولم تكن كذلك بديلا اقتضته الضرورة ، كما كانت الفلسفة وإنما كانت ديانة حقيقية ، تملأ قلوب البشر وتسمو بهم ، وكان كاهن إيزيس الفقير في قميصه من الكتان يهتئ للنفس ما كانت تصبو إليه .

وهكذا أقبل الناس في روما على العقيدة الجديدة في حماسة ، حتى إنه ل يبدو أنها استولت على طوائف بأكلها من الشعب ، كأنها حركة دينية عامة ، وإلا لما يتيسر على الأقل فهم السبب الذي من أجله انتهى الأمر بالدولة أن ترى في عبادة الآلهة المصرية خطرا عليها ، فجعلت تدمر من وقت إلى آخر وباستمرار معابد إيزيس ، وقد قامت بذلك خمس مرات في أحد عشر عاما بين ٥٩ — ٤٨ ق . م . ، وأخيرا حرم أغسطس بناء شيء منها داخل المدينة بالذات ، ولم يكن يسمح بإقامة معابد إيزيس إلا في أرباضها . ومع ذلك كان للحكومة أسبابها فيما كان يعتبرها من هلع بإزاء عبادة إيزيس وسيرايبس . فقد كان هذان الإلهان من آلهة مصر ، ذلك البلد الذي كان يعتبر إذ ذاك عدوياً بغضاً لروما . وفضلا عن ذلك لقد اشتهر عن هذه العبادة الفحشاء ، وفي الحق لم يكن ذلك ظلما . وذلك لأن من يسلم نفسه إلى الوجد الديني ويحرر نفسه من قيود معتقداته الموروثة ، فإنه يحل نفسه كذلك بسهولة من القيود التي كانت تقيد الغرائز الهيمية في طبيعته . ومن المحقق أن ذلك لا يبدو واضحا في كل حالة ، وذلك لأن ضروبا مختلفة من التصوف تحجبه ، فإن السيدة الرومانية عندما كانت تسلم نفسها إلى الكاهن فقد كانت تفعل ذلك ليكون لها نصيب من القداسة . ونحن الحديثين لا يشق علينا للأسف أن نجد أمثلة هذه الحماقات في الوقت الحاضر ، وإنه ليكفي أن أثير ذكرى راسبوتين وسيدات الطبقة الراقية من الروسيات . ولم تنج عقيدة إيزيس كذلك من مثل هذه الأشياء ، وإن المرء ليفهم كيف أن تيريوس ، بعد حادثة جد فاضحة في عام ١٩ بعد الميلاد ، صلب الكهنة المذنبين ودمر معبدهم وأمر بإلقاء تماثيل الإلهة في التير . ولم يكتف بذلك بل نفى

في الوقت نفسه آلافا من العبيد المعتقين ، ممن نالهم عدوى العقائد المصرية واليهودية ؛ وقد أرسلوا إلى سردينيا ليحاربوا قطاع الطرق فيها . وكان على غيرهم أن يهاجروا من إيطاليا إن لم يرجعوا عن القيام بطقوسهم <sup>١</sup> . على أن هذا الإجراء الشديد لم يكن ذا أثر بعيد ، فلم يلبث أن قام في حقول مارس معبد كبير جديد لإيزيس ، أقامه هذه المرة أحد الأباطرة وهو كاليجولا ، وزاد فيه أمبراطور آخر ، وهو دومتيان . وبهذا التكريم من قبل الأباطرة زال كل رجس عن الآلهة المصرية ، وبعد مائة عام أصبحت إيزيس وسيرايس يُسميان « الإلهان المصريين قديما والرومانيان الآن » <sup>٢</sup> ؛ وبذلك سادت الديانة المصرية العالم . وقد ناهم حكم هادريان كثيرا في هذا التطور ، فقد زار مصر ومعه الامبراطورة ورجال البلاط ، وكان من المتحمسين لهذه البلاد ولآلهتها . وكان قصره الريفي في تيبور يشتمل كذلك على بستان مصرى ، كان يسمى



١٨٠ - أنطونيوس .

تمثال في باريس .

كانوب ، على نحو اسم ضاحية مشهورة من ضواحي الإسكندرية . وكان مما يذكر بوادى النيل فيه تماثيل آلهة من حجر أسود على طراز نصف مصرى ؛ وأبهاء تحت الأرض ومعبد لسيرايس . وإذ غرق في النيل أثناء الرحلة أنطونيوس ، حبيب الامبراطور ، فقد زأى هادريان أن أقصى ما يؤدى من شرف لهذا الصبي المسكين هو أن يرفع إلى مصاف « شركاء آلهة مصر » <sup>٣</sup> . وكان مثل هذا التأليه أمرا قريبا الاحتمال ، وذلك لأن الغرقى في النيل كانوا يعتبرون من القديسين <sup>٤</sup> . وقد مثل هذا النصف الإله البلخيد في مدن بلاد الإغريق في سماء الشاب الحزين ، أما في معبده في مصر فقد كان ينبغي أن يكون إلها مصريا ، وكان قبره الذى خصصه له الامبراطور في روما على طراز مصرى ، ويحمل

Friedlaender, Sittengeschichte I 502. (١)

Minucius Felix 22, 2. (٢)

C. I. G. 6007. (٣)

Griffith, Ae. Z. 46, 132. (٤)

نقوشا هيروغليفية . ولا تزال مسلة مونت بنشيو<sup>١</sup> الجميلة ، تثبتنا حتى اليوم بأن « المتوفى أوزيريس أنطينوس ، الذى يستريح فى هذه البقعة ، التى تقع فى منطقة حلود روما السعيدة ، معترف به كإله فى البقاع المقدسة فى مصر . وقد شيدت له المعابد ، كما أن الطبقات العليا والدنيا من الكهنة وكافة المصريين يتعبدون إليه . وقد أطلق اسمه على مدينة « يقصدها الإغريق والمصريون ، « فيمنحون حقولا ليتها لهم بذلك حياة طيبة . ويقوم فيها معبد لهذا الإله ، الذى يسمى أنطينوس ، وقد شيد من حجر جبرى جيد ، تحيط به تماثيل أبو الهول ، وبه تماثيل وأساطين كثيرة جدا ، تماثل ما كان يصنعه الأجداد من قبل ، وما كان يصنعه الإغريق » . وفى هذا المعبد « تودع الأطعمة له على مذابحه » ، وبمدحه الكهنة ، ويحج إليه الناس ، « وذلك لأنه يجيب دعوة من يدعوه ، ويشفى المريض بما يبعث إليه من أحلام » . وكان يحتفل له فى هذه المدينة أيضا بإقامة الألعاب على الطريقة الإغريقية من أجل « الأقوياء ، الذين هم فى هذه المدينة ، ومن أجل المجدفين » ؛ وكانوا يتلقون « الجوائز والأكاليل على هاماتهم ، ويجزون بكل شيء طيب » . هذه المدينة التى يحدثنا هذا النص عن تأسيسها هى أنطينوى ، المدينة الإغريقية المصرية<sup>٢</sup> ، وقد تأصلت فيها جذور عبادة هذا الصبي الإغريقى ؛ وفى القرن الثالث كان أنطينوس فى مصر لها يبالغ فى تمجيده كثيرا ، لأنه كان يشفى المرضى ويصنع العجائب<sup>٣</sup> . وهكذا قدمت أوروبا من جانبها أيضا لها إلى مصر ، وبذلك من كان يستطيع أن يسمى الديانة المصرية ديانة أجنبية<sup>٤</sup> على أنه فى حقيقة الأمر كان لا يزال هناك كثير من لا يستطيعون التغلب تماما على ما كانت تثبته الآلهة ذات رعوس الحيوان من مقت ونفور<sup>٤</sup> . وهذا ما يدل

(١) Erman, Roemische Obelisk (Abh. Berl. Akad. 1917; Mitt. d. Deutsch. Arch. Inst. Roem. Abt. XI 113).

(٢) وفى هرمبولس أقام هادريان. كذلك تكريما لأنطينوس تارعا جدينا أسماء باسمه . ويبدو أن الأباطور التولى لم يكن يعنيه أن يثقل تخليط هذا الشارع المنطقة المقدسة القديمة (Röder, Mitt. Deutsch. Inst. Kairo, Bd. II, S. 88.)

Origenes, c. Cels. III, 36. (٣)

(٤) هكذا كان فيلوستراتس ، معاصر جوليا دومنا ، فقد وصم الآلهة المصرية بأنها أهل للسخرية ، وأنها عرقاء Ed, Meyer, Hermes, Bd. 52, S. 293.

عليه هجاء لوسيان التهكمي . فهناك الآلهة يجلسون للتشاور على جبل أولمب ، على أن اجتماعهم لا يخلو من اضطراب ، وذلك لأن الآلهة الإغريقية الشيوخ لا يستطيعون أن يكبحوا غضبهم على كل الجمع المريب ، الذي تسرب إلى جماعتهم المبعجلة ، وعلى رفاق ديونيسوس الأفظاظ الجفافة ، وعلى آلهة البلاد المتبربرة ، وعلى الكائنات التافهة ، مثل « الفضيلة » و « القدر » ، التي ابتدعتها الفلاسفة . وإبان الوليمة يندفع متزاحا جمهور صاحب ، يتكلم بكل لغة يمكن تصوّرها ، ويسلك سلوكا غير لائق نحو الآلهة القدماى ، فإذا طعم الآلهة ينفد ، وشرابهم يغلو ثمنه على الدوام . فيقوم موموس ، الذي كان يجعل من نفسه خطيبا للحانقين ، ويعرض الحالة المحزنة في حديث طويل ، ويسبب بصفة خاصة الدهماء البرابرة ، أتس وسابازيوس ومراس وسائر هذه الجماعة ، التي لاتعرف الإغريقية ، والتي لاتفهم متى يشرب الإنسان نجب صحته . وهو يقول : « كل هذا يمكن التجاوز عنه ، ولكنك أنت أيها المصري الملفف في الكتان ، يا صاحب رأس الكلب ، من عسائك تكون ؟ وكيف يمكن أن تدعى أيها الكلب النابح بأنك إله ؟ ولماذا يعبد ثور منف المذقش ، ويعلن النبوءات ويكون له الكهان ؟ إني لأفضل ألا أقول شيئا عن آباء منجل والقردة والتيوس ، ولا كذلك عن ذلك الشيء المضحك الذي هرب بطريقة ما من مصر إلى السماء . أيتها الآلهة كيف تطيقون أن تروا هؤلاء يعبدون على نحو ما تعبدون أو أفضل مما تعبدون إذا كان إلى ذلك سبيل ؟ وأنت يا زيوس كيف تستطيع صبرا أن يحملوك قرني كبش ؟ » ويسلم زيوس بأن هذه الأشياء المصرية كرهية ممقوتة ، ولكنه يضيف إلى هذا في حيطة وحذر : « إن كثيرا منها ألغاز وأحاجي ، وما ينبغي أن يهزأ بها من لم يحط بأسرارها »<sup>١</sup> .

وما يعترض به زيوس على موموس ليس في حقيقة الأمر سوى ما تعود أن يجيب به أشياخ إيزيس المثقفون على من كانوا يهزأون بهم : إنكم لاترون سوى المظهر الخارجى الغريب لمعتقداتنا ، ولستم تعرفون ما يستتر وراءه . وقد قال بلوتارك



إن من يأخذ هذه الأشياء بحرفيتها ، ولا يعبأ بمعناها السامى ، « فأنما ينبغى له أن يتفلسف وأن يطهر فه » . إذ من هو أوزيريس ؟ إن أوزيريس هو عنصر الرطوبة وقوة الإخصاب فى التناسل . إنه فى الروح العقل ، وفى العالم كل رتيب متسق مع القانون ، أجل إنه باختصار عنصر الخير . أما تيفون ( أى ست ) فهو الجفاف والإحمال والعقم . إنه يمثل ما فى النفس من سفاهة وحماسة ، وما فى العالم من مرض وتدمير ، إنه عنصر الشر . وإيزيس هى جسداً الأرض الخصبة ، وهى فى العالم الجزء الأثنوى الذى يتلقى التلقيح ، وهى مادة الخير والشر ، غير أنها تميل إلى الخير طبقاً لطبيعتها<sup>١</sup> . وكل شئ طيب ، يتفق مع النظام ، هو من عمل إيزيس ، وهو صورة لأوزيريس<sup>٢</sup> . ولا شئ أمتع لها من الطموح إلى الحقيقة والمعرفة الصحيحة لكل ما هو مقدس ، إنها تشجع التعاليم المقدسة على حين يحاربها تيفون . فن يخدمها فى معبدها فى جدّ ونظام واعتدال وعفاف ، فإنه يصل إلى معرفة الكائن الأول الأعلى ، الذى يمكن إدراكه ، وإنما ندعوها إلى ذلك عن طريق معبدها<sup>٣</sup> . وليس فى ثياب الكنتان ولا فى الرأس الحليق ما يجعل المرء من المؤمنين بإيزيس — وإن كان ذلك من العادات ذات المعانى العميقة — وإنما المؤمن حقاً بإيزيس هو الذى يتعمق فى معانى الأشياء المقدسة ويتأمل فى حقائقها الخفية<sup>٤</sup> . ذلك لأنه ما من شئ فى هذه الأمور لا يؤبه له . فإذا كانت « الشخيلية » التى يصلصل بها المرء أمام الإله مستديرة عند ذروتها ولها قضبان أربعة كان فى ذلك لدى الحكيم العارف إشارة إلى « دائرة القمر » ، التى تحيط بكل شئ ، وإلى العناصر الأربعة ، التى تتحرك فيها . وإذا آثر الإنسان تحلية ذروة الشخيلية « بقطة » ، فإننا نحن العلمانيين نتعد أن ذلك إنما كان من أجل باستت ، الإله المرحة التى على هيئة القطة ، ولكن بلوتارك يعرف السبب الحقيقى لذلك : فالقطة ترمز أيضاً إلى القمر ، وذلك إما لأنها متغيرة ، ومن حيوانات الليل ، وكثيرة النسل ، أو لأن عينيها تتسع فى ليلة البدر .

(١) Plut. Isis et Osir. 33, 38, 39, 49, 53.

(٢) نفس المرجع ٦٤ .

(٣) نفس المرجع ٢ .

(٤) نفس المرجع ٣ .

أما رأسا السيدتين ، اللذين على المقبض ، فهما عنده إيزيس ونفتيس ، ويرمزان هنا إلى الميلاد والممات . فإذا هزّرت « الشخيلة » ، كان في ذلك ما يدلّ على أن كلّ كائن إنما يجب أن يكون في حركة دائبة ١ .

على أن العقيدة في إيزيس لو لم تكن أعمق من مثل هذه الأفكار المضطربة المختلطة ، لما أصبح لها بالتأكيد ذلك السلطان ، الذي كان لها . ومن المحقق أنه لم يمارس هذه العقيدة على هذا النحو غير أقلية صغيرة ، كان من الضروري عندها أن توفّق بين مشاعرها الدينية وبين آرائها الفلسفية ، بل لقد كان كل منها ينحو نحوه الخاصّ في هذا الشأن . أما أغلبية المؤمنين فكانت لها أسباب أخرى ، تدعوها إلى عبادة الآلهة المصرية . فقد كانت ترجو منها أن تتيح لها حياة أخرى مبرورة ، كما كانت تجد في عبادتها راحة لضماؤها ، وذلك لأن التطهر وتقديم القربان في معبد إيزيس كانا يمثلان كذلك الطهارة الروحية . وكان المرء إذا تأمل في طبيعة الإلهة ، يكتفي بتصورات غاية في البساطة . وإننا لتعلم ذلك من مصادر مختلفة . فهالك أولانسان من الجزر الإغريقية ، وهما ميثانلان فيما يتضمنانه ، غير أن أحدهما يقصّ في شعر هومري ما يحكيه الآخر نثرا : « إنني أنا إيزيس ، عاهلة البلاد جميعا ؛ لقد تعلمت على يد هرمز ، وابتدعت بالاتفاق مع هرمز الكتابة الشعبية حتى لا يكتب كل شيء بحروف واحدة . لقد سنت للناس القوانين ، وأبرمت ما لا يستطيع البشر نقضه . إنني كبرى بنات كرونوس ؛ إنني زوج الملك أوزيريس وأخته . إنني أنا التي تشرق في نجمة الكلب ؛ إنني أنا التي يسميها النساء إلهة . من أجلّ قد شيدت مدينة بوسطة . إنني أنا التي فتقت السماء عن الأرض ؛ وبيئت للنجوم مسالكها ؛ واخترعت الملاحه . . . وعقدت بين الرجل والمرأة . . . وقضيت بأن يجب الأبناء آباءهم . لقد وضعت مع أخي أوزيريس حداً لأكل البشر ؛ وأريت الناس الأبرار الخافية ؛ وعلمتهم كيف يعبدون تماثيل الآلهة ؛ وحددت مناطق معابد الآلهة . لقد أدلت دول الطغاة ؛ وحملت الرجال على حبّ النساء ؛ وجعلت العدالة أقوى من الذهب والفضة ؛ وقضيت

بأن يرى الناس الحقّ جيلا . . . ١ « وقد قيل إن كتابة ماثلة تماما كانت على قبر لإيزيس في بلاد العرب ، كما قيل كذلك إنه كتب على قبر لأوزيريس : « إن أبي هو كرونوس ، أصغر الآلهة أجمعين ، وإنني أنا الملك أوزيريس ، الذى أدار الحرب فى أنحاء الأرض كلها حتى بقاع الهند الخاوية ، وحتى مناطق الشمال إلى منابع الدانوب ، ثم إلى المحيط . إننى أنا الابن الأكبر لكرونوس ، وقد ولدت جنينا من بيضة جملة شريفة . . . ٢ . وليس فى العالم مكان لم أبلغه ، وقد منحت الناس أجمعين ما وجدته » ٣ .

وقد حفظ لنا نص فى كيوس فى بثلثيا أنشودة صغيرة ، تلخص كل ما كان يتصوره الإنسان عن هذه الآلهة ٤ .

« يا ملك ما فى السموات جميعا ، إنى  
أحييك ، يا أنوبيس ، يا أزلى ،  
ووالدك أوزيريس ، المقدس ، المتوج بالذهب .  
إنه زيوس الكرونيدي ، إنه أمون القوى ،  
الملك الخالد ، ذو الاحترام السامى على نحو سيراييس .  
وأنت كذلك أيها الإلهة المقدسة ، أيها الأم إيزيس ، ذات الأسماء العديدة ،  
يا من ولدتها السماء على أمواج البحر المتلألئة ،  
وأنشأتها الظلمة على نحو النور لسائر البشر ؛  
يا من تحمل الصولحان على جبل الألب بصفتها أكبر الجميع سنا ،  
وتحكم الأرض والبحار كسيدهة لإهية ،  
يا من ترين كل شىء - إنك تهين البشر خيرا كثيرا » .

ويتجلى فى هذه الأنشودة كيف أن الديانة المصرية بسطت إلى حد كبير ؛ فلم يتبق من مجموع الآلهة من غير إيزيس إلا إلهان ، هما أوزيريس سيراييس ، وهو

(١) C. I. G. XII, 5, I. p. 217.

(٢) هذا تعبير مصرى مشهور ، يدل وحده على أن هذا النص إنما يرجع إلى أصل قديم .

(٣) Diod. I, 27.

(٤) C. I. G. 3724.

فى نفس الوقت أمون ، ثم حورس ، وهو أنوبيس . أما إيزيس فهى منظمة الطبيعة ، وهى التى جمعت بين البشر . أما أوزيريس فقد كان فى مكان تال لها ، إذ على الرغم مما أسنده إليه أصدقاؤه الأوربيون من انتصارات ، فانه فى واقع الأمر لم يكن إلا الزوج المتوفى ، الذى تبكيه إيزيس . وقد قوى فى جميع هذه الآلهة الجانب الإنسانى الذى كان لهم فى الزمن القديم . حتى إنه من اليسير أن نفهم كيف كان غير المؤمنين يسخرون « بالرجل أوزيريس »<sup>١</sup> .

وللى جانب التنجلة التى كانت تقتضيه إيزيس من أجل آلتها على الإنسانية ، كان كل فرد يشعر كذلك بأنه مدين لها بالشكر . فهى قبل كل شىء بصفتها إلهة لميناء الإسكندرية كانت تساعد ركاب البحر ، وكان كل من ينتجو من العواصف ، ينذر لها صورة فى معبدها ، يصورها له أحد المصورين ، ولذلك كان يقال إن إيزيس « تطعم المصورين »<sup>٢</sup> . وكان الحبيب إذا أزمع السفر ، ضاعفت الحبيبة من حبهما فى عبادة إيزيس ، فتمزّ لها « الشخيلة » ، وتنظف من أجلها ، وتنام منفردة ؛ فإذا عاد سالما ، كانت تجلس أمام المعبد فى ثوب من الكتان وشعرها مرسل ، وتغنى مرتين كل يوم بمدح الإلهة<sup>٣</sup> . على أن إيزيس كانت كذلك تعاقب المذنبين ؛ فمن اختلس مالا ، فانه كان يخشى أن يضربه على عينه « بالشخيلة الغاضبة » ، فترده أعمى<sup>٤</sup> . والسيدة التى لم تحافظ على عفافها « فى الأيام المقدسة ، التى نجب رعايتها » ، فإنها كانت تشعر بالضيق والحرج ، وكان يبدو لها كأن « الثعبان الفضى بحرك رأسه » .  
حقا لقد كان الكاهن يهدئ من روعها ، إذ كان لا يزال هناك أمل فى أن يعفو عنها أوزيريس ، إذا هى قدمت له أوزة أو فطيرة<sup>٥</sup> . على أنه لم يكن من المستطاع على الدوام إرضاء الآلهة المصرية بمثل هذه النفقة الرخيصة ، إذ تتحدث نصوص النذور عن تقدمات قيمة من معادن ثمينة ، وعن ثعابين مرصعة بأحجار كريمة ، وشخايل

Lucan, Pharsal VII 832. (١).

Juvenal 12, 28. (٢)

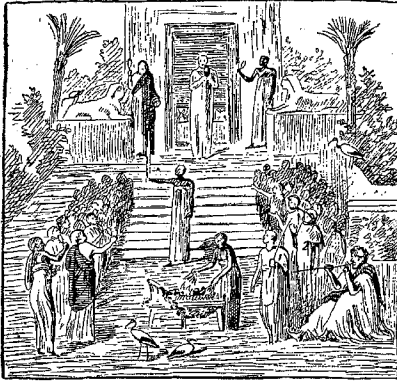
Tibull I, 3, 23. (٣)

Juvenal 13, 92. (٤)

Juvenal 6, 526 ff. (٥).

وصحاف من فضة ؛ وقد أهدت سيده إسبانية إلى إيزيس أدوات من فضة تزن أكثر من ٧٠ رطلا ، وذلك علاوة على ثعبان مرصع بكثير من الأحجار الكريمة ، وحلى أخرى ١ .

وكان أرضى للإلهة بطبيعة الحال أن يعمد رجل تقي إلى تجديد بناء معبدها . ومن ذلك ما حدث في مالسين على بحيرة جاردا من أن رجلا يدعى ج . مناتيوس « أعاد بناء معبدها وشيد على نفقته الخاصة مبنى من أمامه » ٢ . وفي بينفدنت شيد رجل يدعى لوسليوس « قصرا فخما من أجل إيزيس العظيمة ، سيده بنفنت ، ورافقها الآلهة » ، ومن أمامه « أقام مسلتين من الجرانيت الأحمر » ؛ وقد حفظا لنا وعليهما كتابة هيروغليفية تثبتنا بذلك ؛ وللآلهة أن تمنحه عن عمله هذا « حياة طويلة سعيدة » .



١٨١ - الاحتفال بالعيد في المعبد ( صورة على جدار من معبد إيزيس في بومبي ) .

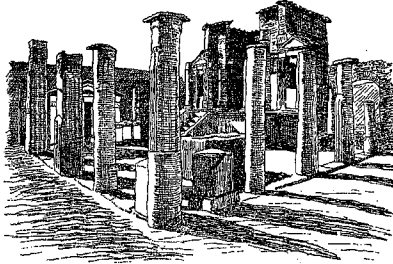
وإذ كان في نفس الوقت قد أقام هذا القصر احتفالا « بالعودة السعيدة » لدومتيان ،

C. I. L. II, 3386. (١)

C. I. L. V, I, 4007. (٢)

« الذي عاد من الريف ومن البلاد الأجنبية المهزومة إلى مقره روما قاهرة العالم » ، فلا بد كذلك أن كافأه الإمبراطور على صنيعه هذا ١ ، وبخاصة أن دومتيان ، كما رأينا ، كان نفسه صديقا لإيزيس وسيرايبس ، اللذين جدّدهما معبديهما في روما . وفي بومبي ٢ ، حيث دمر زلزال معبد إيزيس في عام ٦٣ بعد المسيح ، أعادت أسرة يوبديوس بناء ذلك المعبد ، وذلك باسم طفل عمره ست سنين ، هو ن . يوبديوس ؛ وهنا أيضا أضيف إلى المأثرة الدينية فائدة دنيوية ، وذلك لأنه كان على مجلس المدينة أن يتقبل في صفوفه ذلك الحسَن الصغير اعترافا له بجميله .

وعلى نحو ما يدلّ عليه معبد بومبي هذا ، لم يكن هناك ما يكاد يجمع بين معبد لإيزيس من هذا القبيل وبين معابدها في مصر ، على أنه ربما كانت معابد الإسكندرية الأمثلة الأولى التي احتذاها مثل هذا المعبد . ففي فناء تحيط به الأروقة ذات الأساطين كان يقوم المعبد الحقيقي ، يودى إليه سلم ، وكان يتألف من جزء أمامي ، يعتمد على ستة أساطين ، ومن غرفة قدس الأقداس . وفي ركن من الفناء كان يقوم مبنى صغير وبجانبه مذبح كبير . وكانت تكتنف الفناء من جانبيه غرف كانت تستخدم مساكن للكهنة ومخازن وما أشبه . وكانت زخارف هذا المعبد



١٨٢ - معبد إيزيس في بومبي .

Erman, Aegypt. Zeitschr., 34, 149 ff. (١)

Lafaye, Hist. du culte des dieux d'Alexandrie, p. 173 ff. : عما يلي انظر : (٢)

وملحقاته كذلك خليط من زخارف مصرية وإغريقية ، دينية وغير دينية ، إلى جانب إيزيس وأوزيريس وحر بوقراط وأنوبيس والحيوانات المقدسة والكهنة كان يرى كذلك ديونيسوس ونارسس وخيرون مع أشيل ثم القصة الجميلة لآرس وأفروديت . وكانت هناك صورتان تشغلان مركزا وسطا ، وكانتا تمثلان قصة يو ، وذلك لأن الناس منذ مدة طويلة رأوا في حبيبة زيوس هذه المسكينة ، التي فرت إلى مصر في هيئة بقرة ، الإلهة المصرية التي على شكل البقرة <sup>١</sup> ، بل لقد أتوا من الخلط ما يضحك ، فجعلوها تلد أبيس . وكانت المناظر الطبيعية تمثل أما كن مصرية بهياكلها وتمثيل أبو الهول ، أو تمثل كذلك صورا بحرية بسفنها ، وقد كانت إيزيس تعتبر حاميتها . وإلى جانب تماثيل إيزيس كانت توجد كذلك بين تماثيل المعبد الرخامية تماثيل لديونيسوس وأفروديت وبرياب . وفي خمسة تماثيل أخرى كان الوجه واليدان والقدمان وحدها من الحجر ، أما الجسم فكان من الخشب ؛ ومن الخلق أنها كانت التماثيل التي كانت تكسى بالكتان وتحمل في مواكب الأعياد . وكان أكبرها يحمل في أذنيه قرطا من ذهب ويمسك في يده « شخليفة » . وكانت المعابد في بنائها وصورها تبدو نصف إغريقية أو إغريقية تماما ، على أنه مع ذلك كان يعنى كذلك بأن يكرن الفن المصري الحقيقي ممثلا فيها . ولهذا كان يوقن إلى بومبي ، وبنفت وروما وإلى أى بلد آخر ، كان يشيد فيه معبد لإيزيس ، بما كان يتيسر الحصول عليه من موائد قربان قديمة ، وتماثيل أبي الهول ، وتماثيل ومنحوتات مختلفة مما كان لا ينقطع مدده من محتويات معابد مصر ومقابرها ، حيث كانت تقام لهجة إيزيس . ولم يكن لهم أن تتحدث نقوش هذه الأحجار المنحوتة عن غرض آخر مختلف تماما ، فما كان أحد من الجماعة يستطيع أن يقرأ هذه النقوش الهيروغليفية . وبذلك انتقلت عبر البحر إذ ذاك آثار من جميع عصور مصر القديمة ؛ وريح الكهنة المصريون المسال من بيع ما رأوا أنه يمكنهم الاستغناء عنه مما كانوا يمتلكون من مجموعات ، ولم يجدوا في ذلك أدنى ما يربب أكثر مما كان يجد الكهان

(١) وذلك حسب ما جاء في Lucian, Dial. Deorum 3, 207. حيث تسخ يو ، باعتبارها إلهة مصرية ، بركوب النيل ، وحيث تتحكم في الرياح وتنقذ الملاحين .

الطليان في القرن الثامن عشر ، الذين كانوا يبيعون مذابح كنائسهم للبلاد الأجنبية .  
وإننا لنرى فضلا عن ذلك ، أى نوع من الأحجار المنحوتة كان أحظى بالتقدير  
في هذه التجارة : فقد كان ينبغي أن تكون قدر المستطاع من حجر أسود أو قاتم ؛  
وذلك لأن هذا اللون ، الذى كان يناقض لون التماثيل المحلية ، إنما كان يبدو أوفق  
ما يكون للطبيعة الخفية ، التى كانت تعزى إلى الديانة المصرية .

ولقد احتفظت الشعائر اليومية العادية في المعابد الأوروبية لإيزيس بالصيغ القديمة  
التي كانت لها في مصر . ففي الصباح الباكر كان مرتل المعبد يخطو عتبة المعبد ويوقظ  
الإله باللغة المصرية القديمة ١ - وعلى وجه التحقيق بنفس أنشودة الصباح ( صفحة  
٢٠٠ ) : « إنك تصحو في سلام وصحوك لطيف » ، التى كانت تنشد آلافا من  
سنين خلت للمثل لهذا الغرض . ثم كانت تلى ذلك الشعائر المعتادة القديمة من تطهير  
الإله بالماء وتبخيره وتكسيته وتزيينه وإطعامه .

وكان نظام الكهنة كذلك كما كان في مصر ، فكان هناك رؤساء كهنة ،  
وعرافون ، ومشرفون على لباس الإله وعلى المظاهر الخارجية للعبادة ، وكاتب  
ومجمع مقدس ٢ من حملة الناووس ، وذلك كما كان على ضفاف النيل تماما . وكانت  
النساء تأخذ كذلك بنصيب في العبادة كما كان الأمر في الزمن القديم ، فيحركن  
الشخيلة أمام الإلهة . وكان من واجباتهن كذلك على ما يبدو التطهير بالماء ، وذلك  
لأنهن " كن يمثلن أنفسهن على شواهد مقابرهن بجرة الماء والشخيلة .

وكان من بين الأعياد الكبيرة لإيزيس عيدان يتمتعان بشهرة خاصة ؛ وكان  
أحدهما هو عيد نوفمبر ، الذى كان يظل ثلاثة أيام ، يمثل فيها موت أوزيريس ،  
والبحث عن جثته ثم العثور عليها ؛ وتدل التلميح والإشارات التى يتضمنها الأدب  
على مدى ما كان لهذا العيد من أثر على من كانوا يلاحظونه من بعيد . وهذا العيد هو

Porphyrius de abstinentia, IV, 9. (١)

Apulejus Metam., XI, 17. (٢)



المقصود عند ما يتحدث أوفيد عن «أوزيريس الذى لم يُبحث عنه بحثاً كافياً»<sup>١</sup> ، وعند ما يذكر جوفينال صباح الشعب «عند ما يُهتدى إلى أوزيريس»<sup>٢</sup> ، وعند ما يستعرض لوكان «الكلاب أنصاف الآلهة و«الشخايل» المثيرة للأشجان»<sup>٣</sup> . وإلى هذا العيد كذلك يرجع التصور العجيب ، الذى يذهب إلى أن آلهة المصريين تجد مسرتها فى أناشيد البكاء والتديب ، لافى الرقص المرح ، مما كانت تؤثره آلهة الإغريق<sup>٤</sup> . ومن الخلق أن هذا العيد كان يحتفل به أمام الشعب كافة ، ومع ذلك ربما كانت شعائره السرية قد احتفظ بها لدائرة ضيقة للغاية من الإيزيسيين ، أولئك المؤمنون حقاً ، الذين كانوا يؤلفون إخوة صالحة ، وكانت لهم «مدرستهم» بجوار المعبد .



أما عيد مارس الكبير ، الذى كانت تفتتح فيه إيزيس ملاحه العام ، فلدينا تقرير جليّ من القرن الثانى بعد الميلاد يصف الاحتفال به على نحو ما حدث فى كينشرى ، الميناء الشرقية لكورنث<sup>٥</sup> . ويبدأ موكب الاحتفال بمجموعة فى ملابس تنكرية متنوعة ، من بينها الجندى ، والصيد ، والمبارز ، والفيلسوف ، وجمار يمثل بجاسوس ، ودببة تقوم بلور سيدة ، وقرد يمثل جانيمد . فاذا استوفى الشعب متعته من هذه المساخر المضحكة ، فانه لايلبث أن يشاهد موكبا من نساء كاسيات بأثواب بيض ومتوجات بأزهار الربيع ، ينثرن فى الطريق زهرا ويسكنن فيه العطور قطرة قطرة ، أو يحملن كذلك أمشاطا ومرايا يحركنها كأنهن يزرن ضفائر الإلهة . ثم يتلو ذلك رجال

١٨٣ - أمارس ، كاهنة إيزيس، عن شاهد مقبرتها فى أثينا.

Ovid, Metam, IX, 693. (١)

Juvenal VIII, 29. (٢)

Lucan, Pharsal. VIII, 832. (٣)

Apulejus, de deo Socratis XIV. (٤)

Apulejus Metamorph. XI, 8-17. (٥)

ونساء معهم مصابيح ومشاعل ؛ ثم يأتي الموسيقيون ومعهم المزمار والناي . وجوقة من مغنين شبان في ملابس بيضاء ، يغنون أغنية نظمت بمناسبة هذا العيد . ويتبع هذه الموسيقى الحديثة الموسيقى القديمة المقدسة ؛ وعلى رأسها عازفو الناي لسيرايس ، يعزفون على آلة خاصة نغما ليس من المعتاد عزفه إلا في المعبد ، ثم المكرسون ، الذين يصلصلون بالشخيلة ، وهم رجال ونساء من كل سن ؛ فأما الرجال فهم حليقون ، وأما النساء فحول شعورهن قماش أبيض . ثم الرؤساء الستة ويحملون مصباحا ومنذجا وأدوات أخرى مقدسة . وتليهم الآلهة نفسها . وعلى نحو ما كان يقتضى الأمر فإنه يتقدمها جميعا أنوبيس ، وهو أسود برأس مذهبة وشارتاه العصا ذات الثعبانين والنخلة . ويحمل خادما يمشى « بخطى مبرورة » ، بقرة واقفة ، وهى صورة الإلهة الولود الخصبية ؛ أما الصندوق الذى يحمله خادم ثان فهو يحتوى

« أسرار الديانة المحيطة » ، فى حين أن شخصا ثالثا يضم إلى صدره السعيد التمثال الجليل للإله الأعظم » ؛ وهو صورة لأثر مقدس ، هو جرة صغيرة من ذهب ، مزينة بصور مصرية عجبية . ومن ورائهم فى ختام الموكب أجمع يتقدم الكاهن وفى يده « الشخيلة » وتاج من الورود .



ويتجهون شطر البحر حيث تقف على أهبة الاستعداد سفينة جميلة محلاة بصور مصرية . ويتلو رئيس الكهنة « بضم عفت صلاة تقية » ، ويظهر السفينة ويكرسها للإله . ثم ينصب السارى ، ويفرد الشراع ويسكب الجمهور أجمع العطور فى السفينة . وبعد ذلك تقطع الحبال التى لاتزال تمسكها ، فإذا شرعت تبتعد عن الشاطئ ، يتبها الناس بأنظارهم حتى تختفى . ومن ثم يعود المركب إلى المعبد ويدخل الكاهن والمكرسون غرفة الإلهة ، بينما ينتظر الجمهور فى الخارج . وبعد لحظة يظهر كاتب المعبد ويهتف للإمبراطور ومجلس الشيوخ والشعب الرومانى والبيحارة وسفائهم ، فيهلل الشعب ويتجمل بالزهر ، ويقبل قدى تمثال الإلهة ثم ينصرف . وإذا كان يبدو فى هذا الوصف شيء من مبالغة ، فلهذا سببه الواضح ؛ ذلك

أن لوكيوس ، الذى صاغ ذلك الوصف فى شكل قصة ، كان أحد السعداء ، الذين كانوا بصفة خاصة على صلة قوية بالإلهة ؛ وكان له مكانة بين أنخلص المؤمنين بها . ولقد حضنته إيزيس منذ مدة طويلة فى حلم أن يكون واحدا من أتباعها ، وهو الذى كان يدين لها بأنها أنقذته من محنة شديدة ؛ على أن متراس كاهن كثنيرى العجوز لم يكن ليجرؤ على قبوله ، وذلك لأنه هو نفسه لم يتلق الأمر من الإلهة . ولما تم له ذلك آخر الأمر قاد فى الصباح ذاك المريد السعيد إلى المعبد ، ثم أخذ من قدس الأقداس كتبا ، كتبت بحروف على أشكال الحيوان وبتنميقات عجيبية ( أى كتبت بانخط المبر و غايى ) ، وقد تلى منها كل ما يلزم لتكريسه . وعندما اشترى لوكيوس ما كان يدعو الأمر إليه اقتيد فى صحبة الأتقياء إلى الحمام وطهر « بسكب الماء » عليه . وبعد الظهر فى المعبد أفضيت له الأسرار وذلك عند قدمى الإلهة ، ثم فرض عليه أن يتمتع عشرة أيام عن أكل اللحوم وشراب التبيذ . ولما انقضت هذه الفترة اجتمع المؤمنون فى المساء ، وكان هو يرتدى ثوبا بسيطا من كتان ، وقد اقتاده الكاهن إلى قدس الأقداس . أما عما حدث له هناك فلم يكن له أن يحدثنا عنه إلا نلمحاً : لقد دخل عالم الموتى ثم عاد منه مارا بكل العناصر ؛ وقد رأى الشمس تضىء فى حلك الليل ، ونظر إلى الآلهة الأعلى والأسفلين وعندهم . وعلى ذلك فقد أظهر على مملكة أوزيريس تحت الأرض ، وسمح له برؤية الشمس وهى تعبر بالليل هذه المملكة مع حاشيتها ، وهذه أشياء تشبه بعض ما يعرضه كتاب إمدوات وما يشبهه من كتب ( صفحة ٢٦٣ ) . وعندما خرج فى الصباح أصعد على مراقبة فى وسط المعبد أمام تمثال إيزيس ، ثم ألبس ثيابا مبرقشة ومخللة بصور الحيوان ، وكان فى يده مشعل ، ويحلى رأسه تاج من خوص ، يحيط به كأنه أشعة من نور . وعندئذ رفعت الستائر ورآه الشعب وهو قائم « فى زينته كالشمس » .

وبعد ذلك كُرس لوكيوس مرة ثانية فى روما ، وكان ذلك أيضا وفق مارأى فى بعض أحلامه ؛ وقد لقته بعد صيام عشرة أيام الكاهن أسنيوس ماركولوس فى معبد إيزيس بحقول مارس « المسائل المقدسة للإله الأكبر ، الأب الأعلى للآلهة : أوزيريس الذى لا يقهر » . وقد ذكرته الآلهة مرةً ثالثة ؛ إذ رأت أن تصطفيه

بتكريس ثالث ، على حين كان غيره لا يحصل على التكريس الأول إلا بصعوبة . وقد تطوَّع هذه المرأة وأطال في فترة الصيام التفل أكثر مما كان مفروضا ، وما كان أئىّ بذل يأخذ نفسه به بالشىء الكثير عنده . وقد ظهر له أوزيريس في هيئته الحقيقية وقبله في عداد جماعة « حملة التماثيل المقدسة » ، بل لقد جعله على رأسهم . وهى جماعة قديمة ، أسست في عهد سلا ، وقد أسعد لوكيوس أن أصبح ينتمى إليها . وكان حينئذ يذهب يكشف في زهو عن رأسه الخليق ، ليرى بذلك أنه كاهن للآلهة المصرية <sup>١</sup> .

من هذه الرواية العجيبة ، التى سردناها هنا ، نعلم كذلك كيف كان الناس في نهاية القرن الثانى بعد ميلاد المسيح يتصوِّرون طبيعة الآلهة المصرية ، وإنه يمكن القول بأن الطابع المصرى فيها تقهقر وانحسر عنها تماما . فقد غدت إيزيس « أمّ الأشياء ، وسيدة جميع العناصر ، والبداية الأولى للأزمنة » . وهى « الإلهة العليا ، ملكة الموتى ورئيسة أهل السماء » . وهى « المظهر الموحد للآلهة والآلهات » . وهى « على تعدد أشكالها واحدة وشخص بذاته ، والعالم بأسره يعبدها » ؛ وإن كان « بطقوس مختلفة وأسماء متعدّدة » . وقد كانت تعتبر في فرجينيا أما مقدسة لبستينوس ، وفى أثينا الإلهة أثينا ، وفى قبرص أفروديت بافوس ، وفى كريت أرتيميس ، وفى صقلية برسييفون استكس ، وفى إريسس دميتير ، التى كانت أهلا للتقديس منذ أمد بعيد ؛ ويسمىها البعض هيرا وبللونا ، وآخرون يسمونها هيكتات والإلهة الرامنوسية ؛ وكان الأثيوبيون ، الذين يسكنون أقرب ما يكون للشمس ، والمصريون ذوو الخيرة بالحكمة القديمة ، يعرفون الطريقة المثلى لعبادتها « واسمها الحق » : الملكة إيزيس <sup>٢</sup> . وهكذا نرى أن إيزيس ابتلعت جميع الآلهة ، التى كانت تعبد فى أوروبا ، على نحو ما صنعت من قبل بآلهة مصر ، وقد أصبح يظنّ بكل بساطة أنها تمثل الطبيعة . وتتردّد هذه الآراء والتصورات فى أنشودة طويلة من القرن الثانى كشف عنها فى مصر <sup>٣</sup> ، وترجع كذلك إلى الأوساط الإغريقية . ولا بد أن كان مؤلفها على

Apulejus Metamorph. XI, 19 ff. (١)

Apulejus Metamorph. XI, 5. (٢)

Oxyrh. Pap. XI, 190 ff. (٣)

دراية جيدة بمصر ، وذلك لأنه يسوق أكثر من ثمانين موضعا من هذا القطر ، وبعضها مجهول تماما ، كانت تعبد فيها إيزيس . وكانت لها في كل مدينة صفات خاصة ، فهي « عظيمة ، طيبة ، مقدسة ، جميلة الشكل » ، وهي « الوحيدة » ، الملكة ، المنتصرة ، سيدة البلاد جميعا ، حاکمة المدن » . وهي المخترعة ، الخبيرة بالكتابة ، الخبيرة بالحساب ، زعيمة آلهات الشعر » . وهي « سيدة البحار ، ومرشدة السفن ، والتي تعود بها إلى الميناء » ، وهي « تقود الأساطيل » . ومن الطبيعي أنها في هذا كله قد حلت مكان آلهة أخرى قديمة ، فإيزيس صاحبة سايس إنما هي في حقيقة الأمر نيت ؛ وإيزيس صاحبة بوبسطة هي باستت ؛ وإيزيس صاحبة بوتو هي أوتو وهكذا . وإذا كانت جميع هذه الإلهات المصرية قد تسمى كذلك أفروديت أو أثينا أو هيرا أو هستيا ، فقد كانت كلها مع ذلك تمثل إيزيس « ذات الأشكال المتعددة » وهو ما جرى كذلك مع إلهات سائر العالم . فن روما وإيطاليا إلى الهند وفارس ، ومن البحر الأسود إلى البحر الأحمر ، كانت السيادة في كل مكان للإلهة « ذات الأسماء العديدة » ؛ فستون بلدا وقطرا وشعبا كانوا يعبدونها على أنها « الفضلى ، الجميلة ، الطاهرة ، المقدسة ، المتصوفة ، حبيبة الآلهة » ؛ وفي روما وعند الأمازونيين كانت تعبد على أنها « محاربة » ؛ وفي بامبيكي في سوريا على أنها أترجاتس ؛ وفي كريت على أنها دكتينس ، وفي صيدا على أنها عشرتي . ولها المعابد « في المدائن جميعا شيدت لكل الأزمنة ، وقد تركت للجميع القوانين . وهي تريد أن يرتبط الرجال والنساء معا » ، وقد أعطت هؤلاء ذات القوة التي أعطتها لأولئك ، وهي « الإلهة ذات الشكل الجميل في أولمب ، زينة النساء ، المحبة الزعوف » . وإن العالم ليدين لها بالنبيذ ؛ فهي أول من أحضره في أعياد الآلهة . وهي التي « تقود الشمس منذ شروقها إلى غروبها » لبهجة جميع الآلهة وجميع الكائنات الحية . وهي التي « تجلب فيضان الأنهار ، وفيضان النيل » في مصر ، وهي النهر الكبير في فينيقيا ، والكنج في الهند . وبفضلها يحيا كل شيء عن طريق الأمطار

(١) يلاحظ عدم ذكر الجزء الغربي من الإمبراطورية ، فيما عدا روما وإيطاليا ؛ وفي هذا يبدو أن العالم لدى هذه الأئشودة هو العالم الإغريقي والعالم الشرق .

والينابيع والطلّ والتلج ؛ ولها السلطان على الرياح والرعد والبروق والعواصف الثلجية . وهكذا يمضى النصّ ، وما من شيء في هذا كله يذكرنا بإيزيس المصرية ، لولا أنه ورد مرّة ذكر أوزيريس ، الذى دفنته ، وذكر ابنها حورس أبوللو ، الذى « نصبته كحاكم شاب على العالم كله » ؛ أما عن زوجها الذى جعلت منه شخصا خالدا فقد هيات له أماكن لعبادته في البلاد جميعا .

وفي هذا نرى أن أوزيريس يتخلف كثيرا عن زوجته . وكذلك كان الحال في حقيقة الأمر في سائر العقائد الإيزيسية . أجل لقد كان يسمى « الإله » الذى له السلطان على الآلهة العظيمة ، والأعلى بين الأعظمين . والأعظم بين الأعلين ، وحاكم الأعظمين <sup>١</sup> ؛ وكان يسمى « الأب الأعلى للآلهة » ، وكان يوصف بأنه « لايقهر » <sup>٢</sup> ، وهو وصف كان يمنح في هذا العصر فيما عدا ذلك إلى إله الشمس ، وقد اشتقه من الفرس ؛ كما أننا لنقرأ أكثر من مرّة <sup>٣</sup> « زيوس سراييس هو واحد أحد » كأنه إقرار ديني بوحدانيته . ولكن ماذا كانت تعنيه مثل هذه العبارات وقد كان أتباع العقيدة المصرية الأتقياء ينسبون أنفسهم دائما إلى إيزيس لإلى أوزيريس أو سيراييس ؟ بل لم تعد مملكة الموتى له وحده ، وإنما غدا لإيزيس فيها نصيب . فقد كان لكل من استحقّ رضاءها « بحمسه في طاعتها وتقواه في عبادتها وشدة زهده » أن يطمع في أن تطيل عمره إلى ما يزيد على ما حدّده له القدر ؛ ثم بعد ذلك إذا هبط عند الموت إلى العالم السفلي ، فإنها هي التى كان ينظر إليها ويتعبدها . « وهى تضىء في نصف الكرة تحت الأرض وسط ظلمات أخيرون ، وتحكم على الأماكن التى تقع في أقصى مناطق استكس <sup>٤</sup> » . وكانت سعادة الرجل التّى بعد الموت في أن يعيش بالقرب من الإلهة « في الحقول الإليزية » وأن ينظر إليها ، وهى السعادة

Apulejus, Metam. XI, 29. (١)

(٢) نفس المرجع ١١ ، ٢٧ . علاوة على هذا لقد كانت إيزيس تسمى « التى لا تقهر » ، انظر نفس

المرجع ١١ ، ٢٩ وتمثال كولونيا الوارد ذكره في صفحة ٤٨٧ .

(٣) هكذا على التسمية المحفوظة في المتحف المصرى في برلين برقم ٩٨٣٤ (Ausf. Verz. S. 377)

Oxyrhynchus Pap. XI, 235

Apulejus, XI, 6. (٤)

نفسها التي كان يحظى بها في حياته إذا سمح له بالإقامة في المعبد والنظر إلى تمثال الإلهة . وكان ذلك يملؤه « طربا ووجدا لا يوصفان » ، فيرتجى أمامها ، ويقبل قدميها ، وتنهزم دموعه ، حتى إنه لا يستطيع الكلام من شدة الشبهيق ، عندما يشكرها على طيب أعمالها : « أيتها القديسة ، أيتها الحامية الأزلية للإنسان ، يامن تعين بهم في سناء ، وتزودينهم بعطفك الأموى ، إن أصابتهم محنة . لا يمضى يوم بل ولا لحظة لاتفضين فيها عليهم من الخيرات ، ولا تحمين فيها البشر في البحر والبر ، ولا تمدين فيها يد النجدة لأولئك الذين تدقهم عواصف الحياة . . . إنك تسكنين عواصف القدر وتخفين الحركات المؤذية للنجوم .

إن أهل السماء ليقدمونك ، وسكان العالم السفلى يخدمونك . إنك لتديرين الأرض وتديرين الشمس وتحكمين العالم وتجوبين تارتاروس . وإن النجوم لتجيبك ، والأزمان صائرة إليك ؛ وإن الآلهة لتحبك والعناصر تخدملك ، بأنفاسك تهب الرياح وتخصب السحب ، وينبت الحب ، وينمو الثبت .

أمام جلالتك تخشع الطيور ، التي في السماء ، والحيوانات المتوحشة ، التي تهيم في الجبال ، والأفاعى ، التي تختبئ في الثرى ، والمردة التي تسبح في البحر .  
لنى أضعف من أن أستطيع مدحك ، وأفقر من أن أقدم إليك القرابين . إنه ليعوزنى البيان البليغ للتعبير عما أشعر به نحو جلالتك ، وإنه لينبغى أن يكون لى لأداء هذا الواجب ألف فم وألف لسان » ١ .

إن الإحساس الوحيد الذى يستطيع أن يقدمه للإلهة هو الشعور الحار بعرفان الجميل .

وكانت الأقلية هى التي كانت تستطيع عبادة إيزيس بتقوى بالغة مثل هذا المكرس ، وأكن إذا كان غيرهم قد عبدوها عبادة سطحية ، فيعوض ذلك أن عددهم كان عظيما . ولم يكن فى الامبراطورية الرومانية الواسعة الأرجاء مقاطعة واحدة تكن تعبد فيها الآلهة المصرية ، حتى استطاع تروتوليان أن يقول : « إن الأرض بأسرها

تعقد الأيمان اليوم باسم سيرابيس <sup>١</sup> . وإنما لنجد في إفريقية الشمالية ، وفي أسبانيا ، وفي بلاد الدانوب ، وفي فرنسا ، وحتى في إنجلترا نفسها ، نقوشا تكرم فيها إيزيس وسيرابيس . وكان لإيزيس ربوعها كذلك في مناطق لجبال الألب وفي ألمانيا <sup>٢</sup> . وتقرر أحد المصادر المسيحية في تقرير <sup>٣</sup> أن نونسبرج جنوب بوزن كانت كأنها إسكندرية ثانية ملأى « بأنوبيس » ذى الشكلين وبصور نصف إنسانية ذات أشكال متعددة . . . ملأى بمحافقات إيزيس واختفاء سيرابيس ؛ وكان في بلست ، في جلانتال الكارنثية ، معبد لإيزيس الشمالية <sup>٤</sup> . وكان في مارينوزن في مقاطعة الرين . مذبح لسيرابيس ، أقامه ضابط روماني <sup>٥</sup> .



١٨٥ - تمثال إيزيس في كولونيا .

وقد وجدت مرارا في منطقة الرين تماثيل صغيرة من البرنز للإلهة المصرية . على أن أعجب شاهد على ذلك هو ما حفظته لنا كنيسة أورسولا في كولونيا ، وهو تمثال صغير لإيزيس التي لاتقهر ، وقد استخدم في العصر الوسيط في تاج أحد أساطينها <sup>٦</sup> . وإذا كان قد كشف غير بعيد من هذه الكنيسة عن مقبرة مصرية ، يدعى حورس بن بابك ، فإن المرء لا يملك إلا أن يسائل عما إذا كان هذا الرجل ذو الاسم المصري ، الذى وجد سبيله من النيل إلى الرين ، كان كاهنا للإلهة المصرية .

وهكذا سادت عقيدة إيزيس في كل مكان في أوروبا ، وقد كان سلطانها ينمو على الدوام حتى نهاية القرن الثاني ، عندما

(١) Tertullian, ad, nat 2, 8.

(٢) ومع ذلك لاستطيع أن نصدق ما ذكره تاكيتوس في Germ. 9 من أن بعض السويبيين كانوا يعبدون إيزيس ؛ وقد استتبع ذلك فقط من أنه كانت لهم سفينة تقوم مقام المعبد .

(٣) Acta S. S. XIX Mai S. 44.

(٤) CIL III 4806 ff.

(٥) CIL XIII 7610.

(٦) Schaahtausen, Bonn Jahrb. 76,38 = CIL XIII 8190, 8191.



أخذت عقيدة أخرى ، وهي عقيدة متراس الإله الفارسي ، ترددها إلى الوراء بعض الشيء ، على أنها مع ذلك ظلت قائمة طالما كانت تعبد الآلهة الوثنية . وإننا لنجد في أثينا في منتصف القرن الرابع قبرا لكاهن لإيزيس ، دفنت معه فيه الأدوات من الفضة التي كان يستخدمها في المعبد ١ ؛ وفي نفس العصر نجد في الرين الأمير الألماني مديرش ، الذي تلقن هذه « الأسرار الإغريقية » وهو أسير في بلاد الغال ، والذي أدت به حماسه لسيرايبس إلى تسمية ابنه أجنارش بعد ذلك باسم سيرايبون ٢ . وفي المحاولات الأخيرة في إحياء الوثنية المحتضرة كان للعقيدة المصرية دورها أيضا ؛ فكان جوليان يكرم الآلهة المصرية ؛ وفي عام ٣٩٢ عند ما قام أربو جاست الفرنجي بتنصيب أويجين على العرش ، وأتاح للأرستقراطية الوثنية نصرا قصيرا الأمد ، لم تنس كذلك عبادة إيزيس . وفي عام ٣٩٤ احتفل نيكوماك فلافيان بصفته قنصلا بأخر الأعياد الرسمية في روما ، تمحيذا لماجنا ماتر وإيزيس . على أنه في هذه السنة نفسها انتصر تيودسيوس ، وانتهى أمر ذلك جميعا .

على أنه في الحق بقيت في العالم الروماني جماعة هادئة متمسكة بالعقائد المصرية ، وهي جماعة الفلاسفة المتصوفين ، الذين ظلوا حتى القرن السادس يقومون بالتعليم في المراكز الكبرى للثقافة . وإذ كانوا يجدون لذة وغبطة في كل ما كان ذا طابع صوفي وفي كل ما يثير الوجد أو الدهشة ، فقد كان لا يمكن ألا تثير مصر حماسهم . أجل لقد كانت مصر بلدا « مقدسا » ، معابده مزودة بكل شيء ، وفيه من الكهنة ما لا يحصى عددهم ، ممن يسهرون على أداء الطقوس جميعا ، وفيه المذابح لا تحبو

نارها أبدا . وقد علم المصريون العالم بأسره تقريبا

عبادة الآلهة ، « وإننا لنعلم أن الآلهة كانت ولا تزال

تقطن هناك » ، وذلك على نحو ما يذكر المؤلف

الساذج الذي يرجع إليه هذا الوصف في القرن

الرابع ٣ . ولهذا كان هذا البلد المقدس المثل الأعلى



١٨٦ - قطعتان من نقرود جوليان  
عليهما صورة أيبس وأنوبيس .

(١) Ross, Arch. Aufs. I 37 ff.

(٢) Amm. Marc. XVI, 12, 35 وذلك حسب ما جاء في Erman, Ae. Z. 42, 110

(٣) Descr. totius mundi (ed. Lumbroso, Accad. dei Lincei 1898) p. 144 ff.

لأولئك المتصوّفين . وقد عمد أحدهم ، وهو أسكليبيادس - الذى عاش فى القرن الخامس ، إلى الإقامة مدة طويلة فى مصر ليدرس التعاليم المقدسة من مصدرها . وقد نظم الأناشيد للآلهة المصرية وألف كتابا فى الديانة المصرية . على أنه على قدر أبحاثه فإنه لم يستطع أن يحظى بما زوّدت الطبيعة به صديقه المجلود حرايسكوس . حقاً لم يكن هذا الصديق يعرف قدر ما يعرف هو من « حكمة المصريين » ، على أنه عوضاً عن ذلك كانت « طبيعته شبيهة بطبيعة الآلهة » . فكان ذا موهبة ، بحيث كان إذا رأى تمثالا لإله ، فإنه كان يشعر « أختى هو أم لا » . فإذا كان تمثال الإله أهلاً بروحه (صفحة ١٩٢) ، « فقد كان قلبه يتأثر بمجرّد مشاهدته . وكان جسده وروحه يثوران كأنه حلت به قوّة إلهية » . وعند ما توفى ودفن ، تألأ جسده فجأة من خلال اللقائف علامة على أنه قد اتحد مع الآلهة . وهكذا غدا ممجداً (صفحة ٢٩٨) كرجل مصرى من الزمن الأول<sup>١</sup> .

ومع ذلك لم يكن هؤلاء المتصوّفون ليتصوروا كذلك أن هناك قوّة فى العالم يمكن أن ترد للآلهة القديمة سيادتها . وكانوا يعلمون أنهم آخر الوثنيين ، وأن مصر المقدسة « صورة السماء . . . ومعبد الكون بأسره » ، غدت تنتمى منذ ذلك الوقت إلى المسيحية . وإنما لنقرأ بشئ من التأثير النبوءة الحزينة التى يتردّد صداها من أوساطهم<sup>٢</sup> : « سيأتى زمان يبدو فيه أن المصريين عبدوا الإله بتقوى وحاسة دون جدوى . . . ذلك لأن الإله سيعود من الأرض إلى السماء ، وسوف تظل مصر مهجورة ، ولن يعود البلد الذى كان مقرّ الديانة ، مأوى للآلهة . . . أيا مصر ، يا مصر ، إنه لن يبقى من عقائدك غير قصص وروايات ، لن تصدقها الأجيال المقبلة ، ولن تبقى غير كلمات على الحجر تحكى أعمال تقواك » .

Suidas s. v. Heraiskus. (١)  
Pseudoapulejus Asclepius XXIV. (٢)

## فهرس أجدى

تشيرو النجمة قبل رقم الصحيفة إلى أحد الأشكال التي يحتويها الكتاب

- أباتون ٤٢٠ .  
 أبلو (سمكة) ٢١ .  
 الأبرار ٢٥٩ - ٢٦٢ ؛ ٢٩٨ ؛ انظر كذلك المجلدون .  
 أبركساس ، انظر جواهر أبركساس .  
 أبريس ٢٠٨ .  
 أبساتيك ٣٥٧ ؛ ٣٥٨ ؛ ٣٦١ ؛ ٣٩٤ .  
 ابن الإله ٦٦ ؛ ٦٧ ؛ انظر كذلك الملك ابن رع .  
 ابن آوى ، آلهة على شكله ٥٢ .  
 أبوا الإله ٢١٠ .  
 أبو سنبل ٣٩٢ .  
 أبو صير ٢٩٠ .  
 أبو منجل ٣٧٣ ؛ ٣٧٢ ؛ ٣٦١ ؛ انظر كذلك إيبس .  
 أبو الهول الكبير ١٦٣ .  
 — فى المقبرة ٣٢٤ .  
 — المنجح ٤٣٧ .  
 أبو فيس ٢١ ؛ ٥٦ ؛ ٨٠ ؛ ٢٦٤ .  
 — رقيته ٣٤٥ .  
 أبو لولو ( حورس ) ٣٧١ ؛ ٤٠٠ ؛ ٤٦١ .
- أبوليوس ٤٨٠ .  
 أبيدوس ٥٠ ؛ ٣٠٢ ؛ ٣٠٥ ؛ ٤٤٩ .  
 — عيدها ؛ انظر عيد .  
 أيبس ٣١ ؛ ٥٦ ؛ ١١٢ ؛ ٣٧١ ؛ ٤٢٨ ؛ ٤٤٤ ؛ ٤٨٨ ؛ انظر سيرابيس .  
 — مقابره ؛ انظر سيرابيوم .  
 أتريب ٣٥ .  
 أتوم ١٩ ؛ ٣٢ ؛ ٥٦ ؛ ٦٠ ؛ ٨٩ ؛ ٩٠ ؛ ١٠٣ ؛ ١٠٦ ؛ اللوحة ٢ .  
 أنون ١٢٤ ؛ ١٢٧ ؛ ١٣١ .  
 — نشيده ؛ انظر نشيد .  
 أثاث الموتى ؛ انظر الموتى .  
 أثينا ( نيت ) ٣٧١ ؛ ٤٠٠ ؛ ٤٦٥ ؛ ٤٨٣ .  
 الإثيوبون ٣٥٨ ؛ ٣٩٤ ؛ ٣٩٦ .  
 الأحلام وتفسيرها ٣٤٨ ؛ ٤٣١ ؛ ٤٤٧ ؛ ٤٥٠ ؛ وانظر كتاب الأحلام .  
 أحس ٦٤ ؛ ٣٠٥ .  
 أحوزى نفرتارى ١٦٥ ؛ ٢٢٦ .  
 آخت ( الألق ) ٢٤ .  
 آخت أنون ؛ انظر تل العمارنة .

- أخناتون ، انظر امحتوب الرابع .  
 الأدب الجزى ٢٣٣ ؛ ٣١٨ ؛ ٣١٩ .  
 أدفو ٣٤ ؛ ١٨٩ ؛ ٤٠٣ ؛ ٤٠٧ .  
 — إلهها ، انظر حورس .  
 — عيدها ، انظر عيد .  
 أدونيس ٤٣٩ .  
 الأذن لاستجابة الدعاء ١٦٤ .  
 أرميس ( باستت ) ٣٧١ ؛ ٤٣٧ ؛ ٤٨٣ .  
 إرجامينس ٣٩٥ ؛ ٣٩٧ .  
 أرس ٣٧٤ ؛ ٤٦١ .  
 أرسنوفس ٣٩٧ .  
 أرسينوى ٤٠٤ ؛ ٤٤١ .  
 الأرض ، إلهها ، انظر جب .  
 — حرثها ، انظر حرث .  
 — السوداء والحمراء ١٧ .  
 أرمنت ٤٢ ؛ ٤٤ .  
 أرواح ، انظر روح .  
 إسبميتى ٤٢٣ .  
 استرايو ٤٤٠ ؛ ٤٤١ ؛ ٤٤٢ .  
 أسطورة أوزيريس ، انظر أوزيريس .  
 أساطير خلق العالم ٧٢ .  
 أسكليبادس ٤٨٩ .  
 أسكليبيوس ( لأموتس ) انظر امحتوب .  
 الاسم المكنون ، انظر رع .  
 آش ٣٩٠ .  
 الأشمونين ، انظر شمون .
- إضاءة المعبد والمدينة ٢٠٢ ؛ ٤٦١ .  
 الأضاحى ١٩٧ ؛ ١٩٨ ؛ ٣٧٥ .  
 اطفيح ٣٧ .  
 الاعتراف بالخطايا ٢٥٧ .  
 أعياد ، انظر عيد .  
 أفاريس ، انظر أواريس .  
 أفروديت ، انظر حاتحور .  
 الأقصر ، انظر معبد .  
 اكسركيس ٤٠٢ .  
 الأكمة الأولى ٧٢ .  
 الإسكندر ٣٩١ ؛ ٤٠٠ ؛ ٤٠١ .  
 الإله ، ابنه ، انظر ابن الإله .  
 — زوجته ، انظر زوجة الإله .  
 — اتخاذه شكل طائر ٣٦٤ .  
 — تمثاله ٩ ؛ ٧٠ ؛ ١٠٧ ؛ ١٨٢ .  
 ١٩٢ ؛ ٢٠٢ ؛ ٢٢١ ؛ ٤٧٨ .  
 — ثروته ٢٢٨ ؛ ٤٠١ ؛ ٤٤٣ .  
 — حريمه ٢٢٦ .  
 — خلدته ، انظر الكهنة .  
 — روحه ١١١ - ١١٢ .  
 — فى الحيوان ١١٢ .  
 — طريقه ، انظر طريق الإله .  
 — عرقه ، انظر عرق الإله .  
 — كلماته ١٣ .  
 — كلك ٦١ .  
 — مغنياته ٢٢٦ .  
 — موته ١٠٩ .  
 — ينجب الملك ، انظر الملك .  
 — كتعبير عام ٧٠ .

- الآلهة من النبات ٦ .
- الأولى ٧٢ ؛ ١٠٨ .
- في طيبة ١٠٨ ؛ ١٠٩ .
- الصفرى ٦ - ٧ .
- العظمى ٦ - ٧ .
- القرية من الإنسان ٦ ؛ ١٦١ - ١٦٢ .
- أزواجها ، انظر أرواح .
- أسراتها ٥٩ .
- أشباحها ٤٦٣ .
- اضطهادها في عصر الهرطقة ١٣٢ ؛ ١٣٣ .
- أعضاؤها ١١٠ .
- أعيادها ، انظر عيد .
- تهاديها ٣٣٤ - ٣٣٥ .
- تيجانها ، انظر تاج .
- صولجها ، انظر صولجان .
- قصصها وأساطيرها ١١٤ ؛ ١١٥ .
- لباسها ١٩٣ ؛ ٣١٦ .
- لحيتها ، انظر لحية .
- مراكبها ٢٠٣ .
- معابدها ، انظر معبد .
- والسحر ، انظر السحر لحماية الآلهة .
- الرومانية ٤٣٩ .
- الألوية في المقابر ٣٢٤ .
- الياننتين ٥٤ ؛ ٧٦ ؛ ٣٦٧ ؛ ٤٢٣ .
- الأم الكبرى ٤٣٩ ؛ ٤٦٧ .

- الإله التمساح ، انظر سبك .
- إله إدفو ، انظر حورس .
- الأرض ، انظر جب .
- الشمس ٣١ ؛ ٧٤ ؛ ١٠٣ .
- ابنته ١٧٧ .
- الطفل في زهرة اللوتس « ٧٣ .
- المدينة ٨ .
- الهواء ، انظر شو .
- الإله في الإنسان ١٨٢ .
- إلهة الحب ، انظر حانخور .
- السماء ، انظر نوت .
- الغرب ٢١ ؛ ٣٦ .
- إلهتنا الحق ٨٤ .
- الإلهتان حاميتا المملكتين ٢٥ ؛ ٣٨ .
- آلهة حورية ٣٤ ؛ ٣٥ .
- الدولة : أمون ورع وبتاح ١٥٣ .
- جبانة طيبة ١٦٢ ؛ ١٦٥ .
- طيبة ، انظر أمون ، موت ، خنسو .
- على شكل ابن آوى ٥٢ .
- — الكباش ٥٣ ؛ ٥٤ .
- مركبة « ٣٤٦ ؛ ٣٤٧ ؛ ٣٦٣ .
- الكون ٦ .
- المدن ٨ .
- المقاطعات ، انظر المقاطعات .
- الموتى ، انظر الموتى .
- الآلهة من الأحجار ٦ .
- من الحيوان ٦ ؛ ٩ .

- أمون، كاهنه الأكبر ٢٢٧ : ٢٢٩ ، ٢٣٠ .  
 - في فينيقيا ٣٨٩ - ٣٩٠ .  
 - في النوبة ٣٩٢ ؛ ٣٩٣ - ٣٩٤ ؛  
 . ٣٩٥  
 - في الواحات ٣٩٠ .  
 - قاربه ، أنظر أوسرحات .  
 - نشيده ، انظر نشيد .  
 - يجب الملك ٦٣ - ٦٥ .  
 أمونت ١١٠ .  
 أمون ام أوبي ، انظر أمن ام أوبي .  
 أمير ألماني يعبد سيرابيس ٤٨٨ .  
 إنتف ، أمير أرمنت ٢٩١ .  
 إنسنجر ، انظر بردية إنسنجر .  
 أنطايوس ٤٣٨ .  
 أنطيتوس ٤٦٩ ؛ ٤٧٠ .  
 أنطينوى ٤٧٠ .  
 أنوبيس ٥٢ ؛ ٨٧ ؛ ١٠١ ؛ ١٠٤ ؛  
 . ٤٨٨ .  
 - رمزه ٥١ ؛ ٢٥٧ .  
 - المحارب ٤٣٨ ؛ ٤٨٨ .  
 - معبده ٢١١ .  
 - يخطط الميت ٤٥٨ .  
 أنوريس ٤١ ؛ ٥٩ ؛ ٧٨ ؛ ٩١ ؛  
 . ١٦٨ ؛ ١٧٦ .  
 أنوكس ٤٢ .  
 آنى ١٨٠ .  
 إيننى ٣٠٤ ؛ ٣٠٦ .  
 أهرام ، انظر هرم .
- أمارتس ٤٨٠ .  
 أمبوس ٥٥ ؛ ٨ .  
 أمثال سليمان ١٨٢ .  
 امحوتب ٦٩ ؛ ٢٧٨ ؛ ٣٦٤ ؛  
 ٣٦٧ ؛ ٣٩٧ ؛ ٤٠٧ ؛ ٤٣٩ ؛  
 . ٤٤٧ ؛ ٤٦١ .  
 - وحيه في منف ٤٤٨ .  
 إمدوات ٢٦٣ ؛ ٢٦٥ ؛ ٣١٨ ؛  
 . ٤٨٢ .  
 أمن ام أوبي ١٨٢ ؛ ٣٨٣ .  
 أمنحوتب ( أمنوفيس ) الأول كإله  
 . ١٦٥ ؛ ١٧٥ .  
 - الثالث ١٢٥ ؛ ١٧١ .  
 - الرابع ٣٢ - ٣٣ ؛ ١٣٠ ؛ ١٣٦ ؛  
 . ١٣٧ ؛ ١٤٣ ؛ ١٤٩ .  
 أمنحوتب بن حابو ٣٣٤ ؛ ٣٦٥ ؛  
 ٤٣٩ ملحرظة ٣ .  
 - مقبرته ٣٦٥ - ٣٦٦ .  
 أمنمحات الثالث ٤٣٨ .  
 إمتوس ، انظر امحوتب .  
 أمون ٤٤ ؛ ٥٨ ؛ ١٠٨ ؛ ١١٠ .  
 أمون رع ٦٠ ؛ ١١٩ ؛ ١٢٠ ؛  
 ١٢٢ ؛ ١٣٢ ؛ ١٤٩ ؛ ١٦١ ؛  
 . ٣٤٦ ؛ لوحة ١ .  
 - اضطهاده ١٣٢ .  
 - تمثاله ٢٢١ .  
 - ثروته ٢٢٨ .  
 - حريمه ٢٢٣ ؛ ٢٢٦ .

- اهناسية ٥٣ ، ١١٤ .  
 أواريس ١٢٠ ملحوظة ٢ .  
 أوبت ( اسم معبد الأقصر ) ٢٢٣ .  
 أوبت ، انظر عيد .  
 أوبوات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ١٠٥ ،  
 ٢٠٣ .  
 — كجنلى ٤٣٦ .  
 — معبده ٢١١ .  
 أوتو ٣٩ ، ٤٨٤ ، انظر بوتو  
 ( إلهة ) .  
 أوزا حررسنت ٣٦٩ .  
 إوزة أمون ١٧٢ ، ١٧٣ .  
 — حربوقراط ٤٣٥ ، ٤٣٦ .  
 أوزيريس ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ،  
 ٨٤ ، ٨٦ ، ٥٩ ، ٩٥ ،  
 ١٠٧ ، ١٥٦ ، ٤٥٤ .  
 — أسطورته ٨٠ ، ٨٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ،  
 ٩٩ ، ١٠١ .  
 — أعضاءه ٤١٩ .  
 — أعياده ، انظر ، عيد .  
 — بداية عقيدته ٢٤٩ .  
 — تماثله ، انظر تماثيل .  
 — جنته ٤٩ ، ٤٢٣ .  
 — والجوزاء ( الجبار ) ، انظر الجوزاء .  
 — خفيايه ( تمثلياته ) ٢٠٥ - ٢٠٦ ،  
 ٤١٩ ، ٤٢٤ .  
 — رسله ٩٦ ، ٢٦٩ .  
 — رمزه ( عموده ) ٥١ ، ٢٠٥ -  
 ٢٠٦ .
- أوزيريس ، روحه ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ،  
 ٤٠٥ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ .  
 — على صورة الأفغوان ٤٣٤ ،  
 ٤٣٥ .  
 — على شكل آنية ٤٣٥ ، ٤٨١ .  
 — على هيئة المومياء ٤٣٥ .  
 — ككله الشمس ١١٩ .  
 — في عهد اخناتون ١٤٣ .  
 — زورقه ، انظر نشمت .  
 — قبره ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ .  
 — المثال الأول للمسوق وإلههم ٤٩ ،  
 ٨٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ .  
 — معبده فوق السطح ٤١٢ .  
 — في الإمبراطورية الزومانية ٤٦٥ .  
 أوزيريس سيرابيس ٤٥٤ ، ٤٧٤ -  
 ٤٧٥ ، انظر كذلك سيرابيس .  
 أوسرحات ٢٢٢ .  
 أوسركاف ٦٣ .  
 أوسركون ٣٢٠ ، ٣٥٧ .  
 أوشيتيات ١٤٣ - ١٤٤ ، ٣١١ -  
 ٣١٣ ، ٣٢٤ - ٣٢٥ ، ٣٢٧ .  
 أولاد حورس ٢٨ ، ٨٤ ، ٢٤٥ ،  
 ٢٥٧ ، ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ ،  
 ٣٢٣ .  
 أون ٣١ ، انظر كذلك هليوبوليس .  
 أون نقر ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ .  
 أونامون ٣٥٢ ، ٣٨٩ - ٣٩٠ .  
 أونج ٢٤١ .

- آى ١٤٦ .  
 أيام السعود وأيام النحوس ٣٤٩ .  
 - النسيء ٩٨ .  
 إيبس ١١ : ٢٦ : ٤٧ : ٧٧ : انظر  
 كذلك أبو منجل .  
 إيجى ٣٧ : ٥٨ : ٤١٤ .  
 - نشيده ، انظر نشيد .  
 إيرتا ١٠٩ .  
 إيروس حربوقراط ٤٦٦ .  
 إيزيس \* ٣٩ : ٥٩ : ٦٣ : ٧٢ :  
 \* ٨٦ : ٣٩٧ : ٤٦٣ .  
 - أعيادها فى أوروبا ٤٧٩ .  
 - الإلهة الرئيسية للكون ٤٧٥ : ٤٨٣ .  
 - إلهة السفر فى البحر \* ٤٣٣ : ٤٧٥ :  
 ٤٨١ .  
 - ترضع الميت ٤٥٨ .  
 - تعاقب المذنبين ٤٧٥ .  
 - تماثلها ، انظر تماثل .  
 - ديانتها فى آخر مراحلها ٤٧٢ .  
 - رمزها ٥١ : ٣١٥ .  
 - فى الإمبراطورية الرومانية ٤٦٥ .  
 - فى بلاد الإغريق ٤٦٥ .  
 - فى العالم السفلى ٤٨٥ .  
 - فى هيئة الأفعى \* ٤٣٤ :  
 ٤٣٥ .  
 - مع رضيعها \* ٨٧ : ٤٣٤ .  
 - ومعها الدفة وبقوق الوفرة \* ٤٣٣ .  
 - معبدها فى بومبى \* ٤٧٧ .  
 إيزيس ، معبدها فى قبيلة ٣٩٧ : ٣٩٨ .  
 - أثينا ٤٣٣ .  
 - أرتيمس ٤٣٣ .  
 - تيشى ٤٣٣ .  
 - حانحون أفروديت \* ٤٣٣ .  
 - سوتس \* ٤٣٤ .  
 - والشعرى اليمانية ٢٢٨ : انظر كذلك  
 إيزيس سوتس .  
 - عشترتى ٤٣٣ .  
 - الإيزيسيون ٤٨٠ .  
 أيوب ، انظر حفرة أيوب .  
 با \* ٢٣٧ ، انظر روح .  
 الباب الوهمى ٢٨٠ : \* ٢٨٣ : ٢٨٧ .  
 باباى ، آكل الموتى ٢٥٧ : ٢٥٨ :  
 ٢٥٩ .  
 بأبريمس ٣٧٤ .  
 باتيكا \* ١٦٧ : ٣٤٦ .  
 باحرى ٢٦٠ : ٢٦٢ .  
 باخت ٤٠ .  
 باسنت \* ٤١ : ٧٩ : ١٥٥ : ٣٣٢ .  
 \* ٣٥٦ : ٣٧١ : \* ٣٧٥ : ٤٣٣ :  
 ٤٧٢ .  
 بالك ان خنسو \* ٢٢٢ : ٢٢٧ .  
 بان ٤٣ : ٣٧١ : انظر كذلك مين .  
 بيلوس ٩٩ : ١٠٠ - ١٠١ : ٣٨٩ .



- بتاح ٢٩ ؛ ٣٠ ؛ ٥٨ - ٥٩ ؛ ٦٩ ؛  
 ٩٦ ؛ ١٠٢ ؛ ١٠٣ ؛ ١٠٥ ؛  
 ١٠٦ ؛ ١٠٧ ؛ ١١٩ ؛ ١٣٣ ؛  
 ١٥٣ ؛ ١٨٧ ؛ ٢٠٩ ؛ ٤٠٠ ؛  
 ٤٦١ ؛ انظر كذلك تاتن .
- روحه ١١٢ .
- كإله للشمس ١٥٤ .
- بتاح تاتن ٦٥ - ٦٦ ؛ ٩١ - ٩٢ .
- بتاح حوتب ١٧٩ .
- بتاح موسى ٣١٤ .
- بتا منوبى ٣٢٠ .
- بتبى ٤٦١ .
- بتموستوس ٣٤٨ .
- بتوزيرس ٣٧٩ .
- بتى سرخوس ٤٣٩ .
- بجه ٤٢٠ .
- بحدت ٣٤ .
- بحيرة يارو ٢٢ ؛ ٢٤٦ .
- بختن ٣٦٨ .
- البخور ١٩٨ - ١٩٩ .
- برامارس ٤٣٨ .
- بردية إنسنجر ٣٨٤ .
- تورين ١١٥ .
- هارس ١٥٣ ؛ ٢٢٨ ؛ ٣٥١ ؛  
 اللوحة ١ .
- برسن ٢٨٩ .
- بركال ( جبل ) ٣٩٢ .
- برنيكى ٤٠٦ .
- برياب ٤٣٧ .
- بس ٥٦ ؛ ١٦٦ ؛ ١٦٧ ؛  
 ٣٤٦ ؛ ٤٣٨ ؛ ٤٤٨ ؛  
 ٤٥٤ ؛ ٤٦١ .
- المحارب ٤٣٨ .
- بش ( جبل ) ٢٢ .
- البشر : ثورتهم على رع ٧٤ - ٧٥ .
- نشأتهم من دعوع رع ٧٨ - ١٢٢ .
- بطاقة الموميا ، انظر مودياوات .
- بطاقات السحر ٣٣٩ .
- البعث ٢٤٧ .
- بعل ( إله ) ١٤٥ ؛ ١٦٩ .
- بعلة جبيل ٣٨٩ .
- البقرة تمثل السماء ١٥ .
- المقدسة ٩ ؛ ٣٧٦ ؛ ٤٢٩ .
- بيكتر ٢٠٥ .
- بلاد النوبة ، انظر النوبة .
- بلوتارك وأسطورة أوزيريس ٨٦ ؛  
 ٩٧ ؛ ٩٨ ؛ ٤٦٦ ؛ ٤٧١ - ٤٧٢ .
- بلوتو ٤٥٤ .
- بلوتو أوزيريس سيرايبس ٤٥٤ .
- البيميون ٣٩٧ .
- ببن ( حجر ) ٣١ ؛ ٧٣ ؛ ١٠٤ ؛  
 ١٢٢ ؛ ١٣١ ؛ ١٩٢ .
- ببترش : انظر نصب ببترش .
- بينفنت ٤٧٦ - ٤٧٨ .
- بنكراتس ٤٥١ .
- بنو ، انظر فوتقس .
- ٣٢ - ديانة قدام المصريين

التاجان واندماجهما بالتعبانين والعينين  
٢٥ .

تيجان الآلهة ١٨٦ ة ٣٦٤ .

— الملوك ٦٠ ة ٦١ .

التاريخيون ، انظر المخطون .

التاسوع ٦٧ ة ١٠٤ ة ١٠٥ ة ١٠٦ .

— الصغير ١٠٤ .

تائيس ١٢٠ ملحوظة ٢ .

تجاشي بعض العلامات الهيروغليفية

٢٩٦ .

تخنيط ٢٩٢ ة ٣٢٥ - ٣٢٦ ة ٤٥٥

٤٥٩ .

— شعائره ٣٠٠ .

المخطون ٤٥٥ .

تحتوت ١٣ ة ٢٠ ة ٢٦ ة ٢٧ ة

٤٨ ة ٦٤ ة ٦٧ ة ٧٧ ة ٧٨ ة

٨٢ ة ٨٧ ة ٨٨ ة ٨٩ ة ٩٠ ة

٩١ ة ٩٤ ة ٩٥ ة ١٠٤ ة ١٠٥ ة

١٠٦ ة ١١٥ ة ١٥٩ - ١٦٠ ة

١٨٣ ة ٣٨٣ ة ٤٠٠ ة ٤٠٤ ة

٤٥٢ ة اللوحة ٢ ، ٣ انظر

كذلك هرمس .

— أتباعه ٣٨٤ .

— معبده ٣٧٩ .

— والقلب ١٠٦ .

تحتوتس الأول ١٧٤ ة ١٩٤ ة ٢٢٢ .

— الثالث ١٧٤ - ١٧٥ ة ٢٢٠ ة

٣٩٢ .

— تماثله ١٦٣ .

تبيت ٣٧٨ ة ٤٠٢ .

هو الأعمدة ١٨٨ :

هو الحقيقتين ٢٥٧ .

بوسطه ٣٥٦ ة ٣٧٤ ة ٤٧٣ .

بوتو ( إلهة ) ٣٨ ة ٣٩ ة ٥٦ ة

٨٧ ة ٤٣٣ .

— تماثله ١٩٣ .

بوتو ( مدينة ) ٤٠٢ .

— أرواحها ١١٣ .

بوخييس ٤٤ .

بورخارت ١٣٥ ة ١٦٣ .

بوزيريس ٥٠ ة انظر ددو .

بوطو ، انظر بوتو .

بوق الوفرة ٤٣٣ ة ٤٣٦ .

بومبي ٤٧٦ ة ٤٧٧ ة ٤٧٨ .

بويماندر ٣٨٥ ة ٤٥٢ .

بيبي الأول ٢٠٧ .

بيت شيان ٣٨٨ .

بيوت الذهب ١٩٤ ة ٢٢١ .

بيضة الشمس ٧٢ - ٧٣ ة ١٠٨ ة

١٥٣ ملحوظة ٣ ة ٣٨٠ .

التابوت ٢٩٣ ة ٣٠٩ ة ٣١٠ ة ٣٢١ ة

٣٢٢ .

التابوت خارج مصر ٣٨٧ .

التوابيت في العصر المتأخر ٣٢١ - ٣٢٢ .

تاتنن ٢٩ ة ١٠٢ ة ١٠٣ ة ١٠٨ .

- تمثال حاتحور ، انظر حاتحور .  
 - حورس ١٩٣ .  
 - الملك ، انظر تحوتس الثالث .  
 - الميت في المعبد ٣٠١ .  
 - - في مقبرته ٢٩٧ ؛ ٣١١ .  
 تماثيل الآلهة وحمايتها بالسحر ، انظر  
 السحر لحماية الآلهة .  
 - جزية ، انظر أوسيتيات .  
 - الخادومات ٢٩٤ ؛ ٢٩٥ .  
 - على شكل المومياء ، انظر دى .  
 - لأغراض سحرية ٣٤١ ؛ ٣٤٢ .  
 - النساء في المقابر ٢٧٥ ؛ ٢٩٥ ؛  
 . ٣١٧ .  
 تمثيلات أوزيريس ، انظر أوزيريس .  
 تيممة العين ٣١٥ .  
 التأمم ٢٩٥ ؛ ٣١٥ ؛ ٣١٦ - ٣١٧ ؛  
 ٣٢٢ - ٣٢٣ ؛ ٣٤٦ - ٣٤٨ ؛  
 . ٤٥٠ .  
 - قوالها ٣٢٤ .  
 التنجيم ، انظر كشف الطوالع .  
 تهشيم القدور ، انظر القدور .  
 توت عنخ أنون - توت عنخ آمون  
 ١٤٥ ؛ ١٤٦ ؛ ٢٢٣ ؛ اللوحة ٤ .  
 - مقبرته ١٤٧ .  
 - توشراتا ١٧١ .  
 تويرس ٥٦ ؛ ١٠٠ ؛ ١٦٥ ؛ ١٦٦  
 في ١٢٥ .  
 - تيريوس ٤٦٨ .  
 - تيتي سابو ٢١٣ .
- تحوتس الرابع ١٧٠ .  
 تريس ٤٣٧ - ٤٣٨ .  
 تزوير الوثائق ٣٦٦ ؛ ٣٦٧ ؛ ٣٦٨ .  
 التطهر قبل تلاوة الرقى ٣٣٨ .  
 تطهر الكهنة ، انظر الكهنة .  
 التعليق على الكتب المقدسة ١١٦ .  
 تعاليم الأشمونين ، انظر شمون .  
 - دينية ، انظر الفصل السادس :  
 اللاهوت .  
 - طيبة ١٠٨ .  
 - عهد الهرطقة ١٣٨ .  
 - منف ١٠٥ .  
 التعاليم الموجهة إلى مريكارع ، انظر  
 مريكارع .  
 نعاويد ، انظر السحر .  
 تقنوت ٤٠ - ٤١ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٠ ؛  
 ١٠٤ ؛ اللوحة ٣ .  
 التقوى ٣٠٦ .  
 التقويم ٨٠ ملحوظة ١ ؛ ٩٨ ؛ ٤٠٦ .  
 التكهن ، انظر العرافة .  
 تل العمارنة ، تشييدها ١٣٤ .  
 - تخريبها ١٤٧ .  
 - فيها ١٣٥ .  
 - موتاها ومقابرها ١٤٢ ؛ ١٤٣ .  
 تمثال الإله ، انظر الإله .  
 - أوزيريس ٣٢٣ .  
 - ليزيس ١٧٥ ؛ ١٩٣ .  
 - في كولونيا ٤٨٧ .

- تيجان ، انظر تاج .  
 تيس منديس ٥٤ ، ٦٦ ، ٩٠ ، ١١٢ ؛  
 ١١٣ ، ١٧٢ ؛ ٤٠٣ - ٤٠٤ .  
 تيفون ٩٨ ملحوظة ١ ، ٩٩ ، ١٠٠ ؛  
 ٣٧١ ، ٤٧٢ ؛ انظر كذلك ست .  
 تيفون ست ٣٧١ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ .
- حايو سنب ٢٣٠ .  
 حانخور ١٥ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ؛  
 ٥٨ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ؛  
 ٩١ ، ٩٤ ، ١١٤ ، ١٣٣ ؛  
 ١٥٤ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ؛  
 ٢٠١ ، ٢١٢ ، ٣٨٩ ، ٤٠٠ ؛  
 ٤٣٢ - ٤٣٣ ، ٤٣٧ .
- إهة جبيل ٣٨٩ .  
 — تمخالها ١٩٣ .  
 — روحها ١١١ - ١١٢ .  
 — صنوة أوزيريس ٤٥٤ .  
 — معبدها في دندرة ٣٨ ، ١٩٣ .  
 — نشيدها ٤١٥ .  
 الحانخورات السبع ٣٧ ، ١٦٧ .  
 حاتشبسوت ٦٤ ، ٦٥ ، ١٧٤ ، ٢٢٧ .  
 الحج ، أماكنه ٤٤٨ - ٤٤٩ .  
 حديقة الغرب ٣٠٦ .  
 حدائق المعابد ، انظر المعابد .  
 — المقابر ، انظر المقابر .  
 حراختي ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ١٣٠ -  
 ١٣١ ، ١٣٩ - ١٤٠ ؛ انظر كذلك  
 رع حراختي .
- ثروة الإله ، انظر الإله .  
 ثعبان رع ٧٨ ؛ انظر كذلك الصل .  
 الثعابين ٥٥ - ٥٦ .  
 ثور أمه ، انظر كاميفيس .
- جب ١٦ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ؛  
 ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ١٠٤ ، ١١٥ ؛  
 ١٩٧ .  
 — روحه ١١٢ .  
 الجبار ( نجم ) انظر الجوزاء .  
 جبيل ، انظر بيلوس .  
 الجثة ، القاعون برعايتها في العهد المتأخر  
 ٣٢٦ .  
 جزيرة الذهب ٧٤ .  
 جستبان ٣٩٨ .  
 جعل ، انظر خبرى .  
 — القلب ١٤٣ ، ٣١٣ .  
 جماعات دينية ٤٢٤ .  
 جنازة ٣٠٧ ، اللوحة ٨ .  
 الحنك ٢٠١ .

- حورس ٨ - ٩ ؛ ١٠ ؛ ٢٠ ؛ ٢٤ ؛  
 ٣٤ ؛ ٣٥ ؛ ٦٠ ؛ ٦١ ؛ ٨١ ؛  
 ٨٣ ؛ ٨٤ ؛ ٨٧ ؛ ٨٨ ؛ ٩٤ ؛  
 ٩٩ ؛ ١٠٠ ؛ ١٠٦ ؛ ١٢٢ ؛  
 ١٧٨ ؛ ٢٠٣ ؛ ٢٤٦ ؛ ٢٥٧ ؛  
 ٣٧١ ؛ ٤٠٠ ؛ ٤٧٥ .  
 - إله إدفو ؛ ٣٤ ؛ ١١٥ ؛ ٤٤٣ .  
 - آلهة على هيئته ، انظر آلهة حورية .  
 - أولاده ، انظر أولاد حورس .  
 - تمثاله ، انظر تمثال .  
 - خدمه ، انظر خدم حورس .  
 - خنثى ٣٥ .  
 - الطفل ، انظر حربوقراط .  
 - سيدو ٣٥ .  
 - على هيئة مالك ، ٨٩ .  
 - عينه ، انظر عين حورس .  
 - قضيته ضد ست ٨٩ .  
 - الكبير ، انظر حروريس .  
 - لسان أتوم ١٠٦ .  
 - المحارب ٣٥ ؛ ٤٣٦ ؛ ٤٣٧ ؛  
 ٤٣٨ .  
 - معبده في إدفو ، انظر معبد .  
 - الملك ٦١ ، ٦٢ .  
 - يعمى من الحيوانات ، ٣٤٦ ؛  
 ٣٤٧ .  
 - يمتطي فرسا ، ٤٣٨ .  
 - خورمحب ١٤٧ ؛ ١٥٤ .

- حربا خرد ، انظر حربوقراط .  
 حربوقراط ١٠١ ؛ ٣٤٦ ؛ ٤٣٥ ؛  
 ٤٣٦ ؛ ٤٣٧ ؛ ٤٤٥ ؛ ٤٦٣ ؛  
 الملوحة ١٠ .  
 - على هيئة الرجل العجوز ٤٣٦ .  
 - حرث الأرض ١١٤ .  
 - حرسافس ٥٣ .  
 - حرق البخور ١٩٩ .  
 - القربان ١٩٨ ؛ ٣٧٦ ؛ ٤١١ ؛  
 ٤١٧ .  
 - حرماخس ١٦٣ .  
 - حروريس ( حورس الكبير ) ٣٥ ؛  
 ٩٨ .  
 - حريمحور ٢٣١ ؛ ٣٥١ ؛ ٣٥٢ .  
 - حريم أمون ، انظر أمون .  
 - مونتو ، انظر مونتو .  
 - حقت ٦٤ ؛ ٦٥ .  
 - معبدها ٣٨٠ .  
 - حقل الأطمعة ٢٤٣ ؛ ٢٦٠ .  
 - يارو ٢٤ ؛ ٢٤٣ ؛ ٢٤٤ ؛  
 ٢٦٠ ؛ ٢٦٣ .  
 - الحكماء القديس ٣٦٤ ؛ ٣٦٥ ؛  
 ٤٣٩ ، انظر كذلك محوتب .  
 - حمار ست ٤٦ ؛ ٤٥٠ .  
 - حماية اللاجئيين إلى المعبد ٤٠٠ - ٤٠١ .  
 - حلة الناووس ، انظر الكهنة .  
 - خوراخي ، انظر خراخي .  
 - حورسافس ، انظر حرسافس .

- الحيوان ، عبادته ، انظر عبادة .  
 - قصصه ، انظر قصص .  
 الحيوانات المقدسة ٩ ، ١٦٤ ، ١٧١ -  
 ١٧٢ ، ٣٦٠ ، ٣٧١ ، ٤٤٠ .  
 - مقابرها ، انظر مقابر الحيوان .
- الخونسو ٤٨ ، ٥٨ ، ١٦٢ ، ٣٦٧ ، ٤٠٠ ، اللوحة ١ .  
 - معبده ٣٥٢ .  
 - الصغير ٣٦٨ .  
 - هيرقل ٤٠٠ .
- خنوم ١٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ١٠٥ ، ١٥٥ ، ١٨٥ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ .  
 - في هيئة صقر ٣٦٣ .  
 خنوم رع ٦٠ ، ١١٩ .  
 خنوم حتب ٣٠٣ .  
 خوفو ٦٢ - ٦٣ ، ٢٧٩ .  
 خيان ١٢٠ .  
 خييط ذو عقد ٣٤٧ .
- الداخلة ، انظر الواحة الداخلة .  
 دار الحياة ١٥٦ ، ٣٤٤ ، ٣٧٠ .  
 داريوس ٣٧٠ .  
 دد ، رمز أوزيريس ٥١ ، ٢٠٥ ، ٣١٥ .  
 ددو (بوزيريس) ٥٠ ، ٥١ .  
 ددون ٣٩١ - ٣٩٢ .  
 دعوة القريان ٢٨٧ ، ٢٨٨ .  
 دمي على شكل المومياء ٣٠٩ .  
 دميتير (إيزيس) ٣٧١ ، ٤٨٣ .  
 دنلدرة ٣٨ ، ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ .  
 لوحة ٢٩ ، انظر كذلك معبد دنلدرة  
 دهاليز سرية ٤١٢ .  
 دوات (عالم الموتى) ٢٣٨ .

- الخارجة ، انظر الواحة الخارجة .  
 خباش ٤٠٢ .  
 خبري (إله) ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٩٢ ، ٢٦٦ ، انظر كذلك رع خبري  
 الخلتان ٣٧٦ ، ٤٤٤ .  
 خدم الإله ، انظر الكهنة .  
 - حورس ٦١ ، ١١٥ ، ٢٦٠ .  
 خرحب ، انظر كاهن .  
 « الخروج بالنهار » ٢٥٤ .  
 « الخروج على الصوت » ٢٧٧ ، ٢٨٨ .  
 الخشخاش ٤٣٤ .  
 خع ام واست ١٧٣ .  
 خعمواس ٤٥٢ .  
 خفايا أوزيريس ، انظر أوزيريس .  
 خضرع ١٦٣ ، ٢٧٩ .  
 خلق العالم ٧٢ .  
 - الكائنات من الآلهة ١١٠ .  
 الخلق باللفظ ٧٧ ، ١١٤ .  
 خمس ٨٧ .  
 الخنازير ٣٧٦ .  
 خنتشاي ، انظر حورس خنتشاي .

رع ، اندماج الآلهة به ٦٠ : ١١٨ ؛  
١١٩ .

— ثعبانه ، انظر ثعبان .

— روجه ٣٣ : ١١٢ .

— أرواحه ١١٢ .

— أقرانه ( كاواته ) ١١٢ .

— يجب الملك ٦٢ - ٦٣ .

رع حراختي ٨٩ ؛ ٩١ ؛ ٩٢ ؛ ٩٣ ؛

٩٤ ؛ ١٥٥ ؛ ١٥٦ ؛ انظر

حراختي .

رع خبري ١٢٢ ؛ انظر خبري .

رقية أبرفيس ٣٤٥ .

رقي ، انظر السحر .

رسميس الثاني ١٥٥ ؛ ١٧٥ ؛ ٢١٩ ؛

٣٦٧ ؛ اللوحة ٢ .

— مدينته ١٥٦ .

— الثالث ١٧٥ ؛ ٢١٧ ؛ ٢٢٠ ؛

٢٢١ ؛ ٢٢٢ ؛ ٣٨٨ ، اللوحة ١ .

— الرابع ١٥٥ ؛ ٢٠٥ .

رنوتت ٥٦ .

الروح ١٤٢ ؛ ٢٣٧ ؛ انظر با ، كا .

— تنقلها ٣٢٧ .

روح أوزيريس ، انظر أوزيريس .

— حاحخور ، انظر حاحخور .

— الإله في الحيوان ١١٢ .

الروح المتحدة ( المزدوجة ) ١١٣ ؛

١١٩ ؛ ١٥٦ .

أرواح الآلهة ١١١ ؛ ١٩٢ .

دومتيان ٤٦٩ ؛ ٤٧٦ - ٤٧٧ .

الدبانة الرسمية ١٥٤ - ١٥٥ ؛ ١٥٨ .

الدير البحري ٢١٩ ؛ ٣٠٩ ؛

اللوحة ٧ .

دير المدينة ٣٦٥ .

ديودور ٣٧٠ .

ديونيسوس ( أوزيريس ) ٣٧١ ؛

٤٣٧ .

الدهول ٢٠٠ ؛ ٣٧٤ ؛ ٤٤١ ؛ انظر

كذلك الوجد الديني .

الراعي الصالح ٤١٣ ؛ ٤٥٩ .

رثاء ثعبان ٤٤٠ ، انظر مرثي .

رسائل للموتى ٢٧١ - ٢٧٣ .

رشف ١٦٢ ؛ ١٦٨ ؛ ٣٨٨ .

رع ١٨ ؛ ١٩ ؛ ٢١ ؛ ٢٢ ؛ ٢٥ ؛

٣١ ؛ ٦٠ ؛ ٦٢ - ٦٣ ؛ ٧٥ ؛

٧٦ ؛ ٧٧ ؛ ٧٨ ؛ ٨٧ ؛ ٩٠ ؛ ٩١ ؛

٩٢ ؛ ٩٦ ؛ ١١٤ ؛ ١١٥ ؛ ١٢١ ؛

١٢٢ ؛ ٣٠٦ ؛ ٣٣٦ - ٣٣٧ ؛

٣٤٣ ؛ ٤٣٤ ؛ انظر كذلك حراختي ؛

الشمس .

— ابنته ٦٩ ؛ ٧٩ .

— ابنه الأجنبيتان ٩٠ .

— اسمه المكنون ٣٣٥ - ٣٣٧ .

- سبا ٥٦ .  
 ساوت ٤٥٠ .  
 سبلو ٣٥ .  
 سبك ٥٤ ٥٥ ٥٨ ٦٣ ٨٤ ؛  
 ١٠٣ ملحوظة ٢ ؛ ١١٢ ؛ ٤٣٩ ؛  
 ٤٤١ ؛ ٤٤٣ ؛ انظر كذلك سكنوبايو .  
 سوخوس .  
 سبك رع ٦٠ ؛ ١١٩ .  
 ست ٨ ؛ ٢٦ ؛ ٣٤ ؛ ٤٥ ؛ ٤٦ ؛  
 ٤٧ ؛ ٦٠ - ٦١ ؛ ٧١ ؛ ٧٢ ؛  
 ٨٢ ؛ ٨٤ ؛ ٨٥ ؛ ٨٦ ؛ ٨٧ ؛ ٨٨ ؛  
 ٨٩ ؛ ٩١ ؛ ٩٢ ؛ ٩٨ ؛ ١١٤ ؛  
 ١١٦ ؛ ١٢٢ ؛ ١٥٦ ؛ ١٧٠ ؛  
 ١٩٨ ؛ ٣٧١ ؛ ٣٩٠ ؛ ٤٥٠ ؛  
 ٤٧٢ ؛ انظر كذلك سوتخ .  
 ست إله الصحراء ٩٦ ملحوظة ١ .  
 - حامي الملك ٦٠ .  
 - حيوانه انظر حمار ست .  
 - في السحر ٤٤٩ - ٤٥٠ .  
 - في هيئة خنزير ٣٧٦ .  
 - هجره وثبذه ٣٥٥ .  
 ست سوتخ في الواحات ٣٩٠ .  
 السحب ٢١ .  
 السحر ، نشأته ٣٢٩ .  
 - أخراضه ٣٤٤ - ٣٤٥ ؛ ٤٥١ .  
 - تعاويذه ٣٣٠ - ٣٣١ .  
 - قوته ( حكا ) ٣٤٧ - ٣٤٨ .

- أرواح آلهة المدينة ١١٣ .  
 - بوتو ، انظر بوتو .  
 - رع ، انظر رع .  
 - الملك ١١٣ .  
 - هليوبوليس ، انظر هليوبوليس .  
 روددت ٦٣ .  
 روستاو ٣٠ ؛ ٢٦٣ .  
 روم ( روى ) ٢٣١ .  
 روما ٤٦٦ ؛ ٤٦٨ ؛ ٤٧٨ ؛ ٤٨٤ .  
 روما ( إلهة ) ٤٣٩ .  
 ريا ٤٦١ .  
 زخرقة المعابد انظر المعابد .  
 زهرة اللوتس ٧٣ .  
 زوجة الإله ٢٢٦ ؛ ٣٥٦ ؛ ٣٩٤ ؛  
 ٤٤٢ .  
 زوسر ٢٧٨ ؛ ٣٦٧ ؛ ٣٩٦ - ٣٩٧ .  
 زيوس ٣٧١ ؛ ٤٠٠ ؛ ٤٣٧ ؛ ٤٦١ .  
 زيوس سيرابيس ٤٢٧ .  
 ساتس ٤٢ .  
 ساحورع ٦٣ ؛ ٢٨٩ .  
 - معبده الجنزى ١٦٣ .  
 ساريات الأعلام ٢١٩ .  
 سايس ( صا الحجر ) ٣٩ ؛ ٥٤ -  
 ٥٥ ؛ ٩٥ ؛ ٣٦٩ ؛ ٣٧٠ ؛  
 ٣٧٣ ؛ ٣٧٤ .



- سشات • ٦٨ ؛ ١٨٧ ؛ اللوحة ٢ .  
 سفينة الشمس • ١٦ ، • ١٩ ؛  
 • ٢٠ ؛ ٢١ - ٢٢ ؛ • ٧٣ ؛  
 . ٣٣٣  
 سفن الآلهة ٢٠٣ .  
 سفن وقوارب للموتى ٢٦٥ ؛ ٢٧٥ .  
 سكر ، انظر سوكارييس .  
 سكونيايو ٤٤٣ ؛ ٤٤٨ .  
 سلفت ٤٢ ؛ ٥٥ - ٥٦ .  
 سلم السماء ، انظر السماء .  
 - في المقبرة ٣٢٤ .  
 سم ، انظر كاهن .  
 السماء ، إليها انظر نوت .  
 - على هيئة امرأة • ١٦ . ١٩ .  
 - على هيئة بقرة ١٥ ؛ • ١٦ ؛ ١٩ ؛  
 . ٧٦  
 - مجرى ماء ١٧ .  
 - فوق أربعة جبال أو أعمدة ١٧ .  
 - رحلة الميت إليها ، انظر الميت .  
 - سالمها ٢٤٨ .  
 - نوتها ٢٤٥ .  
 - السفلى ١٩ .  
 السمك ، تحريم أكله ٢١٤ ؛ ٣٧٧ ؛  
 . ٣٩٤  
 سمك مقدس ١٧٣ ؛ ٤٤٠ .  
 سمندس ٣٥١ .  
 السمندل ، انظر فونقس .  
 سنموت ، مقبرته ٣٠٩ .

- السحر ، كتبه ، انظر كتب .  
 - بعض أشكاله السحرية • ٣٣٨ ؛  
 • ٣٣٩ .  
 - ضد الثعابين ٢٥٢ ؛ ٢٩٦ ؛ ٣٣٠ ؛  
 . ٣٣١ ؛ ٣٤٥ .  
 - ضد العقرب ٣٣٢ - ٣٣٣ .  
 - ضد الوحوش ٣٣٤ ؛ ٣٣٨ ؛ ٣٣٩ .  
 - لاتقاء التماسيح ٣٣٢ .  
 - لحماية الآلهة وتمثيلها ٣٤٣ .  
 - لحماية الملك ٣٤١ - ٣٤٣ .  
 - لحماية الميت ٢٥٢ ؛ ٣٤٣ .  
 - لمحاربة الأمراض ٣٤٠ .  
 - لمساعدة الأمهات ٣٤٥ .  
 - لتيسير الولادة ٣٤٠ ؛ ٣٤٤ -  
 . ٣٤٥  
 - استخدامه للأذى ٤٤٩ .  
 - ألفاظه الأجنبية ٣٣٨ ؛ ٤٤٩ -  
 . ٤٥٠  
 - في المسيحية ٤٦٣ .  
 - نضمت ٣٠ - ٣١ ؛ • ٤١ ؛ ٥٨ -  
 ؛ ٥٩ ؛ ٦٩ ؛ ٧٩ ؛ ١١٤ ؛ ١٦٣ ؛  
 ؛ ١٦٤ ؛ ١٦٨ ؛ ١٩١ ؛ ٢٠٩ ؛  
 . ٢٩٠  
 - نضمت ساحورع ١٦٣ .  
 - سراج ١٩١ .  
 - سرداب ٢٩٧ .  
 - سستروم ، انظر « شخيلية » .

- السنونو ١٧٣ .  
 سوتوخ ١٢٠ ؛ ١٥٦ ؛ \* ١٦٨ ؛  
 ٣٥٤ ؛ انظر ست .  
 سرتس ، انظر نجم الكلب .  
 سوخوس ، تمساحه المقدس ٤٤١ ؛  
 انظر سبك .  
 سوخوس ، أوزيريس ٤٢٩ .  
 سوخوس سبك ، انظر سبك .  
 سوكاريس \* ٣٠ ؛ ٥٠ ؛ ٥٩ ؛ ٢٦٤ .  
 - اسم لبثاح ٥٩ .  
 سي أوسرع ٤٥٢ ؛ ٤٥٣ .  
 سبي الأول ٣٥٥ .  
 - الثاني ٢١٧ .  
 سيرابيس ( أوزيريس أبيس ) ٤٢٦ ؛  
 ٤٢٧ ؛ ٤٣٢ ؛ ٤٤٧ ؛ ٤٤٩ ؛  
 ٤٦٦ ؛ ٤٦٧ ؛ ٤٦٨ ؛ ٤٦٩ ؛  
 ٤٧٧ ؛ ٤٨٦ - ٤٨٧ .  
 سيرابيس في أوروبا ٤٦٥ .  
 - في الهند ٤٦٥ ملحوظة ١ .  
 سيرابيوم الإسكندرية ٤٢٧ ؛ ٤٦١ .  
 ٤٦٢ .  
 - منف ٤٢٧ - ٤٢٨ ؛ ٤٤٩ .  
 سيوه ٣٩٠ ؛ ٣٩١ .  
 شايابكو ١٠٥ ؛ ٣٦٢ .  
 شاهد المقبرة ٢٩٨ ؛ \* ٢٩٩ .  
 - مقبرة امرأة سورية \* ٣٢٨ .  
 شب ان أوبت ٣٥٧ .  
 شباكا ، انظر شاباكو .
- شيخ الميت ، انظر الميت .  
 شجرة البرساء ١٦٣ .  
 - مقدسة ١٦٣ .  
 - الجميز ٣٧ - ٣٨ ؛ ١٧٤ .  
 - - في منف ١٧٤ .  
 - - في السماء ٢٤٣ .  
 « شخيلة » \* ٢٠١ ؛ ٤٣٤ ؛ ٤٧٢ .  
 الشعري ايمانية ٢٧ ؛ ٢٨ ؛ ٤٣٤ .  
 الشمس ٥ - ٦ ؛ ١٧ ؛ ١٩ ؛ ٢٠ ؛  
 ٢١ ؛ ٢٢ - ٢٣ ؛ ٤٢ - ٤٣ ؛  
 ٦٠ ؛ ٧٠ ؛ ١١٨ ؛ ١٢٦ ؛ ١٢٧ ؛  
 ١٧٧ ؛ انظر رع .  
 - كاله ، انظر إله الشمس .  
 - البيضة التي نشأت منها ، انظر بيضة .  
 - رؤيتها ١٩٧ ؛ ٤١٣ .  
 - سفينتها ، انظر سفينتا الشمس .  
 - عينها ، انظر عين الشمس .  
 - معبدها ، انظر معبد .  
 - مقرها ٢٤ .  
 - على هيئة لوزة ٧٣ .  
 - - جعل ١٩ .  
 - - رجل كهل ١٩ .  
 - - صقر ٢٠ .  
 - - طفل ١٩ .  
 - - عجل ١٩ .  
 - - الخنجة \* ٣٤ ؛ ٣٥ ؛ ١١٤ .  
 - في العالم السفلي ١١٣ ؛ ٤٨٢ .

- شعون ( هر موبوليس ) ٤٧ ة ٧٢ ة  
٧٤ ة ١٠٨ ة ١٠٩ .  
- تعاليمها ١٠٨ .  
- معيدها ٣٧٩ .  
شنودة ٤٦٢ .  
شو \* ١٦ ة ٤٠ ة ٥٩ ة ٧٣ ة  
٧٤ ة ٧٥ ة ٧٦ ة ٧٨ ة ٨٤ ة  
١٠٤ ة ١٣١ ة ٣٤٦ .  
- روحه ١١٢ ة ١١٣ .  
شو أنوريس ٨٩ ة ٩٠ .  
شيشنق ٣٥٦ .  
صا الحجر ، انظر سايس .  
الصائحة الكبيرة ٧٣ ة ١٧٢ .  
الصامت ١٦٠ .  
صبيّ الساحر ٤٥٢ .  
صخرة أيوب ٣٨٨ .  
صمدريات المومياوات \* ٣١٥ .  
الصرح ١٨٨ \* ١٩٠ .  
الصقر ٧ ة ١٢ ة ٢٠ ة ٣٧٢ ة  
٣٧٣ ة انظر حورس .  
صقلية ٤٨٣ .  
الصل ٢١ ة ٢٤ - ٢٥ ة ٦٦ .  
الصناعات في المعابد ٤٤٣ .  
صولجان الآلهة ٢٩ - ٣٠ ة ٩٢ ة ١٨٦ .  
صيدا ٤٨٤ .
- الضمير ١٨٢ ة ٢٦١ .  
طريق الإله ١٨٨ .  
الطعام المحرّم ٢١٤ : ٣٧٦ ة ٣٧٧ .  
طعام الميت \* ٢٧٦ : ٢٧٧ ة ٢٨٥ :  
٣٠٧ ، ٣٨٧ .  
طقس تقديم القربان ٣٠١ .  
- فتح القم والعيتين ٣٠١ .  
طقوس الدفن ٣٠٠ .  
- العبادة اليومية ١٩٤ .  
الطهارة ، انظر التطهر .  
طوائف الكهنة ، انظر الكهنة .  
طيبة ٤٢ ة ١٠٨ : ١٥٦ - ١٥٧ :  
٣٩٤ .  
- آلهتها ، انظر أمون ، موت ،  
خنسو .  
- تعاليمها . انظر تعاليم .  
- مدينة مقدسة ١٥٦ - ١٥٧ .  
ظلّ الإنسان ٢٦٢ .  
العالم السفلى ١٨ : ١٩ : ٢١ : ٢٢ ة  
٣٠ : ٤٥٢ ، انظر الموتى ، عالمهم .

- العبادة ، عناصرها الأولى ١٠ - ١١ ؛  
 انظر كذلك الفصلين ١٢ و ١٣ .  
 - الطقوس اليومية ، انظر طقوس .  
 عبادة الحيوان ٦ ؛ ٩ ؛ ١٧٢ ؛ ٤٤٠ .  
 العذراء ٤٣٤ .  
 العرافة ١٧٤ ، ١٧٥ ؛ ٣٥٣ ؛ ٣٧٦ ؛  
 ٤٤٨ ؛ ٤٤١ .  
 العرافون ٤٤٥ ؛ ٤٧٩ .  
 عرق الإله ١١١ ؛ ١٩٧ .  
 عشتار ١٧١ .  
 عشتارتي ٩٠ ؛ ٩٩ ملحوظة ١ ؛ ١١٥ ؛  
 ١٦٨ ؛ ١٦٩ ؛ ١٧٠ ؛ ١٧١ ؛  
 ٤٨٤ .  
 العظاءة ١٦٤ .  
 العقائد الجوزية ، انظر الفصل ١٤ .  
 - في العهد الإغريقي ٤٥٢ .  
 عقاب المذنب ٢٥٩ ؛ ٤٥٣ .  
 العُقد في السحر ، انظر خيط ذو عقد .  
 العقرب ، انظر سلقنت .  
 العمارة ، انظر تل العمارة .  
 عنات ٩٠ ؛ ١٦٩ ؛ ١٧٠ ؛ ١٧١ ؛  
 ٣٨٨ .  
 عنخ ليري ٢٧١ .  
 العنقاء ، انظر فوتقس .  
 العواصف ٦ .  
 عبد آيلوس ٢٠٤ ؛ ٢٠٥ .  
 - إدفو ٤١٦ .  
 - أوبت ٢٢٣ - ٢٢٥ .
- عيد الحب سد ٣٠ ؛ ٣٣ ؛ ٢٠٧ - ٢٠٨ .  
 - رأس السنة ٤١٣ .  
 الأعياد ، مواكبها ٢٠٣ ؛ ٤١٠ .  
 أعياد الآلهة ٢٠١ ؛ ٤١٣ .  
 - أوزيريس ٣٧٣ ؛ ٤١٩ .  
 - ليزيس في أوروبا ٤٧٩ .  
 الأعياد كما شاهدها هيرودوت ٣٧٣ .  
 عين حورس ٢٤ ؛ ٢٥ ؛ ٢٦ ؛ ٤٤٥ ؛  
 ٤٧ - ٤٨ ؛ ٨١ ؛ ٨٣ ؛ ٨٧ ؛  
 ٩٤ ؛ ١٩٥ ؛ ١٩٦ ؛ ١٩٧ ؛ ٢٠٥ ؛  
 ٣٠١ ؛ ٣١٦ ب .  
 - في الطقوس ١٩٧ .  
 العين السليمة ٢٦ .  
 - الشريرة ، انظر النظرة الشريرة .  
 - على التابوت ٢٩٣ .  
 - كتميمة ، انظر تميمة .  
 عين الشمس ٢٤ ؛ ٢٥ ؛ ٣٦ ؛ ٧٥ ؛  
 ٧٧ ؛ ٧٨ ؛ ١٦٩ .  
 - حاتحور ٢٥ .  
 العينان اختلاطهما بالثعابين والتيجان .  
 ٢٤ - ٢٥ ، انظر عين الشمس ،  
 عين حورس .  
 الغرب ، مقرّ الموتي ٢١ - ٢٢ ؛ انظر  
 الموتي ، عالمهم .  
 فأر فرعون ، انظر النمس .  
 فتح الصم ، انظر طقس .

- فلسطين ٣٨٨ .  
فونقس ٣٢ ، ٣٣ ، ١١٢ ، ١٩٦ ؛  
. ٣٧١ ، ٢٥٤ .  
فيلة ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠٣ ، ٤٤٩ .  
فينيقيا ٣٨٨ .  
القيوم ٥٥ .  
القارب أوسرحات ، أنظر أوسرحات .  
قارب به ناووس \* ٢٠٢ .  
قبرص ٤٨٣ .  
قبور ، انظر مقابر .  
قدس الأقداس ١٨٨ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ؛  
. ٤١١ .  
قدش ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ .  
القدور ، تمثيمها ٣٤١ .  
قدور الأحشاء ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٤ .  
القربان ، حرقه ، انظر حرق القربان .  
— دعوته ، انظر دعوة القربان .  
القربين وأسمائها ١٩٧ .  
— شعائرها ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٣٠١ .  
— وإطعام كبار الموظفين ٢٠٤ ، ٢٢٣ .  
— الانتفاع بها ٢١٤ - ٢١٥ ، ٢١٦ .  
— للآلهة ١١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .  
— للموتى ، انظر الموتى .  
— من الحيوان ، انظر الأضاحى .  
القرود ( تحوت ) ٤٨ ، اللوحة ٣ .
- القرودة وشروق الشمس ٢٢ ، ٢٣ ؛  
. ١٣١ .  
القرين ، انظر كا .  
قصة هلاك البشر ٧٥ .  
قصص الحيوان ٧٩ .  
قضاة أوزيريس ٢٥٧ ، ٢٥٩ .  
القطط ١٤ ، ٣٧٢ .  
— توأبيتها ١٧٣ ، ٣٧٣ .  
— مومباواتها ٣٧٢ .  
قنط ٤٢ .  
القلب كناية عن الضمير ١٨٢ .  
— واللسان ١٠٦ ، ١٠٧ .  
قممير ٣٦٩ .  
القمر ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٧ ؛  
٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ؛  
٥٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٣ .  
— الدعاء له بالنصر ٤٦١ .  
قمة الجبل ١٦٠ ، ١٦٥ .  
كا ( القرين ) ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ ؛  
. ٢٣٥ ، ٢٣٦ .  
كاوات رع ١١٢ .  
— الملك ١١٣ .  
الكاب ( تحب ) ٨٠ .  
الكاريون ٣٧٤ .  
كاكاى ٦٣ .  
كاليجولا ٤٦٩ .  
كاميفيس ١٩ ، ٤٤ .

- الكهنة حملة الناوروس وتمثال الإله .  
 ٤٤٥ ، ٤٦٠ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣ .  
 — خديم الإله ١٨٧ ، ٢١٠ ، ٢٢٦ .  
 — العرافون ٤٧٩ .  
 — القائمون على المظاهر الخارجية للعبادة  
 ٤٤٥ ، ٤٧٩ .  
 — الحكماء ٤٤١ - ٤٤٢ .  
 — في العهد الإغريقي ٤٤٢ .  
 — كهنة النوبة ( موثقتون ) ٢١١ .  
 — ربا ٤٦١ .  
 — طيبة ٤٤٢ .  
 — الميت ٢٨٥ - ٢٨٦ .  
 — كب ، انظر جب .  
 — كيش أمون ١٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٩٤ .  
 — منديس ، انظر تيس منديس .  
 — كتاب الأبواب ٢٦٨ .  
 — الأحلام ٣٤٨ .  
 — السبيلين ٢٦٣ .  
 — من في العالم السفلى ، انظر إمدوات .  
 — الموتى ٢٣٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ،  
 ٣١٨ .  
 — الفصل السابع عشر ١١٦ .  
 — — الخامس والعشرين بعد المائة  
 ٢٥٧ .  
 — كتب السحر ٣٤١ ، ٣٤٤ .  
 — هرمس ٤٥٢ .  
 — كتابات المعابد الإغريقية ٤٠٩ .  
 — كدش ، انظر قدش .  
 — الكرنك ، انظر معبد .
- كاتوب ٤٠٥ .  
 — كانهب ، قصر هادريان ، انظر هادريان .  
 — الكاهن الأعلى ٢١٢ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ .  
 — — حليته ٢١٣ .  
 — — لأمون ، انظر أمون رع .  
 — — ، تيسا للكهنة ٢٢٩ .  
 — — للإسكندرية ٤٤٤ .  
 — — خرطب ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٦ ،  
 ٣٠٠ ، ٣٢٩ ، ٣٤٣ - ٣٤٤ .  
 — — كساحر ٣٤٣ .  
 — — سم ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ .  
 — — وعب ٢١٠ ، ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ٣٧٥ .  
 — — كاهن ماعت ٦٩ .  
 — — الكاهنات ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢٢٦ ،  
 ٢٢٧ .  
 — — كاهنات طيبة ٤٤٢ ، انظر زوجة الإله .  
 — — الكهنة ١٢ ، ٢٠٩ ، ٣٧٧ ، ٤٠٧ ،  
 ٤٤٢ ، ٤٧٩ .  
 — — تكريسهم ٢١١ - ٢١٢ .  
 — — حياتهم ٢٢٧ .  
 — — طهارتهم ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،  
 ٣٧٧ .  
 — — مرتباتهم ٢١٥ ، ٤٤٦ .  
 — — طوائفهم ٢١١ ملحوظة ٢ .  
 — — ٤٠٦ ، ٤٤٥ - ٤٤٦ .  
 — — عددهم ٤٤٥ .  
 — — لباسهم ٢٢٥ ، ٣٧٧ ، ٤٤٤ .  
 — — معارفهم ٢١٢ ، ٤٤٦ .  
 — — كموظفي حكومة ٤٠١ .

لوسيان عن الآلهة المصرية ٤٧٠ - ٤٧١ ..  
 لوكيوس ٤٨١ - ٤٨٣ .  
 اللون الأحمر ٤٧ .  
 ليتوبوليس ٣٥ .  
 ليونوبوليس ٤١ .

ماعت ٦٨ ، ٦٩ ، ١٠٤ ، ١١٥ .  
 ١٧٧ .

مافدت ٥٦ .

مالسسين ٤٧٦ .

ماتنو ٤٢٥ .

مانون ( جبل ) ١٢٤ .

متراس ٤٦٧ ، ٤٨٧ - ٤٨٨ .

متن ٢٨٣ .

متون الأهرام ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ؛

٢٨١ ، ٣١٩ .

— التوابيت ٢٣٣ ، ٢٥١ .

محكمة الموتى ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ؛

٤٥٣ .

الخنطون ٤٥٥ .

محيث ٤٠ .

المحيط ١٧ .

مدامود ٤٤ ، ٢٠٣ .

مدرسة ، انظر دار الحياة .

مدينة حابو ٢١٩ .

— — المعبد الصغير ١٠٣ ، ١٠٩ ..

مذبح ١٣٦ ، ١٩١ .

الكرة ( لعبة ) ٢٠١ .

كرونوس ٤٦١ ، ٤٧٣ .

كبريت ٣٨٦ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ .

كشوف الطوالع ٣٤٨ ، ٣٧٦ ، ٤٥٠ -

٤٥١ .

الكفن وعليه صورة الميت ٤٥٦ .

الكلب ٥٢ .

الكلمة ١٠٦ - ١٠٧ .

كليمنت الإسكندري ٤٦٠ ، ٤٦١ .

كم آنف ١٠٩ .

كنداكي ٣٩٦ .

الكهنة ، انظر كاهن .

الكواخيتيون ، مانحو الماء ٣٢٦ ؛

٤٥٥ .

كوتوس ٤٦٢ .

الكيمياء القديمة ٣٤٨ ، ٤٥١ .

لابيرنت ٤٣٨ .

لامارس ( امنمحات الثالث ) ٤٣٨ .

لبسيوس ١٤٩ .

لحية الآلهة ١٩٣ .

اللسان ١٠٦ ، ١٠٧ .

لعبة الكرة ، انظر الكرة .

اللواط ٩٥ ملحوظة ١ .

لوحة الرأس ٣٢٣ .

لوسيان ٤٤٨ .

— ٤٥١ .

- المعبد ، حدائقه ٢٢٢ .  
 - حماية اللاجئتين إليه ٤٠٠ ؛ ٤٠١ .  
 - زخرفته ١٩٠ ؛ ١٩٢ ؛ ٢١٩ -  
 . ٢٢٠ ؛ ٤٠٧ - ٤٠٩ .  
 - منتجات مصانعه ٤٤٣ .  
 - معبد إدفو ٤٠٣ ؛ ٤٤٣ .  
 - الأشمونين ، انظر شمون .  
 - الأقصر ٢١٨ .  
 - تبتيس ٤٤٥ .  
 - دنلدرة ٤١٠ ؛ اللوحة ٩ .  
 - سكنوبايو ٤٤٨ .  
 - سيرابيس في الإسكندرية ٤٦١ ؛ ٤٦٢ .  
 - الشمس في هليوبوليس ٣١ .  
 - في الأسرة الخامسة ١١٨ .  
 - في عهد امنحوتب الثالث ١٢٦ .  
 - في تل العمارنة ١٣٥ ؛ ١٣٦ .  
 - الكرنك ٢١٧ - ٢١٨ ؛ لوحة ٦ .  
 - مين ، انظر مين .  
 - اليهود في إيفاننتين ٣٧٠ .  
 - المعابد الصخرية ٣٩٣ .  
 - الجنزية في الأسرة الخامسة ١٦٣  
 . ٢٧٨ - ٢٧٩ ؛ ٢٨٠ .  
 - في الدولة الحديثة ٣٠٤ .  
 - المقبرة ، انظر مصطبة .  
 - شاهدها ، انظر شاهد .  
 - المقابر فيما قبل التاريخ ٢٣٢ ؛ ٢٧٤ .  
 - في الدولة القديمة ٢٨١ .
- المراثى ٨٦ ؛ ٣٠٧ ؛ انظر رثاء .  
 - مراثى إيزيس ونفتيس ٨٦ ؛ ٣١٩ .  
 - مرروكا ٢٨٤ ؛ ٢٨٦ .  
 - مرسوم كانوب ٤٠٥ - ٤٠٦ .  
 - مراسيم من أجل الملك ٤٠٥ .  
 - مروى ٣٩٤ ؛ ٣٩٦ .  
 - مريت سحر ١٦٥ .  
 - ميركارع ، التعاليم الموجهة إليه ،  
 . ١٨٠ ؛ ٢٥٥ .  
 - المستبقون ٤٣١ .  
 - مسخنت ٦٣ ؛ ٦٥ ؛ ٣٤٥ ؛ ٣٦٣ .  
 - مسلة ١٩١ ؛ ٣٩٩ .  
 - بنشيو ٤٧٠ .  
 - مسند الرأس ١٦٧ ؛ ٢٩٣ .  
 - المسيح ٤٦٤ .  
 - المسيحية ، انصارها ٤٦٢ .  
 - آثارها الأولى ٤٥٩ .  
 - المصريون ، طبيعتهم ٥ ؛ ١١ .  
 - عقيدتهم الشائعة ٧ ؛ ١٣ .  
 - المصطبة ٢٨٢ .  
 - المطر ١٧ .  
 - المعبد ٩ .  
 - في الأزمنة الأولى ١٨٦ ؛ ١٨٧ .  
 - تخطيطه في الدولة الحديثة ١٨٧ ؛  
 . ١٨٨ .  
 - في العهد الإغريقي ٤١٠ .  
 - إضاءته ، انظر إضاءة .  
 - ثروته ، انظر الإله ، ثروته .



- الملك ، وفاته ٦٦ .  
 الملوك ، تيجانهم ، انظر تيجان .  
 - مقابرهم ، انظر مقابر .  
 - موميائاتهم ، انظر موميائات .  
 المجدون ٤٨٩ ؛ انظر كذلك الأبرار .  
 مملكة أمون ، انظر أمون رع في النوبة .  
 - الموتى ؛ انظر الموتى . عالمهم .  
 مملكتنا الشمال والجنوب ٨ - ٦٠ .  
 ممنون . تمثاله ٤٤٠ : ٤٥١ .  
 مندولس ٣٩٧ .  
 منديس ٥٤ : ٤٠٣ - ٤٠٥ .  
 منديس : انظر نصب منديس .  
 منف ٢٩ : ١٠٥ - ١٠٨ .  
 - تعاليمها ، انظر تعاليم .  
 - وحى إيموتس فيها ٤٤٨ .  
 منكاورع ٣٨٩ : ٤٤٧ .  
 منيفس ٣٢ : ٥٦ : ١٣١ .  
 ١٧٢ : ٤٢٨ .  
 موت ٣٨ : ٥٨ : ٨٠ : ١٣٢ .  
 ١٤٦ : اللوحة ١ .  
 الموتى ، انظر الميت .  
 موسى ٤٥٠ .  
 موسيقى ٢٠١ : ٤١٥ .  
 موميائات ٢٩٣ : ٣١٠ : ٣٢٥ .  
 ٤٥٦ : ٤٥٧ : ٤٥٨ .  
 - بطاقتها ٤٥٩ .  
 - صدرياتها ، انظر صدريات .  
 - الملوك ٢٩٢ : ٣٥٥ .

- المقابر في الدولة الوسطى ٢٩٨ .  
 - - الحديثة ٣٠٣ .  
 - في العصر المتأخر ٣٢٠ .  
 - زخارفها ٢٨٤ ؛ ٣٠٦ : ٣٢٠ .  
 - حدائقها ٣٠٥ : ٤٢١ .  
 - إتلافها ٢٩٠ : ٢٩١ .  
 - نهبا ٢٩٠ - ٢٩١ .  
 - العامة ٣٠٨ : ٤٥٥ - ٤٥٦ .  
 مقابر الفقراء ٣٠٨ : ٣٢٥ .  
 - الملوك ٢٧٧ : ٢٧٨ : ٣٠٣ .  
 - إتروسكية ٣٨٧ .  
 - الحيوان ٣٧٢ - ٣٧٣ .  
 المقاطعات وآلاتها ٨ .  
 مكاربوس ٤٦٢ .  
 ملاح السماء ، انظر نوتى .  
 الملك ، روحه ، انظر روح .  
 - أرواحه ، انظر روح .  
 - كاواته ، انظر كاوات .  
 - كإله ١٤١ : ٢٠٤ .  
 - اتخاذ شخصية حورس ، انظر  
 حورس الملك .  
 - ابن رع ٦٢ .  
 - والسحر ، انظر السحر لحماية الملك .  
 - ككاهن ٢٠٩ .  
 - يبنى المعبد ويهديه ٢٠٨ .  
 - يُعبد كإله ٣٩٢ : ٤٠١ .  
 - يعنى بالموتى ٢٨٧ .  
 - ينسجه الإله ٦٢ - ٦٤ : ٦٦ .

- الموتى في بلاد النوبة ٣٩٦ .  
 ميتر ٤٣٩ .  
 مين ٤٢ : ٤٣ : ٤٤ : ١١٦ :  
 ١٢١ : ١٢٢ : ٣٧١ : ٤٣٦ .  
 - معبد ٤٣ : ٤٤ .  
 ناستن ٣٩٤ .  
 ناوس = ١٩٤ : ١٩٥ : ٢٠٣ .  
 ناوس على هيئة قارب = ٢٠٢ .  
 نبرع ١٦١ : اللوحة ٥ .  
 نباتا ٣٩٢ : ٣٩٤ .  
 نجم الصباح ٢٦ : ٢٧ .  
 نجم الكلب ( سوتس ) ٤٣٤ : انظر  
 الشعري اليمانية .  
 النجوم ٦ : ١٦ : ١٧ : ٢٦ :  
 ٢٨ : ٧٤ : ٧٦ : ٩٦ : ٢٣٨ .  
 نخبت = ٣٨ : ٦٠ : ٨٠ .  
 نخت حرجب ، انظر تقطانب .  
 نحن ( هيراكونبوليس ) ٣٤ : ٦٠ .  
 نشت ( قارب أوزيريس ) ١٦٢ :  
 ٢٠٥ .  
 نشيد أتون ١٢٧ - ١٣٠ .  
 - أمون ١٢١ : ١٢٣ : ١٢٤ : ١٥٠ .  
 - لمحي ٤١٤ - ٤١٥ .  
 - حاتور ٤١٥ .  
 - الشمس ٢٢ - ٢٣ .  
 مونتو ٤٥ : ١١٩ : ١٥٥ : ٢٠٤ .  
 - حريمه ٢٠٤ .  
 متورع ٦٠ : ١١٩ .  
 الميت . اتخاذه أشكالاً مختلفة ٢٥٤ .  
 - نبريره ٢٥٤ : ٢٥٥ .  
 - تمثاله في المعبد ، انظر تمثال .  
 - في المقبرة . انظر تمثال .  
 - حفلات دفنه ٣٠٠ .  
 - رحلته إلى السماء ٢٤٩ .  
 - والسحر ، انظر السحر لحماية الميت .  
 - شبحه ٢٧٠ - ٢٧١ : ٢٧٣ : ٣٣٠ :  
 ٣٤٠ : ٣٤١ .  
 - صورته على الكفن ٤٥٦ .  
 الموتى الأبرار ، انظر الأبرار .  
 - أثارهم ٢٧٥ : ٢٩٦ .  
 - آلهتهم ٢٣٨ .  
 - بعثهم ، انظر البعث .  
 - رعائهم ٢٣٢ .  
 - طعامهم . انظر طعام .  
 - عالمهم في السماء ٢٧ : ٢٣٨ :  
 ٢٣٩ : ٢٤٠ : ٢٤٢ : ٢٤٩ .  
 - عالمهم في الغرب في العالم السفلي ٢٢ :  
 ٢٣٧ - ٢٣٨ : ٤٥٢ : ٤٨٢ .  
 - عالمهم في عهد امرطقة ١٤٢ .  
 - كهنتهم ، انظر كهنة .  
 - قضائهم ٢٥٥ : ٢٥٦ .  
 - مراتبهم . انظر المراتب .  
 - يزودون بالسفن والقوارب ٢٦٥ :  
 ٢٧٥ .

- نيت ٣٩ : ٥٥ : ٥٨ : ٩٠ : ٩٥  
 ٣٦٢ : ٣٧١ : ٤٠٠ : ٤٣٣ : ٤٨٤  
 نيتوكريس ٣٥٧  
 النيل ١٧ : ١٨  
 منيعه ١٧ : ٤٢٠  
 هادريان ٤٦٩  
 قصره ٤٦٩  
 هارس ، انظر بردية  
 هرايسكس ٤٨٩  
 هرقل ٣٧٤ : ٤٠٠ : ٤٣٧  
 هرقليوبوليس ، انظر إهناسية  
 هرم ١٤٤  
 الهرمات ٣١٤  
 الأهرام ٢٣٢ : ٢٧٨ : ٢٧٩ : ٢٨٠ : ٢٩٨ : ٣٠٣  
 — متونها ، انظر متون  
 — من اللين ٢٩٨ : ٣٠٣  
 — الصغيرة في المقابر ١٤٤ : ٣١٤  
 — في النوبة ٣٩٦  
 هرمس ٩٨ : ١٠٠ : ٤٠٠ : ٤٥٤  
 — كتبه ، انظر كتب  
 — ترسمجستوس ( مثلث العظمة )  
 ٦٨ : ٣٨٥ : ٤٥٢  
 هرموبوليس ، انظر شمون  
 المكسوس ١٢٠

- نشيد الصباح ٢٠٠ : ٤٧٩  
 أناشيد ١٩٩ : ٤١٣ : ٤١٦  
 نصب بترش ٣٦٧  
 — منديس ٤٠٣  
 النظرون ٢١٢  
 النظرة الشريرة ٣٤٨  
 نفتيس ٤٢ : ٦٨ : ٨٢ : ٨٣  
 ٨٥ : ٨٦ : ٩٨ : ١٠١ : ٤٣٨  
 ٤٦٤ : ٤٧٣  
 — تقوم مقام سشات ٦٨  
 نفرتم ٥٨ : ٥٩ : ٧٤ : ١٠٦  
 نفرتي ١٣٦ : ١٣٧ : ١٤٣  
 نقراطس ٣٧٩ : ٣٩٩  
 نقتانب ٣٧٨ : ٤٠٢  
 نكر ( نكل ) ١٧١  
 النمس ٥٦ : ٣٥٩  
 ننجال ١٧١  
 نهر الحجر ٢٤٣  
 النوبة ٣٩١ - ٣٩٤  
 موت ١٦ : ١٧ : ٣٦ : ٧٣  
 ٧٤ : ٧٥ : ٧٦ : ٨٢ : ٨٥  
 ٩٨ : ١٠٤ : ١٧٤ : ٢٤٣  
 ٢٤٧ : ٢٥٠  
 نوتى السماء ٢٤٥  
 نون ١٨ : ٣٠ : ٧٢ : ٧٥ : ٧٦  
 ١٠٣  
 نون متحدا مع بتاح ١٠٦

- هليوبوليس ١٩ ؛ ٢٤ ؛ ٢٩ ؛ ٣١ ؛  
 ٣٢ ؛ ٥٦ ؛ ٧٥ ؛ ١٠٣ ؛ ١٠٤ ؛  
 ٤٤٨ .  
 — أرواحها ١١٣ .  
 هليوس ٤٣٧ .  
 هيراكونبوليس ؛ انظر نحن .  
 هيرودوت ١٦٧ ؛ ٣٢٦ ؛ ٣٢٧ ؛  
 ٣٧١ ؛ ٣٧٣ ؛ ٣٧٦ ؛ ٤٤٠ .  
 هيفايستوس ٣٠ ؛ ٤٠٠ .  
 الواحة الداخلة ٣٥٤ .  
 — الخارجة ٣٧٠ ؛ ٣٩٠ .  
 الواحات ٣٥٤ ؛ ٣٩٠ .
- الوثائق المزوّرة ، انظر تزوير .  
 الوثنية ، نهايتها ٤٦١ - ٤٦٣ .  
 الوجد الدينى ٤٦٨ ؛ انظر الدهول .  
 الوحى ، انظر العرافة .  
 الوحى فى منف ، انظر إبحوتب .  
 الوضيمة ، انظر طعام .
- يارو ، انظر بحيرة يارو ، حقل يارو .  
 ياو ؛ انظر يهوا .  
 يهوا ؛ معبده ٣٧٠ - ٣٧١ .  
 اليهود ، معبدهم فى اليفانيتين ، انظر يهو  
 اليوبيل الملكى ، انظر عيد الحب سد .  
 يوزاس ٣٢ .